سلسلة الرسائل الجامعية (٥٩)

موقف المستشرقين

من الصحابة رضي الله عنهم

إعداد

د. سعد بن عبد الله بن سعد الماجد

أستاذ العقيدة المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الفضيلة

دار الهدي النبوي

الطَّبعَة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الناشر

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٥٤٣ ـ ص. ب ٥١١٤٢

تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٣

توزيع

دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية ـ المنصورة

تليفون: ٢٣٢٣١٧٥ / ٠٥٠ ـ جوّال: ٧١٤٥٦٨١ / ٠١٢

أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة تقدم بها الباحث لكلية أصول الدين بجامعة الإمام وحصل على الدكتوراة بتقدير ممتاز عام ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينْ ، ولا عدوانَ إلا على الظالمين ، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمدٍ ، وعلى آله وصحبهِ أجمعين ، أمَّا بعدُ:

فإنَّ الصحابةَ - رضوانُ الله عليهم - هم أتباعُ النبي ﷺ ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، ونشرُ تعاليم دينه ، والذودُ عن حياضه ، ضحُّوا في سبيله بالنفس والنفيس ، فكانوا طرازاً وحيداً لم يكن في أتباع الأنبياء مثلُهم ، لهم القِدْح المُعلى من كل فضيلة ، والسهمُ الأعلى من كُلِّ مَكرُمةٍ ، لذا فهم أهلٌ لكل محبةٍ وتعظيم ، وإكرامٍ وتقديرٍ من هذه الأمة ، وأهلٌ لأن يقتدى بهم ويُتمسك بطريقتهم وهديهم ، فإن الدين ما كانوا عليه علماً واعتقاداً وعملاً وأخلاقاً ، وقد أثنى عليهم من كان بهم عليماً ، وعن حالهم خبيراً ، فقال عز من قائل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤] .

وشهد لهم الرسولُ ﷺ بأنهم خير أمة ، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير أمتي قرني[(١)]، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»** [(٢)] . الحديث .

ولفضلهم نهى عن سبِّهم ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا**

---

(١) قرني: القرن أهل كل زمان ، وقيل القرن: أربعون سنة ، وقيل: ثمانون ، وقيل: مائة . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري (٤/ ٤٥) ، مادة (قرن) .

(٢) أخرجه البخاري ، ح/ ٣٥٦٠ (ص ٧٤٧) ، ح/ ٢١٤ ، (ص ١١١١) باختلاف يسير .

نصيفه[١]»[٢].

والآياتُ والأحاديثُ الدالة على فضل الصحابة رضوان الله عليهم كثيرة جداً .

وأهل السنةِ والجماعة على القول بفضل الصحابة ، ومحبتهم ، والترضّي عنهم ، ومعرفةِ حقوقهم .

وفي هذه الأزمنة المتأخرة برز باحثونَ من غير المسلمين ، وهم من عرفوا بالمستشرقين ، والذين كتبوا عن الإسلام وأهله .

ومنهم (صحابة رسول الله ﷺ) وقد خاض المستشرقون في مُجريات الأحداثِ التي وقعت في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، ومنها مسألة من يلي الخلافةَ بعد وفاة الرسول ﷺ ، ومحنة مقتل عثمان رضي الله عنه ، وهل كان لأحدٍ من الصحابة يدٌ في ذلك؟ إضافة إلى وقوع التقاتل بين الصحابة رضي الله عنهم في الجمل ، وصفين .

كما خاضوا في سيرهم ومجريات حياتهم ، وقد استفادوا ذلك من كتُبِ التاريخ والسير والآداب والأسمار وغيرها .

وكان لهم في ذلك مناهجَ ومصادرَ يعتمدون عليها في الكتابة عنهم رضي الله عنهم ، علماً أن هؤلاء القوم ينتمون لدول ، ومدارسَ استشراقية ، لها أهدافها ، ومناهجها في الدراسات المعرفية للإسلام والمسلمين ، ومنهم من له مواقف عدائية للإسلام ، والبعضُ له مواقف متأرجحة بين العدائية والمنصفة ، والبعضُ الآخر له مواقف منصفة ، وقد لا يسلم من الخطأ أيضاً؟!

لهذا كله سعت هذه الدراسة إلى جمع أقوال المستشرقين وكتاباتهم عن الصحابة - رضي الله عنهم - من الصنفين على حد سواء - تحلية للحق ، وإظهاراً للصواب ، ودفاعاً عن صحابة رسول الله ﷺ .

---

(١) النصيف: بوزن رغيف هو النصف كما يقال: عشر وعشير ، وثمن وثمين ، وقيل: النصيف مكيال دون المد . كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، ح/ ٣٦٧٣ ، (٧/ ٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري ، ح/ ٣٦٧٣ ، (ص ٧٥٢) ، ومسلم ، ح/ ٢٢١ ، (ص ١١١٣) .

سبب اختيار الموضوع:

١ – تأكيد المنزلة العالية للصحابة رضي الله عنهم، وأن القدح في الصحابة رضي الله عنهم تقويض لبنيان الإسلام ونقض له من أساسه .

٢ – الرد على المستشرقين في افتراءاتهم على الصحابة رضي الله عنهم وهذا الرد يُعد نوع من أنواع الجهاد، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(١) .

٣ – أن في قدح المستشرقين وافتراءاتهم على الصحابة رضي الله عنهم وسيلة وذريعة للقدح في الرسول ﷺ وما جاء به من الحق من عند ربه .

٤ – أن يكون لنا أسوة في سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، حيث قاموا بواجب الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم خير قيام وهذه مؤلفاتهم شاهدة على ذلك .

٥ – بُغية الوقوف على جملة من كتابات المستشرقين والتي تناولوا فيها الصحابة رضي الله عنهم جرحاً أو تعديلاً .

٦ – معرفة المناهج والمصادر التي أخذ بها المستشرقون في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم .

٧ – معرفة آثار موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم على بعض الدراسات المعاصرة، والتي ألفها بعض أبناء المسلمين

أهداف الموضوع:

١ – عرض ما كتبه المستشرقون في الصحابة رضي الله عنهم من افتراءات ومطاعن، ومن ثم نقده على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

٢ – دراسة مناهج المستشرقين ومصادرهم في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم .

٣ – معرفة موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، تاريخهم وسيرهم .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ح/ ١٢٥٣٣ . وأبو داود في سننه، ح/ ٢١٤٣، والنسائي، ح/ ٣٠٤٥، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته، ح/ ٣٠٩٠ (١/ ٥٩٣) .

٤ - الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ، والذبّ عن أعراضهم، أو ما يشوه سيرهم وجهادهم ونصرتهم للدين الحنيف.

٥ - معرفة الآثار التي خلفتها الدراسات الاستشراقية في الدراسات المعاصرة لدى بعض أبناء المسلمين.

ولما كان هذا الموضوع لم يُبحث، أو يُسجل في جامعة أخرى، كانت الرغبة مني في تسجيله والكتابة فيه، وقد سميته: **(موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم عرض ونقد، في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)** وذلك لنيل درجة (الدكتوراه) في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

خطة البحث:

المقدمة، وفيها:

- سبب اختيار الموضوع.
- أهداف الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

البحث: وفيه: تمهيد، وثلاثة فصول:

التمهيد، وفيه التعريف بمفردات العنوان.

الفصل الأول: مناهج المستشرقين ومصادرهم في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مناهج المستشرقين في دراساتهم وكتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم وموقفهم منها.

المبحث الثالث: التعريف بأبرز المستشرقين الذين كتبوا عن الصحابة رضي الله عنهم .

الفصل الثاني: موقف المستشرقين من منزلة الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم .

وفيه تمهيد ، وثلاثة مباحث:

التمهيد: وفيه المراد بالصحبة .

المبحث الأول: موقف المستشرقين من صلة الصحابة بالرسول ﷺ وصلة بعضهم ببعض ، ومن جهودهم في نشر الإسلام . وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثاني: موقف المستشرقين مما ورد في شأن الصحابة رضي الله عنهم . وفيه مطلبان:

المبحث الثالث: موقف المستشرقين من الخلاف الذي وقع بين بعض الصحابة رضي الله عنهم .

الفصل الثالث: موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم تفصيلاً .وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: موقف المستشرقين من الخلافة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

وفيه خمسة مطالب:

المبحث الثاني: موقف المستشرقين من آل بيت النبي ﷺ . وفيه تمهيد ، وثمانية مطالب:

المبحث الثالث: موقفهم من المهاجرين رضي الله عنهم تفصيلاً .

المبحث الرابع: موقفهم من الأنصار رضي الله عنهم تفصيلاً .

المبحث الخامس: موقفهم من بقية الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث السادس: آثار موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم على الدراسات المعاصرة .

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج .

الفهارس: وفيها الفهارس التالية:

١ – فهرس الآيات القرآنية .

٢ – فهرس الأحاديث النبوية .

٣ – فهرس الأعلام .

٤ – فهرس المصادر والمراجع .

٥ – فهرس الموضوعات .

واختصرت الفهارس في هذه الطبعة إلى المراجع والموضوعات حتى لا يطول الكتاب .

منهج البحث: كان منهجي في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي ، إضافة إلى أخذي بالمنهج التحليلي النقدي:

أ – فقد بحثت عن موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم من خلال كتبهم ومقالاتهم المترجمة باللغة العربية وقمت بالتالي:

- درست أهم مناهج ومصادر المستشرقين التي أخذوا بها في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم .

- نقدت مواقف المستشرقين ونصوصهم التي سطروها في كتبهم عن الصحابة رضي الله عنهم ، سواء كانوا أفراداً أو جماعة ، ورددتها بالكتاب والسنة وما صح من الروايات التي في كتب السيرة والتاريخ وغيرها .

- أبرزت كثيراً من المصادر التي أخذ بها المستشرقون في الطعن في بعض الصحابة رضي الله عنهم وخاصة من كتب الأدب والأسمار .

- أطلت في الرد ونقد المستشرقين في بعض الأمور ، وتناولت بعض الروايات التاريخية بالذكر والنقد ، وخاصة إذا كان في أمر عظيم ، كقتل ، أو رمي بالزنا لأحد

الصحابة رضي الله عنهم .

- أبرزت أهم ما ذكره المستشرقون عن الصحابة رضي الله عنهم، وأهملت البعض الذي لا يتبين به موقف المستشرقين – حسب وجهة نظري .

- وثّقت أقوال المستشرقين من كتبهم، وربطتها ببقية كتب المستشرقين .

- رتبت الأقوال حسب تقدم أصحابها في الوفاة، إلا إذا اختلفت الفكرة أو القضية محل النظر والرد .

ب – عزوت الآيات إلى سورها .

ج – خرَّجت الأحاديث من كتب السنة صحاحها وسننها ومسانيدها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإلا خرَّجته من بقية كتب السنة الأخرى، وبيَّنت درجة الحديث من الصحة والضعف بما يذكره أهل العلم وغيرهم من الباحثين .

د – ترجمت للأعلام غير المشهورين غالباً، وقد أخالف ذلك أحياناً .

هـ – عرَّفت بالفرق والديانات .

و – شرحت غريب اللغة والأمثال والمصطلحات .

ز – صنعت عدة فهارس في آخر الرسالة تسهيلاً للوصول إلى ما حوته .

وأخيراً: أنبه على أن الباحث قد مر في كتابة هذا البحث ببعض الصعوبات ومنها: قلة الكتب المترجمة للمستشرقين والمتخصصة في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم، والتداخل والتكرار بين موضوعات الرسالة، وخاصة بين المثلة التطبيقية على مناهج ومواقف المستشرقين، وكذلك النقص البشري المحيط بالباحث من كل جانب، فما كتبه اليوم إلا وقال في غده لو كان كذا لكان أصح، أو لكان أفضل . . . والحمد لله المتفرد بالكمال في كتابه وصفاته .

شكر وتقدير:

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر والدعاء لوالديَّ الكريمين بعد شكر الله عز وجل، كما أتوجه بالشكر الجزيل لجامعتي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثّلة في كلية أصول الدين، وفي قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة جزاء ما قدموه لي ولطلاب الدراسات العليا من خدمات جليلة؛ تسهيلاً لطلب العلم، وترغيباً في البحث والتحصيل العلمي المنضبط والبنَّاء.

وأشكر فضيلة الدكتور: **عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر** سلمه الله، المشرف على هذه الرسالة، لنصحه وتوجيهاته، وبذله وقته وجهده في سبيل الارتقاء بهذا البحث، جعله الله في موازين حسناته.

وأخيراً: أشكر جميع من أعانني في بحثي هذا من مشايخي، وزملائي بمشورة أو فائدة علمية، أو إعارة كتب، أو رسائل علمية.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

وفيه تعريف بمفردات العنوان (موقف المستشرقين من الصحابة – رضي الله عنهم – عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة).

١ – التعريف بالموقف.

٢ – التعريف بالمستشرقين.

٣ – التعريف بالصحابة.

٤ – التعريف بالعرض.

٥ – التعريف بالنقد.

٦ – التعريف بالعقيدة.

٧ – التعريف بالسُّنة.

٨ – التعريف بالجماعة.

التمهيد

التعريف بمفردات العنوان

[١] التعريف بالموقف: قال ابن فارس[١] – رحمه الله -: (الواو والقاف والفاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تمكّثٍ في شيء ثم يقاس عليه... وموقف الإنسان وغيره حيث يقف)[٢].

وكذلك قال الجوهري[٣]، والفيومي[٤] وغيرهما به[٥].

وأمَّا في المعاجم اللغوية المتأخرة فقد عُرِّف الموقف: بأنه: هو الموضع، ومنه الموقف السياسي، أو الموقف الحربي، كما جاء في معجم (الهادي إلى لغة العرب)[٦].

وفي معجم (الرائد) قال بثلاثة معاني أخصها بالعنوان:

الموقف: «استعداد أو رأي يتخذه المرء إزاء شخص أو قضيَّة: (موقف صريح)»[٧]. وهذا هو معنى الموقف في هذه الدراسة.

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن القزويني، اللغوي المشهور، له تصانيف في اللغة أهمها: (معجم مقاييس اللغة)، و(مجمل اللغة)، توفي سنة ٣٩٥هـ، ينظر: كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٠٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/ ١٠٣)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١/ ٤١٠)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي (ص ٤٤).

(٢) كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٦٢).

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أحد أئمة العربية الكبار، وكذلك الأدب، وممن يُضرب به المثل في ضبط اللغة، وحُسن الخط وجودته. توفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ، وقيل غير ذلك، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠ – ٨٢)، ومعجم الأدباء (٦/ ١٥١)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي (ص ٤٩).

(٤) وهو أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، من أئمة العربية، وممن مَهَرَ في الأدب، وهو صاحب: (المصباح المنير)، توفي سنة ٧٧٠هـ، ينظر: كتاب الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ٣١٤)، والأعلام للزركلي (١/ ٢١٦)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٢/ ١٣٢).

(٥) كتاب الصحاح (٢/ ١٠٩٩)، مادة: (وقف)، والمصباح المنير للفيومي (ص ٣٤٤) مادة: (و ق ف).

(٦) لمؤلفه: حسن سعيد الكرمي (٤/ ٥٢٨).

(٧) لمؤلفه: جبران مسعود جبران (٢/ ١٤٥٧).

[٢] التعريف بالمستشرقين:

الاستشراق في اللغة: استشرق من الفعل (شرق) يقال: شرقت الشمس أي طلعت، والشرق: هو الجهة التي تشرق منها الشمس، والتشريق الأخذ في ناحية المشرق[(١)].

يقول أحمد رضا - عضو المجمع العلمي العربي بدمشق -: (استشرق فلان هي بمعنى طلب علوم الشرق ولغاتهم، وهي كلمة مُوّلدة عصرية تقال لمن يُعنى بذلك من الإفرنج)[(٢)].

وفي كتاب (المنجد في اللغة والأعلام) عُرِّف المستشرق بأنه: (العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية، والاسم الاستشراق)[(٣)].

وأما بالنسبة لأول استعمال لكلمة أو مصطلح (مستشرق) (**ORNTALISTE**) فقد كان في اللغة الإنجليزية حوالي عام ١٧٧٩م، وأما مصطلح (استشراق) (**ORNTALISME**) فقد ظهر في قاموس (الأكاديمية الفرنسية) عام ١٨٣٨م[(٤)].

يقول المستشرق (مكسيم رودنسون)[(٥)] عن الاستشراق ملخصه: أن مصطلح الاستشراق، والمستشرقون تحول على مر الزمان، وأصبح عنواناً للعِداء السافر، على الدين الإسلامي وشعوبه.

فطالب كثيرٌ من المستشرقين بالتخلّي عن هذا اللقب كُليَّةً؛ وذلك في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عُقد في (باريس) صيف عام ١٩٧٣م،

---

(١) ينظر: كتاب الصحاح (٢/ ١١٤٠)، مادة شرق)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/ ١٧٣)، مادة (شرق)، والمصباح المنير (ص ١٦٢)، مادة (ش ر ق)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٣/ ٢٤١)، مادة (شرق).

(٢) كتاب معجم متن اللغة العربية (٣/ ٣١٠).

(٣) (ص ٣٨٤).

(٤) الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هاشم صالح (مجموعة مقالات لبعض المستشرقين (ص ٨٨) بتصرف.

(٥) مكسيم رودنسون، مستشرق فرنسي معاصي، ترجم معظم كتبه إلى اللغة العربية، ومنها: الإسلام والرأسمالية، والعرب، وجاذبية الإسلام، ينظر: كتاب: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه (ص ٣٩).

واستبداله بلقب المستعرب، أو المختص بالدراسات العربية أو الإسلامية، أو المختص بالعلاقات مع العرب(١) .

الاستشراق اصطلاحاً: هو علم أو علم العالم الشرقي، وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين: شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم(٢) . وهذا معنى عام للاستشراق.

وهناك معنى خاص لهذا المصطلح، حيث يمكن القول بأن الاستشراق هو: (**دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب، سواء كان من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة**)(٣).

وهذا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو الذي يعنينا، وهو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي عندما يطلق لفظ (استشراق) أو (مستشرق)، وهو الشائع أيضاً في كتاب المستشرقين المعنيين.

والمستشرقون: (**هم من يقوم بهذه الدراسات من غير الشرقيين خدمة للمبشِّرين وللدوائر الاستعمارية لتحقيق أهدافهم في بلاد المسلمين**)(٤).

هذا في الغالب، وإن كان هناك من المستشرقين من عندهم شيء من الإنصاف.

[٣] التعريف بالصحابة: قال ابن فارس في معجمه: (صحب: الصاد والحاء والباء يدل على مقارنة شيء ومقاربته)(٥) .

وقال الجوهري وغيره: الصحابة بالفتح الأصحاب، وهي في الأصل مصدرٌ مشتقٌّ

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١٦٣ – ١٦٤).

(٢) ينظر: كتاب أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، تأليف الدكتور:عبدالرحمن حبنكة الميداني (ص ٥٠).

(٣) كتاب: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، تأليف: الدكتور: عبدالمنعم فؤاد (ص ١٨).

(٤) ينظر: كتاب رؤية إسلامية للاستشراق، تأليف: أحمد غراب (ص ٧)، والاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، تأليف الدكتور: مصطفى السباعي (ص ١٥). والمستشرقون ونشر التراث – دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر، علي بن إبراهيم النملة (ص١٥)، والتبشير والاستشراق، أحقاد وحملات على النبي ﷺ، مستشار محمد عزت الطهطاوي (ص ٤٥).

(٥) (ص ٥٦٣) مادة: (صحب).

من الصُّحبة، وجمع الأصحاب (أصاحيب)[(١)].

وللصحبة عند الفيومي عدة إطلاقات وهي:

١ - يطلق لمن حصل له رؤية ومجالسة.

٢ - وتطلق الصحبة مجازاً مقيدة بوصف على من تمذهب بمذهبٍ من مذاهب الأئمة فيقال: (أصحاب الشافعي)، و(أصحاب أبي حنيفة).

٣ - وتطلق على الملازمة، فكل شيء لازم شيئاً فقد (استصحبه).. ومنه قولهم: «استصحبتُ الحال» إذا تمسكت بما كان ثابتاً كأنك جعلت تلك الحالة مصاحبةً غير مفارقة.

٤ - وتطلق على المعاشرة يقال: صحبه أي عاشره، والصاحب: المعاشر[(٢)].

هذا وقد ورد هذا اللقب في الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠].

وأما في السنة المطهرة فقد ورد في حديث هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، لما قال الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه): (**فإني قد أُذن لي في الخروج**) فقال أبو بكر: الصحابة[(٣)] بأبي أنت يا رسول الله[(٤)].

الصحابة اصطلاحاً: قال ابن حجر - رحمه الله -: الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً، ومات على الإسلام[(٥)].

وهناك أقوال كثيرة في تعريف الصحابي متغايرة ومتباينة، وهذا الخلاف واقع بين المحدثين والأصوليين في المراد بالصحبة، وهذا يحتاج مزيد بسط؛ حيث سأتناول هذه الأقوال في تمهيد الفصل الثاني.

---

(١) ينظر: كتاب الصحاح للجوهري (١/ ١٧٧) مادة (صحب)، وانظر: مختار الصحاح للرازي (ص ٢٠١) مادة: (ص ح ب)، والمعجم الوسيط (ص ٥٠٧) مادة: (صحبه).

(٢) ينظر: المصباح المنير (ص ١٧٤)، مادة: (ص ح ب)، ولسان العرب (١/ ٥١٩) مادة: (صحب).

(٣) الصحابة: جمعُ صاحب، ولم يجمع فاعل على فَعالة إلا هذا. النهاية في غريب الحديث (٣/ ١١) مادة: (صحب).

(٤) أخرجه البخاري، ح/ ٣٩٠٥، (ص ٧٩٩).

(٥) كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ص ٩).

[٤] تعريف الـ (عرض): قال الجوهري معناه: وعَرَضْتُ الشيء فأعْرَضَ، أي أظهرته فظهر، وقول الله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠﴾ [الكهف: ١٠٠].

قال الفراء(١): أبرزناها حتى نظر إليها الكفار(٢).

وقال ابن فارس في معناه: (ومن الباب عرض المتاع يعرضه عرضاً. وهو كأنه في ذلك قد أراه عرضه)(٣).

وجاء في (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب)، العرض: (تناول الكتب المنشورة حديثاً بعرض أهم ما جاء فيها، والتعريف بمؤلفيها)(٤).

والقول الأخير هو الأقرب إلى المقصد؛ حيث تُعرض أقوال المستشرقين في الصحابة رضي الله عنهم، ثم تُنقد ويميز صحيحها من زائفها.

[٥] التعريف بالنقد: قال ابن فارس – رحمه الله – : (النون والقاف والدال أصل صحيح يدلّ على إبراز شيء وبُروزه... ومن الباب نَقْد الدرهم، وذلك أن يكشف عن حال جودته)(٥).

وقال الجوهري – رحمه الله –: (نَقَدْتُ الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الزَّيْف.. وناقَدْتُ فلاناً: إذا ناقشته في الأمر)(٦).

وفي (معجم الهادي إلى لغة العرب) معنى النقد: (نقد ينقُدُ نقْداً) الرجل الشيء نظر فيه متفحِّصاً ليعرف محاسنه من مساوئه، ونقد الصرَّاف الدراهم نظر فيها يميز

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور، أبو زكريا الديلمي المعروف بالفراء، الإمام المشهور، له مصنفات كثيرة مشهورة في النحو واللغة ومعاني القرآن، توفي ٢٠٧هـ، ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٠١)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص ١٩٥).

(٢) كتاب الصحاح (١/ ٨٤٨)، مادة: (عرض)، ومختار الصحاح للرازي (ص ٢٣٥) مادة: (ع رض).

(٣) معجم مقاييس اللغة (ص ٧٢٧).

(٤) لمؤلفه: مجدي وهبة وكامل المهندس (ص ١٣٧).

(٥) كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٠٦)، مادة: (نقد).

(٦) كتاب الصحاح (١/ ٤٥٨)، مادة: (نقد).

الصحيح من الزائف، أو يخرج الزائف منها.

ونقد الرجل الكتاب نظر فيه فاحصاً ليرى الصحيح من الخطأ.

ونقد الرجل الكلام أبانَ ما فيه من الحُسن والقُبح، والصحة والاعتلال... والناقد هو الذي يدرس الكتب ويُبيِّن محاسنها ومساوئها)(١).

[٦] **التعريف بالعقيدة**: قال ابن فارس في معنى العقد: (العين والقاف والدال أصل واحد يدلُّ على شدّ وشِدّة وثوق وإليه ترجع فروع الباب كلها.

ومن ذلك عقد البِناء والجمع أعقاد وعقود)(٢).

وقال الفيومي: (اعتقدتُ) كذا (عَقَدْت) عليه القلب والضمير، حتى قيل: (العقيدة): ما يدين به الإنسان به)(٣).

وجاء في المعجم الوسيط: (عَقَدَ طرفي الحبل ونحوه: وصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكهما فأحكم وصلهما.

و(العقيدة): الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده)(٤).

وعلى هذا فتعرَّف العقيدة بأنها: (هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً ودِيناً، بغضِّ النظر عن صحته من عدمه)(٥).

[٧] **التعريف بالسُّنة**: قال اللغويون: السنة: الطريقة، يقال: استقام فلانٌ على سنن واحد، أي على طريقة واحدة.

و(السُّنَّة): السيرة حميدة كانت أو ذميمة(٦).

---

(١) (٤/ ٣٤٤، ٣٤٥)، مادة: (نقد).

(٢) كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٦٥٤).

(٣) كتاب المصباح المنير (ص ٢١٨).

(٤) (ص ٦١٣ – ٦١٤).

(٥) رسائل في العقيدة: تأليف الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد (ص ١٣).

(٦) ينظر: كتاب الصحاح (٢/ ١٥٦٩) مادة: (سنن)، ومختار الصحاح (ص ١٨١)، مادة: (س ن ن)، ولسان العرب (١٣/ ٢٢٠)، مادة: (سنن)، والمصباح المنير (ص ١٥٢)، مادة: (س ن ن).

[٨] **التعريف بالجماعة**: الجماعة: تسميّة بالمصدر، و(الجماعة) من كل شيء يُطلق على القليل والكثير، والجماعة: القوم المجتمعون(١).

أهل السنة والجماعة اصطلاحاً: هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن جاء بعدهم وأئمة السلف المجتمعون والمتمسكون بما جاء به الرسول ﷺ قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً(٢).

ولهذا سُمُّوا بأهل السنة، كما جاء في حديث العرباض بن سارية(٣) (رضي الله عنه) قال: وَعَظَنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة(٤) موعظةً بليغةً ذَرَفت منها العيون، ووجِلَتْ منها القلوب، فقال رجلٌ: إنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: (**أوصيكم بتقوى الله، والسَّمعَ والطَّاعة وإنْ عبدٌ حبشيٌّ، فإنه من يعِشْ منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بِسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عُضُّوا عليها بالنواجذ**)(٥). وغيره من الأحاديث الدالة على التمسك ولزوم الجماعة.

وهناك مسميات أخرى لأهل السنة، ومنها أهل الحديث والأثر، والفرقة

---

(١) ينظر: كتاب الصحاح (٢/ ٩٢٩)، مادة: (جمع)، ومختار الصحاح (ص ٧٢)، مادة: (ج م ع)، ولسان العرب (٨/ ٥٢)، مادة: (جمع)، والمصباح المنير (ص ٦٠) مادة: (ج م ع)، والمعجم الوسيط (ص ١٣٥) مادة: (جمع).

(٢) هذا التعريف صُغْتهُ بأسلوبي كما أنه يمكن الرجوع إلى كتاب شرح السنة للإمام أبي محمد البربهاري، تحقيق: خالد قاسم الردادي (ص ٦٥)، وكتاب منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٢٢١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية أيضاً (٢٨/ ٤٨٢) وغيرها.

(٣) هو: العرباض بن سارية السلمي، يُكنى أبا نجيح، كان من أهل الصُّفَّة، سكن الشام ومات بها سنة خمس وسبعين، وقيل: بل مات في فتنة ابن الزبير، الاستيعاب لابن عبدالبر (ص ٥٩٠) رقم (٢٠٣٠)، وينظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٢٤٠) رقم (٣٦٣٠).

(٤) صلاة الغداة: الفجر. ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٣١١) مادة: (غدا).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه. ح/ ٢٦٧٦، (ص ٦٠٧)، وأبو داود ح/ ٤٦٠٧، وأحمد في مسنده، مسند الشاميين، ح/ ١٧٢٧، وابن ماجه في سننه، ح/ ٤٢، والدارمي ح/ ٩٥. كلهم بنحوه، وقال أبو عيسى الترمذي عقب الحديث: هذا حديث حسن صحيح.

المنصورة، والفرقة الناجية، والسلف . . .

أمَّا غيرهم من أهل الأهواء والبدع فقد (تسمُّوا بأسماء وألقاب أو عُرفوا بها فصارت علماً عليهم، ومن المعلوم أن أهل السنة والجماعة قد يُسمِّيهم غيرهم بأسماء وألقاب أخرى، إذ ما من فرقة إلا وسمَّت أهل السنة باسم يناسب ما خالفها فيه أهل السنة[١]، ولكن بقي أهل السنة لم يلزمهم شيء من هذه الألقاب الباطلة)[٢].

وخلاصة القول: أن الموضوع: هو دراسة لآراء طائفة من المستشرقين تجاه الصحابة - رضي الله عنهم - سواء كانوا جماعة أو فرادى، على حسب ما سطروه في كتبهم، وأعلنوه في مقالاتهم؛ حسنة أو قبيحة، ثم مناقشتهم فيها على ميزان عقيدة أهل السنة والجماعة، مع تحري الإنصاف.

(١) فالزنادقة يسمون أهل السنة بالحشوية، والقدرية يقولون: مجبرة، والجهمية يقولون: مشبهة، والرافضة يقولون: ناصبة. انظر: كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني (ص ٣٠٤ – ٣٠٥).

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د.عبدالرحمن المحمود (١/ ٧١ – ٧٢)، وينظر: شرح العقيدة الواسطية، د.صالح الفوزان، (ص ١٢)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ/ محمد العثيمين (١/ ٣٧)، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية د/ إبراهيم البريكان (ص ١٣). ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تأليف: د:عثمان جمعة ضميرية (ص ١٣٩ – ١٥٩).

الفصل الأول

مناهج المستشرقين ومصادرهم في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مناهج المستشرقين في دراساتهم وكتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم.
- المبحث الثاني: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم وموقفهم منها.
- المبحث الثالث: التعريف بأبرز المستشرقين الذين كتبوا عن الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الأول

مناهج المستشرقين في دراساتهم وكتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم

لم يصرح المستشرقون بمناهجهم التي أخذوا بها في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولكن بتتبع واستقراء كتاباتهم تلك تبين أنهم أخذوا بمناهج عدة في الكتابة، تأثراً بالمناهج السائدة في بلدانهم والبيئة التي عاشوا فيها، مع عدم إغفال أثر معتقداتهم عليهم.

ولما كان المستشرقون الذين كتبوا عن الصحابة رضي الله عنهم، يتبعون مدارس استشراقية شتى، فمن الصعب ذكر مناهج كل مدرسة على حدة، أو مناهج كل مستشرق، لهذا آثرت الاقتصار على أربعة مناهج عامة اشترك فيها كثير من المستشرقين، وتميزت في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وهي:

المنهج العقلي، والمنهج المادي، والمنهج الاجتماعي التطوري، والمنهج الانتقائي.

هذا والكتابة عنها في الجانب النظري باستيعاب يذهب بنا بعيداً عن الغرض من دراسة مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، لذا سأشير إلى الجانب النظري والتطبيقي مع مراعاة الاختصار.

المطلب الأول: المنهج العقلي في كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم

بالنظر إلى ما كتبه المستشرقون عن الصحابة رضي الله عنهم، نجد أنهم قد أخذوا بالمنهج العقلي في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، مع العلم أن المنهج العقلي هو أحد المذاهب الفكرية التي كانت سائدة في الغرب، ونسب(١) إلى الفيلسوف ديكارت(٢)

(١) ينظر كتاب تطور الفكر الغربي، رؤية نقدية، تاليف الدكتور: علي عبدالمعطي محمد، وآخرون، (ص ٢٢٨).

(٢) رينيه ديكارت (Rene Descartes)، (١٥٩٦ – ١٦٥٠م)، فيلسوف فرنسي، ولد في بلاهي من أعمال مقاطعة تورين بفرنسا، ولما بلغ الثامنة أدخل مدرسة "لافليش" للآباء اليسوعيين، ومكث بها ثماني سنين حتى أتم الدراسة فيها، وكانت الفلسفة تحتل مكاناً فسيحاً فيها، وبعد أربع سنين تقدم لامتحان القانون في (بواتين) ونال الإجازة، وبعدها راح يطوف أنحاء أوربا لم ينقطع في أثنائها عن دراسة المسائل الفلسفية، ومن مؤلفاته: رسالة بعنوان: العالم، والمقال عن المنهج، ومبادئ الفلسفة، توفي ديكارت في السويد إثر زيارته لملكتها عام ١٦٥٠م. ينظر: كتاب تاريخ الفلسفة، تأليف: يوسف كرم (ص ٥٦ – ٨٤).

(Descartes) وكان قد وضع بعض القواعد العقلية للبحث عن حقائق الأشياء وهي:

(- ألا أقبل شيئاً ما على أنه حق ، ما لم أعرف يقيناً أنه كذلك ، بمعنى أن أتجنب التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر .

- وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز .

- أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء قدر المستطاع .

- أن أسير أفكاري بنظام بأبسط الأمور وأسهلها معرفة .

- أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئاً)(١) .

بل إن ديكارت شك في كثير من المعارف والحواس حتى يصل إلى اليقين في المعرفة(٢) ، وهذا شك منهجي يحرر الفيلسوف به عقله من المعارف والتصورات السابقة توطئة للوصول إلى اليقين(٣) .

والمستشرقون تأثروا بهذا المنهج العقلي الشكي في كثير من كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم في النقد التاريخي ، ومن ضمنه نقد المصادر التاريخية والروايات التاريخية التي كتبت عن الصحابة رضي الله عنهم ، ولم يقتصروا على الشك العقلي الديكارتي ، الذي هو مرحلة من مراحل البحث والتفكير العقلي ، حتى يصل إلى معرفة يقينية ، بل عملوا على التشكيك في وقائع تاريخية ومصادرها ، مما جعلهم لا يصلون إلى حق أو يقين ؛ وهذا هدف مبيت لتشويه سير الصحابة رضي الله عنهم هذا في الأكثر .

وهذه بعض الأمثلة على أخذ المستشرقين بالمنهج العقلي الشكي في النقد التاريخي للمصادر والروايات ، وهناك غيرها كثير في مواضع متعددة من البحث .

• **نقد المستشرقين للمصادر:** نقد المستشرقون المصادر التاريخية التي استقوا منها

---

(١) كتاب: مقال عن المنهج ، لديكارت ، ترجمة: محمود الخضيري ، (ص ١٩٠ – ١٩٢) .

(٢) كتاب مبادئ الفلسفة ، لديكارت ، ترجمة: عثمان أمين (ص ١٨) .

(٣) كتاب تطور الفكر الغربي (ص ٢٣٩) .

كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم ، فالمستشرق مونتجمري وات (**Montgomery. Watt**) يُقدِّم كتب السير والتاريخ على كتب السنة ؛ لأن هدف الجامعين لها تشريعياً كما في كلامه على المصادر الرئيسة في الكتابة عن الرسول ﷺ ، وبين الكتابة عن الرسول ﷺ والصحابة صلة وثيقة ، فهم أتباعه ، ونقلة شرعه ، وعاشوا عمراً من حياتهم في صحبته ﷺ ، فيقول: (**والمصادر الرئيسة... هي أولاً القرآن...**

النوع الثاني: ١ – سيرة ابن هشام (مات ٨٣م/٢٢٨هـ).

٢ – تاريخ الطبري (مات ٩٨٢/٣١٠هـ). ويجب أن نشير إلى كتب الحديث لـ «صحيح البخاري»، و«مسند أحمد بن حنبل» فهما يحتويان على كثير من المواد المهمة للمؤرخ وإن كان هدف الجامعين تشريعياً...)(١).

وأما المستشرق إميل درمنغم(٢) (**Dermenghem**) فيشك في بعض المصادر المهمة في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم فيقول:

(**وكتب الحديث لا تخلو من ميل وشبهة... وقد اقتطفت أقوال من التوراة والإنجيل وأسندت إلى محمد، وقد عُزي إليه ما يدحضُ به بعض المذاهب النصرانية، وقد نسب إليه ما يشك فيه من المعجزات، وهو الذي لم يقل إنه جاء بها...**

وفي مؤلفات الواقدي وابن سعد والحلبي، وأبي الفداء والطبري والمسعودي إلخ، ما في الأحاديث من الضعف، وفيها شيء من الصحة مع ذلك)(٣).

فالمستشرق مونتجمري ، ودرمنغم ، لم يُخلصا في بحثهما ونقدهما لأهم المصادر في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم ، وهي كتب السنة (الصحاح والسنن والمساند) بل تهورا في قوليهما ، فمونتجمري أخَّر كتب السنة بعد كتب السيرة والتاريخ ، وحاول أن يقلل من قيمة كتب السنة ، وقال: (**وإن كان هدف الجامعين تشريعياً**).

---

(١) كتاب محمد في مكة ، تأليف: مونتجمري وات ، (ص ٧) .

(٢) إميل درمنغم (E.Dermenghem) مستشرق فرنسي ، عمل مديراً لمكتبة الجزائر ، من كتبه: (حياة محمد) ، و(محمد والسنة الإسلامية) وغيرها . انظر: قالوا عن الإسلام ، د/ عماد الدين خليل (ص ٦٠) .

(٣) كتاب حياة محمد ، لإميل درمنغم (ص هـ – و) .

مع العلم أنها تحتوي الكثير من سير الصحابة رضي الله عنهم، وأخبارهم، وفضائلهم على أصح الروايات، وانصراف همم العلماء للعناية بذلك سنداً ورواية بخلاف كتب التاريخ التي لم يعتنِ بها فحصاً ولا تمحيصاً.

وإميل درمنغم رمى كتب الحديث بالضعف وعدم الصحة، وأنصف القول مع غيرها من كتب السير والتاريخ، فبأي منهجية أخذ هذا الباحث، أم أنه الهوى؟! فيقول:

(وكتب الحديث لا تخلو من ميل وشبهة... وفي مؤلفات الواقدي وابن سعد، والحلبي، وأبي الفداء، والطبري، والمسعودي... إلخ ما في الأحاديث من الضعف، وفيها شيء من الصحة مع ذلك).

ويقول المستشرق بليائيف (**Bellaev**) عن كتاب تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك):**(والطبري دقيق في ذكر المصادر التي يرجع إليها، ويحرص على ذكر الأسانيد والرجوع بها إلى عدد من الأجيال إلى أن ينتهي إلى شاهد عيان أو إلى خبر يُعد ناقله معاصراً.**

وإلى جانب المعطيات التي توفرت له فقد انتفع «الطبري» بمجموعة الأخبار والروايات التاريخية التي جمعها آخرون كأبي مخنف وغيره...)[١].

وفي موضع آخر يقول: **(كتاب الطبري[٢] كان المرجع الذي اعتمده المستعربون الأوربيون في القرن التاسع عشر ولايزال حتى يومنا في غاية الأهمية)** [٣].

وقد قال المستشرق فلهوزن (**Wellhausen**) عن «اليعقوبي» وذلك عند ذكره لحادثة مقتل الحسين رضي الله عنه فقال: **(وما كان للمرء أن يستفيد كثيراً من المعلومات المهمة من شيعي متحمس مثل «اليعقوبي» عن حادث له عند أصحاب مذهبه أهمية قصوى)**[٤].

هذه بعض الأمثلة على نقد المستشرقين للمصادر التاريخية التي كتبت عن الصحابة

---

(١) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية، تأليف: بليائيف (ص ١٦٩).

(٢) يقصد تاريخ الطبري.

(٣) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٦٩).

(٤) كتاب الخوارج والشيعة، تأليف: فلهوزن (ص ١١٩).

رضي الله عنهم ، ولهذا بحث مُطوَّل في المبحث الثاني: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم وموقفهم من المصادر الأخرى .

●**النقد التاريخي للروايات:** للنقد التاريخي للروايات أمثلة كثيرة يصعب حصرها موجودة في هذا البحث في (موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم) فالمستشرق مونتجمري وات (**Montgomery.Watt**)يجري دراسة نقدية للروايات في أول من أسلم من الصحابة رضي الله عنهم حيث يقول:

(وهناك إجماع على أن خديجة كانت الأولى التي آمنت بزوجها وبرسالته ولكن قامت مناقشة حول الرجل المسلم الأول.

ولقد كان بين يدي الطبري عدد كبير من المصادر وهو يترك للقارئ أمر الاختيار بين ثلاثة أشخاص: علي، وأبو بكر، وزيد بن حارثة، ولربما كان علي جديراً بذلك ولكن لا معنى له في نظر المؤرخ العربي، لأن علياً كان آنئذ في التاسعة أو العاشرة من عمره، وليس أبو بكر بأقل جدارة من علي ولكن بمعنى آخر وهو أنه كان أعظم المسلمين شأناً أيام قضية الحبشة[١]، بعد، ويبدو دوره الكبير الذي قام به فيما بعد في الروايات الأولى، وربما كان زيد بن حارثة هو الأجدر باعتباره أول مسلم ذكر؛ لأنه كان عبداً حرره محمد، وكانت صلتهما متينة غير أن حقارة أصله تعني أن إسلامه لم يكن له نفس مغزى إسلام أبي بكر)[٢] .

وهذا النص أو هذه الرسالة تدل على أن المستشرق قد أجرى دراسة نقدية للروايات في أول من أسلم من الصحابة رضي الله عنهم ، فهناك إجماع من الروايات على تقدم إسلام خديجة رضي الله عنها ، وهناك روايات كثيرة عند الطبري في تاريخه ، وغيره إلا أن المستشرق لم يميز بينها في الصحة أو الضعف ، مما جعله يتهم المؤرخ العربي في ترتيب أول الصحابة رضي الله عنهم إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها .

وأجرى المستشرق بيروسون[٣] (**Pearson**) دراسة عن جمع القرآن الكريم ، وأول

---

(١) لعل الصواب قضية السقيفة ، وبيعة الصحابة رضي الله عنهم لأبي بكر بالخلافة في سقيفة بني ساعدة .

(٢) كتاب محمد في مكة ، لمونتجمري (ص ١٤٤ ـ ١٤٥) .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

من جمعه ومنها قوله: (**ثمة ما يشبه الإجماع على أن أول جمع كامل للقرآن الكريم تم في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٦٣٢ - ٦٣٤م) وقد كتبت هذه النسخة الأولى في غضون عامين من وفاة النبي [صلى الله عليه وسلم] ووفقاً لما ذكره البخاري وما ورد في فتح الباري لابن حجر العسقلاني... ومع هذا فثمة قضايا مهمة أثيرت... فالبخاري يشير إلى أن عمر بن الخطاب هو أول من جمع القرآن... وهناك من يوفق بين هذه الروايات على أساس أن أبا بكر هو أول من جمع القرآن في صحف بينما عمر هو أول من ضمه في مجلد واحد (مصحف)... وفي الحقيقة فإن هناك روايات مختلفة من الخلفاء الراشدين الأربعة...**)(١) .

فالمستشرق هنا ذكر الإجماع على أول من جمع القرآن الكريم إلا أنه بعد ذلك لم يستطع الجمع وفهم الروايات في أول من جمع القرآن، وهذا يدل على ضحالة معرفته، وعدم معرفته وفهمه العربية، والاطلاع على الروايات الحديثية، والفهم عنها مباشرة.

وإلا فالجمع تم في عهد أبي بكر باقتراح من عمر، ثم جمع الناس على مصحف في عهد عثمان رضي الله عنه وسيكون لذلك مزيد من البسط في موضعه(٢) .

وبعض كتابات المستشرقين تستغل هذا المنهج العقلي والنقدي التاريخي من أجل القدح في الصحابة رضي الله عنهم بالتقليل من شأنهم تارة، أو التشكيك في فضائلهم ومناقبهم تارة أخرى أو حتى وجودهم في عالم الحقيقة والواقع.

فيقول المستشرق بودلي(٣) (**Bodley**) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

(**كان أبو بكر من الذين يثقون بعقولهم، ولو أن اسمه غير معروف خارج نطاق دارسي الإسلام**) (٤) .

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٦/ ٨١٧٠)، مادة: (القرآن الكريم).

(٢) للمزيد عن ذلك ينظر (ص ٤٣٢).

(٣) بودلي (Bodley) مستشرق إنجليزي، من آثاره: (الرسول حياة محمد)، انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي (٢/ ٩٥).

(٤) كتاب الرسول حياة محمد، تأليف: بودلي (ص ٦٨).

وهذه محاولة من هذا المستشرق في الغض من منزلة أبي بكر رضي الله عنه، وأنه شخصية غير مشهورة إلا عند المسلمين، ولم يستدل لذلك؛ وإنما هو من كيسه، وإلا فمن عَلِمَ عن الإسلام لا بد أن يعلم عن الرسول ﷺ، ومن علم عن الرسول فلا بد أن يعرف أقرب وأحب أصحابه إليه رضي الله عنه وأرضاه.

ويقول المستشرق ليفي دلافيدا (Levi Della Vida) عن عمر رضي الله عنه وأثر إسلامه في نصرة الإسلام والمسلمين: (**مع أن الروايات تذكر أن إسلامه قد أعز الإسلام قبل الهجرة إلا أن دوره غير واضح في ترتيب أمور الهجرة، ولم يتبلور دوره إلا في المدينة المنورة حيث غدا بمثابة مستشار**) [١].

وهذا القول يدل على جهله وعداوته لعمر رضي الله عنه، وقد يكون ذلك لإخراجه اليهود من جزيرة العرب، ربما؟!

وإلا فلو بحث بإنصاف لتبين له أثر ونفع إسلام عمر رضي الله عنه على الصحابة رضي الله عنهم والإسلام، لكنه الحقد يُعمي صاحبه عن إبصار الحق، ولو كان أمام عينه.

ويقول المستشرق دوزي[٢] (Dozy) عن عثمان رضي الله عنه: (**لم يكن في شخصية عثمان ما يبرر اختياره، ولا جدال في أنه كان غنياً... أما ذكاؤه الذي لم يكن قوياً فقد أوهنته الشيخوخة...**)[٣].

وهذا القول من الظلم والبهتان العظيم، وتشويه لشخصية عثمان رضي الله عنه وقدرته على تحمل أعباء الخلافة، واتهام الصحابة رضي الله عنهم وتجهيلهم في أنهم لم

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٧٤٩٩)، مادة: (عمر بن الخطاب).

(٢) دوزي (Reinhart Dozy) (١٨٢٥ – ١٨٨٣م) مستشرق هولندي، ولد في مدينة ليدن، من أسرة فرنسية، اشتهر خصوصاً بأبحاثه في تاريخ العرب في أسبانيا، من كتبه: تاريخ بني زيان في تلمسان، وتاريخ المسلمين. ينظر: موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، (ص ٢٥٩)، والمستشرقون، لنجيب العقيقي، (٢/ ٣٠٨).

(٣) كتاب تاريخ مسلمي أسبانيا، تأليف: دوزي (١/ ٣٨).

يولوا الكفء للخلافة، وهذه رافضية من هذا المستشرق وبُعد عن العدل والإنصاف، والبحث بتجرد مع الأمانة والموضوعية.

ويشكك المستشرق لامنس (Lammens) في منزلة الحسن والحسين رضي الله عنهما وفضائلهما، فيقول عن الحسن رضي الله عنه: (**تُظهره السيرة أثيراً عند جده بنوع خاص، وقد نشأت روايات كثيرة مشكوك فيها حول هذا الموضوع**)(١).

ويقول عن الحسين رضي الله عنه: (**وتصوِّر الروايات الحسين كما تصور أخاه الحسن غارقاً في فيض من جده لأمه**)(٢).

وهذا كله من التشكيك في الأحاديث الواردة في فضائلهما رضي الله عنهما ومناقبهما، والذي لم يبحثه ألبتة بإنصاف وعدل، ولكن نصرانيته وبغضه للإسلام والمسلمين منعاه من شهادة الحق لخير الخلق.

لعل فيما سبق الكفاية في تصور المنهج العقلي في كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم في تعاملهم ونقدهم للمصادر والروايات التاريخية، والتي يمكن القول بأن التشكيك من سماتها.

ولو ذهبنا نستقصي الأمثلة على ذلك لطال بنا المقال والمقام، وفيما سبق الكفاية.

المطلب الثاني: المنهج المادي في كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم

هناك اختلاف بين المادية، والمنهج المادي، فالمادية فلسفة قديمة، ظهرت في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد حيث أبدى بعض الفلاسفة مثل: طاليس(٣)، وهيراقليط(٤) من أن كل ما في الطبيعة متحرك، والأمر هنا يتعلق بمادية ذات نزعة آلية،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٠٠)، مادة: (الحسن بن علي بن أبي طالب)، وهذا النص غير موجود في موجز دائرة المعارف الإسلامية المطبوع.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٢٧)، مادة: (الحسين بن علي).

(٣) طاليس: فيلسوف رياضي يوناني، اشتهر باكتشافاته الهندسية، قال: إن الماء هو المبدأ الأساسي لكل شيء (ت ٥٤٨ ق. م). ينظر: كتاب الملل والنحر للشهرستاني (٢/ ٦٢).

(٤) هيراقليط، أو هيراقليطس، فيلسوف يوناني، قال: إن العالم واحد ومتعدد، وإن مادته الأولى هي النار (ت٥٨٠ ق. م). ينظر: المصدر السابق (٢/ ٧٨).

في مبدأ خلق الأشياء (العالم)(١) .

وهذه المادية تختلف عن المادية الماركسية ، فهي تعني: أن كل شيء يتغير ويجري ويتطور من حال لأخرى(٢) .

والذي يعنينا هنا في المنهج المادي هو مادية كارل ماركس(٣) ، وصاحبه (انجلز) (٤) صاحبا الفلسفة الاقتصادية ، والتي كان لها تفسير للتاريخ الإنساني أثر على الفكر الغربي الأوربي ، وقد ألغت فيه الاهتمام بالجوانب الروحية (الدين) والأخلاقية ، وفسرت التاريخ بالصراع بين طبقات المجتمع ، وركزت على الاقتصاد وأنه المحرك الرئيس والأساس للتاريخ(٥) .

وقد تأثر بعض المستشرقين بمادية ماركس ، في تفسيرهم لأحداث التاريخ

---

(١) ينظر: كتاب مناهج العلوم الاجتماعية ، (الكتاب الأول ـــ العلم والعلوم الاجتماعية) تأليف: مادلين غراويتز ، ترجمة: د. سام عمار ، (ص ٢٧) .

(٢) ينظر: مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الخليفة عمر بن الخطاب ، في دائرة المعارف الإسلامية (ص٢١٠) .

(٣) كارل ماركس (Karlmarx) (١٨١٨ ــ ١٨٨٣م) .ولد في بلدة (تريف) من أبوين يهوديين ، كانا قد اعتنقا (البروتستانتية) وجده (مردخاي) كان حاخاماً يهودياً مشهوراً . درس الفلسفة وأعجب بجدل (هجل) ولكنه أنكر إسرافه في التصورية ، فاعتنق المادية ، وزج بنفسه في العمل الاجتماعي السياسي عام (١٨٤١م ، فكان صحفياً ، وداعية للثورة ، حرر في (بروكسل) مع صديقه (فريدريك انجلز) بيان الشيوعيين ، وحاول أن ينظم الحزب الاشتراكي في ألمانيا ولكنه اضطر أن يلجأ إلى لندن عام (١٨٤٨م) حيث دوّن كتبه: (نقد الاقتصاد السياسي) ، و(نداء إلى الطبقات العاملة في أوربا) ، وكتابه الأشهر: (رأس المال) هلك في لندن عام (١٨٨٣م) ، ينظر: مقدمات في علم الاجتماع ، تأليف: جورج لاباساو ، ورينيه لورو ، وترجمة: غنيم عبدون (ص٨١) ، وكتاب تاريخ الفلسفة ، تأليف: يوسف كرم (ص ٣٨١ وما بعدها) .

(٤) إنلجز ، فريدريك (Engels) (١٨٢٠ ــ ١٨٩٥م) ، فيلسوف اجتماعي ، وصحفي ثوري ، ولد في بروسيا من ألمانيا ، في أسرة من الطبقة الوسطى ، وواسع المعرفة بعدة لغات أوربية ، اعتقل مراراً لنشاطه الصحفي ، التقى بكارل ماركس فكانت بينهم صداقة حميمة ، وكتب معه (البيان الشيوعي) الذي نسب إلى ماركس ، أصدر الجزء الثاني والثالث من كتاب (رأس المال) الذي ألفه ماركس ، وكان له نشاط في الدعوة إلى الثورة للشيوعية ، هلك عام ١٨٩٥م . ينظر: كتاب تاريخ الفلسفة (ص ٣٨١) .

(٥) ينظر: كتاب مقدمات في علم الاجتماع (ص ٨٤) ، وكتاب تاريخ الفلسفة ، (ص ٣٨٣) .

الإسلامي، وخاصة في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، وأن ما حصل بينهم بسبب الصراع بين الطبقات، أو من أجل المال والرئاسة، دون أن ينظروا إلى الجوانب الدينية والأخلاقية التي كانت سائدة في عصر الصحابة رضي الله عنهم، والتي قادتهم إلى الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام في أصقاع الأرض.

كما أنهم أقحموا تفسيراتهم المادية في صلات الصحابة رضي الله عنهم بعضهم ببعض.

وسأقتصر هنا على بعض الأمثلة في الأمور التالية:

١ - **إبعاد الجوانب الروحية والأخلاقية**: يقول المستشرق بليائيف (**Bellaev**) عن أسباب انتصار الصحابة رضي الله عنهم في الفتوحات الإسلامية: (ولايزال المؤرخون حتى يومنا هذا يبحثون في الأسباب والعلل التي مكنت العرب من إنجاز تلك الفتوحات بهذه السرعة الهائلة.

وفي نظرنا أن الانتصارات التي حققها العرب تعود في الأساس إلى الضعف الاقتصادي الذي منيت به بيزنطة، وفارس الساسانية، كما تعود بوجه خاص إلى التناقضات الاجتماعية التي زادت حدتها فجأة في الدولتين.

فقد بلغ ظلم السلطة في هاتين الدولتين واستغلالها للفئات العاملة حداً جعل الطبقات المظلومة تنظر إلى العرب كمنقذين لهم من نير الروم والفرس... وأدى اضمحلال الموارد المادية في الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية إلى ضعفهما عسكرياً، فأهمل أمر الدفاع والتحصينات في الأماكن التي كان لهم فيها حاميات، وقد يكون هذا سبباً آخر في انعدام المقاومة في وجه الفتوحات العربية)[١].

فالمستشرق بليائيف في دراسته لأسباب انتصار الصحابة رضي الله عنهم أو كما يسميهم (العرب) يحاول التركيز على الأسباب المادية، دون أن ينظر إلى أسباب أخرى ومنها نصر الله لعباده المؤمنين، وكونهم دعاة حق، مع ما يدعون إليه من دين يوافق

(١) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٨٢).

العقول والفطر السليمة .

وما ذهب إليه بليائيف من أسباب مادية ، هو ما أملته عليه ماديته الماركسية ، وأخذه بها فكراً ومنهجاً في سائر كتاباته .

وهناك غيره من المستشرقين من الآخذين بالمنهج المادي في تفسيراتهم للتاريخ الإسلامي ، وفي الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم ، مثل المستشرق جوستاف[١] لوبون (**Lebon**) الذي يقول عن أسباب نجاح الفتح الإسلامي ، وسقوط مملكتي الروم وفارس:

(كانت دولة الروم التي نهكتها محارباتها لدولة الفرس والتي كانت تعاني عوامل الانحلال الكثيرة في دور الانحطاط ، فلم تكن غير هيكل نَخِرٍ يكفي لتداعيه أقل صدمة ، وكانت علائم الانقراض بادية ؛ كذلك على دولة الفرس التي أوهنتها تلك الحروب أيضاً .

وأثقل الحكم الروماني كاهل مصر وإفريقية ، وكانت القسطنطينية تستغل شوبهما[٢] من غير أن تحسن سياستها ، وكانت الاختلافات الدينية ومظالم الحكام تقوض دعائمها)[٣] .

فلم يذكر هذا المستشرق الأسباب الحقيقية التي كانت وراء سقوط مملكتي الروم وفارس وانتصار المسلمين عليهما ، وهذا التفسير المادي فيه قصور في التفكير .

٢ - **الصراع بين الطبقات**: يقول المستشرق بليائيف (**Bellaev**) عن سبب إسلام الأنصار وقبولهم دعوة الرسول ﷺ:

---

(١) جوستاف لوبون (G. Lebon) طبيب ومؤرخ ومستشرق فرنسي ، عُني بدراسة الحضارات الشرقية ، من كتبه: حضارة العرب ، والحضارة المصرية ، وحضارة العرب في الأندلس . ينظر كتاب: قالواعن الإسلام ، تأليف الدكتور: عماد الدين خليل (ص ٨٦) .

(٢) شوبهما: خلطهما . ينظر: كتاب مختار الصحاح (ص ١٩٨) مادة: (ش و ب) ، وكتاب المصباح المنير (ص ١٧٠) ، مادة: (ش وب) .

(٣) كتاب حضارة العرب ، لجوستاف لوبون (ص ١٦٩) .

(وكان عرب المدينة (الأوس والخزرج) يعادون قريشاً بسبب المرابين الذين بلغ استغلالهم المقترضين الموجودين في المدينة . فكان من الطبيعي أيضاً أن يقبل عرب المدينة دعوة محمد الذي كان أيضاً يعادي وجهاء قريش وأعيانها كما كانوا هم أنفسهم يعادونهم ...)(١) .

فالمستشرق يرى بأن هناك صراع قائم بين أهل المدينة (الأنصار) وتجار مكة ، بسبب الربا الذي كان موجوداً في تعاملهم ، مما بعث حنق وكراهية أهل المدينة لهؤلاء التجار الجشعين ، فرأوا في قبولهم للإسلام تحقيق رغبتهم في الانتقام من تجار مكة .

وقوله هذا لا دليل عليه . وهذا الذي قاله من تفسيرات الماركسية المادية التي تفسر العلاقات والتاريخ على أساس من الصراع بين الطبقات ، حتى ينفي الأقوى الأضعف .

والمستشرق بليائيف هو ماركسي فلا غرابة بعد ذلك أن نجده يفسر التاريخ الإسلامي وسير الصحابة رضي الله عنهم بأفكار مادية ماركسية .

وهناك من المستشرقين من لم يكن من الماركسيين إلا أن منهجه وفكره في تفسيره لبعض الأحداث التاريخية التي جرت للصحابة رضي الله عنهم هي على منوال المادية الماركسية .

يقول المستشرق بروكلمان (**Brockelmaan**) عن موقف الأنصار من المهاجرين بعد وفاة الرسول ﷺ: (كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرر من سلطة الأغلبية المتمثلة في المهاجرين ، ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين كَرَّة أخرى)(٢) .

وهذا مثل قوله في موضع آخر: (لم يكن أصحاب النبي من المهاجرين هم وحدهم أصحاب النفوذ في الدولة ، بل شاركهم في ذلك نفرٌ من إخوانهم القرشيين ، الذين لم يسلموا إلا بعد أن أسلم الناس ، وبعد أن تحقق لهم أن النصر مكتوب للمسلمين بلا خلاف . وكان الأنصار ينقمون على القرشيين هذا النفوذ . . . ولكن المصالح المشتركة التي كانت تحمل الأوس والخزرج على الاتحاد في وجه المكيين لم تكن قد قضت بعد على

---

(١) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ٤٩) .

(٢) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية ، تأليف: كارل بروكلمان (ص ٨٣) .

ما بينهما من عداء قديم)[١] .

فالمستشرق يرى بأن هناك صراع بين المهاجرين والأنصار، بين أقلية وأكثرية، بين أهل أرض ولاجئين، وبين طبقة يزيد نفوذها مع وجود عداء تاريخي قديم، لم يخبرنا به إلا هذا المستشرق .

وبهذا يتبين مقدار تأثر هذا المستشرق بالمنهج المادي في كتابته عن الصحابة رضي الله عنهم .

٣ - المال محرك للتاريخ: يقول المستشرق دوزي (**Dozy**) عن صلة الصحابة رضي الله عنهم وهم: علي، والزبير، وطلحة، وعثمان بعد توليه الخلافة ووجود بعض الثوار المناوئين له:(أما منافسو عثمان القدامى وهم: علي، والزبير، وطلحة، فقد أجمعوا أمرهم على ألا يتهاونوا في ترك الأمور تجاوز الحد الذي وصلت إليه . ولما كان بعضهم قد احتجز أموال الفقراء حتى بلغت ثروته منزلة ترقى إلى الملايين فقد أخذ ينثر الذهب ذات اليمين وذات الشمال بغية إثارة الجميع، إلا أن توفيق هذا الفريق كان مجزوءاً، إذ ظل أغلب الجمهور مقيماً على الولاء للخليفة رغم شبوب بعض ثورات محلية هنا وهناك)[٢] .

فالمستشرق يرى بأن جمع المال من قبل بعض الصحابة رضي الله عنهم ويعني هنا طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه جعله يمنعه من الفقراء، حتى وصلت ثروته الملايين، ثم حاول أن يستميل بهذا المال بعض الناس من أجل الخروج على خلافة عثمان رضي الله عنه، وهذا قول عارٍ عن الصحة ولا دليل عليه .

على أية حال فالمستشرق حاول أن يفسر ما حصل لعثمان رضي الله عنه تفسيراً مادياً، وإن كان مخالفاً للحقيقة التاريخية .

ومثله قول المستشرق ليفي دلا فيدا (**Vida**) عن طلحة رضي الله عنه: (ولما توفي النبي بدا أن علاقته بالخليفتين الراشدين الأولين كانت أميل إلى الفتور، ويقال إنه تردد

(١) المصدر السابق (ص ١٠٦) .

(٢) كتاب تاريخ مسلمي إسبانيا (١/ ٤٢) .

مدة طويلة قبل أن يبايع أبا بكر وعمر من بعده، وقد حرص بدوره على أن لا يولِّ منصباً رفيعاً ذلك الصحابي القوي، فقد كان لدى هذين الخليفتين فيما يرجح أسباب تدعوهما إلى الخشية من أطماحه. ولم يمنعه ذلك من أن يجمع ثروة طائلة من الفتوح الإسلامية، إذ كانت له ضياع في جزيرة العرب، وفي العراق، وأملاك عينية. وتذكر الروايات أن كرمه كان يعادل ثروته. وقد بوأته هيبته ومركزه المالي أرفع مكانة في عهد عمر . . .)[١].

فقد جعل المستشرق الصحابة رضي الله عنهم وكأن بينهم صراع على الخلافة، ثم يركز الحديث على ثروة طلحة رضي الله عنه وأنها كانت طائلة، وقد بوأته مكانة في عهد عمر رضي الله عنه.

وهذه نظرة مادية، متأثرة بالمنهج المادي. وهناك أمور مردودة على المستشرق في أسطره السابقة، تجدها في موضعها من البحث وخاصة عند الحديث عن موقف المستشرقين من طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

والخلاصة: أن المنهج المادي في كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم واضحاً وله أمثلة كثيرة.

وإن كان بعض المستشرقين ليس من الماركسيين القائلين بالمادية التاريخية في تفسيراتهم للتاريخ والمجتمع، والاقتصاد، إلا أنهم متأثرون بالمنهج الفكري للمادية، وتفسيرهم بالمادية لكل الأحداث التاريخية من الخطأ، فليس كل حدث وراءه مادة، أو صراع طبقي، كما أن إبعادهم للجوانب الروحية والأخلاقية، وصم للحياة بالآلية والرتابة، وبُعدها عن تعاليم الدين وعبادة الله ونبل الأخلاق الكريمة.

المطلب الثالث: المنهج الاجتماعي التطوري

علم الاجتماع التطوري، هو فرع من فروع علم الاجتماع، وقد وجدت بدايات هذا العلم عند أوجست كونت (**Auguste Comte**) فقد ألف كتابه: (دروس في الفلسفة

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١٥/ ٢٥٤)، مادة: (طلحة بن عبيدالله)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٢/ ٦٩٠٠)، مادة: (طلحة بن عبيدالله).

الواقعية) قسَّم علم الاجتماع فيه إلى قسمين:

أحدهما: الاجتماع الساكن (**S.Statigue**) وهو يبحث عن الشروط الدائمة لوجود المجتمع، أي الأوضاع الملازمة له.

والقسم الآخر: الاجتماع المتحرك (**S.Dznamigue**) وهو يبحث عن قوانين نمو المجتمع أي تطور هذه الأوضاع.

والأخير يضم أربعة قوانين، وهي: التطور، والعقل، والعاطفة، والعمل.

والتطور يعني به: تطور الإنسان؛ لأنه من سائر الحيوان حاصل على قوى قادرة على التقدم المتصل(١).

وإن كان أوجست كونت قد تناول التطور بالدراسة في قسم علم الاجتماع المتحرك إلا أنه اكتفى بالتركيز على جانبين فقط من جوانب المجتمع المتطور، وهما: الجانب العقلي، والجانب الأخلاقي على الرغم من تطرقه للإنتاج المادي وتطوره أثناء حديثه عن الجانب الثاني.

وبهذا نخلص إلى أن أوجست كونت هو أول من وضع البذور الأولى لعلم الاجتماع التطوري(٢).

والرجل الثاني في القول بفلسفة التطور الاجتماعي هو: هربرت سبنسر(٣)

---

(١) أوجست كونت (Auguste Comte)(١٧٩٨ ــ ١٨٥٧م) فيلسوف فرنسي، ولد في مدينة (مونبلييه)، أتم دراسته الجامعية، وشغل وظيفة معيد في مدرسة الهندسة، ثم عين بعد ذلك سكرتيراً، وهو تلميذ الفيلسوف سان سيمون، الذي حلم بإقامة المدينة الفاضلة، أصيب كونت بمرض عقلي، وانهيار عصبي حاول معه الانتحار بإلقاء نفسه في نهر (السين)، وتم إنقاذه ليعيش ويؤلف كتبه: (الفلسفة الإيجابية)، و(السياسة الإيجابية)، و(دروس في الفلسفة الواقعية)، هذا ويعد (كونت) من أوائل المؤسسين لعلم الاجتماع الحديث، وفلسفته في الحياة، وفي المجتمع متأثرة بأفكار من سبقوه من فلاسفة القرن الثامن عشر بصفة خاصة، انظر: مقدمات في علم الاجتماع، جورج لاباساد، ورينيه لورو، ترجمة: هادي ربيع (ص٧٢)، وكتاب وقصة الفلسفة، لول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، (ص ٤٥٣).

(٢) ينظر: مناهج المستشرقين في كتاباتهم، عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، في دائرة المعارف الإسلامية، إعداد: محمد عامر مظاهري (ص ١٣١).

(٣) هربرت سبنسر (Hebert Spncer) (١٨٢٠ ــ ١٩٠٣م) فيلسوف إنجليزي، ولد في (دربي) وكان =

(Hebert Spncer)الفيلسوف الإنجليزي وقد شغل بمسألة التطور وذلك من قراءته لبعض الكتاب المشتغلين بعلم (طبقات الأرض) فألف كتابه (مبادئ علم النفس) عرض فيه نظرية التطور، كما عرضها في كتابه (المبادئ الأولى) حيث يقول عن التطور: (تنمو الشخصية، وتتطور كل أمة وشعب بنبوغها الخاص بها، تجمع وتباين، وتجمع الأجزاء في كل أكبر فأكبر، وتنوع الأجزاء إلى أشكال مختلفة أكثر، هذه هي أمثلة دورة التطور، كل شيء يمر من الانتشار إلى التجمع والوحدة، ومن بساطة التجانس إلى تعقيد التباين، يسير في مجرى التطور. وكل شيء يعود من التجمع إلى الانتشار، ومن التعقيد إلى البساطة، فهو يسير في تيار الانحلال)(١).

فالتطور عند سبنسر يمر بمراحل التكون، فالانتشار (التفرق) يعقبه التجمع أو الاجتماع، ومن البساطة إلى التعقيد، ومن التجانس إلى اللاتجانس.

ويُطبق سبنسر مبدأ التطور على المجتمع فيقول: (إن تطور المجتمع يسير على قانون التطور، فنمو الوحدة السياسية من الأسرة إلى الدولة إلى عصبة الأمم، ونمو الوحدة الاقتصادية من الصناعة المحلية الصغيرة إلى الاحتكار ونقابات الإنتاج، ونمو وحدة السكان من القرى إلى البلدان الصغيرة إلى المدن، كل هذا بالتأكيد يظهر لنا عملية التجمع والتكتل.

بينما نرى من جهة أخرى أن تقسيم العمل وتعدد المهن والصناعات والتجارة وزيادة اعتماد الاقتصاد على التبادل بين المدن والأرياف، وبين أمة وأخرى يوضح لنا التطور بشطريه من تجمع إلى تباين.

= والده مدرساً، ورفض عرض عمه بإدخاله جامعة (كمبردج) وتلقى تعليمه بدلاً من ذلك عن طريق القراءة، وخاصة في العلوم الطبيعية، وعمل لعدة شهوراً مدرساً، ثم مهندساً في السكك الحديدية. أثرت فيه معتقدات والده المنشقة عن الدين، وأوحت إليه بروح عدم الانتماء إلى أي دين، من كتبه: (المبادئ الأولى)، (مبادئ البيولوجيا)، و(مبادئ علم النفس)، و(مبادئ علم الاجتماع) و(مبادئ الأخلاق). ينظر: كتاب مقدمات في علم الاجماع (ص ٨٧)، وقصة الفلسفة (ص ٤٥٨)، وتاريخ الفلسفة (ص٣٣٨).

(١) كتاب قصة الفلسفة (ص ٤٧١).

إن مبدأ تجمع المتنافر ينطبق على كل جانب من جوانب المظاهر الاجتماعية، من الدين والحكومة إلى العلم والفن)[١].

وقد تأثر المستشرقون بهذا الفكر والمنهج وحاولوا تطبيقه في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، بل وعن تاريخ المسلمين.

كما أن صلة المستشرقين لم تتوقف عند استعمال المنهج الاجتماعي التطوري، بل أجروا كثيراً من أبحاثهم في علم الاجتماع المسمى (الأنثربولوجي)[٢] والذي يعتني بالدراسات السكانية الحياتية والاجتماعية، والتي (ساعدت الاستعماريين في تعزيز سيطرتهم على المجتمعات المسلمة وغير المسلمة.

فبينما حاول الاستشراق التشكيك في الإسلام مباشرة فإن الاجتماعية حاولت تدمير النظام الاجتماعي للمجتمعات الإسلامية واستبداله بأفكار علمانية غربية)[٣].

وهناك أمثلة كثيرة على أخذ المستشرقين بالمنهج الاجتماعي التطوري في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم أذكر بعضاً منها:

يقول المستشرق فلهوزن (**Wellhausen**) في تأليف الرسول ﷺ قلوب بعض رجال قريش بعد فتح مكة: (ذهب في سعيه إلى تألف القرشيين بإظهار رضاه عنهم بكل الوسائل إلى حد أن الأنصار خافوا أن يجعل (مكة) مقر الرياسة ويترك (يثرب) ولكن هذا الإشفاق لم يكن له ما يبرره، فبقيت (يثرب) عاصمة الحكومة، ولم ينتقل محمد إلى مكة، بل هاجر القرشيون الطامحون الذين أرادوا التقرب منه ومن الحكومة إلى المدينة... ولكن هذا لم يكن في مصلحة الأنصار، لأن المهاجرة صاروا يزدادون

---

(١) كتاب قصة الفلسفة (ص ٤٨٢).

(٢) الأنثربولوجيا (Anthropology): علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته، وهو ما يعرف بعلم الإنسان، ينظر: كتاب معجم علم الاجتماع، تأليف عبدالهادي الجوهري، (ص ٥٢).
ويقول الدكتور: مازن مطبقاني: (الأنثربولوجي هو علم الإنسان، والمسلمون أسبق في دراساتهم للإنسان حيث نزلت سورة في القرآن باسم (سورة الإنسان) بالإضافة إلى توجيه القرآن الكريم). ا.هـ. ينظر: كتاب: صراع مع الغرب، تأليف: آصف حسين، ترجمة الدكتور: مازن مطبقاني (ص ١٤٧) في الحاشية.

(٣) المصدر السابق لآصف حسين (ص ١٤٧).

باستمرار في.مدينتهم آتين لا من مكة فحسب بل من جميع أنحاء جزيرة العرب، وصارت للمدينة جاذبية كبيرة)(١).

والشاهد قوله: (ولكن هذا لم يكن في مصلحة الأنصار، لأن المهاجرة صاروا يزدادون باستمرار في مدينتهم آتين لا من مكة فحسب؛ بل من جميع جزيرة العرب، وصارت للمدينة جاذبية كبيرة).

فالمستشرق هنا متأثر بالمنهج الاجتماعي التطوري، الذي يرى أن التطور يكون من البساطة إلى التعقد، ومن التجانس إلى اللاتجانس، مع ما ينتجه التطور الاجتماعي من التقاء الأجناس الغير المتجانسة من الإبداع والتطور.

فالأنصار (الأوس والخزرج) قبل هجرة المهاجرين كانوا أكثرية، فلما هاجر إليهم الصحابة من مكة وغيرها خاصة بعد فتح مكة بل أصبحوا أقلية، وبدلاً من بساطة حياتهم في علاقاتهم ومعيشتهم أصبح هنا شيء من التعقيد... وكانوا من قبل جنس واحد هم: الأوس والخزرج، فأصبحوا قبائل شتى غير متجانسة.

وكانت أسواق المدينة وبيوتها قليلة على مستوى عدد سكانها الأصليين، إلا أنها تطورت بعد هجرة الصحابة رضي الله عنهم إليها، وبعد فتح مكة، ازدادت اتساعاً، وسكاناً، وبيوتاً، وأصبحت منطقة جذب للمسلمين لزيارتها والسكنى فيها.

وأما المستشرق بليائيف (Bellaev) فيقول عن المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين: (شكل المهاجرون والأنصار رابطة عرفت بجماعة المؤمنين (الأمة) التي كانت تتميز عن سائر الجماعات العربية بكونها جماعة تدين بدين واحد، وكان على رأس الأمة رجل يستمد سلطته من الله بواسطة الوحي.

هذه الجماعة كانت فوق كل نظام قبلي، أو عشائري قديم إذ كانت العضوية فيها مفتوحة لكل امرئ يقبل العقيدة الجديدة)(٢).

---

(١) كتاب تاريخ الدولة العربية لفلهوزن (ص ١٩).

(٢) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية، لبليائيف (ص ١٤٩).

فالتطور الاجتماعي في كتابة هذا المستشرق هي في إلقائه الضوء على التقاء جماعات غير متجانسة وارتباطهم بدين واحد، ورجل واحد... مما نتج عنه الإبداع في نوع النظام الذي يحكم حياتها، فقد كان أعظم من النظام القبلي، أو العشائري، إضافة إلى ميزة في هذا النظام أن العضوية مفتوحة ومتاحة لكل من أراد أن ينضم إلى هذه الجماعة، فما عليه إلا أن يقبل بعقيدة الإسلام.

ويقول المستشرق جوزيف بورلو[١] (Borlo) عن انتشار الإسلام:(واستطاع المؤمنون بدين محمد صلى الله عليه وسلم بصورة سريعة جداً فتح أنحاء الوطن العربي وتحريره وعلى أرض الحضارات القديمة هذه ازدهر الإسلام وانتشرت اللغة العربية)[٢].

فالتقاء الأجناس غير المتجانسة خلال الفتوحات الإسلامية من عرب وغيرهم والوصول إلى أرض الحضارات في الشام، ومصر، وفارس وغيرها أدى إلى ازدهار الإسلام بكثرة معتنقيه، وانتشرت اللغة العربية، فهنا تطور اجتماعي، من القلة إلى الكثرة، ومن اختلاف اللغة والدين إلى الوحدة فيها.

وعلى كل حال فقد أثر هذا المنهج في كتابات بعض المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم، وأصبح خلفية فكرية ومنهجية يبحث ويكتب ويفكر من خلالها، وإن كان في بعض تعليلاتهم نوع من التعسف والخطأ[٣].

المطلب الرابع: المنهج الانتقائي في كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم

المنهج الانتقائي هو منهج بحثي عملي يقوم به الباحثون في كتاباتهم ودراساتهم التي يجرونها.

---

(١) لم أقف له على ترجمة إلا أنه مستشرق فرنسي.

(٢) كتاب الحضارة الإسلامية، لجوزيف بورلو (ص ٩).

(٣) ينظر في الرد على سبنسر في نظرية التطور الاجتماعي، كتاب قصة الفلسفة (ص ٤٩٥).

فيقومون باختيار المصادر، والروايات، والآراء التي يؤسسون عليها كتابة موضوعاتهم ودراساتهم .

وبهذا فالمنهج الانتقائي منهج مخالف للمناهج التي سبق دراستها، والتي هي مناهج فكرية .

وقد أخذ المستشرقون بالمنهج الانتقائي في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، إلا أنه في بعض الأحيان بدون منهج علمي لهوى في النفس، وهو في المجالات التالية:

١ – انتقاء المصادر . ٢ – انتقاء الروايات .

٣ – انتقاء الآراء .

ولها أمثلة كثيرة يصعب حصرها؛ أذكر بعضاً منها:

١ – انتقاء المصادر: فالمستشرقون في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم قد انتقوا مصادرهم وأمثلة ذلك:

١ – كتب المستشرق مونتجمري وات **(Montgomery Watt)** عن أول من أسلم من الصحابة رضي الله عنهم فقال: (هناك إجماع على أن خديجة كانت الأولى التي آمنت بزوجها وبرسالته ولكن قامت مناقشة حامية حول الرجل المسلم الأول .

ولقد كان بين يدي الطبري عدد كبير من المصادر وهو يترك للقارئ أمر الاختيار بين ثلاثة أشخاص: علي، وأبو بكر، وزيد بن حارثة . . . وليس أبو بكر بأقل جدارة من علي . . . ويبدو دوره الكبير الذي قام به فيما بعد في الروايات الأولى . .)[1] .

فالمستشرق انتقى المصادر في الكتابة عن أول من أسلم من الصحابة رضي الله عنهم، فهو يشير إلى تاريخ الطبري .

ثم بيّن الأشخاص الذين قيل أنهم أول من أسلموا؛ إلا أن المستشرق لم يكن عنده معرفة بدراسة أسانيد الروايات التاريخية، وخاصة أسانيد روايات تاريخ الطبري، لذا قال: **(وهو يترك للقارئ أمر الاختيار)**.

(١) كتاب محمد في مكة (ص ١٤٤) .

وسنوفي ذلك حقه من الدراسة في موقف المستشرقين من أبي بكر رضي الله عنه .

٢ - كتب المستشرق بول (BUHL) عن سيرة أبي بكر رضي الله عنه فقال: (أبو بكر عبدالله ولقبه عتيق، وقد اختلفت الروايات في أصل هذا اللقب. أول الخلفاء الراشدين، ولم تذكر الروايات السبب الذي من أجله كُني بأبي بكر، وهي الكنية التي حرفها أعداؤه للسخرية به إلى فصيل)(١) .

فمن كلام هذا المستشرق يدل على أنه رجع لبعض الكتب التي ترجمت لأبي بكر رضي الله عنه، وخاصة كتب التاريخ، إلا أنه كتب عنها مختصراً .

على كل حال: هناك اختلاف بين العلماء في اسم أبي بكر، فعند ابن إسحاق(٢): اسمه عتيق، وعند ابن سعد(٣): عبدالله .

وأبو بكر لتبكيره إلى الإسلام، وذكر بأن البعض من أعداءه قد كناه بأبي فصيل(٤)، وسيكون لذلك مزيد بسط في موضعه .

٣ - يقول المستشرق بودلي (**Bodley**) عن مكانة أبي بكر رضي الله في الإسلام: (قال محمد في تاريخ متأخر عن السنين الأولى: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة(٥)، ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم(٦) حين ذكرته له، وما تردد فيه» . .

لقد كان صادق الإيمان فقبل تعاليم الإسلام وطبق أوامره تطبيقاً حرفياً، وقد قال

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣١١)، مادة: (أبو بكر) .

(٢) كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٦) .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٩٠) .

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٧) .

(٥) كبوة: الكبوة: الوقفة كوقفة العاثر، أو الوقفة عند الشيء يكرهه الإنسان، كتاب الفائق في غريب الحديث، للزمخشري (٣/ ١٣٨)، مادة: (كبا)، وكتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، (٤/ ١٢٧)، مادة: (كبا) .

(٦) ما عكم: أي ما تحبَّس وما انتظر. ولا عدل، المصدر السابق (٣/ ٢٥٨)، مادة: (عكم) .

عنه محمد: «لو وزن إيمان أبي بكر ووزن إيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر»[(١)] .

فالمستشرق بودلي انتقى هذين الحديثين من بعض المصادر، وهذا الإجراء صحيح .

فالحديث الأول: رواه ابن إسحاق في سيرته، من غير إسناد، ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٨)، والمحب الطبري في كتابه (الرياض النضرة في مناقب العشرة) (ص ٨٥)، عن ابن إسحاق صاحب السيرة .

والحديث الثاني: من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتابه: (فضائل الصحابة) (١/ ٥١١)، رقم (٦٥٣)، وقال محققه: إسناده ضعيف جداً، وفي كتاب السنة لأبي بكر الخلال، عن الإمام أحمد (٤/ ٤٤)، رقم (١١٣٤)، وقال محققه: إسناده ضعيف .

٢ - انتقاء الروايات: وهذه مهمة عظيمة القدر، وتدل على مقدار معرفة الباحث للروايات الصحيحة والضعيفة، وقد وقع كثير من المستشرقين في الروايات الضعيفة ونقلوها بتعمد، أو بجهل .

١ - فقد كتب المستشرق فلهوزن (**Well Hausen**) عن محاصرة عثمان رضي الله عنه في داره وقتله: (وخلّى أهل المدينة بين المصريين وبين ما أرادوا أن يفعلوا، ولم يتدخلوا لمنعهم . ولو أنهم أرادوا ذلك لما شق عليهم أن يقضوا على مئات قليلة من الثوار . فأهل المدينة بدأوا بإثارة العاصفة على الخليفة، وإنما تركوا إتمام الثورة إلى ثوار من غير أهل المدينة، بل هم خصوصاً بعض الأنصار، ساعدوا الثوار بالفعل)[(٢)] .

فالمستشرق هنا يسوق قوله على سياق خبر، وأن أهل المدينة خلوا بين الثوار وبين عثمان ليقتلوه، وهذا قول باطل وتحريف وتزييف للتاريخ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار لم يتخلوا عن عثمان رضي الله عنه، حتى الدقيقة الأخيرة من حياته، ولكن قدر الله نافذ، وأما بقية قوله بأن أهل المدينة أثاروا العاصفة،

(١) الرسول حياة محمد، لبودلي (ص ٦٨) .
(٢) تاريخ الدولة العربية (ص ٤٨) .

فهي في روايات غير صحيحة[١]، ولكن فلهوزن لم يخلص في البحث، وسيكون لهذا القول وغيره نقد في موقف المستشرقين من عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢ - يقول المستشرق فلهوزن أيضاً عن علي رضي الله عنه ومبايعته بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه: (كان في نظر كافة أهل المدينة خصوصاً الأنصار هو الخليفة الطبيعي لعثمان، وكان هوى المصريين معه أيضاً...)[٢].

وقد انتقى هذا القول أعني قوله (وكان هوى المصريين معه) من كتب التاريخ مثل الطبري، واليعقوبي[٣]، وهو بلا شك قول غير صحيح، وإسناد هذا الخبر إسناد تالف، فهو من رواية أبي مخنف، وهو شيعي، أخباري، متحيز، واليعقوبي أيضاً شيعي هواه مع الشيعة، والتقية التي هي الكذب من دينه.

وبهذا يتبين خطأ المستشرق فلهوزن في أخذه بهذا القول أو الخبر، الذي لا صحة له ألبتة.

٣ - ينسب المستشرق فلهوزن أيضاً إلى عائشة رضي الله عنها أنها كانت من المنادين بأخذ الثأر من علي رضي الله عنه فيقول: (ونادت إلى الأخذ بالثأر له من الخليفة الجديد، وقد التف حولها عدد من الهُرَّاب، الذين تساقطوا إلى مكة... وانضم إليها طلحة والزبير واستترا وراءها، وكانوا ثلاثتهم رؤساء وقواد الثورة على علي في جزيرة العرب)[٤].

انتقى فلهوزن هذا الخبر وسلَّم به وكأنه حقيقة صادقة دون النظر في رجاله. فهذا الخبر في سنده أبي مخنف ، فهو خبر ساقط لا يؤخذ به، ومع ذلك انتقاه فلهوزن وساقه في كتابه مع عدم صحته[٥].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٧٧).

(٢) كتاب الدولة العربية (ص ٥١).

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٧)، وتاريخ اليعقوبي (ص ١٢٣).

(٤) كتاب تاريخ الدولة العربية (ص ٥٢).

(٥) الطبري (٣/ ٤ ـ ٥٩).

وهذه الأمثلة في انتقاء الروايات التي ذكرت عند المستشرق فلهوزن لا تعني عدم وجودها عند غيره، ولكن لأن فلهوزن يتظاهر بالمنهجية، ويفرق بين المصادر صحيحها وضعيفها، والرواة نظرياً، وعند تطبيقه ذلك لم يفرق بينهما، ونقل الروايات الضعيفة وكأنها صحيحة، فأين الإنصاف؟

٣ - **انتقاء الآراء**: معرفة صحيح الآراء فن لا يتأتى للجهلة والحاقدين، وكتابات المستشرقين مليئة بنقل الآراء صحيحها وسقيمها، والأمثلة على ذلك:

١ - أورد المستشرق مونتجمري وات (**Montgomery. Watt**) قول المستشرق كايتاني عن سبب إسلام أهل المدينة من الأنصار فيقول:(ادعى (كايتاني) [١] أن سكان المدينة رضوا بمحمد ككاهن[٢] أعلى فقط؛ لأنهم بحاجة إلى الاستقرار الداخلي في

---

(١) كايتاني (Caetane) (١٨٦٩ ــ ١٩٣٥م). مستشرق إيطالي، ولد في روما في أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديثة، وتعلم في جامعة (روما) وحصل على الإجازة منها سنة ١٨٩١م، وكان مشغوفاً بمعرفة العالم الإسلامي منذ كان طالباً في الجامعة، فراح يتعلم العربية والفارسية، وقام منذ انتصار (موسوليني) وتوليه الحكم صار كيتاني من أعداء النظام (الفاشستي) الحاكم. فعاش في قلق على مصيره، وهاجر إلى (كندا) وحصل على الجنسية (الكندية) فعاقبته الحكومة (الإيطالية) بأن جردته من الجنسية، توفي في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥م في فنكوفر بكندا، من أهم مؤلفاته:

١ - حوليات الإسلام، وهو محل شهرته بين المستشرقين، وقد صدر الكتاب في عشر مجلدات، تتناول تاريخ الإسلام من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى نهاية خلافة علي رضي الله عنه.

٢ - معجم الأعلام العربية.

٣ - التاريخ الإسلامي.

٤ - نشر بالعربية (تجارب الأمم) لمسكويه، ينظر: كتاب موسوعة المستشرقين تأليف الدكتور: عبدالرحمن بدوي، (ص ٤٩٣ - ٤٩٦)، وكتاب حركة الاستشراق ،:يوهان، (ص ٣١١)، وكتاب طبقات المستشرقين، عبدالحميد حمدان (ص ٢٠٥).

(٢) الكاهن عندهم صاحب المكانة والقدر، والذي يمسك بالسلطتين الدينية والدنيوية، إلا أنه عندنا وصف الرسول ﷺ بالكاهن من أظهر البطلان، وشتان بين الصادق والكاذب، قال الله عز وجل: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩] يقول الطبري في تفسيرها: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فذكر يا محمد من أُرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم، ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ يقول: فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن عليه، ولا مجنون له رأي يخبر عنه قومه ما أخبره، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، ولكنه ينصرك). (٢١/٥٩١ ــ ٥٩٢).

المدينة ، وليس لأنهم يقبلون تعاليم القرآن بأكملها ، وبعضهم كانوا مسلمين حقاً)[١] .

فالمستشرق أورد قول كايتاني عن سبب إسلام أهل المدينة ، وهذا الانتقاء قد جانبه الصواب ، فأهل المدينة (الأنصار) رضي الله عنهم رضوا بالرسول ﷺ نبياً ، وبالإسلام ديناً ؛ ولكن المستشرق تناول ذلك من وجهة مادية وأنهم رضوا بالرسول ﷺ من أجل الاستقرار الداخلي . ولم يورد أدلة على قوله ، إلا الهوى المحض .

٢ – نقل المستشرق بليائيف (**Bellaev**) في كتابته عن مكانة عمر رضي الله عنه قول المستشرق شبرنغر[٢] فقال: (كان لأبي بكر وعمر أثر بين في نفس النبي حتى أن شبرنغر اعتبر عمر بن الخطاب مؤسس الإسلام بعد النبي)[٣] .

فالمستشرق هنا انتقى رأي المستشرق شبرنغر وساقه في بيان مكانة عمر رضي الله عنه .

إلا أن عبارة شبرنغر: (... **عمر بن الخطاب مؤسس الإسلام بعد النبي**) مجانبة للصواب ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن مؤسساً بعد النبي ﷺ ، وإنما كان الخليفة الثاني بعد أبي بكر رضي الله عنه ، ولولا خلافة الصديق ما كانت خلافة عمر رضي الله عنه ، فإن الله عز وجل جمع الأمة على أبي بكر رضي الله عنه ، وكفاها شر الاختلاف والافتراق ، كما أن أبا بكر اشتد على أهل الردة وقضى عليهم في وقت وجيز ، وهو الذي عهد بالخلافة لعمر رضي الله عنه ، فكيف يقال بعد ذلك بأن عمر هو مؤسس الإسلام بعد النبيﷺ؟

---

(١) كتاب محمد في مكة ، لمونتجمري (ص ٢٣٤) .

(٢) شبرنغر (Sprenger) (١٨١٣ ــ ١٨٩٣) مستشرق نمساوي الأصل ، ثم تجنس بالجنسية الإنجليزية ، ولد في النمسا ، درس الطب واللغات الشرقية ، وحصل على درجة (الماجستير) في (اللاهوت) من جامعة (ليدن) بـ(هولندا) ، وعين في القسم الطبي لشركة الهند الشرقية في (كلكتا) في الهند ، وبعد سنة عين عميداً للكلية الإسلامية في (دلهي) . وأمضى سنوات أربع مترجماً من اللغة الفارسية إلى الإنجليزية ، من أهم كتبه: حياة محمد ، وكتاب الجغرافية القديمة للجزيرة العربية ، ومختارات من المؤلفين العرب ، وتاريخ محمود الغزنوي . هلك في يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٨٩٣م . ينظر: كتاب موسوعة المستشرقين (ص ٢٨ ــ ٣٢) ، وكتاب المستشرقون ، تأليف: نجيب العقيقي (٢/ ٢٧٧ ــ ٢٧٨) .

(٣) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٥٤) .

٣ - كتبت المستشرقة فاجليري (**L.Veccia**) عن فاطمة رضي الله عنها في دائرة المعارف الإسلامية، ونقلت رأيين لبعض المستشرقين، ثم عقبت على ذلك برأيها، فالمستشرق لامنس (**Lammens**) يقول عن فاطمة رضي الله عنها: (. . . وهي امرأة غير جذابة، ذات ذكاء متوسط، مهملة تماماً، لا يقدرها أبوها النبي [ﷺ] إلا قليلاً، ويعاملها زوجها (الإمام علي) معاملة سيئة).

ثم نقلت نقد المستشرق ماسنيون[(١)] للامنس حيث قال: (. . . إنه راح يجتزئ الوقائع والأحداث التاريخية، دون أن يجمع كل الحقائق ويصفها في سياق كامل واحد يكون قادراً على تقديم صورة صادقة وحية . . .)[(٢)].

ثم عقبت المستشرقة فاجليري على القولين بالبحث ونقل أحاديث فضائل فاطمة رضي الله عنها، ثم قالت: (وكيف يُهمل محمد ابنته فاطمة مع ما عُرف من تعلقها الشديد به وحبها له . . . أما قول (لامنس) أن علياً كان يعامل فاطمة بخشونة وقسوة فالوقائع التاريخية تشير إلى تقدير علي لفاطمة، وإن كان الأمر لا يخلو من خلافات زوجية سرعان ما تسوّى)[(٣)].

فالمستشرقة فاجليري جمعت آراء المستشرقين، ثم عقبت على ذلك بإيراد الأحاديث في فضائل فاطمة رضي الله عنها، وحب النبي ﷺ لها، وأن التاريخ يشير إلى تقدير وحب علي رضي الله عنه لها.

وهذا بلا شك عمل إيجابي، فيه إنصاف من قبل المستشرقة مع عدم اقتصارها على أقوال المستشرقين، بل بحثت في المصادر الأخرى من كتب الحديث، والتاريخ والسير.

---

(١) ماسينيون (Louis Massignon) (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م). مستشرق فرنسي، ولد في إحدى ضواحي باريس، حصل على ليساني الآداب في ١٩٠٢، ودرس اللغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، وحصل في ١٩٠٦ على دبلوم في اللغة العربية الفصحى والعامية، ومن ثم بدأ حياته الاستشراقية، من كتبه: نشر كتاب الطواسين للحلاج، كتب بعض مواد دائرة المعارف الإسلامية، وغيرها. هلك في ٣١ أكتوبر ١٩٦٢م. ينظر: موسوعة المستشرقين، (ص ٥٢٩)، وطبقات المستشرقين (ص ١٩٠).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/٧٧٠٧، ٧٧٠٩) مادة: (فاطمة).

(٣) المصدر السابق (٢٥/٧٧٠٨).

وبهذا يتبين أن المستشرقين في أخذهم بمنهج الانتقاء في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم على نوعين: فمنهم من حاول الإنصاف، ومنهم من حاول تشويه تاريخ وسير الصحابة رضي الله عنهم، بالانتقاء من المصادر والروايات، والآراء التي تناسب غرضهم، وما تمليه عليهم معتقداتهم، وليس هذا في أخذهم بالمنهج الانتقائي فقط بل في جميع المناهج التي تقدم ذكرها.

نقل عن المستشرق جوستاف لوبون (**Lebon**) قوله:(الحق أن استقلال آرائنا وتجردها ظاهري أكثر من أن يكون واقعياً، وإننا لا نكون ألبتة أحراراً في تفكيرنا كما ينبغي حيال بعض الموضوعات، فلقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي)[١].

فمن يقول بعد ذلك في تبرئة المستشرقين، وأنهم كلهم أهل إنصاف وعدل، وحب للخير؟

---

(١) كتاب وجهة العالم الإسلامي، تأليف: مالك بن نبي، ترجمة: عبدالصبور شاهين (ص ٣٨).

المبحث الثاني

مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم وموقفهم منها

إن للمصادر والمراجع في البحوث العلمية أهمية عظيمة وذلك للاعتماد عليها كوثائق في بيان الآراء، ودراسة الظواهر، واتخاذ المواقف، كما أن المصادر تمثل مادة البناء للدراسات والبحوث العلمية وتؤدي دوراً مهماً وأثراً فاعلاً في النتائج والاستنباطات، ومعرفة المصادر والمراجع عامل مهم في النقد البنَّاء.

لذا حرص المستشرقون في كتاباتهم عن الإسلام وأهله على جمع مصادر المعرفة في كافة المجالات: الشرعية، والتاريخية، والأدبية، مع ما تبع ذلك من البحث عن مخطوطاتها، والقيام على تحقيقها، ثم طفقوا يُنقِّبون في مسائلها وأحداثها، وتكوين صورة عن العالم الإسلامي: ديناً، ومصدراً، ورجالاً، وشعوباً، وقبائل.

وكان ممن حفلت كتاباتهم بدراسته خير النَّاس بعد الرسول ﷺ، الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الأول: مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم

لما كان لمعرفة مصادر الإسلام أهمية عظيمة فإن أقواماً من «أهل الكتاب» انصرفت هممهم في وقت مبكر إلى التعرف على الإسلام.

ولا يتأتَّى ذلك إلا بمعرفة علم الآلة (اللغة العربية)؛ للوصول إلى منبع الإسلام (الكتاب والسُّنة).

وكانت البداية على يد (يوحنا الدمشقي)(١) الذي ألَّف كتاباً بعنوان (حياة محمد)، قدَّم فيه الدين الإسلامي على أنه فرقة «نصرانية» مارقة ظهرت في زمن هرقل.

كما ألَّف كتاباً آخر عنوانه (حوار بين مسيحي ومسلم) حتى يستخدم كمرشد

---

(١) يوحنا الدمشقي (نحو ٦٧٥ – ٧٤٩): ولد في دمشق، من آباء الكنيسة، ومعلميها، ألف في اللاهوت والفلسفة والخطاب والتاريخ والشعر والألحان الدينية، مهد بمؤلفاته لنشأة تعليم اللاهوت في أوربا. ينظر: المنجد في الأعلام (ص ٦٢٣).

للنصارى الشرقيين في جدلهم مع المسلمين الفاتحين[١] .

كما بدأ في القرن العاشر الميلادي تقريباً اهتمام النصارى باللغة العربية وخاصة في بلاد الأندلس ، حيث دخلوا المدارس العربية ، وأتقنوا «اللغة العربية» ؛ مما كان له أكبر الأثر على مؤلفاتهم ، ودراستهم لكثير من مصادر العلوم العربية والإسلامية[٢] .

وعلى سبيل المثال:

١ - المستشرق جربير دي أورلياك (**JERBRT DE ORALIAC**) فقد خرج هذا الراهب من «فرنسا» قاصداً «الأندلس» ودرس على أساتذتها في مدارس «ريبول» ، و«أشبيلية» ، و«قرطبة» حتى صار أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك .

ولما ارتحل إلى «روما» سما على أقرانه «حبراً» أعظم باسم «البابا سلفستر الثاني» (٩٩٩ - ١٠٠٣) فكان أول فرنسي يعتلي كرسي البابوية .

وأمر بإنشاء مدرستين للتدريس بالعربية في «روما» ، مقر البابوية ، والثانية في «رايمس»[٣] وطنه)[٤] .

٢ - الراهب (بطرس المكرم) (١٠٩٤ - ١١٥٦) **PIERRELE VENEREBIE** الذي قصد «الأندلس» عام (١١٤١ - ١١٤٣) فيمن قصدها مستزيداً من علومها ، ولما رجع إلى (ديره) نظَّمه وطفق يُصنِّف الكتب في الرد على علماء المسلمين ، كما أوعز بترجمة القرآن الكريم[٥] .

كما أننا نجد من الرهبان من تبحَّر في القرآن وحفظ صحيحي البخاري ، ومسلم ؛ من أمثال الراهب (رايموند مارتيني) (١٢٣٠ - ١٢٨٤) **R.MARTINI** .

---

(١) ينظر: كتاب الاستشراق ، الذرائع ، النشأة ، المحتوى ، للدكتور: السيد أحمد فرج (ص ٤٧) .

(٢) ينظر: المستشرقون ، لنجيب العقيقي (١/ ١١٠) .

(٣) رايمس REIMS ، مدينة في فرنسا . ينظر: المنجد في الأعلام (ص ٢٦٥) .

(٤) المستشرقون (١/ ١١٢) ، وموسوعة المستشرقين ، لعبدالرحمن بدوي (١٧٨) .

(٥) ينظر: المستشرقون (١/ ١١٢) ، وموسوعة المستشرقين (ص ١١٠) .

هذه المرحلة تسمى بطلائع المستشرقين ، والتي اهتمت بدراسة اللغة العربية ، ومن ثم الطعن في مصادر الدين الإسلامي(١) .

وتتسم هذه المرحلة بالعمل التطوعي الغير المنظم ، الذي يقوم به مجموعة من الرهبان النصارى .

ثم بدأت مرحلة أخرى أقوى بدأت بدعوة «روجر بيكون» (١٢١٤ – ١٢٩٢) **ROGER BACON** ، إلى تشجيع تدريس اللغات الشرقية ، وخاصة اللغة العربية في جامعات أوربا فتخرج عدد كبير من المستشرقين في دراسة اللغة العربية(٢) ، مما أدى إلى وصولهم ومعرفتهم بكثير من مصادر الدين الإسلامي ، وكذلك مصادر المعرفة الشرعية والتاريخية والأدبية عند المسلمين ونتج عن هذه المعرفة لهذه المصادر المهمة للإسلام والمسلمين القيام بإخراج هذه الكتب وتحقيقها وطباعتها(٣) ، وليس هنا محل بسطه . ولذلك كله توفر للمستشرقين عدد كبير من المصادر .

وفي محل بحثنا وهو مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم نجد أن المستشرقين قد استفادوا من هذه المصادر المختلفة والتي هي ما بين شرعية ، ولغوية ، وتاريخية . مع اختلافهم في التعامل مع هذه المصادر والاستفادة منها .

ولما كان المستشرقون تتنوع مدارسهم ، وتختلف مجالات تخصصاتهم ، كان من الصعوبة دراسة مصادر كل مستشرق على حده ، لخروجه عن الهدف والمنهج المحدد في هذا البحث .

---

(١) ينظر: المستشرقون (١/ ١١٨) ، وموسوعة المستشرقين (ص ٣٠٩) .

(٢) ينظر: المستشرقون (١/ ١٢٠) .

(٣) ينظر: كتاب المستشرقون ، لعقيقي ، وموسوعة المستشرقين ، لبدوي ، ففيها الكثير من كتب التاريخ واللغة وغيرها قام على تحقيقها طوائف من المستشرقين على اختلاف مدارسهم وبلدانهم ، وقد استخرجت عدداً كبيراً من خلال إحالاتهم إليها في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم على سبيل التمثيل: تاريخ الطبري ، طبعة ديه غوي ، السيرة لابن هشام ، طبعة فستنفلد ، الأخبار الطوال ، للدنيوري طبعة جرجاس ، تاريخ اليعقوبي ، طبعة هوتسما ، طبقات ابن سعد ، طبعة سخاو ، مغازي الواقدي ، طبعة فلهوزن ، تاريخ ابن كثير ، طبعة تورنبرج ، سيرة ابن إسحاق ، فستنفلد . . .

كما أنه بالنظر إلى كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم نجد شُحّاً في كلامهم عن المصادر التي اعتمدوا عليها، وسبب هذا الاعتماد.

لذلك سأورد كلام بعض المستشرقين على مصادرهم التي اعتمدوها في كتابتهم عن الرسول ﷺ، وهذا لقرب النسبة والصلة الوثيقة بين ما يؤلف عن الرسول ﷺ، وما يؤلف عن الصحابة رضي الله عنهم.

فيقول المستشرق مونتجمري وات (**MONTGOMERY WATT**) تحت عنوان: (كلمة حول المصادر): (المصادر الرئيسة لحياة محمد هي أولاً: القرآن، أو مجموعة السور التي أوحى الله بها إليه (كما كان يعتقد).

ثم المؤلفات التاريخية لكُتّاب القرن الثالث والرابع الهجريين. ومن بين مؤلفات النوع الثاني:

١ – سيرة ابن هشام. ٢ – تاريخ الطبري.

٣ – المغازي للواقدي.

٤ – طبقات ابن سعد وكان كاتب الواقدي ويجب أن نشير أيضاً إلى كتب الحديث كـ «صحيح البخاري»، و«مسند أحمد بن حنبل» فهما يحتويان على كثير من المواد المهمة بالنسبة للمؤرخ، وإن كان هدف الجامعين تشريعيّاً.

وتحتوي آخر الكتب عن سير صحابة محمد – أسد الغابة لابن الأثير (مات ١٢٣٤م/ ٦٣١هـ)، والإصابة، لابن حجر (مات ١٤٤٧م/ ٨٥١هـ)، على معطيات متممة وهناك كُتّاب سيرة مسلمون متأخرون، ولكن لا يبدو أن أحدهم استعمل مصادر جديدة مهمة غير المصادر التي استعملها الكُتّاب المذكورون آنفاً.

وتعتمد هذه المصادر على مصادر مكتوبة أقدم منها إذ أن سيرة ابن هشام في الحقيقة ليست سوى تكرار لسيرة ابن إسحاق (مات ٧٦٨م/ ١٥١هـ).

أما سير الأشخاص الذين عرفوا محمداً والتي جمعها ابن الأثير وابن حجر فهي أوسع وتذكر عدة وقائع لا نجدها عند ابن سعد.

ولقد كتب العلماء الغربيون كثيراً لنقد هذه المصادر، ولاسيما الأحاديث، وتوثق ملاحظات السير «وليم موير» في كتابه عن «حياة محمد» مدخلاً مفيداً.

أما أوسع الدراسات فهي دراسة كاتياني في كتابه «حوليات الإسلام»)(١).

وهذا القول من مونتجمري وات يدل على خلل في منهجية البحث وإلا فكيف يؤخر كتب الحديث في الذكر مع أهميتها، وأيضاً يقدم الطبري على الواقدي مع العلم بأن الواقدي متقدم على الطبري، وفي الأخير فإن المستشرقين لا يستغني بعضهم عن بعض، فلذلك تجد وصف بعضهم بالعبارات الفخمة مع شيء من الغرور والعجب؟! مثل قول مونتجمري وات: (كتب العلماء الغربيون كثيراً . . .)، و(تؤلف ملاحظات السير وليم . . مدخلاً مفيداً)، و(أوسع الدراسات فهي دراسة كاتياني).

فما كتبه المسلمون الأوائل والمتأخرون أقل مما كتبه هؤلاء المستشرقون بزعمهم!

ويقول المستشرق إميل درمنغم (**DERMENGHEM**) في مقدمة كتابه: (حياة محمد) عن أهم المصادر: (وأهم المصادر لتبيان حياة محمد هو: القرآن، وكتب الحديث والسيرة. والقرآن أصحُّ هذه المصادر وإن كان أوجزها، وكتب الحديث لا تخلو من ميل وشبهة، ولا ريب في أن كثيراً من الأحاديث التي هي أساس تناجز المذاهب الإسلامية موضوعٌ، وقد اقتُطِفت أقوال من التوراة، والإنجيل وأسندت إلى محمد، وقد عزي إليه ما يُدحضُ به بعض المذاهب النصرانية، وقد نُسب إليه ما يشك فيه من المعجزات، وهو الذي لم يقل إنه جاء بها . . . وفي كتب السِّير ومنها ابن هشام (المقتبسة من ابن إسحاق والتي هي أهمها في نظري).

وفي مؤلفات الواقدي وابن سعد والحلبي، وأبي الفداء والطبري والمسعودي إلخ، ما في الأحاديث من الضعف، وفيها شيء من الصحة مع ذلك)(٢).

وهذا القول من هذا المستشرق يدل على معرفة بالمصادر التي يمكن الاعتماد عليها في الكتابة، إلا أنه اعتمد في كتابته فيما سبق على منهج شكي كما في كلامه على

(١) كتاب: محمد في مكة (ص ٧ - ٩).
(٢) (ص هـ و).

كتب الحديث، دون أن يورد الأدلة على قوله.

وقد قمت بتتبع واستقراء ما كتبه المستشرقون في كتبهم عن الصحابة رضي الله عنهم ومن أهمها: دائرة المعارف الإسلامية، وكتابات جولدتسيهر، وفلهوزن، ومونتجمري وات وغيرهم وذلك لمعرفة مصادرهم التي اعتمدوا عليها في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم. وبالنظر إليها جعلتُها في قسمين:

١ - مصادر عامة.

٢ - ومصادر معتمدة.

أولاً: المصادر العامة: وقد جعلتها تحت الفنون المختصة بها مع الترتيب ومحاولة الاستيعاب لأكثرها، وهي:

١ - «**القرآن الكريم وعلومه**»: ومن أهمها:

القرآن الكريم، ترجمة القرآن، لمحمد علي الأحمدي (قادياني)، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وتفسير الزمخشري (الكشاف)، وتفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وتفسير الفاتحة، ومشكل القرآن لمحمد عبده، وقصص الأنبياء، المسمى: (عرائس المجالس)، لأحمد بن علي الثعلبي، و(المصاحف)، لأبي بكر عبدالله بن أبي داود.

٢ - «**السنة وعلومها**»، ومن أهم كتبها: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، وتهذيب التهذيب، لابن حجر، وخلاصة التهذيب، للخزرجي، وذخائر المواريث، لعبدالغني النابلسي، وسنن ابن ماجه، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن الدارمي، وسنن النسائي، وشرح النووي على صحيح مسلم، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكنز العمال للمتقي الهندي، ومستدرك الحاكم، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الطيالسي، وموطأ الإمام مالك، الزهد والرقائق لابن المبارك، والاستيعاب، لابن عبدالبر، وأُسد الغابة، لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، وتجريد أسماء الصحابة، للذهبي، والرياض النضرة في مناقب

العشرة، للمحب الطبري، ومعجم الصحابة، لابن قانع.

٣ - «**كتب السيرة**» ومن أهمها: أعلام النبوة، للماوردي، وجوامع السيرة، لابن حزم، والخصائص الكبرى، للسيوطي، وخلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، للسمهودي، ودلائل النبوة، للبيهقي، والروض الأنف، للسهيلي، والزهر الباسم في سيرة أبي القاسم، للحافظ مغلطاي، والسيرة، لمحمد بن إسحاق، والسيرة الحلبية، لعلي بن برهان الدين الحلبي، والسيرة للكازروني المسمى «شفاء الأسقام في سيرة غوث الأنام»، وشمائل الرسول، لابن كثير، والطبقات الكبرى، لابن سعد، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس، والفصول المهمة في معرفة أصول الأئمة، لعلي ابن محمد بن الصباغ المالكي، والمغازي، لمحمد بن عمر الواقدي، وأبو الشهداء الحسين بن علي، للعقاد، والمواهب اللدنية، للقسطلاني.

٤ - «**العقائد والأديان**» ومن أهمها: أصول الدين، لعبدالقاهر البغدادي، والإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة[1]، وبحار الأنوار، للمجلسي، والخصال، لابن بابويه القمي، ودلائل الإمامة، لابن رستم الطبري، ورسائل الجاحظ، لأبي عمرو الجاحظ، وشهيد كربلاء، لفهمي عويس، والصواعق المحرقة، للهيتمي، وعيون المعجزات، لحسين بن عبدالوهاب، والفَرْق بين الفِرَق، لعبدالقاهر البغدادي، والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، والكافي لعكليني، وكليات مفاتيح الجنان، للكومي، ومقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الشعري، ومقتل الحسين – عليه السلام –

---

(١) كتاب "الإمامة والسياسة" كتاب مكذوب على "ابن قتيبة"، وعلى الرغم من ذلك فهو مصدر مهم عند كثير من المؤرخين المعاصرين، وقد حوى مغالطات كثيرة، ولذا شكك "ابن العربي" في كتابه "العواصم من القواصم" في نسبته لابن قتيبة، ولم يعرض لهذه المسألة بعد ذلك أحد من مؤلفي العرب والمسلمين، ولكن المستشرقين أولوا هذا الأمر شيئاً من العناية. وأول من أثار ذلك منهم (ب. دي جانيجوس P.DEGYANGOS) وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب. وأكد هذا الشك الدكتر (دوزي R.DOZY) في كتابه المعروف "أبحاث في التاريخ السياسي والأوربي لأسبانيا في العصور الوسطى"، للمزيد حول ذلك ينظر إلى كتاب "ابن قتيبة العالم الناقد الأديب" د. عبدالحميد سند الجندي (ص ١٧٠ – ١٧٥)، وكتب حذر منها العلماء، لمشهور حسن آل سلمان (٢/ ٢٩٨ – ٣٠١).

، أو حديث كربلاء، لعبدالرزاق الموسوي، والملل والنحل، للشهرستاني، ومناقب آل أبي طالب، لابن شهر حوشب، والوافي، للقاشاني.

٥ - «**الفقـــه**» ومن كتبه: الأحكام السلطانية، للماوردي، والخراج، للقاضي أبي يوسف، وفتح القريب، لابن قاسم الغزي، والمختصر، لأحمد بن محمد القدوري.

٦ - «**اللغة والأدب**» ومن أهم كتبها: الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، والأمالي، لأبي علي القالي، والبيان والتبيين، للجاحظ، وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي، وحياة الحيوان، للدميري، والحيوان، للجاحظ، وخزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، لعبدالقادر البغدادي، وديوان الحماسة، لأبي تمام، وديوان الخنساء، وديوان قيس عبدالله بن الرقيَّات، وريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا، لأحمد بن عمر الخفاجي، وسمط اللآلئ، للبكري، وشرح الحماسة، للتبريزي، وشرح قصيدة ابن عبدون، لابن زيدون، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، وصبح الأعشى، للقلقشندي، وطبقات الشعراء، للجمحي، والعقد الفريد، لابن عبدربه، وعيون الأخبار، لابن قُتيبة، والكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد بن المبرد، والمحاسن والمساوئ، لإبراهيم بن محمد البيهقي، والمختار من نوادر الأخبار، لشمس الدين المقري، والمستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، والموشح، للمرزباني، ونهاية الأرب، للنويري.

٧ - «**التاريخ والتراجم**» ومن أهمها: حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، والأصنام، للكلبي، والأعراب بالحروب في صدر الإسلام، للبياسي، وأنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى البلاذري، والبدء والتاريخ، للمقدسي، والبداية والنهاية، لابن كثير، والبلدان، لليعقوبي، وتاريخ الإسلام، للذهبي، وتاريخ الأمم والملوك، للطبري، تاريخ الخلفاء، للسيوطي، وتاريخ الخميس، للبكري، وتاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب، وتاريخ أهل الصفة، لأبي عبدالرحمن السلمي، وتاريخ بخارى، لمحمد بن جعفر النرشخي، وتاريخ دمشق، لابن عساكر، وتاريخ مختصر الدول، لأبي الفرج بن العبري، وتاريخ مكة، لمحمد بن إسحاق

بن العباس الفاكهي، وتاريخ مكة، لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي، وتجارب الأمم، لابن مسكويه، وتذكرة الحفاظ، للذهبي، والتنازع فيما بين بني أمية وبني هاشم، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، والتنبيه والإشراف، للمسعودي، وجامع التواريخ، تاريخ المغول، لرشيد الدين فضل الله الهمذاني، وجمهرة الأنساب، لابن حزم، وجمهرة النسب، لهشام الكلبي، ورحلة ابن بطوطة، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، وطبقات الحفاظ، للسيوطي، وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، والطبقات، لخليفة بن خياط العصفري، وظهور الخوارج، لمحمد كفافي، والعبر، لابن خلدون، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لأبي طالب القاسم الفاسي، وعقد الجمان، للعيني، والغزوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة، لابن حبيش، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لأحمد بن علي بن عنبة، والعيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤلف مجهول، والفتنة الكبرى، لطه حسين، وفتوح البلدان، للبلاذري، وفتوح الشام، لأبي إسماعيل بن عبدالله البصري، وفتوح مصر وأخبارها، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالحكم، والفخري، لابن الطقطقي، والكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن الأثير، والمحبر، لمحمد بن حبيب بن أمية، ومختصر فتوح البلدان، لأبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني، المعروف بابن الفقيه، ومرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي، ومروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، والمعارف لابن قُتيبة، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، ومقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، ومقدمة ابن خلدون، ومنشآت السلاطين، لأحمد فريد بك، والمنمق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب بن أمية، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف ابن تغري، ونسب قريش، للزبيري، ونفح الطيب، للمقري، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ووقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري.

٨ - «**مؤلفات المستشرقين**» ومن أهمها: الإسلام في الشرق والغرب، لأوغست موللر، والإمبراطورية العربية، لفلهوزن، وبقايا الوثنية العربية، لفلهوزن، وتاريخ الأديان، للكيرمونت، وتاريخ الخلفاء، لغوستاف فيل، وتاريخ الخليقة، لتيوفانيس،

وتاريخ العرب، لكلمنت هوار، وتاريخ مسلمي أسبانيا، لدوزي، وجيب السيار، لفوندمير، والحكام الثلاثة، لهنري لامنس، وحوليات الإسلام، ليون كيتاني، وحياة محمد وتعاليمه، لشبرنجر، وحياة محمد، للامنس، والخلافة، نشأتهاوصعودها وسقوطها، لموير، والخوارج، لبرنوف، ودائرة المعارف الإسلامية، لجمع من المستشرقين، ودار الإسلام، لميلر، ودراسات في الإسلام، لجولدتسيهر، والديانة المحمدية، لجولدتسيهر، وروضة الصفاء، لرخوانز، والزواج في أوائل الإسلام، المرشترن، صفة جزيرة العرب، لموللر، وصورة أدبية، لمارك، وعائشة حبيبة محمد، لنابيا أبوت، وفاطمة وبنات محمد، لهنري لامنس، وفتح مصر، لبتلر، والفتنة ضد علي، لدلاّفيدا، ومحاضرات في الإسلام، لجولدتسيهر، ومحمد، لجيرم، ومحمد في المدينة، لمونتجمري وات، ومحمد في مكة، لمونتجمري وات، ومحمد وظهور الإسلام، لمرجليوث، والمحمدية، لفنسنك، ومعجم في أحاديث محمد المبكرة، وهجرة محمد إلى المدينة، لفنسك.

ثانياً: المصادر المعتمدة: وهذه المصادر اعتمد عليها المستشرقون كثيراً في كتاباتهم، وقدموها على غيرها، بل إن بعضهم يقدم ما جاء في كتاب الأغاني وتاريخ المسعودي، وإن كان ضعيفاً على صحيح الكتاب والسنة، وهذا سرد لأهمها على حسب ما قرأت في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، وهي:

كتاب السيرة، لمحمد بن إسحاق، والسيرة النبوية، لابن هشام، والطبقات الكبرى، لابن سعد، وعيون الأثر، لابن سيد الناس، والمغازي، للواقدي، والخراج، لأبي يوسف، والأغاني، لأبي الفرج الصفهاني، والبيان والتبيين، للجاحظ، وحياة الحيوان، للدميري، والحيوان، للجاحظ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبدالقادر البغدادي، وريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، لأحمد بن عمر الخفاجي، وسمط اللآلئ، للبكري، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، والعقد الفريد، لابن عبدربه، وعيون الأخبار، لابن قُتيبة، والكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، والمختار من نوادر الأخبار، لشمس الدين المقري، والمستطرف في كل فن مستظرف،

للأبشيهي، والأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، وأنساب الأشراف، للبلاذري، والبدء والتاريخ، للمقدسي، وتاريخ الخميس، للبكري، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ مختصر الدول لأبي الفرج بن العبري، والتنبيه والإشراف، للمسعودي، والعيون والحدائق وأخبار الحقائق وتجارب الأمم، لابن مسكويه، وفتوح البلدان، للبلاذري، وفتوح مصر وأخبارها، لابن عبدالحكم، والكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن الأثير، والمحبر، لمحمد بن حبيب بن أمية، ومروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، والمعارف، لابن قتيبة، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، ومقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، والمنمق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب بن أمية، والنجوم الزاهرة في ملوك القاهرة، ليوسف بن تغري بردي، ونسب قريش، للزبيري، ونفح الطيب، للمقري، ووفيات الأعيان، لابن خلكان.

ومن مؤلفات المستشرقين التي رفعوها وجعلوها مثالاً وحكماً بين المؤلفات التي كتبت بالعربية:

الإمبراطورية العربية أو (كتاب تاريخ الدولة العربية)، لفلهوزن، وتاريخ الخلفاء، لغوستاف فيل، والحكام الثلاثة، لهنري لامنس، وحوليات الإسلام، لكتياني، وحياة محمد، وتعاليمه، لشبرنجر، والخلافة، نشأتها وصعودها، وسقوطها، لموير، ودائرة المعارف الإسلامية، لجمع من المستشرقين، ودراسات في الإسلام، لجولدتسيهر، والديانة المحمدية لجولدتسيهر، وفاطمة وبنات محمد، لهنري لامنس، ومحاضرات في الإسلام، لجولدتسيهر، ومحمد في المدينة، لمونتجمري وات، ومحمد في مكة، لمونتجمري وات، ومحمد وظهور الإسلام، لمرجليوث، والمحمدية، لفنسك، وهجرة محمد إلى المدينة.

المطلب الثاني: موقف المستشرقين من مصادرهم في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم

١ - **القرآن الكريم**: المصدر الأول من مصادر الإسلام، والمعجزة الخالدة، والنبع الروي والمحفوظ على مر الزمان من الزيادة والنقصان، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

وقد قابل المستشرقون القرآن الكريم بالتكذيب، وادعوا أنه مخترع وأن الرسول ﷺ قد أخذ أحكامه وأخباره وقصصه من الكتب المتقدمة (التوراة، والإنجيل)، كذلك

قال كفَّار قريش وغيرهم كما حكاه الله عنهم: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ ﴾ [الفرقان: ٥].

وهذه الدعاوى العريضة قائمة في سوق الكساد الفكري، لمن ضل سعيه في الحياة الدنيا، كما أنها موجودة في عقل كل من سلَّم زمام نفسه وتفكيره لأقوام لم يجعل الله لهم نوراً.

فالقرآن الكريم عندهم مخترع ومؤلَّف من كلام البشر، اخترعه الرسول ﷺ، أو أخذه من الكتاب المقدس، ومن بعض المعارف وقصص العرب وأساطيرهم، حيث يقول أحدهم وهو المستشرق جورج سيل (**GEORGE SALE**)(١) في مقدمة (ترجمته للقرآن):(إن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن، والمخترع الرئيسي له؛ فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن يسيرة)(٢).

ويقول رتشارد بل **BELLR**(٣) في كتابه (مقدمة القرآن): (إن الرسول قد استمد

---

(١) مستشرق إنجليزي اشتهر بترجمته للقرآن إلى الإنجليزية، توفي سنة ١٧٣٦م، والغريب أن عبدالرحمن بدوي يقول عنه في موسوعته: "وكان سيل منصفاً للإسلام، بريئاً – رغم تدينه المسيحي – من تعصب المبشرين المسيحيين وأحكامهم السابقة الزائفة، فلم ينكر نبوة محمد"؟! وهل من الإنصاف ما صرح به "سيل" من هدفه من ترجمة القرآن؟ وهو لتسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد الإسلام؛ لأنهم "وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وإني أثق بأن العناية الإلهية قد ادخرت لهم مجد إسقاطه".
هذا ولا تزال ترجمة "جورج سيل" تعتبر من أشهر وأهم الترجمات الاستشراقية للقرآن، وقد أعيد نشرها أكثر من ثلاثين مرة منذ ظهورها حتى الآن، وأثنى عليها كثير من المستشرقين والمنصرين. انظر: كتاب رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب (ص ٣٥ – ٣٦)، وموسوعة المستشرقين، لبدوي (ص ٣٥٨).

(٢) كتاب التبشير والاستشراق، أحقاد وحملات، للطهطاوي (ص ٥٤)، ورؤية إسلامية للاستشراق (ص٣٤).

(٣) من رجال الدين، وأستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرا، وقد صرف سنين كثيرة في دراسة القرآن وتاريخه، دراسة وافية، وأول كتبه عنه أكد فيه العلاقات المسيحية بالنبي، أما ترجمته القرآن فإنه لم يعر الناس تفسيره لها إلا قليلاً من اهتمامهم، فقد كان جل غرضه منها تحليل السور المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبي لها كما هي الحال في التواليف الغربية للأدب العالي. ومن مباحثه: الحديث عند المسلمين، وأسلوب القرآن، وأهل الأعراف، ومعلومات محمد عن العهد القديم. ينظر: كتاب المستشرقون (٢/ ٩٣ – ٩٤).

من الكتاب المقدس كثيراً مما جاء في القرآن وبخاصة القصص الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمها ويدعمها قد استمد من مصادر يهودية ومسيحية، وإن كان بعض قصص العقاب كقصص: عاد وثمود، مستمد من مصادر عربية.

وأنه لما هاجر إلى المدينة حصل على أوسع فرصة للاستمداد من الكتاب المقدس، فقد كان على اتصال بالجاليات التي كانت دون شك تضم ربانيين ومثقفين، وهناك دلائل على أنه انتفع بهذه الفرصة فحصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل)(١).

أما جولدتسيهر فإنه يرى أن القرآن أخذ الأصول من اليهودية والنصرانية فيقول: (فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها [يعني الرسول ﷺ] بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة.

وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون في الحياة يريدها الله.

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعد هذه التعاليم وحياً إلهياً)(٢).

ويقول المستشرق رودي بارت **RUDI PARET**(٣) في كتابه: (محمد والقرآن —

---

(١) ينظر: كتاب التبشير والاستشراق (ص ٥٤).

(٢) كتاب: الوجيز في علم الاستشراق، للدكتور: سعدون محمد الساموك (ص ٧٧).

(٣) هو مستشرق ألماني، ترجم القرآن إلى الألمانية، وإلى جانب هذا العمل الأساسي، كتب بارت رسائل صغيرة عن القرآن، نذكر منها رسالة بعنوان: "محمد والقرآن"، وهي عرض واضح قصد به جمهور الناس غير المسلمين لتفهيمهم حقيقة رسالة النبي محمد.
يواصل بدوي فيقول: (ولقد كان بارت قوي التعاطف مع الإسلام، ولهذا بذل مجهوداً كبيراً في تعريف الأوربيين بحقيقة الإسلام وبرسالة محمد، وذلك بإلقاء المحاضرات العامة، والأحاديث في الإذاعة. ومن هنا كانت علاقات المودة بينه وبين المسلمين في ألمانيا وخارجها، وخصوصاً في إيران، حتى أن الحوزة العلمية في "قم" إيران طبعت ترجمته للقرآن طبعة جديدة بالأوفست، وقامت السفارات الإيرانية في أوربا بإهداء نسخ منها إلى كبار الزائرين الأوربيين) أ.هـ، وقد توفي سنة ١٩٨٣م. ينظر: كتاب موسوعة المستشرقين (ص ٦٢).

تاريخ النبي العربي ودعوته) في فصل بعنوان: «التبشير المسيحي»:

(لقد كانت معلومات الناس في مكة - في عصر النبي - عن المسيحية محدودة وناقصة، ولم يكن المسيحيون العرب سائرين في معتقداتهم في الاتجاه الصحيح، ولهذا كان هناك مجال لظهور الآراء البدعية المنحرفة.

ولولا ذلك لما كان (محمد) على علم بأمثال تلك الآراء التي تنكر صلب المسيح وتذهب إلى نظرية (التثليث المسيحية) لا تعني الأب وروح القدس، وإنما تعني الله وعيسى ومريم.

وعلى أية حال فما المعارف التي استطاع محمد أن يجمعها عن حياة المسيح وأثره كانت قليلة ومحدودة.

وعلى العكس من ذلك كان محمد يعرف الشيء الكثير عن ميلاد عيسى، وعن أمه)[1].

ويشكك غوستاف لوبون (**LOBON**) من فصاحة القرآن، ويميل إلى أن القرآن أخذ من الديانتين السابقتين (اليهودية والنصرانية)، فيقول: (يعد العرب القرآن أفصح كتاب عرفه الإنسان، ومع ما في هذا من مبالغة شرقية، نعترف بأن في القرآن آيات موزونة رائعة لم يسبق إليها كتاب ديني آخر، وتقرب فكرة الكون الفلسفية في القرآن مما في الديانتين الساميتين اللتين ظهرتا قبل الإسلام أي اليهودية والنصرانية، وإنني أبدأ بما جاء في القرآن عن مصدره وعن قُرباهُ الوشيجة بالكتب المقدسة التي أتت قبله:

﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨]. ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢]. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦]. ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ

---

(١) كتاب: الإسلام في مرآة الفكر الغربي، للدكتور: محمد حمدي زقزوق (ص ٧٢ - ٧٣).

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١١ - ١٦])[١].

ويقول مونتجمري وات (MONTGOMERY WATT) في مقدمة كتابه: (محمد في مكة) عند كلامه على المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في الكتابة عن حياة الرسول ﷺ ودعوته في مكة: (القرآن هو المصدر الرئيسي لفهم الفترة المكية، ولا شك أن القرآن معاصر لتلك الفترة ولكنه متحيز ناهيك بصعوبة تحديد التسلسل الزمني لمختلف أجزائه وما يحوم حول كثير من النتائج من شك فهو لا يمدنا بأي شيء يمكن أن يكون لوحة كاملة لحياة (محمد) والمسلمين خلال الفترة المكية)[٢].

وهذه الدعاوى «شنشنة نعرفها من أخزم»[٣]، لا تقوم على دليل صحيح، فهي تخرصات، وفرضيات يعوزها البرهان الواضح.

ولعلي هنا أُجمل الرد لكون كثير من المؤلفات في الاستشراق والرسائل العلمية، قد توسعت بما لا يحتاج إلى مزيد من البسط في هذا الموضع: فالله تعالى قد تحدى بهذا القرآن من هو أفصح لساناً وأبلغ بياناً؛ العرب الذين كان لهم العناية العظيمة بقول الشعر ومعرفة شريفه ووضيعه... فتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مفتريات، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ

(١) كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور: عبدالقهار العاني (ص ٦٠ - ٦١).

(٢) (ص ١٣).

(٣) هذا مثل لفظه: شنشنةٌ أعرفُها من أخزَمْ قال ابن الكلبي: إن الشعر لأبي أخزم الطائي، وهو جدُّ أبي حاتم أو جَدُّ جَدِّه، وكان له ابن يقال له أخزم، وقيل: كان عاقاً، فمات وترك بنين فوثبوا على جَدِّهم أبي أخزم فادموهُ فقال:

إنَّ بنيَّ ضرّوني بالدمِ
شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزمِ

يعني أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق، والشنشنة: الطبيعة والعادة.

ينظر: مجمع الأمثال، للميداني (١/ ٣٦١) رقم (١٩٣٣).

صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [هود: ١٣ ، ١٤] .

وتحداهم أن يأتوا بسورة فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

ولما حاول مسيلمة الكذاب ، معارضة القرآن أصبح كلامه أُضحوكة للعالمين .

- إن أسلوب القرآن الكريم يخالف مخالفة تامة أسلوب «الأحاديث» التي تكلم بها الرسول ﷺ ، ولم ينسبها إلى الله تعالى ، حتى في «الأحاديث القدسية» لم يذكر أنها من القرآن لمخالفتها أسلوب القرآن .

- إنه ثبت بما لا شك فيه ولا مراء في صدقه ﷺ ، حيث عاش في قومه على هذه الحال أربعين سنة لم يأتِ فيها بهذا القرآن ؛ ومما لا يقبله العقل أن يدعِ بعد هذا السن شيئاً يحير به مجتمعه ، يكذب فيه على الله .

- إن النبي ﷺ تمرّ به مواقف تتطلب موقفاً محدداً وسريعاً ؛ ولكنه لا يستطيع البت فيها فينتظر نزول الوحي مثل: ما يطرحه اليهود وغيرهم من أسئلة يختبروه فيها ، وحادثة الإفك – الذي رمي فيه عرضه الشريف ﷺ - يستفتي في بعض الأحوال فيتوقف ، مثل ما حصل مع المجادِلة .

- في بعض آيات القرآن الكريم لوم ومعاتبة للرسول ﷺ في بعض المواقف مثل ما حدث له ﷺ مع ابن مكتوم الذي جاءه يسأله ليستفيد منه ، ولكنه ينصرف عنه طمعاً في إسلام بعض زعماء قريش ؛ فأنزل الله آيات تتلى وهي صدر سورة عبس: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [عبس: ١ ، ٢] . وتصرفه في أسرى «بدر» ونزول القرآن مخالفاً لرأيه ، ورأي أبي بكر الصديق ، وموافقاً لرأي عمر رضي الله عنه . ومثله ما حدث في زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، حيث أنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا

زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

- أن الرسول ﷺ «أمي» لا يقرأ ولا يكتب، فهل يعقل أن يأتي بمثل هذا القرآن فصاحة وبلاغة وتشريعاً تعجز البشرية جمعاء أن تأتي بمثله. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

- والقول بأن الرسول ﷺ قد أخذ القرآن من بعض العرب النصارى مثل ورقة ابن نوفل، أو من الكتاب المقدس، تخرص بالباطل من غير دليل، ولما رُمي الرسول ﷺ بأنه يُعلِّمه نجار نصراني كان يعمل في «مكة» رد الله عليهم: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: ١٠٣][1]. وأيضاً أين الكتاب في زمنه، لم يقل واحد منهم بأن ما جاء به منقول من كتبنا؛ وهم في زمنه بين من آمن به، وبين كافر مظاهر العداوة له، وأين اليهود وهم يساكنونه في المدينة لم يقل أحبارهم شيئاً من ذلك؟

- وأخيراً: دعواهم قائمة بغير دليل، فما هي إلا فرضيات في أذهانهم يريدون تطبيقها في الواقع، ومنهج لهم في التطور يريدون إنزاله في كتاباتهم، وإلا فقولهم بأن الرسول مخترع للقرآن، أو أخذه وصاغه من معارف العرب وقصصهم وأخبارهم؛ أو من اليهود أو من النصارى، أو أن القرآن متحيز إلى جانب الرسول ﷺ وأصحابه، دعوى من غير دليل، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر.

وبهذا يتبين موقف المستشرقين من القرآن الكريم، وأنهم يجعلونه مصدراً ثانويًا لايعتمد عليه بل يُتهم بالوضع والتحيز، والهوى.

وسيكون هناك وقفة مع المستشرقين وموقفهم من جمع «القرآن» في زمن الخلافة الراشدة، وموقفهم من ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمة وترجمان القرآن[2].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، عند تفسيره لهذه الآية، (١٤/ ٣٦٤ – ٣٧٠).

(٢) ينظر: الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، لزيد العيلان (ص ٣١٦ – ٣٥٣)، =

٢ – **السنة المطهرة**: وهي المصدر الثاني من مصادر الإسلام، والوحي الثاني، فكما أن القرآن كلام الله لفظاً ومعنى، فالسنة هي وحي أيضاً؛ معناه دون لفظه، قال الله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٤]. هذا وقد تعرضت كتب السنة لهجمات كثيرة من أعداء الإسلام في القديم والحديث، في القديم: الزنادقة، وفي الزمن الحاضر: المستشرقون وأذنابهم الذين رضعوا من لبانتهم؛ وتربوا تحت سمعهم وبصرهم وتلقَّفوا زبالات أفهامهم.

وهذه الافتراءات والمطاعن تمثلت في أمور من أهمها: الطعن في كتابة السنة، والطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم، الذين هم حملة الدين، والسنة، والطعن في كتب السنة المدونة ورجالها، من أمثال الإمام أحمد ابن حنبل، والبخاري رحمهما الله تعالى، وموقف المستشرقين من السنة موضوع طويل وقد سجل فيه رسائل علمية، وأُلِّفت حوله الكتب في الرد عليهم، لذلك سأقتصر على بعض المنقول من كتبهم، مما يبين بجلاء موقفهم من كتب السنة، ويجيب على سبب تهميشهم لدور كتب السنة كمصدر أصيل في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم.

فجولدتسيهر (GOLDZHER) يتهم في وضع الأحاديث جهات عدة، منها الصحابة رضي الله عنهم، أو قد يكون أحد أصحاب المذاهب المحدثة من الفقهاء، حيث يقول: (لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إمَّا قالها الرسول أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى، ولكن من ناحية أخرى فإنه من السهل تبيين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان والمنبع الأصلي، بأن يخترع أهل المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه)(١).

ويحاول جولدتسيهر (GOLDZHER) التشكيك في الحديث، وأنه إنما ألّف في

= [رسالة ماجستير]، وآراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، لعمر بن إبراهيم رضوان (١/ ١٦٥ – ١٨٢) [رسالة دكتوراه]، وكتاب الغارة على القرآن الكريم، للدكتور: عبدالراضي عبدالمحسن (ص ٣٩).

(١) كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسيهر (ص ٤٩).

زمن الدولة العباسية بزعمه ؛ فيقول: (أن تكوين الحديث في زمن نموه الهائل تحت الحكم العباسي لعب دوراً في توسع الأحاديث القولية التي نصرت المبادئ التي استند عليها العباسيون)[١] .

وفي موضع آخر يقول: (وقبل ذلك أحسَّ الأمويون بضرورة تحريض فقهاء بلاطهم على ابتكار مصلحة دينية لمواجهة ادعاءات العلويين . ولما كان من الصعب شتم «علي» وبنيه بأسلوب ديني لمكانتهم المبجلة في شعور أغلب طبقات الشعب إذ بسببهم خلق أريج الشهادة منذ فترة مبكرة جداً .

عند ذلك التجأوا إلى حيلة لشتم الجد الجاهلي باعتباره أنموذجاً لذريته فوضع على النبي قوله إن: «أبا طالب في الدرك الأسفل من النار ولعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»[٢] ويكفي لأن قوبل هذا بأحاديث مخترعة كثيرة وضعها الفقهاء العلويون لتمجيد أبي طالب)[٣] .

ويحاول المستشرق ديلاسي أوليري[٤] (O'LEARY, D.L) التشكيك في الأحاديث وأنها مخترعة حتى ما كان في فضل «قريش»: (وقد حدث هذا في العصر الأموي بإضافة عدد ضخم من الأحاديث المصطنعة التي تروي ما قال النبي وفعل في ظروف لم تخطر له أبداً .

وليس من الضروري عند وصف هذه الأحاديث بالصنعة أن ندعي أنها اخترعت اختراعاً ، ولو أن الكثير منها كان كذلك حتى يبدو من دافع واضع هو الزيادة في امتيازات الفئة الحاكمة وحقوقها أو تأكيد التفوق القبلي لقريش[٥]

---

(١) دراسات محمدية ، لجولدتسيهر (فصول مترجمة عن مجلة كلية الدعوة الإسلامية) ، ترجمة: الصديق بشير نصر ، ليبيا ، العدد (٨) (ص ٥٣٨) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري ، ح/ ٣٨٨٥ ، ومسلم ، ح/ ٣٦٠ .

(٣) المصدر السابق (ص ٥٣٧) .

(٤) لم أقف له على ترجمة .

(٥) هذا من فضل الله عز وجل ، حيث فضل بعض الرسل ، وبعض الأمم ، والقبائل ، وأما تفضيل قريش فقد جاء في الحديث عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل اصطفى =

وهلم جرا)[١].

ويقول المستشرق هنري[٢] ماسيه (**HENRI MASSE**) في كتابه «الإسلام»: (وقد أثبت غولدزيهر، وسنوك هورغرونج[٣] أن عدداً من الأحاديث كأنها انعكاس لآراء كانت مسيطرة في الإسلام منذ الأيام الأولى، وهذا ما يعطيها قيمة لا جدل فيها في (تاريخ التطور الإسلامي) فهناك أحاديث تهتم بقضايا سياسية، وتبدوا مؤاتية أو غير مؤاتية إما لأنصار عثمان، وإما للعلويين، الأمر الذي يشير إلى العصر الذي حدثت فيه)[٤].

= كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. أخرجه مسلم ح/ ١ ص ١٠٠٨. وسيكون لهذا مزيد بسط عند الكلام على المبحث الثاني من الفصل الثاني والذي هو بعنوان: (موقف المستشرقين مما ورد في شأن الصحابة رضي الله عنهم).

(١) كتاب: الفكر العربي ومكانه في التاريخ، لديلاسي (ص ٨٨).

(٢) هنري ماسيه (Henri Masse). مستشرق فرنسي، متخصص في الفارسية، عمل مديراً للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذاً في جامعة الجزائر، وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق، من كتبه: الإسلام، وبحث في الشاعر سعدي. هلك دهساً في حادث سير في ٩ نوفمبر عام ١٩٦٩م أمام منزله في باريس. ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٥٣٦)، وكتاب طبقات المستشرقين، الدكتور: عبدالحميد حمدان، (ص١٩١).

(٣) سنوك هرخونيه CHRISTIAAN SNOUCK HURGRONJE (٨/ ٢/ ١٨٥٧ - ٢٦/ ٦/ ١٩٣٦م)، مستشرق هولندي، وله مكانة ممتازة بين المستشرقين في ميدان الدراسات المتعلقة بالإسلام، وكان عالماً وسياسياً في آن معاً. وفي نوفمبر ١٨٧٩ حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها: (موسم الحج في مكة) وفيها بيَّن أهمية الحج في الإسلام وما يصاحبه من مراسم وعادات؛ وانتهى من هذه الدراسة إلى القول: بأن الحج الإسلامي هو بقية من بقايا الوثنية العربية! وكان في عام ١٨٨٤م قد قام برحلته المشهورة إلى الجزيرة العربية فأقام في 'جدة' من أغسطس ١٨٨٤ حتى فبراير ١٨٨٥م استعداداً لزيارة 'مكة' وهي الهدف الأساسي من رحلته. وقد وصل إلى 'مكة' في يوم ٢٢ فبراير ١٨٨٥م تحت ستار اسم مستعار هو: 'عبدالغفار'. وأقامبمكة طوال ستة أشهر، كانت ثمرتها كتابه الرئيسي عن: 'مكة'. لكنه طرد من مكة في شهر أغسطس، بناءً على دسائس مساعد القنصل الفرنسي في مكة. وكان قد عمل في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية في أندونيسيا، وقام بأبحاث عن اللغات في أندونيسيا، ولما تقاعد أستاذه دي خويه في ١٩٠٦م تولى مكانه في جامعة ليدن، وفي يناير ١٩٠٧م عين مستشاراً للحكومة الهولندية في الشؤون العربية والداخلية، ومن مؤلفاته بالإضافة إلى كتابه عن 'مكة' كتاب: 'بلاد الجابو وسكانها'، و'محاضرات عن الإسلام'، وقد توفي سنوك خرونيه في 'ليدن' في ٢٦ يونيو ١٩٣٦م. ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٣٥٣).

(٤) (ص ١٢٠).

ويرد هنري ماسيه (**HENRI MASSE**) على نفسه، ومن كان على مثل سيرته فيقول: (ولكن العلماء المسلمين تعلقوا باكراً بنقد نصوص الحديث، كما كان الأمر مع القرآن، وخصوصاً بنقد نقلة النصوص، فقد درسوا، بمؤلفات عديدة، تاريخ حياة هؤلاء الأشخاص، ودرجة الثقة التي يستحقونها، وهي درجة كانت في الغالب موضوع منازعات حامية، وهكذا ساروا إلى وضع تصنيف للأحاديث، وهو تصنيف كثير التعقيد كان يرتكز على قيمة رواتها مثلاً: «تقريب النووي» الذي ترجمه د. مرسيه[(١)])[(٢)].

ويشاركهم المستشرق كلود كاهن[(٣)] (**CLAUDE CAHEN**) ويزيد أمراً آخر وهو عِلم العلماء بوضع الأحاديث المكذوبة بين الأطراف المتنازعة.

(المصدر الثاني فهو الحديث، الذي يتألف مما ينسب إلى النبي من أقوال وأفعال تواتر ذكرها عن طريق الصحابة بعض هذه الأحاديث ليستكمل تعاليم القرآن ويفسرها. وبعضها الآخر يتصل بالسيرة النبوية التقليدية التي كتبها «ابن إسحاق» وروى أحداثها البارزة.

على أن عدداً كبيراً من هذه الأحاديث - وبخاصة الفئة الأولى منها - قد لُفق واستحدث في حمى المنازعات السياسية والدينية إبان القرن الأول والثاني للإسلام حتى **تنهض حجة يحتج بها كل من الأطراف المتنازعة.**

وكان فقهاء المسلمين في كل عصر وزمان على علم بهذا الأمر.

---

(١) مرسيه (وليم) WILLIAM MARCAIS (١٨٧٤ - ١٩٥٦)، مستشرق فرنسي، اهتم خصوصاً باللغة البربرية واللهجة العربية المغربية. ومن مؤلفاته ومحاضراته: "أصول النثر الأدبي العربي"، و"الإسلام والحياة المدنية"، و"المرأة في ألف ليلة وليلة"، و"المعاجم العربية"، واشترك مع HOUDAS في ترجمة "صحيح البخاري". ينظر: كتاب موسوعة المستشرقين (ص ٥٤٧).

(٢) كتاب الإسلام (ص ١٢٠).

(٣) كلود كاهن (Claudi Cahen). مستشرق فرنسي متخصص في تاريخ الشرق الأدنى في عهد الحروب الصليبية، من كتبه: شمال سوريا في عصر الحروب الصليبية، وكتب بعض مواد دائرة المعارف الإسلامية، هلك عام ١٩٩١م. ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٤٦٠)، وكتاب طبقات المستشرقين (ص ١٧١).

يأتي بعد ذلك التشتت البالغ في الأحاديث التي يمكن اعتبارها تاريخية مما يجعل من المحال تقريباً إعادة جمعها في مجموعة متناسقة)[١] .

ويريد جوينبل (THEODORWILLE JUYNBOLL)[٢] تطبيق منهج التطور على الأحاديث التي دونت في كتب السنة فيقول: (بعد وفاة «محمد» لم تستطع الآراء والمعاملات الدينية الأصلية التي سادت في الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير؛ فقد حل عهد للتطور جديد، وبدأ العلماء يدخلون شيئاً من التطوير في نظام مرتب من الأعمال والعقائد يتواءم والأحوال الجديدة .

فقد أصبح الإسلام بعد الفتوح العظيمة يبسط سيادته على مساحات شاسعة، واستعير من الشعوب المغلوبة على أمرها آراء ونظم جديدة، وتأثرت حياة المسلمين وأفكارهم حين ذاك في كثير من النواحي لا بالنصرانية والإسرائيلية وحدهما بل بالهللينية[٣] والزرادشتية[٤]

والبوذية[٥] كذلك . . . وسرعان ما أدى هذا بالضرورة إلى وضع الأحاديث فاستباح

---

(١) كتاب: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، لكلود كاهن (ص ١٤ – ١٥) .

(٢) جوينبل (Jyunboll) مستشرق، من آثاره: كتاب الخراج ليحيى بن آدم، والاستشراق في هولندا، والإسلام في جاوه، وبعض المواد في دائرة المعارف الإسلامية، هلك عام ١٩٤٨م . ينظر: كتاب المستشرقون، للعقيفي، (٢/ ٣١٧) .

(٣) روح وفكر العصر الهليني، وهو العصر الذي يقع بين خروج الإسكندر الأكبر من اليونان لغزو العالم (٣٢٣ق.م) حتى سقوط الممالك اليونانية على يد الدولة الرومانية (٣٠ق.م) وتختلط فيه الفلسفات اليونانية بالمعتقدات والأفكار غير اليونانية لشعوب آسيا الوسطى والبحر الأبيض، وكان على رأس هذا الفكر مدرستان من أكبر مدارس الفكر قاطبة وهما: الأبيقورية والرواقية . انظر: المعجم الفلسفي، د: عبدالمنعم الحفني (ص ٣٦٨) .

(٤) الزرادشتية أصحاب ْزرادشت بن بورشسبٌ الذي ظهر في زمان كشتاسف – أحد ملوك الفرس – وزعموا أن لهم أنبياء، وملوكاً، أولهم كيومرث وكان أول من ملك الأرض، ولما بلغ زرادشت ثلاثين بعثه الله نبياً ورسولاً إلى الخلق، فدعا (كشتاسف الملك) فأجابه إلى دينه، وكان دينه عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث، وقال: النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك ْيزدان وأهرمنٌ وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة، والباري تعالى خالق النور والظلمة، ومبدئهما، وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند . ينظر: كتاب الملل والنحر، للشهرستاني (٢/ ٢٦٤ – ٢٦٦) .

(٥) البوذية: كان مؤسسها قد أحيط بالقصص الغرامية والأساطير الخرافية التي لا يؤيدها العقل والمنطق . =

الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول، أو الفعل، ونسبوها إلى النبي لكي تتفق وآراء العصر التالي. وكثرت الأحاديث الموضوعة، وتداولها الناس منسوبة إلى النبي بحيث تجعله يقول أو يفعل شيئاً مما كان يعد في ذلك العصر من الأمور المستحسنة)(١).

وفي موضع آخر يقول:(لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفاً تاريخيًّا صحيحاً لسنّة النبي بل هي على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد، ونسبت إليه عند ذلك فقط)(٢).

وفي موضع آخر يقول:(وفي عصر متأخر، وبعد أن اتخذت العقائد والعبادات والنظم السياسية والاجتماعية وضعاً محدداً في القرنين الثاني والثالث للهجرة نشأ رأي عام معين فيما يتعلق بالثقة بمعظم رواة الحديث وقيمة رواياتهم، وقد اعتبرت أصول العقائد التي اشتملت عليها كتب: «مالك بن أنس» و«الشافعي» وغيرهما من العلماء صحيحة في نظر طوائف، واعتبرت ثقة على وجه خاص فيما روته من أحاديث محمد، ومع مضي الزمن لم يجرؤ أحد على الشك في صحة هذه الأحاديث، ولم يصح في الإمكان اعتبار رجال كأبي هريرة الذي يرجع إليه فضل في تداول هذه الأحاديث، من

= وهناك اختلاف بين المؤرخين حول "بوذا" – أصل كلمة بوذا "بدها" (BUDHA) ومعناها صاحب العلم والمعرفة، واسمه الحقيقي "سدهارتا" واختلفوا في تاريخ ولادته فكل قال بالظن والخرص بعد اتفاقهم بأنه كان قبل المسيح بخمسة قرون، ووجوده التاريخي لأن تعليماته لم تدون إلا بعد أن أمضى عليها ثلاثة قرون في زمن الملك "أشوكا" الذي تولى العرش سنة ٢٧٣ق.م. وهو من ملوك الهند، عاش قبل المسيح بقرنين ونصف تقريباً، وكان من دعاة البوذيين وهو الذي أرسل المبلغين البوذيين إلى الصين واليابان والتبت وسيلان وبورما وغيرها من البلدان. ثم جاء نور الإسلام وتغلب فانهارت أمام هذا النور الإلهي "الهندوسية" و"البوذية" على حد سواء من السند إلى أندونيسيا، وتايلاند، فاعتنق كثير من البوذيين والهندوس دين الإسلام. والبوذية: حركة فاشلة لا تكفل حاجات البشر؛ لأنها تعيش في الخيالات والأوهام، ولا تواجه مشاكل الحياة وصعابها، وهي أقرب إلى الفلسفة في الحياة منها إلى الدين، وتقوم على التجرد والزهد تخلصاً من الشهوات والآلام. انظر: فصول في أديان الهند، د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص ١٢٩ – ١٥٠).

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٣٣١ – ٣٣٢) مادة: (حديث).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٣٣٣).

الكاذبيين بل سُلِّم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح)(١) .

ويقول: دومنيك سورديل(٢) (**SOURDEL**): (وقد مال علماء الحديث دائماً في سردهم للروايات إلى انتقاء تلك التي كانت تتناسب وخياراتهم السياسية)(٣) .

وأما المستشرق فنسنك (**WENSINCK**) فيتهم الصحابة رضي الله عنهم بوضح الحديث صراحة في كتابة (العقيدة الإسلامية) حيث يقول: (أن هذه الأقوال (الأحاديث النبوية) ليست من كلام الرسول ﷺ بل من وضع الصحابة، وهذه الأحاديث الموضوعة هي التي وضحت العقيدة الإسلامية، ومهدت لصياغة كلمة الشهادة وتحديد أركان الإسلام)(٤) .

فمن خلال هذا العرض لجمع من أقوال المستشرقين، يتبين بجلاء عداوتهم للإسلام، ومصدره الثاني ؛السنة المطهرة، فهم يحاولون إلقاء التهم جزافاً على عدة أطراف، فأحياناً يتهمون الصحابة رضي الله عنهم بوضع الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ، وأحياناً البيت الأموي، أو العباسي، وأحياناً الفقهاء، وكلها دعاوى لا تقوم على بينة أو أثارة من علم. إنما مقصدهم هدم الدين الإسلامي بأكثر من طريقة؛ فالقدح في الصحابة رضي الله عنهم مثلاً: هو قدح في نقلة دين الإسلام، فهم الوعاء الذي حمل الدين وقام على نشره، وتلويثه بهذه التهم إفساد لما يحمله.

كما أن جميع ما ذكره المستشرقون من التهم والمطاعن ضد حملة السنة سواء كان من الصحابة رضي الله عنهم، أو من التابعين، أو من جاء بعدهم، هي دعاوى لا تقوم بينة، وفرض وتخرص لا ترقى لمستوى البرهنة القائمة على الدليل.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٣٣٧).

(٢) دومنيك سورديل (Sourdel) مستشرق فرنسي، ولد عام ١٩٢١، حقق الكثير من النصوص العربية، كان أبرزها (الأعلاق الخطيرة) لابن شداد، فضلاً عن عدد من الأبحاث في المجلات المعروفة، كتاب: قالوا عن الإسلام، (ص ١٩٨)، وينظر: كتاب المستشرقون (١/ ٣٦٥).

(٣) كتاب: الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، تأليف: دومنيك، سورديل (ص ٢٤).

(٤) كتاب: رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب (ص ٩٤).

إضافة إلى أن الاهتمام بحديث الرسول ﷺ كتابةً وحفظاً بدأ مبكراً في زمنه ﷺ، حيث وجد من يحفظ حديثه، ومنهم من يكتب ويحفظ، وكان هناك الضبط والتشدد في الأخذ من الرواة، وحتى كانت بداية التدوين في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم. بالإضافة إلى الاهتمام بالبحث عن أحوال الرواة وعدالتهم، ولكن المستشرقين قوم بُهت، وبسط القول في الرد عليهم مما يطول، وليس هنا محل دراسته(١).

٣ - كتب السيرة:

فكتب السيرة من المصادر المهمة لدراسة حياة الصحابة رضي الله عنهم، ومواقفهم وبطولاتهم وتضحياتهم بالنفس والنفيس في سبيل الله، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم هم أنصار الرسول ﷺ، وأبناء مجتمعه؛ بحيث أنه لا يمكن أن تدرس سيرة الرسول ﷺ دون ذكر الصحابة رضي الله عنهم لذلك كله حاول المستشرقون القدح في كتب «السير» بشتى السبل؛ بالتشكيك تارة، وبالقدح في بعض مؤلفي كتب السيرة تارة، وبالتضعيف والتشكيك في رواة الأخبار تارة أخرى.

قد يكون في بعض النَّقلة للسيرة ضعف، لكن قد يكون هناك شواهد أو متابعات لهذا الخبر فيرقى إلى مستوى الصحة أو الحسن، كما أن العلماء من السلف قد ضبطوا هذا الأمر من جهة دراسة حال الرواة، وبيَّنوا ما له وما عليه.

وبذلك يبقى كثيراً مما ينسبه المستشرقون من تخمينات وتخرصات، وشُبَه لا تستند إلى دليل صحيح.

* **كتاب السيرة: محمد بن إسحاق:** فقد عرَّف المستشرق بروكلمان (BROCKELMANN) ابن إسحاق صاحب السيرة بقوله: (**أبو عبدالله محمد: مؤلف**

---

(١) ينظر: كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د: مصطفى السباعي (ص ٦٥ - ٢٦٤)، ودفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د: محمد محمد أبو شهبة (ص ١٦ - ٣٧)، وكتاب المستشرقون والحديث النبوي، د: محمد بهاءالدين (ص ١٩ - ٢٥١)، والسنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مناقشتها والرد عليها، تأليف عماد السيد الشربيني (١/ ١٣١ - ١٥١)، وقصة الهجوم على السنة، للدكتور: علي أحمد السالوس (ص ٥٤ - ٩٤).

عربي وثبت في الحديث[١].

وهو حفيد «يسار» الذي أسر عام ١٢هـ (٦٣٣م) في الكنيسة بـ «عين التمرة»[٢] بالعراق ثم جلب إلى المدينة وأصبح من موالي قبيلة عبدالله بن قيس[٣]، وهناك شبَّ محمد؛ وقد انصرف إلى جمع الأخبار والقصص المتعلقة بسيرة النبي [ﷺ].

وسرعان ما اصطدم بأئمة الحديث أصحاب الرأي السائد في المدينة، وعلى الأخص بمالك بن أنس الذي اتهمه بالتشيع وانتحال الكثير من القصص والأشعار التي أذاعها، لهذا ترك «ابن إسحاق» وطنه وذهب إلى مصر أولاً ثم إلى العراق، وأغراه الخليفة «المنصور» بالقدوم إلى بغداد حيث توفي عام ١٥٠هـ (٧٦٧م) أو ١٥٢، أو ١٥٢هـ)[٤].

ويمتدح مونتجمري (MONTGOMER, WATT) ابن إسحاق فيقول: (وكان لابن إسحاق نفسه سابقون ولكن مساهمته في كتابة سيرة محمد هي أعظم مساهمة، وكان لها أعظم الأثر، فهو يجمع كل المعلومات الموجودة، ومن ضمنها الأشعار القديمة، وقد عرف كيف يختار معلوماته ويؤلف مادته في سرد محكم.

وهو يشير عادة إلى مراجعه حسب الطريقة الإسلامية[٥])[٦].

ويقول ول ديورانت[٧] (WDURANT): (محمد بن إسحاق (المتوفى في عام

---

(١) هذا القول محل مناقشة بين علماء الجرح والتعديل.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، في العراق، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر رضي الله عنه على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٣/ ٣٦٩).

(٣) المحفوظ والمنقول في كتب التاريخ وغيرها من كتب التراجم أنه مولى لقيس بن مخرمة المطلبي، تاريخ بغداد، للبغدادي (١/ ٢١٤)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٧٦)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٧٢).

(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١/ ١٢٨).

(٥) لعله يقصد الاستشهاد بالآيات والأحاديث في مواضعها من السيرة النبوية أو الإسناد.

(٦) كتاب محمد في مكة (ص ٨).

(٧) ول ديورانت (W. Durant) مستشرق أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً من أشهر الكتب التي تؤلف في الحضارة البشرية، ومن كتبه: قصة الفلسفة، انظر: كتاب: قالوا عن الإسلام، (ص ٦٤)..

٧٦٧) كاتب سيرة النبي، وقد راجعها وزاد عليها «ابن هشام» (٧٦٣) فكانت أقدم كتاب عربي منثور ذا شأن عظيم وصل إلى أيدينا إذا استثنينا من ذلك القرآن (الكريم) نفسه)[١].

ويمكن القول أن هناك اختلافاً بين العلماء في عدالة «ابن إسحاق» وتوثيقه على ثلاثة أقوال، وهي:

- القول الأول توثيقه وقال به الإمام الزهري، وشعبة بن الحجاج[٢] رحمهما الله تعالى فقد قال الزهري عنه: «من أراد المغازي فعليه بمولى قيس بن مخرمة».

وقال شعبة: «محمد بن إسحاق أمير المحدثين لحفظه».

- القول الثاني: عدم الاحتجاج به، فمالك بن أنس، ويحيى بن سعيد القطان يجرحانه، وسئل يحيى بن معين عنه قال: «ثقة» وليس بحجة، وقال مرةً أخرى: «هو صدوق ولكنه ليس بحجة»... وأحمد بن حنبل يقول فيه: «لو قال رجل: إن محمد بن إسحاق كان حجة، لما كان مصيباً، ولكنه ثقة»[٣].

والقول الوسط، والجامع بين القولين السابقين هو: أن جميع العلماء يقرون لابن إسحاق، بإمامته في المغازي، والسير، فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله:

(من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق)[٤].

وقال الذهبي رحمه الله:(والذي يظهر لي أن ابن إسحاق حسن الحديث، صالح

(١) قصة الحضارة، لول ديورانت (١٣ - ١٤/ ١٧٢).

(٢) هو: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم أبو بسطام الواسطي، ثم البصري، الحافظ الثقة، كان الثوري يقول عنه: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فَتَشَ بالعراق عن الرجال، وذبَّ عن السنة، توفي سنة ١٦٠هـ، والكاشف، للذهبي (١/ ٤٨٥) رقم (٢٢٧٨)، وتهذيب التهذيب، (٤/ ٢٩٧) رقم (٥٩٠)، التاريخ الكبير، للبخاري (١/ ٤٠).

(٣) رسالة في الجرح والتعديل، للمنذري (ص ٢١)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١٦٤)، رقم (٣٢٦٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦)

الحال، صدوق، وما تفرد ففيه نكارة، فإن في حفظه شيئاً، وقد احتج به الأئمة)[١].

وقال في موضع آخر:(كان أحد أوعية العلم، حبراً في معرفة المغازي والسير، وليس بذلك المتقن، فانحط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مرضي)[٢].

ووصفه ابن حجر رحمه الله بقوله عنه:(إمام المغازي، صدوق يُدَلِّس . . .)[٣].

وخلص أحد الباحثين إلى القول:(أن إمام المغازي محمد بن إسحاق بن يسار: ثقة إمام في المغازي، صدوق في الحديث، لا ينزل حديثه عن درجة الحسن، وكل التهم التي اتهم بها غير مسلم بها، بل لم تثبت، والذي ثبت هو تعديله والثناء عليه . . .)[٤].

وأما عن بقية التهم التي رُمي بها ابن إسحاق فيقول ابن سيد الناس رحمه الله[٥]:

(أمَّا ما رُمي به من التدليس والقدر والتشيّع، فلا يوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن.

أما التدليس فمنه القادح في العدالة وغيره، ولا يحمل ما وقع هاهنا من مطلق التدليس على التدليس المقيد بالقادح في العدالة.

وكذلك القدر والتشيع لا يقتضي الرد إلا بضميمة[٦] أخرى ولم نجدها هاهنا).

وأما تهمة التشيع (إن ثبتت عليه، فهي ليست رفضاً، بل تشيع يسير لا يرد به حديثه، مع أن هذا الجرح غير مفسر، والله أعلم)[٧].

---

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي (٣/ ٤٧٥).

(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/ ١٧٣).

(٣) تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ٤٠٣)، رقم (٥٧٢٥).

(٤) كتاب إمام المغازي، محمد بن إسحاق، للدكتور: مسفر بن سعيد الغامدي (ص ٥٨).

(٥) هو أبو الفتح محمد بن سيد الناس الشافعي، الإمام الحافظ اليعمري الأندلسي الأشبيلي المصري، سمع الكثير من الجم الغفير، وتفقه على مذهب الشافعي، أخذ علم الحديث عن والده، وابن دقيق العيد، ولازمه سنين كثيرة. وصنف كتباً كثيرة نفيسة منها: السيرة الكبرى، سماها (عيون الأثر) في مجلدين، توفي سنة ٧٣٤هـ. ينظر: كتاب ذيل تذكرة الحفاظ، (ص ١٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٠٨).

(٦) ضميمة: مؤنث ضميم: المضموم إلى غيره. ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٥٤٤) مادة: (ضم).

(٧) كتاب: إمام المغازي محمد بن إسحاق، للدكتور: مسفر الغامدي (ص ٣٩).

وعن سبب تأليف ابن إسحاق سيرته يقول بليائيف (BELIAEV) : (كتب ابن إسحاق في بغداد نزولاً عند إرادة الخليفة العباسي المنصور (٧٥٤ – ٧٧٥)، ولذا فهي تعكس دعوى العباسيين السياسية في المطالبة بالخلافة، وقد تسموا بالعباسيين نسبة إلى العباس عم النبي محمد ﷺ، ويحتل العباس في كتاب السيرة مقاماً رفيعاً، ويجب على من يعتمد السيرة مصدراً تاريخياً أن يرفض الأخذ بالأخبار والروايات التي تشوبها الخرافة، فإنها أخبار غامضة مبهمة من شأنها أن تشوه الصور التاريخية الحقيقية)[١] .

وعن سيرة ابن إسحاق يقول بروكلمان (BROCKEMANN) :(**يظهر أنه دوّن سيرة النبي ﷺ في كتابيه:**

أولهما: «كتاب المبتدأ» انظر الفهرست[٢]، أو «مبتدأ الخلق» أو «كتاب المبدأ وقصص الأنبياء» . . وهو تاريخ النبي ﷺ حتى الهجرة.

وثانيهما: «كتاب المغازي» ويظهر أن هذا الكتاب الذي هو أهم مؤلفاته لا يزال كتاب المغازي باقياً حتى اليوم في الفقرات المسهبة التي أوردها الطبري، ولكنه لا يوجد في صورة قائمة بذاتها إلا في اقتباس ابن هشام. . . الذي عرف كتاب «المغازي» عن طريق تلميذ مباشر لابن إسحاق هو: «زياد بن عبدالله البكائي الكوفي»[٣])[٤] .

أما سبب تدوين السيرة: والقول بأن ابن إسحاق صنف السيرة للعباسيين ففي هذا القول نظر؛ لأن جميع رواة (سيرة ابن إسحاق) مدنيون وبعض الأحاديث رواتها مصريون، وليس فيما دوّنه ممالأة للمنصور كما قاله جمع من المستشرقين.

وتعليل الخبر بشكل منطقي وسليم؛ أن المنصور كان يعلمُ اطِّلاع «ابن إسحاق» الواسع على أخبار السيرة والمغازي، وحفظه أخبارها، وكتابته بعض رواياتها في قراطيس؛ فطلب منه أن يجمع ذلك في كتاب.

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية، لبليائيف (ص ١٢٣).
(٢) كتاب الفهرست لابن النديم (ص ١٢١).
(٣) هو زياد بن عبدالله بن الطفيل العامري البكائي، قال ابن معين: لا بأس به في المغازي خاصة. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال عبدالله بن إدريس: ما أحد أثبت في ابن إسحاق من البكائي، أملاها عليه مرتين. وقال جزرة: هو على ضعفه أثبتهم في المغازي. توفي ١٨٤ .الكاشف للذهبي (١/ ٤١١) رقم (١٦٩٦)، وينظر: تقريب التهذيب (ص ١٦٠) رقم (٢٠٨٥).
(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١/ ١٢٩).

كما أن في تأريخ «ابن إسحاق» لإسلام العباس، وشهوده «بدراً» مع المشركين وأسره، دون اختصار أو إغفال؛ ما يدلُّ على عدالة «ابن إسحاق»، وجدارته بتوثيق العلماء، وتحسين رواياته المسندة.

كما أن في الخبر نزاهة «الخليفة المنصور»، واحترامه لحرية العالم، وعدم تدخُّله في تزييف حقائق التأريخ(١).

وأيضاً أن هذا القول من المستشرقين لم يسبقهم إليه أحد من المؤرخين على مر العصور، واختلاف الأماكن! مع أن علماء عصره جرحوه في حفظه ورواياته فلم يذكر واحداً منهم أن «ابن إسحاق» كتب سيرته مصانعة للعباسيين وتزييفاً للتاريخ؟!

ويجعل بليايف (**BELIAEV**) سيرة ابن إسحاق مصدراً رئيساً لدراسة تاريخ الإسلام حيث يقول: (أما المصدر الرئيسي الثاني لدراسة الفترة التي ظهر فيها الإسلام فهو كتاب (السيرة) التي وضعها «ابن إسحاق» من أهل المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن الثامن، وقد وصلتنا هذه السيرة برواية العالم اللغوي الممتاز «ابن هشام» من رجال القرن التاسع... كتب «ابن إسحاق» السيرة في «بغداد» نزولاً عند إرادة الخليفة العباسي «المنصور» (٦٥٤ - ٧٧٥) ولذا فهي تعكس دعوى العباسيين السياسية في المطالبة بالخلافة، وقد تسموا بالعباسيين نسبة إلى «العباس» عم النبي محمد ﷺ، ويحتل العباس في كتاب السيرة مقاماً رفيعاً.

.... ويجب على من يعتمد «السيرة» مصدراً تاريخيّاً أن يرفض الأخذ بالأخبار والروايات التي تشوبها الخرافة، فإنها أخبار غامضة مبهمة من شأنها أن تشوِّه الصور التاريخية الحقيقية)(٢).

سيرة ابن إسحاق، على الرغم من كونها المصدر الأول في السيرة بعد كتب السنة، إلا أنها لم تصلنا كاملة؛ وإنما عُثر حتى الآن على جزء منها.

كما وصلنا تهذيبها، لابن إسحاق، حيث اشتهرت السيرة باسم «سيرة ابن

---

(١) يكتاب مناهج التأليف في السيرة النبوية، للدكتور: محيي الدين مستو (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) بتصرف.

(٢) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٢٢ - ١٢٣).

هشام» .

وهناك أجزاء أو روايات لسيرة ابن هشام، مبثوثة في عدد من الكتب مثل: تاريخ الطبري، وأسد الغابة، والإصابة وغيرها(١) .

وللتشكيك في كتب السيرة؛ التي تحدثت عن جهاد الصحابة رضي الله عنهم ونصرتهم للإسلام يقول مونتجمري وات في كتابه (محمد في المدينة): (نجد في المصادر القديمة كمية ضخمة من الأخبار حول معركة «أُحد» ولكن جزءاً كبيراً منها يحتوي على أخبار حوادث تافهة كتبت لتمجيد أشخاص (وحفظها أحفادهم أو قبائلهم) أو على العكس لاتهامهم)(٢) .

وهذا تطبيق عملي لمنهج الشك عند المستشرقين، فهم يشكون في كل ما من شأنه أن يعلي من مكانة المسلمين، وليست كتب السيرة محل شك فقط بل حتى نصوص الوحي (الكتاب والسنة) مشكوك فيها عند المستشرقين فليس هناك ما يقدسونه، أو يخشونه إذا أخطئوا؟!(٣) .

* **كتاب المغازي للواقدي**: يقول عنه المستشرق مونتجمري وات (**MONTGOMER, WATT**) :(تمثل «مغازي» الواقدي وسيلة قيمة للتثبت من «ابن إسحاق» لأنها تعتمد على سلسلة من المصادر المستقلة، وهي عادة أكثر اطلاعاً ولكنها لا تتحدث إلا عن الفترة المدنية)(٤) .

ويتهم بليابيف (**BELIAEV**) الواقدي بالمحاباة، وأن كتابه مليء بالأساطير حيث يقول: (ولطالب التاريخ أن يعود إلى مصدر آخر غير «السيرة»(٥) وهو كتاب «المغازي» للواقدي (٧٤٧ – ٨٢٣) ولكنه كتاب يبدي فيه صاحبه شيئاً من التحيز

---

(١) كتاب مناهج التأليف في السيرة النبوية، للدكتور: محي الدين مستو (ص ٢٥٧) .

(٢) (ص ٣٢)، وينظر: (ص ٣٦) .

(٣) كتاب المستشرقين وعملائهم على الإسلام، للدكتور: إسماعيل علي محمد (ص ١١١ – ١٣٣) .

(٤) كتاب: محمد في مكة، لمونتجمري وات (ص ٨) .

(٥) سيرة ابن إسحاق .

والمحاباة، كما أنه مليء بأخبار وروايات دينية عليها مسحة «أسطورية»)(١).

والواقدي رحمه الله وكتابه المغازي يعتبر من المصادر الرئيسة في دراسة السيرة؛ وقد اختلف العلماء في منزلته بين المحدثين بين مضعف وموثق ووسط، ومن أقوال العلماء في تضعيفه، **قول البخاري رحمه الله فيه**: (الواقدي مدني، سكن بغداد، متروك الحديث، تركه أحمد(٢)، وابن معين، وابن نمير(٣)، وإسماعيل بن زكريا)(٤).

وقال في موضع آخر:(كَذبهُ أحمد، وقال معاوية بن صالح(٥): قال لي أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب، وقال يحيى بن معين: ضعيف، وقال مرة: ليس بشيء) (٦).

وهناك من العلماء من وثق رواية «الواقدي» رحمه الله.

قال إبراهيم الحربي: (الواقدي أمنُّ الناس على أهل الإسلام)(٧).

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أن الإمام مالك رحمه الله سُئل عن قتل الساحرة؟

فقال: انظروا هل عند «الواقدي» من هذا شيء؟

فذاكروه ذلك، فذكر شيئاً عن الضحاك بن عثمان، فذكروا أن مالكاً قنع به)(٨).

---

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية، لبليائيف (ص ١٢٤).

(٢) هو أحمد بن حنبل رحمه الله.

(٣) هو محمد بن عبدالله بن نمير الهمداني، الخارفي، أبو عبدالرحمن ،الكوفي الحافظ الثقة، قال عنه أحمد بن حنبل بأنه دُرة العراقْ، توفي سنة ٢٣٤هـ. الكاشف (٢/ ١٩١) رقم (٤٩٨)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٦٨٩) رقم (٧١٦٨).

(٤) هو إسماعيل بن زكريا الخُلقاني الأسدي، أبو زياد الكوفي، اختلفت الأقوال فيه، ولعل الأرجح أنه صدوق، توفي سن ١٧٣هـ. الكاشف (١/ ٢٤٦) رقم (٣٧٥)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٦٠)، رقم (٥٥١).

(٥) هو معاوية بن صالح بن (الوزير أبي عبيدالله) معاوية بن عبيدالله الأشعري، مولاهم، الدمشقي، الحافظ، توفي سنة ٢٦٣هـ. الكاشف (٢/ ٢٧٦) رقم (٥٥٢٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٣٤) رقم (٧٩٨٦).

(٦) كتاب تهذيب التهذيب (٥/ ٧٦٣)، رقم (٧٣٠٩).

(٧) المصدر السابق (٣/ ١٥).

(٨) المصدر السابق (٣/ ٨).

ولعل أجمع الأقوال وأوسطها في «الواقدي» **هو قول الذهبي رحمه الله** في ترجمة الواقدي بأنه: (صاحب التصانيف، و«المغازي»، العلامة، أبو عبدالله، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه... جمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطَّرحوه لذلك، ومع هذا لا يستغنى عنه في «المغازي»، وأيام الصحابة وأخبارهم)(١).

وقال: (وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر.

فهذه الكتب الستة، ومسند أحمد وعامة من جمع في الأحكام نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء بل ومتروكين، ومع هذا لا يُخرِّجون لمحمد بن عمر شيئاً، مع أن وزنه عندي أنه مع ضعفه يكتب حديثه ويروى؛ لأني لا أتهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثقه...)(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: (الواقدي إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة ولا غيره من أهل المغازي فهو مقبول عند أصحابنا)(٣).

وملخص الحديث عن كتاب الواقدي «المغازي» هو:أن كتاب «المغازي» لمحمد بن عمر الواقدي، يعتبر المصدر الثاني بعد كتاب محمد بن إسحاق، وسلك فيه طريقة المحدثين من حيث سياق الإسناد، وقد استخدم الإسناد الجمعي للمتن الواحد، في ذكره للأخبار، والروايات وهذا مما أخذ عليه.

كما أنه لا يلتزم بالإسناد، بل نجده كثيراً يذكر الأخبار دون سند حيث يبدأ ذلك بقالوا.

ومع ذلك فالواقدي أكثر دقة في استعمال الإسناد في مغازيه، وجمعه للأحاديث في ترتيب متناسق، كما استخدم الألفاظ السهلة، واللغة الفصيحة وتجنب التراكيب المعقدة، وعند مقارنة مغازي الواقدي بسيرة ابن إسحاق نجد أن هناك فارقاً بينهما، حيث نجد

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٥٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٧).

(٣) التلخيص الحبير، لابن حجر (٢/ ٢٩١).

مغازي الواقدي فيها شيء من زيادة المعلومات، والاهتمام بالأحاديث، والأحكام الفقهية، وكل ذلك ضمن التاريخ الإسلامي.

أما تاريخ الجاهلية، فلم يكن للواقدي علم به(١).

ويقول هيروفتس (**J.HEROVITZ**)(٢) بعد التعريف بالواقدي: (وقد وصفه «ابن النديم» بأنه كان يتشيع بغير غلو «كان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية، وهو الذي روى أن علياً كان من معجزات النبي ﷺ كالعصا لموسى عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى بن مريم»)(٣).

وأما ما نسبه المستشرق هيروفتس (**J.HEROVITZ**) القول بأن «الواقدي» رحمه الله كان شيعياً فهذا القول يعوزه الدليل الصحيح بل أن هناك من المستشرقين من عارض هذا القول وبيَّن عواره فقد قال محقق كتاب «المغازي» للواقدي المستشرق مارسدن جونس(٤) (**MARCEDN**) تحت عنوان «حول تشيع الواقدي»: (لعل وجود كتابين للواقدي، أحدهما في مولد الحسن، والحسين، ومقتل الحسين، والآخر في مقتل الحسين خاصة، يوهم أنه كان شيعياً، كما ذكر «ابن النديم»، منفرداً بهذا الرأي دون غيره، حيث يقول: «وكان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية، وهو الذي روى أن علياً عليه السلام كان من معجزات النبي ﷺ، كالعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى

---

(١) ينظر: كتاب مناهج التأليف في السيرة النبوية، للدكتور: محي الدين ديب مستو (ص ٢٨٧ – ٢٩٠)، ومصادر السيرة النبوية، للدكتور: فاروق حماده (ص ٩٤).

(٢) هو: هورروفتس (JOSEPH HOROVITZ) (١٨٧٤ – ١٩٣١)، مستشرق ألماني يهودي، ولد في لاونبرج (LAUENBERG) وتعلم في جامعة برلين، وعين مدرساً في جامعة برلين ١٩٠٢. واشتغل في الهند من ١٩٠٧ إلى ١٩١٤، حيث كان يعمل مدرساً للغة العربية في كلية عليكرة الإسلامية!! وعين مدرساً للغات السامية في جامعة فرنكفورت حتى وفاته. وكان عضواً في مجلس إدارة الجامعة العبرية في القدس منذ إنشائها ١٩٢٥، وهو الذي أنشأ فيها قسم الدراسات الشرقية. وتركز اهتمامه على الدراسات المتعلقة بالقرآن والسيرة النبوية، وأهمها: "مباحث قرآنية"، و"الجنة في القرآن"، كتاب موسوعة المستشرقين (ص٦٢١).

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٣٢/ ١٠١١٢).

(٤) لم أقف له على ترجمة.

لعيسى بن مريم عليه السلام وغير ذلك من الأخبار» .

وقد عارض صاحب «أعيان الشيعة»(١) هذا القول عن «ابن النديم» مستدلاً به على تشيعه ، ومن ترجم له .

وكذلك ذكره «أغا بزرك الطهراني»(٢)، حين تحدث عن تاريخ «الواقدي» .

على أنه مما يثير الدهشة أن الطوسي(٣) – وهو معاصر لابن النديم – لم يذكر الواقدي في كتابه «الفهرس» ولم يذكر كتاباً من كتبه وخاصة تلك التي تتعلق بمولد الحسن والحسين ، ومقتل الحسين ، على أهمية هذا الأمر الذي شغل جميع علماء الشيعة ومؤرخيهم وجامعي أخبارهم .

ولو سلمنا لابن النديم أن «الواقدي» كان يلزم التقية ، فإن تشيعه كان لا بد أن يظهر على نحو ما عند الحديث عن «علي» أو في الرواية عنه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث .

... وأهم من كل ذلك ما ينقله «الشيعة» أنفسهم ، كابن أبي الحديد مثلاً في كتابه ، حين ينقل فقرة طويلة عن «الواقدي» ، ثم يورد فيها رواية أخرى مختلفة عن الأولى ، ويبدؤها بقوله: «وفي رواية الشيعة» ؛ مما يدل دلالة قاطعة على أن ابن أبي الحديد لم يعتبر «الواقدي» مصدراً شيعياً ، أو يمثل رأي الشيعة على الأقل .

... وفي ضوء ما تقدم من الحجج تظل عبارات «ابن النديم» عن تشيع «الواقدي» قاصرة عن أن تنهض دليلاً على تشيعه ، وستظل تفتقر إلى دعائم أخرى تؤيدها ، وخاصة من نصوص «الواقدي» نفسه)(٤) .

---

(١) هو محسن الأمين العاملي ، (١٢٨٢ – ١٣٧١) آخر مجتهدي الرافضة الإمامية في بلاد الشام . ينظر: معجم الأعلام (ص ٦٥٤) .

(٢) هو محسن (أو محمد محسن) بن علي بن محمد رضا الطهراني ، أغا بزرك ، عالم بتراجم المصنفين ، مع كثير من التحقيق والتحري . من أهل طهران (رافضي) توفي سنة ١٣٨٩هـ ، المصدر السابق (ص ٦٥٤) .

(٣) نصر بن محمد بن يعقوب ، أبو الفضل الطوسي العطار ، المتوفى سنة ٣٨٤هـ ،المصدر السابق (ص٨٩٤) .

(٤) مقدمة تحقيق كتاب المغازي ، للواقدي ، للمستشرق مارسدن جونس (١/ ١٦) .

هذا ويمكن تعقب المستشرق مارسدن في بعض أقواله في الأمور التالية:

١ – أن أقدم من وصف «الواقدي» بالتشيع هو «ابن النديم» وهو «رافضي معتزلي» لا يقبل قوله فيما يخدم بدعته، خاصة وأن من عادة الروافض أن ينسبوا إلى مذهبهم بعض المشاهير لغرض تكثير سوادهم.

٢ – أن هوروفتس (**HEROVITZ**) ذكر: «أن مؤلف الفهرست هو الأول كما يبدو، والوحيد الذي وصف الواقدي بالتشيع، حتى كتب الرجال عند الشيعة لا تذكره».

وعلى هذا فمن المستبعد جداً أن يوصف الواقدي بالتشيع وتطبق أكثر كتب الشيعة على عدم ذكره والاهتمام به.

٣ – قول «مارسدن» في مناقشته لمسألة تشيع «الواقدي»:

(لعل وجود كتابين للواقدي أحدهما: مولد الحسن والحسين، ومقتل الحسين، والآخر في مقتل الحسين خاصة، يوهم أنه كان شيعيّاً، كما ذكر ابن النديم منفرداً بهذا الرأي دون غيره).

وهذا القول غير مقبول؛ لأنه يمكن أن يعارض بأن «الواقدي» ألّف كتاباً آخر هو «سيرة أبي بكر ووفاته».

كما أنه من المتفق عليه أن العالم إذا كتب عن مذهب من المذاهب لا يتهم بذلك المذهب بمجرد الكتابة، فكيف و«الواقدي» لم يكتب عن المذهب الشيعي، وإنما كتب في سيرة صحابيين فاضلين رضي الله عنهما ولو قلنا أن كل من كتب عن الحسن والحسين بأن عمله هذا يوهم أنه كان شيعياً لصنفنا عدداً كبيراً من أئمة أهل السنة في تراجم الشيعة.

٤ – على فرض وجود بعض الروايات التي فيها تشيع وهي منسوبة إلى «الواقدي» لا تخلو من أمرين:

أ – أنها منسوبة إليه بدون سند وإنما بلفظ «وروى» مثل ما ذكره ابن النديم، فلا يقبل حتى يذكر سندها... فينظر فيه، لأن مجرد قول ابن النديم – مثلاً – «وروى» لا

يقبل منه ، خاصة وأن ما ذكره يخدم عقيدته الرافضية .

ب – أن تكون تلك الروايات مسندة إلى «الواقدي» ، فيحتمل أن «الواقدي» رواها عن بعض شيوخه الذين وصفوا بالرفض والتشيع مثل عبدالسلام بن موسى ابن جبير وهو متهم بالرفض ، وهشام بن سعد المدني ، وهو ممن رُمي بالتشيع(١) .

وعن سبب اهتمام المستشرقين بكتاب الواقدي «المغازي» يقول المستشرق مرغوليوث(٢) (**MARGOLIOUTH**) بعد كلام له عن الواقدي:

(وأطرى الباحثون الأوربيون على «الواقدي» لاهتمامه الخاص بالأزمنة ، وأحكام ثقات المسلمين عن كتابه في جانبه في معظم الأحيان ، وإن لم تجمع على ذلك .

والكتاب الوحيد الذي رأى الضوء من كتبه جزء من مغازيه، نشر هنا «كلكتا»(٣) .

وترجمة الألمانية لمخطوطة أكمل محفوظة في المتحف البريطاني ، وتضم قائمة كتبه بعض الفتوح: فتوح الشام ، وفتوح العراق ، ولكن الكتب التي طبعت تحت هذه الأسماء معزوة إليه ، كما قد رأينا ، كتب ظنية ، وليست بذات قيمة تاريخية)(٤) .

– **كتاب السيرة لابن هشام:** يعد الكتاب عمدة عند المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم .

يقول المستشرق مونتجمري وات:(سيرة «ابن هشام» في الحقيقة ليست سوى تكرار لسيرة «ابن إسحاق» (مات ٧٦٨م/ ١٥١هـ) . . . ويضيف «ابن هشام» عدداً قليلاً من

---

(١) ينظر: كتاب الواقدي وكتابه المغازي ، منهجه ومصادره ، للدكتور: عبدالعزيز بن سليمان السلومي ، (١/ ١٣٥ – ١٤٠) بتصرف .

(٢) مرغوليوث: دافيد صمويل Margoliouth (١٨٥٨ – ١٩٤٠) ، مستشرق إنجليزي مشهور ، من آثاره: (محمد ونشأة الإسلام) ، ونشر كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي ، كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٥٤٦) ، وطبقات المستشرقين (ص ١٩٩) .

(٣) كلكتا مدينة في الهند ، وهذا النص جزء من محاضرات ألقاها المستشرق مرغوليوث في جامعة كلكتا في الهند .

(٤) كتاب: دراسات عن المؤرخين العرب ، لمرغوليوث (ص ٩٣) .

التوضيحات، ويوجد بعض المقاطع الناقصة في رواية في مكان آخر، ولكننا لا نميز بوضوح ما إذا كان مسؤولاً عن هذا النقص)[١] .

وصاحب سيرة ابن هشام هو: عبدالملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد، الذهلي السدوسي، وقيل: الحميري المعافري، البصري، نزيل مصر، العلامة النحوي.

قال الذهبي: (**هذَّب السيرة النبوية، ...وخفَّف من أشعارها**[٢]) .

وقد عمل ابن هشام من سيرة ابن إسحاق تاريخ الأنبياء، وابتدأ بنسب الرسول ﷺ، وحذف من الشعر ما لم يثبت ومن الأخبار ما يسوء.

قال ابن هشام في مقدمة «السيرة»: (وأنا إن شاءالله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله ﷺ من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما يذكره «ابن إسحاق» في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسير له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يَشْنُعُ الحديث به، وبعضٌ يسوء بعض الناس ذكرُهُ، وبعضٌ لم يُقِرّ «البكائي» بروايته، ومستقصٍ إن شاءالله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به)[٣] .

ومع كون كتب السيرة المتقدمة مصادر معتمدة عند المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم؛ إلا أنهم يحاولون التشكيك فيها بشتى الحيل.

وهذا واضح بيِّن لمن قرأ تعليقاتهم على ما تنقله كتب السير من الثناء على

---

(١) كتاب: محمد في مكة (ص ٨)، وينظر: دائرة المعارف الإسلامية (١/ ١٣٠) مادة: (ابن إسحاق) لبروكلمان.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢٩).

(٣) كتاب: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨).

الصحابة رضي الله عنهم .

وانظر إلى اضطراب وتناقض أحدهم وهو مونتجمري (MONTGOMER,WATT) حين تحدَّث عن محمد بن سعد كاتب الواقدي وصاحب كتاب الطبقات فقال:

(يمدنا «ابن سعد»(١) بروايات متعددة عن أكثر من مسألة وإن كان يجمع كثيراً من الأخبار التي لا قيمة لها ، ولا نعثر إلا في النادر بين سطوره على شيء يعتمد عليه .

غير أن سيره عن صحابة محمد منجم من المعلومات المفيدة لمعرفة بيئة محمد)(٢) .

كتب التاريخ: اعتمد المستشرقون في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم على عدد كبير من المصادر وكتب التاريخ ، والتي بحثت في قضايا عدة تختص بالدول ، والأيام ، والأنساب ، وغيره .

وتعتبر هذه المصادر التاريخية بالنسبة للمستشرقين مصادر أصلية موثوق بها في الإحالة ، ودراسة المجتمعات الإسلامية ، وبناء النتائج عليها ، وأنها تعبر عن حياة قرون وأجيال من البشر ، وخير هذه القرون ، وأفضل جيل عاش وجاهد في سبيل الله الصحابة رضي الله عنهم .

ولا يخلو كتاب في التاريخ في عصور الإسلام من دراسة لعصر الصحابة رضي الله عنهم وما جرى فيه من الأحداث التاريخية .

ولما كانت كثير من هذه الكتب لا يجري في رواياتها التمحيص والفحص لرجالها ، ومصادرها ؛ فقد استغل كثير من أهل الأهواء – المبتدعة والمستشرقين – ذلك للطعن في الصحابة رضي الله عنهم .

ومن هذه المصادر تاريخ اليعقوبي ، والطبري ، والمسعودي وغيرهم .

وسأعرض لبعض أقوال المستشرقين حول بعض هذه الكتب ، ومؤلفيها .

---

(١) هو محمد بن سعد بن منيع ، أبو عبدالله مولى بني هاشم ، وهو كاتب الواقدي ، حافظ صدوق صاحب الطبقات ، توفي سنة ٢٣٠هـ . ينظر: تاريخ بغداد ، للبغدادي (٥/ ٣٢١) ، والكاشف للذهبي (٢/ ١٧٤) رقم (٤٨٦٧) ، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص ٤٨٠) .

(٢) كتاب: محمد في مكة (ص ٨ – ٩) .

ومن المصادر التاريخية التي استند عليها المستشرقون في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم البلاذري وكتبه: (أنساب الأشراف)، و(فتوح البلدان).

وقد مدح المستشرق بليائيف (**BELIAEV**) البلاذري وكتابه: (فتوح البلدان) وجعله المصدر الثاني بعد «تاريخ الطبري» في دراسة الخلافة الإسلامية، فيقول:(أمَّا «البلاذري» فقد جاء قبل «الطبري»، وهو مؤرخ وجامع للأخبار يتصف بالتحري للروايات واستخلاص مؤداها، ففي كتابه «فتوح البلدان» وهو كتاب يُعنى بأخبار الفتوحات العربية، لا يقصر همّه على سرد الحوادث السياسية والعسكرية، بل يتناول ناحية هامة، ولاسيما بالنسبة لنا، وهي جمع المعلومات الهامة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في البلدان التي فتحها العرب)(١).

البلاذري قال عنه الإمام الذهبي:(العلامة الأديب المصنف أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري، الكتاب صاحب التاريخ الكبير... كان كاتباً بليغاً شاعراً، محسناً وَسْوَس بأخرة لأنه شرب البلاذر(٢) للحفظ، وله مدائح في «المأمون» وغيره، وقد ربط في البيمارستان(٣) وفيه مات بعد السبعين ومائتين رحمه الله)(٤).

ويعد البلاذري أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري، من حيث سعة المعلومات التي دوَّنها والفترات التاريخية التي غطاها، لكن كتابه «أنساب الأشراف» أحسن انتقاء للروايات وأنقى أسانيد، وأكثر اتفاقاً مع روايات أهل الثقة والصدق من تاريخ «الطبري».

وكتاب (أنساب الأشراف) يتناول التاريخ الإسلامي في إطار الأنساب ابتداءً

---

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٦٩).

(٢) بلاذر: دواء يُشرب للحفظ، [سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٦)] وهو شجر من فصيلة البُطيمات، من الصمغ، المنجد في اللغة (ص ٤٧) مادة: (بلذر).

(٣) البيمارستان: المارستان (طب): محلّ مُعد لمعالجة المرضى وإقامتهم ويعرف بالمستشفى (فارسية). ينظر: مختار الصحاح (ص ٣٣٤) مادة: (م ر س)، والمعجم الوسيط (٢/٨٦٣)، مادة: (مرس).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦٢)، وينظر: الفهرست لابن النديم (ص ١٤٢)، وأبجد العلوم، لصديق حسن القنوجي (٢/ ١١٤).

بالأسر والعشائر والقبائل القرشية، وانتهاءً بغيرها من القبائل العربية.

وبمقارنة رواياته بروايات غيره كابن سعد وخليفة(١) نجدها متفقة مع الروايات الحسنة والصحيحة التي أوردتها كتب السنة والتاريخ؛ لذلك فإذا حدث في رواياته ضعف أو شذوذ فهو من قبل الرواة الذين نقل عنهم، وقد استقى رواياته في أحداث الفتن من ثقات المحدثين من شيوخ البخاري ومسلم.

وأما كتابه الآخر (فتوح البلدان) فيتناول فتح كل مصر على حدة، وفيه معلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية والإدارية والثقافية، ويعتمد في ذلك على مصادر محلية في كل مصر(٢).

لذا لا غرابة أن يهتم به المستشرقون، في كتاباتهم عن عصر الصحابة رضي الله عنهم، وما جاء بعده من العصور.

* **تاريخ اليعقوبي**: فالمستشرق فلهوزن (**WELLHAUSEN**) يرى بأن اليعقوبي يمثل رأي الشيعة، وذلك عند ذكره لمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ورواياته لهذا الحدث، حيث يقول: (وما كان للمرء أن يستفيد كثيراً من المعلومات المهمة من شيعي متحمس مثل «اليعقوبي» عن حادث له عند أصحاب مذهبه أهمية قصوى)(٣).

مع أن الكثير من المستشرقين يعتمدون عليه في كثير من الروايات التاريخية.

وعن مميزات تاريخ اليعقوبي يقول مرغوليوث (**MARGOLIOUTH**): (يتبع كتابه التاريخي خطة لا بد أنها احتاجت إلى قسط طيب من البحث لتحقيقها. فيورد تفاصيل فلكية في مبدأ كل عهد، ليستطيع الخبراء أن يروا كيف تبع مجرى الأحداث أحوال الكواكب في بزوغها(٤).

ويسجل في ختام كل عهد أسماء الرجال الذين كان لهم أعظم النفوذ مع

---

(١) هو خليفة بن خياط العصفري، التميمي، أبو عمرو البصري، قال عنه الذهبي: "صدوق ربما أخطأ، وكان إخبارياً علامة". ينظر: الكاشف (١/ ٣٧٥) رقم (١٤٠٩)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١٣٨).

(٢) ينظر: كتاب عصر الخلافة الراشدة، للدكتور: أكرم ضياء العمري (ص ١٥ – ١٦)، ومصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور: فاروق حمادة (ص ١٣٠ – ١٣١).

(٣) كتاب الخوارج والشيعة، لفلهوزن (ص ١٩٩)، وينظر: كتاب العرب والروم، لغازيليف (ص ٢٣٥).

(٤) هذا القول لا يقول به إلا أهل التنجيم.

الخلفاء، وأمراء الحج في كل سنة، وقوّاد الحملات، والقضاة المشهورين. وقلما يذكر مؤرخين قدماء في حقبة الخلافة؛ وكلما اقترب من عصره ذكر من حيث لآخر أشخاصاً استقى منهم المعلومات.

ومعلوماته عن العهد الذي عاش فيه غاية في الإخلال، وقاصرة على الهيكل المجرد؛ ولكنه أكثر علماً بالعهدين الأموي والعباسي الأول... وهو عظيم الإعجاب بعلي، وعميق الاهتمام بالأئمة من أبنائه؛ ويفرد صفحات كثيرة للحِكَم والمواعظ المنسوبة إليهم.

ولما كان يصف مذهب المعتزلة بالتوحيد(١)، فقد نستنتج أن هواه كان مع تلك الفرقة، إذ أن ذلك هو اللقب الذي أطلقوه على أنفسهم)(٢).

واليعقوبي هو: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي(٣)، (مؤرخ شيعي إمامي، عمل في كتاب الدواوين في الدولة العباسية، وهو رحَّالة جغرافي، أفاد من الدواوين الرسمية والملاحظة المباشرة في رحلاته في تأليف «التاريخ» وكتاب «البلدان»)(٤).

اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقيل: سنة ٢٨٤هـ، وقيل: ٢٨٢هـ، وقيل: ٢٧٨هـ أو بعدها، وقيل أنها في سنة ٢٩٢هـ حيث وجدت أبيات لليعقوبي نظمها ليلة عيد الفطر سنة ٢٩٢هـ(٥).

ويلاحظ على اليعقوبي في «تاريخه» (أنه لم يستطع إخفاء ميوله العلوية على الرغم من محاولته أن يبدو متزناً ودقيقاً في إيراد الأخبار، فقد طغت عليه عاطفته حتى أنه لم يعترف بخلافة الخلفاء الراشدين – رضوان الله تعالى عليهم – سوى خلافة علي بن أبي

---

(١) كثير من الرافضة قد أخذوا بمذهب المعتزلة في نفي الصفات وغيرها.
(٢) كتاب: دراسات عن المؤرخين العرب، لمرغوليوث (ص ١١٩ – ١٢٠).
(٣) ينظر: الأعلام للزركلي (١/ ٩٥).
(٤) كتاب: عصر الخلافة الراشدة، للدكتور: أكرم ضياء العمري (ص ١٩).
(٥) ينظر: الأعلام (١/ ٩٥).

طالب، فكان يصفها بأيام أبي بكر، وأيام عمر، وأيام عثمان) (١).

كما أن اليعقوبي أظهر في «تاريخه» (تعصباً ضدّ بني أمية على امتداد صفحات الكتاب، وكان متعصباً للموالي ضد العرب، ولهذا فقد كثرت الروايات الضعيفة عنده ولم يأت بأسانيد لرواياته، فكانت رواياته غير دقيقة ومضلِّلة)(٢).

*** تاريخ الطبري:**

أما تاريخ الطبري «تاريخ الأمم والملوك» فيعتبر من المصادر التاريخية المهمة حيث يقول بليائيف (BELIAEV) عنه عند كلامه على مصادره في الخلافة الإسلامية: (إن المصدرين الرئيسيين لدراسة هذه الفترة هما تاريخ الطبري (توفي ٩٢٣) المعروف «بتاريخ الرسل والملوك» وكتاب «فتوح البلدان» للبلاذري (توفي ٨٩٢)).

وعن منهج الطبري في كتابة تاريخه يقول بليائيف: (أما «الطبري» فيستهل تاريخه، كما كان المؤرخون العرب يفهمونه، بسرد وقائع التاريخ العام بدءاً بقصة الخليفة كما وردت في التوراة، ثم يأتي على ذكر جدود العبرانيين والرسل.

ويتلو هذا الجزء أخبار تاريخية وأسطورية عن ملوك الفرس القدماء، وعن الساسانيين، معتمداً فيها على مصادر فارسية.

وقد ينتهي بعد ذلك إلى التاريخ العربي ونشأة الإسلام.

يبدأ الطبري تاريخه المسلسل بالسنة الأولى للهجرة، فيذكر الأعمال الحربية والسياسية كما وقعت سنة بعد أخرى حسب التقويم الهجري؛ ولأن الطبري كان يحرص على ذكر مختلف الروايات حول حادثة معينة فإنه ضمَّن تاريخه روايات لا توافق بينها ولا انسجام، تاركاً للقارئ أن يقرر الأمر لنفسه وينهي القول بالعبارة المألوفة «والله أعلم»)(٣).

---

(١) كتاب: منهج المسعودي في كتابة التاريخ، للدكتور: سليمان بن عبدالله السويكت (ص ٢٣٩).

(٢) كتب حذَّر منها العلماء، لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (٢/ ٥٦).

(٣) العرب والإسلام والخلافة العربية (ص١٦٩)، وكتاب علم التاريخ عن المسلمين، لفرانزروزنثال (ص١٠٢).

وعن مميزات تاريخ الطبري يقول: (والطبري دقيق في ذكر المصادر التي يرجع إليها ويحرص على ذكر الأسانيد والرجوع بها إلى عدد من الأجيال إلى أن ينتهي إلى شاهد عيان أو إلى خبر يُعد ناقله معاصراً للحادث.

وإلى جانب المعطيات التي توافرت له فقد انتفع «الطبري» بمجموعة الأخبار والروايات التاريخية التي جمعها آخرون كأبي مخنف وغيره.

وبناء على كثرة المعلومات التي توافرت في الكتاب فإنه يعتبر المصدر الأول الهام لدراسة «نشأة الخلافة وتاريخها من القرن السابع حتى التاسع». ولكن مما يؤسف له أن هذه المجموعة من المعلومات هي أشبه بمادة خام لم يقصد مؤلفها أن تتعرض للنقد أو حتى إلى مجرد التعميم).

وعن منزلة تاريخ الطبري عند المستشرقين يقول بليائيف عنه:(كتاب «الطبري» كان المرجع الذي اعتمده المستعربون الأوربيون في القرن التاسع عشر، ولايزال حتى يومنا هذا مرجعاً في غاية الأهمية)(١).

ويقول المستشرق جلوب (**GLUBB**) في مقدمة كتابه: «الفتوحات العربية الكبرى» عن أهم المصادر التاريخية التي يمكن الاستفادة منها، والتي منها تاريخ الطبري: (وقد حاولت في كل ما لدي من جهد أن أحصل على قصتي من مصادرها العربية الأصلية.

ولعل أهم هذه المصادر تاريخ «محمد الطبري» الذي يسمى كثيراً «بليفي»(٢) العرب. لكن سرده للحملات الحربية لا يتسم دائماً بالوضوح)(٣).

---

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٦٩).

(٢) تيتوس ليفي (TITUS LIVY) (في ٥٩ قبل الميلاد إلى ١٧ بعد الميلاد) مؤرخ روماني مشهور، ولد في "بادوامن" ودرس دراسة عالمية متخصصاً في أدب الإغريق والمنطق والفلسفة، وكان من مؤيدي الحزب الجمهوري أثناء الحرب الأهلية ورفض التملق للإمبراطور أوغسطس على الرغم من المحاولات التي بذلها هذا لاجتذابه متنبئاً له بسقوط الإمبراطورية الرومانية. ومات في مزرعته في "اكتيوم". أشهر كتبه "التاريخ" المعروف باسمه والذي اعتمده "ميكافلي" في كتابه "مطارحته"، ولا تعتبر حقائقه التاريخية صادقة دائماً على الرغم من وفرة المصادر التي اعتمدها .ينظر: هامش كتاب الفتوحات العربية الكبرى (ص ٢٠).

(٣) (ص ٢٠).

ويقول ول ديورانت (W.DURANT) في كلامه عن الطبري وتاريخه وما ينقده عليه: (وشبيه بليفي في الغرب، أبو جعفر محمد الطبري (٨٣٨ – ٩٢٣) عند المسلمين.

كان أبو جعفر من أصل فارسي كما كان كثيرون من المؤلفين المسلمين... وهب أربعين عاماً من حياته لكتابة تاريخ عام سماه كتاب (أخبار الأمم والملوك) قص فيه تاريخ العالم من بدء الخليقة إلى عام ٩١٣ ... ذا روعة في بعض المواضع، ويتتبع فيه طريقة إيراد الحوادث مرتبة حسب تواريخ وقوعها عاماً بعد عام، وهي في العادة مصنفة منقولة من رواة قبله حتى يصل بها إلى من شاهدها بعينه، أو وقعت في أيامه، وفضل هذه الطريقة أنها تُعنى بذكر المصادر، ولكن لا يحاول تنسيق الروايات المختلفة ليكون منها قصة موحدة متصلة، ولهذا فإن تاريخه يبقى أكداساً من ثمار الجهد المضني لا عملاً من أعمال الفن)[1].

ويمكن القول أن تاريخ الطبري «الأمم والملوك» من دواوين التاريخ، فهو موسوعة تاريخية، قام على جمعها إمام ثقة في دينه وعدالته، قال عنه الخطيب البغدادي في كتابه: «تاريخ بغداد»:(كان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين... ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله)[2].

ووصفه الذهبي بقوله:(كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً، وكثرة، قلَّ أن ترى العيون مثله)[3].

والطبري من المحدثين الكبار والفقهاء المجتهدين الأفذاذ، وقد وجد في تاريخه

---

(١) قصة الحضارة (١٣، ١٤/ ١٧٢).

(٢) (٢/ ١٦٣).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٤/ ٢٦٧).

الصحيح والضعيف الواهي، والمكذوب الذي هو من قبيل الأساطير، وقد تعلق به كثير من أهل الأهواء، من المبتدعة، والمستشرقين حيث جعلوه عمدة لهم، ومنجنيقاً يرمون به قلاع الإسلام وأركانها. ثم يحتجون بأنه من رواية الطبري الإمام الثقة، وقد وجد رواة في أخبار الطبري من أمثال أبي مخنف[١]، وسيف بن عمر التميمي[٢] وغيرهما ممن هو مجروح في عدالته ودينه.

كما أن الإمام الطبري من الحفَّاظ، سار على طريقه العلماء من قبله حيث يروون في مصنفاتهم الروايات الضعيفة والواهية مع سكوتهم عليها في الغالب؛ لأنهم يرون أنه متى ما أُبرز الإسناد فقد برئوا من العهدة، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده.

وشاهد ذلك من قول الطبري في مقدمة تاريخه: (فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنًا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا)[٣].

وفي كيفية الاستفادة من تاريخ الطبري يقول محب الدين الخطيب رحمه الله: (. . .إنما ينتفع بأخبار «الطبري» من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل.

فتراجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في الأكثر في مثل «تذكرة الحفاظ» للذهبي.

وتراجم الرواة الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد في «خلاصة تهذيب

---

(١) وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي، الغامدي، أبو مخنف، عالم بالسير والأخبار، رافضي من أهل الكوفة. قال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الذهبي: أخباري تالف لا يوثق به. ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠١)، وميزان الاعتدال (٥/ ٥٠٨).

(٢) سيف بن عمر الضبي الأسيدي، ويقال: التميمي البرجمي، ويقال: السعدي الكوفي، مصنف الفتوح والردة، وغير ذلك. قال أبو حاتم: متروك، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر، توفي سنة ٢٠٠هـ. ينظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٣٥٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٢٣)، رقم (٣١٩٠).

(٣) (١/ ١٣).

الكمال» للصفي الخزرجي ، و«تقريب التهذيب» و«تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر ، والذين تناولهم الجرح من الضعفاء يترجم لهم الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» ، والحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ، وفي «طبقات ابن سعد» ، و«تاريخ بغداد» للخطيب ، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ، و«تاريخ الإسلام» للذهبي ، و«البداية والنهاية» لابن كثير .

وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوي ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف .

ولا نعرف أمَّة عُني مؤرِّخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها ، وشروط الانتقاع بها كما عُني بذلك علماء المسلمين ، وإن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي ، أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم ، ولا يتعرفون إلى رواتها ، ويكتفون بأن يشيروا في ذلك الخبر إلى أن الطبري رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني ، ويظنون أن مهمتهم انتهت بذلك فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي)(١) .

* **كتب المسعودي**: ومن المصادر التاريخية والتي اعتنى بها المستشرقون كتب المسعودي ، ومنها: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، والذي فُتنوا به ، وغضوا الطرف عن مآخذه ، وشناعة أخطائه .

يقول المستشرق بليائيف (**BELIAEV**) عن كتب المسعودي:(ومؤلفات «المسعودي» تمدنا بمعلومات قيمة وطريفة ، فهو مؤرخ وجغرافي ورحالة (توفي ٩٥٦) .

ومن كتبه التي وصلتنا: «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ، وكتاب «التنبيه والإشراف» .

وفي هذين الكتابين فيض من المعلومات المتنوعة عن ثقافة مختلف الشعوب الخاضعة للدولة الإسلامية وعاداتها ومعتقداتها ، هذا فضلاً عن ثقافة الأقطار التي كان

(١) مجلة البيان (ص ٥٥) ، عدد (٣١) ، محرم ١٤١١هـ ، أغسطس ١٩٩٠م نقلاً عن مجلة الأزهر (٢٤) .

لها علاقات سياسية مع الخلافة)[١].

ويقول عنه ول ديورانت (**W.DURANT**) في موسوعته: (يرى «المسعودي»، وهو أعظم من جاء بعد «الطبري» من المؤرخين، أن«الطبري» أعظم من سبقه منهم.

كان أبوالحسن علي المسعودي من أصل عربي في بغداد، وجاب بلاد سوريا وفلسطين، وبلاد العرب، وزنجبار، وفارس، وأواسط آسيه، والهند، وسرنديب (سيلان)، بل يقول هو: إنه وصل إلى بحر الصين)[٢].

وعن تأليفه في التاريخ يواصل ول ديورانت فيقول: (وقد جمع ثمار رحلاته هذه في موسوعة تشتمل على ثلاثين مجلداً، رآها علماء الإسلام أنفسهم، وهم المعروفون بغزارة مادتهم أطول مما يطيقون، ثم نشر موجزاً لها كان هو الآخر أطول مما يجب، ولعله رأى آخر الأمر، أن قُراءه لا يجدون في الوقت الذي يصرفونه في القراءة مثل ما يجده هو منه ليصرفه في الكتابة، فاختصر كتابه مرةً أخرى إلى الحد الذي نعرفه الآن وسماه بذلك الاسم الغريب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»)[٣].

وعن مكانة كتب المسعودي التاريخية يقول فازيليف[٤] (**VASILIEV,A.A**): (وكتب المسعودي مما يقرؤه المسلمون والأوربيون على السواء فيجدونه ممتعاً طليّاً؛ وذلك راجع إلى تنوع الأخبار التي يسوقها المؤلف وإلى قدرته على جعل سرده حيًّا في كتبه)[٥].

واعتماد المستشرقين على «المسعودي» وما نقله في كتبه عن الصحابة رضي الله

---

(١) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية، لبيائيف (ص ١٧٠).

(٢) قصة الحضارة (١٣، ١٤/ ١٧٣).

(٣) المرجع السابق (١٣، ١٤/ ١٧٣).

(٤) مستشرف روسي، ومن آثاره: نشر تاريخ المنبجي، وبمعاونة (كراتشكوفسكي، أغناطيوس، مستشرق روسي توفي ١٩٥١م) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، متناً وترجمة فرنسية وصنفا كتاباً عن (بيزنطة والعرب) في ثلاثة أجزاء، ونقل جزءاً منه إلى العربية الدكتور: فؤاد حسنين علي، وعبدالهادي شعيرة، وله دراسات عن شارلمان، وهارون الرشيد. توفي سنة ١٩٥٣م. ينظر: المستشرقون (٣/ ٧٨).

(٥) كتاب العرب والروم، لفازيليف (ص ٢٨٥).

عنهم والأحداث التي حصلت من الاختلاف وفتنة مقتل عثمان وغيرها؛ إنما يدل على هوى وافق رأيهم ومنهجهم في الكتابة عن خير العصور والقرون، والمسعودي قد ذمه عدد من العلماء النقّاد ووصفوه بالكذب والتشيع... **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنه:** (في تاريـــخ المسعـــــودي من الأكاذيـــب مـــا لا يحصيه إلا الله وقد عرف بالكذب)(١).

وقال عنه الذهبي رحمه الله: (كان أخبارياً صاحب ملح وغرائب، وعجائب، وفنون، وكان معتزليّاً)(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: (وكتبه طافحة بأن كان شيعيًّا معتزليًّا، حتى أنه في حق ابن عمر قال أنه امتنع عن بيعة علي بن أبي طالب، ثم بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية، والحجاج لعبدالملك بن مروان، وله من ذلك أشياء كثيرة)(٣).

وقد أكد أحد الباحثين وهو الدكتور: سليمان بن عبدالله السويكت في دراسته للمسعودي: (أنه ذو ميول شيعية قوية وأن حبه لآل أبي طالب لا يكاد ينتهي عند حد، فقد بالغ في الإشادة بهم وتقريظهم، والرفع من شأنهم، وتقصي أخبارهم ووفياتهم، في كلا كتابيه المطبوعين: المروج، والتنبيه)(٤).

وخلاصة القول: (أن نزعة المسعودي الشيعية قد أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على كتاباته في التاريخ الإسلامي، وعلى الرغم من محاولاته أن يبدو حيادياً في بعض الأحيان إلا أنه كان ينساق – حتى وإن عن غير قصد – إلى تدوين ما كان يعتقده ويراه حقّاً، أو ترجيح وتقديم الرأي الموافق لنزعته وميوله، وتأكد لنا من جهة ثانية أنه كان موضوعياً ملتزماً بمبدأ الحياد والتجرد في بحث أديان وتاريخ الأمم والشعوب غير المسلمة، أنه يتعين على من أراد أن يقرأ ما دوّنه المسعودي أو غيره من ذوي الميول

---

(١) منهاج السنة، لابن تيمية (٤/ ٥٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٥/ ٥٦٩).

(٣) لسان الميزان، لابن حجر (٤/ ٢٢٤).

(٤) منهج المسعودي في كتابه التاريخ، للدكتور: سليمان بن عبدالله السويكت (ص ٧٤).

والأهواء عن التاريخ الإسلامي وخاصة الفترات الغامضة فيه، أو التي حدث فيها اجتهاد واختلاف بين المسلمين أن يكون على حذر وانتباه وأن لا ينساق إلى تصديق ما يقرأه إلا بعد قيام الدلائل وثبوت الروايات من الأوجه الصحيحة المعتبرة)[١].

* **تاريخ ابن العبري**. ومن مصادر المستشرقين ما كتبه أحد السريان، عن تاريخ الدولة الإسلامية والذي وافق هوىً عند المستشرقين فأخذوا ينقلون منه، ويثنون على صاحبه وهو: أبو الفرج ابن العبري، وكتابه: «مختصر تاريخ الدول».

فيقول بروكلمان (BROCKELMAN) عن ابن العبري في دائرة المعارف الإسلامية: («ابن العبري» (بارهبرايوس (BARHEBRAEUS) بارعبرايا) وهو «غريغوريوس» أبو الفرج: مؤرخ عربي وآخر القدماء من مؤلفي السريان. ولد عام ١٢٢٦م في ملطية وكان أبوه طبيباً يهوديًّا اعتنق النصرانية، ومن ثم جاء لقبه «ابن العبري» الذي اشتهر به والذي لم يكن يميل إليه كل الميل، كما جاء أيضاً علمه باللغة العبرية التي كانت معرفتها نادرة بين معاصريه، والتي مكّنته مثلاً من دراسة قصة تلمودية عن «يوسف» راجعاً في ذلك إلى نصوصها الأصلية.

ومع أنه أُعد منذ نشأته ليكون من رجال الدين، وهو العمل الشريف لكل نصراني في ذلك العهد)[٢].

وعن تأليف «ابن العبري» تاريخهه وما تميز به، يقول بروكلمان: (وقد استطاع [ابن العبري] بالرغم من أعباء منصبه الديني المرهق أن يجد فراغاً يصرفه في تصنيفه الكثير من الكتب.

ومع أنه لم يأت فيها بشيء جديد فقد لخص جماع ثقافة قومه الفكرية، وكأنما كان المرآة الصادقة لهذه الثقافة.

... أما الجزء الأول من تاريخه العام الذي بحث فيه التاريخ السياسي منذ الخليفة إلى أيامه فهو أكثر مؤلفاته اتصالاً بالثقافة الإسلامية. وقد استعان في كتابته عن «تاريخ

---

(١) المصدر السابق (ص ٤٦٠).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٢٢٦)، مادة: (ابن العبري).

الإسلام» بمصادر عربية وفارسية . . . وأعد قبيل وفاته ترجمة عربية مختصرة للجزء الأول من تاريخه العام لسؤال بعض المسلمين، وأضاف إلى الترجمة زيادات في التاريخ السرياني، كما أضاف زيادات أخرى عن المؤلفات الطبية والرياضية عند العرب، وعنوان هذا المصنف:

«مختصر تاريخ الدول» (GREGORIO ABU'L-PHARAGIS HISTORIA ORIENTALIS) أما الجزءان الثاني والثالث من هذا المصنف اللذان لم ينقلا إلى اللغة العربية فقد تحدث فيهما ابن العبري عن تاريخ الكنيسة في الغرب في عهد البطارقة الذين كانوا يدينون بمذهب «الطبيعة الواحدة» إلى عام ١٢٨٥م، وتاريخها في الشرق في عهد جثالقة تكريت الذين كانوا يدينون بالمذهب نفسه إلى عام ١٢٨٦م، ولم يغفل ذكر النساطرة)(١).

كتاب «مختصر تاريخ الدول» لأبي الفرج غريغورس يوحنا، الشهير بـ «ابن العبري» المتوفى عام ١٢٨٦م، كتب بالسريانية وترجم جزء منه إلى العربية، وهذا الجزء رتبه على عشر دول من آدم إلى الدولة العاشرة: الدولة المتنقلة من ملوك العرب المسلمين إلى ملوك المغول(٢).

وهو لا يعتني بذكر أسانيد لأحاديثه ورواياته، كما أنه ذكر أخباراً لا توجد في غيره من كتب تاريخ المسلمين!؟ وخاض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه.

(وكتابه هذا من المصادر التي يتكئ عليها المستشرقون وأذيالهم من خريجي مدرسة التغريب، وقد كتبت أصوله بالسريانية، ثم تُرجم إلى العربية بعد أن حُذف منه الروايات والأفكار التي هاجم بها الإسلام ورسول الله ﷺ.

لقد وجَّه «ابن العبري» في كتابه انتقادات عنيفة للإسلام والرسول الكريم، وقد أَمِنَ غضب المسلمين لأنَّهُ كتب «تاريخه» بالسريانية التي كان يجهلها المسلمون، وعندما

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٢٢٧).

(٢) ينظر: (ص ١ – ٢).

طُلِب منه أن يترجم كتابه إلى العربية؛ ترجم الكتاب، وحذف منه تلك الانتقادات الموجَّهة ضد الإسلام وأهله.

لقد أظهر «ابن العبري» الخلفاء والولاة المسلمين بأنهم يميلون إلى البطش والتخريب، لقد كتب الجوانب السلبيَّة مجسَّمة وأغفل الجوانب الإيجابيَّة، وطمس روائع تاريخنا ولم يذكر منها في «تاريخه» إلا النادر، ولذا طار به المستشرقون أي مطار، وأكثروا من الاعتماد عليه كما فعل فيليب حتِّي في كتابه «تاريخ العرب المطول»)[١].

* **كتب اللغة والأدب:** اعتمد المستشرقون في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم على كتب اللغة والأدب، بل وجعلوها حكماً في بعض القضايا والنتائج التي تمخضت عنها فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وما تلا ذلك من الاختلاف الذي حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

لقد استهوت كتب اللغة والأدب عقول كثير من المستشرقين وذلك لأمور منها:

١ - أنها لا تعتمد على ذكر السند. ٢ - لا تبحث عن صحة النقل.

٣ - فيها شيء من الحكايات والأساطير.

٤ - التسليم بما فيها وأنها تعبر عن واقع المجتمع المسلم.

٥ - اهتمام المستشرقين بتعلم اللغة العربية وآدابها.

٦ - الأخير وهو الأهم أن هذه الكتب تصادف هوى المستشرقين مما يمكنهم من العمل على تشكيك المسلمين في قدواتهم ومبعث عزهم وفخرهم في هؤلاء الرجال العظماء - الصحابة رضي الله عنهم - .

كتب الجاحظ: (البيان والتبيين، والحيوان): فمن كتب اللغة والأدب، كتب الجاحظ من أمثال «الحيوان»، و«البيان والتبيين». فهذه الكتب اهتم المستشرقون بها في النقل والعزو إليها والاعتماد عليها، والجاحظ قد تكلَّم عليه العلماء بما يفيد عدم الوثوق به.

فقد قال عنه تلميذه «ابن قتيبة» رحمه الله: (الجاحظ وهو آخر المتكلمين

---

(١) كتب حذر منها العلماء (٢/ ٢٣).

والمعاير على المتقدمين وأحسنهم للحجة استثارة، وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يَعْظُم، وتصغير العظيم حتى يصغُر، ويبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء ونقيضه، ويحتج لفضل السودان على البيضان، وتجده يحتج مرة للعثمانية(١) على الرافضة(٢)، ومرةً للزيدية(٣) على العثمانية وأهل السنة، ومرةً

---

(١) العثمانية: نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقال لهم شيعة عثمان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لا ريب أن عثمان رضي الله عنه تقابلت فيه طائفتان: شيعته من بني أمية وغيرهم ومبغضوه من الخوارج والزيدية والإمامية وغيرهم. لكن شيعته أقل غلوًا فيه من شيعة علي، فما بلغنا أن أحداً منهم اعتقد فيه بخصوصية إلاهية ولا نبوة، ولا بلغنا أن أحداً اعتقد ذلك في أبي بكر وعمر، وكان من شيعة عثمان من يسبّ علياً، ويجهر بذلك على المنابر وغيرها لأجل القتال الذي كان بينهم وبينه. وكان أهل السنة من جميع الطوائف تنكر ذلك عليهم. كتاب منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٦/ ١٩٨ - ١٩٩، ٢٠١).

(٢) إحدى الفرق المخالفة لما في الكتاب والسنة، وهي من فرق الشيعة، قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في "المقالات": سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر".
وقال الرازي: إنما سموا بالرافضة لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج على هشام بن عبدالملك. فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا فارس. فقال لهم - أي زيد بن علي -: رفضتموني؟ قالوا: نعم. فبقي عليهم هذا الاسم. كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي (ص ٥٩ - ٦٠).
هذا وللرافضة عقائد: خالفوا بها الكتاب والسنة، أذكرها باختصار وهي:
١ - التوحيد، ويدخلون فيه نفي الصفات، وكانوا في بداية أمرهم يقولون بالتجسيم.
٢ - القول بأن القرآن مخلوق. ٣ - أن الله لا يرى في الآخرة.
٤ - العدل، ويدخلون فيه التكذيب بالقدر، وأن الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، ولا يقدر أن يضل من يشاء... وهم متأثرون بالمعتزلة.
٥ - نفي المعجزات لغير الأنبياءن وزادوا على ذلك فجعلوها للأئمة بزعمهم.
٦ - الإمامة، والتي جعلوها من أعظم أصولهم. ٧ - قالوا بتكفير الصحابة رضي الله عنهم.
وقال أبو الحسن الأشعري: "وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنصٍّ وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التَّقِيَّة أن يقول: إنه ليس بإمام، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن عليًّا كان مصيباً في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين..." كتاب مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩).
وقال السكسكي من الرافضة: "وقالا بتفضيل "علي" على سائر الصحابة، وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ وتبرأوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة إلا فرقة الزيدية. وقالوا: إن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي". كتاب البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل السكسكي (ص ٦٥).

(٣) الزيدية من الشيعة، فمعظمها ثلاث فرق، وهي: الجارودية، والسليمانية، وقد يقال الجريرية أيضاً، والبترية، وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في =

يفضِّل عليًّا رضي الله عنه، ومرة يؤخِّره ويقول: قال رسول الله ﷺ ويُتْبِعه قال «الجماز»[(١)]، وقال «إسماعيل بن غزوان»[(٢)] كذا وكذا من الفاحش، ويجلّ رسول الله ﷺ عن أن يذكر في كتاب ذُكرا فيه فكيف في ورقة أو بعد سطر وسطرين. ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين؛ فإذا صار إلى الرد عليهم تجوز في الحجة، كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون، وتشكيك الضعفة من المسلمين، وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث يريد بذلك استمالة الأحداث وشُرَّاب النبيذ).

وأما عن موقف الجاحظ من السُّنَّة، فيصفه ابن قتيبة بقوله: (ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم كذكره كبد الحوت، وقرن الشيطان، وذكر الحجر الأسود، وأنه كان أبيض فسوَّده المشركون؛ وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا؟!

ويذكر «الصحيفة» التي كان فيها المنزّل في الرضاع تحت سرير «عائشة» فأكلتها الشاة؟ وهو مع هذا من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل)[(٣)]، **وقد جعله ابن الجوزي في عِداد الضعفاء والمتروكين، فلا يوثق بحديثه**[(٤)]، **ووصفه النووي**: (بالمغموص عليه في دينه)[(٥)].

وقال الذهبي رحمه الله: (العلامة المتبحر ذو الفنون، أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي صاحب التصانيف)، وفي موضع آخر يقول: (قلت ماجناً قليل

= أيام خروجه، وكان ذلك في زمن هشام بن عبدالملك. كتاب الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي (ص١٦)، وينظر: كتاب الزيدية نشأتها ومعتقداتها، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع (ص ١١، وما بعدها).

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) كتاب: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (ص ٤١ – ٤٤).

(٤) ينظر: كتاب الضعفاء والمتروكين (٢/ ٢٢٣).

(٥) شرح صحيح مسلم، للنووي (١١/ ٩١).

الدين له نوادر)(١) .

ولقد أثرت اعتزاليته عليه في كثير من كتبه مثل: «البيان والتبيين» و«الحيوان» و«البخلاء» وغيرها ، حيث تجد الاهتمام بالبلاغة ، ومعرفة أشكال الجدل والمناقشات في المنازعات ، وهذا تجده في كتابه «البيان والتبيين» ، وأما كتاب «الحيوان» فتجد الاهتمام بالاستدلالات الشعرية والقصصية وكذلك في كتاب «البخلاء» .

وقد خلص أحد الباحثين في دراسته للجاحظ إلى نتائج أهمها: أن الجاحظ قد ستر ما كان يعتقد من مذهب المعتزلة ، بكتاباته الأدبية ، فقال: (إن طغيان الجانب الأدبي عنده على الجوانب الفكرية الأخرى كان كالغصن الكبير الذي حجب الشجرة؛ فشغف الناس بأدبه وكلفوا به وأعرضوا عن الجوانب الأخرى في حياة الجاحظ خاصة مذهبه «الاعتزالي» فقد قام بنصرته وتوضيح مبادئه وجلاء مفاهيمه ، وقد أضاف إلى الفكر الاعتزالي إضافات تنسجم مع منزعه الطبيعي ، وتتلاءم مع ما جاء في هذا الميدان ، كما أن إسلاميات «الجاحظ» من التراث ينبغي إعادة النظرة في مجمل هذا التراث ، لاستنباط ما هو صالح منه للحياة ، بكل طموحاتها ، كما ينبغي غربلة هذا التراث ونخله مما شابَه من الغلو أحياناً والدس أحياناً أخرى)(٢) .

* **كتاب العقد الفريد، لابن عبد ربه:** ومن كتب الأدب التي يعتمد عليها المستشرقون هو: كتاب «العقد» ، أو العقد الفريد ، مع أن هذه التسمية متأخرة حيث أنه لم يعرف إلا بكتاب «العقد» كما جاء عند ابن خلكان ، والذهبي وغيرهما(٣) .

وهذا الكتاب ألفه أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم القرطبي ، مولى هشام بن عبدالرحمن الأموي ، توفي سنة ٣٢٧هـ ، وبرع في الأدب من نثر ونظم ، وأتقن الفقه .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٧) ، ولسان الميزان ، لابن حجر (٤/ ٣٥٥) .

(٢) ينظر: كتاب الجانب الاعتزالي عند الجاحظ ، للدكتور: بلقاسم الغالي (ص ٣٤٣ ، ٣٤٨) ، بتصرف يسير ، وينظر: كتاب أبو عثمان الجاحظ ، لمحمد عبدالمنعم خفاجي (ص ٣٠٩) .

(٣) ينظر: مقدمة كتاب العقد ، لابن عبد ربه ، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين (١/ ٦) [بتصرف] .

لقد اتصف بصفات الندمان ؛ من حب الموسيقى ، وغرام بالصوت الحسن والوجه الحسن ؛ إلا أنه عندما أصبح شيخاً ترك اللهو ، وندم على ما فرط في زمانه[١] .

(والكتاب كله صدىً لشخصيته ، فهو أديب حسن الذوق في الاختيار ، وإن كان ذوقه ينبو أحياناً فيروي من الهجر ما لا يليق ، ولكن لا يفوتنا أن لكل عصر ذوقه ولكل بيئة حكمها ، وهو نديم تابع للأمراء والخلفاء ، فيتسع في ذكر الأجواد وعطاياهم حتى يرقق قلوبهم ويلين أيديهم فتغدق عليه هو وأمثاله ، وهو مثقف ثقافة دينية فيُعنى بحلال النبيذ وحرامه ، وبالمذاهب الدينية وأقوال الفرق ، وهو أميل إلى التشيع في اعتدال ، فيقص ما يعلي شأن الطالبيين في رفق ، ولا يتحرج من ذكر ما ليس من مذهبه ، وهو شغوف بالموسيقى والغناء ، يبث في ثنايا كلامه ما يمجدها ويعلي شأنهما ، وهو شاعر يعنى بالعروض ، ويضع له باباً طويلاً ؛ ثم هو فوق ذلك يمتاز عن غيره . . . بميله الشديد إلى التاريخ يعرضه ويتوسع فيه وينقل منه كثيراً ممزوجاً بالأدب ؛ فكلامه كثير في الوفود ، وفي الأنساب ، وفي أيام العرب ، وباب في أخبار زياد والحجاج ، ويختارهما – خاصة – لأنهما شخصيتان تُشبعان ميله التاريخي والأدبي معاً ، ثم باب واسع مطول في الخلفاء وتواريخهم)[٢] .

والخلاصة: أن الكتاب مخلوط صحيحه بوَاهِيْه ، محذوف منه الأسانيد والرواة ، واعتمد على مصادر لا يجوز النقل منها إلا بعد التثبّت ، وفيه ميل إلى الفكاهة والدُّعابة ، وينزع إلى القصص والنوادر ، ولا يستنكف عن ذكر بذي اللفظ وسافل المعنى ، ورغم ذلك ، فإن المسحة الأدبية تبدو قوية ، يشعر بها كل من يقرأ «العقد» أو يتصفحه[٣] ، لذا كان من الكتب والمصادر المعتمدة عند المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم .

* **كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني:** لقد كان أبو الفرج الأصفهاني وكتابه

(١) ينظر: الإكمال لابن ماكولا ، لعلي بن هبة الله بن ماكولا (٦/ ٣٦) ، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٣) .

(٢) مقدمة محقق العقد الفريد (١/ ٩) .

(٣) ينظر: كتب حذر منها العلماء ، لمشهور حسن آل سلمان (٢/ ٤٤) .

مصدراً رئيساً ومهماً لدى المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، بل وفي كتاباتهم عن الإسلام وأهله.

فعرَّف بروكلمان (BROCKELMANN) أبو الفرج الأصفهاني، في دائرة المعارف الإسلامية فقال: (أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد القرشي الإصبهاني، أو (الأصفهاني): مؤرخ عربي من نسل الأمويين، ولد في (إصفهان) عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) درس في (بغداد) ثم عاش عيشة الأديب الجوال، وحظي برعاية (سيف الدولة)[١] ثم إسماعيل ابن عباد[٢]، والمهلبي[٣] وهما من وزراء بني بويه، كما نال رعاية الأمويين في الأندلس، مع أنه لم يسعَ إلى ذلك شخصيًا، وتوفي أبو الفرج في الرابع عشر من ذي الحجة عام ٣٥٦هـ (٢١ نوفمبر عام ٩٦٧م).

ويقول في موضع آخر: (وأهم تصانيفه، ولم يصل إلينا غيره، مصنفه المشهور «كتاب الأغاني» جمع فيه الأغاني التي كانت شائعة في عصره مع ذكر شيء عن ناظميها وأنسابهم التي كانت تبدو له ذات قيمة وكان قد جمعها قبل المصنف مجموعة أكبر من الأغاني ذكر ألحانها من غير أن يعلق عليها.

وقد بدا أبو الفرج كتاب «الأغاني» بذكر المائة الصوت التي دونها بأمر «هارون

---

(١) أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان صاحب حلب، كان أديباً مليح النظم، فيه التشيع، مات سنة ٣٥٦هـ.

ينظر: كتاب سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٦/ ١٨٧)، ومعجم الأعلام (ص ٥٢٣).

(٢) إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني، الأديب الكاتب والوزير، يكنى بأبي القاسم. كان شيعيًا معتزليًا مبتدعاً تيَّاهاً صلفاً جبَّاراً. قيل: إنه ذكر له البخاري فقال: ومن البخاري؟ حشوي لا يعول عليه. نكب ونفي ثم رد إلى الوزارة، توفي سنة ٣٨٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٦/ ٥١١ – ٥١٢)، وميزان الاعتدال، للذهبي (١/ ٣٦٩)، ومعجم الأعلام (ص ١٠٣).

(٣) هو الحسن بن محمد بن عبدالله بن هارون الوزير المهلبي، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو محمد، من كبار الوزراء والأدباء الشعراء، توفي سنة ٣٥٣هـ. ينظر: كتاب معجم الأعلام (ص ٢٠٣).

الرشيد» إبراهيم الموصلي[١]، وإسماعيل بن جامع[٢]، وفليج بن العوراء[٣]، وهم أشهر المغنين في عهد الرشيد، والتي غناها إسحاق بن إبراهيم في عهد الخليفة الواثق)[٤].

ويلي ذلك منتخبات من «الأغاني» خاصة بالذكر منها: أغاني الخلفاء وأبنائهم. كما ذكر مع كل صوت لحنه كما غناه إسحاق بن إبراهيم الموصلي(٥).

وأضاف إلى ذلك إشارات مستفيضة عن الشعراء والملحنين والمغنيين ذكوراً وإناثاً، ولم يلزم أبو الفرج في هذا الكتاب نظاماً معيناً)[٦].

وعن أهمية كتاب الأغاني يقول (بروكلمان): (لا يعتبر [الأغاني] أهم مرجع للتاريخ الأدبي إلى القرن الثالث الهجري فحسب، بل يعتبر أيضاً أهم مصدر لتاريخ الحضارة، وقد بيَّن لكل أغنية لحنها، وإن كان هذا هو أقل ما اشتمل عليه الكتاب. فلقد أضاف معلومات وفيرة عن الشعراء الذين نظموا هذه الأغاني وساق تفصيلاً عن حياتهم، واستشهد بكثير من أبياتهم، كما تكلم عن الملحنين وألحانهم.

هذا إلى ما زودنا به من تفصيلات كثيرة عن القبائل العربية القديمة وأيامها

---

(١) إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان بن بهيمن بن نسك، قال إسحاق عن أبيه وأصلنا من فارس، ولنا بيت شريف في العجم، وكان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث، أُسلِم إلى الكتَّاب فكان لا يتعلم شيئاً ولا يزال يضرب ويحبس ولا ينتجع ذلك فيه... وهرب وتعلم، وزعم أبو الفرج الأصفهاني أن الموصلي لازم المهدي، والرشيد، وأن الأخير سمع منه الغناء، وكان الموصلي هذا صاحب خمر ومجون وغناء وفكاهة، توفي سنة ١٨٨هـ. ينظر: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٥/ ١٥٤).

(٢) هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبدالمطلب بن كعب بن لؤي بن غالب، ويكنى أبا القاسم. نسبه أبو الفرج الأصفهاني إلى التقوى، وحفظ القرآن، وحب القمار؟ وحب الكلاب!؟ وكان من أكابر المغنين الملحنين، توفي سنة ١٩٢هـ. ينظر: كتاب الأغاني (٦/ ٢٨٩)، ومعجم الأعلام (ص ١٠٢).

(٣) فليح بن أبي العوراء، رجل من أهل مكة، مولى لبني مخزوم، وأحد مغني الدولة العباسية، له محل كبير من صناعته وموضع جليل. ينظر: كتاب الأغاني (٤/ ٣٥٩).

(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٣٨٥).

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، أبو محمد، وهو أحد المغنين على طريقة والده، توفي في خلافة المتوكل سنة ٢٣٥هـ. ينظر: الأغاني (٥/ ٢٦٨).

(٦) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٣٨٥).

وحياتها الاجتماعية وحياة البلاط في عهد الأمويين ، وحال المجتمع أيام الخلفاء العباسيين وخاصة (هارون الرشيد) ، وما كانت عليه بيئة الموسيقيين والمغنيين .

وصفوة القول فإن «الأغاني» يعرض لنا الحضارة العربية جمعاء من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) هذا إلى ما أسداه إلينا صاحب «الأغاني» من فضل آخر بانتهاجه سنة الكتّاب العرب واستشهاده بفقرات طويلة لكتّاب قدامى لم تصلنا مؤلفاتهم ، ومن ثم فإنه كتابه مرجع أيضاً لتطور الأسلوب العربي)[١] .

ويقول عنه المستشرق ليفي دلافيدا (LEVI DELLAVIDE) عند تعليقه على أصل بني أمية ونهاية دولتهم: (وبالرغم من أن العباسيين أبادوا معظمهم عام ١٣٢هـ ، فقد بقي بعضهم ، ومن هؤلاء: أبوالفرج صاحب كتاب «الأغاني» ، وهو من سلالة مروان الأول ، ومن غريب أمر أبي الفرج أن له آراء في التشيع تتنافى وانتسابه لبني أمية)[٢] .

وتقول المستشرقة الإيطالية (نلّينو . ماريّا)[٣] (**MARIA NALLINO**) :(أنه من أصل عربي قح من قريش ، وعلى التدقيق فهو مرواني أموي ، وكان مع هذا شيعيًّا ؛ درس في بغداد حيث قضى معظم حياته في ظل البويهيين وخاصة الوزير المهلبي . وقد لقي أحفل ترحيب في حلب ببلاط الأمير سيف الدولة الحمداني . . . وأجل كتبه شأناً كتاب «الأغاني» ، وقد قضى في تصنيفه – حسب قوله – خمسين عاماً ، وفي هذا الكتاب جمع أبو الفرج الأغاني التي اختارها بأمر من «الرشيد» (الموسيقيون المشهورون إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع ، وفليح بن أبي العوراء ، وراجعها من بعدهم إسحاق بن

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٣٨٦) .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٦٦٤) مادة: (أمية) .

(٣) هي ابنة المستشرق الإيطالي كرلو ألفونسو نلينو ولدت في مدينة بلرمو (صقلية) عام ١٩٠٨م ، وعني أبوها بتعليمها ، حتى حصلت على الدكتوراه الأولى في سنة ١٩٢٩م ، وقد اهتمت ماريا بالشعر الجاهلي ، ولها مشاركات في دائرة المعارف الإسلامية . بالإضافة إلى كتابات سياسية وتاريخية فكتبت عن تاريخ الجزيرة العربية مات سنة ١٩٧٤م . ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٥٨٨ – ٥٩١) .

إبراهيم الموصلي) وأضاف أبو الفرج أغاني آخرين مثل معبد[١] وابن سريج[٢] وخلفاء وذراريهم .

وهناك مصنف آخر لأبي الفرج انتهى إلينا ، وهو «مقاتل الطالبيين وأخبارهم» وهو كتاب في التاريخ ، كتب سنة (٣١٣هـ - ٩٢٣م) ، وينتظم تراجم لأحفاد أبي طالب ابتداء من جعفر بن أبي طالب إلى الحفيد المتم السبعين ، توفي زمان المقتدر ٢٩٥ - ٣٢٠هـ « ٩٠٨م - ٩٣٢م) الذين لقوا حتفهم لأسباب سياسية وكذلك الذين أدركتهم المنية وهم في السجن أو مستترون . وهذا الكتاب طبع على الحجر بـ «طهران» سنة ٣٠٧هـ)[٣] .

ولقد كان كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني عمدة عند المستشرقين يقدسون نصه وكأن الحق لا يعدوه ، فيحكمون به على كثير من النصوص الشرعية والأخبار والروايات الصحيحة التي رواها جهابذة العلماء .

وانظر إلى منزلة أبي الفرج الأصبهاني وكتابه في ميزان الجرح والتعديل .

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه أن أبا محمد الحسن بن الحسين ابن النوبختي[٤] كان يقول: (كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس ، كان يشتري شيئاً كثيراً من

---

(١) الأصفهاني: كان معبد اليقطيني غلاماً خلاسياً (الولد بين أبوين أبيض وأسود) ، من مولدي المدينة ، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين ، وأخذ الغناء عن جماعة من أهلها ، وعن جماعة أخرى من عِلية المغنين بالعراق في ذلك الوقت ، مثل ابن إسحاق وابن جامع . ولم يكن من ذكر بطيب المسموع ، ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد ، ومات في أيامه ، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة . الأغاني (١٤/١١٦) .

(٢) هو عبيد بن سريج ، ويكنى أبا يحيى ، مولى بني نوفل بن عبدمناف . وقيل: مولى لبني الحارث ابن عبدالمطلب ، وقيل مولى لبني ليث . وقال ابن الكلبي عن أبيه قال: كان ابن سريج مخنثاً أحول أعمش يُلقب 'وجه الباب'، وصلع فكان يلبس جمة ، وما كان يغني إلا مقنعاً يسبل القناع على وجهه ، توفي في زمن خلافة سليمان بن عبدالملك أو الوليد . ينظر: كتاب الأغاني (١/٢٤٨) .

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/٣٨٧ - ٣٨٩) ، وينظر: قصة الحضارة ، لديورانت (١٣ ، ١٤/٢٢٥) .

(٤) هو الحسن بن الحسين بن علي بن العباس بن إسماعيل ، أبو محمد النوبختي الكاتب ، قال الأزهري عنه: 'كان النوبختي رافضيًا رديئ المذهب'. وسئل البرقاني عن النوبختي فقال: 'كان معتزليًا ، وكان يتشيع ، إلا أنه تبين أنه صدوق'. توفي سنة ٤٠٢هـ . ينظر: تاريخ بغداد (٧/٢٩٩) .

الصحف، ثم تكون كل رواياته منها)[1].

وقال ابن الجوزي: (...ومثله لا يوثق بروايته، يُصرِّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتب«الأغاني» رأى كل قبيح ومنكر)[2]، **وقال الإمام الذهبي:** (علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، الأموي، صاحب كتاب «الأغاني» شيعي، وهذا نادر في أموي، كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس، والشعر، والغناء والمحاضرات. يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا)[3].

وفي موضع آخر قال: (رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعِّفه ويتهمه في نقله ويستهول ما يأتي به...)[4].

وقد دُرست شخصية أبي الفرج الأصفهاني وكتابه «الأغاني» في الكتابات المعاصرة ومنها ما يقوله الدكتور: محمد أحمد خلف، في خاتمة كتابه (أبو الفرج الأصفهاني الراوية) بعد دراسة متأنية له: (ولقد وقفنا على ما لأبي الفرج من ميول وأهواء فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء، كلما حاولنا الاعتماد على ما خلَّف الرجل من مرويات فقد يكون الرجل مضللاً. وقد يكون صاحب غرض وهوى.

وليس يخفى أن للأهواء حكمها في التاريخ، وهو حكم قد يملي رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب، وإنما أيضاً في الكتمان)[5].

ويقول وليد الأعظمي في كتابه: «السيف اليماني في نحر أبي الفرج الأصفهاني»:

(اعتمد أبوالفرج الأصفهاني في كثير من أخباره السوداء المظلمة المسمومة، على

---

(١) تاريخ بغداد (١١/٣٩٨).
(٢) كتاب: المنتظم لابن الجوزي (٧/٤٠).
(٣) ميزان الاعتدال، للذهبي (٥/١٥١)، وانظر: لسان الميزان، لابن حجر (٤/٢٢١).
(٤) عيون التاريخ، لابن شاكر، نقلاً عن كتاب أبو الفرج الأصبهاني، وكتاب الأغاني، لمحمد عبدالجواد الأصمعي (ص ٩٥).
(٥) (ص ٣١٨)، وانظر: كتاب أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني، لمحمد عبدالجواد الأصمعي (ص ١٦١ – ١٩٧)، وكتاب دراسة الأغاني، تأليف: شفيق جبري.

طائفة خبيثة من الرواة الكذابين، والمجروحين، والمطعون عليهم، واعتبر أخبارهم موثقةً ولوَّث صفحات تاريخنا وأدبنا بالسخائم والبلايا.

ولقد حَمَل كتاب «الأغاني» الإساءة إلى آل البيت رضوان الله عليهم، فـ(إن كتاب الأغاني طافح بالأخبار التي تسئ إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح سيرتهم، وتقدح في سلوكهم، وتهوِّن أمرهم، وتوهِّن شأنهم، وتجعل منهم عُشَّاقاً للهو والطرب والعبث. فالإمامان الحسن والحسين مغفَّلان منقادان لابن أبي عتيق[١]، والإمام الحسين يقضي وقته لاهياً مع أشعب[٢] في المدينة.

ويزيد بن معاوية يشرب الخمر بمجلسه، وعنده الإمام الحسين فلا ينكر عليه، ومعبد[٣] يُغني لزوجة الإمام الحسين، والسيدة سكينة[٤] سفيهة ماجنة رعناء، تحتكم في جمالها إلى عمر بن أبي ربيعة[٥]، وتجمع النساء لملاقاة عمر بن أبي ربيعة والحديث معه، وهي تحكم بين المغنين، ويموت المغني «حنين»[٦] الحيري في بيتها حين سقط السقط على الحاضرين. إلى غير ذلك من الأخبار التافهة الواهنة الواهية).

(كما أساء الأصفهاني إلى آل البيت النبوي الشريف، فقد أساء إلى الأمويين، ولا ندري كيف نوفِّق بين ادعاء الأصفهاني بأنه أموي النسب، وهو يشتم أجداده، ويسئ إليهم، وكيف يدعي الأصفهاني التشيّع والولاء لآل البيت، وهو يطعن فيهم

---

(١) لم يتضح لي من المقصود بابن أبي عتيق هذا.

(٢) هو أشعب بن جبير، الطامع، مدني، يعرف بابن أم حميدة، له نوادر، توفي سنة ١٥٤هـ. كتاب تاريخ بغداد (٦/ ٣٨)، وميزان الاعتدال (١/ ٤٢٢)، ومعجم الأعلام (ص ١٠٩).

(٣) لعله: معبد بن وهب المغنّي، أبو عباد المدني، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، توفي سنة ١٢٦هـ. ينظر: معجم الأعلام (ص ٨٥١).

(٤) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، نبيلة شاعرة كريمة، توفيت سنة ١١٧هـ. معجم الأعلام (ص٣٠٨).

(٥) هو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو حفص، من أرق شعراء عصره، توفي سنة ٩٣هـ. ينظر: كتاب تهذيب اللغات والأسماء، للنووي(٢/ ٣٣٤)، ومعجم الأعلام (ص ٥٤٩).

(٦) هو حنين بن بلوع الحيري، شاعر غزل، موسيقي، من كبار المغنين، توفي سنة ١١٠هـ. معجم الأعلام (ص ٢٣٢).

ويجرح سيرتهم .

لقد شفى الأصفهاني غيظه من آل البيت ، ومن الأمويين ، ونال منهم وجرح سيرتهم . . . ولكنه لم يكتف بذلك ، بل راح يشتم دين الإسلام علناً ، وأدار ذلك بالحكاية على لسان منظور بن زبان(١) ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم فضَّل الجاهلية ، واعتبرها خيراً من الاسم ، وذلك على لسان عبدالله بن عباس رضي الله عنه .

ثم راح الأصفهاني يشيد بالبرامكة ويدافع عنهم ، ويورد أخباراً في ندم «الرشيد» على الفتك بهم .

ثم أشاد بالفرس ، وأنهم بنوا الكعبة في عهد «ابن الزبير» ، وأن العرب تعلموا الغناء من الفرس عند بناء الكعبة!!

وراح الأصفهاني يتخبط ويضطرب في تزوير أحداث التاريخ وأسماء الأعلام وتواريخ الوفيات(٢) .

ولعله بعد هذا العرض لكثير من أقوال العلماء والباحثين عن أبي الفرج الأصبهاني وكتابه «الأغاني» يُفسر اهتمام المستشرقين وتلاميذهم من التغريبيين وغيرهم

---

(١) منظور بن زبَّان بن سيَّار بن عمر بن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمي بن مازن بن فزارة: قال ابن حجر: ذكر الدارقطني وعبدالغني بن سعيد في 'المشتبه' عن المفضل الغلابي أنه قال في حديث البراء بن عازب ، أتيت خالي ومعه الراية فقلت: إلى أين؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن أضرب عنقه ، قال: هذا الرجل هو منظور بن زبَّان .

وحكى عمر بن شبة أن هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ [النساء: ٢٢] نزلت في منظور بن زبَّان ، خلف على امرأة أبيه واسمها مليكة ، وأن أبا بكر الصديق طلبهما لما ولي الخلافة إلى أن وجدهما بالبحرين فأقدمهما المدينة ، وفرق بينهما ، وأن عمر أراد قتل منظور فحلف بالله أنه ما علم أن الله حرم ذلك . . . وهذا يدل على أن منظور لم يقتل في عهد النبي ﷺ فلعل خال البراء لم يظفر به بل لما بلغه أنه قصده هرب . ينظر: كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (ص ١٢٩٤) رقم ٨٨٣٧ ، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير (١٩٨/٤) ، رقم ٥١٢٢ .

(٢) ينظر: كتاب السيف اليماني (ص ٢٧) .

بأبي الفرج الأصبهاني وأغانيه في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، بل وعن العصور والقرون المفضلة ومن جاء بعدها.

حيث اعتمد المستشرق لامنس على كتاب الأغاني، في كتابة «تاريخ بني أمية» وفيليب حتي في كتابه «تاريخ العرب المطول» بل وفلهوزن في كتابه «الإمبراطورية العربية» . . .

وقد يقول قائل: إن هناك من العلماء كابن حجر وغيره نقل عنه في «فتح الباري»، وفي «الإصابة» وأكثر من الاعتماد عليه في أخبار الصحابة رضوان الله عليهم؟

والجواب أن يقال: أن العلماء رحمهم الله نقلوا عنه ما كان في الروايات التاريخية والتي تحتاج إلى أن يناقش فيه الخطأ في الرواية والتباس الأمر عليه كأن يشير إلى حادثة وقعت لشخص في زمن متأخر في الوقت الذي يكون فيه ذلك الشخص قد مات في فترة مبكرة ماضية وما شابه ذلك[1].

وقد يكون ذلك أيضاً من حشد الأدلة على حادثة استفاض النقل والكلام عليها في الكتب.

أو أنهم ينقلونها ليعلم بأن هناك قول آخر، كما ينقلون الأحاديث الضعيفة والموضوعة ليعلم حالها.

ومن العلماء من يرى بأنه إذا أسند فقد برئ، كما وجد عند بعضهم من أمثال الإمام محمد بن جرير الطبري في تاريخه، وأبي نعيم الأصبهاني في الحلية، والله أعلم.

وفي الأخير: أنبّه على أن ما ذكر من كتب اللغة والأدب ما هي إلا نماذج على موقف المستشرقين من هذه الكتب والعمل على توظيفها فيما يخدم أهدافهم في الكتابة عن الإسلام وعن رجاله العظماء (الصحابة رضي الله عنهم).

كما أن هناك من كتب الأدب الكثيرة التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتمحيص في رواتها وأخبارها كما في كتاب ابن قتيبة عيون الأخبار، على جلالة قدره

(١) دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه، لداود سلُّوم (ص ٨٢ – ٨٣).

إلا أنه رحمه الله لم يميز صحيحها من سقيمها.

وهناك الكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي...

(ولهذا فإن كتب الأدب يجب أن تخضع في طبعاتها للمنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، ويعلق على أخبارها ويحكم على صحتها أو اختلاقها بما تستحقه، وهذه خدمة عظيمة للفكر الإسلامي وللأدب نفسه)(١).

* **كتب المستشرقين**: المستشرقون بعضهم أولياء بعض، يحبون عمل الدعايات لقراءة نتاجهم الفكري، ويثنون عليه في كل مناسبة تحين لهم.

يقول الدكتور: **محمد خليفة حسن**: (وهكذا جاءت الكتب والمؤلفات الحديثة التي صدرت في الغرب عن الإسلام، لا تختلف في روحها ومادتها العلمية ونظرتها عن الإسلام عما كتبه السابقون. وكثيراً ما يستشهد كتَّاب اليوم في كتاباتهم عن الإسلام بنصوص يقتبسونها من مستشرقي الأمس.

وربما أحسوا وهم يفعلون ذلك بقدر من الزهو، والظهور في صورة المتعمقين في الدراسات الشرقية الإسلامية.

ولو أنهم عكفوا على دراسة الحضارة الإسلامية دراسة واعية أمينة في مصادرها الأولى لصححوا كثيراً من مفاهيمهم الخاطئة أو المبتورة عن تلك الحضارة، فضلاً عن بعض المفاهيم التي استقوها عمن يعتبرونهم رسل الاستشراق السابقين.

لكن ربما يحول دون قيامهم بمثل هذه الدراسات أن كثيرين منهم لا يعرفون من اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية إلا القليل الذي لا يكفي إلا للتظاهر والتباهي.

هذا بالإضافة إلى أن كثيرين منهم ليست لديهم القدرة والجرأة على مخالفة السابقين)(٢).

وفي مقابل الثناء على المستشرقين القدامى ومؤلفاتهم، ومحاولة الاعتبار لهم نجد التقليل من شأن الكتابة التاريخية العربية عن الإسلام في مصادره الأولى والمتأخرة.

---

(١) كتاب: مصادر السيرة النبوية وتقويمها (ص ١٥٠).

(٢) كتاب: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، للدكتور: محمد خليفة حسن (ص ٦٩ – ٧٠).

وهذا عرض لبعض ما كتبه المستشرقون، فليتأمل.

وافق ليفي دلافيدا (**LIVI DELLAVIDA**) على ما جاء في كتاب فلهاوزن عن تاريخ الدولة الأموية، وأن الصور التي رسمها صحيحة فيقول: (يسمي الأستاذ فلهاوزن (WELLHAUSEN) كتابه القديم عن العصر الأموي «الإمبراطورية العربية» وهو يريد بهذا أن يبين أن الخلافة الأموية تتجلى فيها محاولة العرب أن يمكنوا سلطانهم في الدنيا كدولة، على حين أن أمر الدين كان «ثانوياً» في هذه المحاولة.

على أن الصورة العامة التي رسمها «فلهاوزن» لتاريخ بني أمية لاتزال صحيحة وإن كان قد مضى عليها ثلاثون عاماً)[١] أ.هـ

ويقول أميل درمنغم (**DERENGHEM**) في نقد مُبطَّن بالمدح عن كتابات هنري لامنس اليسوعي: (ومن دواعي الأسف أن كان الأب لامنس، الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين، من أشدهم تعصباً وأن شوَّه كُتبه الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام وبني الإسلام، فإن كتب الأب لامنس ذات قيمة، وقد انتفعنا بما جاء فيها عن مهد الإسلام، وتاريخ مكة)[٢].

هكذا حالهم مع أساتذتهم الذين يتعلمون منهم دراسة الإسلام وتاريخه وما يختص به.

ويُثني المستشرق دلافيد (**DELLAVIDA**) على كتابات «لامنس» عن الإسلام فيقول: (قد فصَّل «لامنس» (LAMMENS) فيما كتبه من بحوث كثيرة مملوءة بالعلم الغزير الصورة الإجمالية التي وضعها «فلهاوزن» والتي تمثل الحقائق من بعيد تمثيلاً تقريبياً)[٣].

وانظر النقد الهادي المهذب في كتابة دلافيدا عن المستشرق «كايتاني» حيث يقول:

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٦٦٦) مادة: (أمية).

(٢) حياة محمد، لإميل درمنغم (ص/ح).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٦٦٦) مادة: (أمية).

(ووفق «كايتاني» CAETANI في تفصيل إشارة أخذه عن «فينكلر»[١] تفصيلاً علمياً قد يكون مبالغاً فيه، وقد بيَّن ما نشأ عن تعاظم شأن العرب بعد دخولهم الإسلام.

وتكلم على الهجرات المسلحة التي قامت بها قبائل الصحراء إلى شمالي جزيرتهم ليستوطنوا بلاداً أكثر خصوبة من بلادهم على أنه مع هذا كله لايزال المؤرخون المحدثون الذين يكتبون في تاريخ الأمويين يتبعون الهيكل الذي وضعه «فلهاوزن»)[٢].

وتقول المستشرقة فتشيا فاغليري (**L.VECCIA VAGLIERI**) في مدح لامنس وفلهوزن أثناء كلامها على حادثة مقتل الحسين رضي الله عنه: (ومن بين الدارسين للإسلام من أهل الغرب نجد أن فلهاوزن ولامنس هما اللذين حكما على شخصية «الحسين» بعد دراسة مستأنية للمراجع التي توفرت لهما.

وقد اهتدى «فلهاوزن» بحسه الدقيق بالحقائق التاريخية، فرسم صورة جيدة للمواقف وللشخصيات)[٣].

ومدح المستشرق إميل درمنغم (**DERMEGHEM**) المستشرقين الذين جدوا في دراسة الإسلام، وعدَّد بعضهم فقال: (وقد حالت الأوهام والأباطيل دون درس أصول الإسلام ومبادئه في «أوربة» زمناً طويلاً، ثم جدَّ في البحث العلمي بعض العلماء في القرن التاسع عشر، ومنهم كوسان دوبر سفال[٤]، ....

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٦٦٦)، مادة: (أمية).

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٢/ ٣٨٧٤) مادة: (الحسين).

(٤) كوسان دي برسفال (JACQUES-ANTOINE CAUSSIN DE PERCEVAL) (١٧٥٩ - ١٨٣٥)، مستشرق فرنسي وكذلك ابنه، دَرسَ اللغات الشرقية في باريس في مطلع شبابه. وصار أستاذاً في الكوليج دي فرانس، وحفيظاً على المخفوظات الشرقية في المكتبة الوطنية. وانتخب عضواً في معهد فرنسا.
وأهم أعماله:
١ - تاريخ صقلية تحت حكم المسلمين، وهو منتزع من نهاية الأرب للنويري (باريس ١٨٠٢).
٢ - تكملة ألف ليلة وليلة (١٨٠٦).
٣ - الجداول الفلكية، لابن يونس (١٨٠٦).
ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٤٨٨).

وموير[١]، وفيل، ومرغليوثا، ونولدكة، وشبرنجر، وسنوك هورغرونجه، ودوزي، ثم تناوله مؤخراً كاتياني، ولامنس، وماسينيون، ومونته، وكازانوفا، وبيل، وهوار، وهوداس، ومارسيه، وأرنولد، وغريم، وغولدسيهر وغيرهم.

ومن المؤسف حقًّا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في النقد أحياناً، فكانت عامل هدم)[٢].

و«إميل درمنغم» يبدي شيئاً من الألم لأسلوب النقد وليس للنقد ذاته، فهو يحاول إخفاء النقد، وسيتضح ذلك في دراسة موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم (الفصل الثالث: موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم) تفصيلاً.

ويحاول بليائيف (**BELLAEV**) وهو متخصص في التاريخ الإسلامي أن يعلي من شأن المستشرقين، ومن كتاباتهم، في حين أنه يحاول التقليل من شأن الكتابات التاريخية التي كتبها بعض أبناء المسلمين، ومن درس على أيديهم، فيقول:

(وما يصدر في يومنا هذا من كتب في «التاريخ العربي» يصنفها العرب أنفسهم

---

(١) موير (WILLIAM MUIR) (١٨١٩ – ١٩٠٥) مستشرق ومبشر وموظف إداري إنجليزي.
اشتغل في الإدارة المدنية لشركة الهند الشرقية، فأمضى فترة طويلة في الهند... وفي أثناء عمله الإداري تعلّم اللغة العربية وعُني بالتاريخ الإسلامي. لكنه كان شديد التعصب للنصرانية، ولهذا اشترك بحماسة شديدة في أعمال التنصير التي كانت تقوم بها البعثة التبشيرية في مدينة (أجرا) بشمال الهند.
ودعاه (بفاندر) إلى أن يكتب سيرة النبي على نحو يعين البعثة التبشيرية على عملها. فأخذ "موير" في قراءة المراجع العربية عن السيرة النبوية، وشرع في نشر عدة مقالات في مجلة (كلكتا) في= =عام ١٨٦٣، ١٨٦٤، تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام، ومصادر السيرة النبوية، وحياة النبي حتى الهجرة، وكلها كتبها بروح متعصبة خالية من الموضوعية، ومن أجل هدف تبشيري خبيث.
وأضاف إليها مقدمة طويلة عن المصادر، وعن الجزيرة العربية قبل افسلام، وأصدر هذا كله في كتاب ضخم بعنوان: (حياة محمد وتاريخ الإسلام)، وكان قبل ذلك قد أصدر في ١٨٥٣ كتابه (حوليات الخلافة) وتتناول الخلفاء الراشدين، والخلفاء الأمويين حتى سقوط الدولة الأموية. ثم أصدر لهذا الكتاب طبعة ثانية في ١٨٩١ تحت عنوان: الخلافة: نشأتها، وانحلالها، وسقوطها. وتوفي في (أدنبره) في ١١ يوليو ١٩٠٥. .ينظر: كتاب موسوعة المستشرقين (ص ٥٧٨ – ٥٧٩)، والمستشرقون (٢/ ٥٩).

(٢) كتاب: حياة محمد (ص و – ز).

ليس لها من النفع ما للكتب التي يصنفها المستشرقون الغربيون ؛ لأن المؤرخين العرب لا يستمدون معلوماتهم من المصادر العربية ذاتها بقدر ما يستمدونها من مقتطفات يقتطفونها من المصنفات الغربية .

وفضلاً عن هذا فإن أسلوب المؤرخين العرب في منتصف القرن العشرين لا يختلف عن أساليب المؤرخين العرب القدامى ، الأمر الذي يقلل من قيمة مصنفاتهم ومكانتها العلمية .

ومن هذه المصنفات العربية الموجزة والشاملة معاً عن تاريخ العرب في العصور المتوسطة كتاب الأستاذ حسن إبراهيم حسن وعنوانه «تاريخ الإسلام السياسي» وكتاب الدكتور علي إبراهيم حسن وعنوانه «التاريخ الإسلامي العام» .

ولكن هذين الكتابين ، وسواهما من الكتب المشابهة لهما عديما الفائدة للباحث المؤرخ الذي له معرفة بالكتب التاريخية التي ألفها المستشرقون الأوربيون عن العرب .

إذ إن المؤرخ العربي في يومنا هذا لا ينظر إلى الإسلام على أنه مجرد دين فحسب ، بل لما يشتمل عليه من الحياة السياسية والثقافية في الشرق «الإقطاعي» . . .)[1] .

وبسط الكلام حول موقف المستشرقين من كتبهم وكتَّابهم مما يطول ، ولعل في هذه الإشارة كفاية .

---

(١) العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ٢٠٨) .

المبحث الثالث

التعريف بأبرز المستشرقين الذين كتبوا عن الصحابة رضي الله عنهم

لما كان عدد المستشرقين الذين تحدثوا عن الصحابة رضي الله عنهم كبيراً اقتصرت في هذا البحث على أبرزهم ؛ من حيث كثرة الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم . هذا ممن يتوفر لهم ترجمة .

وأما بقيتهم فقد ترجمت لهم في الهوامش ، ورتبت تراجم المستشرقين في هذا المبحث على حسب الوفيات .

سيديـــــــــــو[(١)](LOUIS, PIERRE, EUGENE, AMELIE SEDILLOT)(١٨٠٨ - ١٨٧٥)

مستشرق فرنسي ، ولد في (باريس) في ٢٣ (يونيو) سنة ١٨٠٨م ، تعلم على يدي أبيه اللغات الشرقية والرياضيات ، ثم دخل (ليسيه هنري الرابع - مدرسة ثانوية في باريس) ، ثم حصل على (الليسانس) من جامعة (باريس) .

ودخل المسابقة للتعيين في منصب (مدرس) تاريخ في المدارس الثانوية ، ففاز وعُين مدرساً للتاريخ في المدارس الثانوية في (باريس) عام ١٨٣١م ، فقام بتدريس التاريخ في مدارس: (بوربون) ، و(هنري الرابع) ، و(سان لويس) ، وفي الوقت نفسه حصل على (الليسانس) في الحقوق ، وحضر محاضرات (سيلفستر دي ساس) (**SILVESTER DE SACY** (١٧٥٨ - ١٨٣٨) مستشرق فرنسي ، ثم صار سكرتيراً له . وكان أبوه قد بدأ أبحاثاً في تاريخ الفلك والرياضيات عند الشرقيين . فكتب القسم الخاص بتاريخ الفلك عند المسلمين في كتاب: «تاريخ الفلك في العصر الوسيط» ، وترجم رسالة (أبي الحسن)[(٢)] في عام (١٨١٠م) لكنه لم ينشرها فقام ابنه (أميلي) صاحب

---

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٣٤٥) ، وطبقات المستشرقين ، تأليف د/ عبدالحميد حمدان(ص ٥٣-٥٤) .

(٢) لعله (ابن الهيثم) أبو علي الحسن (٩٦٥ - ١٠٣٩م) فلكي ورياضي من أهل البصرة .قصد (القاهرة) وخدم الحاكم الفاطمي ، اشتهر بكتابه (المناظر) في البصريات ، أفاد منه علماء الغرب . المنجد في الأعلام (ص ١٦) ملحق بكتاب المنجد في اللغة والأعلام .

الترجمة ، بنشر عمل والده ، ويقع في مجلدين في (باريس) عام ١٨٣٤ ، ١٨٣٥م .

من مؤلفاته وأبحاثه:

١ - قام بمتابعة أبحاث أبيه في تاريخ الفلك والرياضيات ، فأصدر بحثاً في الآلات الفلكية عند العرب .

٢ - أبحاث جديدة في تاريخ الفلك عند العرب .

٣ - دراسة عن رسالة للحسن بن الهيثم .

٤ - أبحاث جديدة في تاريخ العلوم الرياضية عند الشرقيين .

٥ - كتابه: (تاريخ العرب) **HISTOIRE DES ARABES** وقد قام علي باشا مبارك ، بالإشراف على ترجمة هذا الكتاب ترجمة مهذبة وسماها: (خلاصة تاريخ العرب) ، ثم جاء من بعده الأستاذ عادل زعيتر فترجمه كاملاً وسماه (تاريخ العرب العام) .

فلهوزن (يوليوس)[1] **(JULIUS WELLHAUSEN) (١٨٤٤ - ١٩١٨)** مستشرق ألماني ، درس على يد (إيفلد) **H.G.A.EWALD** (١٨٠٣ - ١٨٧٥) الذي كان من أبرز العلماء المشتغلين باللغات السامية ، وبنقد التوراة ، وذلك في جامعة (جيتنجن) .

وفي سنة ١٨٧٢م صار أستاذاً ذا كرسي في جامعة (جرينسفلد) لكنه سرعان ما اضطر إلى التخلي عن منصبه هذا بسبب ما أثارته كتاباته في نقد (الكتاب المقدس) والتاريخ المقدس من مجالات .

فانتقل إلى جامعة (هلّه) **HALLE** في سنة ١٨٨٢م حيث قام بتدريس اللغات الشرقية وانتقل منها في سنة ١٨٨٥ إلى جامعة (ماربورج) ، ثم في سنة ١٨٩٢ صار أستاذاً في جامعة (جيتنجن) وظل في منصبه هذا حتى ١٩١٣م حين تقاعد وعاش من ثم في (جيتنجن) حتى وفاته في ٧ يناير سنة ١٩١٨م .

كان إنتاجه في ميدان (تاريخ الإسلام) لا يقل كثيراً عن إنتاجه في الدراسات

---

(١) انظر: موسوعة المستشرقين (ص ٤٠٩ - ٤١٠) ، والمستشرقون (٢/ ٣٨٦) ، والمستشرقون الألمان ، لصلاح الدين المنجد (١/ ١٠٧ - ١١٣) .

المتعلقة بالكتاب المقدس .

فقد كان أول المستشرقين استفادة من (تاريخ الطبري) الذي كان يشرف على نشره (دي خويه) (OEJE, M.J.DE) (٨٣٦ - ١٩٠٩) في (ليدن)، فباستغلاله للمادة العظيمة التي قدمها هذا المصدر الرئيس للتاريخ الإسلامي ألف (فلهوزن) الكتب التالية:

١ - أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام .

٢ - الدولة العربية وسقوطها - ويقصد بها الدولة الأموية .

٣ - بقايا الوثنية العربية .

٤ - المدينة قبل الإسلام .

٥ - تنظيم محمد للجماعة الإسلامية في المدينة .

جولد تسيهر (اجْنَتس)[(١)] **(IGNAZ GOLDZIHER) (١٨٥٠ - ١٩٢١)** مستشرق مجري، ولد في الثاني والعشرين من شهر (يونيو) سنة ١٨٥٠م بمدينة (اشتولفيسنبرج) في بلاد المجر، وأسرته أسرة (يهودية)، أما دراسته فقد قضى السنين الأولى منها في (بودابست)[(٢)]، ومن ثمَّ ذهب إلى (برلين)[(٣)] سنة ١٨٦٩م فظل بها سنة ثم انتقل بعدها إلى جامعة (ليبتسنك)، وفيها كان أستاذه في الدراسات الشرقية (فليشر)[(٤)] - أحد

---

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ١٩٧ - ٢٠٣)، والمستشرقون، لنجيب العقيقي (٣/ ٤٠ - ٤٢)، وطبقات المستشرقين، لعبدالحميد صالح حمدان (ص ١١٥ - ١١٦).

(٢) بودابست، عاصمة المجر .

(٣) برلين، عاصمة ألمانيا . ينظر: معجم بلدان العالم (ص ١١٣).

(٤) فلايشر (FLEISCHER, H.L) ١٨٠١ - ١٨٨٨م، أحد المستشرقين الألمان عمل أستاذاً للغات الشرقية في جامعة (درسدن)، وأسس الجمعية الشرقية الألمانية في (هاله) سنة ١٨٤٥م DMG التي أصدرت مجلة باسمها (١٨٤٥م)، ZDMG نشرت كثيراً من الكتب العربية المشهورة . ومن مصنفاته: تاريخ العرب قبل الإسلام، وترجم (ألف ليلة وليلة) في تسعة مجلدات، وكانت له نقدات على ما كان يحققه المستشرقون من كتب يغذي بها (المجلة الشرقية الألمانية)، ومعاونة في مراجعة ترجمة التوراة إلى العربية .

وقد نال طلابه على يده شهرة واسعة، وعُرِف في (ألمانيا) بأنه مؤسس الدراسات العربية المنظمة وعميدها مجاريًّا فيها: "فرايتاج"، و"فلوجل". ينظر: المستشرقون (٢/ ٣٦٢ - ٣٦٣).

المستشرقين النابهين في ذلك الحين – وعلى يديه ظفر (جولدتسيهر) بالدكتوراه الأولى سنة ١٨٧٠م، وكانت رسالته عن شارح يهودي في العصور الوسطى شرح التوراة هو: (تنخوم أورشلمي).

ومن ثم عاد إلى (بودابست)؛ فعين مدرساً مساعداً في جامعتها سنة ١٨٧٢م، ولكنه لم يستمر في التدريس طويلاً، وإنما أرسلته (وزارة المعارف المجرية) في بعثة دراسية إلى الخارج، فاشتغل طوال سنة في (فيينا)(١) وفي (ليدن)(٢).

وارتحل من بعد إلى الشرق (من سبتمبر سنة ١٨٧٣ إلى أبريل من العام التالي)، فأقام في القاهرة مدة، ثم سافر إلى (سوريا) و(فلسطين).

وفي أثناء إقامته بالقاهرة استطاع أن يختلف إلى بعض الدروس في (الأزهر)، وكان ذلك بالنسبة إلى أمثاله امتيازاً كبيراً ورعاية عظيمة.

ومنذ أن عُيِّن في جامعة (بودابست) وعنايته بالدراسات العربية عامة، والإسلامية خاصة تنمو وتزداد.

وإذا به يحرز في وطنه شهرة كبيرة، جعلته يُنتخب عضواً مراسلاً (للأكاديمية المجرية) سنة ١٨٧١، ثم عضواً عاملاً في ١٨٩٢، ورئيساً لأحد أقسامها في ١٩٠٧م.

وصار أستاذاً للغات السامية في سنة ١٨٩٤م، ومنذ ذلك الحين وهو لا يكاد يغادر وطنه، بل ولا مدينة (بودابست) إلا للاشتراك في مؤتمرات المستشرقين، أو لإلقاء المحاضرات في الجامعات الأجنبية استجابة لدعوتها إياه.

وأما أشهر كتبه فقد صنفها بالألمانية والفرنسية والإنجليزية.

ومن أهم مؤلفاته وأبحاثه:

١ – اليهود، بالإنجليزية.
٢ – العقيدة والشريعة في الإسلام.
٣ – آداب الجدل عند الشيعة بالألمانية
٤ – أخوان الصفا.

---

(١) فيينا عاصمة جمهورية النمسا. ينظر: معجم بلدان العالم (ص ١٢٢).

(٢) ليدن إحدى مدن هولندا.

٥ - مذاهب التفسير الإسلامي .

ريكندوف[١] **(RECKENDORF,H)** **(١٨٦٣ - ١٩٢٤)** مستشرق ألماني ، ولد في (هايدلبرج) ، وتعلم في دار المعلمين ، ثم قصد (برلين) لدراسة (اللاهوت) عام ١٨٨٢م ، وسرعان ما انصرف عنه إلى اللغات السامية والمصرية والسنسكريتية ، والصينية . ثم رجع إلى (مايدلبرج) و(ليزيج) ونال الدكتوراة ، وعين أستاذاً للعربية وكان من أعلام (النحو) فيها في (فرايبورج) حتى أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٢٣م .

من مؤلفاته وأبحاثه:

١ - العلاقات النحوية في اللغة العربية . ٢ - النحو العربي الوصفي .

٣ - محمد . ٤ - وله عدة مواد منشورة في دائرة المعارف الإسلامية .

بوهل أو (بول)، فرانتز[٢] **(BUHL, FRANTZ)** **(١٨٥٠ - ١٩٣٢)** مستشرق دانمركي ، ولد في (كوبنهاجن) [٣] ، وبدأ حياته الجامعية بدراسة (اللاهوت) ، ولما نال شهادته في عام (١٨٧٤م) وكان قد قام قبل ذلك بدراسة واسعة في اللغات الشرقية ولاسيما العربية . وفي سنة (١٨٧٨م) نال درجة (الدكتوراه) عن رسالته في دراسات (النحو العربي وتاريخ اللغة) ، وقد أدمج فيها متن (الشافية لابن رجب) مترجماً بالدانمركية مع حواشٍ عليه . ثم سُمِّي (أستاذاً) للعهد القديم بجامعة (كوبنهاجن) . وتوفي في مدينة (كوبنهاجن) في عام ١٩٣٢م .

ومن أهم مؤلفاته وأبحاثه:

١ - حياة محمد (كتبه باللغة الدنمركية عام ١٩٠٣م) .

٢ - نهضة الشيعيين في الدولة الأموية (كتبه في عام ١٩١٠م) .

٣ - علي مدعياً وخليفة (كتبه عام ١٩٢١م) .

---

(١) ينظر: كتاب المستشرقون (٢/ ٤١١) .

(٢) ينظر: المستشرقون لنجيب العقيقي (٢/ ٥٢٢) ، وطبقات المستشرقين (١٠٧) .

(٣) عاصمة الدنمرك وميناء رئيس فيها . وعدد سكان العاصمة هو (١,٣٢٦ مليون نسمة) ، ويبلغ العدد الكلي لمملكة الدنمرك (٥٣٥٨٨٤٥ نسمة) وغالبهم من البروتستنت . ينظر: كتاب معجم بلدان العالم (ص٦١ -٦٣) .

٤ – محمد (كتبه في عالم الإسلام ١ ، ١٩١١م) .

٥ – حرر عدداً كبيراً من مواد دائرة المعارف الإسلامية .

لامنـــس(١) **(HENRI LAMMENS) (١٨٦٢ – ١٩٣٧)**مستشرق بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، كان من أوائل خريجي جامعة (القديس يوسف) في بيروت، حيث حصَّل اللغة العربية، وأصبح أستاذاً فيها .

سافر إلى إنجلترا وإلى (لوفان)، ووصل إلى (فيينا) في عام ١٨٩٦م وعاد إلى بيروت ١٨٩٧م، حيث عُين معلماً للتاريخ والجغرافية في كلية (اليسوعيين) ولما أُسس (معهد الدروس الشرقية) ضمن كلية (اليسوعيين) في عام ١٩٠٧م صار فيه أستاذاً للتاريخ الإسلامي .

ولما توفي لويس شيخو في ١٩٢٧م، خلفه (لامنس) على إدارة مجلس (المشرق)، وهي مجلة فصلية تصدر عن اليسوعيين في (بيروت). ولهم مجلة دينية شعبية تبشيرية أخرى تدعى (البشير)، وقد تولى (لامنس) إدارتها مرتين، وكان (لامنس) يكتب في هاتين المجلتين مقالات كثيرة، يكتبها بالفرنسية، ثم يتولى غيره ترجمتها إلى العربية، وتنشر باللغة العربية .

قال نجيب العقيقي عنه: (عدّه بعض العلماء بها حجة زمانه، وأنكر بعضها عليه آخرون، ورموه بالتزمت والتحيز) .

وقال الدكتور: عبدالرحمن بدوي عنه: (راهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين) .

وله مؤلفات وأبحاث منها:

١ – الحكام الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة(٢) .

---

(١) المستشرقون لنجيب العقيقي (٢/ ٥٢٢)، وطبقات المستشرقين (١٠٧) .

(٢) لم أقف على هذين الكتابين مع بحثي عليهما .

٢ – فاطمة وبنات محمد .

٣ – موجز تاريخ سوريا ولبنان ، طبعتان فرنسية وعربية .

٤ – تاريخ نصارى الشرق: الروم الملكيون ، نبذة عن أصلهم وجنسيتهم .

٥ – الجزيرة العربية قبل الهجرة .

فنسنك (ونسنك)[1] (ARENTJAN WENSINCK) (١٨٨٢ – ١٩٣٩)

مستشرق هولندي ، أتقن اللغات السامية ، وتخصص في أديان الشرق ، فأصبح له فيها صيت بعيد ، وانتدب أستاذاً للعبرية في جامعة (لندن) (١٩٠٨ – ١٩٢٧م) ، عُني بالحديث وسعى إلى وضع (المعجم المفهرس لألفاظه من أمهات مصنفاته) ، وذلك بحسب الألفاظ والترتيب الهجائي للأحاديث الواردة في كتب السنة الصحيحين والسنن الأربعة ، وسنن الدارمي ، ومسند الإمام أحمد ، وموطأ الإمام مالك ، حيث استعان بثمانية وثلاثين مستشرقاً من مختلف البلدان للقيام بهذا العمل ، وأعانته مالياً (أكاديمية العلوم في أمستردام) ومؤسسات هولندية أخرى ، وعدد من أكاديميات بلاد أوربية ، فلما قضى نَحْبُهُ كان قد صدرت منه إحدى عشرة ملزمة .

وتولى تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) بلغاتها الثلاث عام (١٩٢٤م) . فأتم منها الأجزاء الثلاثة الكبرى وخمس الملازم الإضافية عام (١٩٣٨م) ، وأسهم فيها بعدد كبير من المقالات .

وقد قام برحلات إلى مصر ، وسوريا ، ولبنان في عام (١٩٣٠م) ، وإلى جانب ذلك له كتب وأبحاث مفردة منها:

١ – موقف الرسول من يهود المدينة ، وهي رسالته في الدكتوراه (ليدن عام ١٩٠٨م) .

٢ – العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي ، باللغة الإنجليزية .

٣ – فكر الغزالي ، باللغة الفرنسية .

٤ – محمد واليهود .

(١) موسوعة المستشرقين ، د/ عبدالرحمن بدوي (ص ٤١٧) ، والمستشرقون لنجيب العقيقي (٢/ ٢٩٣) .

٥ – الإسرائيليات في الإسلام .

٦ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

بروكلمان (كارل)[1] (CARL BROCKELMANN) (١٨٦٨/٩/١٧ – ١٩٥٦/٥/٦): مستشرق ألماني، ولد في سبتمبر ١٨٦٨ في مدينة (روستوك) (ROSTOCK) وفي المدرسة الثانوية في (روستوك) بدأت تظهر ميوله إلى الدراسات الشرقية ، والتحق بجامعة (روستوك) في ربيع ١٨٨٦م ، وانتقل بروكلمان في ربيع ١٨٨٨ إلى (ستراسبورج) لحضور دروس (نيلدكة) – شيخ المستشرقين الألمان (١٨٣٦ – ١٩٣١) ، وفي شتاء ١٨٨٩/ ١٨٩٠م كلفه (نيلدكة) القيام بدراسة عن العلاقة بين كتاب (الكامل في التاريخ لابن الأثير) وكتاب (أخبار الرسل والملوك للطبري) ، ونالت هذه الرسالة الجائزة في ربيع ١٨٩٠ ، ومكنه ذلك من طبعها كرسالة للدكتوراة الأولى ، فطبعت في (ستراسبورج) ١٨٩٠م .

وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم (نيلدكة) ، كما سبق ونبغ فيها وذاعت له شهرة في فقه العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة ، وفي التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الأدب العربي ، حتى عدَّ إماماً من أئمتها ، وعين أستاذاً في جامعات (برسلاو) ١٨٩٣ – ١٩٠٣م ، و(كونسبرج) ١٩٠٣ – ١٩٠٩م ، و(هاله) ١٩٠٩ – ١٩٢٠م ، و(برلين) ١٩٢٠ – ١٩٢١م ، وعاد إلى (برسلانو) ١٩٢١ – ١٩٣٧م ، وفي (هاله) ١٩٣٧ – ١٩٤٧م ، وانتخب عضواً في مجامع برلين ، وليبزيج ، وبودابست ، وبون ، ودمشق ، وجمعيات آسيوية كثيرة .

ومن مؤلفاته وأبحاثه:

١ – تاريخ الشعوب الإسلامية .   ٢ – تاريخ الأدب العربي .

٣ – تحقيق كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة في أربعة أجزاء .

٤ – تحقيق كتاب الوفاء في فضائل المصطفى لابن الجوزي .

---

(١) موسوعة المستشرقين (ص ٩٨)، والمستشرقون (٢/ ٤٢٤) ، وطبقات المستشرقين (ص ٩٥ – ٩٦) .

٥ - مؤلفات ابن المقفع في البيان والبلاغة (نشرته المجلة الشرقية الألمانية، ٥٣، ١٨٩٩).

بليائيف[(١)] **(EVGENII ALEKSANDROVICH BELLAEV) (١٨٩٥ - ١٩٦٤):** مستشرق روسي، تخصص في تاريخ الإسلام، ولد في ٩ فبراير سنة ١٨٩٥ في (رجيف) **RZHEV**. وتوفي في (موسكو) في ٥ سبتمبر ١٩٦٤م. تخرج من معهد موسكو للدراسات الشرقية في سنة ١٩٢٢م، واشتغل في سنة ١٩٢٤م مدرساً في هذا المعهد، وفي المعهد العسكري للغات الأجنبية.

وفي المدة من سنة ١٩٤٥م حتى سنة ١٩٥٥ كان رئيساً لفرع تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط في معهد موسكو للدراسات الشرقية، ثم في معهد العلاقات.

من أهم مؤلفاته وأبحاثه:

١ - الفرق الإسلامية.

٢ - العرب والإسلام والخلافة العربية في العصر الوسيط.

٣ - الحضارة العربية.

٤ - المذاهب في الإسلام.

٥ - فصول في تاريخ الخلافة.

(دلافيدا)[(٢)] **(GIORGIOLIVI DELLAVIDA) (١٨٨٦ - ١٩٦٧)** مستشرق إيطالي، ولد في ٢٢ (أغسطس) ١٨٨٦م، من أسرة (يهودية) استقرت في إيطاليا منذ وقت طويل، وقضى دراسته الثانوية في (جنوه) ثم انتقل (ليفي) إلى (روما) للدراسات الجامعية، فدخل (كلية الآداب) في جامعة روما)، وحصل منها على ما يعادل (الليسانس) في سنة ١٩٠٩م.

وقبل حصوله على إجازته الجامعية قام في عام ١٩٠٨ و١٩٠٩م برحلة إلى الشرق، وسافر إلى القاهرة مرة ثانية في عام ١٩١٠ - ١٩١١م، ولما عاد من مصر عام

---

(١) موسوعة المستشرقين (ص ١٣٢)، والمستشرقون (٣/ ٩٩).

(٢) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص ٢٤٦ ـ ٢٤٩).

١٩١١م تعاون مع كيتاني (LEONE CAETANI) في تحرير كتاب (حوليات الإسلام)، وقد أهدى إليه (كيتاني) (المجلد التاسع) من هذه (الحوليات) معترفاً بفضله في الإسهام في هذا العمل.

بدأ (دلافيدا) بتدريس اللغة العربية في (المعهد الشرقي) في (نابلي) في عامي (١٩١٤ - ١٩١٦).

وفي (١٩١٧م) فاز (دلافيدا) في مسابقة الترشيح لكرسي العبرية واللغات السامية المقارنة في جامعة (تورينو).

وفي (١٩٢٠م) انتقل إلى جامعة (روما) واستمر في هذا المنصب حتى عام (١٩٣١م)، وذلك أن حكومة (موسوليني) أمرت كل أساتذة الجامعة الإيطاليين أن يقسموا يمين (الولاء) للحكومة. لكن (دلافيدا) كان واحداً من بين الأحد عشر أستاذاً الذين رفضوا أن يقسموا هذا اليمين.

ولهذا أصدرت الحكومة قراراً بتاريخ أول (يناير) ١٩٣٢م (بإعفائه من الخدمة).

فاشتغل (دلافيدا) في مكتبة (الفاتيكان) في الفترة ما بين عام (١٩٣٢ - ١٩٣٩م) حيث قام بفهرسة المخطوطات العربية والإسلامية الموجودة بها.

ولما صدرت في (إيطاليا) القوانين المميزة ضد (اليهود) في ١٩٣٩م، فكر (دلافيدا) في مغادرة (إيطاليا)، واستطاع الحصول على دعوة من جامعة (بنسلفانيا) في (الولايات المتحدة الأمريكية) ليشغل في (فيلادلفيا) كرسي اللغات السامية.

ولما انتهت الحرب (العالمية الثانية) في عام ١٩٤٥م، أعيد إلى كرسيه في جامعة (روما)، وشغل كرسي (اللغة العبرية واللغات السامية المقارنة)، واستمر يشغل هذا الكرسي حتى أحيل إلى التقاعد في عام ١٩٦١م، وتوفي (ليفي دلافيدا) في ٢٥ (نوفمبر) ١٩٦٧م.

أهم مؤلفاته وأبحاثه:

١ - (خلافة علي وفقاً لكتاب «أنساب الأشراف، للبلاذري») وهي دراسة

تاريخية كانت من ثمار تعاونه مع (كيتاني).

٢ - (حول طبقات الشعراء لمحمد بن سلاَّم) وهو نقد لنشرة يوسف هل (HELL) لكتاب ابن سلام.

٣ - كتب فصلاً بعنوان: (في خصائص الساميين) ضمن كتاب مجموع بعنوان (التاريخ والدين في الشرق السامي).

٤ - (العبرانيون: تاريخهم، وديانتهم، وحضارتهم).

٥ - شارك في تحرير بعض المواد في دائرة المعارف الإسلامية.

(حتّي، فيليب خوري)(١) **(.HITTI, PH,KH)** **(١٨٨٦ - ١٩٧٨)** ولد في (شملان) بلبنان بتاريخ ٢٤/٦/١٨٨٦م، وتخرج من الجامعة (الأمريكية) في (بيروت) عام ١٩٠٨م، وحصل على الدكتوراة من جامعة (كولومبيا) عام ١٩١٥م، وعُين (معيداً) في قسمها (الشرقي) عام ١٩١٥ إلى عام ١٩١٩م، و(أستاذاً) لتاريخ العرب في (الجامعة الأمريكية) ببيروت عام (١٩١٩ - ١٩٢٥م) و(أستاذاً مساعداً) للآداب السامية في جامعة (برنستون) في عام (١٩٢٦ - ١٩٢٩م)، ورئيساً للجامعة في عام (١٩٤١ - ١٩٤٤م)، و(أستاذ كرسي) اللغات الشرقية في عام (١٩٤٤م)، ورئيساً لقسم اللغات والآداب الشرقية في عام (١٩٤٤ - ١٩٥٤م) حتى أحيل على التقاعد.

ولم ينقطع عن العمل، فانتدب أستاذاً زائراً في جامعتي (هارفارد) و(برنستون)، و(الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى) وكان قد قام بإدارة برامج (دراسات الشرق الأوسط) منذ عام (١٩٤٧م) عندما وضعت كمنطقة ذات فائدة حيوية (للولايات المتحدة)، وتم افتتاحها بمساعدة المؤسسات التربوية والتبرعات الخاصة، وعن طريق تقديم المناهج في الثقافة، والتاريخ ولغات المنطقة، كان البرنامج الأول من نوعه في التعليم (الأمريكي)، تناولت دراساته القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وفي عام (١٩٥٢م) بدت ثماره بفضل جهود الدكتور (حتي)، واختياره لمجموعة من

---

(١) ينظر: المستشرقون (٣/١٤٨ - ١٥١).

المتخرجين اختياراً دقيقاً وتدريبهم على مهام في الشرق الأوسط .

ومن بين الوظائف التي أسندت إليه: رئاسة المجلس الاستشاري للاتحاد السوري اللبناني للدول العربية (١٩٤١ – ١٩٥٢م)، ومجلس الإعانات الأمريكية للشرق الأوسط (١٩٤٩ – ١٩٥٤م)، ولجنة توجيه برامج المجلس الأمريكي للجمعيات التعليمية (١٩٤٩ – ١٩٥٤م) .

من أهم مؤلفاته وأبحاثه:

١ – أصول الدول الإسلامية (١٩١٦م) .

٢ – اللغات السامية المتكلمة في سوريا ولبنان (١٩٢٢م) .

٣ – أصول الشعب الدرزي وديانته (١٩٢٩م) .

٤ – تاريخ العرب (١٩٣٧م) .٥ – تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (١٩٥١م) .

فيكيا فجليري، (لورا)[(١)] (VECCIA VAGLIERI, LAURA) **(١٨٩٣– ١٩٨٩)** مستشرقة إيطالية ، حصلت على درجتها العلمية في آداب اللغة العربية من جامعة (روما) عام ١٩١٥م، وقامت بتدريس (العربية) ولهجاتها بالمعهد الشرقي (بنابولي) ابتداء من عام ١٩٣٥م .

وأصبحت مديرة للقسم الشرقي بهذا المعهد منذ عام ١٩٤٠م وحتى وفاتها .

ومن مؤلفاتها وأبحاثها:

١ – الإسلام (نابولي ١٩٤٦م) . ٢ – مطالعات عربية (نابولي ١٩٥١م) .

٣ – المسلمون في سردينا (١٩٦٥م) .

٤ – ولها عدة مواد منشورة في دائرة المعارف الإسلامية .

٥ – ولها عدة مؤلفات في مبادئ اللغة العربية باللغة الإيطالية .

(جون باجوت جلوب)[(٢)] **(GLUBB, SIR JOHNB)** **(١٨٩٧)** مستشرق

---

(١) ينظر: كتاب طبقات المستشرقين (ص ١٦٧) .

(٢) المستشرقون (٢/ ١٣٢ – ١٣٣) .

بريطاني، تخرج من الكلية الحربية الملكية في بريطانيا، واشتغل في (العراق) عام (١٩٢٠م)، وفي (الأردن) برتبة (لواء) في (١٩٣٨ – ١٩٥٦م).

من أهم مؤلفاته وأبحاثه:

١ – قصة الفيلق العربي في (١٩٤٨م).

٢ – جندي مع العرب في (١٩٥٧م).

٣ – والفتوحات العربية الكبرى في (لندن ١٩٦٣م).

٤ – تاريخ إمبراطورية (وهو مقارنة بين سقوط إمبراطورية العرب قديماً والإنجليز حديثاً). ٥ – وتقاليد الجيش العربي.

(مونتجمري، وات)[1] **(MONTGOMERY, WATT)** مستشرق إنجليزي[2]، (عمل أستاذاً ورئيساً لقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة (أدنبرا) لمدة خمسة عشر عاماً، حتى تقاعد سنة ١٩٧٩م، وقد قام خلال هذه الفترة بتدريس الإسلام: عقيدة، وتاريخاً، وحضارةً، لعدة أجيال من الطلبة، وكثير منهم مسلمون (عرب وباكستانيين)[3].

ومن مؤلفاته وأبحاثه:

١ – محمد في مكة (لندن ١٩٥٨م). ٢ – محمد في المدينة.

٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (جامعة أدنبرا ١٩٦٥م).

٤ – من تاريخ الجزيرة العربية. ٥ – الجدل الديني.

٦ – فضل الإسلام على الحضارة الغربية.

---

(١) ينظر: المستشرقون (٢/ ١٣٢).

(٢) نسبة إلى اللغة الإنجليزية، وهي لغة إنجلترا، واسمها الرسمي المملكة المتحدة (UNITED KINGDOM). وهي تضم بريطانيا العظمى، وإيرلندا الشمالية وبريطانيا العظمى تضم إنجلترا وسكوتلندا، وويلز، وعرفت سياسياً بهذا الاسم منذ عام ١٧٠٧م، وبريطانيا العظمى هي تلك الجزيرة الواقعة شمال غرب أوربا، ويفصلها عنها القنال الإنجليزي، وبحر الشمال الشرقي من جزيرة إيرلندا الواقعة غرب جزيرة بريطانيا العظمى، وكانت المملكة المتحدة في المدة من ١٨٠١ إلى ١٩٢٢ تضم بريطانيا العظمى وكل جزيرة إيرلندا، وعرف الناس المملكة المتحدة باسم إنجلترا، ربما لأن إنجلترا أكبر أقسامها، ومن إنجلترا اشتق اسم اللغة الإنجليزية (ENGLISH) وهي اللغة العالمية الأولى. ينظر: كتاب معجم بلدان العالم (ص ١٤٧).

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق (ص١١٥)، والمستشرقون الناطقون بالإنجليزية د:عبداللطيف الطيباوي (ص٩٨)

الفصل الثاني

موقف المستشرقين من منزلة الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

- التمهيد: وفيه المراد بالصحبة.
- المبحث الأول: موقف المستشرقين من صلة الصحابة بالرسول ﷺ وصلة بعضهم ببعض وجهودهم في نشر الإسلام.
- المبحث الثاني: موقف المستشرقين مما ورد في شأن الصحابة رضي الله عنهم.
- المبحث الثالث: موقف المستشرقين من الخلاف الذي وقع بين بعض الصحابة رضي الله عنهم.

التمهيـــد

المراد بالصحبة: سبق الإشارة إلى تعريف الصحبة (الصحابة) في التمهيد قبل الفصل الأول، وفيه:

أن الصحابي مشتقٌّ من الصحبة، والصحبة مصدر (صحب) فهو (صاحب)، هذا في اللغة، أمَّا في العرف: فالصاحب هو (الملازم ملازمةً طويلة).

وفي هذا التمهيد نلقي الضوء على المراد بالصحبة في كلام العلماء، حيث أنهم اختلفوا في المراد بها على سبعة أقوال وهي:

القول الأول: أن (الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام)(١).

فقوله: (من لقي النبي ﷺ) يدخل فيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه، أو لم يروِ، ومن غزا معه أو لم يغزو، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

(مؤمناً): يخرج بقيد (الإيمان) من لقيه كافراً؛ ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرةً أخرى.

(به): يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، ومن هؤلاء (بحيرا الراهب)(٢) ونظراؤه.

---

(١) كتاب الإصابة في تمييز الصحابة (ص ٩)، وينظر: فتح الباري (٧/ ٥) في أول كتاب فضائل الصحابة، وشرح نخبة الفكر، لابن حجر (ص ٩٢)، ومقدمة ابن الصلاح (ص ١٤٧)، وفتح المغيث للعراقي (٤/ ٧٧)، وتدريب الراوي، للسيوطي (٢/ ١٨٦)، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (ص١٦٣)، ومن كتب الأصوليين: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء (٣/ ٩٨٨)، والأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، للمارديني (ص ٧٦) وغيرها.

(٢) (بحيرا الراهب) رجل من النصارى، من أهل العلم فيهم، كانت له صومعة في أرض بصرى في الشام، التقى بالرسول ﷺ في أول سفرة له إلى بلاد الشام مع عمه أبي طالب، وهو مازال صبياً، وعرف فيه صفات النبوة، فنصح عمه أبا طالب بأن يرجع به ويحذر عليه من اليهود لمعرفتهم بصفات النبي المرتقب الذي ينتظرونه حيث يزعمون أنه منهم. ينظر: كتاب السيرة النبوية، لابن إسحاق (ص ١٢٢ – ١٢٤)، والإصابة لابن حجر (ص ١١١ – ١١٢) رقم (٦٢٧).

(مؤمناً به): يدخل فيه مكلف الجن والإنس . . . بالشرط المذكور(١) .

(ومات على الإسلام): يخرج به من لقيه مؤمناً به ثم ارتدَّ ومات على ردته – والعياذ بالله – .

وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة – رضي الله عنها – فإنه أسلم معها ، وهاجر إلى الحبشة فتنصَّر ومات على نصرانيته(٢) ، وكعبد الله بن خطل الذي قُتل وهو متعلِّق بأستار الكعبة(٣) .

ويدخل في (الصحبة) من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا . . .(٤) .

---

(١) هذه المسألة فيها خلاف بين ابن حجر وابن الأثير – رحمهما الله تعالى – وخاصة كونهما ممن ألَّف في تراجم الصحابة – رضي الله عنهم – .
فقد قال ابن الأثير في كتابه (أسد الغابة) في ترجمة عمرو بن جابر الجني (٣/ ٣٥٩) رقم (٣٨٨٧): (أوردناه اقتداءً بالحافظ أبي موسى [المديني] ، وقد ذكر أنه اقتدى بالطبراني ، وبالجملة فتركه أولى ، وإنما ذكرناه ؛ لأننا شرطنا أننا لا نخل بالترجمة) .
أما قول ابن حجر – رحمه الله – بالصحابة من الجن فله فيه سلف من العلماء من أمثال ابن حزم كما جاء في كتابه (الأحكام) (٤/ ٥٦٤) وغيره . قال ابن حجر في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) (٧/ ٦): (أما الجن فالراجح دخولهم ؛ لأن النبي ﷺ بُعث إليهم قطعاً ، وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون ، فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة ، وإن كان ابن الأثير عاب ذلك على أبي موسى فلم يستند في ذلك إلى حجة) . . ينظر: كتاب الروض الأنف للسهيلي (٤/ ٣١) ، والإصابة لابن حجر (ص ٤٣٧) رقم (٢٩٧٨) ، و(ص ٥٣٨) ، رقم (٣٧٣٤) ، و(ص ٥٦٦) رقم (٣٩٦٤) .
(٢) ينظر: كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر بن عبدالبر (ص ٣٨٦) ، رقم (١٣٢٢) ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري (٢/ ٥٦٥) ، رقم (٢٨٥٨) ، والإصابة (ص ١٦٨٨) ، رقم (١١٨٥٩) في ترجمة رملة بنت أبي سفيان – رضي الله عنها – أم حبيبة .
(٣) قال ابن إسحاق: وعبدالله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب ، إنما أمر الرسول ﷺ يوم الفتح بقتله لأنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً ، وكانت له قينتان: (فرتني) وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه . ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق (ص ٥٣٠) .
(٤) ينظر: الإصابة (ص ٩ – ١٠) ، وكتاب التحبير شرح التحرير في أصول الفقه للمرداوي (٤/ ١٩٩٧ – ٢٠٠٣) ، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٢/ ٤٦٥ – ٤٧٣) .

قال ابن كثير – رحمه الله – : (هذا قول جمهور العلماء خَلفاً وسَلفاً)(١) ، **وقال ابن حجر – رحمه الله –** بعد تعريفه للصحابي وشرحه لهذا التعريف: (وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين من المحدثين كالإمام أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، والبخاري) . وإليك أقوالهم – رحمهم الله تعالى – :

يقول الإمام أحمد – رحمه الله –: (كل من صحبه سنة أو شهراً ، أو يوماً ، أو ساعة ، أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه وسمع منه ، ونظر إليه نظرةً ، فأدناهم هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولقوا الله بجميع الأعمال ، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه ، ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعةً أفضل لصحبته من التابعين ولو عملوا كل الأعمال)(٢) .

ويقول علي بن المديني – رحمه الله – : (من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ)(٣) .

ويقول البخاري – رحمه الله – في صحيحه: (باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه)(٤) .

وبهذا يتبين على هذا القول بأن الصحابي هو من صحب النبي ﷺ أو رآه ، وإن كان هناك تفاضل في هذه الصحبة على حسب السابقة إلى الإيمان به والمشاركة معه في نصرة الإسلام .

القول الثاني:هو أن الصحابي: من رأى النبي ﷺ مؤمناً واختص به اختصاص المصحوب ، سواء روى عنه أو لم يرو عنه . وهذا قول جمهور الأصوليين(٥) .

---

(١) كتاب الباعث الحثيث (ص ٦٣) .

(٢) كتاب أصول السنة ، للإمام أحمد بن حنبل برواية (عبدوس بن مالك العطار) (ص ٦٢) ، وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام اللالكائي (١/ ١٥٩) .

(٣) كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام اللالكائي (١/ ١٩٧) .

(٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ (ص ٧٤٧) .

(٥) ينظر: كتاب العدة في أصول الفقه ، لأبي يعلى الفراء (٣/ ٩٨٨) ، وقواطع الأدلة ، للسمعاني (٢/ ٤٨٦) ، والمستصفى لأبي حامد الغزالي (٢/ ٢٦١) ، والواضح في أصول الفقه ، لأبي الوفاء بن عقيل (٥/ ٦٠) ، والتمهيد لأبي الخطاب الكلوذاني (٣/ ١٧٣) ، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٤/ ٣٠١) ، هذا قول جمهور الأصوليين وإن كان هناك من خالف كأبي يعلى .

فقول (من رأى النبي ﷺ): هذا تعبير بعض الأصوليين، وهذا يُشعر بأنه خاص بالبصير فقط والأولى أن يُقال: (من لقي النبي ﷺ) وذلك ليعم البصير والأعمى.

(مؤمناً): يخرج بذلك من لقيه قبل النبوة مثل: (زيد بن عمرو بن نفيل)(١).

وأيضاً من رآه وهو كافر ثم أسلم بعد موت النبي ﷺ كما يخرج بذلك أيضاً من لقيه ﷺ قبل النبوة، ثم أسلم بعد البعث ولم يلقه ﷺ، فإن هذا لا يكون صحابيّاً؛ لأنه لما لقي النبي ﷺ لم يكن حينذاك مؤمناً متّبعاً إياه مثل عبدالله بن الحارث بن نوفل(٢) وغيره.

وكذلك من لقي النبي ﷺ ثم ارتدَّ سواء في زمن النبي ﷺ، أو بعد وفاته مثل ابن خطل، فهذا وأمثاله لا يُعد ولا يعتبر من الصحابة؛ لأنه لم يستمر على اتباع النبي ﷺ فيما جاء به حتى نهاية عمره.

وقول: (واختص به اختصاص المصحوب): أي اختص بالنبي ﷺ ولازمه وأكثر من مجالسته كما يختص الصاحب بالمصحوب، حيث إنه لا يُسمَّى المرء صاحباً لغيره إلا إذا لازمه في أكثر الأحيان.

وأيضاً يخرج من هذا الاختصاص من رأى النبي ﷺ، أو رآه ساعةً، أو يوماً أو نحو ذلك. كما قال به أصحاب القول الأول.

ويخرج بذلك أيضاً من رأى النبي ﷺ مناماً فإنه لا يُسمَّى صحابيّاً إجماعاً؛ لأن الصحابي يجب أن يكون مختصّاً بالنبي ﷺ وملازماً له يقظةً لا من يراه في منامه.

وكذلك لا يعد من الصحابة من لقي النبي ﷺ ورآه بعد وفاته مثل: خالد بن

---

(١) هو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، نبذ عبادة الأوثان وأخذ بالحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ومات عليه قبل البعثة بخمس سنين، ينظر: كتاب الإصابة لابن حجر (ص ٤٥٣ - ٤٥٤)، رقم (٣٠٩٠).

(٢) هو عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي، ولد على عهد النبي ﷺ (قبل وفاته بسنتين) فحنّكه ودعا له. توفي سنة أربع وثمانين. ينظر: كتاب الاستيعاب لابن عبدالبر (ص ٣٩٠)، رقم (١٣٤١)، وأسد الغابة (٢/ ٥٧٤)، رقم (٢٨٨٢).

خويلد الهذلي(١)(٢).

وإليك بعض أقوال الأصوليين عن القول الثاني المنسوب إليهم.

يقول ابن فورك(٣) عن المراد بالصحبة: (هو من أكثر واختص به، ولذلك لم يُعدّ الوافدون من الصحابة.

وقد يُقال: فلان من الصحابة بمعنى أنه لقيه وروى عنه، وإن لم تطل صحبته ولم يختص به، إلا أن ذلك بتقييد. والأول بإطلاق) انتهى(٤).

ويقول أبو الوفاء بن عقيل(٥) في كتابه: (الواضح في أصول الفقه): (حكى أبو سفيان(٦) عن بعض مشايخه: أن الصحابي إنما يطلق على من رأى النبي ﷺ واختص به اختصاص الصَّاحب بالمصحوب، سواء روى عنه الحديث أو لم يروه، أخذ عنه العلم أو لم يأخذ. فاعتبر تطاول الصحبة)(٧).

---

(١) خالد بن خويلد، والمشهور خويلد بن خالد بن المحرِّث الهذلي، أبو ذويب. الشاعر المشهور، أسلم على عهد رسول الله ﷺ، توفي في خلاف عثمان ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٨٠٢)، رقم (٢٩٢٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢/ ١٣٤)، رقم (١٤٩٦).

(٢) ينظر: كتاب الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٣٢١ - ٣٢٣)، منع الموانع عن جمع الموانع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي (ص ١٩٩)، ومخالفة الصحابي للحديث النبوي (ص ٧٠ - ٧٤)، الخلاف اللفظي عند الأصوليين، عبدالكريم النملة (ص ٦٠).

(٣) هو محمد بن الحسن بن فَوْرَك، أبو بكر الأنصاري، أحد علماء وكبار الأشعرية، توفي سنة ٣٩٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٢١٤)، وشذرات الذهب، لابن العماد (١٣/ ١٨١).

(٤) كتاب البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٤/ ٣٠١).

(٥) هو: أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي، أحد الأئمة الكبار، قال عنه الذهبي: الإمام العلامة، البحر، شيخ الحنابلة، المتكلم صاحب التصانيف. توفي سنة ٥١٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣ - ٤٤٥).

(٦) محمد بن أحمد أبي سهل السرخسي، أحد أئمة وكبار الحنفية، صاحب التصانيف، منها: (المبسوط)، و(الأصول) وغيرها، توفي سنة ٤٨٣هـ، كتاب تاج التراجم (ص ١٨٢)، والفوائد البهية للكنوي (ص١٥٨).

(٧) (٥/ ٦٠).

ويقول **أبو المظفر السمعاني**[١] – رحمه الله – في كتابه: (قواطع الأدلة في أصول الفقه) في تعريف الصحابي: (وأمَّا اسم الصحابي؛ فهو من حيث اللغة والظاهر يقع على من طالت صحبته مع النبي ﷺ ،وكثرت مجالسته له . . .)[٢] .

وبهذا يتبين أن الأصوليين قد خالفوا المحدثين في تعريف الصحابي وفي بيان المراد بالصحبة .

وهناك أقوال أخرى وسأذكرها باختصار ، ويمكن الرجوع إليها في مظانها:

١ – أن الصحابي هو من أدرك زمن النبي ﷺ وإن لم يره ، ونسبه العراقي[٣] – في كتاب (فتح المغيث) – إلى يحيى بن عثمان بن صالح المصري[٤] ، وفي هذا توسع كبير .

٢ – أنَّ الصحابي هو من رأى النبي ﷺ ولو ساعة من نهار ، وهو مسلم بالغ عاقل ، حكى هذا القول الواقدي عن أهل العلم[٥] ولم يسمهم .

٣ – أنَّ الصحابي هو من صحب النبي ﷺ سنةً ، أو سنتين ، أو غزا معه غزوة أو غزوتين . ونُسِب هذا القول إلى سعيد بن المسيب – رحمه الله – وهذا القول يخرج من اتفق على صحبته للنبي ﷺ مثل جرير بن عبدالله[٦] وغيره .

---

(١) هو: أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني التيمي ، أحد الأئمة الكبار ، وممن له تصانيف في الفقه وأصوله والحديث ، ومنها كتابه (قواطع الأدلة في أصول الفقه) ، توفي سنة ٤٨٩هـ . سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤) .

(٢) (٢/ ٤٨٦) .

(٣) هو عبدالرحيم بن الحسين العراقي الشافعي زين الدين ، أحد أئمة الحديث الكبار ، وكان صالحاً خيراً ، ديناً ، ورعاً ، متواضعاً ، توفي في سنة ٨٠٦هـ . ينظر: الشذرات (٧/ ٥٥) ، والضوء اللامع للسخاوي (٤/ ١٧١) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٥٣٨) .

(٤) هو: يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، مولاهم المصري ، قال عنه الذهبي: إخباري له ما يُنكر ، وقال ابن حجر عنه: صدوق رمي بالتشيع ولينه بعضهم لكونه حدث من غير أصله ، توفي ٢٨٢هـ . ينظر: الكاشف للإمام الذهبي (٢/ ٣٧١) رقم (٦٢١٣) ، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص ٥٢٤) ، رقم (٧٦٠٦) .

(٥) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي ، تأليف: السخاوي (٤/ ٨٤) .

(٦) هو: جرير بن عبدالله بن جابر البجلي ، قال ابن إسحاق: كان إسلامه في العام الذي توفي فيه الرسول ﷺ . وقال جرير رضي الله عنه: أسلمت قبل موت رسول الله ﷺ بأربعين يوماً . وتوفي سنة ٥١هـ . ينظر: الاستيعاب (ص ١٢٠) ، رقم (٣٢٢) ، وأسد الغابة (١/ ٣١٩) .

٤ – أنَّ الصحابي هو من صحب النبي ﷺ وطالت صحبته، ولازمه وأخذ عنه العلم، وروى عنه، يُنسب هذا القول إلى الجاحظ[١][٢].

خلاصة القول: أنَّ التسمية بـ (الصحابي) له عدة اعتبارات وهي:

الأول: من يصدق عليه الاستعمال العرفي قطعاً، وهؤلاء: جمهور الصحابة من المهاجرين والأنصار – رضي الله عنهم أجمعين – الذين كانوا معه ﷺ، ومن هاجر إليه من القبائل وغزا معه – ولا ريب في أمثال هؤلاء – .

الثاني: من يقرب من هؤلاء كالذين هاجروا إلى الرسول ﷺ وأقاموا عنده أياماً قلائل ورجعوا إلى أماكنهم كوفد (عبد القيس) ووفد (ثقيف) وأمثالهم وكمثل (وائل بن حجر)[٣]، و(معاوية بن الحكم السلمي)[٤]، و(جرير بن عبدالله البجلي)، ومن لم يصحبه إلا مدة يسيرة – الأيام والليالي – ولكن حفظ عنه، وتعلَّم منه وروى عنه عدة أحاديث.

فهؤلاء أيضاً وأمثالهم يطلق عليهم الصاحب حقيقة عرفية.

---

(١) هو: عمرو بن بحر، أبو عثمان الجاحظ، أحد كبار المعتزلة، صاحب التصانيف المشهورة، ومن أهمها: (البيان والتبيين)، و(الحيوان). توفي سنة ٢٥٥هـ، وفيات الأعيان (١/ ٣٨٨)، ولسان الميزان(٤/ ٣٥٥).

(٢) ينظر ما تقدم من المصادر والمراجع السابقة في علم أصول الفقه، وعلوم الحديث، فكل من تكلم عن المراد بالصحبة ذكر هذه الأقوال. كما أنبه على أن هناك من بعض أهل الأهواء المغمورين المعاصرين من خرج بقول مبتدع في المراد بالصحبة؛ حيث قسم الصحبة إلى صحبةٍ شرعية، وصحبة لغوية، ويريد بالصحبة الشرعية صحبة المهاجرين والأنصار من أول الهجرة إلى صلح الحديبية، وأن ما ورد من فضائل لأصحاب رسول الله ﷺ إنما هي لهؤلاء وحدهم، ومن كان بعد الحديبية فصحبته لغوية كصحبة المنافقين والكفار. فأخرج بذلك الألوف الكثيرة من الذين أسلموا وهاجروا إلى الرسول ﷺ بعد الحديبية، وكذلك الذين أسلموا عام الفتح والوفود وغيرهم، وقد انبرى للدفاع عن الصحابة بعض العلماء ومنهم الشيخ: عبدالمحسن بن حمد العباد في كتابه: (الانتصار للصحابة الأخيار.

(٣) هو: وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمي، يُكنى أبا مندة، كان قيلاً من حضرموت، القيل: الملك. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ١١٦)، مادة: (قيل) وكان أبوه من ملوكهم، وفد على الرسول ﷺ فأسلم، وشهد مع علي صفين، وكان على راية حضرموت يومئذ، ينظر: الاستيعاب (ص ٧٥٦)، رقم (٢٧٢١)، وأسد الغابة (٤/ ٣٠٦)، رقم (٥٤٤٤).

(٤) هو: معاوية بن الحكم السلمي، كان ينزل المدنية، ويسكن في بني سُليم. قال ابن عبدالبر: (له عن النبي ﷺ حديث، واحد حسن في الكهانة والطيرة والخطِّ، وفي تشميت العاطس في الصلاة جاهلاً، وفي عتق الجارية...) الاستيعاب (ص ٦٧١) رقم (٢٣٤٧)، وأسد الغابة (٤/ ١٥٣) رقم (٤٩٨٢).

وإن كانت مدة صحبتهم ليست طويلة ؛ لتحقق الاسم فيهم وصدق الاتصاف بالصحبة لهم .

الثالث: من لقيه ﷺ بمجالسة يسيرة أو مبايعة أو مماشاة ، وكان مسلماً إمَّا بالغاً أو مميزاً ، وعقل من النبي ﷺ شيئاً ما بأن أجلسه في حجره(١) أو مجَّ في وجهه ماء(٢) أو غير ذلك فلا ريب في أن الإطلاق العرفي منتفٍ عن مثل هؤلاء .

وأمَّا الإطلاق اللغوي فهو قريب ، وقد ينازع فيه لأنه يصح نفي الصحبة عن أمثال هؤلاء ، فيقال: ما صحبه ولكن بايعه أو كلَّمه يسيراً أو جلس في حجره صغيراً ونحو ذلك .

الرابع: من لم يجتمع به ﷺ أصلاً ، وإنما رآه من بعيد وحكى شيئاً من أفعاله ، أو لم يحكِ شيئاً ، مثل أبي الطفيل عامر بن واثلة(٣) وغيره ، ممن ليس له إلا مجرَّد الرؤية ، إمَّا في حجة الوداع ، أو غزوة الفتح ، أو غزوة حنين وغير ذلك .

أو كان مع أبيه فأراه النبي ﷺ من بُعد ، فلا ريب في أن الإطلاق اللغوي منتفٍ عن هؤلاء قطعاً فضلاً عن الاستعمال العرفي ، وإنما أعطي هؤلاء حكم الصحبة لشرف ما حصل لهم من الرؤية له ﷺ ، ولدخولهم في القرن الذي أثبت رسول الله ﷺ أنهم خير القرون من أمته ، فكان ذلك على وجه التوسع المجازي لا على سبيل الحقيقة .

وأما من عاصر النبي ﷺ ولم يره أصلاً فلا ريب أنه بعيد جداً ؛ لأن الصحبة منفية قطعاً بالاعتبار اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، ولا رؤية حصل لهم بها شرف

---

(١) مثل عبدالله بن الحارث بن نوفل ، وقد سبق الترجمة له .

(٢) مثل محمود بن الربيع الخزرجي الأنصاري ، عقل عن رسول الله ﷺ مجَّة مجَّها من دلو من بئرهم ، وحفظ ذلك عنه وهو ابن أربع سنين أو خمس سنين ، توفي سنة ٩٦هـ . الاستيعاب ، رقم (٢٣٨٩) . وينظر: أسد الغابة (٤/ ٨٦) ، رقم (٤٧٧٧) .

(٣) أبو الطفيل ، عامر بن واثلة الليثي ، المكي ، ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين . يقول عن نفسه: رأيت النبي ﷺ ولم يبق على وجه الأرض أحدٌ رآه غيري ، نزل الكوفة ، وصحب علياً – رضي الله عنه – في مشاهده كلها ، فلما قتل علياً انصرف إلى مكة فأقام بها ، توفي سنة ١٠٠ ، وقيل: ١١٠هـ . الاستيعاب (ص ٨٢٦) رقم (٣٠٣٢) ، وأسد الغابة (٢/ ٥٣٠) رقم (٢٧٤٧) .

المنزلة ، ويدخل في ذلك من ولد من أبناء الصحابة – رضي الله عنهم – وتوفي النبي ﷺ وهو ابن سنة .

ومن عدَّهم فإنما عدَّهم من باب استيفاء ذكر القرن الأول الذي عاصره النبي ﷺ[١] ، والله أعلم .

*　*　*

(١) ينظر: كتاب تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة ، تأليف: العلائي (ص ٣٩ – ٤٠).

المبحث الأول

موقف المستشرقين من صلة الصحابة بالرسول ﷺ وصلة بعضهم ببعض

المطلب الأول: موقف المستشرقين من صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ

لقد بيَّن الله عز وجل في كتابه الكريم صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ أبلغ بيان، وأوضحه فقال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قد علم الله تعالى شفقة رسول الله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم كان مقدماً على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وفي الصحيح: (**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين**)(١).

وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: (**لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك**) فقال يا رسول الله: والله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي. فقال ﷺ: (**الآن يا عمر**)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري ح/ ١٤، ١٥، (ص ٧)، ومسلم في صحيحه، ح/ ٦٩، ٧٠ (ص ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري ح/ ٦٦٣٢ (ص ١٣٩٥).

ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾»[١].

ولقد أدَّب القرآن الكريم الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم، حيث أمرهم بتعظيم الرسول وتوقيره، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. وقال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: ٨، ٩]. وعلمهم حسن الأدب في كلامهم مع الرسول ﷺ، حيث قال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]. وقال: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٣].

إن هذا الجيل الذي تربى على القرآن وهذب أخلاقه، قد ربط نفسه بالرسول ﷺ بصلات قوية؛ رخصت في سبيلها الأموال والأنفس،وسجلت أروع البطولات والتضحيات.

وإن الناظر في سير الصحابة رضي الله عنهم وما سُطر عنهم في كتب السنة والسيرة وغيرها ليجد المثال الذي يحتذى، والعبرة التي يستفاد منها.

لقد كانت حياة هذا الجيل من الصحابة رضي الله عنهم قدوة للعالمين في كل زمان ومكان.

ولما كان الحديث عن ذلك يطول ويبعد بنا عن مقصدنا، فسأذكر مثالين يدلان على قوة صلتهم ومحبتهم للرسول ﷺ:

المثال الأول: هو فيما ذكره ابن إسحاق عن زيد بن الدَّثنة[٢] رضي الله عنه وحادثة يوم الرجيع في سنة ثلاث، وفيه أنه رضي الله عنه أُسر مع بعض الصحابة رضي

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٤٧٦).

(٢) هو زيد بن الدَّثنة بن معاوية الأنصاري الخزرجي البياضي، شهد بدراً وأحداً، وقتل سنة ثلاث من الهجرة. ينظر: أُسد الغابة، لابن الأثير (٢/ ٢٤٣) رقم (١٨٣٦)، والإصابة لابن حجر (ص ٤٤٩) رقم (٣٠٥٥).

الله عنهم في مؤامرة دبرتها عضل والقارة وهم من الهَوْن بن خزيمة بن مدركة[1]، حيث باعت زيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي[2] رضي الله عنهما.

والشاهد هو أن زيد بن الدثنة ابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، أمية بن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولىً له، يقال «نسطاس»[3] إلى التنعيم، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه!

واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب.

- فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحبّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه، وأنّي جالس في أهلي!.

- قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحبِّ أصحاب محمدٍ محمداً)[4].

المثال الثاني: يمثل رابطة قوية في أحلك الأوقات، وتعدد المصائب.

قال ابن إسحاق: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (مر رسول الله ﷺ بامرأة من دينار، وقد أُصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد، فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد لله كما تحبين.

---

(١) كتاب السيرة النبوية ،لابن هشام (٣/ ١٨٧).

(٢) هو خبيب بن عدي الأنصاري الأوسي، شهد بدراً، وأسر يوم الرجيع، حيث أسر مع زيد بن الدثنة في سنة ثلاث، وانطلق المشركون بهما إلى مكة فباعوهما فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فقتل به. الاستيعاب (ص ٢٠٩) رقم (٦٧١)، وأسد الغابة (٢/ ١٠٨) رقم (١٤١٧).

(٣) نسطاس مولى صفوان بن أمية الجمحي، شهد أحداً مع المشركين، ثم أسلم وحسن إسلامه، ينظر: كتاب الإصابة (ص ١٣٣١)، رقم (٩٠٠٠).

(٤) كتاب السيرة لابن هشام (٣/ ١٩١)، وذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٧٧) من حديث ابن إسحاق مرسلاً.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كلّ مصيبة بعدك جلل! تريد صغيرة)[١].

هذا وقد نقل المستشرقون كثيراً من صلات الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ عن كتب السيرة والتاريخ، إلا أن بعض ذلك لم يسلم من الزيادات والتفسيرات الباطلة المدفوعة من مناهجهم التي يكتبون بها عن الإسلام وأهله، إضافة إلى خبيئة في صدورهم نمّت عليها فيها أقلامهم وسطورهم، وشذ في ذلك ما قاله بشيء من الإنصاف المستشرق سيديو (SEDILLOT) عندما وصف صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ بقوله: **(ويبدي المسلمون له آيات الإخلاص عند كل بلاء، ويجمع في يده السلطتين الدينية والمدنية، حتى أن رجلاً من قريش قال: إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه... وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه)**[٢].

وهذا الحديث الذي ذكره سيديو، كان في زمن صلح الحديبية، والذي حاول فيه المستشرقون أن يقدحوا في صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ، وتضخيم ما حدث من بعض الصحابة رضي الله عنهم ورأيهم في كتابة هذا الصلح، وسنتناوله قريباً.

فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن المسور بن مخرمة[٣]، ومروان

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١١٠ – ١١١) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٤٢٤).

(٢) كتاب: تاريخ العرب العام، لسيديو (ص ٧٩).

(٣) هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري، أبو عبدالرحمن ،ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وقدم به أبوه المدينة. وقبض النبي ﷺ والمسور ابن ثمان سنين، وسمع من النبي ﷺ وحفظ عنه. وكان فقيهاً من أهل الفضل والدين، وبقي بالمدينة إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه، ثم انحدر إلى مكة، فلم يزل بها حتى توفي معاوية، وقدم الحصين بن نمير مكة لقتال ابن الزبير وذلك عقب المحرم، أو صدر صفر وحاصر مكة، وفي حصاره ومحاربته أهل مكة أصاب المسور حجر من حجارة المنجنيق وهو يصلي في الحِجر فقتله، وصلى عليه ابن الزبير بالحجون، الاستيعاب (ص ٦٧٧)، رقم (٢٣٧٦)، وكتاب أسد الغابة (٤/ ١٣٠)، رقم (٤٩٢٧).

ابن الحكم[١] (في حديث طويل) أن عروة بن مسعود[٢] أرسل من قبل كفّار قريش في الحديبية – جعل يَرْمُقُ[٣] أصحاب النبي ﷺ بعينيه ، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة[٤] إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلدهُ ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النَّظر تعظيماً له ، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيتُ ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ)[٥] .

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي الأموي . يُكنى أبا عبدالملك . ولد على عهد رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة . استكتبه عثمان رضي الله عنه ، ولما صار الأمر إلى معاوية ولاه المدينة ، ثم لم يزل بها إلى قبيل وقعة الحرة ، وبقي بالشام إلى أن مات معاوية بن يزيد بن معاوية فبايعه بعض أهل الشام ، ثم كانت الوقعة بينه وبين الضحاك بن قيس ، وكان أميراً لابن الزبير ، واستوثق له ملك الشام حتى تم ، توجه إلى مصر استولى عليها ، ثم بغته الموت فعهد إلى ولده عبدالملك ، ينظر: الاستيعاب (ص ٦٨١) ، رقم (٢٣٩٣) ، وكتاب أسد الغابة (٤/ ١٠٧) ، رقم (٤٨٤٩) .

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي ، وهو عم والد المغيرة بن شعبة . وقد أسلم في وقت انصراف الرسول ﷺ وسأل النبي أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ: إنهم قاتلوك ، فقال له عروة: يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبصارهم . فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، ورجا أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عُلّية وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . ينظر: أسد الغابة (٣/ ٢٤٦) ، رقم (٢٤٧) ، والإصابة (ص ٩٠٦) ، رقم (٦١٩٥) .

(٣) يرمق: أطال النظر إليه ، المصباح المنير (ص ١٢٥) ، مادة: (ر م ق) ، وكتاب: مختار الصحاح للرازي (ص ١٤٩) ، مادة: (ر م ق) .

(٤) نخامة: البَزْقَة التي تخرج من أقصى الحلق ، وأما النخاعة فهي البزقة التي تخرج من أصل الفم ، مما يلي أصل النُّخاع . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٢٨) مادة: (نخع) و(نخم) .

(٥) صحيح البخاري ، ح/ ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، (ص ٥٤٩ – ٥٥٢) .

سبب صلة الأنصار رضي الله عنهم بالرسول ﷺ

لقد جعل بعض المستشرقين سبب الصلة التي قامت بين أهل المدينة (الأنصار) والرسول ﷺ من أجل الناحية السياسية، وما ينتج عنه من استقرار داخلي، وكذلك من الناحية الدينية، ولكن هناك ميل إلى الإصلاح السياسي، الذي ستنعم به المدينة وأهلها.

يقول عن ذلك المستشرق مونتجمري وات (MONTGOMERY.WATT) في كلامه عن إسلام أهل المدينة: (وكان هذا يعني من الناحية الدينية، قبول محمد كنبي، ومن الناحية السياسية كحكم بين الفئات المتنازعة في المدينة.

ويبدو أن الكثيرين كانوا مخلصين في قبوله كنبي، وإن كان البعض لم ينظر إلى المسألة إلا من الناحية السياسية، وقد سبقه إلى المدينة، اعتماداً على الاتفاق سبعون من أتباعه المكيين حيث قاموا برعاية أنصاره المدنيين.

وهكذا أصبح لمحمد عند قدومه إلى المدينة حاشية دينية قوية، كما أصبحت له مكانة سياسية مهمة نوعاً ما في أمته)[١].

واستشهد بقول المستشرق كايتاني في موضع آخر من كتابه (محمد في مكة) فيقول: (ادعى «كايتاني»» أن سكان المدينة رضوا بمحمد ككاهن[٢] أعلى فقط لأنهم بحاجة إلى الاستقرار الداخلي في المدينة وليس لأنهم يقبلون تعاليم «القرآن»» بأكملها. وبعضهم فقط كانوا مسلمين حقاً)[٣].

وما ذكر سابقاً يدل على الخلفية المنهجية التي انطلقوا من خلالها في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم، بل وعن الإسلام وتعاليمه، وكذلك لاستخدامهم المنهج المادي، والانتقائي في الكتابة.

---

(١) كتاب: محمد في المدينة (ص ٣).

(٢) ولعله يقصد صاحب المركز الديني، وقد يكون سوء تعبير وقصد من هذا المستشرق، والله تعالى نفى عن رسوله ﷺ صفة الكهانة، فقال: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩].

(٣) (ص ٢٣٤).

بل إن في هذه الكتابة إخفاء لما ذكر في كتاب السير والتاريخ .

فقد جاء عن ابن إسحاق في السيرة – وهو مصدر أصيل عند المستشرقين والمسلمين – عن بدء إسلام الأنصار أنه قال: (فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في «المَوْسم» الذي لقيه فيه النَّفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لَقِي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

. . . لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا نفر من الخزرج . قال: أمِن موالي يهود؟ قالوا: نعم . قال: أفلا تجلسون أكلِّمكم؟ قالوا: بلى .

فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن .

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعِلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوثٌ الآن، قد أظلَّ زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلَّم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوا وقَبِلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك . فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتَعْرِض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزَّ منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدَّقوا .

. . . فلما قَدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودَعَوهم إلى الإسلام

حتى فشا فيهم، فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله ﷺ)[١].

فإذاً كان من أسباب إسلام أهل المدينة، هو منافسة اليهود على هذا النبي الذي كانت تبشر بقرب زمانه، وتعقد عليه آمالها. فمع ما عليه أهل المدينة من الوثنية والجهل إلا أنهم يعتقدون أن عند اليهود في كتبهم علم ليس عندهم.

إضافة إلى تعامل اليهود الفظّ والخشن مع أهل المدينة، فقد كانت المدينة متوزعة سياسياً بين الخزرج، والأوس، واليهود. وكانت بينهم الإحَن والاختلافات التي تفضي إلى نزاعات مسلحة كما في يوم بُعاث[٢].

وقبل إسلام أهل المدينة، استقر رأي ذوي العقول منهم على تتويج رجل منهم على مُلك المدينة.

قال ابن إسحاق رحمه الله: (وقدم رسول الله ﷺ المدينة... وسيد أهلها عبدالله بن أبيّ بن سلول العوفي، ثم أحد بني الحُبْلَى، لا يُختلف عليه في شرفه من قومه اثنان لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، حتى جاء الإسلام غيره... فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوِّجوه ثم يُملِّكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ، وهم على ذلك.

فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن[٣]، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه مُلكاً.

فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مُصرًّا على نفاق وضِغْن)[٤]

---

(١) كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٤١ - ٤٤)، وقد حسَّن هذه الرواية صاحب كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية الدكتور: مهدي رزق الله أحمد. ينظر: (١/ ٢٨٨).

(٢) كان يوم بُعاثْ يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حُضير بن سماك الأسلمي، أبو أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً. السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٦٩).

(٣) ضغن: الضِّغن: الحقد والعداوة والبغضاء، وكذلك الضغينة وجمعها ضغائن. كتاب: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٨٤) مادة: (ضغن).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٦ - ١٩٧).

وإثارة للمنازعات وغيرها بين أهل المدينة .

وتجد في النص السابق أن أهل المدينة كانوا في شر من هذه المنازعات فطمعوا فيما هو من تعاليم الإسلام من حسن الجوار ، وحقن الدماء .

كما أن هناك سبب آخر كان بمثابة التوطئة والتمهيد لقبول أهل المدينة الإسلام والإقبال إليه(١) .

فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان يوم بُعاث يوماً قدَّمهُ الله لرسوله ﷺ ، فقَدِم رسول الله ﷺ وقد افترق ملأهم وقتلت سرواتهم(٢) وجرحوا ، فقدَّمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام)(٣) .

ولعل سبب عدم ذكر المستشرق هذه الروايات التاريخية لأن فيها إدانة لليهود والنصارى لعلمهم بصدق رسالة الرسول ﷺ وإعراضهم عنها .

وأمَّا عن الحالة السياسية في المدينة المتدهورة فقد اتضحت من الروايات السابقة .

وأمر السياسة ، والاستقرار الداخلي في المدينة ، يمثل المرتبة الثانية بعد الأولى وهي الإيمان بالرسول ﷺ وما جاء به ، ومنافسة اليهود إلى هذا الخير ، ولعل أهل المدينة «الأنصار» فهموا من تهديد اليهود لهم بقتلهم قتل إرم وعاد ، أن هذا النبي سيكون له سيطرة وقدرة على بسط حكمه وأمره على هذه الأنحاء من المدينة وغيرها .

ومن ناحية أخرى هل كان الرسول ﷺ يسعى للإصلاح الديني والسياسي ، أم السياسي فقط .

الجواب عن هذا يلزم منه معرفة ما يدعو إليه ، وسيرته في هذه الدعوة . الرسول ﷺ أرسله الله تعالى بدعوة الحق ، وهي عبادة الله تعالى ، ونبذ كل ما يعبد من دون الله من الأصنام وغيرها . قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا

---

(١) ينظر: كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (١/ ٢٨٩) بتصرف .

(٢) سرواتهم: أشرافهم ، كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٢٧) ، مادة (سرى) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب: مناقب الأنصار ، باب: مناقب الأنصار ح/ ٣٧٧٧ (ص ٧٧٣) .

ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥].

وكانت بعثة الرسول ﷺ نعمة مَنَّ الله بها على عباده المؤمنين فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالرسول ﷺ لما دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وحده قابلوا دعوته بقوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [ص: ٥ - ٧].

وقد لقي الرسول ﷺ من قومه أصنافاً من الأذى المعنوي والحسي.

قال ابن إسحاق رحمه الله عن ذلك: (ثم إن قريشاً اشتدّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم، فكذبوه وآذوه، ورموه بالشِّعر والسِّحر والكَهانة والجُنون، ورسول الله ﷺ مظهرٌ لأمر الله لا يستخفي به مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيَّاهم على كفرهم).

وفي موضع آخر قال عن عروة بن الزبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟

قال: حضرتهم، وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صَبرنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ، سفَّه أحلامَنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا:

فبينا هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، قال: ثم مضى؛ فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف، ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذّبْح!

قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع، حتى إن أشدَّهم فيه وصاةً قَبْل ذلك لَيْرفَؤُه[1] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً.

قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم؛ فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجلٍ واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول: كذا وكذا، لِما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم؛ فيقول رسول الله ﷺ: نعم، أنا الذي أقول ذلك.

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه.

قال: فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدّ ما رأيت قريشاً نالوا منه قطّ)[2].

ففي هذه النصوص التاريخية من سيرته ﷺ، لا تجده ﷺ كان يدعوا لإصلاح سياسي، أو من أجل رئاسة قومه، بل كانت دعوته ﷺ من أجل إفراد الله بالعبادة، ونبذ عبادة الأوثان والأصنام.

وانظر أيضاً إلى ما دار بين عتبة – وهو أحد كبار كفار قريش – والرسول ﷺ كما نقله ابن إسحاق رحمه الله عن محمد بن كعب القرظي، قال: حُدِّثت أن عتبة بن

---

(١) يرفؤه: أي يُسكِّنه ويرفق به ويدعو له. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢١٩)، مادة: (رفا).

(٢) السيرة النبوية (١/ ٣٢٦ – ٣٢٧)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ح ٣٦٩١، والبيهقي في دلائل النبوة، (٢/ ٣٣٨)، وقال: كذا قال عباس بن الفضل وليس بالقوي.

ربيعة، وكان سيداً، قال يوماً وهو جالس في نادي[١] قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحدَه: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمه وأعْرِض عليه أموراً لعلَّه يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكفّ عنَّا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قُم إليه فكلِّمه، فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنَّك منَّا حيثُ قد علمتَ من السِّطة[٢] في العشيرة، والمكان والنَّسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرَّقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعِبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع.

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوَّدناك[٣] علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِياً[٤] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طَلَبْنا لك الطبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم. قال: «**فاسمع مني**»، قال: أفعل؛ فقال: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ [فصلت:

(١) نادي: النادي مجتمع القوم وأهل المجلس، فيقع على المجلس وأهله. كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ٣١) مادة: (ندا).

(٢) السِّطة: أي من أشرفهم حسباً ونسباً. ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٢٩)، مادة: (سطة)، و(٥/ ١٦٠)، مادة: (وسط).

(٣) أي جعلناك سيداً علينا، وبنحوه ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٧٤)، مادة: (سود).

(٤) الرئي: التابع من الجن، سُمي به لأنه يتراءى لمتبوعه. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٦٤)، مادة: (رأى).

١ - ٥]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك)[١].

بل إنه في رواية أخرى كما عند ابن إسحاق رحمه الله تعالى، أن رؤساء قريش كلموا الرسول ﷺ فيما سبق أن عرضه عليه عتبة بن ربيعة.

(فقال لهم رسول الله ﷺ: **«ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»**، أو كما قال ﷺ)[٢].

فالمقصد مما سبق، أن المُلك عرض على الرسول ﷺ من كفَّار قريش، فلم يقبله؛ إنما الذي قبله ورضيه أن يدعو إلى عبادة الله تعالى وأن يفرد بالعبادة، فتُهجر عبادة الأصنام والأوثان وكل ما فيه شرك مع الله تعالى

ولقد عرض الملك على الرسول ﷺ، من قِبل واهب الـمُلك - الرب عز وجل - حيث خيَّره أن يكون ملِكاً رسولاً، أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً.

أخرج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السَّماء، فإذا مَلَكٌ ينزل، فقال جبريل: إن هذا المَلَكَ ما نَزَلَ مُنْذُ يوم خُلق قبل السَّاعة، فلما نزل قال: يا محمدُ، أرسلني إليك رَبُّكَ: أفَمَلِكاً نبيّاً يجعلك، أو عبداً رسولاً؟

قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: **«بل عبداً رسولاً»**)[٣].

---

(١) السيرة النبوية (١/ ٣٣٠ - ٣٣١). وقال صاحب كتاب: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الدكتور: مهدي رزق الله أحمد: إسناد ابن إسحاق منقطع (١/ ٢٠٠).

(٢) السيرة النبوية (١/ ٣٣٢) ولم يذكر له سنداً.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح/ ٧١٦٠ (ص ٥٤٣)، وابن حبان في صحيحه ح/ ٦٣٦٥ (١٤/ ٢٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٩): "رواه أحمد والبزار وأبي يعلى ورجاله رجال الأولين رجال الصحيح".

وبهذا يتبين أن سلوك الرسول ﷺ وأخذه بالسياسة مع قومه، ومع القبائل الأخرى، ومراسلاته لكسرى وقيصر، والنجاشي وغيرهم إنما هو أخذ بالوسائل في الدعوة إلى الله تعالى. فالسياسة وسيلة وليست غاية.

فإنه لما بقي سنوات طوال يدعو قومه، ولا يزيدهم ذلك إلا إصراراً على باطلهم، وتحدياً له، أخذ يدعو القبائل الأخرى حتى كانت قصته مع أهل المدينة السابقة.

وأما تقسيم المستشرق مونتجمري وات، وكايتاني من آمن به إلى قسمين، حيث يقول مونتجمري: (**ويبدو أن الكثيرين كانوا مخلصين في قبوله كنبي، وإن كان البعض لم ينظر إلى المسألة إلا من الناحية السياسية**).

وهذه الأقلية عند «مونتجمري» هي أكثرية عند «كايتاني» فيقول: (**إن سكان المدينة رضوا بمحمد ككاهن أعلى فقط؛ لأنهم بحاجة إلى الاستقرار الداخلي في المدينة وليس لأنهم يقبلون تعاليم «القرآن» بأكملها، وبعضهم فقط كانوا مسلمين حقًّا**).

فمن هؤلاء الأقلية التي رضيت بمحمد ﷺ مصلحاً سياسياً كما جاء ذلك عن المستشرق «مونتجمري وات»، والتي يخالفه فيها «كايتاني» فيجعلها أكثرية، والأقلية من كان مؤمناً حقًّا بالرسول ﷺ.

وهذه الأقوال ليس عليها دليل ألبتة، وحتى لو قلنا الأقلية هم المنافقون من أمثال عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، ومن هو على رأيه هل يمكن القول بأنهم يقولون بأن الرسول ﷺ جاء بالإصلاح السياسي لأوضاع المدينة؟!

طبعاً لا. فعبدالله بن أبي، كان عزم أهل المدينة واتفاقهم على توليته الملك، فالرسول ﷺ خصمٌ له، بل قد تظاهر بالإسلام مجاملة لقومه، وفي داخله حقد لا منتهى له.

وقول «كايتاني» بأن الأكثرية رضيت من باب إصلاح أوضاع المدينة غير المستقرة قول لا دليل عليه. وكيف تنصرف عن تتويج رجل رأته أهلاً للملك وحكم المدينة إلى رجل من قريش، سيادتهم على مكة فقط. على كل حال فأقوال المستشرقين هنا لا تقوم على دليل من عقل، ولا نقل.

صلة الصحابة رضي الله عنهم من قبيلة الأوس بالرسول ﷺ

قبيلة الأوس، إحدى القبائل الساكنة في المدينة، وهي تساوي قبيلة الخزرج قوةً ومنعة، وقد حدثت بينهما مقتلة عظيمة يوم بُعاث.

والمستشرق «ريكندوف» يقول: أن الأوس كانوا بمعزل عن الإسلام، وكانت صلتهم: من إيمانهم وجهادهم مصدر تعب للرسول ﷺ، حيث يقول:

(ولما حث النبي ﷺ معظم أتباعه على مؤاخاة أهل المدينة بعد وصوله إليها بقليل – كان بين أهل المدينة قليل من الأوس.

وظل الكثير منهم بمعزل عن الإسلام – إلى حين – وكانوا أحياناً مصدر تعب للنبي ﷺ، وكذلك حيادهم في جهادهم الديني وغير ذلك)[١].

وهذا القول لم يستدل له، بل إن من المعلوم أن هناك من رجال وسادات الأوس من أسلم في زمن متقدم، وشارك في دعوة قومه إلى الإسلام، فقد كان من بين الأوس الذين بايعوا الرسول ﷺ في العقبة الأولى: أبو الهيثم بن التيهان[٢]، وعويم بن ساعدة[٣]. بل وأسلم على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه لما أرسله يعلم أهل المدينة الإسلام، ويقرئهم القرآن، ويفقههم في الدين، سعد بن معاذ، وأسيد بن حُضير رضي الله عنهما[٤].

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٥/ ١٤١) مادة الأوس.

(٢) أبو الهيثم مالك بن التيهان الأنصاري الأوسي، كان أحد النقباء ليلة العقبة، ثم شهد بدراً.
واختلف في وقت وفاته فقيل: مات في حياة رسول الله ﷺ. وقيل: إنه توفي سنة عشرين، أو إحدى وعشرين، وقيل: إنه أدرك صفين، وشهد مع علي، وهو الأكثر، وقيل: إنه قتل بها. الاستيعاب (ص٨٦١)، رقم (٣١٨١). كتاب أسد الغابة (٥/ ١٢٣)، رقم (٦٣٣).

(٣) هو عويم بن ساعدة الأنصارى الأوسي. شهد عويم العقبتين جميعاً في قول الواقدي وغيره يقول: شهد العقبة الثانية مع السبعين، وهو ابن خمس، أو ست وستين سنة. الاستيعاب (ص ٥٩١)، رقم (٢٠٣٩) والإصابة (ص ١٠٢٤)، رقم (٧٠٧٣).

(٤) كتاب السيرة النبوية (٢/ ٤٨).

وجاء عند ابن إسحاق رحمه الله في سيرته أنه لما أسلم «سعد بن معاذ» وهو من الأوس، وقف على قومه فقال: (يا بني عبدالأشهل - قوم سعد وهم من الأوس - كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبةً.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

[قال] فوالله ما أمسى في دار بني الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة)(١).

وقد شارك الأوس أيضاً في بيعة العقبة الثانية، وكان منهم ثلاثة نقباء وهم: أسيد بن حضير، وسعد بن خثيمة(٢)، ورفاعة بن عبدالمنذر(٣)(٤) وهناك عدد كبير منهم شهد بيعة العقبة الثانية، من بني حارثة، وبني عبدالأشهل، وبني عمرو بن عوف(٥).

كما أن الأنصار ومنهم الأوس كان لهم جهاد صادق مع الرسول ﷺ، وانظر إلى قول سعد بن معاذ رضي الله عنه لما قال الرسول ﷺ في خروجه لملاقاة كفَّار مكة في بدر:

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٠٥)، ولم يذكر ابن إسحاق له سنداً، وأما ابن سعد فقد رواه عن الواقدي، وقال صاحب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: إسناده حسن.

(٢) هو سعد بن خيثمة الأنصاري الأوسي، عقبي بدري، قتل يوم بدر شهيداً. وذكروا أن رسول الله ﷺ لما استنهض أصحابه إلى عير قريش أسرعوا، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد: إنه لا بُدَّ لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج، وأقم أنت مع نسائنا، فأبى سعد؟! وقال: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر فقتل رضي الله عنه. الاستيعاب (ص ٢٧٩)، رقم (٨٩٣)، وأسد الغابة (٢/ ٢٩١)، رقم (١٩٨٧)، والإصابة (ص ٤٨٣)، رقم (٣٣٠١).

(٣) هو رفاعة بن عبدالمنذر أبو لبابة الأنصاري الأوسي، نقيب، شهد العقبة وبدراً، وسائر المشاهد، وهو مشهور بكنيته، واختلف في اسمه، فقيل: رفاعة، وقيل: بشير بن عبدالمنذر. الاستيعاب (ص ٢٣٠)، رقم (٧٤٥)، وكتاب أسد الغابة (٢/ ١٩٤) رقم (١٦٩٢)، وكتاب الإصابة (ص ٤١٦)، رقم (٢٨١٩).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٥٨)، ولم يذكر ابن إسحاق لذلك سنداً، وأشار إلى ذلك صاحب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

(٥) المصدر السابق (٢/ ٦٨ - ٧٠).

أشيروا عليَّ أيها الناس ، فكان أن قال سعد بن معاذ: (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل ؛ قال: فقد آمنَّا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً ، إنا لصُبرٌ في الحرب ، صُدُقٌ في اللقاء ، لعل الله يُريك منَّا ما تقرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله)(١) .

وهل بعد هذا القول يمكن التقوُّل في جهادهم رضي الله عنهم ، وأنهم كانوا في حياد في جهاد هم مع الرسول ﷺ؟

وقال ابن إسحاق رحمه الله: (فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله ﷺ ، ومن ضُرِب له بسهمه وأجره ، أحد وستون رجلاً)(٢) .

هذا طرف من ذكر جهادهم رضي الله عنهم ، وصلتهم بالرسول ﷺ ومشاركته في الجهاد .

وأما قول المستشرق «ريكندوف»: (**وظل الكثير منهم بمعزل عن الإسلام – إلى حين – وكانوا أحياناً مصدر تعب للنبي [صلى الله عليه وسلم] وكذلك حيادهم في جهادهم**

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٧) ، وأخرجه مسلم ، ح/ ٨٣ (ص ٧٩٢) ، ونص على أن القائل هو سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وهو لم يشهد بدراً ، ولكن أسهم له .
قال ابن حجر في كتابه فتح الباري: (وكذا ذكره [يعني قول سعد بن معاذ] موسى بن عقبة مبسوطاً ، وأخرجه ابن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة ، وعند ابن أبي شيبة من مرسل علقمة بن وقاص في نحو قصة المقداد ، فقال سعد بن معاذ: (لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك . . .) . . . ووقع في مسلم أن سعد بن عبادة هو الذي قال ذلك ، وكذا أخرجه ابن شيبة من مرسل عكرمة ، وفيه نظر ؛ لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدراً ، وإن كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهمه . ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان ، وذلك بيِّن في رواية مسلم ولفظه: أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، الثانية كانت بعد أن خرج كما في حديث الباب ، ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية ، وهذا أولى بالصواب ، كتاب: المغازي ، باب: غزوة بدر ، ح/ ٣٩٥٢ (٧/ ٣٣٠) .
(٢) كتاب السيرة النبوية (٢/ ٣٠٣) ، ولم يذكر له سنداً .

الديني وغير ذلك) .

لعل هنا خلط بين من بقي على كفره ، وبين من أسلم .

فقول المستشرق بأن الأوس كان لهم حياد في الجهاد مع الرسول ﷺ ، لم يستدل لذلك ، بل إن هناك أدلة على جهادهم وتضحياتهم في سبيل الله كما في بدر ، وأُحد وغيرها ، وقد ذكرت بعض الأدلة على ذلك في بداية الكلام على هذا الافتراء .

ولعل بقاء بعض أفراد الأوس على الكفر وكراهة البعض للإسلام ، حيث دخلوه ظاهراً مع إبطان الكفر مما جعل المستشرق يختلط عليه الأمر ، أو يخلط الأمر ببعضه .

وانظر إلى قول المستشرق ريكندوف (**RECKENDORF**) والذي يفيد أن الأوس كان إسلامهم مختلطاً بتعاليم أبي عامر الراهب فيقول: (**ويظهر أنهم [في بادي الأمر] رضوا بقبول الإسلام مصطبغاً بتعاليم «أبي عامر» ولكن النبي «محمداً» [صلى الله عليه وسلم] أبى عليهم ذلك أو أن يعتزلوا ويتعبدوا في مسجد خاص بهم، ومن ثم حسنت عقيدتهم الإسلامية منذئذ**)(١).

وقبل الكلام على ما سبق أنقل بعض ما جاء عن ابن إسحاق في سيرته ، في خبره عن أبي عامر الراهب هذا حيث قال:

(أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان ، أحد بني ضبيعة بن زيد ، وهو أبو حنضلة ، الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترهَّب في الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له الراهب . . . وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ولرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا: الفاسق**»)(٢) .

وقال ابن إسحاق في موضع آخر: (أن أبا عامر أتى رسول الله ﷺ حين قَدِم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٥/ ١٤٠٩) مادة: (الأوس) .

(٢) كتاب السيرة النبوية (٢/ ١٩٧) .

فقال: **جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم**، قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله ﷺ: **إنك لستَ عليها!** قال: بلى، قال: إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها، قال: **ما فعلتُ؛ ولكني جئت بها بيضاء نقية**. قال: الكاذبُ أماته الله طريداً غريباً وحيداً - يُعرّض برسول الله ﷺ أي أنك جئت بها كذلك -.

قال رسول الله ﷺ: **أجل، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به.**

فكان هو ذلك عدو الله، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسول الله ﷺ «مكة» خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل «الطائف» لحق بالشام. فمات بها طريداً غريباً وحيداً) (١).

وقول المستشرق ريكندوف (**RECKENDORF**) : (**ويظهر أنهم [في بادي الأمر] رضوا بقبول الإسلام مصطبغاً بتعاليم أبي عامر**).

هذا القول لا دليل عليه، وقوله: (ولكن النبي «محمد» **[صلى الله عليه وسلم] أبى عليهم ذلك أو أن يعتزلوا ويتعبدوا في مسجد خاص بهم**).

هذا القول أيضاً لا دليل عليه بل هو مخالف للحقيقة، فأهل المدينة انقسموا في دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام إلى ثلاثة أقسام، وهي:

- قسم آمن وصدّق بدعوة الرسول ﷺ من أمثال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما، وغيرهما كثير.

- وقسم أظهر الإسلام ظاهراً وأبطن الكفر من أمثال عبدالله بن أبي بن سلول ومن سلك سبيله من المنافقين، وهؤلاء هم الذين بنوا مسجد الضرار بأمر أبي عامر (الفاسق).

- وقسم كفر ولم يؤمن بل ناصب العداء للرسول ﷺ من أمثال أبي عامر (الفاسق) ومن خرج معه إلى مكة، وكذلك بقية اليهود الذين في المدينة، وخيبر.

ففي المرحلة المدنية، وجد النفاق، والمنافقين، بخلاف المرحلة المكية، وذلك لتغير الظروف في المدينة عنها في مكة، حيث أصبحت القوة والمنعة في المدينة لأهل الإسلام،

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٩٧ - ١٩٨)، وينظر: (٣/ ٧٥)، وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

وأصبح للرسول ﷺ جند يذودون، ويذبون عنه[١].

وأمَّا المسجد الذي بناه المنافقون خارج المدينة، فالرسول لم يأمرهم به، ولم يأمرهم باعتزال مسجده، كما قد توهم المستشرق «ريكندوف» ولا يعلم هل حسنت عقيدة هؤلاء بعد هدم هذا المسجد أم لا.

فقد أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٧ - ١١٠].

وفي سبب نزول هذه الآيات يقول ابن إسحاق: (أقبل رسول الله ﷺ - يعني من تبوك - حتى نزل بذي أوان بلدٍ بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار. وكان أصحاب مسجد الضِّرار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّزُ إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة، والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتُصلِّي لنا فيه.

فقال: **(إني على جناح سفر وحال شغل)** أو كما قال ﷺ، **(ولو قد قَدِمنا أتيناكم إن شاءالله، فصلّينا لكم فيه)**. فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخشم[٢]، أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عديٍّ[٣] - أو أخاه عاصم ابن

---

(١) ينظر: كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (٢/١٢٧، ١٣٢، ١٤٣، ١٩٦).

(٢) هو مالك بن الدُّخشم بن مالك الأنصاري الأوسي، لم يشهد العقبة، وشهد بدراً عند الجميع، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يومئذ، ولا يصح وصفه بالنفاق لأنه قد ظهر منه حسن الإسلام. الاستيعاب (ص ٦٥٨)، رقم (٢٢٩٨)، وأسد الغابة (٤/١٨)، رقم (٤٥٩٢)، والإصابة (ص ١٢٥٤)، رقم (٧٨٦٦).

(٣) هو مَعن بن عدي بن الجد بن عجلان البلوي، حليف لبني عمرو بن عوف الأنصاري، شهد العقبة =

عدي[١] - أخا بني العجلان، فقال: (**انطلقا إلى هذا المسجد أهله، فاهْدِماه وحَرِّقاه**). فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدُّخشم، فقال مالك لمعن: انظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل أهله، فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرَجا يشتدَّان[٢] حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرَّقاه وهدماه، وتفرَّقوا عنه.

ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٧] إلى آخر القصة)[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: (قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: وهم أناسٌ من الأنصار ابْتَنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستعدوا بما استطعتم من قوةٍ ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجندٍ من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه.

فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي ﷺ، فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله فيه: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم

= وبدراً، وأحداً، والخندق وسائر المشاهد مع النبي ﷺ، وقتل يوم اليمامة شهيداً، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين زيد بن الخطاب، فقتلا جميعاً يومئذ هو أخو عاصم بني عدي، الاستيعاب (ص ٦٨٩)، رقم (٢٤٣٠)، وينظر: كتاب أسد الغابة (٤/ ١٧٤)، رقم (٥٠٥٣)، والإصابة (ص ١٢٧٧)، رقم (٨٧١٠).

(١) هو عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي، حليف لبني عمرو بن عوف الأنصاري، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها.

وقيل: لم يشهد بدراً بنفسه... وقيل: بل كان رسول الله ﷺ قد استخلفه حين خرج إلى بدر على قباء وأهل العالية، وضرب له بسهمه، فكان كمن شهدها. توفي سنة ٤٥، الاستيعاب (ص ٥٧٤)، رقم (١٩٥٣)، أسد الغابة (٢/ ٥٠٩)، رقم (٢٦٧٢)، الإصابة (ص ٦٥٥)، رقم (٤٥٢٧).

(٢) يشتدان: يعدوان، ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٠٤)، مادة: (شدد).

(٣) كتاب: السيرة النبوية، لابن هشام (٤/ ١٨٣ - ١٨٤). وينظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٧٣).

مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (١).

وبهذا يتبين أن من كان مصدر تعب للرسول ﷺ هم المنافقون، وليس الصحابة رضي الله عنهم، الذين كانت لهم أقوى صلة به ﷺ.

هذا وقد أثنى الرسول ﷺ على الأنصار، ومن بينهم الأوس في أحاديث كثيرة تطالعها في موضعها.

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٦٧٦ - ٦٧٧)، وينظر: الكشاف، للزمخشري (ص ٤٤٩)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ص ٦٠٥)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ١٦١)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤٠٢)، والدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي (٧/ ٥٢٢).

حال صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ بعد تحول القبلة

يرى المستشرق جورج بوش[١] (GEORGE BUSH) أن أمر تحويل القبلة كان له أثر سلبي على صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ فيقول: (**ولقد كان تغير القبلة – حقيقة – مصدر إزعاج لكثيرين من أتباعه؛ إذ كان يعني بالنسبة لهم تقلُّباً في عقائد النبي فتخلَّوا عنه..**)[٢].

هذا القول لم يستند فيه إلى دليل ؛ وإنما أقحمه في كتابه بعد كلامه على تحويل القبلة .

وقد جعل هذا التحويل أو التغيير للقبلة ينتج عنها مظاهر سلبية ، وهي:

١ – أن تغيير القبلة مصدر إزعاج لكثير من أتباعه وهم الصحابة رضي الله عنهم .

٢ – أن تغيير القبلة يعني تقلب في عقائد النبي .

٣ – أن الصحابة رضي الله عنهم تخلوا عن الرسول ﷺ .

أما القول بأن تحويل القبلة كان مصدر إزعاج لكثير من الصحابة رضي الله عنهم فهذا تزوير للتاريخ ، وتقوُّلٌ بلا علم ، فالصحابة رضي الله عنهم لم ينزعجوا ، بل تقبلوا ذلك وسلَّموا به ، بل إن بعض الأنصار صلى جهة الكعبة قبل أن تحول عن جهة بيت المقدس .

فقد روى ابن إسحاق رحمه الله بسنده عن كعب بن مالك ، وكان ممن شهد العقبة وبايع الرسول ﷺ أنه قال: (خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين ، وقد صلَّينا

---

(١) هو جورج بوش (Therev. George Bush) ، (١٧٩٦ – ١٨٥٩) ، بروفيسور وعالم من أعلام الاستشراق الأنجلوساكسون ، وأستاذ في جامعة نيويورك سيتي في اللغة العبرية ، (وهو الجد الأكبر لجورج بوش ، الأب والابن رئيسا الولايات المتحدة الأمريكية) ، عُين راعياً لإحدى الكنائس في (إنديانا بولس) لم تحظ آراؤه الدينية بالقبول العام ، له دراسات كثيرة عن أسفار العهد القديم (التوراة وأسفار الأنبياء وكتب الحكمة) .
ينظر في التعريف به ما كتبه د: عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، مترجم كتاب جورج بوش ، محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي ، ومؤسس إمبراطورية المسلمين) (ص ١٣ ، ٦٦٣) .

(٢) كتاب: محمد مؤسس الدين الإسلامي (ص ٢٩٠) .

وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور[١]، سيِّدنا وكبيرنا، فلما وجَّهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأياً، فوالله ما أدري، أتوافقوني عليه أم لا؟

قال: قلنا: وما ذاك؟

قال: قد رأيت أن هذه البنيَّة مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أصلي إليها.

قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه.

قال: فقال: إني لمصلٍّ إليها.

قال: فقلنا له: لكنَّا لا نفعل.

قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلَّينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا عِبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي شيءٌ، لِما رأيت من خِلافكم إيَّاي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنَّا لا نعرفه، ولم نَرَه قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟

فقلنا: لا.

قال: فهل تعرفان العبَّاس بن عبدالمطلب عمه؟

قال: قلنا نعم – قال وقد كنَّا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً –.

قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العبَّاس.

---

(١) هو البراء بن معرور بن صخر الأنصاري الخزرجي، وهو أحد النقباء ليلة العقبة الأولى، وكان سيد الأنصار وكبيرهم. وهو أول من استقبل الكعبة للصلاة إليها، وأول من أوصى بثلث ماله. مات في حياة النبي ﷺ، وكان وعد الرسول ﷺ أن يأتيه الموسم بمكة العام المقبل، فلم يبلغ العام حتى توفي، فلما حضرته الوفاة قال لأهله: استقبلوا الكعبة لموعدي محمداً، فإني وعدته أن آتي إليه، فهو أول من استقبل الكعبة حيّاً وميتاً. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٧٩)، رقم (٧٩)، وكتاب أسد الغابة (١/ ٢٠١)، رقم (٣٩٢)، وكتاب الإصابة (ص ١١٦)، رقم (٦٥٧).

قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالسٌ، ورسول الله ﷺ جالسٌ معه، فسلَّمنا ثم جلسنا إليه.

فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟

قال: نعم، هذا البراء بن معرور، سيِّد قومه؛ وهذا كعب بن مالك.

قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ الشاعر؟!

قال: نعم.

قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنيَّة مني بظهر، فصلَّيت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: قد كنت على قِبْلة لو صبرت عليها.

قال: فرجع البراء إلى قِبْلة رسول الله ﷺ وصلى معنا إلى الشام)(١).

وهذه القصة دالة على تشوُّق هذا الصحابي رضي الله عنه للصلاة نحو الكعبة، وقد خالفه بقية أصحابه لكون الرسول لم يأمر به، ولم يصل إليها.

فهل ينزعج الصحابة رضي الله عنهم إذا أُمروا بعد ذلك بالتحول إلى جهة الكعبة؟ وهل يبادرون إلى فعل ذلك، أم يتأكدون من هذا الخبر وصدقه.

يجيب عن هذا كله ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ (كان أوَّل ما قَدِم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستَّة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أوَّل صلاة صلاَّها صلاة العصر، وصلى معه قومٌ، فخرج رجلٌ ممن صلَّى معه فمرَّ على أهل مسجد هم راكعون

---

(١) كتاب: السيرة النبوية (٢/ ٥٢ - ٥٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، ح/ ١٥٨٩١ (ص ١١١١)، وقال محقق المسند (طبعة مؤسسة الرسالة): حديث قوي، وهذا إسناد حسن، محمد بن إسحاق - وإن كان مدلساً - صرح بالسماع فانتفت شبهة تدليسه (٢٥/ ٩٥).

فقال: أشهد بالله لقد صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَل البيت)[١]. الحديث.

وبهذا يتبين كذب هذا المستشرق فيما ادعاه في هذا، ومن باب أولى في غيرها من التهم. وأما الحق الذي لا مريَّة فيه أن تحويل القبلة كان مصدر إزعاج لليهود، والمنافقين، وأما الصحابة رضي الله عنهم فلم ينزعجوا ولم يشكوا في هذا الدين بل تمسكوا.

أما السفهاء الذين لا وزن لهم، فهم الذين تكلموا عن تحويل القبلة إلى الكعبة، وقد رد الله عليهم بآيات تتلى إلى يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ ﴾ [البقرة: ١٤٢].

قال الإمام الطبري رحمه الله: (يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾: سيقول الجُهال من الناس، وهم اليهود وأهل النفاق، وإنما سمَّاهم الله عز وجل سفهاء؛ لأنهم سفهوا الحق، فتجاهلت أحبار اليهود، وتعاظمت جُهَّالهم وأهل الغباء عن اتباع محمد ﷺ، إذ كان من العرب ولم يكن من بني إسرائيل، وتحيَّر المنافقون فتبلَّدوا. وبما قلنا في السفهاء أنهم هم اليهود وأهل النفاق قال أهل التأويل)[٢].

وبهذا يتبين قوة صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ، وانقيادهم له بالطاعة والتسليم له بالقبول والإذعان، مع صدقهم له ومعه في كل أمرهم.

---

(١) صحيح البخاري، ٤٠ (ص ١٢)، ح/ ١١ (ص ٢١٤).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٦١٥ - ٦١٦)، وينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٦٣)، والكشاف (ص ١١٠)، وزاد المسير (ص ٩٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٠٠)، وأسباب النزول، للواحدي (ص ٣٥)، وكتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله، لقتادة بن دعامة السدوسي (ص ٣٦)، وكتاب الناسخ والمنسوخ، للزهري (ص ١٦)، وكتاب المصفَّى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ، لابن الجوزي (١٥).

صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ في جهاده للمشركين

المستشرقون عند كلامهم على صلة الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ في جهاده للمشركين من كفار قريش يحاولون تصوير نفسيات الصحابة رضي الله عنهم تجاه مشاركتهم الرسول ﷺ في جهاده للمشركين وكأنهم في قلق نفسي، ونفسياتهم أو أرواحهم القتالية ضعيفة.

يقول المستشرق بودلي (**Bodley**) عند كلامه على غزوة بدر:(**على الرغم من عدم تكافؤ عدد القوتين، قرر محمد أن يخوض غمار القتال مخاطراً بمستقبله وسمعته بل بحياته في سبيل السيادة. وقد أظهر بعض رجاله برغم ذلك قلقاً!**

كان العرب بلاد العرب قبل أيام الحروب الإسلامية المنظمة، يحبون السلب ولم تكن فكرة القتل على الأخص محببة إليهم وكانوا يمقتون أن يقتلوا أنفسهم؛ ولكن محمداً رفع من روحهم، وأكد لهم أن الله ناصرهم)[1].

وهذا الكلام اشتمل على افتراءات بل ومغالطات للحقيقة وهي:

- أن القتال كان في سبيل سيادة، ورئاسة، وليس في سبيل الله.
- شتمْ العرب بأنهم يحبون السلب، والصحابة رضي الله عنهم من العرب.
- محاولة إبراز نفسيات الصحابة رضي الله عنهم تجاه هذا القتل فهو يصورهم في حالة قلق، والخوف من القتل.
- الرسول ﷺ يرفع من روحهم القتالية، ويؤكد لهم أن الله ناصرهم.

وانظر إلى تصوير المستشرق مونتجمري وات الصحابة رضي الله عنهم في بدر قبل قتال المشركين، وكأن الرسول ﷺ يحاول إقناع الصحابة رضي الله عنهم بالقتال، فيقول: (**كان مثل هذا اللقاء [في غزوة بدر] خليقاً بأن ييسر على النبي أمر إقناع أنصاره بالقتال، ذلك أن الانسحاب في مثل هذه الظروف كان أمراً يخدش الشرف**)[2].

---

(١) كتاب: الرسول حياة محمد، لبودلي (ص ١٥١).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦/ ١٦٢٧) مادة: (غزوة بدر).

وهذا الكلام من المستشرقين، داخل تحت منهجيتهم في الكتابة عن الإسلام، وأهله، بل وتعاليمه، بالإضافة إلى خلفيتهم المنهجية التي يكتبون بها عن الإسلام، فهم لم يتجردوا من نظرة النصارى للإسلام وللرسول ﷺ، فهم ينظرون إلى الرسول ﷺ كنبي للعرب، أو سياسي، أو طالب سيادة ورئاسة.

ويحاولون تأكيد ذلك في كتاباتهم عن الرسول ﷺ، وعن الصحابة، وسيرد نماذج لذلك في المطلب الثالث: موقف المستشرقين من جهود الصحابة في نشر الإسلام.

وأما شتمهم للصحابة رضي الله عنهم ووصفهم بالسلب فيقال:(هذا كلام مردود؛ لأن أهل المدينة كأهل مكة لم يكونوا أهل بادية يعيشون على السلب والنهب، وأنهم فوق ذلك، كان في طبعهم ما في طبع من يعيشون على الزراعة من حب الاستقرار، مما يجعلهم لا يتحركون إلى قتال إلا لدافع قوي.

أما المهاجرون فكان من حقهم أن يستخلصوا من أيدي قريش ما أخذ من أموالهم)(١).

كما أن قريشاً صدت عن سبيل الله، وأرادت قتل الرسول ﷺ في يوم الهجرة، ومنعت أصحابه من الهجرة، وصادرت أموالهم، فإيهم يوصف بالسلب؟! (٢)

وأما وصف هذا المستشرق للصحابة بالقلق، والخوف وأن الرسول ﷺ يحاول إقناعهم بالقتال، من أجل الشرف فهذا من البهتان العظيم، والقول بلا علم. فالصحابة رضي الله عنهم أهل شجاعة ونصرة وفداء.

فقد جاء عن ابن إسحاق رحمه الله في سيرته عن بيعة العقبة الثانية مع الأنصار (أهل المدينة) حيث قال: (فتكلم رسول الله ﷺ؛ فتلا القرآن ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلام، ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيًّا لنمنعنَّك مما نمنع منه

(١) كتاب: حياة محمد، لمحمد حسين هيكل (ص ١٤٢).
(٢) ينظر: عدوان أبي سفيان على أموال بني جحش مثلاً في السيرة النبوية (٢/ ١١٣).

أُزُرَنا[١]، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحَلْقة[٢] ورثناها كابراً عن كابر...)[٣].

فهذا دليل على حماية الرسول ﷺ، ويدلل هذا الصحابي الكريم على ذلك بأنهم على معرفة بالحرب ورثوها كما يورث الآباء).

والدليل الثاني: قول العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري[٤]، أخو بني سالم ابن عوف: (يا معشر الخزرج، هل تدرون علامَ تُبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم!

قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا نُهكت أموالكم مُصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتوه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنَّا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا بذلك؟ قال: «**الجنة**». قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه)[٥].

الدليل الثالث: رأي الصحابة رضي الله عنهم في قتال المشركين في بدر، قال ابن إسحاق رحمه الله عن غزوة بدر وخروج الرسول ﷺ لملاقاة عير قريش: (وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش؛ فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطاب. فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن

---

(١) أُزَرنا: أي نساءنا وأهلنا، كنّى عنهن بالأزر. وقيل: أراد أنفسنا. وقد يُكنَّى عن النفس بالإزار. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٤٧)، مادة: (أزر).

(٢) الحُلْقة: بسكون اللام: السلاح عاماً. وقيل: الدُّروع خاصة، المصدر السابق (١/ ٤١٠) مادة: (حلق).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٥٤ – ٥٥).

(٤) هو عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن عوف بن الخزرج، شهد بيعة العقبة الثانية. قتل يوم أحد شهيداً، ولم يشهد بدراً، وآخى رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة بينه وبين عثمان بن مظعون. الاستيعاب، (ص ٥٥٩)، رقم (١٨٩١)، أسد الغابة، لابن الأثير (٢/ ٥٤٣)، رقم (٢٧٩٨).

(٥) السيرة النبوية (٢/ ٥٥). أخرجه الإمام أحمد في مسنده، م/ كعب بن مالك، ح/ ١٥٨٩١، (ص١١١)، وقال محقق المسند، (طبعة مؤسسة الرسالة): حديث قوي، وهذا إسناد حسن (٢٥/ ٩٥).

عمرو[١] فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون»، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرك الغماد[٢] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به).

وأما الأنصار فقد تكلَّم عنهم سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: (فقد آمنَّا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخُضنا معك، ما تخلَّف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوَّنا غداً، إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُق في اللقاء. لعل الله يُريك منَّا ما تقرُّ به عينُك، فسر بنا على بركة الله)[٣].

فجميع هذه الأدلة مثبتة لشجاعة الصحابة رضي الله عنهم ونصرتهم لدين الله، وتكذيب افتراءات المستشرقين سابقة الذكر.

وعن عدم اشتراك بعض الصحابة رضي الله عنهم في غزوة بدر مع الرسول ﷺ يقول المستشرق مونتجمري وات:(**وقد عزز الانتصار مكانة «محمد» في المدينة بعد أن تدهورت هذه المكانة خلال الأشهر السابقة حين كان يبدو أنه لن يفوز بشيء، فلم يكن مثلاً: «أسيد بن حضير» وهو من الزعماء الذين أسلموا مبكراً يؤيد «محمد» بحماس**

---

(١) المقداد بن عمرو هو المقداد بن الأسود، نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن زهرة الزهري؛ لأنه كان تبناه وحالفه في الجاهلية، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد البهراوي، من بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. وقيل: بل هو كِندي من كندة، شهد المقداد في ذلك العام بدراً ثم شهد المشاهد كلها. وكان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار من أصحاب النبي ﷺ، وتوفي المقداد وهو ابن سبعين سنة في خلافة عثمان. الاستيعاب (ص ٦٩٩)، رقم (٢٤٩٥)، وأسد الغابة (٤/ ١٨٤) رقم (٥٠٧٧).

(٢) بَرك الغماد: تفتح الباء وتكسر، وتضم الغين وتكسر، وهو اسم موضع باليمن. وقيل: هو موضع وراء مكة بخمس ليال. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢٠)، مادة: (برك). وقال السهيلي عن برك الغماد: وجدت في كتب التفسير أنها مدينة الحبشة، الروض الأنف (٥/ ٧١).

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٧). قال ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية) (١/ ٢٧٨): هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله. وله شواهد من وجوه كثيرة، من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه... والنسائي.. وأحمد.

للاشتراك في الحملة، ولكنه ما كان يرى «محمداً» يعود منتصراً حتى اعتذر إليه)[١] .

وهذا القول فيه أن الرسول ﷺ انخفضت مكانته عند أصحابه رضي الله عنهم، حتى كان النصر في غزوة بدر، وأن من الصحابة رضي الله عنهم من لم يشارك، وذلك لعدم الحماس الذي يبعث على المشاركة بعد تدهور مكانة الرسول ﷺ بزعمه.

وفي القولين مجانبة للصواب والحق.

أما القول بتدهور مكانة الرسول ﷺ عند أصحابه رضي الله عنهم، فلننظر حاله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم في السلم والحرب.

أما في السلم فيبدأ من بيعة العقبة الأولى، والثانية وقد تقدم شيء من ذلك عنها، وفيها نصرة الرسول ﷺ والحرب معه ضد أعداءه، وفي هذا مكانة للرسول ﷺ في قلوبهم وإيمانهم، وهذه هي النواة الأولى، والأساس الذي قام عليه إيمان الأنصار رضي الله عنهم.

كما أن في هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وانتظار أصحابه رضي الله عنهم له، واستقبالهم له بالترحيب والإقامة عندهم لون آخر من المكانة والصلة الحميمة التي قامت بين الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

ففي قدومه ﷺ قباء في طريق هجرته إلى المدينة أخرج ابن إسحاق رحمه الله في سيرته بسنده عن عبدالرحمن بن عويم بن ساعدة[٢] قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكّفنا[٣] قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرّتنا ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجلٌ من

(١) كتاب: محمد في المدينة (ص ٢٤).

(٢) هو عبدالرحمن بن عُويم بن ساعدة الأنصاري، ولد على عهد النبي ﷺ. قال ابن حجر: ذكره البخاري في التابعين، وقال البغوي في شرح السنة: حديثه مرسل، وذكره ابن منده في الصحابة. الاستيعاب (ص٤٥٩)، رقم (١٦٠٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٤٦) رقم (٣٣٧٢)، الإصابة (ص ٧٢١)، رقم (٤٩٤٨).

(٣) توكّفنا: توقعنا. ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٩١)، مادة: (وكف).

اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وأنَّا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْله[١]، هذا جَدُّكم[٢] قد جاء.

قال: فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر رضي الله عنه...)[٣].

هذا في انتظار الرسول ﷺ وقدومه، وأما اعتراض القبائل له ﷺ تبغي نزوله عندها فلون آخر من علو مكانته ﷺ.

(فأتاه عتبان بن مالك[٤]، وعباس بن عُبادة بن نضلة في رجال من بني سالم ابن عوف، فقالوا يا رسول الله: أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة؛ قال: خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة، لناقته، فخلُّوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت[٥] دار بني بياضة[٦]، تلقَّاه زياد بن لبيد[٧]، وفروة ابن عمرو[٨]، في رجال من بني بياضة، فقالوا: يا رسول الله هلمَّ إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة؛ قال: خلوا سبيها فإنها مأمورة... حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار،

---

(١) بني قيلة: يريد الأوس والخزرج، قبيلتي الأنصار، وقَيْلة: اسم أُمٍّ لهم قديمة، وهي قيلة بنت كاهل. كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ١١٦)، مادة: (قيل).

(٢) جَدُّكم: حظكم. النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٣٦) مادة: (جدد)، والمصباح المنير (ص ٥٢)، مادة: (جدد).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ١٠٨)، وله أصل في صحيح البخاري ح/ ٣٩٠٥ (ص ٧٩٩).

(٤) هو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري، الخزرجي، شهد بدراً، وكان رضي الله عنه أعمى ذهب بصره على عهد رسول الله ﷺ. ومات في خلافة معاوية. ينظر: الاستيعاب (ص ٥٨٦)، رقم (٢٠١٤)، أسد الغابة (٣/ ١٩٦)، رقم (٣٥٤١).

(٥) وازنت: الموازاة: المقابلة والمواجهة. والأصل فيه الهمزة. يقال: آزيتُه إذا حاذيته، كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٥٩)، مادة: (وزا)، وينظر: المصباح المنير (ص ٣٣٩)، مادة: (وزي).

(٦) هو بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشم بن الخزرج، كتاب السيرة النبوية (٢/ ٧٣).

(٧) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصارى البياضي، يُكنى أبا عبدالله. قال الواقدي: .. خرج إلى رسول الله ﷺ، وأقام معه بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة. فكان يقال لزياد: مهاجري، أنصاري، شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات في أول خلافة معاوية. الاستيعاب (ص ٢٥٢)، رقم (٨٢٥)، أسد الغابة (٢/ ٢٣٠)، رقم (١٨٠٩).

(٨) هو فروة بن عمرو بن وَدْقة الأنصارى البياضي، شهد العقبة، وشهد بدراً وما بعدها، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مخرمة العامري. الاستيعاب (ص ٥٩٩)، رقم (٢٠٦٨)، وأسد الغابة (٣/ ٤٥٥)، رقم (٤٢٢٠).

بركت على باب مسجده ﷺ . . . فنزل عنها رسول الله ﷺ ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحلَه فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله ﷺ)(١) .

وفيما سبق يدل على مكانة الرسول ﷺ في طريقه ﷺ وهجرته إلى المدينة ، وهو بعد لم يقم بعد معهم ، فماذا يقول المستشرقون عن هذه المكانة التي لم يبلغها أحد من ملوك الدنيا!

كما أن انتشار الإسلام في المدينة يدل على مكانة الرسول ﷺ وتأثيره في الدعوة إلى الإسلام .

(قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قَدِمها شهر ربيع الأول ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُني له فيها مسجدُه ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار ، فم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها إلا ما كان من أوس الله ، وهم حي من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم)(٢) .

وفي حال الحرب والانتصارات التي سجلت للمسلمين ، وفيها رفع لمكانة الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

لقد كانت سرية (عبيدة بن الحارث رضي الله عنه)(٣) وهي أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام وقد قابلت جمعاً عظيماً من قريش ، ولم يكن بينهم قتال ، ونتج عنها فرار بعض من كان مع المشركين ممن يخفي إسلامه مثل: المقداد بن عمرو ، وعتبة بن

---

(١) كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام (٢/ ١٠٨ - ١٠٩) ، طبقات ابن سعد (١/ ١١٥) ، وقال صاحب كتاب السيرة النبوية: إسناده متصل ورجاله ثقات (١/ ٣٣٧) .

(٢) كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام (٢/ ١١٤) . طبقات ابن سعد (١/ ٢٥٢) ، ولم يذكرا له إسناداً .

(٣) هو عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي . كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين ، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها ، وكانت هجرته إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحصين ، قال ابن إسحاق: أول سرية بعثها رسول الله ﷺ مع عُبيدة بن الحارث في ربيع الأول سنة ٨٢ راكباً ، ثم شهد عُبيدة بن الحارث بدراً ، فكان له فيها غناء عظيم ، ومشهد كريم ، وكان أسن المسلمين يومئذ ، قطع عتبة بن ربيعة رجله يومئذ . قيل: كان لعبيدة بن الحارث يوم قتل سنة ٦٣ ، وكان رجلاً مربوعاً حسن الوجه . السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٠٣) ، الاستيعاب (ص ٤٦٦) ، رقم (١٦٥٧) .

غزوان[١]، وكانا مُسلمَين، ولكنهما خرجا ليتوصّلا بالكفار[٢].

وأما الشق الثاني من هذا الافتراء، وهو عدم حماس بعض الصحابة رضي الله عنهم في الاشتراك في الجهاد مع الرسول ﷺ فيجاب عنه: بما أخرجه ابن إسحاق رحمه الله في سيرته عن ابن عباس رضي الله عنه، عن غزوة بدر وفيها: (لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مُقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يُنْفِلكُموها. فانتدب الناس فخفّ بعضهم وثقُل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً...)[٣].

وأخرج الإمام البخاري بسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب أحدٌ تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير معاد)[٤].

وهذا الحديث دال على أن النبي ﷺ لم يستنفر جميع الصحابة للخروج لملاقاة عير قريش، بل ندب البعض، ومن لم يخرج لم يعاتبه بل إنه ﷺ اشترط في الخروج لمن كان له ظهر يركبه من فرس وبعير، كما جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده عن

---

(١) هو عتبة بن غزوان بن جابر المازني، حليف لبني نوفل بن عبدمناف بن قُصي، يُكنى أبا عبدالله. كان إسلامه بعد ستة رجال، فهو سابع سبعة في إسلامه. وقد قال ذلك في خطبته بالبصرة: ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة، ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا. هاجر إلى أرض الحبشة، شهد بدراً، والمشاهد كلها. ولاه عمر رضي الله عنه في الفتوح فاختط البصرة، وفتح فتوحاً، وكان طويلاً جميلاً. اختلف في سنة وفاته، فقيل: في سنة خمس عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة، وهو ابن سبع وخمسين سنة. الاستيعاب (ص ٥٦٥)، رقم (١٩١٤)، أسد الغابة (٣/ ٢٠١)، رقم (٣٥٥٦).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٠٤) وهو ضعيف، انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (٣٩٨/١).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢١٨/٢ – ٢١٩)، في المصدر السابق رواه ابن إسحاق بإسناد حسن (٤٠٦/١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: قصة غزوة بدر، ح/ ٣٩٥١ (ص ٨١٢).

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَةَ[(١)] ، عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغيرُ رسول الله ﷺ قال: فحدثته الحديث، قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: «**إن لنا طلبةً، فمن كان ظهرُهُ حاضراً فليركب معنا**». فجعل رجالٌ يستأذنونه في ظُهرانيهم في علو المدينة، فقال: «**لا. إلا من كان ظَهْرُهُ حاضراً**». فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى سبقوا المشركين إلى بدر)[(٢)] الحديث.

وفي هذه الأدلة رد على من قدح في بعض الصحابة رضي الله عنهم الذين لم يشاركوا في غزوة بدر.

وأما قول هذا المستشرق أن أسيد بن حضير لم يشارك لعدم الحماس للجهاد، فهذا من الكذب والبهتان، كما أن فيه قدح في هذا الصحابي الجليل وجهاده وتضحياته في سبيل الله.

وقد تبين فيما سبق سبب تخلفه، وأن الرسول ﷺ لم يستنفر جميع الصحابة رضي الله عنهم.

وأما في غزوة الخندق فقد حاول المستشرق تسترشتين[(٣)] (**K.V.ZETTERSTEEN**)

---

(١) بُسيسة بن عمرو، قال ابن الأثير: ورأيته [اسم: بسيسه] مضبوطاً في ثلاث نسخ صحيحة، مسموعة، وقد ضبطها أصحابها بضم الباء وفتح السين وبعدها ياء تحتها نقطتان وليس بشيء. وقيل: بسيس بغيرها، وقيل: بَسبسة بباءين موحدتين، قال ابن عبدالبر: بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة الذبياني، ثم الأنصاري، حليف لبني طريف بن الخزرج، ويقال: بسبسه بن بشر، حليف الأنصار، شهد بدراً، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ مع عدي بن أبي الرغباء، ليعلما علم عير أبي سفيان بن حرب، وعرفه ابن حجر فقال: بسبسة بن عمرو بن ثعلبة.. ويقال له بسبس بغيرها وهو قول ابن إسحاق وغيره، شهد بدلاً باتفاق.
ووقع ذكره في صحيح مسلم من حديث أنس، قال: بعث رسول الله ﷺ بسبسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فذكر الحديث في وقعة بدر، وهو بموحدتين وزن فعللة، ورواه أبو داود ووقع عنده بُسبسة بصيغة التصغير، وكذا قال ابن الأثير: إنه رآه في أصل ابن منده، لكن بغير هاء، والصواب الأول. ينظر: أسد الغابة (١/ ٢٠٦)، رقم (٤٠٥)، (١/ ٢١١)، رقم (٤١٦)، الاستيعاب (ص ٩٦)، رقم (٢٣١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، ح/ ١٤٥ (ص ٨٥٠).

(٣) تسترشتين أو زترستين (K.V.zettersteen). مستشرق سويدي، نشر عدداً من كتب التراث الإسلامي في اللغة والأدب والتراجم، وشارك في كتابه بعض مواد (دائرة المعارف الإسلامية) هلك عام ١٩٥٣م. ينظر: موسوعة المستشرقين، (ص ٣٢٨)، والمستشرقون (٣/ ٢٨).

أن يصور بعض الصحابة رضي الله عنهم وكأن لهم حق المعارضة، وكأن لهم رأي يخالف الرسول ﷺ، وانظر إلى عدم الأمانة العلمية فيما ينقلونه من كتب السيرة، يقول هذا المستشرق:

(في غزوة «الخندق» بدأ النبي ﷺ يدخل في مفاوضات سرية مع أميري غطفان عيينة بن الحصن(١)، والحارث بن عوف(٢)، ووعدهم بنصف المحصول التالي من تمر «المدينة» إذا هما كفا عن القتال.

وأبدت غطفان استعدادها لتنفيذ ما أشار به النبي ﷺ، إلا أن خطته لقيت معارضة من أولئك المسلمين الذين كانوا ميالين إلى مواصلة القتال.

ويقال إن سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير كانوا من أشد المعارضين لمحاولة النبي ﷺ)(٣).

ففي هذا القول التجني الشيء الكثير، وسوف أنقل ما ذكره ابن إسحاق رحمه الله في سيرته عن ما همّ به الرسول ﷺ من عقد للصلح بينه وبين غطفان؛ وستجد تحريف وتزوير هذا المستشرق لهذا الخبر، وتصرفه فيه:

يقول ابن إسحاق رحمه الله: (فلما اشتد على الناس البلاء [في غزوة الخندق] بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف ابن أبي

---

(١) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، يُكنى أبا مالك، أسلم بعد الفتح. وقيل: قبل الفتح، وشهد الفتح مسلماً، وهو من المؤلفة قلوبهم، كتاب الاستيعاب (ص ٥٩٠)، رقم (٢٠٣٣)، وكتاب أسد الغابة (٣/ ٤٤٠)، رقم (٤١٦٧).

(٢) هو الحارث بن عوف بن أبي حارثة الغطفاني، ثم الذبياني، ثم المري. قدم على رسول الله ﷺ= =فأسلم، وبعث معه رجلاً من الأنصار إلى قومه ليسلموا، فقتل الأنصاري، ولم يستطع الحارث أن يمنع عنه، وفيه يقول حسان:

يا حارِ من يغدر بذمة جَاره ... منكم فإن محمداً لا يغدرُ
وأمانة المري ما استودعته ... مثل الزجاجة صدعُها لا يجبرُ

فجعل الحارث يعتذر.

وبعث القاتل بدية القتيل سبعين بعيراً، فأعطاها رسول الله ﷺ ورثته، واستعمله النبي ﷺ على بني مرة.

ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ١٤٩)، رقم (٤٤٨)، وكتاب أسد الغابة (١/ ٣٨٨).

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٨/ ٥٦٤٦)، مادة: (سعد بن عبادة).

حارثة المرّي]، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثُلث ثمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بد من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟

قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما.

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يَطْمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرىً أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعطيهم إلا السَّيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك.

فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا)(١).

فهذا الحوار لا نجد فيه إلا الصلة القوية بالرسول ﷺ، والتأدب مع رأيه وأمره، والاستفسار عن مصدر هذا الرأي هل هو من قبل الله ورسوله فيكون وحياً يجب العمل به، أم رأياً من الآراء المطروحة للنقاش.

ثم إنك لا تجد في هذا الحوار المعارضة التي ذكرها المستشرق تسترشيتن؛ وإنما اعتمد في ذلك على قول الزور والبهتان.

---

(١) كتاب: السيرة النبوية، لابن هشام (٣/ ٢٤٦)، وقال صاحب كتاب: (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية): رواه البزار والطبراني بإسنادين كلاهما. ينظر: كشف الأستار (١/ ٣٣١ - ٣٣٢) ومجمع الزوائد (٦/ ١٣٢) وتشهد له طرق أخرى ولكنها ضعيفة، مثل رواية ابن إسحاق المعلقة) (١/ ٥٥٥).

المطلب الثاني

موقف المستشرقين من صلة الصحابة بعضهم ببعض

(صلة المهاجرين بالأنصار رضي الله عنهم أجمعين)

لما كانت تتنازع المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم عدة مناهج، حيث سيطرت على تفسيراتهم لمجريات تاريخ حياة الصحابة رضي الله عنهم. بالإضافة إلى الخلفية المنهجية والدينية الواضحة ظهر ذلك في كتاباتهم عن حياة الصحابة رضي الله عنهم.

ففي كتابة المستشرق بليائيف (BELLAEV) تجده يحاول التمسك بالمنهج المادي في الكتابة عن صلة المهاجرين بالأنصار رضي الله عنهم، وتطور هذه الصلة والنصرة بأمور يذكرها ويضع لها مبررات فيقول:(**وكان عرب المدينة «الأوس والخزرج» يعادون قريشاً بسبب المرابين الذين بلغ استغلالهم المقترضين الموجودين في المدينة. فكان من الطبيعي أيضاً أن يقبل عرب المدينة دعوة محمد الذي كان هو أيضاً يعادي وجهاء قريش وأعيانها كما كانوا هم أنفسهم يعادونهم، أضف إلى هذا حقيقة أخرى كان لها أثر كبير في نفوس أهل المدينة وهي أن آمنة بنت وهب أم النبي كانت منهم**)[١] .

فعلى كلام هذا المستشرق فهناك صلة قديمة بين أهل المدينة ومكة من قديم الأزل ومصالح اقتصادية، لكن بسبب استغلال تجار مكة وطلبهم الفوائد الربوية من أهل المدينة وكانوا زُرَّاع أدى هذا إلى وجود عداوة، ومن أجل الانتقام من هؤلاء المرابين قبلوا دعوة الرسول ﷺ لأنه يعادي قريش، ولأن أم النبي ﷺ آمنة بنت وهب كانت من المدينة.

هذه الأقوال من المستشرق بليائيف (BELLAEV) التي تُصوِّر صلة أهل المدينة بأهل مكة، والتي أدت إلى قبول دعوة النبي ﷺ ما هي إلا افتراءات لا تستند إلى دليل.

ومع البحث في كتب التاريخ التي تحدثت عن تاريخ العرب قبل دعوة الرسول

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ٤٩).

ﷺ على رأسها تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، وتاريخ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وهما من كتب التاريخ التي أفاضت في الكلام عن تاريخ العرب القديم، لم أجد ما يتحدث عنه هذا المستشرق من أسباب العداوة بين أهل المدينة ومكة بسبب الربا، وما نتج عن ذلك من قبول الأوس والخزرج دعوة الرسول ﷺ من أجل محاربة المرابين من تجار قريش.

وحياة العرب قبل الإسلام كانت تمر بمنازعات واضطرابات، وإزهاق للأرواح، وإتلاف للممتلكات في حروب مشهورة، مثل حرب الفجار(١)، وحرب بعاث، حتى جاء الإسلام فألف بين المسلمين، ورأب صدع الخلاف، وأزال بذور الشقاق.

وقد تقدم في المطلب الأول من هذا الفصل، أن إسلام الأنصار رضي الله عنهم وإيمانهم بالرسول ﷺ جاء لأسباب منها:

قبول الحق الذي يدعو إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ كل ما يعبد من دونه، ومنافسة ومسابقة اليهود إلى الإيمان بالرسول ﷺ، والجمع بين قلوب أهل المدينة في التعايش السلمي ونبذ الخلاف.

ففي جميع الأسباب السابقة لا تجد أن إسلام أهل المدينة كان لمعاداة المرابين من تجار مكة.

وأما القول بأن آمنة بنت وهب، والدة الرسول ﷺ كانت من أهل المدينة، ولذلك قبلوا دعوة الرسول ﷺ، هذا القول يحتاج إلى نظر وتحرير، فوالدة الرسول ﷺ اسمها: آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر(٢).

فنسب الرسول ﷺ يلتقي في جدها الثالث «كلاب» وأم آمنة هي: بَرَّة بنت

(١) حرب وقعت في الأشهر الحرم بين قريش ومن معهم من كنانة، وبين قيس عَيْلان. وذلك حين كان الرسول ﷺ ابن عشرين سنة، وإنما سُمي "يوم الفجار" بما استحل هذان الحيان، كنانة وقيس عيلان، فيه المحارم بينهم.
ينظر: كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٢٢١ - ٢٢٤).

(٢) ينظر: كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ١٤٦).

عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي بن كلاب ، فالجميع من قريش ، وليسوا من أهل المدينة(١) .

وأما عن سبب خؤولة بني عدي بن النجار للرسول ﷺ فقد قال ابن هشام رحمه الله: (أم عبدالمطلب بن هاشم: سَلمى بنت عمرو النجارية . فهذه الخؤولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ﷺ)(٢) .

وبهذا يتبين أن خؤولة بني النجار للرسول ﷺ إنما كانت من جهة جده عبدالمطلب ، وأما أمه آمنة فهي قرشية الأب والأم ، وبني النجار ليسوا لها بأخوال .

لذا جاء عند ابن إسحاق في وفاة آمنة بنت وهب ، والدة الرسول ﷺ أنها توفيت بالأبواء ، بين مكة والمدينة حيث قدمت بالرسول ﷺ وهو ابن ست سنوات ، على أخواله من بني عدي بن النجار ، تُزيره إيَّاهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة(٣) .

ويحاول المستشرق بروكلمان (BROCKELMANN) أن يصور صلة الصحابة رضي الله عنهم بعضهم ببعض مستخدماً مناهج عدة ، أبرزها المنهج المادي ، وأن هناك نوع من التنافس والعداء . فأهل المدينة «الأنصار» يعادون المؤلفة قلوبهم من القرشيين ، وذلك للعداء السابق ، وأن الرسول ﷺ يُهدئ الأنصار من أجل ذلك ، فيقول: **(ومهما يكن من شيء، فلم يكن أصحاب النبي من المهاجرين هم وحدهم أصحاب النفوذ في الدولة، بل شاركهم في ذلك نفرٌ من إخوانهم القرشيين الذين لم يُسلموا إلا بعد أن أسلم الناس، وبعد أن تحقق لهم أن النصر مكتوب للمسلمين، بلا خلاف.**

وكان الأنصار ينقمون على القرشيين هذا النفوذ، فقد أظهروا احتجاجهم، حتى في حياة النبي على محاباته لبني قومه عند توزيع الغنائم، وبخاصة الأراضي.

ولكن المصالح المشتركة التي كانت تحمل الأوس والخزرج على الاتحاد في وجه المكيين لم تكن قد قضت بعد على ما بينهما من عداء قديم.

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٤٦) .

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٥) .

(٣) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٥) .

ومن هنا كان في استطاعة محمد أن يهدئ من روع الأنصار مرةً بعد مرة)[1].

فالمستشرق بروكلمان (BROCKELMANN) يحاول من خلال النص السابق تأصيل وترسيخ مبدأ العداء، بين الصحابة رضي الله عنهم بين الأنصار والمهاجرين، وبين الأنصار والمؤلفة قلوبهم الذين أسلموا متأخراً.

وأن سبب اتحاد واتفاق الأنصار مع بقية الصحابة من المهاجرين والمؤلفة قلوبهم كان للمصالح المشتركة التي تقتضي الاتحاد، وكذلك تهدئة الرسول ﷺ من روع الأنصار.

وهذا النص بما يحمله من فهم المستشرق لصلات الصحابة رضي الله عنهم لم يقم على ما يدعيه أو يقوله بينة، وما كان كذلك فهو من اللغو الباطل، والكلام بلا علم.

وأما قوله: (**فلم يكن أصحاب النبي من المهاجرين هم وحدهم أصحاب النفوذ في الدولة..**). فماذا يقصد بالنفوذ؟ لم يبين لنا مقصده، فمن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار تنافسوا في نصرة الرسول ﷺ والجهاد معه في سبيل الله. فلا تخلوا غالباً غزوة أو سرية من مغازي الرسول بدر، أو أحد، أو مؤتة، أو فتح مكة وغيرها عن وجود جماعات من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

وإن كان يقصد الخلافة، والتي كانت بعد وفاة الرسول ﷺ فهذه ليست محلاً للاجتهاد، حيث صح الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأئمة من قريش**»[2] فعلى ذلك ليست الخلافة محل تنافس بين المهاجرين والأنصار، وسيكون لذلك مزيد بحث في الفصل الثالث في المبحث الأول منه (موقف المستشرقين من الخلافة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) في المطلب الأول منه.

وأما قوله: (**وكان الأنصار ينقمون على القرشيين هذا النفوذ، فقد أظهروا احتجاجهم حتى في حياة النبي على محاباته لبني قومه عند توزيع الغنائم وبخاصة الأراضي**).

---

(١) كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ١٠٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح/ ١٢٣٣٢، (ص ٨٦٩)، والبيهقي في السنن الكبرى، (٣/ ٤٦٣)، وقال محقق المسند (طبعة الرسالة): حديث صحيح بطرقه وشواهده) (١٩/ ٣١٨).

وقد تضمن هذا القول مجموعة من الافتراءات وهي: نقمة الأنصار من نفوذ القرشيين في الدولة الإسلامية، وسبب ذلك: أن الأنصار كانوا يحتجون على النبي ﷺ وذلك لمحاباته لبني قومه من قريش عند توزيع الغنائم وخاصة الأراضي.

أما الأولى فهي غير مفسرة ولم يستدل لها، وقد يكون قصده من ذلك خلافة معاوية رضي الله عنه، وهو من قريش الذين تأخر إسلامهم وآلت إليه الخلافة بعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة، وذلك حقناً لدماء المسلمين، ومنعاً لتفرقهم عام الجماعة، وسيكون لذلك مزيد بسط في موضعه في موقف المستشرقين من آل البيت.

وهذه بعض النصوص من كلام المستشرقين والتي تدل على محاولاتهم الجادة في الوقيعة في أعراض الصحابة رضي الله عنهم من بني أمية وإخراجهم من صفة الصحبة بدعاوى عدة.

يقول فلهوزن (WELLHAUSEN) : وقد ألحقت الحرب بين قريش وبين محمد [عليه السلام] أضراراً كبيرة بقريش، فلما انتصر حرص على أن يثبت لهم كم من الخير لهم أن يكونوا له أصدقاء، فوهب لكبارهم عطايا كبيرة، وغمرهم بآيات كرمه، وسمَّى هذه الطريقة لإقناعهم بالإسلام «والمؤلفة قلوبهم» وكان حبه الفطري لوطني الذي ولد فيه يلعب دوراً في ذلك، وقد ذهب في سعيه إلى تألف القرشيين بإظهار رضاه عنهم بكل الوسائل إلى حد أن الأنصار خافوا أن يجعل «مكة» مقر الرياسة ويترك يثرب.

ولكن هذا الإشفاق لم يكن له ما يبرره، فبقيت يثرب عاصمة الحكومة، ولم ينتقل محمد إلى مكة، بل هاجر القرشيون الطامحون الذين أرادوا التقرب منه ومن الحكومة إلى المدينة، وكان أبو سفيان وبنو أمية من أول من هاجر إليها، ولكن هذا لم يكن في مصلحة الأنصار؛ لأن المهاجرة صاروا يزدادون باستمرار في مدينتهم، آتين لا من مكة فحسب، بل من جميع أنحاء جزيرة العرب، وصارت للمدينة جاذبية كبيرة أثرت في ذوي الطبائع المتوثبة الذين أرادوا تجربة حظهم، وقد رحب بهم النبي كما يرحب بقبول ما تزداد به

قوته، دون مبالاة بما كانوا عليه، ولو كان وراء أحدهم ماضٍ غير نقي تماماً)[١] .

لقد تجرد هذا المستشرق من الإنصاف وراح يكتب تحت تأثير خلفيته الدينية والمنهجية، فلا تسمع عنده مسمى الدين، أو في سبيل الله .

إنك وأنت تقرأ هذه الأسطر السابقة تشعر أنك تقرأ عن قيام دولة تسودها لغة المصالح واقتسام الثروات، لا عن دولة الإسلام، ولا عن رجال من أمثال الصحابة رضي الله عنهم، ضحوا بأنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله .

ويقول المستشرق بروكلمان (**BROCKELMANN**) :(أبو سفيان، قَلْب المعارضة القرشية للنبي طوال سنوات عديدة، حتى إذا تم للمسلمين فتح مكة استقر معظم الأمويين في المدينة، حيث عمل النبي على إرضائهم وتأليف قلوبهم، بشتى الطرق والأساليب، وفي عهد أبي بكر وعمر وُفق يزيد بن أبي سفيان، ووفق أخوه معاوية من بعده، إلى أن يبلغا مرتبة بارزة في الدولة، فلما كانت خلافة عثمان انتهى الأمويون إلى القمة)[٢] .

وهذا القول فيه شيء من المبالغة والتهويل، فأبو سفيان قبل إسلامه كان كغيره ممن صد عن سبيل الله، حتى رأى قوة المسلمين ونصر الله لهم، مع تعامل الرسول ﷺ وأخلاقه يوم الفتح مع أبي سفيان وغيره من كفار قريش والعمل على تأليف قلوبهم، حتى هداهم الله للإسلام فقدموا أنفسهم رخيصة في سبيله .

والقول بغير ذلك هو عمل على تفريق الصحابة رضي الله عنهم، وخوض بالباطل بلا علم، وهذا هدف بلا شك يسعى إليه المستشرقون ومن سار على طريقهم .

وقول المستشرق بروكلمان:(وكان الأنصار ينقمون على القرشيين هذا النفوذ . فقد أظهروا احتجاجهم، حتى في حياة النبي على محاباته لبني قومه عند توزيع الغنائم وبخاصة الأراضي) .

وهذا القول فيه اتهام للنبي ﷺ بالميل لقومه من قريش وإعطاءهم الغنائم دون

(١) تاريخ الدولة العربية، لفلهوزن (ص ١٩ – ٢٠) .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ١١٠) .

الأنصار .

وهذا كقول المستشرق إميل درمنغم في كتابه (حياة محمد):(والأنصار وفضلاء المنافقين لم يكونوا على وفاق دائم مع المهاجرين ، وكان العُجب والاندفاع والنزق[١] أظهر ما في الجميع ، فكانت الأحكام والغنائم سببا نزاع دائم بينهما ، فكان محمد يعالج ما يحدث بدعوتهم إلى كتاب الله وبما يبديه من الحكنة وحسن السياسة ، وبما يرونه في نزاهته وزهده من القدوة)[٢] .

وهذا القول عارٍ من الصحة تماماً ، والذي حصل هو أن بعض الأنصار جاء في نفسه شيء من قسمة غنائم حنين بين المؤلفة قلوبهم من قريش وقبائل من العرب ، والمهاجرين ، ومنع منها الأنصار ؛ فأجاب الرسول ﷺ بجواب أذهب الله به ما في نفوسهم وأرضاهم .

فقد أخرج ابن إسحاق رحمه الله بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا ، في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة[٣] حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء[٤] الذي أصبت ، قسمْت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم

---

(١) النَّزق: الخفة والطيش ، مختار الصحاح ، (ص ٣٥) ، مادة: (ن ز ق) ، والمصباح المنير (ص ٣٠٩) ، مادة: (ن ز ق) .

(٢) (ص ١٦١) .

(٣) القالة: أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يُحكى للبعض عن البعض . كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٠٧) مادة: (قول) .

(٤) الفيء: أصل الفيء: الرجوع . يقال: فاء يفيء فئةً وفُيوءاً ، منه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال: فيء ؛ لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق .
والمراد بالفيء هنا: هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد ، كأنه كان في الأصل لهم فرجع إليهم . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٣٤) مادة: (فيأ) ، وكتاب معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (ص ٧٩٢) ، مادة: (فأ) ، وكتاب المصباح المنير (ص ٢٥١) ، مادة: (ف ي أ) .

يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء .

قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله ، ما أنا إلا مِنْ قومي .

قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة[١] . قال فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: يا معشر الأنصار: ما قالةٌ بلغتني عنكم ، وجِدَةٌ وجدتموها عليَّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله ، وعالةً[٢] فأغناكم الله ، وأعداء فألَّف الله بين قلوبكم!

قالوا: بلى ، الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل ، ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟

قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المَنُّ والفضل .

قال ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم ، فَلَصَدقتُمْ ولصُدِّقتُمْ: أتيتنا مُكذَّباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك .

أوجَدْتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعَة[٣] من الدنيا تألفت بها قوماً ليُسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شِعْبَ الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال: فبكى القوم حتى اخضلوا لِحاهُم ، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً ،

---

(١) الحظيرة: هي في الأصل: الموضع الذي يُحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل ، يقيهما البرد والريح . كتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٨٩) مادة: (حظر) ، وينظر: معجم مقاييس اللغة (ص ٢٥٣) ، مادة: (حظر) ، والمصباح المنير (ص ٧٦) مادة: (ح ظ ر) .

(٢) عالة: أي فقراء . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٩٨) ، مادة (عيل) .

(٣) لُعَاعَة: اللُّعاعة بالضم: نبت ناعم في أول ما ينبت ، يعني أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢١٩) مادة: (لعع) .

ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا)(١) .

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ناسٌ من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي ﷺ يُعطي رجالاً المائة من الإبل .

فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟

قال أنس: فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أَدَم(٢) ولم يَدْعُ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «ما حديثٌ بلغني عنكم؟» فقال فقهاء الأنصار: أمَّا رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناسٌ منا حديثةٌ(٣) أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟

فقال النبي ﷺ: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم - وفي رواية أخرى إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم - أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به» .

قالوا: يا رسول الله ، قد رضينا .

فقال لهم النبي ﷺ: «ستجدون أثرة(٤) شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ

---

(١) كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام ، (٤/ ١٥٢ - ١٥٣) ، وأخرج هذا الحديث الإمام أحمد ح/ ١١٧٥٣ (ص ٨٣٠) ، كما أخرجه مختصراً الإمام البخاري ، ح/ ٤٣٣٠ ، ٤٣٣١ ، ح/ ٤٣٣٢ ، وأخرجه مسلم ، ح/ ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ (ص ٤٢٥ - ٤٢٧) .

(٢) من أدم: الأدم جمع (أديم) وهو الجلد المدبوغ . ينظر: كتاب المصباح المنير (ص ١١) مادة: (أدم) ، ومختار الصحاح (ص ١٦) ، مادة (أدم) .

(٣) حديثة أسنانهم: أي صغار السن . ينظر: المصباح المنير (ص ٦٨) ، مادة: (ح د ث) ، ومختار الصحاح (ص٨٠) ، مادة (ح د ث) .

(٤) أثرة: الأثرةُ بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر يوثر إيثاراً إذا أعطى ، أراد أنه يستأثر عليكم فيُفضَّلاً غيركم في نصيبه من الفيء . والاستئثار: الانفراد بالشيء ، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٦) ، مادة: (أثر) . =

فإني على الحوض» قال أنس: فلم يصبروا)[١].

(فهل سمعت في باب الاسترضاء أروع من هذه الخطبة البليغة الجامعة بين الحق والصراحة والرقة والاستعطاف؟)[٢].

وبهذا يتبين أن هذا الاعتراض الذي صدر من الصحابة رضي الله عنهم وإنما صدر من الأنصار، ومن صغار السن حاشا كبارهم.

وهذا الاعتراض والذي وقع في نفوسهم، أذهبه الله تعالى، حيث أخبر الرسول ﷺ عن سبب ذلك وأنه لتأليف قلوب من آمن من قريش وغيرهم، ثم أفاض في بيان فضائل الأنصار عليه وعلى المهاجرين، وأن الأنصار فضلوا بأن الرسول ﷺ يرجع معهم، وأنه لولا الهجرة لكان منتسباً إلى دارهم، ثم دعا لهم بالرحمة ولذريتهم.

وفي الأخير: أُنبه على أمر آخر، وهو: أن الرسول ﷺ عندما أعطى المؤلفة قلوبهم، لم يقتصر ذلك على قريش بل كان معهم رؤساء لقبائل عدة من العرب، من ثقيف، وتميم وغيرها والذين كان لهم أثر على أقوامهم، وعلى دخولهم في الإسلام.

يقول ابن إسحاق رحمه الله عن النفر الذين أعطاهم الرسول ﷺ:

(وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألفهم ويتألّف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مئة بعير، وأعطى ابنه معاوية، وأعطى حكيم بن حزام[٣] مئة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة[٤]، أخا بني

= وقال ابن حجر: (بضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين، ويجوز كسر أو مع الإسكان، أي الانفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه، وفي رواية الزهري أثرة شديدة والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق وقال أبو عبيد: معناه يفضل نفسه عليكم في الفيء. كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ح/ ٤٣٣٠، (٨/ ٦٢).

(١) كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ح/ ٤٣٣١، ٤٣٣٤ (ص ٨٩٠ – ٨٩١).

(٢) كتاب السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، للدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة (٢/ ٤٨٤).

(٣) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن عبدالعزى بن قصي القرشي، وهو ابنُ أخي خديجة بنت زوج النبي ﷺ، وكان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وتوفي سنة ٥٤، الاستيعاب (ص ١٥٦)، رقم (٤٨٨)، أسد الغابة (٢/ ٤٤)، رقم (١٢٣٤)، وكتاب الإصابة (ص ٢٩٣)، رقم (٢٠٣٣).

(٤) هو الحارث بن الحارث بن كَلَدة الثقفي، كان أبوه طبيباً في العرب حكيماً، وهو من المؤلفة قلوبهم، =

عبدالدار، مئة بعير.

قال ابن هشام: نُصَير بن الحارث بن كلدة[١]، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام[٢] مئة بعير، وأعطى سُهيل بن عمرو[٣] مئة بعير، وأعطى حويطب بن عبدالعزى بن أبي قيس[٤] مئة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي[٥]، حليف بني زهرة مئة بعير، وأعطى عُيينة بن حصن بن

= معدود فيهم، وكان من أشراف قومه، وأما أبوه الحارث بن كَلَدَة، فمات في أول الإسلام ولم يصح إسلامه. الاستيعاب (ص ١٤٣)، رقم (٤١٧)، أسد الغابة (١/ ٣٦٧)، رقم (٨٦٤).

(١) هو النضير بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبدمناف بن عبدالدار بن قُصي القرشي العبدري. يكنى أبا الحارث، وأبوه الحارث يعرف بالرهين، وكان النضير يكثر الشكر لله تعالى على ما منَّ عليه من الإسلام، وأمر له رسول الله ﷺ يوم حنين بمائة من الإبل، فأتاه رجل من الدِّيل يبشره بذلك، وقال: أُحذني (أعطني) منها فقال له النضير: ما أريد أخذها، لأني أحسب أن رسول الله ﷺ لم يعطني ذلك إلا تألفاً على الإسلام، وما أريد أن أرتشي على الإسلام. ثم قال: والله ما طلبتها ولا سألتها، وهي عطية من رسول الله ﷺ، فأخذها، وأعطى الديلي منها عشرة. الاستيعاب (ص ٧٣٠)، رقم (٢٦٢٧)، أسد الغابة (٤/ ٢٣٢)، رقم (٥٢٣)، الإصابة (ص ١٣٢٦)، رقم (٩٠٤٥).

(٢) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله القرشي المخزومي، شهد بدراً كافراً مع أخيه شقيقه أبي جهل، وفرَّ حينئذ وقتل أخوه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً، فأعطاه مئة من الإبل. وخرج إلى الشام في زمن عمر بن الخطاب راغباً في الرباط والجهاد، ومات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة. الاستيعاب (ص ١٥١)، رقم (٤٦٦)، أسد الغابة (١/ ٣٩٨)، رقم (٩٧٩).

(٣) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، يكنى أبا يزيد كان أحد الأشراف من قريش، وساداتهم في الجاهلية، وأسلم سهيل يوم الفتح، وقيل مات سهيل في طاعون عمواس، في خلافة عمر بن الخطاب سنة ثماني عشرة. ويقال: قتل باليرموك، والأول أكثر وأنه مات بالطاعون. الاستيعاب (ص٣١٥)، رقم (١٠٧٩)، أسد الغابة (٢/ ٣٩٦)، رقم (٢٣٢٧).

(٤) هو حويطب بن عبدالعزى بن أبي قيس القرشي العامري، كان من مسلمة الفتح، وهو أحد المؤلفة قلوبهم، أدركه الإسلام وهو ابن ستين سنة أو نحوها. أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف مسلماً. مات حويطب بالمدينة في آخر إمارة معاوية وقيل: بل مات سنة أربع وخمسين، وهو ابن مئة وعشرين سنة. الاستيعاب (ص ١٨٧)، رقم (٥٧٤)، أسد الغابة (٢/ ٧٠)، رقم (١٣١٠)، الإصابة (ص ٣١٠)، رقم (٢١٦٩).

(٥) هو العلاء بن جارية الثقفي. قال سماه ابن الأثير فقال العلاء بن حارثة بن عبدالله بن أبي سلمة بن عبدالعزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف. أعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة من الإبل. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٥٨١)، رقم (١٩٨٧)، وكتاب أسد الغابة (٣/ ٢٧٢)، رقم (٣٧٤٤).

حذيفة بن بدر مئة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي[١] مئة بعير، وأعطى مالك بن عوف النصري[٢] مئة بعير، وأعطى صفوان بن أمية[٣] مئة بعير فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المئة رجالاً من قريش، منهم مخرمة بن نوفل الزهري[٤]، وعمير ابن وهب الجمحي[٥]، هشام بن عمرو[٦] أخو بني عامر بن لؤي...)[٧].

وأما بالنسبة لتوزيع الرسول ﷺ للأراضي فلم أر أن هناك اعتراض وقع من

---

(١) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد التميمي المجاشعي الدارمي: أحد المؤلفة قلوبهم، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وحنيناً والطائف. وشهد الأقرع بن حابس مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق، وشهد معه فتح الأنبار، ويقال أن الأقرع بن حابس قتل باليرموك في عشرة من بنيه والله أعلم. الاستيعاب (ص٦٥)، رقم (٩٨)، أسد الغابة (١/ ١٢٦)، رقم (٢٠٨).

(٢) هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن هوازن النصري: انهزم يوم حنين كافراً، وهو كان رئيس جيش المشركين يومئذ، ولحق في انهزامه بالطائف، فقال رسول الله ﷺ: لو أتاني مسلماً لرددت إليه أهله وماله، فبلغه ذلك، فلحق برسول الله ﷺ وقد خرج من الجعرانة، فأسلم، فأعطاه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم، وهو أحدهم، ومعدود فيهم، شهد بعد رسول الله ﷺ فتح دمشق الشام، وشهد القادسية أيضاً بالعراق مع سعد ابن أبي وقاص. الاستيعاب (ص ٦٦١)، رقم (٢٣١٨)، أسد الغابة (٤/ ٣٢)، رقم (٤٦٣٥)، الإصابة (ص ١١٦٣)، رقم (٧٩٣٥).

(٣) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، هرب صفوان بن أمية يوم الفتح، ثم رجع إلى النبي ﷺ، فشهد معه حنيناً والطائف وهو كافر وامرأته مسلمة أسلمت يوم الفتح قبل صفوان بشهر، ثم أسلم صفوان وأقرّا على نكاحها وكان صفوان أحد المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم. ومات بمكة سنة ٧٢، وقيل في مقتل عثمان بن عفان، وقيل مسير الناس إلى البصرة لوقعة الجمل. الاستيعاب (ص ٣٤٢)، رقم (١٢٠١)، أسد الغابة (٢/ ٤٥٢)، رقم (٢٥١٠).

(٤) هو مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة القرشي الزهري، وهو والد المسور بن مخرمة، كان من مسلمة الفتح، وكان له سنٌّ، وعلم بأيام قريش، كان يؤخذ عنه النسب، وكان أحد علماء قريش. شهد حنيناً وممن حسن إسلامه منهم، مات بالمدينة زمن معاوية سنة أربع وخمسين. الاستيعاب (ص ٦٧٦)، رقم (٢٣٧٤)، أسد الغابة (٤/ ٩٣)، رقم (٤٧٩٩)، الإصابة (ص ١٢١٢)، رقم ٨٢٢٤).

(٥) هو عمير بن هب بن خلف القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية، كان له قدر وشرف في قريش، أسلم بعد وقعة بدر، وشهد أحداً مع النبي ﷺ وعاش إلى صدر من خلافة عثمان رضي الله عنه. الاستيعاب (ص٤٨٥)، رقم (١٧١٥)، أسد الغابة (٣/ ٤٢١)، رقم (٤٠٩٧)، الإصابة (ص ١٠١٤)، رقم (٦٩٨٦).

(٦) هو هشام بن عمرو بن ربيعة القرشي العامري، كان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه الرسول ﷺ من غنائم حنين دون المائة من الإبل، وله أثر عظيم في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب. أسد الغابة (٤/ ٢٨٥)، رقم (٥٣٨٢)، الإصابة (ص ١٣٦١)، رقم (٩٢٩٦).

(٧) كتاب السيرة النبوية (٤/ ١٤٥ – ١٤٦) ولم يذكر له سنداً.

الصحابة رضي الله عنهم حولها ، وهذه خيانة علمية تحتسب على هذا المستشرق ، وإلا فأين الدليل على ما ذكره(١) .

---

(١) ما ذكرته في السابق هو في الرد على قول المستشرقين بأن الأنصار رضي الله عنهم اعترضوا على الرسول ﷺ في قسمة الغنائم يوم حنين ، وإلا هناك اعتراضات صدرت من غير الأنصار ، وقد ذكر ابن إسحاق في سيرته كما ذكرها أئمة الحديث في كتبهم .

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم الحارث التيمي: أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله ، أعطيت عُيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس مئة مئة ، وتركت جُعَيل بن سراقة الضمري! فقال رسول الله ﷺ: (أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، ولكني تألفتهما ليسلما ، ووكلت جُعيل بن سراقة إلى إسلامه) . كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام (٤/ ١٤٩) .

والاعتراض الثاني هو لذي الخويصرة التميمي ، قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم ، مولى عبدالله بن الحارث بن نوفل ، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي ، حتى أتينا عبدالله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقاً نعله بيده ، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم . جاء رجل من بني تميم ، يقال له ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال: يا محمد ، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله ﷺ أجل ، فكيف رأيت؟

فقال: لم أرك عدلت؟! قال: فغضب النبي ﷺ! ثم قال: ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله: ألا أقتله؟ فقال: لا . دَعه ، فإنه يكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية . . . الحديث . كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام (٤/ ١٤٩) ، والحديث أخرجه البخاري ، ح/ ٣٦١٠ (ص ٧٣٩) ، ومسلم ، ح/ ١٤٢ (ص٤٢٩) . اعتراض أناس طريق النبي ﷺ من أجل غنائم حنين ، قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حنين إلى أهلها – لإسلامهم – ركب ، واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله ، اقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال: أدوا علي ردائي أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمتها عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال: أيها الناس ، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم .كتاب السيرة النبوية (٤/ ١٤٤) ، والحديث أخرجه البخاري ، ح/ ٢٨٢١ (ص٥٧٣) بمعناه .

وحدة مجتمع الصحابة رضي الله عنهم في المدينة النبوية

لقد تكونَّ المجتمع الإسلامي في المدينة النبوية من طائفتين هما: المهاجرون والأنصار؛ حيث عمل الإسلام على توحيدهما، ومنع كل ما من شأنه الفرقة والاختلاف بينهما، في ظل رابطة الإيمان بالله وتوحيده، ونبذ عبادة غيره، وقبول كل ما جاء به الرسول ﷺ، يقول المستشرق بليائيف (Bellaev):(**شكل المهاجرون والأنصار رابطة عُرفت بجامعة المؤمنين «الأمة» التي كانت تتميز عن سائر الجماعات العربية بكونها جماعة تدين بدين واحد.**

وكان على رأس الأمة رجل يستمد سلطته من الله بواسطة الوحي. هذه الجماعة كانت فوق كل نظام قبلي، أو عشائري قديم، إذ كانت العضوية فيها مفتوحة لكل امرئ يقبل العقيدة الجديدة)(١).

وهذا القول صحيح فإن المسلمين لم يكن بينهم شيء من الروابط يتمسكون بها ويعضون عليها مثل عقيدة الإيمان بالله والإخوة فيه.

وقد بدأت صلة المهاجرين بالأنصار من حين هجرة الصحابة رضي الله عنهم من مكة وغيرها إلى المدينة، بلاد الأنصار (الخزرج، والأوس).

قال الله في وصفهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

وقد آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، قال ابن إسحاق: (وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يَقُل: تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا أخي. فكان رسول الله ﷺ سيِّد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية، لبليائيف (ص ١٤٩).

العالمين، الذي ليس له خطير[١] ولا نظير من العباد، وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين)[٢].

ثم ذكر عدداً كبيراً ممن آخى الرسول ﷺ بينهم من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

وقال **أبو القاسم السهيلي** رحمه الله عن مؤاخاة الرسول ﷺ بين الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم:(آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليُذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدُّ أَزْرَ بعضهم ببعض)[٣].

وانظر إلى هذه الأخوة العظيمة فيما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (قدم علينا عبدالرحمن بن عوفٍ وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع[٤] وكان كثير المال فقال سعدٌ: قد علمت الأنصار أنّي من أكثرها مالاً، سأقسمُ مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأُطلّقها حتى إذا حلَّت تزوَّجتها.

فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقك؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضلٌ من أقطٍ وسمنٍ)[٥] الحديث.

ومع هذه الصلات القوية بين المهاجرين والأنصار، إلا أن ذلك لم يلق استحسان

---

(١) خطير: مثيل ونظير، ينظر: كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٣٠٥) مادة: (خطر)، وكتاب المصباح المنير (ص ٩٢)، مادة: (خ ط ر).

(٢) كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (٤/ ١١٨)، ومؤاخاة الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه الترمذي في سننه، ح/ ٣٧٢٠، (ص ٨٤٦)، وقال: (هذا حديث حسن غريب)، وضعف الألباني رواية الترمذي في كتاب (ضعيف سنن الترمذي)، كتاب: المناقب، باب: ٢١، ح/ ٣٧٢٠، (ص ٤٢٥).

(٣) كتاب: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لابن هشام (٤/ ١٧٧).

(٤) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي، عقبي بدري، كان أحد نقباء الأنصار، وكان كاتباً في الجاهلية، قتل يوم أحد شهيداً رضي الله عنه. الاستيعاب (ص ٢٧٩)، رقم (٨٩٤)، أسد الغابة (٢/ ٢٩٣)، رقم (١٩٩٤)، الإصابة (ص ٤٨٥)، رقم (٣٣٠٨).

(٥) صحيح البخاري، ح/ ٣٧٨٠ (ص ٧٧٤).

المستشرقين، فحاولوا في كتاباتهم أن ينقلوا هذه الصورة بوجه يخالف الحقيقة.

يقول المستشرق مونتجمري وات (MONTGOMERY WATT):(**وأخذت المشاحنات القديمة بين الأنصار تنمحي من الأذهان رويداً رويداً، أثناء إقامة النبي [صلى الله عليه وسلم] في المدينة، وأخذ الأنصار يحسون بأنهم وحدة واحدة خاصة حيال المهاجرين، الذين قلما كانوا يصهرون إليهم**)(١).

فهذا المستشرق يرى بأن المشاحنات والمنازعات التي كانت بين قبائل المدينة (الخزرج والأوس) انمحت، وأصبح هناك نوع من الاتحاد والاتفاق.

بينما يعارضه مستشرق آخر وهو فلهوزن (WELLHAUSEN) فيقول:(**أن التوتر الذي لم تكن كل آثاره قد زالت بين قبائل الأنصار وهم (الأوس والخزرج) جعل للمهاجرة شأناً راجحاً**)(٢).

وهذا يعني أن التوتر بسبب المشاحنات لم يزل قائماً. وفي هذين القولين مجانبة للصواب في كثير منها.

فقول المستشرق مونتجمري وات (**وأخذ الأنصار يحسون بأنهم وحدة واحدة خاصة حيال المهاجرين، الذين قلما كانوا يصهرون إليهم**).

فما دليله على إحساس الأنصار وأنهم وحدة خاصة حيال المهاجرين، إلا إذا كان يقصد أنه إذا ذكر المهاجرين ذكر في مقابله الأنصار، كما إذا ذكر الخزرج ذكر في مقابله الأوس، وهذا مقصد صحيح وهو كقول الله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والله جعل الأنصار في المرتبة الثانية بعد المهاجرين، ولله تعالى أن يفضل من عباده من يشاء بمحض فضله وعدله.

لكن الذي تدل عليه عبارات وأسلوب الكتابة أنه يريد غير ذلك، وأن أهل

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٥/ ١٣٩١)، مادة: (الأنصار).

(٢) كتاب: تاريخ الدولة العربية، لفلهوزن (ص ١٦).

المدينة (الأنصار) صار لهم نوع من الاتحاد والاتفاق في مواجهة المهاجرين، حيث ختم ذلك بقوله: (الذين قلما كانوا يصهرون إليهم).

وهذا القول أيضاً لم يستدل له، وهو منتقض لوجود شواهد على مصاهرة المهاجرين للأنصار، وأما كثرة هذه المصاهرة فلا يلزم على ذكرها أهمية حتى تذكر في كتب السير والحديث.

وعلى فرض صحة أنه لم يكن هناك مصاهرة بين المهاجرين والأنصار إلا في عدد قليل، فلا يلزم منه التقاطع وأن الأنصار يرون أنفسهم وحدة حيال المهاجرين، بل قد كانوا كمجتمع واحد.

وأما قول المستشرق فلهوزن: (**أن التوتر الذي لم تكن كل آثاره قد زالت بين قبائل الأنصار وهم «الأوس والخزرج» جعل للمهاجرة شأناً راجحاً**).

وأيضاً هذا التوتر لم يذكر له دليل يبرهن عليه، بل إن من المعلوم أن الأنصار وبقبولهم لدعوة التوحيد واعتناقهم الإسلام، ونصرتهم للرسول ﷺ أزال الله بذلك ما كان بينهم من التنافر والتناحر، والتفرق والاختلاف.

وما يحدث من الاختلاف يقضى عليه في مهده، وسأذكر لذلك مثالاً واحد، وهو ما سعى فيه أحد اليهود للوقيعة بين الأنصار، وذلك للإفساد بين الخزرج والأوس.

فقد ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى قصة ذلك فقال: (مرَّ شأس بن قيس[١]، وكان شيخاً قد عَسَا[٢]، عظيم الكفر، شديد الضِّغْن[٣] على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألْفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي بينهم من العداوة في الجاهلية.

---

(١) شأس بن قيس، من يهود بني قينقاع. ينظر: كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ١٢٨).

(٢) عَسَا: أي كَبِرَ وأسنَّ، من عَسَا القضيب إذا يبس. كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢١٥) مادة: (عسا).

(٣) الضِّغْن: الحقد والعداوة والبغضاء، وكذلك الضَّغينة، وجمعها الضَّغائن. المصدر السابق (٣/ ٨٤)، مادة: (ضغن).

فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار.

فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم، فقال: اعمِدْ إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعاث، وما كان قبلَه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار.

... ففعل. فتكلَّم القومُ عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب[١] رجلان من الحيَّين على الرُّكب، أوس بن قيظي[٢]، أحد بني حارثة بن الحارث، من الأوس، وجبَّار بن صخر[٣]، أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رَدَدناها الآن الجذعة[٤]، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظَّاهرة – والظاهرة: الحرة – السِّلاح السلاح، فخرجوا إليها.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم. فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبِدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم[٥] بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بين قلوبكم، فعرف القوم أنها نَزْغة[٦] من الشيطان، وكيدٌ من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع

---

(١) تواثب: أي وثب بعضهم على بعض بمعنى غالبه وساوره، ونهض وقام إليه. المعجم الوسيط (٢/ ١٠١٠) مادة (وثب)، وكتاب: معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٤٣)، مادة: (وثب).

(٢) هو أوس بن قيظي بن عمرو الأنصاري الأوسي، شهد أحداً هو وابناه عرابة وعبدالله. وقد ذكر ابن إسحاق في سيرته أن (أوس بن قيظي) من منافقي الأنصار فقال: (أوس بن قيظي، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة، فأذن لنا فلنرجع إليها، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣]. الاستيعاب (ص ٥٨)، رقم (٦٧)، أسد الغابة (١/ ١٧٣)، رقم (٣١٦)، الإصابة (ص ٩٧)، رقم (٥٢٣).

(٣) هو جبَّار بن صخر السلمي الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً، وأُحداً وما بعدها من المشاهد، وكان أحد السبعين ليلة العقبة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين المقداد بن الأسود، توفي في المدينة سنة ثلاثين. الاستيعاب (ص ١١٧)، رقم (٣١٢)، أسد الغابة (١/ ٣٠٣)، رقم (٦٧٠).

(٤) رددناها الآن جذعة: أي رددنا الآخر إلى أوله [قاله محقق كتاب السيرة النبوية] وهي بمعنى إرجاع الحرب والخصومة إلى ما كانت عليه من القوة، قبل التوقف عنها.

(٥) وأنا بين أظهركم: أي مقيماً بينكم. ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٥١)، مادة: (ظهر).

(٦) نزعة من الشيطان: أي أفسد وأغرى، المصدر السابق (٥/ ٣٦)، مادة: (نزع).

رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس)[(١)] .

والشاهد من القصة السابقة هو ما كان بين الأنصار (الخزرج والأوس) من الألفة والاجتماع وصلاح ذات البين، بخلاف ما كانوا عليه في الجاهلية من العداوة والتنازع والتقاتل .

ولذا غاظ هذا الوضع هذا اليهودي (شأس بن قيس)، وهو سلف للمستشرقين، فأراد أن يفسد بينهم ويثير الخلاف والفرقة بينهما حتى أنقذهم الله بالرسول ﷺ، فقضى على هذه النعرة الجاهلية في مهدها .

كما قضى على الخلاف الذي حصل بين المهاجرين والأنصار قبل استفحال أمره، فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال (غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب[(٢)] معه ناسٌ من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجلٌ لعَّابٌ[(٣)] فكسع[(٤)] أنصاريًا فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا[(٥)] .

وقال الأنصاري[(٦)]: يا للأنصار . وقال المهاجري[(٧)]: يا للمهاجرين .

فخرج النبي ﷺ فقال: **«ما بال دعوى أهل الجاهلية؟»** ثم قال: **«ما شأنهم؟»** فأخبر بكسعة المهاجريِّ الأنصاري .

---

(١) ينظر: كتاب السيرة النبوية (٢/١٦٨ - ١٧٠)، والقصة أخرجها ابن جرير الطبري بسنده عن ابن إسحاق عن زيد بن أسلم . تفسير الطبري (٥/٦٢٦)، والقرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) (٤/١٠٠)، دون أن يذكر لها إسناداً، والسيوطي في تفسير (الدر المنثور) (٣/٦٩٨)، وزيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، ثقة علم، مات ١٣٦هـ قاله ابن حجر في (تقريب التهذيب) (ص ١٦٢)، رقم (٢١١٧) .

(٢) ثاب: اجتمع، كتاب مختار الصحاح (ص ٦١)، مادة: (ث و ب) .

(٣) لعَّاب: أي بطال، وقيل: كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة . قاله ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث في كتابه (فتح الباري)، ح/٣٥١٨، (٦/٦١٦) .

(٤) كسع: أي ضرب دُبُره بيده . كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/١٥٠)، مادة: (كسع)، وينظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري (٣/١٥٦)، مادة: (كسع) .

(٥) تداعوا: أي اجتمعوا ودعا بعضهم بعضاً . كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/١١٣)، مادة: (دعا) .

(٦) الأنصاري: هو سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي .

(٧) المهاجري: هو جهجاه بن قيس الغفاري، وكان أجير عمر بن الخطاب، قاله ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري)، كتاب: المناقب، باب: ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية، ح/٣٥١٨، (٦/٦١٧) .

قال: فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها خبيثة**»[(١)].

وهذه من الحوادث القلائل والفردية، مغمورة في جنب ما كان عليه المجتمع المسلم آنذاك، مع ما يسوده من المحبة والألفة والإخاء، وقد تقدم شيء عن ذلك قريباً عند الكلام على مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

(١) صحيح البخاري، ح/٣٥١٨ (ص ٧٢٢)، ومسلم، ح/٦٣، (ص ١١٣٠).

المطلب الثالث

موقف المستشرقين من جهود الصحابة رضي الله عنهم في نشر الإسلام

لم يحتج الصحابة رضي الله عنهم في نشرهم للإسلام إلى تلك الجيوش الجرارة التي تنذر الناس بالدمار بعد العمار، ولا إلى جيش من الدعاة يُرتبون ويلحون على الأمم أفراد ومجتمعات للدخول في الإسلام وقبوله.

بل قد رأت العيون ما أسر القلوب، من العدل والرحمة، والخلق الحميد، والبُعد عن التعمق والتنطُّع المذموم من رهبنة مبتدعة وغلو في الدين.

نُبذت الطبقية، فأصبح الناس في الإسلام إخواناً ليشملهم عقد الإيمان بالله وقبول الإسلام ديناً، فدخل الناس أفواجاً في هذا الدين قابلين به، ومضحين في سبيله، فكانت تلك الظاهرة مدعاة لكثير من المستشرقين للوقوف عليها.

ففي هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين خرجوا لنشر الإسلام يقول المستشرق هنري دي كاستري(١)(Castries): (إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة التي دفعت العرب في طريق الفتح)(٢).

ولقد غفل هذا المستشرق عن سبب رئيس وهو أن ما يحمله الصحابة رضي الله عنهم هو الإسلام الحق الناسخ لجميع الأديان السابقة، وماذا يفعل الباطل في وجه الحق إذا تقابلا؟ ﴿ وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

يقول المستشرق دي بور(٣) (DEBOR): (أفلح محمد [عليه الصلاة والسلام] هو وخلفاؤه الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (١١ – ٥٠هـ « ٦٣٢ – ٦٦١م) في أن يبعثوا في نفوس أبناء الصحراء الأحرار، وفي نفوس من هم أكثر منهم تحضراً من

---

(١) هنري دي كاستري (Castries) مستشرق .فرنسي عمل مقدماً في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي ردحاً من الزمن، من كتبه: مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب، والأشراف السعديون، ورحلة هولندي إلى المغرب وغيرها، توفي عام ١٩٢٧م. ينظر: كتاب قالوا عن الإسلام (ص ٦١).

(٢) كتاب: الإسلام خواطر وسوانح، لدي كاستري (ص ٣٧).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

أهل البلاد الواقعة في الأطراف الاتحاد في العمل، وإلى هذا البعث يرجع الفضل في المكانة التي يتبوؤها الإسلام كدين عالمي.

ولقد صدق الله المسلمين وعده بالنصر؛ كأنما كان تأييده لهم إجابة لندائهم عند لقاء الأعداء: (الله أكبر) لما خرجوا من جزيرتهم فاتحين، أصبحت الدنيا كأنما قد صغرت رقعتها أمامهم، فطووها في فتوحهم طيًّا)[١].

ويصف المستشرق (جوزيف بورلو) بأن نشر الصحابة رضي الله عنهم للإسلام كان سريعاً حيث شمل مناطق واسعة من العالم، بل وانتشر مع الإسلام اللغة العربية فيقول: (الوقت بداية القرن السابع الميلادي والمكان شبه الجزيرة العربية، أما الحدث فهو ظهور دين جديد سيغير تاريخ العالم.

ظهر هذا الدين مع النبي (محمد ﷺ) على أساس الإيمان بإله واحد وهو الله سبحانه وتعالى، واستطاع المؤمنون بدين محمد ﷺ بصورة سريعة جداً فتح أنحاء الوطن العربي وتحريره، وعلى أرض الحضارات القديمة هذه ازدهر الإسلام وانتشرت اللغة العربية...)[٢].

ويقول المستشرق ستانود كب (STANWOOD COBB)[٣]: (فلقد اجتذب العرب إلى صفوفهم أقواماً من سلالات جنسية وعقائد دينية متباينة.

وكان مرجع ذلك إلى ما امتلكه محاربو الصحراء الأشداء هؤلاء من خاصية مغناطيسية، يجهلها تماماً أولئك الذين قاتلوهم من أكثر الأجناس تمدناً ورقيًّا... لقد

---

(١) كتاب: تاريخ الفلسفة في الإسلام، لدي بور (ص ٥).

(٢) كتاب: الحضارة الإسلامية لجوزيف بورلو (ص ٩).

(٣) هو ستانوودكب (STANWOOD COBB) المولود بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨١م والمتخصص في تاريخ الأديان وفلسفتها في جامعة (هارفارد). ولقد مارس التدريس أعواماً ثلاثة بكلية روبرت (باستنبول) ونشر كتابه الأول (التركي الحقيقي) عام ١٩١٤م على أساس من خبراته في الشرق، وله كتب أخرى تتناول ديانات شرقية متعددة: (فسملا) قصة شعرية تدور حول العاطفة والعقيدة في الهند القديمة، وله كتاب يعرض للكونفوشيوسية... وأكثر كتب (كب) شيوعاً بين القراء هو كتاب (اكتشاف العبقرية في أعماقك)، ينظر: مقدمة كتاب المسلمون في تاريخ الحضارة، لستانوود كب (ص ١٠ - ١١).

كانوا أكفاء للقتال حتى الموت في سبيل المبدأ)[١].

وهل كان هناك قوة مغناطيسية يمتلكها المسلمون الأوائل من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم، حتى تجذب الناس إلى قبول هذا الدين؟

نعم، هناك عملية جذب، ولكن ليست مغناطيسية كما يزعم هذا المستشرق، بل هي عملية موافقة دين الإسلام للفطر السليمة، والعقول الصريحة، المتخلصة من الشبهات، والشهوات.

تقول المستشرقة لورافيشيا فاغليري (VAGLIERI) :(إن الخلفاء الذين خلفوا محمداً كرؤساء للدولة الإسلامية سلكوا، بوصفهم المفسرين الأمناء لتفكيره، السبيل التي اختطها، وحملوا راية الإسلام إلى قلب آسية في الشرق وإلى المحيط الأطلسي في الغرب)[٢].

ومما سبق من أقوال المستشرقين نجد إنصافاً للصحابة رضي الله عنهم في نشرهم للإسلام، وأنهم أمناء في ذلك حيث بلَّغوه كما جاء عن الرسول ﷺ، وأنهم لم يقتصروا على العرب بل قد شمل أمم كثيرة من أهل الأرض، وممن كانت لهم دول وحضارة عريقة في القدم.

أما عن دين الإسلام الذي حمله الصحابة رضي الله عنهم للعالم فيصفه المستشرق (رالف لنتون) [٣] فيقول: (وكان ديناً قوياً يهدي إلى الصواب ويرحب بمن يريدون الدخول فيه.

وفي الأيام الأولى للغزوات الإسلامية كان كل من يتبع دينهم يصبح أخاً في الإسلام)[٤].

ومع وجود هذا الدين الصحيح ووجود رجاله وهم الصحابة رضي الله عنهم

---

(١) المسلمون في تاريخ الحضارة (ص ٣٣).

(٢) كتاب: دفاع عن الإسلام، فاغليري (ص ٢٥).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) كتاب: شجرة الحضارة، لرالف لنتون (٣/ ٣٣٩).

الذين بلغوا هذا الدين وضحوا من أجله نجد من المستشرقين من يعقد مقارنة بين الإسلام والنصرانية، فيقول المستشرق كايتاني في كتابه (حوليات الإسلام): (لما أهلّت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد المسيحية، التي اختلطت بالغش والزيف، وتمزقت بسبب الانقسامات الداخلية، وتزعزعت عقائدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من هذه الشكوك، نقول: إنه لم تعد تلك المسيحية قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة التي لا تقبل الجدل، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان العرب.

ولا عجب فقد منح الإسلام العبد رجاءً، والإنسانية إخاءً، ووهب الناس إدراكاً للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية)[١].

وتقول المستشرقة لورا فيشيا فاغليري في وصف دين الإسلام: (لقد قوضت حضارتان وزعزع دينان، فإذا بفيض جديد من حياة عارمة يتدفق في عروق تلك الشعوب الخائرة القوى.

لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دينٌ جديد، بسيط، سهل، يخاطب القلب والعقل جميعاً.

وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حدّ بعيد – في خصائصه ومبادئه الأخلاقية – من تلك المعروفة في ذلك العصر)[٢].

وبالنظر والتأمل فيما سبق من هذه النصوص نجد أن المستشرقين قد وصفوا الإسلام بصفات كثيرة ومنها:

- أن الإسلام دين قوي يهدي إلى الصواب، وأنه يرحب بالداخلين ويجعلهم أخوة للمسلمين، وأنه حق قضى على شكوك النصرانية، سهل بسيط يخاطب القلوب والعقول جميعاً.

ولا شك بأن ديناً بهذه الصفات هو دين قوي، مهيمن على جميع الأديان.

ولذا ما استطاعت الجيوش ولا القلاع والحصون أن تصده، ولا البابوات والقسس أن تمنع الناس من قبوله.

---

(١) كتاب: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، لمحمد شريف الشيباني (ص ٤٥١).

(٢) كتاب دفاع عن الإسلام (ص ٢٥).

موقف المستشرقين من انتصارات الصحابة رضي الله عنهم أيام الفتح الإسلامي

إن كثيراً من المستشرقين طفقوا يبحثون ويعللون سبب سقوط مملكتي فارس، والروم – في أقل من عشرين سنة من هجرة الرسول ﷺ - أمام المسلمين في القادسية واليرموك وغيرها من المعارك؛ لأن ذلك كان صدمة قوية لهم وللأجيال اللاحقة.

ولذا كانت دراستهم لهذه الأسباب أشبه ما يكون بالاعتذار! مع ما يُلمح في كثير منها من محاولة للبعد عن الاعتراف بأن انتصار المسلمين إنما كان لنصر الله عز وجل لعباده المؤمنين؛ ومرددين بأن سبب سقوط مملكتي الفرس والروم، إنما كان لنواحي سياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية.

فيرى المستشرق ألفرد بل (BEL)(١) بأن نجاح الفتح الإسلامي يرجع إلى عاملين اثنين الأول يخص المسلمين، والثاني يخص المناطق المفتوحة فيقول:(ولم يكن وصول الغزاة الأُول إلى بلاد الشمال الأفريقي (المغرب) بعد أن فتحوا مصر وطرابلس وبرقة، غير حلقة في سلسلة هذا الفتح الإسلامي الواسع. وساعد على هذا النجاح عاملان:

١ – تنظيم الجماعات العربية البدوية الفقيرة تحت لواء الإسلام نظاماً وشريعة مما جعل منها قوة حربية متماسكة.

٢ – الضعف السياسي والحربي والاجتماعي الذي أصاب الدول المجاورة للجزيرة العربية، ونعني بها الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، التي أنهكت كل منهما الأخرى فيما بينهما حتى بداية القرن السابع الميلادي) (٢).

وانظر إلى حيرة المستشرق بليائيف (BELLAEV) ومحاولته البحث عن أسباب نجاح الفتح الإسلامي الذي أدى إلى تقويض بنيان مملكة فارس والروم، وانتشار الإسلام فيقول: (ولا يزال المؤرخون حتى يومنا هذا يبحثون في الأسباب والعلل التي مكّنت

---

(١) ألفرد بل (Bel)، مستشرق فرنسي، ومن الباحثين في الآثار حيث اهتم بالنقوش العربية والإسلامية، من كتبه: صناعة الخزف في فاس، وفهرس مخطوطات مكتبة القرويين، والنقوش العربية في فاس، وهلك في سنة ١٩٤٥م. مقدمة عبدالرحمن بدون على كتاب: (الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي)، (ص ٦ـ ٧).

(٢) كتاب: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي – من الفتح العربي إلى اليوم – لألفرد بل (ص ٧٦).

العرب من إنجاز تلك الفتوحات بهذه السرعة الهائلة .

وفي نظرنا أن الانتصارات التي حققها العرب تعود في الأساس إلى الضعف الاقتصادي الذي منيت به بيزنطة وفارس الساسانية ، كما تعود بوجه خاص إلى التناقضات الاجتماعية التي زادت حدتها فجأة في الدولتين .

فقد بلغ ظلم السلطة في هاتين الدولتين واستغلالها للفئات العاملة حدًّا جعل الطبقات المظلومة تنظر إلى العرب كمنقذين لهم من نير الروم والفرس ، كما أن العرب وفروا لهؤلاء أوضاعاً وظروفاً تفضل تلك الظروف التي كانوا يعيشون فيها في ظل حكم لتينك الدولتين ، وأدى اضمحلال المواد المادية في الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية إلى ضعفهما عسكريًا ، فأهمل أمر الدفاع والتحصينات في الأماكن التي كان لهم فيها حاميات ، وقد يكون هذا سبباً آخر في انعدام المقاومة في وجه الفتوحات العربية)[١] .

فالمستشرق بليائيف في بحثه عن أسباب الفتح الإسلامي ، ونجاحه في انتشار الإسلام والذي أدى إلى القضاء على أقوى دولتين في العالم (فارس ، والروم) اقتصر على أمور مادية وهي الضعف الاقتصادي ، والتناقضات الاجتماعية التي أدت إلى ظلم الرعية ، مع وجود الضعف العسكري ، مع تجنبه لإثارة الناحية الدينية لكونه ماركسيًّا ينابذ الدين!

وأما المستشرق جوستاف لوبون (**LEBON**) فيقول: (كانت دولة الروم ، التي أنهكتها محارباتها لدولة الفرس ، والتي كانت تعاني عوامل الانحلال الكثيرة في دور الانحطاط ، فلم تكن غير هيكل نَخِرٍ يكفي لتداعيه أقلُّ صدمة .

وكانت علائم الانقراض باديةً ، كذلك على دولة الفرس التي أوهنتها تلك الحروب أيضاً .

وأثقل الحكم الروماني كاهل مصر وإفريقية ، وكانت القسطنطينية تستغل شوبهما[٢] من غير أن تحسن سياستهما ، وكانت الاختلافات الدينية ومظالم الحكام

---

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٨٢) .

(٢) شوبهما: أي خلطهما ، ينظر: مختار الصحاح (ص ١٩٨) ، مادة: (ش و ب) .

تقوض دعائمهما)[١].

وهو يزيد عن من قبله بذكر أن الاختلافات الدينية، وظلم الحكم كان من أسباب هذا السقوط الذريع لأعظم مملكتين في العالم آنذاك.

ويقول المستشرق فيليب حتي (HITTI) :(إن الروم والفرس الذين كانت قد مضت لهم عصورٌ أضعفتهم بالمنازعات الداخلية (بالحروب فيما بينهم) ثم نعَّمت الحياة المترفة وليَّنتهم – بدوا مؤنثين أو مخنثين أيضاً أمام العرب البدو الذين خرجوا من أرضهم القاحلة وديارهم المكتظة بالسكان يزدادون شجاعة فوق شجاعتهم بما وعد الله الذين يستشهدون منهم في سبيله بأن لهم الجنة).

وهذا ليس باعتذار للفرس والروم بقدر ما هو شتيمة لهم حيث وصفهم بالمؤنثين، أو المخنثين الذين لاقوا رجالاً تفوق شجاعتهم أي شجاعة.

وأما قوله: (**خرجوا من أرضهم القاحلة وديارهم المكتظة بالسكان**)[٢].

فهذا القول فيه نظر، حيث من المعلوم والثابت من كتب التاريخ وغيرها أن سكان مدن مثل: المدائن والحيرة، ودمشق، ومدن مصر هي أكثر عدداً في السكان مقارنة بمدن مثل: المدينة، ومكة، والطائف.

وفي جانب دراسة سبب انتصار المسلمين على الفرس والروم، قام بعض المستشرقين بذكر بعضها، ومنها:

قول المستشرق توماس أرنولد[٣] **(ARNOLD)** عن سبب انتصار المسلمين وانتشار الإسلام في أفريقية جاء فيه قوله:(دخل الإسلام أفريقية أولاً مع الجيش العربي،

(١) كتاب: حضارة العرب، جوستاف لوبون (ص ١٦٦).

(٢) كتاب: الإسلام منهج الحياة (ص ١٦١)، وينظر: كتاب: ميلاد العصور الوسطى، لموس، (ص ٢٤٨)، وكتاب: الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، لدومنيك سورديل (ص ٣٤)، وكتاب: شجرة الحضارة، لرالف لنتون، (٣/ ٣٣٩) وغيرها.

(٣) أرنولد (توماس ووكر) (Thomas Arnold). ١٨٦٤ – ١٩٣٠م، مستشرق إنجليزي، كان أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن، من كتبه: الدعوة إلى الإسلام، والعقيدة الإسلامية. ينظر: موسوعة المستشرقين (ص٩)، والمستشرقون (٢/ ٨٤).

الذي غزا مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٠م (٢٠هـ) ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي من الإدارة الظالمة، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت)[١] .

فجعل ظلم الحكام من رجال الكنيسة، من الأسباب التي جعلت النصارى في مصر يُقبِلون على الإسلام ويرحبون به .

وأما المستشرق الكونت هنري دي كاستري (CASTRIES) فيقول: (لانتشار الإسلام ورضوخ الأمم لسلطانه سبب آخر في هاتين القارتين (آسيا وأفريقيا الشمالية) وهو استبداد القسطنطينية . فإنه كان قد بلغ منتهى العسف ووصل جور الحكام إلى درجة أزهقت النفوس، فلما جاء الإسلام تراموا إليه هرباً من الضرائب الفادحة واستلاب الأموال؛ لأنه كلما أسلمت عشيرة رفع عنها أثقال المغارم ورد إليها مالها المسلوب)[٢] .

وفي قوله هذا بعض ما كان يعانيه الناس في تلك الأمصار من العالم، من ظلم الحكام وغيرهم .

والإسلام هو دين العدل، لذا كان محل جذب للفطر السليمة إليه .

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم هم أُسّ هذه الجيوش التي جابت العالم داعية إلى الإسلام .

يقول المستشرق ستانوو دكب (STANWOOD COBB) :(لم يتوان أبو بكر خليفة محمد والخليفة الأول في الإسلام من الشروع في سلسلة من الفتوح؛ سرعان ما أخضعت لحكم الإسلام كل الشرق الأوسط ومصر وشمال أفريقية .

وأصبحت الإمبراطورية الرومانية الشرقية مفتوحة للغزو أمام أي هجوم قوي . . . وإنما تحقق هذا كله؛ لأن الفاتحين المسلمين كانوا يعرضون ظروفاً اجتماعية

---

(١) كتاب: الدعوة إلى الإسلام، لتوماس أرنولد (ص ٨١) .

(٢) كتاب الإسلام خواطر وسوانح (ص ٣٩) .

واقتصادية أفضل من الظروف السائدة)[١].

وقول هذا المستشرق بأن المسلمين (**يعرضون ظروفاً اجتماعية واقتصادية أفضل من الظروف السائدة**) هذا تعبير غير دقيق؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لما ساروا لتبليغ هذا الدين، إنما كانوا يعرضون إفراد الله بالعبادة، ورسوله بالمتابعة، وما يأتي معه من العدل وعدم الظلم، والأخلاق الحسنة والفاضلة فهو تبع لهذه العقيدة.

فالإسلام ليس إصلاحاً اجتماعياً أو اقتصادياً فقط، ولكنه إخلاص العبادة لله تعالى، مع إخلاص المتابعة لرسوله ﷺ، والذي يثمر صلاح الدين والدنيا، والعاقبة الحسنى في الآخرة.

ويقول المستشرق مايكل هارت[٢] (**MICHAEL HART**) بشيء من الإنصاف عن هذه الانتصارات التي حققها الصحابة رضي الله عنهم في جهادهم: (وكان للقبائل العربية في الجزيرة شهرة بتمرس فنون القتال والحروب، ولكن عددهم كان ضئيلاً؛ وكانوا مبتلين بالتفرقة والحروب القبلية الضروس؛ ولذا لم يكن من السهل أن يكونوا أنداداً للجيوش الجرارة.. ومع هذا فإنهم عندما توحدوا تحت راية محمد صلى الله عليه وسلم لأول مرة في التاريخ وارتشفوا تعاليم الدين الجديد، الذي زادهم حماساً وإيماناً بالإله الواحد، فإن هذه الجيوش العربية الصغيرة قامت بسلسلة من فتوحات ليس لها مثيل في تاريخ البشرية... وإذا اعتبرنا القيمة العددية فإن العرب لم يكونوا بأية حال أنداداً لخصومهم ولكن العرب الملهمون استطاعوا وبسرعة أن يفتحوا كل منطقة ما بين النهرين وفلسطين وسوريا)[٣].

فجعل سبب انتصار المسلمين (الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم) على الفرس والروم لاجتماعهم على دين واحد، وتحت راية واحدة.

---

(١) كتاب: المسلمون في تاريخ الحضارة (ص ٢٨).

(٢) مايكل هارت (Michael Hart) أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم، وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برلنستون، عام ١٩٧٢م، من أهم كتبه: المائة الأوائل، ينظر: كتاب قالوا عن الإسلام (ص١٤١).

(٣) كتاب: المائة الأوائل، لمايكل هارت (ص ٢٣).

وأما المستشرقة بوجينا[١] (BOZENA) فتجعل السر في انتصار المسلمين الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم يرجع ذلك إلى قوة إيمانهم بالله ؛ ولأن المؤمن رابح في كلا الحالتين ، في حال الانتصار فرح بالنصر والغنيمة ، وفي حالة القتل الشهادة والفوز بالجنة .

فتقول: (**السر في انتصار المسلمين، أن الجندي منهم كان يحارب، وروحه قوية؛ لأنه مؤمن بوعد الله بالنصر والغنيمة، وإن قتل كان شهيداً ويفوز بالجنة**)[٢].

وهذا القول موافق لقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [التوبة: ٥٢] ، وقوله: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[النساء: ١٠٠] .

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (**انْتَدب**[٣] **الله لمن خرج في سبيله لا يُخْرجُهُ إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة**)[٤] الحديث .

وقد شنعت لورا فيشيا فاغليري (VAGLIERI) على المستشرقين وغيرهم الذين خاضوا في الكلام على أسباب انتصار المسلمين (الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم) وانتشار الإسلام ، وأنهم كانوا عمياناً ، أو يغمضون أعينهم بتعليلات وتخمينات خاطئة فتقول:

(وأزعج هذا التحول السياسي والديني العميق طائفة من الناس [**المستشرقين**،

---

(١) لم أقف لهذه المستشرقة على ترجمة ؛ إلا أنها بولندية درست في الأزهر .

(٢) كتاب: تاريخ التشريع الإسلامي ، لبوجينا (ص ٧٥) .

(٣) انتدب: أي أجابه إلى غفرانه . كتاب: نهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٩) ، مادة: (ندب) .

(٤) كتاب الإيمان ، ح/ ٣٦ ، (ص ١١) ، ومسلم ، ح/ ١٠٣ ، ١٠٤ (ص ٨٤١) مع اختلاف يسير في اللفظ في أول الحديث: "تضمن الله لمن خرج" وفي الحديث الآخر: "تكفَّل الله لمن خرج".

والمنصرين وغيرهم] فراحوا يتساءلون ما الذي أدى إلى حدوثه [يعني انتصار الإسلام]؟

ولكن كثيراً منهم كانوا عُمياً، أو كانوا يغمضون أعينهم عمداً هائمين طويلاً، وعلى نحو يائس في متاهات التخمينات الخاطئة.

إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة، إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد، آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع، والنبي الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد)(١).

وقولها هذا فيه إنصاف من جهتين: من جهة أن الله تعالى هو الذي نصرهم على عدوهم؛ لأن حكمة الله اقتضت علو الإسلام على غيره، ولأنه دينه الذي أرسل به محمد ﷺ، وهو آخر الأنبياء، وإنصاف من جهة أخرى أن فيه اعتراف بالرسول ﷺ وهو آخر الأنبياء.

(١) كتاب: دفاع عن الإسلام، للورا فيشيا فاغليري (ص ٢٨)، وللمزيد من الرد ينظر كتاب دواعي الفتواحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، للدكتور: جميل عبدالله المصري.

موقف المستشرقين من أخلاق الصحابة رضي الله عنهم وتعاملهم مع شعوب الأمم الأخرى أيام الفتح الإسلامي

إنَّ جانب الأخلاق والتعامل الذي رأته الشعوب وعايشته أيام الفتوحات الإسلامية، والذي يمثله الصحابة رضي الله عنهم حملة الدين والدعاة إليه، مع غيرهم من التابعين كشف لهم عن جوانب من هذا الدين ومحاسنه.

يقول المستشرق تولستوي[١]: (وقد امتاز المؤمنون كثيراً عن العرب بتواضعهم وزهدهم في الدنيا وحب العمل، والقناعة، وبذلوا جهدهم في مساعدة إخوانهم في الدين عند حلول المصائب.

ولم يمض على جماعة المؤمنين زمن طويل حتى أصبح الناس المحيطون بهم يحترمونهم احتراماً ويعظمون قدرهم، وراح عدد المؤمنين يتزايد يوماً بعد يوم)[٢].

فالمستشرق تولستوي يفرق بين المؤمنين (وهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم) وبين العرب في هذه الأخلاق؛ التي كانت سبباً في قبول الإسلام واعتناقه في مناطق شاسعة من العالم.

ويمتدح الأب بروغلي[٣] أخلاق الصحابة رضي الله عنهم وبخاصة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيقول: (إن الذين آمنوا بمحمد كانوا قوماً صادقين ذوي دراية وذكاء، منهم أبو بكر وعمر رجلان توليا زمام مملكة فسيحة الأرجاء فأحسنا سياستها وكانا ذوي ثبات وعدل وقناعة وفضل وشدة وعزيمة، وكانا أرفع قدراً وأبعد مرمى من القياصرة والحكام الذين حاربوهما)[٤].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) مقال (نبي الإسلام في مرآة الفكر الروسي) لتولستوي، نشر في مجلة الأزهر، مصر، السنة الحادية والخمسون، ربيع الأول ١٣٩٩هـ/ فبراير ١٩٧٩م (ص ٧١٧).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) كتاب: الإسلام خواطر وسوانح، للكونت هنري دي كاستري (ص ٣٤)، هذا القول للكونت كاستري ذكره في كتابه هذا، ولم يتعقبه فقد يدل على موافقته له.

هذا عن أخلاق الصحابة رضي الله عنهم ، وأما عن تعاملهم مع شعوب الأمم الأخرى ، فنوع من أنواع الدعوة إلى الإسلام ، وجهد لا يُنسَ .

والصحابة رضي الله عنهم في نشرهم للإسلام ، لم يُكرهوا عليه أحداً من شعوب الأمم التي فتحت مدنها وقضي على ممالكها ، لا أفراداً ولا مجتمعات ، وهذه أقلام المستشرقين شاهدة .

يقول المستشرق جولد تسيهر (**GOLDZIHER**): (وكان أولو الأمر من المسلمين يطلبون إلى قواد جيوشهم الزاحفة للفتح ، وإلى عُمَّال الولايات من قِبلهم أن يسمحوا لأهل الكتاب الذين يخضعونهم بإقامة شعائرهم الدينية ، وأن يعاملوهم بالرحمة)[١] .

وهذا دليل على أنهم لم يكرهوهم على الإسلام واعتناقه ، ولو فعلوا ذلك لما سمحوا لهم بإقامة شعائرهم الدينية .

ويقول المستشرق هنري دي كاستري (**CASTRIES**): (لا نعلم للإسلام (مجمعاً دينياً) ولا رسلاً وأحباراً وراء الجيوش ولا رهبنة بعد الفتح ، فلم يُكره أحد عليه بالسيف ولا باللسان ، بل دخل القلوب عن شوق واختيار .

وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب . نعم قد اعتنق الإسلام قوم مشوا وراء منافعهم ولكنهم قليلون بجانب من أسلم عن اعتقاد صحيح وميل صحيح ، وكان ذلك من أسهل الأمور لبساطة الدين وكفاية النطق بكلمة التوحيد ليصير قائلها من المسلمين .

ومع ذلك فلم نر بعد استقرار الحكومة الإسلامية على محور النظام ، عشائر من المسيحيين تركوا دينهم جملة واحدة ، بل إنه صار من اللازم أن يثبت الإسلام لمن أراده على يد قاضي ويحرر بذلك محضر يذكر فيه أن المسيحي اعتنق الإسلام عن اعتقاد تام غير خائف ولا متكره ، ولا يجوز أن يكره أحد على تغيير دينه)[٢] .

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٣٩٩/٥) .

(٢) كتاب: الإسلام خواطر وسوانح (ص ٤١) .

وهذه شهادة مفصلة على أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكرهوا أحداً على الإسلام، بالإضافة إلى ما تميز به الإسلام من صحة في العقيدة، ويسر في الشريعة، وبساطة في السلوك، وهذا الذي يوافق النفوس والفطر، ويجعله محل قبول وإذعان.

وأما التشكيك بأن هناك من أسلم من أجل منفعة وراء ذلك فلم يستدل لذلك، ومع وجوده فإنه لا يضر، فقد أسلم رجال في زمن الرسول ﷺ نفاقاً وما ضروا إلا أنفسهم.

وتقول المستشرقة هونكه[١] (DR. SIGRID HUNKE) في كتابها: (شمس العرب تسطع على الغرب) تحت عنوان: (منهج المنتصرين): (لا إكراه في الدين) هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناءً على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون، والزرادشتية، واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سُمح لهم جميعاً دون عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم. وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم، وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى.

أوليس هذا منتهى التسامح؟

أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟)[٢].

وأما المستشرقة لورافيشيا فاغليري (VAGLIERI) فتقول: (وكان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد)[٣].

وهذا يؤيده ما جاء في كتب التاريخ من أمثال: فتوح البلدان، للبلاذري، وكتاب تاريخ الطبري وغيره، والذي فيه أن الصحابة رضي الله عنهم لم يُكرهوا أهالي تلك البلاد المفتوحة على الإسلام.

---

(١) ريغريد هونكه (Dr. Sigrid Hunke) مستشرقة ألمانية، وهي زوجة الدكتور: شولتزا المستشرق الألماني الكبير، كانت محبة للعرب، وقد ألفت كتابها الشهير: (شمس العرب تسطع على الغرب). ينظر: مقدمة مترجم كتاب شمس العرب تسطع على الغرب، (ص ٧)..

(٢) (ص ٣٦٤).

(٣) كتاب: دفاع عن الإسلام (ص ٣٥)، وينظر كتاب: حضارة العرب (ص ١٦٩)، وكتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٩٢)، وكتاب: الرسول حياة محمد (ص ٣١٠) وغيرها.

موقف المستشرقين من الجزية

قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وهذه الجزية، وإن كانت تؤخذ من أهل الذمة من أهالي البلاد التي فتحها المسلمون، فلم تكن من الضرائب الظالمة، التي أثقلت كواهلهم، بل لا مقارنة بينها وبين ما كان يؤخذ منهم في زمن حكامهم. مع ما وجدوه من المسلمين في تعاملهم وأخذهم الجزية من الرحمة والعدل، والذي لم ينفّرهم من الإسلام، بل كان داعية إليه.

وإليك بعض أقوالهم في الجزية، مع الرد على من نسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه وضع العراقيل التي تحول عن الدخول في الإسلام.

فيرى بعض المستشرقين أن هذه الجزية التي فرضت على أهل الكتاب وغيرهم هي أخف مما كان يفرض عليهم قبل دخولهم تحت حكم المسلمين.

يقول المستشرق فيليب حتي (**HITTI**): (إن الجزية التي فرضها الفاتحون العرب على أبناء البلدان المنسلخة عن فارس وبيزنطة، كانت أقل مما كان يفرض عليهم في ظل الحكومات السابقة)(١).

هذا القول فيه إنصاف من هذا المستشرق مع ما يُعلم عنه في كثير من كتاباته من الخبث والتطرف في عداوة المسلمين.

وتقول المستشرقة لورافيشيا فاغليري (**VAGLIERI**): (لقد كانت هذه الضريبة(٢) أخفَّ من الضرائب التي كان المسلمون ملزمين بدفعها إلى حكومتهم نفسها.

ومقابل ذلك: مُنح أولئك الرعايا (المعروفون بأهل الذمة) حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الإسلامية نفسها)(٣).

---

(١) كتاب: تاريخ العرب، لفيليب حتي (ص ١٩٩).

(٢) لا تقر المستشرقة على تسمية الزكاة بالضرية، فالضريبة تؤخذ بقوة من جهة الدولة، بينما الزكاة يدفعها المسلم طيبة بها نفسه، وحتى لو لم تطلبها الدولة، أو تعين عليها جباة لجمعها.

(٣) كتاب: دفاع عن الإسلام (ص ٣٥).

(فرية والرد عليها)

حاول أحد المستشرقين أن ينسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه وضع عراقيل أمام الداخلين في الإسلام، وأن الجزية لا تسقط عنهم وهو قول المستشرق فون كريمر[١] (KREMER) والذي لم أجده عند غيره[٢]، حيث قال: (وقد سعى عمر لوضع العراقيل في سبيل الدخول في الإسلام، فقرر أنه عند اعتناق الإسلام يمكن الاحتفاظ بالأملاك المنقولة فقط، أما الأرض وما يتصل بها من فوائد فيجب أن تكون للحكومة.

وأياً كان شعور المسلمين الجدد بالضيق من جراء هذا الأمر فإن شعورهم بالضيق كان أشد عندما أمروا بدفع ضريبة الرأس التي كانت مفروضة عليهم قبل تحولهم إلى الإسلام وذلك تفادياً للنقص الشديد في الدخل)[٣].

وهذا القول هو فرية عظيمة حيث نُسب إلى عمر رضي الله عنه أنه يضع العراقيل في طريق من يريد الإسلام، ويرد عليه بأمور منها:

أولاً: أن هناك أدلة على رفق عمر بأهل الذمة، وأنه لم يضع العراقيل في طريق إسلامهم، **وثانياً**: أن هذا المستشرق لم يعرف الفرق بين الأراضي الخراجية، **وثالثاً**: قوله: (أن المسلمين الجدد أمروا بدفع ضريبة الرأس) (الجزية) دعوى بلا دليل، بل هناك أدلة تكذبها.

هذا على وجه الإجمال، وأما التفصيل فيقال:

أولاً: هناك أدلة على رفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأهل الذمة، فقد

---

(١) فون كريمر (Von Kremer) مستشرق نمساوي، من كتبه نشر المغازي للواقدي، والأحكام السلطانية، للماوردي، وغيرها، هلك عام ١٨٨٩م. ينظر: كتاب: طبقات المستشرقين (ص ٦٩).

(٢) ينظر مثلاً: كتاب (أهل الذمة في الإسلام)، تأليف: ا. س ترتون، وكتاب (الجزية والإسلام)، تأليف: دانيل دينيت.

(٣) كتاب الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، لفون كريمر (ص ٨٤).

أخرج القاضي أبو يوسف[١] بسنده عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفَّى لهم بعدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[٢]»[٣].

وفي حديث آخر بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بطريق الشام وهو راجع في مسيره من الشام على قوم قد أُقيموا في الشمس يُصب على رؤوسهم الزيت فقال: ما بال هؤلاء؟

فقالوا: عليهم الجزية لم يؤدوها، فهم يعذبون حتى يؤدوها، فقال عمر: فما يقولون هم وما يعتذرون به في الجزية؟، قالوا: يقولون: لا نجد.

قال: فدعوهم، لا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا تعذبوا الناس فإن الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة**)[٤]، وأمر بهم فخلى سبيلهم[٥].

وفي الحديث الآخر: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟، قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ[٦] له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم

(١) أبو يوسف القاضي، هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد الأنصاري، المحدث العلامة، وصاحب الإمام أبي حنيفة، حدَّث عنه الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهما، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٠)، وكتاب: ميزان الاعتدال (٤/ ٣٩٧).

(٢) البخاري، كتاب: الجنائز، ح/ ١٣٩٢ (ص ٢٧٥).

(٣) كتاب الخراج، لأبي يوسف (ص ١٢٥).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، ح/ ١١٧، ١١٨ (ص ١١٤١) مع اختلاف يسير.

(٥) كتاب الخراج، لأبي يوسف (ص ١٢٦).

(٦) فرضخ: الرَّضخ: العطية القليلة، كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٠٨)، مادة: (رضخ).

نخذله عند الهرم)(١).

وهذه القصص تدل على رفق عمر رضي الله عنه وعدله مع أهل الذمة، وتجنب ظلمهم.

فأين هؤلاء المستشرقين عن مثل هذه السير العطرة عن صحابة رسول الله ﷺ؟

ثانياً: الخراج يكون على الأراضي متى فُتحت ودخلها الإسلام وتنقسم إلى قسمين:

١ - الأراضي التي فتحت عنوة يعني بقوة السلاح والمحاصرة، ففيها الخراج، حيث توقف على الخراج، وإذا أسلم أهلها فترفع عنهم الجزية، دون الخراج فيصرف في مصالح المسلمين، وإما أن يصيرها إمام المسلمين عشرية فتأخذ منها الزكاة وتقسم بين المسلمين.

٢ - الأراضي التي فتحت صلحاً، فيُضرب عليها الخراج، فإذا أسلم أهلها فيؤدون زكاتها.

هذا مختصر ما ذكره الفقهاء في هذه المسألة عن الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم، وليس هنا بسطه(٢).

والمستشرق فون كريمر، لم يُفرِّق بين الأراضي الخراجية، فما فتح عُنوة يبقى خراجه ولو بعد إسلام أهله، بخلاف ما فتح صلحاً. لذلك حاول خلط الأمر وتضخيمه بقوله: (**وأياً كان شعور المسلمين الجدد بالضيق من جراء هذا الأمر، فإن شعورهم بالضيق كان أشد عندما أمروا بدفع ضريبة الرأس التي كانت مفروضة عليهم تحولهم إلى الإسلام،**

---

(١) كتاب الخراج، لأبي يوسف (ص ١٢٦)، وينظر: كتاب أحكام أهل الذمة، لابن القيم (١/ ٣٨).

(٢) ينظر: كتاب الخراج، للقاضي أبي يوسف (ص ٢٣، ٦٠)، وكتاب الخراج، ليحيى بن آدم القرشي (ص ٢٢ - ٢٩، ٦٠ - ٦٣)، وكتاب الاستخراج لأحكام الخراج، لابن رجب (ص ٤، ٨، ١١)، وهذه الكتب الثلاثة هي ضمن موسوعة الخراج، نشر دار المعرفة، لبنان، عام ١٣٩٩هـ. كتاب الكافي، لموفق الدين ابن قدامة (٥/ ٥٥٣)، وكتاب المقنع، لموفق الدين ابن قدامة، ومعه الشرح الكبير، لعبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي (١٠/ ٣٠٥).

وذلك تفادياً للنقص الشديد في الدخل).

لذا فهو هنا يخلط الأمر على القارئ، في الأول لم يفرق بين الأراضي الخراجية، فأراد أن ينسب الظلم إلى المسلمين، وأنهم يضعون العراقيل أمام المسلمين الجدد، حيث لا يتنازلوا عن دخل هذه الأراضي لأصحابها من أهل الذمة، وثانياً: يحاول التمثيل وكأنه في مكانهم يشعر بالضيق ويعبر عن ذلك، وهذا قول زور.

أضف إلى ذلك قوله بأن مَنْ أسلم من أهل الذمة، لا توضع عنه الجزية، بل هي باقية عليه مثل الأراضي الخراجية، وهذا من البهتان العظيم؛ لأن الجزية إنما تكون على الذمي، فإذا أسلم سقطت عنه، ولم يُذكر عن عمر ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم أنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة، بل الذي ورد أن الجزية توضع عنه بمعنى أنه لا يُطالب بها، بخلاف الأراضي الخراجية، وخاصة التي فُتحت عنوة.

أخرج يحيى بن آدم القرشي[1] في كتابه (الخراج) بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى سعد[2]: يُقْطَعُ سعيد بن زيد أرضاً، فأقطعه أرضاً لبني الرُّفيل[3]، فأتى «ابن الرُّفيل» عمر فقال: يا أمير المؤمنين، على ما صالحتمونا؟

قال: على أن تؤدوا إلينا الجزية، ولكم أرضكم وأموالكم وأولادكم، قال: يا أمير المؤمنين، أقطعت أرضي لسعيد بن زيد؟!، قال: فكتب إلى سعد: تُردّ عليه أرضه، ثم دعاه إلى الإسلام، فأسلم، ففرض له عمر سبعمائة وجعل عطاءه في «خثعم» وقال: إن أقمت في أرضك أدّيت عنها ما كنت تؤدي)[4].

---

(١) هو يحيى بن آدم بن سليمان الأموي القرشي مولاهم، أحد الأعلام الثقات، توفي سنة ٢٠٣هـ. كتاب الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي (١/ ٦١٥)، رقم (١٤٤٩)، وكتاب سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٩٥).

(٢) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) الرفيل هو: معاذر بن حشيش بن أبرويز بن خشين بن خسروان، وإنما سمي معاذر (بالرفيل) لأنه لما قدم على عمر بن الخطاب ليجدد إسلامه، وكان أسلم على يد سعد بن أبي وقاص، ودخل على عمر وعليه ثوب ديباج يسحب على الأرض، فقال عمر: "من ذا الرفيل؟" فصار له علماً. أ.هـ كتاب معجم البلدان، لياقوت الحموي (٥/ ٣٢٠)، وهناك إشارات في بعض كتب التراجم مثل الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٩٤)، وكتاب: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١/ ٣٥٧)، وكتاب: سير أعلام النبلاء(١٨/ ٢١٤).

(٤) كتاب الخراج (ص ٦٠).

وهذه القصة تدل على أمور منها:

أولاً: عدل عمر رضي الله عنه، حيث التزم بالصلح الذي كان بين المسلمين وأهالي البلاد المفتوحة، **وثانياً:** أن عمر رضي الله عنه لم يستغل ضعف هذا الرجل، ومطالبته بأرضه فيعرض عليه الإسلام، بل أعاد إليه أرضه، ثم عرض عليه الإسلام، وفي هذا مظهر من مظاهر عدل الإسلام، وأنه جاء رحمة للعالمين، **وثالثاً:** سقوط الجزية عن كل من أسلم، وبدلاً من كون هذا الرجل يؤدي الجزية، إذا به يُعطى من بيت مال المسلمين.

عن عبيدالله بن رواحة[١]، قال: (كنت مع مسروق[٢] بالسلسلة[٣] فحدثني أن رجلاً من الشعوب – يعني الأعاجم – أسلم، وكانت تؤخذ منه الجزية، فأتى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، أسلمت والجزية تؤخذ مني.

فقال: لعلك أسلمت متعوذاً، فقال: أما في الإسلام ما يعيذني؟ قال: فكتب أن لاتؤخذ منه الجزية[٤])[٥].

وعن الزبير بن عدي[٦] قال: (أسلم دهقان[٧] على عهد علي رضي الله عنه، فقال له علي رضي الله عنه: إن أقمت في أرضك رفعنا جزية رأسك وأخذناها من

---

(١) هو: عبيدالله بن رواحة، أبو سفيان الأسدي البصري، ذكره ابن حبان في كتابه الثقات (٥/ ٧٠)، رقم (٣٩٠٢)، كتاب تعجيل المنفعة، لابن حجر (ص ٢٠٧)، رقم (١٦٨٤).

(٢) هو: مسروق بن الأجدع الهمداني، الكوفي، الفقيه، أحد الأعلام الثقات، توفي سنة ٦٣هـ. كتاب تذكرة الحفاظ (١/ ٤) رقم (٢٦)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٥١٠)، رقم (٧٧٣٦).

(٣) السلسلة: لم أجدها في المعاجم المختصة ولعلها بلدة بواسط العراق كما في بعض الآثار والله أعلم.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ١٩٩) مختصراً، والخطيب البغدادي في كتابه تالي تلخيص المتشابه (١/ ٢٠٨)، وابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة (١/ ٥٨).

(٥) كتاب الخراج، ليحيى بن آدم (ص ٦٠).

(٦) هو الزبير بن عدي، أبو عدي الهمذاني الشامي الكوفي، العلامة الثقة، كان فاضلاً، صاحب سنة، توفي سنة ١٣١هـ. الجرح والتعديل (١/ ١٨٤)، رقم (٤٠٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٣).

(٧) دهقان: الدِّهْقَان بكسر الدال وضمنها: رئيس القرية ومُقدَّم التُّنَّاء وأصحاب الزراعة، وهو مُعرَّب. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٣٥)، مادة: (دهق).

أرضك، وإن تحولت عنها فنحن أحق بها[١])[٢].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (أحكام أهل الذمة) عند الكلام عن الجزية وسقوطها عن كل من أسلم: (والجزية وضعت في الأصل إذلالاً للكفار وصغاراً، فلا تجامع الإسلام بوجه، ولأنها عقوبة فتسقط بالإسلام، وإذا كان الإسلام يهدم ما قبله من الشرك والكفر والمعاصي، فكيف لا يهدم ذل الجزية وصغارها؟

وإن المقصود تآلف الناس على الإسلام بأنواع الغربة فكيف لا يتألفون بإسقاط الجزية؟

وكان رسول الله ﷺ يعطي على الإسلام عطاء لا يعطيه على غيره، وقد جعل الله سبحانه سهماً في الزكاة للمؤلفة قلوبهم، فكيف لا يسقط عنهم الجزية بإسلامهم؟ وكيف يُسلط الكفار أن يتحدثوا بينهم بأن من أسلم منهم أخذ بالضرب والحبس ومنع ما يملكه حتى يُعطى ما عليه من الجزية؟)[٣].

وبهذا يتبين موقف المستشرقين من جهود الصحابة رضي الله عنهم في نشر الإسلام، وما تميزوا به من أخلاق، وتعامل مع شعوب الأمم التي فتحت أراضيها أمام الإسلام والمسلمين. مع ما يلاحظ في هذا الموقف من الإنصاف، إلا في بعض الأمور لهنَّات وشيء في نفوس القوم.

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ١٤٢)، وابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة (١/ ٥٨).
(٢) كتاب الخراج، ليحيى بن آدم (ص ٦١).
(٣) (١/ ٥٩).

المبحث الثاني

موقف المستشرقين مما ورد في شأن الصحابة رضي الله عنهم

المطلب الأول: موقف المستشرقين من النصوص التي وردت في فضل الصحابة رضي الله عنهم

كتب المستشرقون عن الصحابة رضي الله عنهم، وتاريخهم، ومجريات الأحداث التي شاركوا فيها، وتناولوا ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم: من فضائلهم، ومناقبهم، وعدالتهم، من خلال تلك الأحداث التاريخية التي شارك فيها الصحابة رضي الله عنهم.

وما يذكر هنا من فضائل ومناقب الصحابة رضي الله عنهم، أمثلة لبعض ما يتناوله المستشرقون في كتاباتهم عن أفراد الصحابة رضي الله عنهم:

١ - موقف المستشرق جولدتسيهر من فضائل الصحابة رضي الله عنهم: أجد شحاً فيما بين يدي من كتابات المستشرقين التي تتحدث عن فضل جماعة الصحابة رضي الله عنهم، ومن أهم ما وجدته قول المستشرق جولدتسيهر **Goldziher**: (وقد جعلتهم[١] صلتهم بالنبي وما كان لهم من شأن في توطيد الإسلام محل تقدير المؤمنين منذ نشأة هذا الدين، وسبّ الصحابة أو احتقارهم جريمة لا تغتفر ويعاقب من يسبُّ الصحابة بالجلد، ومن أصرَّ على سبهم كان جزاؤه القتل)[٢].

فقد جعل هذا المستشرق صلة الصحابة بالرسول ﷺ، وما كان لهم من جهود في نصرة الإسلام سبب في تقدير المؤمنين - من التابعين ومن جاء بعدهم - ثم بيَّن حكم سبّ الصحابة رضي الله عنهم كما جاء عند بعض العلماء.

وهذا القول من هذا المستشرق قليل في جانب فضل الصحابة رضي الله عنهم، وإلا فأين الأدلة من الكتاب والسنة، الشاهدة بفضل الصحابة رضي الله عنهم مع

---

(١) لفظ ركيك، ولو جعل مكانه (وقد جعلت) أو(وقد كانت)، كما أن هذا اللفظ موجود في النسختين في موسوعة دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٢٣٧) وفي موجز الدائرة (٣/ ٨٠٥).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٢٣٧).

كثرتها؛ لم ينقل ولو دليلاً واحداً.

مع كتابته في موسوعة (دائرة المعارف الإسلامية) وفي مادة عنوانها: (أصحاب)، إضافة إلى كون المستشرق (جولدتسيهر) من المهتمين بالدراسات الإسلامية؟

وعلى كل حال تتمة للفائدة إليك أخي القارئ، هذه الأدلة في فضل الصحابة وهي من الكتاب والسنة وأقوال العلماء وجهودهم في الدفاع عن أصحاب رسول الله ﷺ.

الأدلة على فضل الصحابة رضي الله عنهم: وأذكر هنا بعضاً من أدلة الكتاب والسنة على فضل الصحابة رضي الله عنهم على من جاء بعدهم مع ذكر أقوال العلماء من الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم في حكم سبِّ الصحابة رضي الله عنهم بشيء من الاختصار، إضافة إلى عناية العلماء بالتأليف في فضائل الصحابة رضي الله عنهم؛ والذي يدل على فضل الصحابة رضي الله عنهم وعلو منزلتهم.

أولاً: من القرآن الكريم: وفيه آيات كثيرة، فيها ثناءٌ وذكر لفضائل الصحابة رضي الله عنهم، كما أن فيه تفضيل لسابقهم على لاحقهم ،وفضلهم على من جاء بعدهم من التابعين، وترضي عليهم.

١ - **قول الله عز وجل:** ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: (ومعنى الكلام: رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه، وأجابوا نبيَّه إلى ما دَعاهم إليه من أمره ونهيه، ورَضِيَ عنه السابقون والأوَّلون من المهاجرين والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسان، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه، وإيمانهم به، وبنبيِّه ﷺ)(١).

وقد استنبط بعض العلماء من هذه الآية أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم في

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٦٤٢).

الجنة، قال الإمام البغوي في تفسير (معالم التنزيل): (قال أبو صخر حميد بن زياد[١]: أتيتُ محمد بن كعب القرظي[٢] فقلت له: ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنَّة مُحسنهم ومُسيئهم، فقلت: اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إلى أن قال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾ شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة. قال أبو صخر: فكأني لم أقرأ هذه الآية قط)[٣].

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي[٤] في مصنفه (اعتقاد أهل السنة) بعد هذه الآية: (وقد أثبت الله رضاه عنه لم يكن منه بعد ذلك ما يُوجب سخط الله عز وجل، ولم يوجب ذلك للتابعين إلا بشرط الإحسان، فمن كان من التابعين من بعدهم لم يأت بالإحسان، فلا مدخل له في ذلك)[٥].

٢ - قول الله عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

فالله عز وجل تاب على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ في

---

(١) هو حميد بن زياد، أبو صخر، ابن أبي المخارق الخرَّاط، صاحب العَبَاء، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: ليس به بأس، وقال عثمان الدارمي عن يحيى بن معين: ليس به بأس، وضعَّفه النسائي، وقال ابن حجر: صدوق يهم، توفي سنة ٨٩هـ. الكاشف (١/ ٣٥٣)، رقم (١٢٤٩)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٣)، رقم (١٨٢٧).

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، أبو حمزة، أو أبو عبدالله، التابعي الثقة، إمام في التفسير، توفي سنة ١٢٠هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٨١)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص ٩).

(٣) (ص ٥٧٩).

(٤) هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي، شيخ الشافعية، الإمام الحفاظ، والحجة الفقيه، توفي سنة ٣٧١هـ. سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٧)، رقم (٨٩٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٧٥).

(٥) (ص ٥٢).

غزوة تبوك مع ما أصابهم فيها من الجهد الشديد من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحقِّ، ويشك في دينه، ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه، ثم رزقهم الله عز وجل الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحق، الذي كان قد كاد يلتبس عليهم.

ولم يتخلَّف عن الخروج مع الرسول ﷺ في هذه الغزوة أحد إلا الضعفة من النساء والصبيان، أو كان من أصحاب الأعذار.

وأمَّا الصحابة الذين تخلَّفوا عن الخروج مع الرسول ﷺ في هذه الغزوة من غير عذر فقد امتحنهم الله تعالى، ثم تاب عليهم، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨] (١).

٣ - قول الله عز وجل: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلِّقاً على هذه الآية: (والرضى من الله صفةٌ قديمةٌ، فلا يرضى إلا عن عبدٍ علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومَن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً، وعلى هذا فقد بيَّن في مواضع أُخر أنَّ هؤلاء الذين رضي الله عنهم هم من أهل الثواب في الآخرة، يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**لا يدخل النار أحد بايع تحت**

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٤٩، ٥١، ٥٣) بتصرف، وينظر: تفسير زاد المسير لابن الجوزي (ص٦١٠ - ٦١١).

الشجرة)[١] .

وأيضاً ، فكل من أخبر الله عنه أنه رضي الله عنه فإنه من أهل الجنة وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح ، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء والمدح عليه ، فلو علم أنه يتعقب ذلك ما يسخط الرَّب لم يكن من أهل ذلك)[٢] .

٤ - وقول الله عز وجل:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وفي هذه الآية ثناءٌ على الصحابة رضي الله عنهم ، بأنهم رحماء أبرار بالأخيار من المؤمنين ، وأشداء على الكفار ، كما قال الله عز وجل: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾ [التوبة: ١٢٣] . ووصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة مما جعل له أثراً في وجوههم[٣] .

وقال مالك بن أنس رحمه الله: (بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خيرٌ من «الحواريين»[٤] فيما بلغنا ، وصدقوا في ذلك ، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة ، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد نوّه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة ، والأخبار المتداولة ، ولهذا قال سبحانه ههنا:﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ

---

(١) أخرجه مسلم ، ح/١٦٣ ، (ص ١٠٩٩) باختلاف يسير ، ولفظ هذا الحديث عند الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، ح٣٨٦٠ ، (ص ٨٧٢) .

(٢) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ (ص ٣٩٦) .

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٨) بتصرف ، تفسير الطبري (٨/ ١٩٤) ، وزاد المسير (ص١٣٢٥) .

(٤) الحواريون أصحاب المسيح عليه السلام ، أي خلْصانُه وأنصاره .قال الأزهري: الحواريون خُلْصان الأنبياء ، وتأويله الذين أُخلِصُوا ونُقُّوا من كل عيب . النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٤٠) ، مادة: (حور) .

﴿ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ (١) أي فراخه، ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ أي شد ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ أي شبَّ وطال، ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيَّدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع.

وقوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ أي: (فلا بد أن يغيظ بهم الكفَّار، وإذا كان الكفَّار يُغاظون بهم فمن غِيْظَ بهم فقد شارك الكفَّار فيما أذلَّهم الله به وأخزاهم وكبتهم على كفرهم، ولا يشارك الكفار في غيظهم الذي كُبِتُوا به جزاءً لكفرهم إلا كافرٌ؛ لأن المؤمن لا يُكبَت جزاءً للكفر)(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: (ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك)(٣).

٥ - قول الله عز وجل: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠].

وفي هذه الآية بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله قبل فتح الحديبية. والله تعالى وعد الجنة لمن أنفق وقاتل في سبيل الله من قبل الفتح، ومن أنفق بعدُ وقاتل في سبيل الله لإنفاقهم وقتالهم أعداء الله(٤).

ثانياً: من السنة، أحاديث كثيرة تشهد بفضل الصحابة رضي الله عنهم، وتثني عليهم بما اتَّصفوا به من إيمان ونُصرة لله ورسوله ﷺ.

---

(١) ﴿ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾: نباته وفروخه، يقال: أشطأ الزرع فهو مشطىء إذا فرَّخ، وأفرخ الزرع إذا تهيأ للانشقاق. ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٢٣)، مادة: (شطأ)، و(٣/ ٣٨)، مادة: (فرخ).

(٢) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لابن تيمية (ص ٤٠١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢١٩).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٦) بتصرف، وينظر: زاد المسير (ص ١٣٩٧)، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (٩/ ١٥٥ - ١٥٧).

١ - أخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ) بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يأتي على النَّاس زمان فيغزو فِئامٌ[(١)] من النَّاس فيقولون: فيكم مَنْ صَاحَبَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على النَّاس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس فيُقالُ: هل فيكم مَنْ صَاحَبَ أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم، فَيُفتحُ لهم. ثم يأتي على النَّاس زمانٌ فيغزو فئامٌ من النَّاس فَيُقالُ: هَلْ فيكم من صَاحَبَ من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتحُ لهم)**[(٢)].

٢ - وعن عمران بن حصين[(٣)] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(خير أُمتي قرني[(٤)] ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)** قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[(٥)])[(٦)].

---

(١) فئام: الجماعة الكثيرة، كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٦٤)، مادة: (فأم).

(٢) باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ح/ ٢٠٨، (ص ١١١٠).

(٣) هو عمران بن حُصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، يُكنى أبا نجيد، بابنه نجيد بن عمران، أسلم أبو هريرة وعمران بن حصين عام خيبر، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، قال محمد ابن سيرين: أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ عمران بن حصين، مات سنة ٥٢ في خلافة معاوية. الاستيعاب (ص ٥٢١)، رقم (١٨٦٨)، أُسد الغابة (٣/ ٤٠٨)، رقم (٤٠٤٨)، الإصابة (ص ٩٥٤) رقم (٦٥٤٩).

(٤) قرني: القرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التَّوسُّط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم. وقيل القرن: أربعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل: مائة. وقيل: هو مطلق من الزمان، وهو مصدر: قرن يَقرن، وقال ابن حجر رحمه الله: القرن: أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال: إنَ ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي، أو رئيس يجمعهم على ملة، أو مذهب أو عمل، ويطلق القرن على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، لكن لم أر من صرح بالسبعين ولا بمائة وعشرة... والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة. كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٤٥)، مادة: (قرن)، وينظر: كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. ح/ ٣٦٥٠، (٧/ ٧).

(٥) قال ابن حجر معلقاً على ذلك: وقع مثل هذا الشك في حديث ابن مسعود وأبي هريرة عند مسلم، وفي حديث بريدة عند أحمد، وجاء في أكثر الطرق بغير شك، منها: عن النعمان بن بشير عند أحمد، وعن مالك عند مسلم عن عائشة [لم أجد في صحيح مسلم المطبوع عن مالك عند مسلم، ففي مسلم روايته واحدة هي عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده إلى عائشة، وعند أحمد روايته عن حسين بن علي بسنده إلى عائشة] "قال رجل: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث" المصدر السباق (٧/ ٩).

(٦) البخاري، ح/ ٣٦٥٠، (ص ٧٤٧)، ومسلم ح/ ٢١٤، (ص ١١١١)، باختلاف يسير في اللفظ.

٣ - وعن عدي[١] بن ثابت قال: سمعت البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ أو قال: قال النبي ﷺ: (**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يُبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**)[٢].

٤ - وأخرج الإمام مسلم بسنده عن سعيد[٣] بن أبي بُردة عن أبي بُردة[٤]، عن أبيه قال: (صلَّينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثمَّ قلنا: لو جلسنا حتى نُصلِّي معه العشاءَ. قال: فجلسنا فخرج علينا، فقال: «**مازلتم ههنا**»؟ قُلنا يا رسول الله؟ صلَّينا معك المغرب، ثم قلنا، نجلس حتى نُصلِّي معك العشاء. قال: «**أحسنتم، أو أصبتم**».

قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفعُ رأسه إلى السَّماء، فقال: «**النجوم أمنة للسَّماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السَّماء ما تُوعَدُ، وأنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يُوعَدُون، وأصحابي أمَنَةٌ لأُمتي، فإذا ذَهَبَ أصحابي أتى أمَّتي ما يُوعَدُون**»)[٥].

قال ابن الأثير رحمه الله في كتابه: (النهاية في غريب الحديث والأثر) في بيان معنى هذا الحديث: (أراد بوعد السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة، وذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وإعدامها.

وأراد بوعد أصحابه ما وقع بينهم من الفتن، وكذلك أراد بوعد الأمة.

---

(١) هو: عدي بن ثابت، الأنصاري، الكوفي، ثقة، قال به عبدالله بن الإمام أحمد عن أبيه، والعجلي، وقال أبو حاتم: صدوق، وكان إمام مسجد الشيعة وقاضيهم، توفي سنة ١١٦هـ. الكاشف (٢/ ١٥)، رقم (٣٧٥٨)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٤٥٨)، رقم (٥٣٣٧)، وتقريب التهذيب (ص ٣٢٨)، رقم (٤٥٣٩).

(٢) أخرجه البخاري، ح/ ٣٧٨٣، (ص ٧٧٤).

(٣) هو سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، الكوفي، الثقة. تهذيب الكمال، للمزي (٦/ ٣٨١)، رقم (٢٥٠٥)، الكاشف (١/ ٤٣٢)، رقم (١٨٥٧)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٢)، رقم (٢٦٦٠).

(٤) أبو بُردة بن أبي موسى الأشعري، قيل: اسمه: عامرٌ، وقيل: الحارث، ثقة، مات سنة ١٠٤هـ، وقيل غير ذلك. تقريب التهذيب (ص ٥٤٨)، رقم (٧٩٥٢).

(٥) كتاب: فضائل الصحابة، باب: بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، ح/ ٢٠٧، (ص ١١٠٩).

والإشارة في الجملة إلى مجيء الشَّر عند ذهاب أهل الخير، فإنه لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه، فلما تُوفِّي جالت الآراء واختلفت الأهواء، فكان الصحابة رضي الله عنهم يُسنِدُون الأمر إلى الرسول ﷺ في قولٍ أو فعل أو دلالة حالٍ، فلما فُقِدَ قلَّت الأنوار وقويت الظُّلَم. وكذلك حال السَّماء عند ذَهاب النُّجوم، والأَمَنة في هذا الحديث جمع أمين وهو الحافظ) [١].

٥ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**لا تسبوا أصحابي، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**[٢])[٣].

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (فنهي بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سبِّ من سبقه يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى)[٤].

ثالثاً: أقوال أئمة السلف في حكم سب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

لقد حذَّر العلماء - سواء من: الصحابة رضي الله عنهم أو من جاء بعدهم - من سب الصحابة والتعرض لهم رضي الله عنهم أجمعين، وسأقتصر على بعض الآثار منعاً للإطالة، ولكون ذلك مبسوط في كثير من كتب الحديث وشروحها، وكتب الاعتقاد، والتعريف بالصحابة رضي الله عنهم.

١ - فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن هشام[٥] بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: (يا ابن أُختي أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ،

---

(١) (١/ ٧١)، مادة: (أمن).

(٢) النصيف بوزن رغيف هو النصف كما يقال عشر وعشير، وثمن وثمين، وقيل: النصيف مكيال دون المد. فتح الباري، ك: فضائل الصحابة، باب: لو كنت متخذاً خليلاً، ح/ ٣٦٧٣ (٧/ ٣٩).

(٣) البخاري، ح/ ٣٦٧٣، (ص ٧٥٢)، ومسلم، ح/ ٢٢١ (ص ١١١٣).

(٤) كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/ ٣٩).

(٥) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو المنذر، وقيل: أبو عبدالله، التابعي الثقة، توفي سنة ١٤٦هـ. كتاب الكاشف للذهبي (٢/ ٣٣٧)، رقم (٥٩٧٢)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٦٤٩)، رقم (٨٥٧٥)، وكتاب تقريب التهذيب (ص ٥٠٤)، رقم (٧٣٠٢).

فسبُّوهم)[١] .

٢ – **أخرج الإمام ابن ماجه بسنده عن نُسير بن دُعْلوق**[٢] قال: سمعت ابن عمر يقول: (لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعةً خيرٌ من عمل أحدكم عُمرهُ)[٣] .

٣ – **قال الإمام مالك رحمه الله**: (من شتم النبي قُتل ، ومن شتم أصحابه أُدِّب)[٤] .

٤ – **قال الإمام إسحاق**[٥] **بن راهويه رحمه الله**: (من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس)[٦] .

٥ – **قال سحنون**[٧] **رحمه الله**: من كفَّر أحداً من أصحاب النبي ﷺ عليّاً أو عثمان أو غيرهما يُوجع ضرباً .

٦ – **وحكى أبو محمد بن أبي زيد**[٨] عن سحنون (فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكُفرٍ قُتل ، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب: التفسير ، باب: في تفسير آيات متفرقة ، ح/ ١٥ ، (ص ١٣٠٧) .

(٢) هو نُسير بن دُعلوق الثوري ، مولاهم ، أبو طُعمة الكوفي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وكذلك ابن حجر . كتاب الثقات لابن حبان (٣/ ٩٧) ، رقم (٤٢٥٨) ، والكاشف للذهبي (٢/ ٣١٨) ، رقم (٥٨٠٧) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٥٣٣) ، رقم (٨٣٦٠) ، وتقريب التهذيب (ص ٤٩٢) ، رقم (٧١٠٧) .

(٣) سنن ابن ماجه ، ح/ ١٦٢ ، (ص ٢٤) ، والإمام أحمد في كتابه فضائل الصحابة (١/ ٦٧) ، رقم (١٥) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (ص ٤٧٦) ، رقم (١٠٠٦) ، وقال الألباني في تخريج هذا الكتاب: "رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير نسير بن ذعلوق فلم أعرفه الآن" . وقال محقق فضائل الصحابة: "إسناده صحيح" .

(٤) كتاب الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى ﷺ ، للقاضي عياض (٤٠٤) .

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي ، المعروف بابن راهويه . وهو لقب أبيه ، أحد الأئمة الحفاظ والثقات جمع بين الفقه والحديث والورع ، توفي سنة ٢٣٨هـ . كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٩٩) ، وكتاب سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨) ، والشذرات لابن العماد (٢/ ٨٩) .

(٦) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية (ص ٣٩٣) .

(٧) هو عبدالسلام بن حبيب بن حسان التنوخي ، الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي ، والملقب بسحنون ، الفقيه البارع ، وأحد أئمة المسلمين الكبار ، توفي سنة ٢٤٠هـ . كتاب سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٢) ، ولسان الميزان لابن حجر (٣/ ١٠١) .

(٨) هو أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي ، ويقال له: مالك الصغير . وكان أحد من برَّز في العلم والعمل ، وهو صاحب الرسالة المشهورة باسمه وهي في الاعتقاد ، وقيل بأنه صنفها وله سبع عشرة سنة ، توفي سنة ٣٨٦هـ . كتاب سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠) .

هذا نُكّل النّكال الشديد)(١) .

٧ – **قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:** (ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، أو أبغضه بحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً حتى يترحَّم عليهم جميعاً ، ويكون قلبُهُ لهم سليماً)(٢) .

٨ – **وقال الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم:** (ونُحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرِّط في حبِّ أحدٍ منهم ولا نتبرَّأ من أحد منهم ، ونُبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولانذكرهم إلا بخيرٍ ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ ، وبُغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان)(٣) .

هذه هي أهم أقوال العلماء (أهل السنة والجماعة) في تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ، وتأديب من فعل ذلك .

رابعاً: عناية العلماء بالتأليف في فضائل الصحابة رضي الله عنهم: جمع علماء السلف رحمهم الله تعالى فضائل الصحابة رضي الله عنهم ومناقبهم ، معتمدين في ذلك على نصوص الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة بعضهم في بعض ، وأقوال العلماء من التابعين ومن جاء بعدهم ، إضافة إلى بيان موقف أهل السنة والجماعة منهم ، والاهتمام بذكر فضل الصحابة رضي الله عنهم وسابقتهم إلى الإسلام ، والمنهج الصحيح في التعامل مع روايات ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ، والترضِّي عنهم والاعتراف لهم بفضل الصحبة والمنزلة العالية لهم عند الله وعند رسول الله ﷺ .

ومن أبرز هذه الكتب المؤلفة في فضل الصحابة رضي الله عنهم:

- كتب السنة وعلى رأسها: الصحيحان ، والسنن الأربعة ، ومسند الإمام أحمد ، وموطأ مالك . . . وغيرها .

حيث ضمنت بين دفتيها كثيراً من فضائل الصحابة رضي الله عنهم ومناقبهم ، وما

---

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى ﷺ ، للقاضي عياض (ص ٤٠٥) .

(٢) كتاب أصول السنة ، (ص ٧٦) رقم (٤٤) .

(٣) كتاب شرح العقيدة الطحاوية ،تأليف ابن أبي العز الدمشقي ، (٢/ ٦٨٩) .

يجب لهم من التوقير والمحبة .

كما أن علماء الحديث هؤلاء قد وضعوا هذه الأحاديث ضمن كتب سموها بفضائل أو مناقب الصحابة رضي الله عنهم .

- كتب متخصصة في فضائل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، ومنها ما يكون في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، مثل:

كتاب فضائل الأنصار ، لأبي البحتري وهب بن وهب ، (ت ٢٠٠هـ) ، وفضائل الصحابة ، لعبدالملك بن حبيب الأندلسي ، (ت ٢٣٨هـ) ، وفضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل ، (ت ٢٤١هـ) ، وهو مطبوع ومتداول ، وفضائل الصحابة لبقي بن مخلد الأندلسي ، (ت ٢٧٦هـ) ، وفضائل الصحابة ، للإمام النسائي ، (ت ٣٠٣هـ) وهو مطبوع ،وفضائل الصحابة ، لخيثمة بن سليمان ، (ت ٣٤٣هـ) وغيرها .

ومن كتب فضائل الصحابة ما يكون في آحادهم مثل:

كتاب تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق ، لعلي بن بلبان بن عبدالله المقدسي ، (ت ٦٨٤هـ) وهو مطبوع ، وكتاب محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي ، (ت ٩٠٩هـ) وهو مطبوع ، وكتاب فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لعبدالله بن الإمام أحمد ، (ت ٢٩٠هـ) وهو مطبوع ، وكتاب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأبي الحسن علي بن محمد الواسطي ، المعروف بابن المغازلي ،(ت٤٨٣هـ) وهو مطبوع ، وغيرها(١) .

٢ – موقف المستشرقين من فضائل أبي بكر رضي الله عنه:

ويعترف المستشرق (بودلي) بكثير من فضائل ومناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، إلا أنه مع ذلك يحاول التقليل من شأنه بطريقة أخرى فيها نوع من الحسد ،

---

(١) ينظر: كتاب معجم ما أُلّف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضي الله عنهم ، تأليف: محمد بن إبراهيم الشيباني ، وكتاب معرفة الصحابة عند المحدثين ، تأليف الدكتور: أحمد بن عبدالله الباتلي .

والمكابرة لما يقر به فيقول: (**قال محمد في تأريخ متأخر عن هذه السنين الأولى: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر ابن أبي قحافة، ما عكم حين ذكرته له، وما تردد فيه»**[١] .

كان أبو بكر من الذين يثقون بعقولهم، ولو أن اسمه غير معروف خارج نطاق دارسي الإسلام، لقد كان صادق الإيمان، فقبل تعاليم الإسلام وطبق أوامره تطبيقاً حرفيّاً، وقد قال عنه محمد: «لو وزن إيمان أبي بكر ووزن إيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر»[٢])[٣] .

فهذا القول من المستشرق بودلي ، فيه تقليل من شأن فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن اسمه كان مجهولاً خارج بلاد الإسلام .

وما ضره رضي الله عنه ، فالله تعالى زكّاه ، وأثنى عليه كذلك رسوله ﷺ ، وفضائله مشهورة ومنقولة ، وله على هذه الأمة فضل عظيم ، كما أن معرفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفضله لا تحتاج إلى دراسة عميقة للإسلام ، وتعاليمه . فمن سمع بالإسلام ، سمع عن رسوله ﷺ ، ومن سمع عن الرسول ﷺ سمع عن أصحابه رضي الله

---

(١) روى ابن إسحاق في سيرته عن الرسول ﷺ من غير إسناد فقال: (وكان رسول الله ﷺ يقول: فيما بلغني: ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ، ونظر وتردّد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم حين ذكرتُه له ، وما تردَّد فيه) .
(كبوة): الكبوة: الوَقْفة كوَقْفَة العاثر ، أو الوَقْفة عند الشيء يكرهه الإنسان . كتاب الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري (٣/ ١٣٨) ، مادة: (كبا) ، وكتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٢٧) ، مادة: (كبا) .
(ما عكم): أي ما تحبَّس وما انتظر ولا عدل ، كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥٨) ، مادة: (عكم) .
وهذا الحديث في كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٨) ، وكتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة ، للمحب الطبري (ص ٨٥) عن ابن إسحاق صاحب السيرة .

(٢) هذا الأثر من قول عمر بن الخطاب ، وقد أخرجه الإمام أحمد في كتابه: (فضائل الصحابة) (١/ ٥١١) ، رقم (٦٥٣) ، وقال محقق الكتاب: إسناده ضعيف جداً لأجل أيوب ابن سويد الرملي ، كما رواه الإمام أحمد في كتابه السنة ، لأبي بكر الخلال (٤/ ٤٤) ، رقم (١١٣٤) ، وقال محققه: إسناده ضعيف ؛ لأن فيه ضمرة بن ربيعة ؛ صدوق يهمُ . كما رواه البيهقي بإسناد صحيح في كتاب شعب الإيمان (١/ ٢٥) رقم (٢٥٩١) .

(٣) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٦٨) .

عنهم ، ومن سمع عن أصحابه لا بدّ أن يسمع عن أبي بكر رضي الله عنه .

وهذه دواوين السنة شاهدة بفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسابقته في الإسلام .

وقد أنصف المستشرق بول (BUHL) عندما قال عن أبي بكر رضي الله عنه: **(كان من أوائل من أجابوا دعوته [يعني دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام] وسرعان ما أصبحت له مكانة هامة في الجماعة الإسلامية الفتية، وذلك بفضل صداقته الوثيقة للنبي، وبفضل خصاله الحميدة التي جعلت من شخصيته من أهم الشخصيات)**(١) .

وهذا حق ، فإن لأبي بكر رضي الله عنه فضائل ومناقب تميز بها وفاق بها كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم(٢) .

٣ – موقف المستشرق ليفي دلافيدا من فضيلة إسلام عمر رضي الله عنه:

وحاول المستشرق ليفي دلافيدا (**Levi Della Vida**) التقليل من شأن إسلام عمر رضي الله عنه وفضله ، فيقول: **(مع أن الروايات تذكر أن إسلامه قد أعزَّ الإسلام قبل الهجرة إلا أن دوره غير واضح في ترتيب أمور الهجرة، ولم يتبلور دوره إلا في المدينة المنورة حيث غدا بمثابة مستشار)**(٣) .

فهذا المستشرق يقول بأن هناك روايات تقول بأن في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزٌّ للإسلام ، وذلك قبل الهجرة ، ومع ذلك لم يكن له دور في الهجرة؟؟

وهذا القول فيه تقليل من شأن عمر رضي الله عنه ، وما أدى إليه من إعزاز المسلمين .

فقد كان إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الهجرة فيه تقوية للمسلمين

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، (١/ ٣١١) ، مادة: (أبو بكر) ، وقول المستشرق بول (BUHL) لم يذكر في موجز دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ينظر: الفصل الثالث: المبحث الأول: موقف المستشرقين من أبي بكر رضي الله عنه .

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، (٤/ ٧٤٩٩) ، مادة: (عمر) .

ومنعة لهم من بطش الكفّار بهم، كما أن بعد إسلامه رضي الله عنه أصبح الصحابة رضي الله عنهم يظهرون شعائر الإسلام، ومن أخصها الصلاة عند الكعبة.

قال ابن إسحاق رحمه الله: (أسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة[١] لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ، وبحمزة حتى عازُّوا[٢] قريشاً، وكان عبدالله بن مسعود يقول: ما كنّا نقدر على أن نصلي عند الكعبة، حتى أسلم عمر بن الخطّاب، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه)[٣].

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنّا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه)[٤].

كما أن هناك حديث يشهد بأن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فيه إعزاز وتأييد للإسلام والمسلمين.

أخرج الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بأحبِّ هذين الرجلين إليك، بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب، فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب)[٥].

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ما

---

(١) شكيمة: إذا كان شديد النفس أنفاً أبيّاً. مختار الصحاح (ص ١٩٥)، مادة: (ش ك م).

(٢) عازُّوا: أي غالَبوهم، المرجع السابق (ص ٢٣٨)، مادة: (عزز).

(٣) كتاب السيرة النبوية (١/ ٣٧٩)، دون أن يذكر له سنداً. وأخرجه الإمام أحمد، (١/ ٣٤٠) رقم (٣٧٠) بإسناده عن ابن إسحاق صاحب السيرة، وقال محقق كتاب فضائل الصحابة: "ضعيف لانقطاعه".

(٤) رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية (١/ ٣٨٠)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١٤٤)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني، (١/ ٢٢٠)، رقم (١٩٩). قال محقق السيرة النبوية (١/ ٢٤٧٩: من رواية ابن إسحاق بإسناد ضعيف.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح/ ٥٦٩٦ (ص ٤٤٣)، والترمذي ح/ ٣٦٨٣، (ص ٨٣٨)، من رواية ابن عباس ح/ ١٠٥، (ص ١٧)، وقال: (هذاحديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح/ ٣٦٨١، (٣/ ٥٠٨).

زلنا أعزة منذ أسلم عمر)[١] .

وعن شجاعة عمر رضي الله عنه وجراءته في إظهار إسلامه، ما أخرجه ابن إسحاق رحمه الله في سيرته بسنده قال: (حدثني عبدالرحمن بن الحارث[٢] عن بعض آل عُمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكَّرت أيّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتيه فأُخبره أني قد أسلمتُ؛ قال: قلت: أبو جهل – وكان عُمر [ابن] لحَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة[٣] – قال: فأقبلت حين أصبحتُ حتى ضربتُ عليه بابه.

قال: فخرج إلى أبو جهل، فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي، ما جاء بك؟

قال: جئتُ لأخبرك أني قد آمنتُ بالله وبرسوله محمد، وصدَّقت بما جاء به؛ قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله، وقبَّحَ ما جئت به) [٤] .

٤ – موقف المستشرق دوزي من فضائل عثمان رضي الله عنه:

شكك المستشرق (دوزي) في شخصية الصحابي الجليل، وثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه ليس له من الصفات ما يبرر اختيار الصحابة رضي الله عنهم له كخليفة بعد عمر رضي الله عنه فيقول: (**لم يكن في شخصية عثمان ما يبرر اختياره، ولا جدال في أنه كان غنيّاً سمحاً قد بسط كفه بالمال غير مقصر في مساعد محمد (صلعم)[٥] وجماعته، ونكاد نكون قد أحصينا جل فضائله إذا أضفنا إلى هذا**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: إسلام عمر بن الخطاب، ح/ ٣٨٦٣ (ص ٧٩٠).

(٢) هو عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، أبو محمد المدني، كان من كبار ثقات التابعين، وقال ابن حبان: وُلد في زمن النبي ﷺ ولم يسمع منه. وقال ابن سعد: كان من أشراف الناس، توفي سنة ثلاث وأربعين. الاستيعاب (ص ٤٥٨)، رقم (١٦٠٢)، والإصابة (ص ٦٩٢)، رقم (٤٨٠٦).

(٣) كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٣٤٨) رقم (٣٧٥).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٨٧)، وأخرجه الإمام أحمد ، فضائل الصحابة (١/ ٣٤٨)، رقم (٣٧٥) وقال محققه: "منقطع رجاله ثقات".

(٥) صلعم: اختصار ﷺ، بدعة سيئة وحرمان عظيم من الأجر المترتب على الصلاة على الرسول ﷺ. ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٩٥).

عكوفه على الصلاة والصوم وأنه كان مثال الطيبة والوداعة، أمَّا ذكاؤه الذي لم يكن قط قويّاً، فقد أوهنته الشيخوخة إذ كان قد أشرف على السبعين، وكان كثير الحياء، حتى لقد ارتج عليه حين صعد المنبر لأول مرة للخطابة فهمهم قائلاً: إن أول مركب صعب، ثم نزل)[١] .

فالمستشرق (دوزي) يُقرُّ بأن لعثمان رضي الله عنه فضائل كثيرة، ومع وجود هذه الفضائل إلا أنه لا يرى في شخصية عثمان رضي الله عنه ما يبرر مبايعته بالخلافة.

ولا شك بأن هذا قَدْحٌ في هذه الفضائل، والتي شهد له بها الرسول ﷺ وإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم، ومن جاء بعدهم من التابعين.

كما أن في هذا القول تخطئة لرأي عمر رضي الله عنه الذي رشَّح ستة من الصحابة رضي الله عنهم للخلافة، ليختار واحداً منهم. وعثمان رضي الله عنه كان أحدهم، كما أن فيه تخطئة للمهاجرين والأنصار الذين اختاروه للخلافة.

ويرد على (دوزي) وأمثاله من المستشرقين وغيرهم بالحديث الذي أخرجه البخاري رحمه الله بسنده عن سَعْد بن عُبيدة[٢] قال: جاء رجلٌ إلى ابن عُمر فسأله عن عثمان فذكَرَ عن محاسنِ عَملهِ، قال: لعلَّ ذاك يسوءكَ، قال: نَعَمْ، قال: فأرْغَمَ الله بأنفِكَ[٣] . ثم سألهُ عن عليٍّ فذكَرَ محَاسِنَ عَمَلهِ، قال: هو ذاك بيته أوسط بُيوتِ النبي ﷺ، ثمَّ قال: لعلَّ ذاكَ يَسوءكَ؟ قال: أجَلْ، قال: فأرْغَمَ الله بأنْفِكَ، انطلِق فاجْهَدْ عليَّ جَهْدكَ)[٤] .

هذا، وبسط الكلام على فضائل عثمان رضي الله عنه مما يطول، ويغني عنه بيان

---

(١) تاريخ مسلمي إسبانيا، دوزي (١/ ٣٨).

(٢) هو سعد بن عُبيدة السلمي، أبو حمزة الكوفي، التابعي الثقة. الكاشف (١/ ٤٢٩)، رقم (١٨٣٧)، تهذيب التهذيب (٢/ ٦٠٨)، رقم (٢٦٤٨).

(٣) (فأرغم الله بأنفك): أي ألصقه بالرَّغام وهو التراب. هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذُّل والعجز عن الانتصاف، والانقياد على كُرْه. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢١٧)، مادة: (رغم).

(٤) (فاجهد علي جهدك): أي ابلغ علي غايتك في حقي، فإن الذي قلته لك الحق، وقائل الحق لا يبالي بما قيل في حقه من الباطل. فتح الباري، ح/ ٣٧٠٤، (٧/ ٨٤).

موقف المستشرقين منه في الفصل الثالث .

٥ - موقف المستشرقين من فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ:

وعن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ يقول المستشرق لامنس (Lammens) فيما نقلته عنه المستشرقة فاجليري (L.veccdia) :

(**فهي امرأة غير جذابة، ذات ذكاء متوسط، مهملة تماماً لا يقدرها أبوها النبي [ﷺ] إلا قليلاً، ويعاملها زوجها (الإمام علي) معاملة سيئة**)[١] .

وفي هذا القول من المستشرق لامنس تهم كثيرة لم يستدل لها . وعلى ذلك فهي من البهتان العظيم ، وسأقتصر في الرد هنا على قوله: (لا يقدرها أبوها) وأرجئ البقية عند الكلام على موقف المستشرقين من بنات النبي ﷺ في الفصل الثالث .

فقول المستشرق لامنس بأن فاطمة رضي الله عنها لا يقدرها أبوها قول عارٍ عن الصحة ، بل هناك أدلة من السنة والسيرة النبوية ، بل ومن كلام المستشرقين ما يفنِّد هذا القول ويرده .

فقد انتقد المستشرق (ماسنيون) (ما ذكره لامنس واتهمه بأنه راح يجتزئ الوقائع والأحداث التاريخية ، دون أن يجمع كل الحقائق ويصفّها في سياق كامل واحد يكون قادراً على تقديم صورة صادقة وحيَّة ، فتلك هي الطريقة الوحيدة)[٢] .

والحقيقة أن ما ذكره المستشرق ماسينون في نقده للمستشرق (لامنس) من اجتزاء بعض الوقائع أو بمعنى انتقاء بعض الأحداث ثم رسم صور ، ونتائج متفرعة عن تلك الأحداث هو منهج لكثير من المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم ، وكذلك في كتاباتهم عن الإسلام وتعاليمه .

وتقول المستشرقة فيشيا فاجليري (Vecgia) بعد نقلها لقول المستشرق لامنس منتقدة له وذاكرة لأحاديث في فضائل فاطمة رضي الله عنها:

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/ ٧٧٠٧) مادة: (فاطمة) .

(٢) المصدر السابق (٢٥/ ٧٧٠٩) .

(ومن أحاديث الرسول [ﷺ] في هذا السياق: «ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما، ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة» رواه ابن ماجه(١).

«من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن، فله الجنة» رواه الترمذي(٢).

وكيف يُهمل محمد ابنته فاطمة مع ما عرف من تعلقها الشديد به وحبها له، وتروي كتب السيرة أن أبا جهل(٣) كان يلقي على الرسول [ﷺ] أقذاراً أثناء صلاته، وأن فاطمة رضي الله عنها كانت هي التي تطهره وتغسل ما ألقى الكفار من نجاسات وتبكي(٤). وكان الرسول يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك(٥).

---

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه أحمد في مسنده ح/ ٣٤٢٤، (ص٢٩٦)، بلفظ: (ما من مسلم تُدرك له ابنتان) الحديث. وقال محقق المسند، شعيب الأرنؤوط: 'إسناده صحيح على شرط البخاري'. والحديث الذي أخرجه ابن ماجه ح/ ٣٦٧٠، (ص ٥٢٦). بلفظ: 'ما من رجل تدرك له ابنتان' الحديث.

(٢) الترمذي في سننه، ح/ ١٩١٦، (ص ٤٤٦)، وأحمد في مسنده، ح/ ١١٤٠٤ (ص ٨٠٥)، وأبو داود ح/ ٥١٤٧ (ص ٧٧٦). من رواية أبي سعيد الخدري، مع اختلاف يسير في اللفظ. وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وضعفه الألباني في كتاب: (ضعيف سنن الترمذي)، كتاب، ح/ ١٩١٦ (ص ١٨١).

(٣) الصحيح عقبة بن أبي معيط، ويأتي ذكره قريباً.

(٤) وقد روت كتب السنة هذه الواقعة، ومنها ما أخرجه البخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود: (أن النبي ﷺ كان يُصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوسٌ، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلَى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم، فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كانت لي منعةٌ. قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجدٌ لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: **'اللهم عليك بقريشٍ' ثلاث مرات**. فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابةٌ، ثمَّ سمَّى: 'اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط' وعدَّ السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيتُ الذين عدهم رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر). البخاري، ح/ ٢٤٠، (ص ٥٤). ومسلم، ح/ ١٠٧، (ص ٧٩٩). وأما عن اسم الشقي الذي وضع الأذى على الرسول ﷺ وهو ساجد فقد جاء مصرحاً باسمه في رواية أخرى عند البخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: (بينما النبي ﷺ ساجدٌ وحوله ناسٌ من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ)، ح/ ٣٨٥٤، (ص ٧٨٧)، ومسلم، ح/ ١٠٨، (ص ٨٠). ومعنى (سلا الجزور) السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. وقيل: هو في الماشية السَّلى، وفي الناس المشيمة، والأول أشبهُ؛ لأن المشيمة تخرج بعد الولد، ولا يكون الولد فيها حين يخرج. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٥٧)، مادة: (سلا).

(٥) هذا القول: (لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك)، لم أجده في كتب السنة وإنما الذي وقفت عليه دعاء=

ويلخص أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) (١) من كتب السيرة ما يوضح بجلاء مدى تعلُّق الرسول [ﷺ] بابنته فاطمة حتى قبل موته بقليل « . . . وبلغت به شدة المرض حدّاً آلمه» وكانت ابنته فاطمة تعوده كل يوم، وكان يحبها حبّاً يمتلئ به وجود الرجل للابنة الواحدة الباقية له من كل عقبه.

لقد كانت إذا دخلت على النبي [ﷺ] قام لها وقبّلها وأجلسها مجلسه، فلما بلغ منه المرض هذا المبلغ دخلت عليه فقبلته فقال: «مرحباً يا ابنتي»» القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٠٠ - ٥٠١.

أما قول (لامنس) أن عليّاً كان يعامل فاطمة بخشونة وقسوة فالوقائع التاريخية بما في ذلك الوارد منها في هذا المقال تشير إلى تقدير علي لفاطمة، وإن كان الأمر لا يخلو من خلافات زوجية سرعان ما تسوّى) (٢).

وفضائل فاطمة رضي الله عنها معلومة ومشهورة، قد دونت في أصح كتب السنة، أذكر منها:

١ - محبة الرسول ﷺ لفاطمة رضي الله عنها وبشارته لها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّا كُنّا أزواج النبي ﷺ عنده جميعاً لم تُغادر منّا واحدةٌ، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي ولا والله ما تخفَى

= النبي ﷺ على كبار قريش الذين ورد ذكرهم في الحديث السابق، في رواية ابن مسعود رضي الله عنه. وأما عند ابن إسحاق رحمه الله في سيرته فقد قال: (فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً. ولما نثر ذلك السفيه على رأس الرسول ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: (لا تبكي يا بُنيّة، فإن الله مانع أباك). السيرة النبوية (٢/ ٣٠)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ١٥١)، وتاريخ الطبري (١/ ٥٥٤)، وهذا القول الذي ذكره ابن إسحاق في سيرته ضعيف. ينظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (١/ ٢٥٩)، وعلى هذا فالصحيح هو أن من إيذاء قريش للرسول ﷺ كما جاء في رواية البخاري ومسلم وضع عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد.

(١) لم أجد ما نقلته المستشرقة فاجليري في كتاب أحمد أمين (فجر الإسلام) المطبوع بالعربية، إلا إذا كان قد طبع بلغة أخرى، وفيه زيادة.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/ ٧٧٠٨)، مادة: (فاطمة).

مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلمَّا رآها رَحَّب وقال: «مَرْحباً يا بنتي». ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارَّها[١] فبكتْ بُكاءً شديداً، فلما رأى حزنها سارَّها الثانية فإذا هي تضحك. فقلت لها أنا من بين نسائه: خصَّكِ رسول الله ﷺ بالسِّرِّ من بيننا، ثمَّ أنتِ تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها عمَّ سارَّكِ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سِرَّه.

فلما تُوفِّي. قلتُ لها: عزمتُ عليكِ بمالي عليك من الحقِّ لَمَّا أخبرتني، قال: أما الآن فنعم، فأخبرتني، قالت: أمَّا حين سارني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه[٢] بالقرآن كلَّ سنة مرةً وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نِعْم السَّلف[٣] أنا لكِ.

قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جَزَعي سارَّني الثانية، قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنات أو سيدة نساء هذه الأمة؟)[٤].

٢ - غضب الرسول ﷺ لغضب فاطمة رضي الله عنها: عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله قال: **«فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني»**[٥].

ويبين سبب غضب الرسول ﷺ لغضب فاطمة رضي الله عنها ما جاء في رواية لحديث آخر عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: (إن عليّاً خطب بنت أبي جهل

---

(١) سارَّها: أي أسرَّ إليها حديثاً على وجه التناجي. ينظر: كتاب مختار الصحاح (ص ١٦٩ - ١٧٠) مادة: (س ر ر).

(٢) يُعارضُه: أي كان يُدارسُه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة: المقابلة. كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٨٩)، مادة: (عرض).

(٣) السَّلف: قيل هو من سَلَف المال كأنه قد أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يُجازى على الصبر عليه. وقيل سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصَّدر الأول من التابعين السلف الصالح. قاله ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٥٠)، مادة: (سلف).

قلت: ومن باب أولى أن يُسمَّى الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بالسَّلف الصالح.

(٤) البخاري، ح/ ٦٢٨٥، ٦٢٨٦، (ص ١٣٣٢)، ومسلم ح/ ٩٨، (ص ١٠٧٨).

(٥) أخرجه البخاري، ح/ ٣٧٦٧، (ص ٧٧١)، ومسلم ح/ ٩٤، (ص ١٠٧٦) بنحوه.

فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يزعُمُ قومك أنك لا تَغْضبُ لبناتكِ وهذا عليٌّ ناكحٌ بنت أبي جهل[1]، فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: «**أما بعدُ فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدَّثني وصَدَقني. وإن فاطمة بضعةٌ مني وإني أكرهُ أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدوٍّ الله عند رجل واحد**» فترك علي الخطبة) [2].

يقول النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (نهى الرسول ﷺ عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين:

إحداهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من أذاه فنهي عن ذلك لكمال شفقته على (علي) وعلى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة. وقيل: ليس المراد به النهي عن جمعهما بل معناه: أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعا كما قال أنس بن النضر: والله لا تكسر ثنية الربيع، ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما ويكون معنى (لا أحرم حلالاً) هذا لفظ الرواية التي أخرجها مسلم في صحيحه، أي لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل شيئاً لم أحرمه وإذا حرمه لم أحلله ولم أسكت عن تحريمه؛ لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله)[3].

٣ – مكانة فاطمة رضي الله عنها عند الرسول ﷺ مما جعل أمهات المؤمنين يطلبن من فاطمة رضي الله عنها أن تكون وسيطاً بينهن وبين الرسول ﷺ في أمر الناس بأن من أراد أن يهدي إلى الرسول ﷺ هدية فليهدها حيث كان من نسائه، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها: أن أمهات المؤمنين (دَعَوْنَ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إنَّ نساءَك ينشدنك الله

---

(١) بنت أبي جهل: اسمها جويرية، ويقال: العوراء، ويقال: جميلة، تزوجها عتاب بن أسيد، كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، في المواضع التي ذكرت عند البخاري (٧/ ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري، ح/ ٣٧٢٩، (ص ٧٦٦)، ومسلم، ح/ ٩٣، (ص ١٠٧٦) بنحوه.

(٣) كتاب المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، ح/ ٩٣، (١٦/ ٤).

العدل في بنت أبي بكر، فكلَّمتْهُ، فقال: «يا بُنيَّةُ ألا تحبِّين ما أحبُّ؟» قالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهنَّ) (١). الحديث.

وهذا دليل على مكانة فاطمة رضي الله عنها عند الرسول ﷺ، وهو دليل قوي في الرد على المستشرقين في قدحهم في فاطمة رضي الله عنها، وأن الرسول ﷺ لا يقدِّرها(٢).

٦ - موقف المستشرق لامنس من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما:

شكك لامنس (**Lammens**) فيما ذُكر عن الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم من الفضائل والمناقب. فيقول عن الحسن بن علي رضي الله عنه: (تُظهره السيرة أثيراً عند جده بنوع خاص، وقد نشأت روايات كثيرة مشكوك فيها حول هذا الموضوع، مستقاة من حياة النبي الخاصة)(٣). ويقول عن الحسين: (وتصوّر الروايات الحسين كما تصور أخاه الحسن غارقاً في فيض من جده لأمه)(٤).

فالمستشرق لامنس يشكك في فضل ومنزلة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند جدهما وهو الرسول ﷺ، ويرى بأن ما ذكر عن الحسن رضي الله عنه إنما أخذ من سيرة الرسول ﷺ، ومقصده هنا أن يتهم كتب السيرة وأنها وضعت هذه المنزلة للحسن رضي الله عنه من أجل الرسول ﷺ، وكذلك ما ذكرته هذه الروايات عن الحسين رضي الله عنه، وهذا كله محض افتراض وتشويه لسير الصحابة رضي الله عنهم، إلا إذا كان يقصد ما يذكر في كتب الرافضة من الروايات المكذوبة فهذا شيء آخر.

والأدلة على فضل الحسن والحسين رضي الله عنهما كثيرة، ومنها:

---

(١) صحيح البخاري، ح/ ٢٥٨١، (ص ٥١٢).

(٢) كما أن في الحديث السابق دليل على مكانة عائشة رضي الله عنها عند الرسول ﷺ.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٠٠) مادة: (الحسن بن علي بن أبي طالب)، وهذا النص غير موجود في موجز دائرة المعارف الإسلامية المطبوع.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٢٧)، مادة: (الحسين بن علي).

١ – حب الرسول ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنه:

عن أبي هريرة الدوسيِّ رضي الله عنه قال: (خرج النبي ﷺ في طائفة النهار لا يُكلمني ولا أُكلِّمهُ حتى أتى سُوقَ بني قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: **«أثَمَّ لُكعُ»**[(١)]؟ **أثَمَّ لُكعُ؟»** فحبسته شيئاً فظننتُ أنه تلبسُهُ سِخَاباً[(٢)] أو تُغسِّلهُ، فجاء يشتدُّ حتى عانقهُ وقبَّلهُ فقال: **«اللهم أحبَّهُ وأحِبَّ من يُحبُّهُ»**)[(٣)].

٢ – وحب الرسول ﷺ للحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

في الحديث عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: طرقت[(٤)] النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو؟ فلما فرغت من حاجتي قلتُ: ما هذا الذي أنت مشتملٌ[(٥)] عليه؟

قال: فكشفه؛ فإذا حسن وحسين على وركيه[(٦)]، فقال: **«هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما، فأحبهما وأحب من يُحبُّهما»**[(٧)].

وفي هذه الأحاديث بشارة لكل من أحب الحسن والحسين رضي الله عنهم بأن يحبه الله، والذي حُرمه كل منافق وكافر بالله.

٧ – موقف المستشرق لامنس من فضائل حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه:

حاول المستشرق لامنس (**Lammens**) التشكيك في فضل الصحابي الجليل حمزة

---

(١) لُكع: الصبي الصغير ،كتاب مختار الصحاح (ص ٣٢٥)، مادة: (ل ك ع).

(٢) سِخاباً: السِّخاب: هو خيطٌ يُنظم فيه خرز ويلبَسه الصبيان والجواري، كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٤)، مادة: (سخب).

(٣) أخرجه البخاري ، ح/ ٢١٢٢، (ص ٤١٩)، واللفظ له، ومسلم ، ح/ ٥٧، (ص ١٠٦٧) مع اختلاف يسير.

(٤) طرقتُ: أتيته ليلاً، وكل آت بالليل طارق، وسُمِّي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دقّ الباب. ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ١١٠)، مادة: (طرق).

(٥) مشتمل: متغطي ومتلفف بكساء. ينظر المصدر السابق (٢/ ٤٨٨) مادة: (شمل).

(٦) وركيه: هما (وركان) فوق الفخذين كالكتفين فوق العضدين، كتاب المصباح المنير، (ص ٣٣٨)، مادة: (ورك)، وينظر: مختار الصحاح، (ص ٣٨٣)، مادة: (ورك).

(٧) أخرجه الترمذي ، ح/ ٣٧٦٩، (ص ٨٥٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وحسنه الألباني، في كتاب صحيح سنن الترمذي، ح/ ٣٧٦٩، (٣/ ٥٣٧).

بن عبدالمطلب رضي الله عنه، عم الرسول ﷺ، وأن الروايات تزيد من تمجيد حمزة رضي الله عنه فتقول بأنه أخ للرسول ﷺ من الرضاعة حيث يقول:

(حمزة بن عبدالمطلب: عم النبي، وتزيد الروايات أنه أخوه في الرضاعة سعياً منها إلى تمجيد هذا البطل من أبطال الإسلام في عهده الأول)(١).

وهو بذلك يريد القدح في فضل هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه. وأن الروايات الحديثية وغيرها عندما أوردت تلك الصلة بين الرسول ﷺ، إنما أرادت التمجيد.

وهذا القول في منتهى الجهل، وذلك لأن فضائل حمزة رضي الله عنه معلومة ومدونة في كتب الحديث والسير. ولم يذكر فيها خبر أن حمزة أخٌ للرسول ﷺ من الرضاع، وإنما جاء عرضاً.

فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: ألا تتزوَّج ابنةَ حمزة؟ قال: «**إنها ابنةُ أخي من الرضاعة**»(٢).

كما أن في قول لامنس السابق ما يدل على حقده وعماه عن الطريق المستقيم.

٨ - موقف المستشرق تسترشتين من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه:

كتب المستشرق تسترشتين (**Zettersteen**) عن سعد بن معاذ رضي الله عنه بعد ذكره لحكمه في يهود بني قريظة فقال: (ويصوّره الحديث بطلاً مجيداً من أبطال الدين)(٣).

هذا أهم ما كتبه هذا المستشرق عنه رضي الله عنه.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ١٠١)، مادة: (حمزة)، وفي موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٤/ ٤٢٥٣)، مادة: (حمزة).

(٢) صحيح البخاري، ح/ ٥١٠٠، (ص ١١٠٧)، وللحديث مواضع أخرى تدل على أن أخوة الرسول ﷺ لحمزة من الرضاعة، (ح/ ٤٢٥١، (ص ٨٧٥)، من حديث البراء بن عازب، ح/ ١١، (ص ٦١٥)، ح/ ١٢، (ص ٦١٥) من حديث ابن عباس، وح/ ١٤، (ص ٦١٥)، من حديث أم سلمة.

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٨/ ٥٦٥١) مادة: (سعد بن معاذ)، وهذا المستشرق يقول قبله (ويقال إن نيفاً وستمائة يهودي ضحوا بحياتهم في سبيل عقيدتهم)؟! والحق أن قتال المسلمين لبني قريظة كان لنقضهم عهدهم مع الرسول ﷺ وأصحابه في حماية المسلمين من جهتهم، وعدم تمكين قريش أو غيرهم من قتال فنقضوا ذلك كله.

وأخرج البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه فجاء على حمارٍ فلما بلغ قريباً من المسجد قال النبي ﷺ: **«قوموا إلى خيركم أو سيدكم»** قال: **«يا سعد، إن هؤلاء نزلوا على حكمك»**، قال: فإني أحكُمُ فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، قال: **«حكمت بحكم الله أو بحكم الملك»**)(١).

وقصة هذا الحديث كما جاء عند ابن إسحاق رحمه الله في سيرته: أن نفراً من اليهود حزبوا الأحزاب على الرسول ﷺ وأصحابه، ورغَّبوا قريشاً وغيرهم من العرب على حرب المسلمين، فسمعوا لهم حتى حاصروا المدينة، ثم عمد عدو الله حيي بن أخطب النظري إلى إغواء واستمالة بني قريظة فنقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ وهددوا أمن المدينة وسلامة أهلها في زمن بلغت القلوب الحناجر، ورد الله عز وجل قريشاً ومن معها لم ينالوا خيراً، فهزمهم الله وفرّق شملهم، فانقلب الأمر على بني قريظة فحاصرهم الرسول ﷺ مما اضطرهم على النزول على حكمه(٢).

يقول ابن إسحاق رحمه الله عن نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ: (فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة قد حاصر بني قَيْنُقاع، وكانوا حُلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبدالله ابن أبي بن سلول، فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: **«ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟»** قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: **«فذاك إلى سعد بن مُعاذ»**.

وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها

---

(١) ح/ ٣٨٠٤، (ص ٧٧٨)، ومسلم في صحيحه، ح/ ٦٤، (ص ٧٨٤)، مع اختلاف يسير، وفيه تصريح بالقوم الذين نزلوا على حكم سعد حيث قال: (نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ).

(٢) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٦).

رُفيدة[١]، في مسجده، كانت تُداوي الجرحى، فلما حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً. ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسِن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاَّك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قَوْمه إلى دار بني عبدالأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: **«قوموا إلى سيدكم»** فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهما لَمَا حَكمتُ؟ قالوا: نعم، قال: وعلَى مَنْ هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرِض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له؛ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم»**؛ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ، وتقسم الأموال، وتسبَى الذراري والنساء.

قال رسول الله ﷺ لسعد: **«لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»**[٢])[٣].

وإصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه في حكمه على بني قريظة لحكم الله منقبة وفضل لهذا الصحابي الجليل.

ألا يستحق بعدها أن يكون بطلاً عظيماً من أبطال الإسلام، بلى؛ ولكن المستشرقين من اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض.

---

(١) هي رفيدة الأنصارية أو الأسلمية، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كان به ضيعة من المسلمين. كتاب أسد الغابة، (٥/ ٢٨٣) رقم (٦٩٢٦)، الإصابة (ص ١٦٨٦)، رقم (١١٨٤٩).

(٢) سبعة أرقعة: يعني سبع سموات، وكل سماء يقال لها رقيع، والجمع أرقعة. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٢٨)، مادة: (رقع).

(٣) والحديث أخرجه ابن إسحاق بسنده عن علقمة بن وقاص الليثي. كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (٣/ ٢٦٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٧٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١٥٣) بإسناد ابن إسحاق. ولهذا الحديث أصل في الصحيحين قد تقدم قبل.

٩ - موقف المستشرقة (فكا) (١) من فضائل زيد بن حارثة رضي الله عنه:

كتبت المستشرقة فكا (VACCA) عن زيد رضي الله عنه فقالت: **(ولزيد مكانة في الحديث، ويرجع ذلك إلى سببين، أولهما: محبة النبي له مما دعا الأحاديث الصحاح إلى القول بأنه حبيب رسول الله، وأنه آثره على علي بن أبي طالب، والثاني أنه قد ذكر في القرآن)**(٢).

فالمستشرقة (فكا) تتهم الصحابة رضي الله عنهم بوضع أحاديث مكذوبة في فضل زيد بن حارثة رضي الله عنه، وأنَّ الرسول ﷺ فضَّله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قولها: **(مما دعا الأحاديث الصحاح...)** إلخ، وقولها: **(وأنه آثره على علي)** إلخ وهذه دعاوى لا تستند إلى دليل ألبتة.

كما أن من الملاحظ على كتابة المستشرقة (فكا) محاولة الدسّ والافتراء المتعمَّد، وأن الرسول ﷺ يريد أن يقلل من شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته.

فتقول عند كلامها عن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما: **(وتذكر الروايات شواهد عن حب النبي له وهو طفل، وقيل إنه لقب «حِبّ رسول الله وابن حبه».» وكان أسامة يشبه أمه، فقد كان أسود أفطس الأنف**(٣). **وتوكيد الروايات لحب النبي له يرجع من ناحية إلى الرغبة في التقليل من شأن بيت علي، ومن ناحية أخرى إلى إظهار أن النبي كان ديمقراطياً حقاً بريئاً من التعصب للون)**(٤).

يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في الرد على هذه الافتراءات في دائرة المعارف الإسلامية:

---

(١) فرجينيا فكا (Virginia Vacca) مستشرقة إيطالية، ولدت عام ١٨٩١م، وأقامت بالقاهرة، عينت محررة لمجلة الشرق الحديث، واهتمت بالتاريخ الحديث للشعوب الإسلامية، ولاسيما المصريين، والهنود، وكتبت بعض مواد دائرة المعارف الإسلامية. ينظر: كتاب المستشرقون (١/ ٤٤٤).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (١١/ ١٠)، مادة: (زيد بن حارثة). وينظر في موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٧/ ٥٣٩٢)، مادة: (زيد بن حارثة).

(٣) أفطس الأنف: الفطس: انخفاض قصبة الأنف وانفراشها. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤١٠)، مادة: (فطس)، معجم المقاييس (ص ٨٢٠)، ومختار الصحاح (ص ٢٧٦)، مادة: (ف ط س).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٦٧٧)، مادة: (أسامة بن زيد)، وموجز دائرة المعارف (٣/ ٦٩٧).

(هذه والتي قبلها دسيستان ليشك الناس في صحة رواية الأحاديث، وليظن القارئ أن هذه الروايات إنما وضعها الراوون لمقاصد في أنفسهم، ومن الأسف أننا نرى كثيرين من الذين يسمون بأسماء المسلمين يفترون بمثل هذا الكلام، ويذهبون إلى مثل هذه الآراء وإنما الأحاديث والروايات الصحيحة جاءت عن رواة موثوق بهم بعد أن فحصها أئمة الإسلام الكبار، وعرفوا الراوي الثقة، والراوي الذي ليس بثقة، فقبلوا ما وثقوا به، وأخرجوا ما لم يحز عندهم شيئاً من الاطمئنان إليه.

وقد تواترت الروايات عن أخلاق الرسول ﷺ وكرمه وتواضعه ومساواته بين المسلمين، ويكفي في هذا أن يصفه الله الذي أرسله في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] ﷺ)(١).

وأما زعم المستشرقة بأن الرسول ﷺ يريد التقليل من شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته، أو أنه آثر زيد بن حارثة رضي الله عنه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا كله كذبة سَمِجة لمن عنده أدنى اطلاع على كتب السُّنة، أو السيرة النبوية؛ حيث أنها مُلئت من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، والحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد مر شيء من ذلك عند الكلام على فضائل فاطمة رضي الله عنها، وفضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

والمستشرقة في قولها الذي تقدم، تعمل على إسقاط التهم التي هي ملاصقة لهم من العنصرية والتمييز العرقي، ضد الدول والشعوب والأفراد المخالفين لهم في لون البشرة، وغيرها؟!

وأما فضائل زيد بن حارثة، وابنه أسامة رضي الله عنهما فهي ثابتة صحيحة في أصح الكتب بعد كتاب الله صحيح البخاري ومسلم، أقتصر على ثلاثة منها:

١ – حب الرسول ﷺ لزيد بن حارثة وابنه أسامة رضي الله عنهما، والشهادة

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٧٨)، مادة: (أسامة بن زيد). وموجز دائرة المعارف (٣/ ٦٩٩)، (بن زيد).

لهما بأهليتهما للإمارة: عن عبدالله بن عمر قال: (بعثَ النبي ﷺ بَعْثاً[١] ، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد ، فطَعنَ[٢] بعض الناس في إمارته فقال النبي ﷺ: **«إن تطعنوا في إمارته فقد كُنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبلُ[٣]، وايمُ[٤] الله إن كان لخليقاً[٥] للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليّ بعده»**)[٦] .

٢ – جمع الرسول ﷺ بين الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم والشهادة لهما بحبه لهما ودعاء الله أن يحبهما: فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: (حدّثَ عن النبي ﷺ أنه كان يأخُذُه والحسن: فيقول: **«اللهم أحِبَّهما فإني أحِبُّهما»**)[٧] .

٣ – محبة الرسول ﷺ لزيد بن حارثة وتقديمه في ذلك على غيره: ففي الحديث عن محمد بن أسامة[٨] عن أبيه . قال: اجتمع جعفر وعليٌّ وزيد بن حارثة ، فقال جعفر: أنا أحَبُّكم إلى رسول الله ﷺ، وقال عليٌّ: أنا أحَبُّكم إلى رسول الله ﷺ ، وقال زيدٌ: أنا

---

(١) بعثاً: البعث: الجيش ، تسمية بالمصدر . كتاب المصباح المنير (ص ٣٢) ، مادة: (ب ع ث) ، وهو البعث الذي أمر بتجهيزه في مرض وفاته وقال: "انفذوا بعث أسامة" فانفذه أبو بكر رضي الله عنه بعده . فتح الباري ح/ ٣٧٣٠ (٧/ ١٠١) .

(٢) فطعن: الطعن: الوقوع في أعراض الناس بالذّم والغيبة ونحوهما ، ومنه الطعن في النسب . كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ١١٦) ، مادة: (طعن) .

(٣) يشير إلى إمارة زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ، فعن عائشة قالت: "ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمَّره عليهم" وفيه جواز إمارة المولى وتولية الصغار على الكبار ، والمفضول على الفاضل ؛ لأنه كان في الجيش الذي كان عليهم أسامة: أبو بكر وعمر . فتح الباري (٧/ ١٠١ – ١٠٢) .

(٤) وأيْمُ: أيم الله من ألفاظ القسم ، كقولك لعمْر الله وعهْد الله ، وفيها لغات كثيرة ، وتفتح همزتها وتُكسر ، وهمزتها وصل ، وقد تُقطع ، وأهل الكوفة من النحاة يزعمون أنها جمع يمين ، وغيرهم يقول: هي اسم موضوع للقسم . كتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ٨٦) ، مادة: (أيم) .

(٥) خليقاً: أي جديراً بها . ينظر: مختار الصحاح (ص ١١١) ، مادة: (خ ل ق) .

(٦) أخرجه البخاري ح/ ٣٧٣٠ ، (ص ٧٦٦) ، ومسلم في ، ح/ ٦٣ ، (ص ١٠٦٧) .

(٧) أخرجه البخاري ح/ ٣٧٣٥ ، (ص ٧٦٧) .

(٨) هو محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، المدني ، التابعة الثقة ، توفي في خلافة الوليد بن عبدالملك . ينظر: كتاب الثقات (٣/ ٦) ، رقم (٣٥٧٦) ، وكتاب تهذيب التهذيب (٥/ ٤٥٦) ، رقم (٦٧٤٥) .

أحَبَّكم إلى رسول الله ﷺ .

فقالوا: انطلقوا بنا إلى رسول الله حتى نسأله ، قال أسامة بن زيد: فجاؤوا يستأذنونه . فقال: أخرج فأنظر من هؤلاء؟ فقلتُ: هذا جعفرٌ وعليٌّ وزيدٌ . ما أقولُ أبي . قال: ائذن لهم ، فدخلوا . فقالوا: يا رسول الله ، من أحبُّ إليك؟

قال: فاطمة . قالوا: نسألك عن الرجال؟

قال: أمَّا أنت يا جعفر فأشبه خلقُكَ خَلْقي ، وأشبه خُلُقي خُلُقَك ، وأنت مني وشجرتي ، وأمَّا أنت يا عليٌّ فخَتني[(١)] وأبو ولدي وأنا مِنك وأنت منِّي ، وأمَّا أنت يا زيد فمولاي ومني وإليّ وأحب القوم إليَّ)[(٢)] .

١٠ - موقف المستشرق (فنسنك) من فضائل ابن مسعود رضي الله عنه:

يقول المستشرق فنسنك (WENSINK) عن ابن مسعود رضي الله عنه: (**وكثير ما كان يتردد هو وأُمه على بيت الرسول ﷺ حتى حسبهما الناس من أهل بيت النبي ﷺ ، ولكنه لم يكن إلا خادم الرسول ﷺ الأمين «صاحب النعلين والوسادة والطهور» وكان يقلد النبي في المظاهر، ولكنه كان موضع السخرية لنحافة ساقيه**)[(٣)] .

وكلام المستشرق فنسنك عن ابن مسعود رضي الله عنه ، هو نقل لبعض فضائل هذا الصحابي الجليل التي ذكرت في كتب السنة وغيرها باختصار .

ولكن يتأمل السطر الأخير منه: (وكان يقلد النبي في المظاهر ، ولكنه كان موضع السخرية لنحافة ساقيه) .

فالمستشرق هنا قَرَن بين وصفين في سطر واحد . تقليد النبي والسخرية من نحافة ساقي ابن مسعود رضي الله عنه .

---

(١) ختني: أي زوج ابنته ، والأختان من قِبل المرأة . والأحماء من قبل الرجل . والصهر جمعهما . وخاتن الرجلُ الرجلَ إذا تزوج إليه . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١) ، مادة: (ختن) .

(٢) أحمد في مسنده ، ح/ ٢٢١٢٠ ، (ص ١٦٠٧) ، وصححه الألباني في كتابه (سلسلة الأحاديث الصحيحة) (٤/ ٦٦) ، رقم (١٥٥٠) .

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٢٦٩) ، مادة: (ابن مسعود) .

فلماذا لم يُقدِّم تقليد ابن مسعود رضي الله عنه للنبي ﷺ في بداية الكلام؟ ولكنه أخَّره وقَرَن بينه وبين السخرية من ساقي ابن مسعود رضي الله عنه.

وهذا من باب التنقُّص والازدراء لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه.

وأن ما سبق ذلك من الكلام عن فضائله وتردده على بيت الرسول ﷺ وخدمته لا قيمة له فيُسخر منه، وهذا ديدن المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم، الدس والافتراء، ومحاولة تشويه سير القدوات من عظماء الإسلام، وكلما كانت منزلته مرتفعة، وجهده عظيم في تبليغ هذا الدين والدفاع عنه، كانت حملات الدسّ والافتراء والطعن على أشدها.

والصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام، والعلماء الكبار الذين كان لهم جهد كبير ومبارك في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وقد سُطر ذلك كله في دواوين السنة وغيرها من كتب التاريخ.

وأما عن فضائل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، والتي أشار إليه هذا المستشرق باختصار فهي:

١ - كثرة دخول ابن مسعود رضي الله عنه وأمه على بيت النبي ﷺ وملازمته له. عن الأسود بن يزيد[(١)] قال: (سمعت أبا موسى الأشعري يقول: قَدِمت أنا وأخي[(٢)] من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبدالله بن مسعود رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ)[(٣)].

---

(١) هو الأسود بن يزيد بن قيس النَّخعي، أبو عمرو، أدرك النبي ﷺ مسلماً، ولم يره، فهو مخضرم، ثقة وهو صاحب ابن مسعود، وهو معدود من كبار التابعين من الكوفيين، توفي سنة ٧٥هـ. ينظر: الاستيعاب (ص ٦٤)، رقم (٩٢)، وأسد الغابة (١/ ١٠٤)، رقم (١٥٨)، والإصابة (ص ٥٢)، رقم (٢٦٧).

(٢) كان لأبي موسى أخوان: أبو رهم وأبو بردة، وقيل: إن له أخاً اسمه محمد، وأشهرهم أبو بردة، واسمه عامر، وقد خرَّج عنه أحمد في مسنده حديثاً. انظر: فتح الباري، ح/ ٣٦٧٤، (٧/ ٤٣).

(٣) أخرجه البخاري، ح/ ٣٧٦٣، (ص ٧٧٩)، ومسلم، ح/ ١١٠، (ص ١٠٨١).

٢ - خدمة ابن مسعود رضي الله عنه للرسول ﷺ: عن علقمة[١] قال: (قَدِمتُ الشامَ فصليت ركعتين. ثم قلتُ: اللهمَّ يسِّر لي جليساً صالحاً. فأتيت قوماً فجلستُ إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلتُ من هذا؟

قالوا: أبو الدرداء. فقلتُ إني دعوتُ الله أن يُيَسِّر لي جليساً صالحاً فيسَّرك لي.

قال: مِمَّن أنت؟ قلتُ: من أهل الكوفة. قال: أوليس عندكم ابن أمِّ عَبْدٍ صاحبُ النعلين[٢] والوساد والمطهرة[٣]؟

أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان يعني على لسان نبيه[٤]؟

أوليس فيكم صاحب سرِّ النبي ﷺ الذي لا يعلمُ أحدٌ غيره؟)[٥] الحديث.

٣ - تشبّه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بالرسول ﷺ: عن شقيق[٦] قال: سمعت حذيفة يقول: (إن أشبه النَّاس دلاً وسمتاً[٧] وهدياً[٨] برسول الله ﷺ لابن أُمِّ عَبْدٍ[٩] من يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا)[١٠].

---

(١) هو علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي، الكوفي، الثقة العابد، الفقيه، توفي ٦٢هـ. الكاشف (٢/ ٣٤) رقم (٣٨٧٣)، وتقريب التهذيب (ص ٣٣٧)، رقم (٤٦٨١)، تهذيب التهذيب (٤/٥٥٨)، رقم (٥٤٩٣).

(٢) أي نعلي رسول الله ﷺ، وكان ابن مسعود يحملهما ويتعاهدهما، فتح الباري، ح/٣٧٤٢ (١٠٦/٧).

(٣) هناك أثر يفسرها أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٨١) عن عبيدالله بن عتبة قال: كان عبدالله بن مسعود صاحب وساد رسول الله ﷺ يعني سره، ووساده، يعني فراشه، وسواكه ونعليه وطهوره، وهذا يكون في السفر.

(٤) يعني به عمار بن ياسر رضي الله عنه قاله ابن حجر في فتح الباري المواضع السابقة (١٠٧/٧).

(٥) أخرجه البخاري، ح/ ٣٧٤٢، (ص ٧٦٨).

(٦) هو شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي ثقة مخضرم. صاحب ابن مسعود، أدرك الجاهلية، قال: بُعث النبي ﷺ وأنا شابٌ ابن عشر حجج، أرعى إبلاً لأهلي، توفي سنة ٩٩هـ في خلافة عمر بن عبدالعزيز. كتاب الاستيعاب (ص ٢٣٨)، رقم (١١٩٦)، وأسد الغابة (٢/ ٤٣١)، رقم (٢٤٤٨).

(٧) دلاً وسمتاً: الدلّ هو الهدي، والسمتُ عبارةٌ عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السّكينة والوقار، وحُسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٢٢)، مادة: (دلل)، و(٢/ ٣٥٧)، مادة: (سمت).

(٨) هدياً: الهديُ: السيرة والهيئة والطريقة. المصدر السابق (٥/ ٢١٩)، مادة: (هدا).

(٩) يعني ابن مسعود رضي الله عنها وأُمه: أم عبد بنت عبد وُدّ بن سوار بن قريم بن صاهلة من بني هذيل، أسلمت وصحبت، . الاستيعاب (ص ٤٠٧)، رقم (١٣٩١)، أسد الغابة (٣/ ٧٤)، رقم (٣١٨٢).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: في الهدي الصالح، ح/٦٠٩٧ (ص ١٢٩٤).

٤ – **فضيلة ساقي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:** عن زر بن حُبيش[١] عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يجتني سواكاً من الأراك[٢]، وكان دقيق الساقين، فجعلت الرِّيحُ تكفؤهُ[٣]، فضحك القومُ منه، فقال رسول الله ﷺ: **«ممَّ تضحكون؟»** قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: **«والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أُحد»**[٤]. وهذا الحديث الذي جعل المستشرق (فنسنك) يقول بأن نحافة ساقي ابن مسعود موضع سخرية، وهذا القول فيه شيء من المبالغة والتهويل وذلك لأمور منها:

١ – أن كتب السنة والسيرة لم تذكر أن ساقي ابن مسعود رضي الله عنه كانت محل سخرية وتندُّر بين الصحابة رضي الله عنهم في أوقات متعددة، مع مشاركته للرسول ﷺ في غزواته وتشبهه به في هديه رضي الله عنه.

٢ – أن الصحابة رضي الله عنهم هم حَمَلة هذا الدين وجنوده فحاشاهم أن يكونوا من الجاهلين، أو الظالمين، وقد سمعوا قول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [الحجرات: ١١].

٣– خبث هذا المستشرق وفساد طويته حيث لم يذكر فضيلة هاتين الساقين عند

---

(١) هو زرُّ بن حُبَيْش بن حُباشة الأسدي، الكوفي، أبو مريم، مخضرم. أدرك الجاهلية ولم ير النبي ﷺ، وهو من أجلَّة التابعين، من كبار أصحاب ابن مسعود، وكان عالماً بالقرآن فاضلاً، توفي سنة ٨٣هـ وهو ابن مائة وعشرين سنة. الاستيعاب (ص ٢٦٧)، رقم (٨٧٠)، وأسد الغابة (٢/ ٢١)، رقم (١٧٣٥).

(٢) الأراك: شجر معروف له حملٌ كعناقيد العنب، واسمه الكَبَاث بفتح الكاف، وإذا نضج يُسمى المَرْدَ. كتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٣)، مادة: (أرك).

(٣) تكفؤ: تميل وتطرح. ينظر: المصدر السابق (٤/ ٥٧)، مادة: (كفأ).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح/ ٣٩٩٠، (ص ٣٣٩)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٨٢)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (١/ ٤٠٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٨). وقال محقق المسند (طبعة مؤسسة الرسالة ٧/ ٩٩): (الحديث صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد، وهو ابن سلمة فمن رجال مسلم)، وأخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد، باب، ح/ ٢٣٧، (ص ٨٩)، من رواية علي بن أبي طالب قال الألباني عنه: صحيح لغيره.

الله ، وأنهما أثقل في الميزان من جبل أُحد كما جاء في الحديث السابق .

١١ - موقف المستشرقين من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه: يقول المستشرق (جولدتسيهر GOLDZIHER) عن الصحابي الجليل أبي هريرة:(وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ ، تلك الذاكرة التي استطاع أن يستوعب بها عدداً عظيماً من الأحاديث فقالوا إن النبي ﷺ لفه بيده في بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع ؛ وتروي هذه القصة أيضاً دليلاً على صداقته الوثيقة للنبي ﷺ)[١] .

فالمستشرق جولدتسيهر يُشكك في حفظ أبي هريرة ، ويحكم على الحديث الذي فيه دعاء النبي ﷺ عن بسط رداءه بالحفظ بأنه حديث مكذوب ، ولم يستدل لذلك إلا الهوى المحض والحقد المبطَّن المتسربل بلباس العلم ، والكتابة العلمية كما هو حال كثير من المستشرقين .

ومثله المستشرق روبسون[٢] (ROBSON) حيث يقول: (وثمة رواية - تروى باختلاف يسير – وتُفسر كيف كان أبو هريرة يُكثر الحديث عن رسول الله ﷺ .

يقول أبو هريرة: إن الآخرين كان يشغلهم القيام على أموالهم، أمَّا هو فقد لزم النبي ﷺ وسمع منه أكثر مما سمعوا، وإن النبي ﷺ قال له أن يبسط رداءه فبسطه ثم قال له أن يضمه إلى صدره فضمه فما نسي حديثاً بعد.

وقد اضطر أبو هريرة إلى الدفاع عن نفسه حيال الشكوك التي ساورت الناس حول الأحاديث التي رواها.

ومن المستحيل أن نتثبت: هل وقت هذا الأمر فعلاً أم أنه اخترع للتغلب على الشكوك التي ساورت الناس من بعد في الأحاديث التي رواها)[٣] .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٤١٨) ، مادة: (أبو هريرة) ، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٤٢٧) .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٤٢٩) ، ولا يوجد هذا النص في دائرة المعارف الإسلامية المطبوع في خمسة عشر مجلداً .

وهذا القول أيضاً فيه اتهام لأبي هريرة رضي الله عنه بالكذب ووضع الأحاديث على الرسول ﷺ دون الاستناد إلى دليل، وهذا منهج من مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، بل وعن الإسلام وتعاليمه.

وأما الحديث الذي حاول المستشرقون التشكيك فيه، وفي راويه وهو حديث بسط رداء أبي هريرة رضي الله عنه بأمر الرسول ﷺ، ثم ضمه إلى صدره، فكان أن حفظ كل ما يقوله الرسول ﷺ، فهو من معجزاته ﷺ، إضافة إلى ذلك أنه مخرَّج في دواوين السنة الكبار من أمثال: صحيح البخاري ومسلم، ومسند الإمام أحمد وغيره، فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يُكثر الحديث على رسول الله ﷺ والله الموعِدُ: إني كنتُ امرأً مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصَّفقُ بالأسواق، وكانت الأنصار يُشْغلهُم القيام على أموالهم، فشهدت من رسول الله ﷺ ذات يوم وقال: **«من يبسط رداءهُ حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه فلم ينس شيئاً سمعه مني»**، فبسطت بُردة كانت عليَّ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شئاً سمعته منه) (١).

ومع صحة هذا الحديث إلا أن كثيراً من المستشرقين وتلاميذهم من المخدوعين والمنهزمين من أهل الأهواء من العقلانيين وغيرهم يحاولون التشكيك فيه بغير علم.

١٢ - موقف المستشرق (فنسنك) من فضائل زيد بن ثابت رضي الله عنه: يقول المستشرق (فنسنك (WENSINK عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عند تعريفه له في دائرة المعارف الإسلامية: (ويقال إن الغلام كان يحفظ بعض السور عندما استقر النبي ﷺ في المدينة، ومهما يكن من شيء فإن زيداً غدا كاتبه، وقد دوَّن بعض ما نزل على النبي ﷺ من الوحي، وتولى كتابة رسائله إلى اليهود، ويقال إنه تعلم لغتهم في ١٧ يوماً أو أقل)(٢).

فالمستشرق فنسك ينقل بعض مناقب وفضائل هذا الصحابي الجليل: زيد بن

---

(١) صحيح البخاري، ح/ ٧٣٥٤، (ص ١٥٤٠)، ومسلم ح/ ١٥٨، (ص ١٠٩٧).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٧/ ٥٣٩)، مادة: (زيد بن ثابت).

ثابت رضي الله عنه، ومنها:

حفظه لبعض سور القرآن، وكتابته للوحي، وكتابته لرسائل الرسول ﷺ إلى اليهود، وتعلُّمه للغتهم في مدة يسيرة، لكن يلاحظ على كتابة المستشرق (فنسنك) هذه أنه ينقلها على وجه أو صيغة التمريض (يُقال) مع أن مناقب وفضائل هذا الصحابي الجليل ثابتة بأدلة صحيحة.

١ - فعن حفظ زيد بن ثابت رضي الله عنه للقرآن أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما عن قتادة(١) عن أنس رضي الله عنه قال: (جمع القرآن(٢) عند رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أُبيٌّ، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد ابن ثابت. قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي(٣))(٤).

٢ - وأمر الرسول ﷺ لزيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلُّم لغة اليهود ثابت بدليل صحيح، فقد قال البخاري في صحيحه... (وقال(٥) خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد ابن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتبت للنبي ﷺ كُتُبَهُ

---

(١) هو قتادة بن دِعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، الثقة الثبت، توفي سنة ١١٧هـ. كتاب تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٦)، رقم (٦٥٠٢)، تقريب التهذيب (ص ٣٨٩)، رقم (٥٥١٨).

(٢) (جمع القرآن): أي استظهره حفظاً. قاله ابن حجر (فتح الباري)، ح/ ٣٨١٠ (٧/ ١٤٧).

(٣) قال ابن حجر رحمه الله: ذكر علي بن المديني أن اسمه أوس، وعن يحيى بن معين هو: ثابت بن زيد، وقيل هو: سعد بن عبيد بن النعمان. وبذلك جزم الطبراني عن شيخه، قال: وهو الذي كان يقال له القارئ، وكان على القادسية واستشهد بها، وعن الواقدي هو: قيس بن السكن بن قيس بن زعور بن حرام الأنصاري النجاري، ويرجحه قول أنس: "أحد عمومتي" فإنه من قبيلة بني حرام)، المصدر السابق (٧/ ١٤٧).

(٤) صحيح البخاري، ح/ ٤٨١٠ (ص ٧٧٩)، ومسلم ح/ ١١٩ (١٠٨٣).

(٥) قال ابن حجر رحمه الله تعالى: (وهذا التعليق من الأحاديث التي لم يخرجها البخاري إلا معلقة وقد وصله مطولاً في (كتاب التاريخ) عن إسماعيل بن أبي أويس، حدثني عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد قال: "أتي بي النبي ﷺ مقدمة المدينة فأعجب بي، فقيل له: هذا غلام من بني النجار قد قرأ فيما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فاستقرأني فقرأت "ق" فقال لي: تعلَّم كتاب يهود، فإني ما آمن يهود على كتابي فتعلمته في نصف شهر، حتى كتبت له يهود وأقرأ له إذا كتبوا له". فتح الباري؟ ح/ ٧١٩٥ (١٣/ ٢١٥).

وأقرأته كُتُبَهمْ إذا كتبوا إليه)(١) .

وعن ثابت بن عبيد(٢) قال: قال زيد بن ثابت: (قال لي رسول الله ﷺ: **«تُحسنُ السُّريانية(٣) إنَّها تأتيني كُتُبٌ؟»** قال: قلتُ: لا ، قال: **«فتعلَّمها»** فتعلَّمتها في سبعة عشر يوماً) (٤) .

وعن خارجة بن زيد أن أباهُ زيداً أخبره ، (أنه لما قَدِمَ النبي ﷺ المدينة . قال زيدٌ: ذُهبَ بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي . فقالوا يا رسول الله ، هذا غلامٌ من بني النجَّار معه الله عليك بضع عشرة سورةً فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال: **«يا زيد، تعلَّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي»** . قال زيد: فتعلَّمتُ له كتابهم ، ما مرَّت بي خمس عشرة ليلة ، حتى حذقته ، وكنتُ أقرأ له كُتُبَهم إذا كتبوا إليه ، وأجيب عنه إذا كَتَبَ)(٥) .

٣ – وزيد بن ثابت رضي الله عنه أحد كُتَّاب الوحي للرسول ﷺ ، إضافة إلى كونه على رأس من أمرهم أبو بكر الصديق في زمن خلافته رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف حفظاً له .

فعن الزهري قال: أخبرني ابن السبَّاق(٦): أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله

---

(١) كتاب: الأحكام ، باب: ترجمة الحُكام ، وهل يجوز ترجمان واحد؟ ح/ ٧١٩٥ ، (ص ١٥٠٩) .

(٢) هو ثابت بن عبيد الأنصاري ، مولى زيد بن ثابت ، كوفي ثقة . تقريب التهذيب (ص ٧١) رقم (٨٢١) ، وينظر: الكاشف (١/ ٢٨٢) ، رقم (٦٨٩) .

(٣) السريانية: بضم السين وسكون الراء وهي لغة الإنجليل ، والعبرانية لغة التوراة ، كتاب تحفة الأحوذي ، للمباركفوري (٧/ ٤١٢) ، وقال ابن حجر في شرحه للحديث السابق: (حديث خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت): من لازم تعلم كتابة اليهودية تعلُّم لسانهم ولسانهم السريانية ، لكن من المعروف أن لسانهم العبرانية فيحتمل أن زيداً تعلَّم اللسانين لاحتياجه إلى ذلك . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب: الأحكام ، باب: ترجمة الحكام ، وهل يجوز ترجمان واحد ، ح/ ٧١٩٥ ، (١٣/ ٢١٥) .

(٤) أحمد في مسنده ، ح/ ٢١٩٢ ، (ص ١٥٩٢) . وقال محقق المسند (إسناده صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمع من مولاه زيد ابن ثابت ، فقد قال الذهبي في ترجمته: أظن روايته عن مولاه زيد منقطعة) .

(٥) أحمد في مسنده ، ح/ ٢١٩٥٤ ، والترمذي ح/ ٢٧١٥ ، وأبو داود في سننه ، ح/ ٣٦٤٥ ، وإسناده حسن ، ينظر: المسند (٣٥/ ٤٩٠) ، وقال أبو عيسى الترمذي بعد ذكره لهذا الحديث في سننه: (هذا حديث حسن صحيح) ، وصححه الألباني في كتاب صحيح سنن الترمذي ، ح/ ٢٧١٥ ، (٣/ ٨٥) .

(٦) هو عبيد بن السبَّاق المدني الثقفي ، أبو سعيد ، التابعي الثقة . كتاب تهذيب التهذيب (٤/ ٣٦٣) رقم (٥١٤٠) ، وتقريب التهذيب (ص ٣١٧) ، رقم (٤٣٧٣) .

عنه وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، وعندهُ عُمرُ فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ[١] يوم اليمامة بالنَّاس، وإني أخشى أن يستحرَّ القتلُ بالقُرَّاء[٢] في المواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن إلا أن تجمعوه. وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قُلت لعمرَ: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟

فقال عمرُ: هو والله خيرٌ، فلم يزل عمرُ يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيتُ الذي رأى عمرُ.

قال زيد بن ثابت: وعمرُ عنده جالسٌ لا يتكلَّم، فقال أبو بكر: إنَّك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ، ولا نتهمُكَ، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه)[٣] الحديث.

وفي هذا دليل على فضل زيد بن ثابت رضي الله عنه، وكتابته للوحي في الرسول ﷺ، وجمعه في مصحف في خلافة الصديق رضي الله عنه؛ فهل لأحد بعد ذلك من المستشرقين أن يهون أو يقلل من فضائل زيد بن ثابت رضي الله عنه، بعد هذه الأحاديث الثابتة والصحيحة في فضله رضي الله عنه.

١٣ - موقف المستشرق (ركندوف) من فضائل عمار بن ياسر رضي الله عنه: يقول المستشرق ركندوف (**AECKONDORF**) عن الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (**وكان عمَّار منذ البداية أحد أتباع علي رضي الله عنه... ومات في صفين عام ٣٧هـ/٦٥٧م، وقد تقدمت به السن وصار كهلاً... وبعد ذلك قام المؤرخون الكارهون لبني أمية بتمجيده وإعلاء قدره فوضعوا أحاديث ترفع من شأنه، وقالوا إن بعض آيات القرآن تشير إليه**)[٤].

---

(١) استحرَّ: أي اشتدَّ وكَثُر. كتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٥١)، مادة: (حرر).
(٢) القرَّاء: حَفَظة القرآن.
(٣) أخرجه البخاري ح/ ٤٦٧٩ (ص ٩٧٤).
(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/ ٧٥١٠)، مادة: (عمار بن ياسر).

فالمستشرق ركندوف يتهم المؤرخين بوضع أحاديث في فضائل عمار بن ياسر رضي الله عنهما وذلك لكراهتهم لبني أمية، ومع ذلك لم يستند على دليل في كلامه.

وعلى هذا فهي تهمة باطلة جُملة وتفصيلاً.

- أما جُملةً فلعدم الدليل على قوله، واتهامه للمؤرخين بالكذب وحكمه على أحاديث فضائل ومناقب عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالوضع، وأنها مكذوبة. وهذه فرية عظيمة طالما رددها كثير من المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، وإسقاط لحالهم وكذبهم على الآخرين من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم.

- وأما تفصيلاً بالنظر إلى كتب الحديث والسيرة تجدها قد استفاضت بذكر فضائل ومناقب عمار بن ياسر رضي الله عنهما، وأقتصر هنا على ذكر حديثين وهما:

١ - في صحيح البخاري رحمه الله الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل قال: باب مناقب عمَّار وحذيفة رضي الله عنهما، ثم أخرج الحديث بسنده عن إبراهيم النخعي رحمه الله قال: (ذهب علقمةُ إلى الشام فلما دَخَلَ المسجد قال: اللهمَّ يَسِّر لي جليساً صالحاً. فجلس إلى أبي الدرداء فقال أبو الدراء: ممَّن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم أو منكم صاحِبُ السِّرِّ الذي لا يعلمُهُ غيره يعني حذيفة؟ قال قُلتُ: بَلى، قال: أليس فيكم أو منكم الذي أجاره الله على لسان نبيه(١) ﷺ؟ يعني من

(١) قال ابن حجر رحمه الله: (في رواية شعبة "أجاره الله على لسان نبيه يعني من الشيطان" وزاد في رواية شعبة "يعني عماراً" وزعم ابن التين أن المراد بقوله "على لسان نبيه" قول النبي ﷺ: "ويح عمَّار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار" وهو محتمل، ويحتمل أن يكون المراد بذلك حديث عائشة مرفوعا: "ما خُيّر عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما" أخرجه الترمذي، ولأحمد من حديث ابن مسعود مثله أخرجهما الحاكم، فكونه يختار أرشد الأمرين دائماً يقتضي أنه قد أجير من الشيطان الذي من شأنه الأمر بالغي، وروى البزار من حديث عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مُلِيء إيماناً إلى مشاشه" يعني عماراً، وإسناده صحيح، ولابن سعد في الطبقات: من طريق الحسن قال: "قال عمار: نزلنا منزلاً فأخذت قربتي ودلوي لأستقي، فقال النبي ﷺ: سيأتيك من يمنعك من الماء، فلما كنت على رأس الماء إذا رجل أسود كأنه مرس، فصرعته . . ." فذكر الحديث، وفيه قول النبي ﷺ: "ذاك الشيطان" فلعل ابن مسعود أشار إلى هذه القصة، ويحتمل أن تكون الإشارة بالإجارة المذكورة إلى ثباته على الإيمان لما أكرهه المشركون على النطق بكلمة الكفر، فنزلت فيه: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦] وقد جاء في حديث آخر "إن عماراً مليء إيماناً إلى مشاشه" أخرجه النسائي بسند صحيح، والمُشاش بضم الميم ومعجمتين الأولى خفيفة، وهذه الصفة لا تقع إلا ممن أجاره الله من الشيطان". كتاب فتح الباري، ح/ ٣٧٤٢، (٧/ ١٠٧).

الشيطان يعني عمَّاراً، قلت: بلى)[١] الحديث.

٢ – منقبة عظيمة لعمار بن ياسر رضي الله عنه، وترحيب له من قبل الرسول ﷺ ووصف له بالطيب، كما جاء عند الإمام أحمد في مسنده وغيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كنت جالساً عند النبي ﷺ فاستأذن عمَّار بن ياسر، فقال النبي ﷺ: **«ائذنوا له مرحباً بالطيب المُطيَّب»**)[٢].

وأمَّا قول المستشرق: (فوضعوا أحاديث ترفع من شأنه وقالوا إن بعض آيات القرآن تشير إليه).

فالقول بأن أحاديث فضل ومناقب عمار بن ياسر رضي الله عنهم، موضوعة ومكذوبة فهذا من البهتان العظيم، ولم يستدل له بدليل، كما قد تقدَّم ويكفي في الدلالة على فضل عمار بن ياسر رضي الله عنهم أنها قد دونت في كتب السنة بأسانيد صحيحة، إضافةً إلى وجود عدد من الأسانيد الصحيحة في كتب السيرة.

وأما عن الجزء الأخير من قوله: (إن بعض آيات القرآن تشير إليه) فلعله يقصد بذلك قول الله عز وجل: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦]، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمد بن عمَّار ابن ياسر[٣] قال: أخذ المشركون عمَّار بن ياسر فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ، وذكر آلهتهم بخير. فلما أتى النبي ﷺ، فقال: **«ما وراءك؟»** قال: شر يا رسول الله، والله ما تُركتُ حتى نِلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: **«فكيف تجد**

---

(١) صحيح البخاري، ح/ ٣٧٤٣، (ص ٧٦٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ح/ ٧٧٩، (ص ١٠٣)، والترمذي، ح/ ٣٧٩٨، وابن ماجه، ح/ ١٤٦، والحاكم في المستدرك، ح/ ٥٧١٦، (ص ١١٠٩)، أحمد بن حنبل، في فضائل الصحابة (٤/ ١٠٨٤)، رقم (١٥٩٩). وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي) ح/ ٣٧٩٨، (٣/ ٥٤٧).

(٣) هو محمد بن عمار بن ياسر العنسي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه ابن حجر: مقبول، قتله المختار بعد الستين من الهجرة. الكاشف (٢/ ٢٠٤)، رقم (٥٠٧٠)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٧٥٨) رقم (٧٣٠٠)

قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، قال: **«فإن عادوا فَعُدْ»**(١).

وقد نزلت فيه وفيمن هذا حاله آيات تُتلى إلى يوم القيامة، أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار ابن ياسر فعذّبوه، ثم تركوه فرجع إلى رسول الله ﷺ، فحدّثه بالذي لقي من قريش والذي قال، فأنزل الله تعالى ذكره عُذره: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾)(٢).

هذا الذي ذُكر عن سبب نزول هذه الآية، كما جاء ذلك عن عدد كبير من العلماء رحمهم الله تعالى، وأما تشكيك المستشرق (ركندوف) في ذلك، ولسان مقاله أنه قد وضعت أحاديث في فضل ومناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه، وأن هناك آية قد نزلت في شأن عمار رضي الله عنه لما أكره على قول الكفر، وهذا التشكيك والقول لا يُلتفت إليه كما تقدّم، وأن فضل عمار بن ياسر رضي الله عنه ومناقبه، وما نزل فيه من القرآن قد دوِّن، وله أسانيد صحيحة يرجع إليها في مظانها، والله أعلم.

* * *

---

(١) (٣/١٣٣)، وتفسير الطبري (١٤/ ٣٧٤)، والحاكم في مستدركه، ح/ ٣٤١٣ (ص ٦٦٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال عنه ابن حجر رحمه الله: (هو مرسل ورجاله ثقات، أخرجه الطبري وقبله عبدالرزاق وعنه عبد بن حميد، وأخرجه البيهقي من هذا الوجه فزاد في السند فقال: عن أبي عبيدة بن محمد ابن عمار بن أبيه) وهو مرسل أيضاً. وأخرج الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس مطولاً وفي سنده ضعف. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ح/ ٦٩٤٠ (١٢/ ٣٥٩).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٣٧٣)، وينظر: تفسير البغوي (ص ٧٢٠)، وتفسير الزمخشري (الكشاف) (ص٥٨٥)، وتفسير ابن الجوزي (زاد المسير) (ص ٧٩٥)، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٠/ ١١٨)، وتفسير ابن كثير (القرآن العظيم) (٢/ ٦٠٩)، وتفسير السيوطي (الدر المنثور) (٩/ ١٩١).

المطلب الثاني

موقف المستشرقين تجاه ما رُمي به الصحابة رضي الله عنهم من تهم ومطاعن

شتان بين من يطّلع على سير وفضائل الصحابة رضي الله عنهم في كتب السنة (صحاحها، وسننها، ومسانِدها) وبين من يطّلع عليها في كتب التاريخ والأدب، وغيرها.

إن المرء ليهوله ما يجده في كتب التاريخ والأدب من تهم ومطاعن موجهة لخير الناس، وخير القرون؛ الصحابة رضي الله عنهم، مع ما عُرف عنهم من نُبل الأخلاق، وأصالة المعدن، وتضحيتهم بنفوسهم وأموالهم نصرة لهذا الدين، ودعوة إليه.

ولما كان عصر الاستشراق؛ نزل بساحة المسلمين جنود، وعملاء وباحثون متطوعون من اليهود والنصارى وغيرهم لفحص تراث المسلمين؛ وادَّعوا الموضوعية والأمانة العلمية.

فكان من شأنهم أن اهتموا بتاريخ العرب والمسلمين، وعصره الذهبي الذي هو عصر النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فنقلوه ممسوخاً؟! (تعرف منه وتُنكر).

وأحد مقاصد هذا البحث يقوم على دراسة: موقف المستشرقين تجاه ما رُمي به الصحابة من التهم والمطاعن، لذلك آثرت في هذا المطلب أن أجعل الحديث عن موقف المستشرقين تجاه ما رُمي به الصحابة رضي الله عنهم من تُهم ومطاعن، في النقاط التالية:

أولاً: موقف المستشرقين من كتب التاريخ والأدب وغيرها، والتي امتلأت بطون صفحاته بالخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، مع وجود روايات الإخباريين والمؤرخين، والرواة الضعفاء التي تقدح في الصحابة رضي الله عنهم وفي عدالتهم.

وقد تقدَّم الكلام حول ذلك في الفصل الأول، في المبحث الثاني، والذي كان عن مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، وخلاصة القول في ذلك: أن المستشرقين اعتمدوا في الأكثر على مصادر غير أصيلة، وغير صحيحة، سواء

كان من كتب التاريخ، أو الأدب وغيرها؛ (لأن فساد المقدمة ينبني عليه فساد النتيجة). وأن ذلك كان هوىً في نفوسهم، وعلى ذلك فليس من المستغرب اتهامهم للصحابة رضي الله عنهم والطعن فيهم.

ثانياً: موقف المستشرقين من التهم والمطاعن التي وجدت في كتب التاريخ والأدب وغيرها.

يمكن القول أنه لا يوجد من بين هؤلاء المستشرقين من دافع عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، في تهمة نسبت إليه في أحد كتب التاريخ والأدب وغيرها، وإذا وجد فهذا نادر، والنادر لا حكم له.

ثالثاً: المستشرقون مصدرٌ مهمٌ للاتهام وللطعن في الصحابة رضي الله عنهم، فلقد سعى المستشرقون للاتهام والطعن في سير الصحابة رضي الله عنهم، ومثال ذلك: (هذا في قضية الخلافة على سبيل التمثيل):

يقول المستشرق فلهوزن (**WELLHAUSEN**): عن تولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة ومن بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **(وكان أبو بكر وعمر يعلماه أنهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي، بل من طريق الاغتصاب...)**(١).

من أين أتى هذا المستشرق بهذه الفرية وهذا الاتهام لخير الناس بعد الرسول ﷺ (أبو بكر وعمر رضي الله عنهما)؟ وما دليله عليه؟ ولعل هذا المستشرق قد نزعه عِرق رافضي؟!

ويقول إميل درمنغم (**Dermenghem**): **(وهل كان أبو بكر وعمر يتطلعان إلى خلافة صهرهما النبي، لقد قيل إنهما كانا متفقين مع أبي عبيدة على نيل خلافته للتناوب بعد وفاته)**(٢).

وهذه محاولة لجعل الخلافة الراشدة وكراً للمؤامرات والدسائس والتكتلات،

---

(١) كتاب: تاريخ الدولة العربية، فلهوزن (ص ٣٤).

(٢) كتاب: حياة محمد، إميل درمنغم (ص ٢٨٣).

كما هي حالة الغرب في حكوماتهم وانتخاباتهم، وإسقاط ما هم عليه على حال المجتمع الإسلامي الأول.

ويقول المستشرق ماسيه (MASSE): (**لم يترك محمد عند وفاته ولداً ذكراً، فقد توفي أبناؤه في سن مبكرة... إذاً فقد اندلعت أزمة سياسية حول موضوع خلافة محمد، وتصارع المدنيون والمكيون على السلطة، وتألفت عدة أحزاب، ولكن عمر تغلب على الشعب، وأقسم يمين الإخلاص بين يدي أبي بكر، وألّب حوله معظم الأصوات الذي حسم الخلاف**)(١).

فقد جعل هذا المستشرق من الخلاف حول الخلافة والذي انتهى في اجتماع واحد، وفي مكان واحد، ولمرة واحدة بأنه اندلعت أزمة سياسية، وتصارع بين الأنصار والمهاجرين، ووجدت أحزاب... إلخ، كل هذا تضخيم وتحريف واتهام للصحابة رضي الله عنهم بالطمع في أمور الزعامة والرئاسة. وكيف يكون هذا منهم وهم القدوات للمسلمين في سائر عصورهم وأزمانهم.

وقضية الخلافة ومن يلي أمرها من الصحابة رضي الله عنهم على الرغم من وضوحها، إلا أن الكثير ممن كتبوا حولها لم يتجردوا من أهوائهم سواء كان ذلك من الإخباريين الذين رووا ذلك في كتب التاريخ والأخبار، أو من تلقّى ذلك من المستشرقين.

ويحاول المستشرق لامنس (LAMMENS) أن يدخل في مسألة الخلافة بعض الصحابة رضي الله عنهم، فيقول عن حفصة بنت عمر رضي الله عنها: (**وقد وضعت كل ما لها من سلطان في خدمة حكومة الثلاثة، وهو الحزب الذي كان يسعى إلى استخلاف أبي بكر وعمر بعد محمد**)(٢).

فيرى المستشرق هنري لامنس: أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها كان لها سلطان دعمت به حكومة الخلفاء الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان. لكنه هنا لم

---

(١) كتاب: الإسلام، لهنري ماسيه (ص ٥٧).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٣/ ٤٠٧٤).

يفسر أي سلطان كان لها في خدمة الخلفاء الثلاثة، وما الحزب الذي سعى إلى استخلافهم؟

اتهام وطعن في الصحابة رضي الله عنهم، وكأن أمر الخلافة مجموعة من المؤامرات، وتكتلات الأحزاب، ومنافع ومصالح مشتركة، وإغفال لأمر المجتمع، ومحاولة لإسقاط الواقع المعاش في أوربا على واقع مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يدل على عدم الأمانة والتجرُّد في نقل النصوص التاريخية الثابتة في مسألة الخلافة.

ويحاول المستشرق مونتجمري وات (**MONTGOMERY**) أن يطعن في علاقة الصحابة بعضهم مع بعض، وأن يخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم فيقول: **(وكانت تربط عائشة بعمر علاقة ودية طيبة، وإن كانت لم تشارك على ما يبدو في الشؤون العامة على أنها شاركت بنصيب بارز في المعارضة التي قامت في وجه الخليفة الثالث عثمان)**[١].

فالمستشرق هنا يبين علاقة عائشة رضي الله عنها بالخليفتين: عمر، وعثمان رضي الله عنهما. وأن علاقتها بعمر طيبة، وفي عهده لم تشارك في الشؤون العامة، أما في عهد عثمان رضي الله عنه فقد عارضته.

وفي القول الأخير اتهام وفرية عظيمة، وأن عائشة رضي الله عنها كانت من المعارضة على حسب مقالته وغيره من المستشرقين، فهم يجعلون من كل خلاف في الرأي معارضة، وعداء ومؤامرة؟

وهذا كله منهم محاولة للطعن في الصحابة رضي الله عنهم؛ وكأن عصرهم وحياتهم كانت معارضات وعداوات وحروب، ودسائس وهذا باطل كل البطلان.

رابعاً: موقف المستشرقين من التهم والمطاعن التي وجهها المستشرقون للصحابة رضي الله عنهم:

من المعلوم لدى كل من يطلّع على مؤلفات المستشرقين، أن بعضهم ينقل من

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٢/ ٧٠٣٩).

بعض، ومن هذا البعض الاتهام والطعن في الصحابة رضي الله عنهم، ومن النادر أن ينقده بعض المستشرقين في اتهامه وطعنه، وسأذكر مثالين: أحدهما على التأييد في اتهام الصحابي والطعن فيه، والآخر: الإنكار.

المثال الأول: اتهام المستشرق جولدتسيهر (**GOLDZIHER**) أبي هريرة رضي الله عنه بالكذب! ونقله وصف شبرنكر له بذلك فيقول: (**وتقدر الأحاديث التي تُضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث، لا ريب أن عدداً كبيراً قد نحل له... وقد وصفه شبرنكر بأنه «المتطرف في الاختلاق ورعاً» ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثيراً من الأحاديث التي تنسبها الروايات إليه إنما قد نحلت له في عصر متأخر**)[١].

فسياق المستشرق جولدتسيهر لقول وصف شبرنكر لأبي هريرة رضي الله عنه، يدل على موافقته له، وإلا لقال مثل قول المستشرق الآخر روبسون (**ROBSON**) عندما قال عن قول شبرنكر: (**ولكن يصعب علينا أن نقر ما نعته به شبرنكر بقوله: إنه المنافق الورع من الطراز الأول**)[٢].

ومع ذلك فإن المستشرق روبسون لم يصحح جميع أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: (**الأحاديث التي رُفعت إليه ليست كلها بالضرورة من روايته؛ فقد لا يكون أبو هريرة أكثر من سند مُواتٍ نُسبت إليه أحاديث وضعت في زمن متأخر عنه.**

والمظنون أن أبا هريرة روى أخباراً كثيرة عن النبي ﷺ، على أن الصحيح منها قد يكون عدداً صغيراً من ذلك الحشد الهائل من الأحاديث التي رفعت إليه)[٣].

والشاهد: أن المستشرق روبسون تلطَّف في العبارة فقط، وإلا فهو لم يصحح أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا واضح لمن تأمَّل ذلك.

والمثال الآخر: ويمثل عليه بما قاله المستشرق لامنس (**LAMMENS**) في طعنه في سيرة فاطمة بنت رسول الله ﷺ حيث قال عنها: (**فهي امرأة غير جذابة، ذات ذكاء**

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٤٢٨)، مادة: (أبو هريرة).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٢٩).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٣٠).

متوسط، مهملة تماماً، لا يقدرها أبوها النبي [ﷺ] إلا قليلاً، ويعاملها زوجها (الإمام علي) معاملة سيئة)(١) .

وقد ردت عليه المستشرقة فيشيا فاجليري (L.VECCIA) في قوله: (**لا يقدرها أبوها...**) إلخ .

قالت: (**وكيف يهمل محمد ابنته فاطمة مع ما عرف من تعلقها الشديد به وحبها له... أما قول لامنس أن علياً كان يعامل فاطمة بخشونة وقسوة فالوقائع التاريخية بما في ذلك الوارد منها في هذا المقال تشير إلى تقدير علي لفاطمة، وإن كان الأمر لا يخلو من خلافات زوجية سرعان ما تُسوَّى)**(٢) .

خامساً: أهم مؤلفات المستشرقين التي هي مظان للاتهام والطعن في الصحابة رضي الله عنهم .

لا تخلوا مؤلفات المستشرقين من اتهام الصحابة رضي الله عنهم والطعن فيهم ، إلا في النادر كما في كتاب تاريخ التشريع الإسلامي للمستشرقة بوجينا غيانة ستشيجفسكا (STRYZEWSKA) حيث التزمت الأمانة العلمية والتجرُّد في كتابته عن الخلفاء الراشدين .

أما بقية مؤلفات المستشرقين فمستقل ومستكثر .

ويأتي على قائمة نتاج المستشرقين: (دائرة المعارف الإسلامية) ؛ والتي كانت بُؤرة للطعن والاتهام للإسلام والمسلمين . ويأتي تاريخ وسير الصحابة رضي الله عنهم تبع لذلك . (وهذه المطاعن والاتهامات للصحابة رضي الله عنهم منثورة في مباحث ومطالب هذا البحث من أوله إلى آخره) .

لكن العجب من بعض الباحثين ، كباراً وصغاراً حين يعمدون للأخذ من هذه الدائرة ؛ مع ما فيها من الأخطاء القبيحة ، وتزوير الحقائق ، مع عدم الأمانة في النقل

---

(١) المصدر السابق (٢٥/ ٧٧٠٧) ، مادة: (فاطمة) .

(٢) المصدر السابق (٢٥/ ٧٧٠٨) .

والعزو، والتجرد والموضوعية في الحكم على الأحداث والأشخاص.

ومن كتب المستشرقين التي هي مجالٌ خصبٌ للطعن والاتهام للصحابة رضي الله عنهم، كتاب: تاريخ العرب العام، للمستشرق سيديو، وكتاب: محمد مؤسس الدين الإسلامي، لجورج بوش، وتاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، وكتاب: محمد في المدينة، لمونتجمري وات، وكتاب: تاريخ الدولة العربية، لفلهوزن، وكتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية، لبلياييف.

وكتب المستشرق فيليب حتى: العرب تاريخ موجز، والإسلام منهج حياة وغيره، وكتاب: الرسول حياة محمد، لبودلي (شديد العدوانية، مع محاولته الطعن والاتهام للصحابة رضي الله عنهم، والرسول ﷺ).

وكتاب: حياة محمد، لإميل درمنغم، وكتاب: الفتوحات العربية الكبرى، لجون باجوت جلوب، وكتاب: الإسلام، لهنري ماسيه، وقصة الحضارة، لول ديورانت وغيرها.

* * *

المبحث الثالث

موقف المستشرقين من الخلاف الذي وقع بين بعض الصحابة رضي الله عنهم

اعتمد المستشرقون في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم على كثير من كتب التاريخ والأخبار، وكتب الأدب والأسمار وغيرها، وسلَّموا لها بالصحة فيما نقلته عن الصحابة رضي الله عنهم، وسيرهم وأخبارهم، مع ما فيها من الضعف في رواتها وأخبارها المنقطعة، والضعيفة، وكون كثير من أصحاب هذه الكتب أو الأخبار من المتهمين بالرفض والتشيُّع والمعاداة للصحابة رضي الله عنهم، وصنع الأخبار في مثالبهم والقدح في عدالتهم.

لذا فقد استغل المستشرقون هذه المصادر والنقل عنها والخوض فيما جرى بين الصحابة من الخلاف، وخاصة قبيل مقتل عثمان، وتشويه سيرته رضي الله عنه بأنواع من التهم والافتراءات الظالمة، إضافة إلى الأحداث الكبيرة التي تلت مقتله من الخلاف الذي حصل بين علي ومعاوية، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

والكتابة في هذا المبحث باب عظيم، يؤدي بنا إلى التوسع المخالف للمنهج الذي رأيته في كتابة هذه الرسالة.

ولذا سوف أقتصر على ذكر بعض ما كتبه المستشرقون عن الصحابة رضي الله عنهم في زمن الخلاف الذي حصل بينهم، وأبين موقف أهل السنة والجماعة من الخوض فيما شَجَر بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف.

كما أنبِّه أن هذا الموضوع سيدرس بتوسع في الفصل الثالث الذي هو بعنوان: موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم تفصيلاً، في المبحث الأول.

وهذه بعض آراء المستشرقين وخوضهم فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف بعد فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وهذه بعضاً منها:

يقول المستشرق سيديو (SEDILLOT) عن الفتنة التي قُتل فيها عثمان رضي الله عنه وأدت إلى الخلاف بين بعض الصحابة رضي الله عنهم: (قتل عثمان، فسفكت دماء

في غير سبيل القرآن ، فما كانت خلافة علي إلا سلسلة طويلة لحروب أهلية ، وكان محمدٌ قد رحم خصومه العتاة من قريش فأدخلهم إلى حظيرة الإسلام ، فكانت تتألف من هؤلاء طبقةٌ من الأشراف عند العرب فاستولوا بالتدريج على جميع مرافق الدولة ، وكان عمر يزجرهم ، فكانت لهم ضِلعٌ في نصب عثمان خليفةً ، فتخلصوا منه عندما أراد أن يُفلِت منهم ، ثم تذرعوا بحجة ثأره مع أن قتله كان من عملهم ، فدعوا إلى الفتنة في جميع أنحاء الدولة ، ثم قهروا بالحيلة عليّاً الذي كان لا يدانيه أحدٌ في الشجاعة والمروءة ، بعد أن عجزوا عن الظفر به ، فدلُّوا خِنجَرَ متعصب عليه .

ولم يكد معاوية بن أبي سفيان يقبض على زمام السلطة حتى ظهر أنه ولي أمر ممتاز . . . ولم يخش الحسن بن علي الأكبر الذي تنازل له عن الخلافة في سنة ٦٦١ مكتفياً بعزلةٍ هادئة في المدينة)[١] .

وهذا القول من هذا المستشرق صيد في الماء العكر ، حيث يحاول النيل من بعض الصحابة رضي الله عنهم وبخاصة من كان من بني أمية ، ويسميهم هنا بالأشراف ، ويتهمهم بأنهم استولوا على مرافق الدولة ، وأن لهم يدٌ في نصب عثمان رضي الله عنه ، وأنهم هم الذين تخلصوا من عثمان رضي الله عنه ، ثم قالوا بأخذ الثأر من قتلته ، وأنهم احتالوا على علي ، ولعله يقصد قضية التحكيم .

ثم في الأخير يمدح معاوية رضي الله عنه بأنه قبض على زمام السلطة والخلافة حتى ظهر أنه ولي أمر ممتاز .

من خلال ما سبق يتبين مقدار التزوير والخوض في الأحداث والخلاف الذي جرى بين الصحابة ، وما دليل هذا المستشرق على هذه التُّهم التي كَالَها لهم جِزافاً .

أين الموضوعية ، والتجرد والأمانة في النقل الذي طالما تبجحوا به في مقالاتهم ، ودبَّجوه في كتاباتهم؟!

وأما المستشرق كلود كاهن (**CAHEN**) فيقول عن الخلاف الذي حصل بين

---

(١) تاريخ العرب العام ، لسيديو (ص ١٦٥) .

الصحابة: (. . . تعرض عثمان لتهمة محاباة أقربائه كما تعرض لمناهضة متزايدة من قبل أولئك الخصوم، وهي زوجة الرسول التي مازالت آنئذ في ريعان شبابها، وكان علي أيضاً – وهو ابن عم النبي وصهره – خصماً لعثمان، وكذلك عمرو بن العاص وغيره، وكان لا مفر من قيام التحالف بين مبعوثي هؤلاء وأولئك من الخصوم، وأدى هذا التحالف إلى اغتيال الخليفة العجوز أثناء صلاته وفي ظروف لا تخلو من الغموض. . .)[١].

فالمستشرق كاهن، يخوض في الأحداث التي جرت في عهد عثمان رضي الله عنه والتي أدت إلى استشهاده على الأيدي الآثمة من شُذَّاذ الأمصار، ويحاول أن يرمي بعض الصحابة رضي الله عنه، وأنه كان هناك اتفاق بين الصحابة وبين خصوم عثمان رضي الله عنه، وفي الأخير يعترف بأنها وقعت في ظروف لا تخلو من الغموض. وكلامه هذا قدحٌ في الصحابة رضي الله عنهم.

ويصوِّر المستشرق فلهوزن (WELLHAUSEN) الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم فيقول: (وكان بدء الخلاف في الإسلام الثورة على عثمان: في سبيل الله ضد الخليفة، ومن أجل الحق والعدل ضد فساد الحكم وظلمه. وهي كلمات لم تستعمل ضد عثمان وحده، بل ضد كل حاكم يضل عن سواء السبيل.

فاستخدمها الخوارج ضد علي نفسه، فانفصلوا بهذا عن شيعته وصاروا خوارج.

فالثورة التي أتت بعلي إلى الخلافة لم تتهاون معه حينما ضل الطريق. لقد تخلى عن الحق الإلهي، حق الجهاد ضد عثمان ومعاوية، من أن يصوم ميثاقاً مع بني الإنسان، ميثاقاً يقضي على ذلك الحق الإلهي، ولهذا ساخت الأرض تحت قدميه وقضي على الخلافة)[٢].

فالمستشرق فلهوزن من خلال النص السابق يُفهَم من كلامه موافقته على فعل الخوارج، وكأن الخليفة عثمان بن عفان، أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، من الولاة الظلمة، وكأن ثورة هؤلاء الأعراب وشُذاذ الأمصار كان بينها وبين علي ميثاق،

(١) كتاب: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، لكلود كاهن (ص ٣١).

(٢) كتاب: أحزاب المعارضة الدينية في صدر الإسلام – الخوارج والشيعة، لفلهوزن (ص ٣٩ – ٤٠).

مع تأثر المستشرق بالمبدأ الإلهي الموجود عند الرافضة ، وبهذا يتبين الخوض بالباطل في معترك الخلافة الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم ، مع ضياع الأمانة العلمية في النقل للمصادر ، وفقد التجرُّد العلمي المذاع بينهم في دراسة مسألة الخلاف هذه .

ويدرس المستشرق رينولد نيكلسون (**REYNOLD NIECHOLSON**)[١] الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم وكأنه عداء بين دولة مستقلة تحكمها المصالح فيقول: (كانت مناهضة الأحزاب السياسية والفرق الدينية للبيت الأموي اللغم الذي أخذ يقوِّض دعائمه شيئاً فشيئاً ، حتى انهار ولم تقم له قائمة بعد ذلك .

كانت وجهة معارضي الأمويين سياسيةً بادئ ذي بدء ، إذ كان معنى تولي معاوية الحكم انتصار الشام على العراق ، ومن ثم أصبحت عاصمة الدولة ، وحلَّت محل الكوفة ، وقد لاحظ (فلهوزن) (أن أشد الصيحات خطراً على بني أمية كانت منبعثة من العراق ، فلم تكن صيحة حزب خاص بذاته ، ولكنها صدى صوت جميع العرب المقيمين هناك ، والذين اتفقوا جميعاً على استنكار ضياع استقلالهم SELBSTHERRLICHKEIT وعلى كراهية أولئك الذين آل إليهم الأمر) .

فالمستشرق رينولد نيكلسون (**REYNOLD NIECHOLSON**) يدرس الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم ، وكأنها أحداث سياسية ، أو اختلاف بين فرق دينية ، وأن هذه الأحزاب السياسية والفرق الدينية هي التي عملت على تقويض البيت الأموي ، ويقصد به عثمان ، ثم ينتقل بالخلاف إلى الخلاف بين الشام والعراق وكأنه استقلال بين دولتين ، وكل دولة تسعى إلى الاستقلال والسيطرة على الأخرى .

وهذه دراسة بعيدة عن الحق والصواب في مجريات الأحداث ، والخلاف الذي

(١) نيكلسون (**NICHOLSON**) مستشرق إنجليزي ، يعد بعد ((ماسينيون) أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي ، ولد في ٨ أغسطس ١٨٦٨م ، وتوفي ١٩٤٥م ، له مقالات عديدة في التصوف الإسلامي نشرها في دائرة معارف الدين والأخلاق ، ودائرة معارف الإسلام ، وجمع بعضها في مجلد بعنوان: (دراسات في التصوف الإسلامي) . موسوعة المستشرقين ، لعبدالرحمن بدوي (ص ٥٩٣) ، الفرق السياسية في الإسلام ، لرنيولد نيلكسون ، مقال في مجلة الرسالة ، القاهرة ، العدد ٤٤٨ ، (ص ١٢٦) .

حصل بين الصحابة. وتصويره للأمر بأكبر من حجمه، وتسميةً له بغير اسمه، فسياسياً لم يكن هناك إلا خليفة واحد، ودينياً لم يكن هناك إلا جماعة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين. إلا إذا قصد السبئية فهي متخفية مطرودة لا كيان لها، وهي التي خرَّجت الخوارج بعد صفين، كما هو مبسوط في كتب التاريخ وغيرها، ثم بضدها، وُجِدَ التشيع[(١)].

ويقول المستشرق دوزي (DOZY) عن تسلم علي رضي الله عنه للخلافة والأحداث التي جرت فيها فيقول: (لم يكد علي يتسلم من الأنصار مقاليد الخلافة حتى عزل جميع عمال عثمان، وأبدلهم بمسلمين من رجال العهد القديم... لم تطل نشوة القوم إذ سرعان ما دبَّ الشِّقاق بين القادة أنفسهم، فقد جمع في الخلافة كل واحد من أولئك الثلاثة الذين أعانوا قتلة عثمان، وفجع طلحة والزبير في آمالهما، فأجبرا - والسيف على رقبتيهما - على مبايعة المجدود، ثم غادرا المدينة ولحقا بعائشة الطموحة، أرملة النبي التي تآمرت من قبل على عثمان، لكنها أخذت الآن تستفز القوم للثأر له والتمرد على علي الذي كانت تكرهه بدافع كبريائها المجروحة إذ جرؤ ذات مرة - في حياة الرسول - على التشكيك في عفتها)[(٢)].

وهذا خوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم بالباطل، حيث يصور الصحابة رضي الله عنهم، بصور عدة ومنها: طمع كل من طلحة والزبير بالخلافة، تآمر بعض الصحابة رضي الله عنهم على بعض، فطلحة والزبير يتآمران مع عائشة رضي الله عنهم أجمعين ضد علي، وصورة أخرى لعائشة رضي الله عنها وأنها تكره علي لتشكيكه في عفَّتها في قضية الإفك؟!

وأصل ما سبق موجود في كتب التاريخ وغيرها، وهذا من الباطل الذي اعتمد

---

(١) ينظر: كتاب مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٠٧)، والفَرْق بين الفِرَق، للبغدادي (ص٥١)، والتبصير في معالم الدين، للإسفراييني (ص ٤٥)، وكتاب: الملل والنحل، للشهرستاني (ص٩١)، وكتاب: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخرالرازي، (ص ٤٩)، وكتاب: البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان، (ص ١٧)، وتلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، للفخري، (ص ٤٨).

(٢) كتاب: تاريخ مسلمي إسبانيا، لدوزي (١/ ٤٣).

عليه المستشرقون في خوضهم فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم .

أما المستشرق بليابيف (BELIAEV) فيقول عن الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم: (بويع علي بن أبي طالب ابن عمر الرسول وزوج ابنته فاطمة بالخلافة ، ولكن فئة من الصحابة التي كانت قد أَثْرت واحتلت مكانة اجتماعية بارزة راحت تعارض مبايعة علي بالخلافة ، ومن البديهي أن تضم جماعة المعارضين أقرباء الخليفة القتيل وعلى رأسهم طلحة والزبير تؤيدهما عائشة أرملة الرسول . . . أما المقاومة العنيفة التي لقيها علي فكانت من الأمويين الذين كانوا قد ازدادوا غنى وجاهاً في عهد الخليفة عثمان ، وتزعَّم تلك المقاومة معاوية الخليفة على سوريا الغنية المتحضرة ، والذي كان عنده جيش ومال وفير)[١] .

فالمستشرق بليابيف ماركسي ؛ لذا تطغى عليه النظرة المادية ، فيركز على مسألة المال ، وأنه بسببه حصلت المعارضة من بعض الصحابة رضي الله عنهم ، لخلافة علي رضي الله عنه ، من طلحة والزبير ، وكذلك من الأمويين وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه .

ولا شك بأن هذه النظرة متعسفة وبعيدة عن الواقع كثيراً وفيها مغالطة لكثير من الحقائق . وعدم التحري لصدق النتائج .

أما المستشرق سورديل (SOURDEL) فيحاول الخروج بالخلاف إلى جهة أخرى حيث يقول: (إن ارتياب بعض الأوساط العربية لم يفتأ يواكب معاوية وأخيه ، وهما من أرستقراطية قريش العريقة ، وولدا أبي سفيان الزعيم المكي البارع الذي مع أنه من أقارب النبي ، كان أشرس مناهضيه خلال الفترة المكية كما في المرحلة المدنية من حياته .

كان شعور الارتياب نفسه قد عمل ضد ثالث الخلفاء عثمان الذي هو من بني أمية ، ولم يكفه كونه من قدماء صحابة النبي ولا صهراً له لإبطال عداوة العناصر الشيعية . . .)[٢] .

فهذا المستشرق يحاول من خلال الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله

(١) العرب والإسلام والخلافة العربية ، لبليابيف (ص ١٩٨ – ١٩٩) .

(٢) كتاب: الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي ، لدومنيك (ص ٤٠) .

عنهم إلى التشكيك في إسلام وفضل بني أمية ، وذكر عدداً منهم: معاوية ، وأخيه يزيد ، ووالدهم أبو سفيان ، وفي الأخير يصل إلى عثمان رضي الله عنه ، وأن فضله ومصاهرته للرسول ﷺ كافية وسبب لإبطال عداوة الشيعة له .

والحقيقة هي أن أعداء بني أمية ليسوا من الشيعة فقط بل من الخوارج والمستشرقين ، ويلاحظ هذا على كتاباتهم عن عثمان ومعاوية وغيرهما ، وذلك للوصول إلى غايات دنيئة ، ومنها تشويه صورة عظيمين من عظماء الإسلام كان لها جهاد ضد الروم فليُتأمل؟

وبهذا يتبين أن هؤلاء المستشرقين الذين ذكرت أقوالهم في الخلاف الذي جرى بين الصحابة ، لم ينقلوا بأمانة ، ولم يحكموا بعدل ، وإنما حاولوا تشويه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم .

وهذه الأقوال الجائرة من المستشرقين والتي خاضت فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف كان مردها إلى أمور منها:

١ – اعتمادهم على كتب التاريخ والأخبار وقصص السمر ، والحكايات العامية ، والكتب المنحولة والضعيفة مثل كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني ، و(البيان والتبيين) للجاحظ المعتزلي ، و(الإمامة والسياسة) المنسوب زوراً لابن قتيبة ، و(الكامل في الأدب) للمبرد ، و(نهج البلاغة) المنسوب زوراً لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وشرحه لابن أبي الحديد ، وغيرها من الكتب ، مع ما يجدونه من الروايات الموضوعة والضعيفة في تاريخ الطبري ، والمسعودي ، واليعقوبي .

٢ – جهل الكثير منهم فن الرواية والإسناد في الأخبار المروية ؛ فاستوى عندهم الحق والباطل ، وأضافوا إلى دخيلة حقدهم على الإسلام ودولته ، وتاريخه ، وادعوا منهجاً تحليلياً يكذبون به على الحقائق ، ويستنطقون الروايات بما لا تنطق به ، ويزعمون أن هذا ما وراء السطور ، فأحالوا تاريخ الأمة إلى مؤامرات ودسائس ، قياساً على ما

عرفته أوربا من مكايد البلاط في عصور مظلمة(١) .

٣ – أن الصحابة رضي الله عنهم يمثلون النماذج الرفيعة للمسلم المؤمن بربه ورسوله ، والتي كانت لها جهود في تبليغ الإسلام للعالمين ، وتسليط الضوء على سيرهم يمثل خطراً بالغاً على أهل الديانتين (اليهود والنصارى) وغيرهم ، حيث يؤدي إلى إعادة المد الإسلامي إلى بلدان العالم الأخرى ، ويكسر احتكار القوة المتداولة بين اليهود والنصارى ، التي تفرضها على دول العالم اقتصاديّاً وسياسيّاً(٢) .

هذا والموقف الصواب فيما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف أن يقال: بأن الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم من المسائل العظيمة والشائكة ، وذلك لكثرة الروايات حوله ، مع ما فيها من الضعف ، والنقل عن كثير من الرافضة ، كما هو في تاريخ الطبري وغيره ؛ لذلك كان على المسلم الموفق التزام ما كان عليه أئمة السلف رحمهم الله تعالى في موقفهم من الخوض فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم . مع الأخذ بعين الاعتبار لهذه الأمور التالية:

١ – أن كثير مما نقل عنهم فيه ضعف ، وقد يكون من بين رواته كذبة كما هو الحال في كتب التواريخ والأخبار وغيرها .

٢ – أن من نقل عنهم لو حكمنا بصحته ففيه زيادة ونقصان ؛ مما يؤدي إلى عدم الإصابة في الحكم .

٣ – أن الصحابة رضي الله عنهم بشر غير معصومين من الخطأ .

٤ – إحسان الظن بالصحابة رضي الله عنهم ، وأنهم أرادوا الخير فمنهم من أصابه ، ومنهم قصر عنه .

٥ – أن من اجتهد من الصحابة في أمر وأصابه فله أجران ، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، ومن أخطأ بعد الاجتهاد فله أجر الاجتهاد .

٦ – أن منزلة الصحبة عالية ، وجانبها عظيم ، والقدح فيها قدحٌ في الرسول ﷺ ،

---

(١) ينظر: كتاب منهج دراسة التاريخ الإسلامي ، تأليف دكتور: محمد أمحزون (ص ١١) بتصرف .

(٢) ينظر: كتاب المستشرقون والإسلام ، تأليف: محمد قطب (ص ٦٤) بتصرف .

وفيما نقلوه من الشرع المطهر .

وهذه بعض النصوص عن أئمة السلف في موقف المسلم من الخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

يقول الإمام إسماعيل بن يحيى المزني[١] في الموقف الصواب مما حدث من الخلاف بين الصحابة: (ويقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شَجَر بينهم، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيِّهم، وارتضاهم الله عز وجل لنبيه، وخلقهم أنصاراً لدينه؛ فهم أئمة الدين، وأعلام المسلمين، فرحمة الله عليهم أجمعين)[٢] .

فالإمام إسماعيل المزني يقول بالإمساك عن الخوض فيما شَجَر بين الصحابة رضي الله عنهم، ثم يبين سبب ذلك بما ذكره من فضائلهم رضي الله عنهم .

ولما كانت كتب التاريخ والأخبار وغيرها قد مُلئت بأخبار الصحابة رضي الله عنهم وما حدث بينهم من الخلاف، فعلى المسلم كما يقول الإمام الحسن البربهاري رحمه الله: (والكفَّ عن حرب عليّ ومعاوية، وعائشة وطلحة والزبير رحمهم الله أجمعين ومن كان معهم، ولا تخاصم فيهم، وكِلْ أمرهم إلى الله تبارك وتعالى، فإن رسول الله ﷺ قال: **«إيَّاكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني»**[٣] . وقوله: **«إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»**[٤])[٥] .

ويقول الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني رحمه الله: (ويرون الكفَّ عما شَجَر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم، ونقصاً

---

(١) هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري، تلميذ الشافعي . أحد الأئمة الكبار . قال ابن خلكان: (هو إمام الشافعيين، وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه)، وقال الذهبي: (الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزُّهاد)، توفي سنة ٢٦٤هـ . وفيات الأعيان (١/ ٢١٧)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢) .

(٢) كتاب: شرح السنة، للإمام إسماعيل المزني (ص ٨٧)، رقم (١٦) .

(٣) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١/ ٢٥٩)، رقم (٤٩٦)، والطبراني في معجمه الكبير (٦/ ١٠٤)، رقم (٥٦٤٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢/ ١١٩)، وضعَّف الحديث الألباني في ضعيف الجامع، (ص ٢٢١) رقم (١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧) .

(٤) أخرجه البخاري، ح/ ٤٢٧٤ (ص ٨٧٨)، ومسلم، ح/ ١٦١ (ص ١٠٩٨) .

(٥) كتاب شرح السنة، للإمام البربهاري (ص ١٠٩) رقم (١٢٠) .

فيهم. ويرون الترحُّم على جميعهم، والموالاة لكافتهم)(١).

وفي هذا القول كفٌّ عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم مع سلامة القلب واللسان لهم، ومحبتهم جميعاً.

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فيقول: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بَلَغَ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَهُ»**(٢))(٣).

وفي موضع آخر يقول ابن تيمية رحمه الله: (ويقولون(٤): إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغيِّر عن وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون، إمَّا مجتهدون مصيبون، وإمَّا مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: **«إنهم خير القرون»** و**«إن المد من أحدهم إذا تصدَّق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم»**.

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني (ص ٢٩٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٥٢) [العقيدة الواسطية].

(٤) يعني أهل السنة والجماعة.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم.

ثم القَدْر الذي يُنكر من فِعل بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح)[١].

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله أيضاً: (وأما ما شَجَر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام، فمنه ما وقع عن غير قصدٍ، كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صفين. والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضاً، وأمَّا المصيب فله أجران اثنان، وكان عليٌّ وأصحابُه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين)[٢].

والخلاصة في ذلك: أن (الواجب لهم علينا سلامة قلوبنا وألسنتنا لهم، ونشر فضائلهم، والكفّ عن مساويهم وما شجر بينهم، والتنويه بشأنهم كما نوَّه تعالى بذكرهم في التوارة والإنجيل والقرآن، وثبتت الأحاديث الصحيحة في الكتب المشهورة من الأمهات وغيرها في فضائلهم)[٣]. والإعراض عن كثير من الكتب التاريخية، والأدبية التي نشرت مثالبهم وقدحت في عدالتهم.

---

(١) الفتاوى (٣/ ١٥٥) [العقيدة الواسطية].

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تأليف: أحمد شاكر (ص ١٦٦).

(٣) كتاب: أعلام السنة المنشورة، للشيخ حافظ الحكمي (ص ٢٢٢).

الفصل الثالث

موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم تفصيلاً

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: موقف المستشرقين من الخلافة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.
- المبحث الثاني: موقف المستشرقين من آل بيت النبي ﷺ.
- المبحث الثالث: موقفهم من المهاجرين رضي الله عنهم تفصيلاً.
- المبحث الرابع: موقفهم من الأنصار رضي الله عنهم تفصيلاً.
- المبحث الخامس: موقفهم من بقية الصحابة رضي الله عنهم.
- المبحث السادس: آثار موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم على الدراسات المعاصرة.

المبحث الأول

موقف المستشرقين من الخلافة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

المطلب الأول: موقف المستشرقين من الخلافة الراشدة

لقد كان موضوع الخلافة الراشدة وخاصة ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من اختلاف في تعيين خليفة بعد وفاة الرسول ﷺ في سقيفة بني ساعدة من القضايا المهمة التي حاول المستشرقون دراستها والكتابة حولها؛ إضافة إلى إخضاعها لمناهجهم في تفسير ودراسة التاريخ الإسلامي وما يتصل به من أحداث.

تعريف الخلافة عند المستشرقين: لما كان المستشرقون قد بحثوا كثيراً من المسميات الإسلامية، في (دائرة المعارف الإسلامية) وغيرها، ومن ضمنها: التعريف بالخليفة أو الخلافة، وكذلك تناولوا مسمى الخلفاء الراشدين، على سبيل الإشارة في كثير من كتاباتهم عن الإسلام وأهله فيقول المستشرق أرنولد (**T.W.Arnold**) عن معنى خليفة: «خليفة»: لقب رأس الجماعة الإسلامية، وهو الإمام... بوصفه (خليفة رسول الله).

ترد هذه الكلمة كثيراً في القرآن بصيغتي المفرد والجمع (خلائف وخلفاء) وهي في صيغة الجمع تشير إلى الذين يخلفون آباءهم في نعيم الله ورضوانه (سورة الأنعام، الآية: ١٦٥، سورة النور، الآية: ٥٤، سورة النمل، الآية: ٦٣، وهي في هذه الآيات بمعنى عباد الله الصالحين، وهي تشير في سورة الأعراف الآيتين ٦٧، ٧٢ إلى قبائل عاد وثمود الوثنية).

وتشير كلمة خليفة في صيغة المفرد إلى آدم (سورة البقرة، الآية: ٢٨) سواء أكان خليفة للملائكة الذين كانوا يعيشون في الأرض من قبله [1] أم خليفة لله، وداود (سورة

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٨) وما بعدها ولعله يعني قول من قال في الحديث الذي أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن... فأول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً قال: فبعث الله جل وعز إليهم إبليس في جند من الملائكة، وهم هذا الحي الذي يقال لهم: الجنّ فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، سورة البقرة، ح/ ٣٠٨٩، =

ص الآية ٢٥) ، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ . وليس في هذه الآيات كلها دليل واضح على أن المقصود بهذه الكلمة أن تكون لقباً لمن يخلف محمداً (صلعم)(١) ويقرر المؤرخون المسلمون بصفة عامة أن أبا بكر هو أول من استعمل هذه الكلمة في هذا المعنى ، ومع ذلك يشك في أن أبا بكر قد اتخذها في أي وقت من الأوقات لقباً له (Annali Dell Islam: Caetani)(٢) حوادث عام ١١ من الهجرة ، فقرة ٢٦٣ ، تعليق رقم ١) . ولكنها أصبحت منذ عهد عمر اللقب الشائع لأمير المؤمنين . . . وفي اللقب «خليفة رسول الله» ما ينبئ بادعاء القيام بما كان يقوم به النبي ، وممارسة حقوقه فيما عدا النبوة التي يعتقد أنها انتهت بموته)(٣) .

ففي هذا النص جمع المستشرق (أرنولد) ، بحث كلمة خليفة في القرآن ، وما تفرع عن جذرها ، وخرج بنتيجة أنه لا يوجد دليل واضح على أن المقصود بكلمة «خليفة» هي لقب لمن يخلف الرسول ﷺ ، إضافة إلى تشكيكه في أن أول من لُقب بالخليفة الصديق رضي الله عنه ، ثم يبين أن معنى الخلافة ، هي القيام ببعض المهام التي كان الرسول ﷺ يقوم بها . وينتقد هذا المستشرق في الأمور التالية:

- أن دراسته للفظ «خليفة» اقتصر فيها على القرآن ، دون أن يدرسه في كتب السنة ، والسنة هي من الوحي كما قال الله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٤] . وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني**

= (ص ٦٠٢) ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . والصحيح أن إبليس ليس من الملائكة ؛ لأن إبليس خلق من النار ، والملائكة خلقت من نور ، والملائكة لا يعصون الله بخلاف إبليس فقد عصى . وهذا قول من أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية ، وينظر بقية الأقوال في موضعها .

(١) صلعم: اختصار كتابة ﷺ ، بدعة سيئة وحرمان عظيم من الأجر المترتب على الصلاة على الرسول ﷺ ، ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٩٥) .

(٢) حوليات الإسلام ، لكيتاني .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٨/٤١٨) ، مادة: (خليفة) ، وينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٥/٤٧١٨)

أوتيت القرآن ومثله معه)[١] الحديث .

والكتاب والسنة هما: مصدران أصيلان للغة العربية ، ولا غنى لمن يبحث في اللغة عنهما .

كما أن أئمة اللغة العربية قد بحثوا عن معنى مسمى خليفة ، واستفرغوا وسعهم في ذلك ، فلم يكلف المستشرق نفسه بالاطلاع عليها في مظانها ، وهذه بعضاً منها:

قال ابن فارس في معجمه: (الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدها: أن يجيء شيءٌ بعد شيءٍ يقوم مقامه ، والثاني خلاف قُدّام ، والثالث: التغيير . . . الخلافة ، وإنما سُميت خلافةً لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه)[٢] .

وقال الجوهري: (والخليفة: السلطان الأعظم ، وقد يؤنَّث .

وأنشد الفراء:

أبوك خليفةٌ ولدتهُ أخرى

وأنت خليفةٌ ذاك الكمالُ

والجمع الخلائف ، جاءوا به على الأصل ، مثل كريمة وكرائم ، وقالوا أيضاً: خُلفاءُ – من أجل أنه لا يقع إلا على مذكر – وفيه الهاء ، جمعوه على إسقاط الهاء: فصار مثل ظريفٍ وظرفاء ، لأن فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء .

ويقال: خَلَفَ فلانٌ فلاناً ، إذا كان خليفة ؛ يقال خَلَفَهُ في قومه خلافة ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢])[٣] .

وقال الراغب الأصفهاني[٤] في كتابه: (مفردات ألفاظ القرآن): خَلْف: ضد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ح/ ١٧٣٠٦ (ص ١٢٣٧) ، وأبو داود ، ح/ ٤٦٠٤ (ص ٦٩٩) .

(٢) كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٣٠٩) ، مادة: (خلف) .

(٣) كتاب الصحاح (٢/ ١٠٣٩) ، مادة: (خلف) .

(٤) هو الحسين بن محمد بن المفضل ، وقيل الحسين بن المفضل ، وقيل المفضل بن محمد ، واشتهر بالراغب الأصفهاني ، من كبار الأشاعرة ، كان من أذكياء المتكلمين) توفي سنة ٤٤٠هـ . سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠) ، وكتاب الأعلام (٢/ ٢٥٥) .

القُدَّام، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [الرعد: ١١]. ويقال لمن خَلَفَ آخر فسَدَّ مَسدَّه: خَلَفٌ، والخِلْفَة يقال في أن يخلُف كلُّ واحد الآخر، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾[الفرقان: ٦٢]. والخلافةُ النِّيابةُ عن الغير إمَّا لغيبةِ المَنوبِ عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإمَّا لتشريف المستخلف. وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٣٩]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [هود: ٥٧]، والخلائف: جمع خليفة، وخُلفاءُ جمع خليفٍ، قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦])[١].

وقال ابن منظور في (لسان العرب): (استخلف فلاناً من فلان: جعله مكانه. وخلف فلان فلاناً إذا كان خليفة: يقال خلفه في قومه خلافة... والخليفة الذي يستخلف ممن قبله... والخلافة: الإمارة)[٢].

وقال الفيومي: الخليفة: أصلُهُ (خَليفٌ) بغير هاء لأنه بمعنى الفاعل والهاء مبالغة مثل علاَّمةٍ ونسابةٍ ويكون وصفاً للرجل خاصَّة، ومنهم من يجمعه باعتبار الأصل فيقول: (الخُلفاءُ) مثلُ شريفٍ وشُرفاءَ وهذا الجمع مذكَّر فيقال ثلاثة (خلفاء) ومنهم من يجمعُ باعتبار اللفظ فيقول: (الخلائِف) ويجوز تذكير العدد وتأنيثه في هذا الجمع فيقال ثلاثة (خلائف) وثلاثُ (خلائِفَ) وهما لغتان فصيحتان. وهذا (خَليفةٌ) آخرُ بالتذكير، ومنهم يقول: (خليفةٌ) أخرى بالتأنيث، والوجه الأولُ)[٣].

فعلى ما سبق يتبين أن معنى خليفة والخلافة تدور على معان منها:

السلطان، والإمارة، والنيابة عن الغير.

٢- أن في إحالات المستشرق إلى الآيات أخطاء كبيرة وكثيرة، وقد نبَّه إلى ذلك

---

(١) (ص ٢٩٣)، مادة: (خَلف).

(٢) (٩/ ٨٢)، مادة: (خلف)، وينظر: كتاب المصباح المنير (ص ٩٥) مادة: (خلف).

(٣) المصباح المنير (ص ٩٥) مادة: (خلف).

مترجم هذا الجزء من موسوعة (دائرة المعارف الإسلامية) الأستاذ: مهدي علام، في الهامش، أنقله بتصرف:

قول المستشرق سورة النور الآية ٥٤؛ الصحيح أن رقم الآية في المصحف هي ٥٥ ولم ترد فيها الكلمة بصيغة الجمع، بل لم ترد فيها بصيغة الاسم، وإنما وردت بصيغة الفعل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾.

وقول المستشرق سورة النمل، الآية ٦٣، الصحيح هو ٦٢، وقوله سورة الأعراف الآيتين ٦٧، ٧٢ الصحيح هو ٦٩، ٧٤، وقوله سورة البقرة، الآية: ٢٨، الصحيح هو ٣٠، وقوله سورة ص الآية ٢٥، الصحيح هو ٢٦(١).

وأما عن قول المستشرق بعد ذكره للآيات التي في معنى «خليفة» (ليس في هذه الآيات كلها دليل واضح على أن المقصود بهذه الكلمة أن تكون لقباً لمن يخلف محمداً ﷺ).

فهذا القول صحيح، ففي الآيات معنى الوصف، ومع ذلك فإن في أحاديث الرسول ﷺ ما يدل على صحة التسمية بالخليفة، إضافة إلى صحتها في اللغة العربية.

وهناك آيتان في القرآن تدلان على صحة التسمية بالخليفة لكل من يخلف غيره في عمل، أو أمر ما. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية: [البقرة: ٣٠]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ص: ٢٦].

في تفسير الآية الأولى: قال بن جرير الطبري رحمه الله: (القول في تأويل قوله جل وعزَّ: «خليفة».

والخليفةُ الفعيلةُ، من قولك: خَلف فلانٌ فلاناً في هذا الأمر، إذا قام مَقامه فيه بعده، كما قال تعالى ذكره: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس: ١٤]. يعني بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم

---

(١) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية (٨/٤١٨)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (١٥/٤٧١٨).

خُلفاء من بعدهم ، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة ؛ لأنه خلف الذي كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خَلَفاً ، يقال منه: خلف الخليفةُ يَخلُفُ خِلافة وخِلِّفي)[١] .

وقال البغوي رحمه الله تعالى: (والمراد بالخليفة ههنا آدم سمَّاه خليفة لأنه خَلَفَ الجن ، أي جاء بعدهم .

وقيل: لأنه يخلف غيره ، والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه)[٢] ، وقال ابن الجوزي رحمه الله: (والخليفة: هوالقائم مقام غيره ، يقال: هذا خلف فلان وخليفته . . . وفي معنى خلافة آدم قولان: **أحدهما**: أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه ، ودلائل توحيده ، والحكم في خلقه . **والثاني**: أنه خلف من سلف في الأرض قبله)[٣] . أما (خليفة عن الله) فهو معنى غريب ؛ لأن الخلافة تأتي بعد الأصل وقائمة مقامه ، إمَّا لغيبته ، أو لموته أو نحو ذلك ، وآدم عليه الصلاة والسلام لم يكن كذلك بالنسبة لله عز وجل ، وإنما معناه خليفة من قبله على من كان في الأرض ، أو أنه خليفة أي حاكم على الأرض ومسيطر عليها ، وعلى أبنائه مثل ما وصف به داود عليه السلام .

وفي تفسير الآية الثانية: قال ا بن جرير الطبري رحمه الله في تفسيرها: (وقوله: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود إنا استخلفناك في الأرض ، من بعد من كان قبلك من رسلنا ، حَكَماً بين أهلها)[٤] .

وقال الإمام البغوي: (قوله عز وجل: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تدبر أمور العباد بأمرنا)[٥] . المعنى فيه غرابة ؛ لأن تدبير أمور العباد بيد الله عز وجل .

وقال ابن الجوزي رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ ﴾ المعنى: وقلنا له يا

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٧٦) .

(٢) تفسير البغوي ، معالم التنزيل (ص ٢٥) .

(٣) ابن الجوزي ، زاد المسير (ص ٥٢ – ٥٣) ، وينظر تفسير القرطبي (١/ ١٨٢) ، وتفسير ابن كثير (١/ ٧٢) ، والدر المنثور للسيوطي (١/ ٢٤٠) ، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٦٢) .

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٧٧) .

(٥) تفسير البغوي (ص ١١١٢) .

داود . ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾ أي: صيَّرناك ﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي تُدبِّر أمر العباد من قِبلنا بأمرنا ، فكأنك خليفة عنا)[١] .

وقال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي ملكناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين)[٢] .

وأما في السنة المطهرة فقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ما استخلف خليفةٌ إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانةٌ تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله**)[٣] ، وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ما بعث الله نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان...**)[٤] الحديث .

فعلى هذا يكون الخليفة السلطان الأعظم ، ويكون خليفة لمن قبله ، سواء كان نبيًّا أو غيره .

ولعل تعريف المستشرق باول شمتز[٥] (Schmitz) لمسمى خليفة أقوى من تعريف المستشرق أرنولد ، حيث يقول:(**كلمة خليفة معناها وكيل، أو ممثل، أو نائب، فكان النبي ﷺ يولي من يخلفه على المدينة إذا خرج في غزواته، وكان هذا الوالي يقوم بمهام النبي ﷺ وشبيه بهذا الظرف تعيين خليفة للنبي بعد موته ليرعى أمور المسلمين تأميناً لاستمرار نشر الدين وحفظاً لكيان الدولة السياسي**)[٦] .

فالمستشرق باول شمتز في هذا النص يبين معنى الخليفة ، وأنه يطلق على من يخلف النبي ﷺ على المدينة إذا خرج في غزواته ، وكذلك بعد موته . وهذا صحيح إلى

---

(١) زاد المسير (ص ١٢١٠) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٢٤) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: القدر ، باب: المعصوم من عصم الله ، ح/ ٦٦١١ ، (ص ١٣٩١) .
(٤) أخرجه البخاري ، ح/٧١٩٨ ، (ص ١٥١٠) .
(٥) لم أقف له على ترجمة .
(٦) نظام الحكم في الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى ، تأليف: عبدالمتعال الجبري (ص ٣٧) ، نقلاً عن كتاب: الإسلام قوة الغد العالمية (ص ١٥٦ وما بعدها) .

حد ما ، وأمَّا قوله بأن مسمى الخليفة يطلق على من خلف النبي ﷺ إذا خرج في غزواته قول فيه نظر ، فإن التسمية بالخليفة وجعله لقباً لمن جاء بعد الرسول ﷺ لم يتم إلا بعد وفاة الرسول ﷺ ، وأما قبل ذلك فيعرف من قبل الفعل استخلف ، واستعمل[١] ، إلا إذا كان مراده على المعنى اللغوي لا على المعنى الاصطلاحي .

- وقول المستشرق في أول من تسمَّى بالخليفة وأنه (**يشك في أن أبا بكر قد اتخذها في أي وقت من الأوقات لقباً له**) فهذا شك مجرد من الدليل ، والبينة على المدعي ، فما المصدر الذي نقل عنه شكه؟ وما هذه الطريقة في الكتابة إلا إحدى المناهج التي سلكها المستشرقون في كتاباتهم للتاريخ الإسلامي وقضاياه وأحداثه ، من باب تشكيك الخصم وإضعافه .

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو أول من لُقِّب بالخليفة بعد وفاة الرسول ﷺ . فقد أخرج الإمام الطبري في تفسيره بإسناده عن عبدالله بن معقل[٢] ، عن سالم مولى أبي حذيفة[٣] ، رضي الله عنه قال: (كنت أنا وأبو بكر الصديق فوق سطح واحد في رمضان ، فأتيت ذات ليلةٍ فقلتُ: ألا تأكل يا خليفة رسول الله ﷺ؟ فأومأ بيده أنْ كُفَّ ، ثم أتيته مرة أخرى ، فقلت له: ألا تأكل يا خليفة رسول الله؟ فأومأ بيده أن كُفَّ ،

(١) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام ، استخلاف الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلة الهجرة ، ويوم خروجه إلى تبوك (٢/ ٩٦) ، (٤/ ١٧٣) واستعمل الرسول ﷺ كثير من أصحابه في خروجه عن المدينة للغزو (٢/ ٢١٠ ، ٣/ ٥١ ، ٢٣١ ، ٢٤٣) وغيرها .

(٢) هو عبدالله بن معقل بن مُقرّن المزني ، أبو الوليد الكوفي ، التابعي الثقة . ينظر: الكاشف (١/ ٦٠٠) ، رقم (٢٩٩٨) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ٦٧١) ، رقم (٤٢٢٠) ، وتقريب التهذيب (ص ٢٦٧) ، رقم (٣٦٣٤) .

(٣) هو سالم بن مَعقِل: مولى أبي حذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف ، وكان من أهل فارس من اصطخر ، وقيل إنه من عجم الفُرس من كرمد ، وكان من فضلاء الموالي ، ومن خيار الصحابة وكبارهم ، وهو معدودٌ في المهاجرين . وكان أبو حذيفة قد تبنى سالماً ، فكان يُنسب إليه ويقال: سالم بن أبي حذيفة حتى نزلت:﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥] ، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: "خذوا القرآن من أربعة: من أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم بن حذيفة ، وابن مسعود" ، وقد شهد بدراً ، وقُتل يوم اليمامة شهيداً هو ومولاه ، وذلك سنة اثنتي عشرة من الهجرة . ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٢٩٧) ، رقم (٩٧٢) ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ٢٦٠) ، رقم (١٨٩٣) .

ثم أتيته مرةً أخرى، فقلت: ألا تأكل يا خليفة رسول الله؟ فنظر إلى الفجر ثم أومأ بيده أن كُفَّ، ثم أتيته فقلت: ألا تأكل يا خليفة رسول الله؟ قال: هات غداءك. قال: فأتيته به فأكل ثم صلَّى ركعتين، ثم قام إلى الصلاة)[١].

وصرح بذلك أبو عبدالله الحاكم رحمه الله في مستدركه على الصحيحين فقال: (ذكر الروايات الصحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم بإجماعهم في مخاطبتهم إياه بيا خليفة رسول الله ﷺ)[٢]، ثم ذكر روايات الأحاديث في ذلك ومنها:

عن أنس رضي الله عنه قال: طفنا بغرفة فيها أبو بكر حين أصابه وجعه الذي قُبض فيه فاطلع عليه اطلاعة، فقال: أليس ترضون بما أصنع؟ قُلنا: بلى يا خليفة رسول الله ﷺ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[٣]، وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، كنا مع أبي بكر الصديق فبكى، فقلنا: يا خليفة رسول الله ما هذا البكاء[٤]؟

في هذا كثير من الأدلة اقتصرت على ما سبق.

- وقول المستشرق: (**وفي اللقب «خليفة رسول الله» ما ينبئ بادعاء القيام بما كان يقوم به النبي، وممارسة حقوقه فيما عدا النبوة التي يعتقد أنها انتهت بموته**).

فهذا القول صحيح، فالخليفة يقوم بما كان يقوم به النبي من الإمامة، والحج، والجهاد، والحكم بين الرعية بالعدل، لكن ليس للخليفة شيء من خصائص النبي، أو المساواة به في درجته.

تسمية الخلفاء الأربعة بالراشدين: أخذ المستشرقون التسمية بالخلفاء الراشدين من

---

(١) (٣/ ٢٥٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٦١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٤): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) (ص ٨٩٧).

(٣) المصدر السابق، ح/ ٤٥٢٦، (ص ٩٨٧).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، ح/ ٤٥٣١ (ص ٨٩٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٥٤): رواه البزار وفيه عبدالواحد بن زيد، وهو ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات وقال يعتبر حديثه إذا كان فوقه ثقة ودونه ثقة، وبقية رجاله ثقات.

كتب التاريخ الإسلامي وغيرها .

يقول المستشرق أندريه ميكيل[١] في كلامه عن الخلفاء الراشدين: (**إن أول الخلفاء الأربعة الذين عرفهم التراث باسم الخلفاء الراشدين كان أبو بكر**)[٢] .

فهذا يعني أن التسمية بالخلفاء الراشدين عرفت من خلال كتب التراث الإسلامي سواء كانت كتب التاريخ أو السير .

بينما نجد المستشرق (استانلي لين بول)[٣] يقول عن الخلفاء الراشدين بعد عده لهم يقول:(**وقد أطلق عليهم اسم «الخلفاء الراشدين»**)[٤] .

فلم يعين من أطلق على الخلفاء الأربعة الراشدين ، صفة ، أو الوصف بالرشد .

هذا وقد تنوعت تسميات المستشرقين للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في كتبهم التي ألفوها عن الإسلام والمسلمين ، وهذه عناوين لبعضها:

- فكتب المستشرق سيديو (**Sedillot**) في كتابه تاريخ العرب العام ، عن الخلفاء الراشدين تحت عنوان: (أوائل الخلفاء) .

- وعند المستشرق كارل بروكلمان (**Brockelmann**) في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية تحت عنوان: (الخلفاء الأربعة الأول) .

- والمستشرق مونتجمري وات (**Montgomery Watt**) في كتابه في تاريخ أسبانيا الإسلامية ، تحت عنوان: (في الخلفاء الراشدين) .

- والمستشرق جوستاف لوبون (**Lebon**) في كتابه حضارة العرب ، تحت عنوان: (خلفاء محمد الأولون) .

- والمستشرق فيليب حتى (**Hitti**) في كتابه تاريخ العرب ، تحت عنوان: (الخلفاء

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) كتاب الإسلام وحضارته ، تأليف المستشرق أندريه ميكيل (ص ٨٦) .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) كتاب طبقات سلاطين الإسلام ، تأليف المستشرق ستانلي لين بول (ص ١٠) .

الراشدون) وغيرهم من المستشرقين.

ومما سبق ذكره يدل على أن استعمال المستشرقين لهذه التسمية، وإطلاقهم لها كانت على الخلفاء الأربعة فقط.

وتسمية الخلفاء الراشدين صحيحة جاء ما يدل عليها.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت لها الأعين ووجلت منها القلوب، قُلنا - أو قالوا - يا رسول الله كأن هذه موعظة مودِّع، فأوصينا؟

قال: (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشيًّا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن لكل محدثة بدعةٌ، وإن كلَّ بدعة ضلالة**)[1].

والشاهد من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ وصف من جاء بعده من الخلفاء الراشدين، لذلك جاء وصف الخلفاء الأربعة بالراشدين في كثير من كتب التاريخ والسير وغيرها.

لقد تناول المستشرقون الخلافة الراشدة في كثير من جوانبها بدراسة حياة الخلفاء الراشدين على حدة، حيث ركزوا في حديثهم عن ولايتهم للخلافة، وبعض الجوانب التي لصقت بتاريخهم، من الأعمال والأحداث وغيرها.

وأما الحديث عن الخلافة الراشدة، من حيث معطياتها وثمراتها وتقويمها، فقد

(١) مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية ح/ ٧٢٧٤ (ص ١٢٣٤)، والترمذي ح/ ٢٦٧٦، (ص ٦٠٧)، والدارمي في سننه، ح/ ٩٥، (١/ ٤٨)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٨٠)، وأبو نعيم الأصفهاني في المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (١/ ٣٦).

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح. وقال أبو نعيم الأصفهاني رحمه الله: هذا حديث جيد صحيح من حديث الشاميين، وهو وإن تركه الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج، فليس من جهة انكسار منهما له، فإنهما رحمهما الله قد تركا كثيراً مما هو بشرطهما أولى.

تغافل المستشرقون عنها، بل وقاموا بالتهوين منها.

فالخلافة في نظر البعض من المستشرقين هي امتداد لبعض تقاليد القبائل العربية من قبل الإسلام، حيث يقول المستشرق (كارلتون كون)[١]: (**وعند العرب تقليد قديم ينص على انتخاب خليفة الزعيم من بين أبنائه، أو على الأقل من بين الذكور من أبناء العائلة الرفيعة التي ينتمي إليها.**

وكل محاولة لتعيين وريث لمنصب ما قبل وفاة صاحبه تلقى المناهضة، وتحتفظ القبيلة لنفسها بحق انتخاب الخليفة بواسطة مجلس شيوخها أو بأية واسطة أخرى، وعلى ذلك لا بد من وقوع فوضى واضطراب عند وفاة الزعيم، يسيطر بعدها أكفأ المرشحين على الوضع والمنصب)[٢].

فالمستشرق هنا يحاول أن يجعل من منصب الخلافة ومقام الخليفة بأنه مشابه لرئيس القبيلة، كما هو موجود عند قبائل العرب.

وهذا القول من هذا المستشرق فيه تهوين وتقليل من منصب الخليفة، وجعله في مصاف رئاسة القبائل العربية وغيرها، كما أن في هذه الكتابة عن الخلافة محاولة لإخضاعها لأحد مناهج المستشرقين في الكتابة وهو المنهج الاجتماعي التطوري.

بمعنى أن الخلافة ومنصبها ما هو إلا تطوير لشيء قديم، والعمل على تجديده.

وفي هذا مغالطة كبيرة للواقع والحقيقة التاريخية، فرئيس القبيلة يحكم قبيلته على أرض محددة فقط، بخلاف الخليفة يحكم القبائل والأجناس الأخرى مع اختلاف لغاتها، إضافة إلى ترتيبت الدواوين والعطاءات.

الخلافة الراشدة كان في بدئها شيء من الاختلاف في وجهات الرأي؛ لأن الرسول ﷺ لم يكن نصّ على من يقوم مقامه بعد وفاته بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، والذي لم يلبث حتى تم الاتفاق بينهم بل والإجماع على أحدهم أبي بكر الصديق

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) القافلة قصة الشرق الأوسط، كارلتون كون (ص ١٤٤).

رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة وغيرها .

ومع ذلك نجد أن المستشرقين يحاولون تضخيم أمر الخلافة ، والعمل على تزوير أحداث التاريخ الإسلامي وخاصة عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في مؤلفاتهم ، ساعدهم على ذلك كثير من كتب التاريخ والسير واللغة والأدب وغيرها ، التي لم تخضع لمناهج المحدثين في الجرح والتعديل .

وهذه بعض أقوالهم:

يقول المستشرق سيديو (Sedillot): (**ولم يضع محمدٌ نظاماً لخلافته، فأسفر سكوته عن ذلك أن تحركت ضروب الحرص إلى أبعد مدى**)(١) .

فالمستشرق سيديو يرى بأن الرسول ﷺ لم يضع نظاماً لخلافته ، فأدى إلى حرص بعض الصحابة رضي الله عنهم على تولي الخلافة .

والحق أن يقال بأن الرسول ﷺ وضع نظام الخلافة الراشد ، بل وبيَّن مدة هذه الخلافة .

وأما عن من يلي الأمر بعده ، فهو وإن لم يعهد صراحة بالخلافة لأحد من الصحابة رضي الله عنهم ، فقد ألمح إلى خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وسأرجئ الحديث عن ذلك في موضعه .

ويقول فيليب حتى (Hitti): (**كان للرسول وهو في قيد الحياة وظائف عدة. كان هو النبي والإمام والقاضي وأمير الجيش ورئيس الدولة المدني، ولكن محمداً مات فبرزت مشكلة الخلافة على الوظائف التي شغلها باستثناء الوظيفة الروحية التي لا يستطيع أحد أن يخلفه فيها، بوصفه خاتم الرسل والنبيين**)(٢) .

فيرى أن الخلافة برزت كمشكلة بعد وفاة الرسول ﷺ ، وأن الرسول ﷺ كانت بيده جميع الوظائف .

---

(١) كتاب تاريخ العرب العام (ص ١٢٥) .

(٢) العرب تاريخ موجز (ص ٦٧) .

وهذا القول فيه مجازفة، فالرسول ﷺ وإن كان عمل بهذه الوظائف، إلا أنه أعطى كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم حق النيابة، في الصلاة، والقضاء، والإمرة على الجيوش والسرايا، بل واستخلف كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم على المدينة، ومن هؤلاء عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وابن أم مكتوم وغيرهم، يعرف ذلك من قرأ سيرته ﷺ مثل سيرة ابن إسحاق، والتي هذبها ابن هشام.

كما أن القول بأن الخلافة كانت مشكلة تهويل، وتضخيم لخلاف يسير في وجهات النظر دفعه الحق الثابت من الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة في وقته.

وفي موضع آخر يقول فيليب حتى:(**إن نشأة الإمبراطورية العربية لم تكن نتاج خُطة مرسومة بقدر ما كانت استجابة لمنطق الأحوال التي جعلت نشأة تلك الإمبراطورية أمراً محتوماً. فلا أبو بكر ولا عمر كان بإمكانهما أن يستشرفا النهاية القصوى لتلك الأحداث التي كانت تتلاحق أمام أعينهما من غير أن يكون لهما عليها سيطرة تامة**)(١).

فالمستشرق فيليب، ينظر إلى الخلافة الراشدة كما يسميها بالإمبراطورية العربية، وكأن قيامها صدفة، أو أن الأحوال التاريخية أدت إلى وجود هذه الدولة الإسلامية. وهذا قول من أعماه الحقد والبغض للإسلام والمسلمين، وإلا فالدولة الإسلامية قامت قبل ذلك في المدينة المنورة بهجرة الرسول ﷺ، ثم توالت الجهود من الخلفاء الراشدين في نشر الإسلام والدعوة إليه. وأما قوله (**فلا أبو بكر ولا عمر كان بإمكانهما أن يستشرفا النهاية**) إلخ يرد عليه بأن هذا لا يقدح في معرفة أبي بكر وعمر، أو معرفة من جاء بعدهما بحقوقه وواجباته، وانظر موقف أبي بكر من حروب الردة يتبين منه أنه كان مدركاً لحقوقه وواجباته، وحدود سلطانه، وولايته، أما الأحداث التي ستقع في المستقبل كحروب الردة والفتوحات الإسلامية، من بعد فهي من علم الغيب الذي لا يستطيع أحد أن يستشرفه قبل وقوعه.

ويقول المستشرق دومنيك سورديل (**Sourdel**):(فالخلفاء الأربعة الأول الراشدون الذين تمتعوا في تاريخ الإسلام بمكانة مرموقة، لم يتسلموا السلطة إلا بعد

---

(١) كتاب الإسلام منهج حياة، تأليف فيليب حتي (ص ١٦٢).

مبايعات أثارت كثيراً من الجدل، وسيطرت عليها غالباً لعبة تحالفات مصالح ظاهرة القوة. إن حكم الصحابة، وهذه الصفة التي اتصفوا بها كونت في ذلك العصر أول ألقاب مجدهم واستمرت تتوجهم في المستقبل، لم يشمل في الواقع إلا شقاقات دائمة تفاقمت أحياناً فتحولت إلى معارك، وسببت بنوع خاص داخل الإسلام شقوقاً دام بعضها حتى العصر الحاضر).

ويقول في موضع آخر عن الخلفاء الراشدين: (**وهم الأربعة الراشدون الذين استولوا على الحكم بعد انتخابات منازع فيها**)[1].

فالمستشرق من خلال النصين يحاول إيجاد أزمة في حكم الخلفاء الراشدين، والخلافة الراشدة، وأنها تمت في وقت خلاف شديد بين الصحابة رضي الله عنهم.

والمستشرق هنا، كتب تحت التأثر بالكتابة الإسقاطية، بمعنى آخر: أن المستشرق يدرس حياة مجتمع وأهل دين يخالفهم فيه، ويحاول أن يجعلهم في قالب من حياة الغرب، وحكمه، حيث الدسائس والمؤامرات لتولي الأحزاب حكم الدولة.

والخلافة الراشدة وإن كان حصل فيها نوع من الاختلاف في وجهات النظر، إلا أنه لا يرق أن يقال بأنه حصل فيه نزاع، فالصحابة رضي الله عنهم لم يكن بينهم نزاع في الخلافة؛ لا في عهد الصديق، ولا حتى في عهد علي رضي الله عنه، وسيكون هناك محل بسط في موضعه.

وإليك هذه النظرة الضيقة التي جانبت العدل والإنصاف، من بعض المستشرقين غير المنصفين.

حيث صرح المستشرق بودلي (**Bodley**) ببعض ما يُكنه في صدره من الحقد على الخلفاء الراشدين وأعمالهم الجليلة لنشر الإسلام فقال عند كلامه في فصل بعنوان المدينة (٦٢٢م) ويقصد بذلك هجرة الرسول ﷺ وما أدت إليه من نشر الإسلام، فيقول: (فأبو بكر وعمر وعلي، هؤلاء الأعراب الذين لم يتثقفوا، والذين فروا من خناجر قريش، سيقررون في زمن قصير، مصاير الإمبراطوريات الشرقية القوية العظيمة، وستدفع سورية ودولة الكلدانيين والدولة البيزنطية، ومصر، ومستعمرات الروم والفرس الجزية

---

(١) كتاب الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي (ص ٣٢).

إلى هؤلاء المغمورين المجهولين ، وسيتمنى حكام تلك البلاد وقوادها ورهبانها رضا هؤلاء الشعب ذوي الثياب البالية ، الذين يجلسون الآن على حصير شاكرين مضيفهم المدنيين . وسيطوى أتباع المسيح في الشمال والغرب ، وعبدة النار من أتباع زرادشت في الشرق والجنوب أمام مد الإسلام ، كما يطوى الحصى على شاطئ البحر ، وستحل أسماء رعاة سابقين وتجار رُحّل وصيارفة ، محل أسر مالكة بقيت على الدهر ، من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلسي)(١) .

فالمستشرق بودلي من خلال النص السابق يحاول تفريغ شحنات الغضب ، ويعبر عن موقفه من الخلفاء الراشدين ؛ حيث ينظر إليهم بأنهم أعراب ذوي ثياب بالية ، وأنهم رعاة ، وتُجار رُحَّل .

لنا أن نتساءل عن سبب تلك الشتائم للخلفاء الراشدين؟ تجد أن ذلك لسبب واحد وهو بسط سلطة ودعوة الإسلام على كثير من نواحي الأرض .

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١] .

وبهذا يتبين مما سبق ، أن المستشرقين قد حاولوا في كتاباتهم عن الخلافة الراشدة ، أن يوسعوا الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم في مسألة الخلافة ، وأن يبرزوها كمشكلة كبيرة تركها الرسول ﷺ بعد وفاته ، وقد حصل من الصحابة شيء من المنازعة واستيلاء عليها بالقوة ، وكل ذلك بعيد عن الإنصاف ، وللكلام حول الخلافة الراشدة بقية تجده في موقف المستشرقين من كل خليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم .

* * *

(١) كتاب الرسول حياة محمد ، لبودلي (ص ١٢٩ – ١٣٠) .

المطلب الثاني

موقف المستشرقين من أبي بكر الصديق رضي الله عنه

يعتبر الصديق رضي الله عنه الرجل الثاني في الإسلام بعد الرسول ﷺ، والذي كان له أثر في الجهاد ونشر الإسلام وتقوية أركانه.

ولذا فلا غرابة أن يعتني المستشرقون في الكتابة عنه، وعن أثره في نصرة الإسلام. وقد جاءت هذه الكتابة ما بين عدائية ومزورة للحقائق التاريخية الثابتة، وبين كتابات فيها شيء من الإنصاف، وقد حاول المستشرقون إخضاع كتابتهم في ذلك على مناهج وضعوها لخدمة أهدافهم، ومخططاتهم في العالم الإسلامي.

١ - **التعريف بأبي بكر الصديق رضي الله عنه:** كان من ضمن اهتمامات (دائرة المعارف الإسلامية)، وهي من نتاج المستشرقين التعريف برجال الإسلام وعظمائه، وكان من هؤلاء الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فقد ترجم له المستشرق بول (**Buhl**) فقال: (**«أبو بكر» عبدالله، ولقبه عتيق، وقد اختلفت الروايات في أصل هذا اللقب.**

أول الخلفاء الراشدين، ولم تذكر الروايات السبب الذي من أجله كُني بأبي بكر، وهي الكنية التي حرفها أعداؤه للسخرية به إلى فصيل)[(١)].

وانظر إلى ما كتبه المستشرق الآخر مونتجمري (**Montgomery**) في دائرة (المعارف الإسلامية) حيث قال:(**أبو بكر، أول خليفة**

١ - **اسمه وأسرته، وحياته الأولى:** ولد أبو بكر على الأرجح بعد سنة ٥٧٠ بقليل، فلقد قيل عنه إنه كان يصغر عن محمد (ﷺ) بأعوام ثلاثة، وأبوه أبو قحافة (عثمان) بن عامر من عشيرة تيم من قبيلة قريش، وكان لهذا يعرف أحياناً بابن أبي قحافة، وكانت أمه أم الخير (سلمى) بنت صخر من عشيرته نفسها.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣١١) مادة: (أبو بكر)، كتاب الرسول حياة محمد، لبودلي (ص ٥٥).

وكما عرف بأبي بكر عرف بعبدالله وعتيق (العبد المعتق) غير أن الصلة بين هذه الأسماء بعضها إلى بعض ودلالتها الأولى غير بينة. وإلى محمد (ﷺ) فيما يبدو يعزى تلقيبه بعتيق، لقوله: إنه عتيق من النار.

ولقد عُرف بعد بالصديق، أي الذي لا يقول إلا الصدق المستقيم، أو الذي لا يعتد إلا بالحق، وهذا المعنى الأخير مستمد من الخبر القائل بأنه هو وحده صدق لتوه قصة محمد عن الإسراء به ليلاً)[١].

ففي هذين النصين أو الترجمتين تعريف بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وما ذكر من اسمه ولقبه، ولكن هناك بعض الأمور التي تحتاج إلى تجلية وتوضيح، فأبو بكر رضي الله عنه أشهر من أن يُعرف به، ولكن لوقوع بعض الأخطاء في التعريف به والتي تحتاج إلى بعض التنبيه لكونها تمهيداً للكتابة في موقف المستشرقين من أبي بكر رضي الله عنه:

يقول المستشرق بول: (**أبو بكر عبدالله، ولقبه عتيق، وقد اختلفت الروايات في أصل هذا اللقب**).

بينما يقول مونتجمري: (**كما عرف بأبي بكر عرف بعبدالله وعتيق (العبد المعتق)**.
وقال: (**وإلى محمد (ص) فيما يبدو يعزى تلقيبه بعتيق**...).

كما يمكن القول بأن العلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في اسم أبي بكر هل هو عبدالله أو عتيق، فقد قال ابن إسحاق رحمه الله في السيرة: (اسمه عتيق، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر)[٢].

بينما يقول ابن هشام: (واسم أبي بكر: عبدالله، وعتيق لقب...)[٣].

ويقول ابن سعد في طبقاته: (أبو بكر الصديق، عليه السلام، واسمه عبدالله ابن أبي قحافة... قال: وأما محمد بن إسحاق فقال: أبو قحافة كان اسمه عتيقاً، ولم يذكر

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٢٩٧)، هذا النص غير موجود في الطبعة القديمة لدائرة المعارف الإسلامية.
(٢) كتاب السيرة النبوية (١/ ٢٨٦).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٨٦).

ذلك غيره)[١] .

لعل في كلام ابن سعد سقط ، فالأصوب أن يقول: عن محمد بن إسحاق قال: ابن أبي قحافة كان اسمه عتيقاً ، لأنه كما تقدم في قول ابن إسحاق أنه قال: (واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر) .

كما أنه غير موجود عند ابن هشام الذي نقل سيرة ابن إسحاق .

وقال ابن عبدالبر رحمه الله بعد تعريفه باسمه ونسبه: لم يختلفوا في اسمه ولا اسم أبيه ، وكذلك لم يختلفوا أن لقبه «عتيق» . .)[٢] .

ومن الأدلة على أن اسم أبي بكر رضي الله عنه هو عبدالله ، وأن عتيق لقب له: ما أخرجه الحاكم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر»** ، وإن اسمه الذي سماهُ أهله عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو حيث ولد فغلب عليه اسم عتيق)[٣] .

وعن عامر[٤] بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: كان اسم أبي بكر: عبدالله بن عثمان ، فلما قال له رسول الله ﷺ أنت عتيق الله من النار سُمي عتيقاً)[٥] .

وذكر بعض لأبي بكر أسماء أخر مثل: عبدالكعبة[٦] ، وهي ليست في قوة ما تقدَّم .

وفي تسميته عتيق أقوال كثيرة منها: أن الرسول ﷺ سماه «عتيق» .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٩٠) .

(٢) كتاب الاستيعاب (٧٧٩) ، رقم (٢٨٤٥) ، أسد الغابة (٣/ ٢٠) ، رقم (٣٠٦٦) .

(٣) أخرجه الحاكم ، ح/ ٤٤٦٠ (ص ٨٨٥) ، وابن أبي عاصم الشيباني في الآحاد والمثاني ح/ ٥ (ص٧٠) ، والهيثمي في مجمع الزائد (٩/ ٤١) . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الهيثمي: بعضه رواه الترمذي ، وأبو يعلى ، وفيه صالح بن موسى الصلحي وهو ضعيف .

(٤) هو عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو الحارث المدني ، التابعي الثقة ، أحد العلماء والعباد الفضلاء ، توفي سنة ١٢١هـ . ينظر: كتاب تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٦) ، رقم (٣٦٠١) ، وتقريب التهذيب (ص ٢٣١) ، رقم (٣٠٩٨) .

(٥) أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٥٢) ، رقم (٦١) ، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٥٣) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٠) ، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني بنحوه ، ورجالهما ثقات .

(٦) ينظر: كتاب الروض الأنف للسهيلي (٢/ ٢٩٣) ، وأسد الغابة (٣/ ٢٠) .

أخرج الإمام أبوعيسى الترمذي في سننه بسنده عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال: (**أنت عتيق الله من النار**)[١] فيومئذ سُمي عتيقاً.

وقيل: سمي عتيقاً لجمال وجهه، وقيل: أن أم أبا بكر لا يعيش له ولد، فلما ولدته استقبلت به الكعبة وقالت: اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لي، وغيرها من الأقوال[٢].

وأما قول المستشرق مونتجمري: عتيق (العبد المعتق) فلم أجد من قال بهذا المعنى، وأن العتيق: العبد الرقيق الذي يعتق، وأما ما سبق من الأقوال فلها حظ من النظر، وعليه (لا مانع للجمع بين بعض هذه الأقوال، فأبو بكر جميل الوجه، حسن النسب، صاحب يد سابقة إلى الخير، وهو عتيق الله من النار بفضل بشارة النبي ﷺ له)[٣].

وعن تكنية الصديق بأبي بكر يقول بول: (**ولم تذكر الروايات السبب الذي من أجله كُني بأبي بكر، وهي الكنية التي حرفها أعداؤه للسخرية به إلى أبي فصيل**).

تكنية الصديق بأبي بكر بلغت من الشهرة حيث أصبحت علماً عليه، ولم أجد في الروايات وغيرها عن سببها، وإن كان بعض المتأخرين قال:إنه سُمي بأبي بكر لتبكيره بالدخول في الإسلام[٤].

وأما قول المستشرق إن أعداء أبي بكر يسمونه بأبي فصيل، وورد في تاريخ الطبري[٥] أن أبا سفيان لقَّبه بذلك، وروايته غير صحيحة.

من ألقاب أبي بكر رضي الله عنه الصديق: يقول مونتجمري (**Montgovery**):(**ولقد**

---

(١) كتاب: المناقب عن رسول الله، ح/ ٣٦٧٩، (ص ٨٣٧). وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١٧، ح/ ٣٦٧٩ (٣/ ٥٠٨).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٦)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٩٠).

(٣) كتاب سيرة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق، للدكتور: علي محمد الصلابي (ص ١٨).

(٤) كتاب تاريخ الخلفاء الراشدين – دراسات وبحوث – تأليف: محمد عبدالفتاح عليان، (ص ٥)، تاريخ الخلفاء الراشدين، تأليف: الشيخ الأمين محمد عوض الله (ص ٢٠).

(٥) (٢/ ٢٣٧)، في سنده بعض الرافضة، والمجاهيل.

عُرف بعد بالصديق، أي الذي لا يقول إلا الصدق المستقيم، أو الذي لا يعتد إلا بالحق، وهذا المعنى الأخير مستمد من الخبر القائل بأنه هو وحده صدَّق لتوه قصة محمد عن الإسراء به ليلاً).

وتقول المستشرقة فكا (Vacca): (**الصديق: «ولعله من الآرامية صدِّيق» لقب أبي بكر).**

فقول المستشرقة الصديق من الآرامية من التخرص بلا علم، ومحاولة لإخضاع تاريخ المسلمين لمناهجهم، وأن ما عند المسلمين إنما هو تطوير لما في المجتمعات والديانات الأخرى، وإلا فأين الدليل على هذا التخرص. ولهذا أمثلة تجده في كتاباتهم في (دائرة المعارف الإسلامية) عن الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم.

وقول مونتجمري الأخير عن سبب تلقيب أبي بكر رضي الله عنه بالصديق هو الذي يدل عليه الدليل وغيره محل نظر، لعدم وجود الدليل الذي اعتمد عليه المستشرق في تلك المعاني لمسمى «الصديق».

ولعل القول الراجح هو أنه سمي بالصديق لتصديقه النبي ﷺ في خبره عن الإسراء.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدَّقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوَقالَ ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أوَتصدقه إنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سُمي أبو بكر الصديق)(١).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ح/٤٤٦٣ (ص ٨٨٥). وابن إسحاق في السيرة (/ ١٢)، مع اختلاف في اللفظ، وأبي نعيم الأصفهاني في كتابه معرفة الصحابة، مختصراً (١/ ١٥٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي على ذلك.

٢ – أبو بكر الصديق أول من أسلم. لقد كانت مسألة الأولية في دخول الإسلام من المسائل المهمة التي كتب حولها كثير من العلماء من المحدثين والمؤرخين، وانتقلت بعد ذلك إلى المستشرقين.

ومع وجود أقوال كثيرة في ذلك، إلا أن المستشرقين أخذوا بقول الطائفة التي قالت بأسبقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الإسلام، بل وجعلوا مرتبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الثالثة أو الرابعة[١].

بل حاولوا في التشكيك من صحة قول من ذهب إلى تقديم أبي بكر رضي الله عنه، وجعله أول من دخل في الإسلام.

وهذه نماذج لهذه الأقوال في كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

يقول المستشرق جورج بوش (George Bush):(**نجح محمد ﷺ في إقناع زوجه خديجة وواصل حياة العزلة والتقشف ليكتسب شهرة في مجال التقوى والورع، وقبل ذلك ضمَّ خادمه زيداً بن حارثة إلى قائمة المهتدين، وكان علي بن أبي طالب ابن عم الرسول هو ثالث من أسلم، لكنه اعتبر نفسه أول المسلمين؛ لأن هذا الشاب المندفع اعتبر من سبقه إلى الإسلام (خديجة وزيد بن حارثة) قليلي الشأن، وكان رابع من تحول للإسلام، وهو الأكثر أهمية – هو أبو بكر، هو رجل قوي من أهل مكة دخل في الإسلام على يديه عدد كبير من ذوي المكانة والنفوذ...**)[٢].

فهذا المستشرق يرى بأن إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان في المرتبة الثالثة بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وزيد بن حارثة رضي الله عنه، ويجعل الصديق رضي الله عنه في المرتبة الرابعة.

---

(١) ينظر: كتاب محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين، تأليف: جورج بوش (ص١٦٦)، وكتاب تاريخ العرب العام، تأليف: سيديو (ص ٦٨)، ودائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣١١)، مادة: (أبو بكر)، وكتاب الدعوة إلى الإسلام، تأليف: أرنولد (ص ٣٥)، وكتاب الشعوب الإسلامية، تأليف: بروكلمان (ص ٣٧ – ٣٨)، وكتاب محمد في مكة، تأليف مونتجمري وات (ص١٤٤).

(٢) المصدر السابق (ص ١٦٦).

فمسألة الاختلاف في أول من أسلم من الصحابة رضي الله عنهم قديم، وفيه روايات وآثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، ومن جاء بعدهم، وقد دونها علماء السلف من المحدثين والمؤرخين وغيرهم. وقد توصلوا إلى قول وسط جامع لهذه المسألة، سأذكره قريباً.

وأما قول المستشرق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (**اعتبر نفسه أول المسلمين لأن هذا الشاب المندفع اعتبر من سبقه إلى الإسلام (خديجة، وزيد بن حارثة) قليلي الشأن**).

هذا القول داخل في المسألة المختلف فيها السابقة وهي: من أول من دخل في الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم.

وقد يقصد المستشرق بقوله عن علي رضي الله عنه: اعتبر نفسه أول المسلمين، الحديث الذي يقول فيه علي رضي الله عنه: (أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتري، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين)[1].

وهذا الحديث منكر ولا يصح، وهناك أحاديث غيره أصح منه سأذكرها قريباً، وعلى هذا يبطل كلام هذا المستشرق وتحامله على علي رضي الله تعالى عنه.

ويقول المستشرق بروكلمان (**Brockelmann**) عن مسألة الخلاف في ترتيب الصحابة رضي الله عنهم في سبقهم إلى الإسلام:(**والحق أن ترتيب هؤلاء المؤمنين الصادقين الأولين، من حيث السبق إلى الدخول في الدين الجديد، أمرٌ مختلفٌ فيه، وكثيراً ما خضع للتقديم والتأخير تبعاً لاعتبارات سياسية فيما بعد**)[2].

فيرى المستشرق بروكلمان في مسألة الأولية في دخول الإسلام، أمر مختلف فيه، ولكنه نسب ذلك التقديم والتأخير في الدخول في الإسلام لأمور سياسية.

---

(١) أخرجه أحمد في (فضائل الصحابة) (٢/ ٧٢٥)، رقم (٩٩٣)، وابن أبي عاصم في كتابه السنة، (ص ٥٩٥)، رقم (١٣٢٤)، والحاكم في مستدركه، ح/ ٤٦٤٢ (ص ٩١٩). قال محقق فضائل الصحابة: هذا إسناد منكر لأجل عباد الأسدي الكوفي.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ٣٧).

وقوله بأن مسألة الأولية في الدخول في الإسلام، مختلف فيه حق، لكن العلماء من السلف رحمهم الله تعالى توصلوا إلى حل فيه اتفاق بين الأقوال المختلفة، والطائفتين المختلفتين، وأما إقحام هذا الاختلاف ونسبته إلى السياسة، فهذا بعيد جداً، ولا يدل عليه دليل.

كما أن في هذا التفسير من هذا المستشرق تأثر بمناهج المستشرقين في الكتابة وإخضاع أحوال تاريخ الصحابة رضي الله عنهم لها.

يقول المستشرق بول (**Buhl**) عن إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (**وكان من أوائل من أجابوا دعوته ولكن ما يؤكده البعض من أنه كان أول من أسلم من الرجال أمر مشكوك فيه**)[١].

فالمستشرق هنا يرى بأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه من أوائل من قَبِل الدعوة إلى الإسلام، لكنه يشكك في كونه أول من أسلم من الرجال.

وهذه المسألة قد بحثها العلماء رحمهم الله تعالى. يقول المستشرق مونتجمري وات (**Montgomery Watt**) عن الأسبقية في الدخول في الإسلام.

(وهناك إجماع على أن خديجة كانت الأولى التي آمنت بزوجها وبرسالته ولكن قامت مناقشة حامية حول الرجل المسلم الأول.

ولقد كان بين يدي الطبري عدد كبير من المصادر وهو يترك للقارئ أمر الاختيار بين ثلاثة أشخاص: علي، أبو بكر، وزيد بن حارثة، ولربما كان علي جديراً بذلك ولكن هذا لا معنى له في نظر المؤرخ العربي لأن علياً كان آنئذ في التاسعة أو العاشرة من عمره، وكان أحد أفراد عائلة محمد، وليس أبو بكر بأقل جدارة من علي ولكن بمعنى آخر وهو أنه كان أعظم المسلمين شأناً أيام قضية الحبشة، بعد محمد[٢].

ويبدو دوره الكبير الذي قام به فيما بعد في الروايات الأولى، وربما كان زيد بن

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣١١)، مادة: (أبو بكر).

(٢) قد يكون الصحيح قضية السقيفة.

حارثة هو الأجدر باعتباره أول مسلم ذكر ؛ لأنه كان عبداً حرره محمد ، وكانت صلتهما متينة ، غير أن حقارة أصله تعني أن إسلامه لم يكن له نفس مغزى إسلام أبي بكر)[1] .

فيرى المستشرق منتجمري وات في هذا النص: أن هناك إجماع على أن خديجة رضي الله عنها هي أول من أسلم على الإطلاق . وأن الطبري في تاريخه قد جمع الأقوال في هذه المسألة .

ثم يذكر رأيه في المسألة وأن الأجدر بالمرتبة في الأسبقية أبو بكر رضي الله عنه ، وأنه أعظم المسلمين شأناً لكنه يرجع ويقول: ربما يكون زيد بن حارثة رضي الله عنه أجدر بالأسبقية ، لكن لكونه مولى فتقل أهمية إسلامه عن إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فهذه المسألة لم يحققها هذا المستشرق ، فنجد عنده شيء من التردد وعدم الثبات .

والعلماء لم يختلفوا في أن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها هي أول من دخل في الإسلام ، لكن الاختلاف فيمن كان بعدها ، وقد يقيد بالرجال .

وهذا الاختلاف بين الأقوال ، بل وبين العلماء في ذلك ، قد نقله كثير من العلماء من المحدثين والمؤرخين . وقد وصلوا إلى اتفاق ، سأذكره قريباً .

وأما تقليل شأن إسلام بعض الصحابة رضي الله عنهم ، فهذا أمر لم يقله أحد من المسلمين .

وبهذا يتبين مما سبق أن المستشرقين لم يدرسوا مسألة الأسبقية دراسة وافيه ولم يصلوا فيها إلى نتائج صحيحة ومُرضية .

الاختلاف في أول الصحابة رضي الله عنهم إسلاماً: وهذه أهم الأقوال في أول الصحابة رضي الله عنهم إسلاماً ، حيث اختلف العلماء في ذلك:

الأقوال ثلاثة ، طرفان ووسط .

---

(١) كتاب محمد في مكة ، لمونتجمري (ص ١٤٤ – ١٤٥) ، وينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية (١/٢٩٨) ، مادة: (أبو بكر) هذا النص لا يوجد في طبعة الدائرة .

وتحرير محل النزاع أن يقال: أن العلماء رحمهم الله تعالى لم يختلفوا في أن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها هي أول من أسلم على الإطلاق، أو من النساء، وإنما الاختلاف في أول الرجال دخولاً هل هو أبو بكر، أم علي، أم زيد بن حارثة، أم بلال بن رباح رضي الله عنهم أجمعين(١).

* **القول الأول**: أن أول من دخل الإسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن أبي أمامة(٢) رضي الله عنه قال: (قال عمرو بن عبسة السُّلميُّ(٣): كنت وأنا في الجاهلية، أظنُّ أن الناس على ضلالةٍ، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يُخبرُ أخباراً، فقعدتُ على راحلتي، فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً، جُراءُ(٤) عليه قومهُ، فتلطَّفتُ حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟

قال: (**أنا نبيٌّ**) فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: (**أرسلني الله**).

فقلت: وبأيٍّ شيء أرسلك؟

قال: (**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يُوحَّد الله لا يُشرك به شيءٌ**) قُلتُ له: فمن معك على هذا؟

قال: (**حُرٌّ وعبدٌ**). قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به.

---

(١) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٧)، والروض الأنف للسهيلي (٢/ ٢٨٩)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ١١٠)، وتاريخ الطبري (١/ ٥٣٥).

(٢) أبو أمامة الباهلي: صُدي بن عجلان بن الحارث الباهلي، صحابي جليل، توفي سنة ٨١هـ وقيل ٨٦هـ، وهو آخر من مات من الصحابة رضي الله عنهم بالشام على قول بعضهم. ينظر: الاستيعاب (ص ٧٧٢)، رقم (٢٨١١)، أسد الغابة (٤/ ٣٧٥)، رقم (٥٦٩٦).

(٣) هو عمرو بن عبسة بن عامر السُّلمي: يُكنى أبا نجيح، ويقال أبو شعيب، أسلم قديماً في أول الإسلام، مات بحمص، كتاب الاستيعاب (ص ٤٩٢)، رقم (١٧٤٨)، الإصابة (ص ٩٨٤)، رقم (٦٧٧٢).

(٤) جُراء: بوزن علماء، جمع جريء: أي متسلطين عليه غير هائبين له. ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٦)، مادة: (جرأ).

فقلت: إني مُتبعك . . .) [١] الحديث .

ففي قوله (ومعه يومئذ أبو بكر وبلال) دليل قوي لمن قال بأن أول من دخل في الإسلام أبو بكر وبلال رضي الله عنهما .

وعن مُجالد[٢] عن الشعبي قال: (سألت ابن عباس: من أول من أسلم؟ فقال: أبو بكر الصديق ، ثم قال: أما سمعت قول حسان بن ثابت؟:

إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثقةٍ
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خيرَ البرية أتقاها وأعدلها
بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثاني الثاني المحمود مشهدُه
وأول الناس منهم صَدَّق الرسلا) [٣]

ففي الحديث أن ابن عباس وحسان رضي الله عنهما يقولان بأن أول من أسلم أبو بكر رضي الله عنه .

وعن ابن سيرين رحمه الله قال: (أول من أسلم من الرجال أبو بكر ، وأول من أسلم من النساء خديجة) [٤] .

وعن محمد بن كعب القرظي قال: (إن أول من أسلم من هذه الأمة برسول الله خديجة ،

---

(١) كتاب: صلاة المسافرين ، بابـ: إسلام عمرو بن عبسة ، ح/ ٢٩٤ (ص ٣٣٤) .

(٢) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ، أبو عمرو ، ويقال: أبو سعيد الكوفي ، ضعفه العلماء ، توفي سنة ١٤٤هـ . ينظر: الكاشف (٢/ ٢٣٩) ، رقم (٥٢٨٦) ، تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٢) ، رقم (٧٦٥٨) .

(٣) أخرجه أحمد في كتابه فضائل الصحابة (١/ ١٦٣) ، والحاكم في مستدركه ، ح/ ٤٤٧٠ (٨٨٧) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٣) ، وقال الهيثمي: فيه الهيثم بن عدي وهو متروك ، وقال محقق كتاب فضائل الصحابة وصي الله عباس: إسناده ضعيف جداً لأجل محمد بن حميد الرازي ، فإنه متروك ، ومجالد بن سعيد ضعيف .

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في كتابه (فضائل الصحابة) (١/ ٢٧٩) رقم (٢٧٢) ، قال محققه: [فيه] إسماعيل بن الوليد أبو يونس الراسبي ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح . . . وسكت عنه ، والباقون ثقات .

وأول رجلين أسلما: أبو بكر الصديق وعلي، وإن أبا بكر أول من أظهر إسلامه)[١].

وعن إبراهيم النخعي رحمه الله قال: (أبو بكر أول من أسلم مع رسول الله ﷺ)[٢].

عن يوسف بن يعقوب يعني الماجشون[٣] رحمه الله قال: (سمعت مشيختنا أهل الفقه منهم سعد بن إبراهيم[٤]، وصالح بن كيسان[٥]، وربيعة بن أبي عبدالرحمن[٦]، وعثمان بن محمد الأخنسي[٧]، وغير واحد يذكرون: أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال)[٨].

وهناك آثار غيرها تجدها في مواضعها.

وهذا القول قال به ابن عباس، وحسان بن ثابت، وإبراهيم النخعي، ومحمد ابن كعب القرظي رحم الله الجميع ورضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ.

* **القول الثاني**: أن أول من دخل في الإسلام هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أخرج ابن إسحاق بسنده عن مجاهد بن جبر[٩] قال: (كان من نعمة الله على علي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتابه (فضائل الصحابة) (١/ ٢٧٧) رقم (٢٦٨)، قال محققه: إسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد في (فضائل الصحابة) (١/ ٢٧٥) رقم (٢٢٦٢)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٩١) بلفظ (أول من صلى). وقال محقق (فضائل الصحابة): إسناده صحيح.

(٣) هو يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون، أبو سلمة المدني، أحد العلماء الثقات، توفي سنة ١٨٣ أو ١٨٤هـ، والماجشون بالفارسية الورد. ينظر: الثقات لابن حبان (٤/ ٤٠٦)، رقم (٥٣٧٣)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٥٤)، رقم (٩٢٢٨)، وتقريب التهذيب (ص ٥٤١)، رقم (٧٨٩٥).

(٤) سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، أبو إسحاق، أحد العلماء الثقات، توفي سنة ١٢٧هـ. ينظر: كتاب الثقات لابن حبان (٢/ ١٨١)، رقم (١٤٠٤)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٥٩٥)، رقم (٢٦٢٦).

(٥) هو صالح بن كيسان المدني، أبو محمد، ويقال أبو الحارث، تابعي ثقة. وهو مؤدب ولد عمر بن عبدالعزيز، توفي بعد ١٤٠هـ. ينظر: الثقات (٣/ ٤٤٤)، رقم (٢٠٨٩)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢١٩)، رقم (٣٣٦٥).

(٦) هو ربيعة بن أبي عبدالرحمن، فروخ التيمي، مولاهم، أبو عثمان المدني المعروف بربيعة الرأي، كان من فقهاء المدينة، وثقاتها، وعنه أخذ الإمام مالك الفقه، توفي سنة ١٣٣هـ. ينظر: الثقات (٢/ ١٣٧)، رقم (١٠٦٧)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٤١٨)، رقم (٢٢٥٠)، وتهذيب التهذيب (ص ١٤٧)، رقم (١٩١١).

(٧) هو عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي الأخنسي، وثقه بعض العلماء مثل ابن معين، وابن حبان وغيرهما. ينظر: الثقات (٤/ ١٢٤)، رقم (٣٢١٦)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٤٥)، رقم (٥٣٠٨)، وتهذيب التهذيب (ص ٣٢٧)، رقم (٤٥١٥).

(٨) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٧٦)، رقم (٢٦٤)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٩) هو مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي المقرئ، مولى السائب بن أبي السائب، التابعي الثقة، توفي ١٠٢هـ. ينظر: تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٤)، رقم (٧٦٦١)، وتقريب التقريب (ص ٤٣٥)، رقم (٦٤٨١).

بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم، يا عبَّاس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفِّف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكلهما عنه. فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما... فأخذ الرسول ﷺ عليًّا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآمن به وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه)(١).

ففي قوله: (فاتبعه) دليل على أولية وقدم إسلام علي رضي الله عنه.

وقال ابن إسحاق: وذكر بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب... ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟

قال: **أي عمّ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم... وأنت أي عمّ أحقُّ من بذلت له النصيحة**(٢).

في قوله: (وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه، ثم عثر عليهما يصليان)، دليل على أن علي رضي الله عنه أول من أسلم من الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٨٣)، وينظر: كتاب الروض الأنف (٢/ ٢٨٨)، وعيون الثر (١/ ١١١).

قلت: وإسناده صحيح، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) السيرة النبوية (١/ ٢٨٣)، وينظر: الروض الأنف (٢/ ٢٨٨)، وعيون الأثر (١/ ١١٢)، قلت: وإسناد الحديث ضعيف، لتدليس ابن إسحاق وعدم تصريحه بمن روى عنه، والله أعلم.

وأخرج ابن سعد بسنده عن زيد بن أرقم قال: (أول من صلى مع النبي ﷺ علي بن أبي طالب)(١).

وقال ابن إسحاق: (ثم كان أول ذَكرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدَّق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه وهو يومئذ ابن عشر سنين... ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرحبيل بن كعب بن عبدالعزى بن امرئ القيس الكلبي، مولى رسول الله ﷺ، وكان أوَّل ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب... ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة)(٢).

وقال الترمذي: (واجتمع أصحابنا على أن عليًّا أسلم بعد تنبأ رسول الله ﷺ بسنة فأقام بمكة اثنتي عشر سنة)(٣).

وهناك آثار غيرها، وقال بهذا القول: علي بن أبي طالب، وزيد بن أرقم، وابن إسحاق، والواقدي وغيرهم.

* **القول الثالث**: الجمع بين هذه الأقوال بأن يقال أول من أسلم على الإطلاق خديجة، ومن النساء أيضاً، ومن الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال رضي الله عنهم أجمعين.

هذا إذا كان الاختلاف في القول من أسبق إلى الإسلام أبو بكر أو علي رضي الله عنهما، وإلا فهناك غيرهما وهما رجلان بالغان: زيد بن حارثة، وبلال رضي الله عنهما.

وقال أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: (الأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث علي، ومن النساء خديجة، ومن

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٣)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٤) ح/ ١٠٤٠، وقال محققه: إسناده صحيح.
(٢) كتاب السيرة النبوية (١/ ١٨٨٢، ٢٨٤، ٢٨٦)، والروض الأنف (٢/ ٢٨٧)، وعيون الأثر (١/ ١١٢).
(٣) كتاب تاريخ الطبري (١/ ٥٣٩).

الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، والله أعلم)[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: (والجمع بين الأقوال كلها: أن خديجة أول من أسلم من النساء - وظاهر السياقات - وقيل: الرجال أيضاً. وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت، وأول من أسلم من الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم؛ إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب مال وداعية إلى الإسلام، وكان محبباً متألفاً، يبذل المال في طاعة الله ورسوله)[٢].

وقد قال بهذا القول كثير من العلماء من أمثال ما سبق، والعراقي، والسخاوي، والسيوطي وغيرهم كثير[٣].

وبهذا يزول اللبس والخلاف، وبه يمكن الجمع بين ما استدلت به كلتا الطائفتين.

٣ - رأي المستشرقين في مكانة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الإسلام.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أوائل من أسلم وأجاب دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام؛ وأول من تولى الخلافة الراشدة بعد وفاة الرسول ﷺ، وفضائله عظيمة، نطقت بها آيات الكتاب، وأحاديث الرسول ﷺ، والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم[٤].

كما أن له رضي الله عنه مقام صدق، وموقف عظيم كفى الله به الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة، ومن يلي الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، وحارب المرتدين ومانعي الزكاة، وواصل نشر الإسلام، وجمع القرآن الكريم إلى غيرها من مآثره رضي الله عنه وحسناته الكثيرة.

---

(١) كتاب مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (ص ١٥٠).

(٢) كتاب البداية والنهاية، لابن كثير (٢/ ٣١).

(٣) ينظر: فتح المغيث للسخاوي (٤/ ١٢٣)، وتدريب الراوي (٢/ ٢٠١).

(٤) ينظر في ذلك إلى كتاب الصحاح والسنن والمسانيد الحديثية ففيها عدد كبير من الروايات والشهادات من الرسول ﷺ، ومن الصحابة رضي الله عنهم في فضل أبي بكر رضي الله عنه ومكانته.

ولبعض المستشرقين نظرتهم ورأيهم في مكانة الصديق وفضله رضي الله عنه وأرضاه، نقف على بعض منها:

فقد قال المستشرق بول (**Buhl**)عن مكانة وفضل الصديق رضي الله عنه: (من أهم الشخصيات في صدر الإسلام، وكان من أخص صفاته ذلك الإيمان القوي الذي لا يتزعزع بأن محمداً هو الرسول الذي اختاره الله لإبلاغ رسالته، وهذا الإيمان جعله يأخذ كل كلمة من كلمات الرسول على أنها حقيقة مطلقة، وظل أبو بكر ثابت الإيمان حتى في الأحوال الكثيرة التي كان الناس فيها يشكون في أقوال النبي، كما في حديثه عن الإسراء، أو عندما حار الناس في تعليل مسلك النبي كما في صلح الحديبية . . . وكان إلى جانب ذلك سليم الطوية مخلصاً، استطاع في كثير من الأوقات بفضل سداد رأيه أن يحول بين النبي وبين الاندفاع في الأمور)[1] .

فقد ذكر هذا المستشرق شيئاً عن مكانة وفضل أبي بكر رضي الله عنه، وركّز على بعض الصفات الشخصية الخاصة بأبي بكر رضي الله عنه، إيمانه بالرسول ﷺ، وخاصة في بعض الأحوال والظروف، مثل موقفه من حادثة الإسراء، وصلح الحديبية، وهذا القول من المستشرق (بول) في بيان مكانة وفضل أبي بكر رضي الله عنه فيه إنصاف، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه من أهم وأعظم الشخصيات في صدر الإسلام، بل وفي جميع عصور الإسلام .

وأما قول المستشرق: (**وكان من أخص صفاته ذلك الإيمان القوي الذي لايتزعزع...**) .

فهذا صحيح، دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والآثار عن السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم ،ويدل عليه تصديق أبي بكر رضي الله عنه للرسول ﷺ في خبر إسرائه وقد تقدم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**بينما راع في**

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣١٢)، مادة: (أبو بكر) .

غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفت إليه فكلّمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خُلقت للحرث).

فقال الناس: سبحان الله! فقال النبي ﷺ: (**فإني اومن بذلك وأبو بكر وعمر**)(١) رضي الله عنهما.

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: (يحتمل أن يكون ﷺ قال ذلك لما اطلع عليه من غلبة صدق إيمانهما وقوة يقينهما، وهذا أليق بدخوله في مناقبهما)(٢).

وقال النووي رحمه الله: (قال العلماء: إنما قال ذلك ثقةً بهما لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته، ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما)(٣).

وفي مسارعته رضي الله عنه إلى تصديق الرسول ﷺ جاء الحديث، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: - هذا بعد خلاف حصل بين أبي بكر وعمر -: (**إن الله بعثني إليكم: فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق،وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**) مرتين فما أوذي بعدها)(٤).

وأما قوله: (**استطاع في كثير من الأوقات بفضل سداد رأيه أن يحول بين النبي وبين الاندفاع في الأمور**).

فما دليله على هذا القول، وأن أبا بكر رضي الله عنه كان يحول بين النبي وبين الاندفاع في الأمور. زعم باطل ليس له عليه دليل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ويقول المستشرق بليائيف (Bellaev):(**كان لأبي بكر وعمر أثر بيِّن في نفس النبي**

---

(١) أخرجه البخاري، ح/٣٦٦٣، (ص ٧٥٠)، ومسلم، ح/١٣، (ص ١٠٥١).

(٢) فتح الباري ح/٣٦٦٣، (٧/٢٧).

(٣) شرح النووي على مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، ح/١٣، (١٥/ ٢٢٤).

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ح/ ٣٦٦١ (ص ٧٤٩).

حتى أن شبرنغر اعتبر عمر بن الخطاب مؤسس الإسلام بعد النبي. وواقع الحال أن الائتلاف الذي جمع بين محمد وأبي بكر وعمر كان ائتلافاً قوياً بسط سلطته ونفوذه في المجتمع الإسلامي الأول في المدينة)(١) .

فالمستشرق يرى أن لأبي بكر وعمر أثر في نفس النبي ﷺ ، وأن حالة الائتلاف التي قامت بين الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أدَّى إلى بسط السلطة في المدينة .

أما قوله: (**كان لأبي بكر وعمر أثر بيِّن في نفس النبي**)، فهذا قول يحتاج إلى إيضاح ، لوجود شيء من الغموض . فإن كان المقصود أن الرسول ﷺ رضي عنهما ، ومدحهما وبيَّن منزلتهما فهذا صحيح وشواهد ذلك كثيرة .

وإن كان أراد بذلك الأثر على نفس النبي فيما جاء به ﷺ من أوامره الشرع ونواهيه وما يتعلق بذلك فهذا غير صحيح .

وقوله: (**...أن شبرنغر اعتبر عمر بن الخطاب مؤسس الإسلام بعد النبي**)، هذا القول غير صحيح فإن الإسلام تأسس بالكتاب والسنة ، ولم يمت الرسول ﷺ إلا وقد كمل الدين ، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣] .

والصحيح أن يقال: مؤسس دولة الخلافة الإسلامية ومع ذلك فإن ترتيب عمر رضي الله عنه في ذلك بعد أبي بكر رضي الله عنه .

وقوله: (**وواقع الحال أن الائتلاف الذي جمع بين محمد وأبي بكر وعمر كان ائتلافاً قوياً...**) ، الحق أن يقال: الائتلاف بين المهاجرين والأنصار ؛ لأن الرسول ﷺ سعى في أول هجرته إلى المدينة أن يعمل على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار . وهذا الأمر قوَّى سلطة الرسول ﷺ وحقق كثيراً من النتائج الإيجابية في نشر الإسلام .

ويصفه المستشرق بودلي (**Bodley**) بقوله:(**وكان سريع الخاطر ذكياً، ومع أنه كانت**

---

(١) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية ، تأليف: بليائيف (ص ١٥٤) .

تنقصه حماسة محمد العاطفية، كان أعظم منه شخصية في بعض النواحي)(١) .

فهذا المستشرق مع وصفه لأبي بكر رضي الله عنه بالذكاء إلا أنه ينقصه الحماس العاطفي الذي يتصف به الرسول ﷺ ، ومع ذلك يصف أبا بكر رضي الله عنه بأنه أعظم شخصية في بعض النواحي .

فالمستشرق (بودلي) في أول كلامه أنصف حين وصف الصديق رضي الله عنه بالذكاء ، وهذا حق فأبو بكر رضي الله عنه ذكي زكي ، وسيرته رضي الله عنه شاهدة بذلك .

إلا أن قوله: **(ومع أنه كانت تنقصه حماسة محمد العاطفية، كان أعظم منه شخصية في بعض النواحي)** . قول غير صحيح ، وفيه عقد مفاضلة بين مختلفين ، فمحمد ﷺ هو رسول رب العالمين ، يوحي إليه بشرعه ، وأما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فهو صاحب وتابع للرسول ﷺ ، لا يخرج عن طوعه وأمره .

ولو قُلب هذا القول على النصارى وأنت أيها المستشرق منهم لو قيل: الحواريون أعظم شخصية من المسيح عيسى عليه السلام ما رضيتم بذلك .

ولو قيل لليهودي: أصحاب موسى عليه السلام أعظم شخصية من موسى ما رضي بذلك .

فكذلك لا يرض المسلمون أن يقال: إن أبا بكر أعظم شخصية من الرسول ﷺ . فأبو بكر رضي الله عنه حسنة من حسنات الرسول ﷺ ، فلم يصل إلى ما وصل إليه من مرتبة الإيمان والتصديق ، والشهادة له بالجنة إلا بمتابعة الرسول ﷺ والإيمان به ، والإخلاص في ذلك .

وما هذه المفاضلة من هذا المستشرق بين الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه إلا للغض من منزلة الرسول ﷺ ، كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ

---

(١) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٥٥) ، وينظر: (ص ١٤١) ، وينظر: كتاب حياة محمد ، فميل درمنغم (ص ١٤١ ، ١٥١) ، وكتاب الأسر الحاكمة في الإسلام ، لبوزورث (ص ١٩) .

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨] .

أما المستشرق (ولز)[١] فيقول: (لم تكن روح الإسلام الحقة متجسمة في محمد فقط ، وإنما في صديقه الحميم ونصيره أبي بكر ، ولا يقوم أدنى شك في أنه إن كان محمد هو ذهن الإسلام البدائي وخياله ؛ فقد كان أبو بكر ضميره وإرادته ، ففي كل أيام حياتهما معاً كان محمد هو الذي يقول الشيء ، فيؤمن به أبو بكر أوثق الإيمان ، فإذا تردد محمد أسنده أبو بكر .

كان أبو بكر رجلاً عامر النفس باليقين خلوها من الشكوك ، وكانت معتقداته تقطع قطعاً حاسماً فتصبح – شأن السكين الشاحذة – أفعالاً جازمة .

وما يخالجنا إلا شديد التأكد في أن أبا بكر ما كان ليداري أو يصانع حيال أرباب مكة الأصاغر ولا كان بحاجة إلى الوحي ليفسر للناس تصرفاته في حياته الخاصة)[٢] .

فالمستشرق هنا يحاول تقسيم الأدوار بين الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ، ثم يصف أبا بكر رضي الله عنه باليقين في إيمانه ، إلا أنه في الأخير يعقد مقارنة خفية بين أبي بكر رضي الله عنه وبين الرسول ﷺ ، حيث لم يصرح باسمه . ويدل لذلك بداية كلامه .

وكلام المستشرق (ولز) هنا مشابه لكلام المستشرق (بودلي) إلا أن (بودلي) اختصر وأطال (ولز) .

فقوله: (**لم تكن روح الإسلام الحقة متجسمة في محمد فقط، وإنما في صديقه الحميم ونصيره أبي بكر**)، فهو هنا يحاول أن يشرك الصديق رضي الله عنه مع الرسول ﷺ في أمر الإسلام ، فروح الإسلام وحي الله وشرعه ، وأمره ونهيه . وهذا القول لا يكون إلا ممن لا يرى الإسلام ديناً ، وإنما يراه ديناً وضعياً مخترعاً .

لذلك جعل المستشرق أبا بكر رضي الله عنه مشاركاً للرسول ﷺ وكأنهما يشاركان ويؤلفان ديناً واحداً .

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) كتاب معالم تاريخ الإنسانية ، تأليف ولز (ص ٧٩٤) .

وانظر إلى قوله: (**ولا يقوم أدنى شك في أنه إن كان محمد هو ذهن الإسلام البدائي وخياله، فقد كان أبو بكر ضميره وإرادته، ففي كل أيام حياتهما معاً كان محمد هو الذي يقول الشيء، فيؤمن به أبو بكر أوثق الإيمان، فإذا تردد محمد أسنده أبو بكر**) .

هذا القول مثل سابقه، يرى المستشرق أن هناك تقاسم أدوار بين الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، فأحدهما يؤلف من ذهنه وخياله والآخر ينفذ... ويساند صديقه إذا تردد؟!

فالإسلام عند هذا المستشرق إنما هو من خيال الرسول ﷺ وليس وحياً من عند الله عز وجل.

وأما قوله: (**كان أبو بكر رجلاً عامر النفس باليقين خلوها من الشكوك..**)، فيه وصف لأبي بكر رضي الله عنه بالإيمان الصادق واليقين الثابت الذي لا يتطرق إليه الشك، وقد دلت الأدلة من أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة رضي الله عنهم على ذلك.

إلا أن هذا القول من هذا المستشرق لم يرد منه الثناء على أبي بكر رضي الله عنه، وإنما أراد الطعن في الإسلام، ويمثل ذلك الطعن في الرسول ﷺ وأنه جاء بدين من وضعه، ومن تأليف ذهنه، وساعده على ذلك أبو بكر رضي الله عنه.

وقوله: (**وما يخالجنا إلا شديد التأكد في أن أبا بكر ما كان ليداري أو يصانع حيال أرباب مكة الأصاغر ولا كان بحاجة إلى الوحي ليفسر للناس تصرفاته في حياته الخاصة**) .

المستشرق هنا يعقد مقارنة بين أبي بكر رضي الله عنه، والرسول ﷺ وإن لم يصرح باسمه، إلا أن سياق الكلام وقرائن الحال تدل على ذلك.

والمستشرق أعماه الحقد والبغض للإسلام، لذا جاء ينفث سمومه، ويعبر عن كراهيته بشتى العبارات.

فالرسول ﷺ نبي مرسل إلى كافة الناس، ليخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والإسلام، وكان من هديه ﷺ الرفق في الدعوة، وتأليف القلوب حتى ترى من الإسلام ما يعجبها فتقبل عليه راغبة، ولم يقتصر ذلك التعامل من الرفق مع كفار

قريش، بل تعداه إلى غيرهم من العرب والعجم، كما أن أعماله فيما يأمر به وينهى عنه متعلق بالوحي.

وأما غيره من الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فليس لهم حق في التشريع، فهم تابعون لما جاء به الرسول ﷺ، وما نزل عليه من الوحي (الكتاب والسنة).

وأبو بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، بل وسائر المسلمين هم بحاجة إلى الوحي في تصرفاتهم وفي حياتهم الخاصة.

والأدلة على ذلك من واقع حياة الصحابة رضي الله عنهم ونشرهم للإسلام في أصقاع المعمورة، وسيرد في كثيرمن موضوعات بحثنا أن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بآيات الكتاب وأحاديث السنة المطهرة في كثير من شأنهم، وخاصة في مواضع الاختلاف والاختيار.

ولعله في خاتمة هذه الأسطر يتبين لنا شيء من موقف المستشرقين من أبي بكر الصديق رضي الله عنه فضله ومكانته، وأن البعض منهم قد حاولوا مساواته بالرسول ﷺ من أجل التهجم على مقام صاحب الرسالة ﷺ.

٤ - موقف المستشرقين من بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة: من الأحداث المهمة في تاريخ الإسلام، أو تاريخ الصحابة رضي الله عنهم حادث أو قضية من يلي الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، والذي حدث مباشرة، وكاد يُفرق وحدة صف الصحابة رضي الله عنهم، لولا عناية الله عز وجل.

حيث سعى الأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار رجل منهم، وأدركهم المهاجرون قبل مبايعتهم له، وكان على رأس هؤلاء المهاجرين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ودار الحوار بينهم على من يلي الأمر بعد الرسول ﷺ، وغلب المهاجرون الأنصار بسلطان النص الشرعي، وانتهى الأمر بمبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكل هذه الحوارات والمجادلات لم تستغرق إلا ساعة من النهار، وقد دُوِّن هذا

الحدث في كثير من كتب السنة، والسير والتاريخ.

كما كان محط اهتمام المستشرقين، حيث كان لهم رأيهم وتصورهم، ومناهجهم في الكتابة عن تاريخ الصحابة رضي الله عنهم، وتاريخ المسلمين.

فيقول المستشرق تسترستين (**Zettersteen**)عن اجتماع الصحابة رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة: (وما إن تواترت الأنباء في المدينة بوفاة محمد عليه السلام حتى اجتمعت الأوس والخزرج وخطب سعد [بن عبادة] في جموعهم ورُشح للخلافة رجلاً من الأنصار. ومالت غالبية الحاضرين إلى مبايعته على الفور على أن بعض المسلمين الآخرين ظهروا في الميدان، وخاصة أبو بكر وعمر، وتداول المجتمعون في الأمر وحمي وطيس مناقشاتهم بما هدد باندلاع لهيب الفتنة، غير أن أبا بكر بويع بالخلافة)[(١)].

وتقول المستشرقة بوجينا ستيشجفسكا (**Strzewske**): (والرسول لم يوص بالخلافة لأحد، ولذلك وقع نزاع عقب موته بين المهاجرين والأنصار، وحتى قال بعضهم: منا أمير ومنكم أمير. فرأى عمر أن الأمر سيشتد فبايع أبا بكر وتبعه بقية الصحابة، وبهذه المبايعة تمت الخلافة لأبي بكر)[(٢)].

وهذان القولان صحيحان، قد جاءت الآثار الصحيحة بنحوها، وهي تُسمى بقصة سقيفة بني ساعدة[(٣)]، أو ببيعة أبي بكر رضي الله عنه. وقد حدثت في يوم وفاة الرسول ﷺ، وحصل فيها اختلاف بين المهاجرين والأنصار فيمن يتولى الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، لكنه لم يلبث إلا قليلاً. حيث تم الاتفاق بين الصحابة رضي الله عنهم، وجنبت المسلمين ويلات الاختلاف والتفرق.

فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها من الحديث وفيه: (اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا:

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١١/٤٠٧ – ٤٠٨)، مادة: (سعد بن عبادة)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (١٨/٥٦٤٦)، مادة: (سعد بن عبادة).

(٢) كتاب تاريخ التشريع الإسلامي (ص ٣٧).

(٣) سقيفة بني ساعدة: دار لقوم من الأنصار من بني كعب بن الخزرج بن ساعدة، ومنهم سعد بن عبادة، وهي بمنزلة دار الندوة التي كانت لقريش في مكة. كتاب معجم البلدان، لياقوت الحموي (٣/٢٢٨).

مِنَّا أمير ومِنكم أمير ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عُبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلَّم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء . فقال حُباب بن المنذر[١]: لا والله لا نفعل ، منَّا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر: لا ، ولكنَّا الأمراء ، وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب داراً ، وأعربهم أحساباً ، فبايعوا[٢] عمر بن الخطاب ، أو أبا عُبيدة بن الجراح .

فقال عمر: بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ عمر بيده فبايعه ، وبايعه الناس ، فقال قائلٌ: قتلتم سعد بن عبادة ، فقال عمر: قتله الله[٣])[٤] .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب في أيام خلافته في الناس فقال: (. . . إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول[٥]: والله

---

(١) هو الحُباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي ، يُكنى أبا عمرو ، شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، ومات الحباب بن المنذر في خلافة عمر . الاستيعاب (ص ١٧٢) ، وأسد الغابة (١/ ٤١٤) ، رقم (١٠٢٣) .

(٢) فبايعوا: هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة ، كأن كل واحد منهما باع من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه طاعته ودخيلة أمره . النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧١) ، مادة: (بيع) .

(٣) قال ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري في معنى: "فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة ، فقال عمر: قتله الله" أي كدتم تقتلونه ، وقيل هو كناية عن الإعراض والخذلان ، ويرده ما وقع في رواية موسى بن عقبة عن أبي شهاب: (فقال قائل من الأنصار: أبقوا سعد بن عبادة لا تطئوه ، فقال عمر: اقتلوه قتله الله) . نعم لم يُرد عمر الأمر بقتله حقيقة ، وأما قوله: (قتله الله) فهو دعاء عليه ، وعلى الأول هو إخبار عن إهماله والإعراض عنه ، وفي حديث مالك: (فقلت وأنا مُغضب قتل الله سعداً فإنه صاحب شر وفتنة) ، ح/ ٣٦٦٨ ، (٧/ ٣٥) .

(٤) كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ح/ ٣٦٦٨ ، (ص ٧٥١ – ٧٥٢) .

(٥) هذا القائل مبهم ، قال ابن حجر رحمه الله: لم أقف على اسمه ، ووقع في رواية إسحاق أن من قال ذلك كان أكثر من واحد ولفظه: (وأن رجلين من الأنصار ذكر بيعة أبي بكر) .

لو قد مات عمر بايعت فلاناً[1] ، فلا يغترنَّ امرؤٌ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة[2] وتمت ، ألا وإنها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرها ، وليس فيكم من تُقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر .

من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايعُ هو ولا الذي بايعه تغرَّه[3] أن يُقتلا . وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر . فقلتُ لأبي بكر: يا أبا بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان[4] ، فذكرا ما تتمالا عليه القوم ، فقالا: أين تُريدون يا معشر المهاجرين؟

فقلنا: نُريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقالا: لا ، عليكم أن لا تقربوهم ، اقضوا أمركم ، فقلت: والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتينا في سقيفة بني ساعدة ، فإذا رجلٌ مزمّل[5] ، بين ظهرانيهم ، فقلت من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة ، فقلت: ما لهُ؟

قالوا: يُوعَكُ[6] . فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو أهله ،

---

(١) قال ابن حجر: هو طلحة بن عبيدالله ، أخرجه البزار من طريق أبي معشر عن زيد بن أسلم عن أبيه وعن عمير مولى غفرة بضم المعجمة وسكون الفاء قالا: (قدم على أبي بكر مال ، فذكر قصة طويلة في قسم الفيء ثم قال: حتى إذا كان من آخر السنة التي حج فيها عمر قال بعض الناس: لو قد مات أمير المؤمنين أقمنا فلاناً ، يعني طلحة بن عبيدالله) . فتح الباري ، ح/ ٦٨٣٠ ، (١٢/ ١٦٧) .

(٢) فلتة: أراد بالفلتة الفجأة . ومثل هذه البيعة جديرة بأن تكون مهيِّجة للشر والفتنة فعصم الله من ذلك ووقى . والفلتة: كل شيء فُعل من غير رويَّة ، وإنما بودر بها خوف انتشار الأمر .النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤١٩) ، مادة: (فلت) .

(٣) تَغرَّة: مصدر غَرَّرته إذا ألقيته في الغرر ، وهي من التَّغرير ، كالتَّعِلَّة من التَّعليل ، وفي الكلام مضاف محذوف تقديره: خوف تغرَّة أن يُقتلا: أي خوف وقوعهما في القتل ، فحذف المضاف الذي هو الخوف ، وأقام المضاف إليه الذي هو تغرَّة مُقامه ، وانتصب على أنه مفعول له .المصدر السابق (٣/ ٣٢٠) ، مادة: (غرر) .

(٤) هما عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدي رضي الله عنهما ، كما جاء في رواية ابن إسحاق في السيرة . السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣١٧) .

(٥) مزمَّل: أي مُغطى مدثَّر ، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٨٣) ، مادة: (زمل) .

(٦) يوعك: الوعك الحمَّى ، وقيل ألمها . المصدر السابق (٥/ ١٧٩) ، مادة: (وعك) .

ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهطٌ(١)، وقد دفَّت دافَّةٌ(٢) من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا(٣) من أصلنا، وأن يحضُنونا(٤) من الأمر.

فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت زوَّرتُ(٥) مقالةً أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ(٦).

فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهتُ أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته(٧) مثلها أو أفضل حتى سَكتَ.

فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم لهُ أهلٌ، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم.

فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالسٌ بيننا، فلم أكره مما قال غيرها.

كان والله أن أقدَّم فتضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمَّر

---

(١) رهط: الرهط وهم عشيرة الرجل وأهله، والرهط من الرجال من الثلاثة إلى العشرة، وقيل إلى الأربعين، ولا تكون فيهم امرأةٌ ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط، وأراهِط جمع الجمع. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٥٧)، مادة (رهط)، ومعجم مقاييس اللغة (ص ٤٠٦)، مادة: (رهط).

(٢) دفَّت دافَّة من قوكم: الدافة: هم القوم يسيرون جماعة سيراً ليس شديداً، وعدى دفَّت بعلى على تأويل قدم وورَد. الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٧١)، مادة: (دفف)، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٦).

(٣) أن يختزلونا من أصلنا: أي يقتطعونا ويذهبوا بنا منفردين. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٨).

(٤) يحضنونا: أي يحجبونا ويجعلونا في حضن، أي في ناحية. الفائق في غريب الحديث (١/ ٢٥٣)، مادة: (حضن)، وينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٨٥)، مادة: (حضن).

(٥) زوَّرت: أي هيأتُ وأصلحت. والتزوير: إصلاح الشيء، وكلامٌ مزورٌ: أي محسن. النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٨٦)، مادة: (زور).

(٦) الحدّ: من الحِدَّة: ما يعتري الإنسان من النزق والغضب. كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٢٢٢)، مادة: (حدّ)، وكتاب الصحاح (١/ ٣٩٧)، مادة: (حد).

(٧) بديهته: أي أن الأمر لم يفجئه، ولم يتحير له. معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٢)، مادة: (بده).

على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تسوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن .

فقال قائل الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك ، وعذيقها المرجَّبُ[(١)] ، مِنَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، يا معشر قريش ، فكثر اللَّغط[(٢)] ، وارتفعت الأصوات ، حتى فرِقْتُ[(٣)] من الاختلاف ، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعتهُ الأنصار .

ونزونا[(٤)] على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم: قَتَلتُم سعد بن عُبادة ، فقلتُ: قتل الله سعد بن عُبادة .

قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشيناً إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يُبايعوا رجلاً منهم بعدنا ، فأمَّا بايعناهم على ما لا نرضى وإمَّا نخالفهم فيكون فساداً . . .)[(٥)] .

وقد رضي الأنصار رضي الله عنهم بالبيعة لأبي بكر رضي الله عنه ، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما قُبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار:مِنَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، فأتاهم عمر ،

---

(١) أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ وعُذَيقُها المُرَجَّبُ: الجذيل: تصغير الجِذْل ، وهو أصل الشجرة . والمحكَّك: الذي تتحكك به الإبل الجرْبى ، وهو عود يُنصب في مبارك الإبل تتمرَّسُ به الإبل الجربى .
والعذيق: تصغير العَذْق – بفتح العين – وهو النخلة .
والمرجَّب: الذي جعل له رُجْبَة وهي دعامة تُبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقعر من الرياح العواصف ، وهذا تصغير يراد به التكبير ، نحو قول لبيد:

وكلُّ أناس سوف تَدْخل بينهم
دويهيةٌ تصفرّ منها الأنامل

قال أبو عبيد: هذا قول الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، قاله يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر ، يريد أنه رجل يستشفي برأيه وعقله . كتاب مجمع الأمثال ، للميداني (ص ٣١) ، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٢) . وكذلك قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري بأن القائل الحباب بن المنذر . ينظر: فتح الباري ، كتاب: الحدود ، باب: رجم الحبلي في الزنا إذا أحصنت ، ح/ ٦٨٣٠ (١٢/ ١٧٤) .

(٢) اللَّغط: صوت وضجَّة لا يفهم معناها . النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢٧) ، مادة: (لغط) .

(٣) فرِقتُ: الفَرَق بالتحريك: الخوف والفزع . يقال: فَرِق يفرق فَرَقاً . المصدر السابق (٣/ ٣٩١) ، مادة: (فرق) .

(٤) نزونا: أي وقعوا عليه ووطئوه . المصدر السابق (٥/ ٣٨) ، مادة: (نزا) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، ح/ ٦٨٣٠ ، (ص ١٤٣٢ – ١٤٣٤) .

فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤمَّ الناس؟ فأيكم تطيبُ نفسه أن يتقدَّم أبا بكر؟فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدَّم أبا بكر)[١].

وسلَّم سعد بن عبادة رضي الله عنه بهذه البيعة، وأن تكون الخلافة في قريش. أخرج الإمام أحمد في مسنده، بسنده عن حميد بن عبدالرحمن[٢] رحمه الله: (فذكر الحديث عن وفاة الرسول ﷺ) ومنه قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان[٣] حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر، ولم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكرهُ رسول الله ﷺ من شأنهم إلا وذكرهُ، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار، ولقد علمت يا سعدُ أن رسول الله ﷺ وأنت قاعدٌ: قريش وُلاة هذا الأمر، فبرُّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. قال: فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء)[٤].

وجاءت أحاديث أخرى مصرحة بأن الأئمة من قريش ومنها: ما رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال: (**الأئمة من قريش**[٥]**، إن لهم عليكم حقاً، ولكم عليهم حقاً مثل ذلك**)[٦] الحديث.

ولذلك قال ابن كثير رحمه الله في كلامه عن سعد بن عبادة، (أما بيعة الصديق

---

(١) م/ الخلفاء الراشدين، مسند عمر بن الخطاب، ح/ ١٣٣، (٤٩)، وابن أبي عاصم، في كتاب السنة (ص ٥٤٧)، رقم (١١٥٩). وقال محقق المسند: إسناده حسن، مسند الإمام أحمد (١/ ٢٨٢)، رقم (١٣٣).

(٢) هو حميد بن عبدالرحمن الحميري البصري، التابعي الثقة، الفقيه، توفي سنة ١٠٠هـ، ينظر: كتاب الثقات (٢/ ٨٣) رقم (٦١٩)، وكتاب تهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٧)، رقم (١٨٣٧).

(٣) يتقاودان: أي يذهبان مسرعين، كأن كل واحد منهما يقود الآخر لسرعته. كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٠٥)، مادة: (قود).

(٤) م/الخلفاء الراشدين، مسند أبي بكر الصديق، ح/ ١٨، (ص ٣٨)، وقال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين، وهو مرسل، فإن حميد بن عبدالرحمن وهو الحميري، فيما قاله ابن حجر، في أطراف المسند ٢/ ورقة ١٣، تابعي ولم يدرك أبا بكر ولا عمر ولم يصرح هنا بذكر من حدَّثه، وقد تفرد به الإمام أحمد. أ.هـ مسند الإمام أحمد، نشر مؤسسة الرسالة (١/ ١٩٨)، رقم (١٨).

(٥) قال ابن حجر رحمه الله: (وقد جمعت طرقه من نحو أربعين صحابياً، لما بلغني أن بعض فضلاء العصر ذكر أنه لم يرد إلا عن أبي بكر الصديق). كتاب فتح الباري (٧/ ٣٥).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح/ ١٢٣٣٢، (ص ٨٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٦٣). وقال محقق المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده، مسند الإمام أحمد (١٩/ ٣١٨).

فقد روينا في مسند الإمام أحمد أنه سلم للصديق ما قاله من الخلفاء من قريش)[١] ، وإذا كان سعد بن عبادة رضي الله عنه سلَّم بالخلافة لقريش ، فيكون قد بايع الصديق رضي الله عنه ، وإذا لم يكن بايع وسكت ، فلا يعني ذلك خروجاً عن بيعة أهل الحل والعقد من الصحابة رضي الله عنهم ، وبايع بقية الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار أبا بكر رضي الله عنه بالخلافة في اليوم التالي ، خاصة ممن لم يحضر إلى سقيفة بني ساعدة ، وتسمى البيعة العامة .

قال ابن إسحاق رحمه الله في سيرته: (لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عُمر ، فتكلم قبل أبي بكر (ومن قوله) إن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة)[٢] .

واختلف في وقت مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، على قولين: القول الأول: أنه بايع في اليوم التالي ، (يوم البيعة العامة) ، وقيل تأخر ستة أشهر ، حتى توفيت فاطمة رضي الله عنها .

وعلى القول الأول ، هناك دليل وهو حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً مِنّا ، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان: أحدهما منكم ، والآخر منا .

قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك فقام زيد بن ثابت ، فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وإن الإمام يكون من المهاجرين ، ونحن أنصاره ، كما كُنا أنصار رسول الله ﷺ .

فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار وثبَّت قائلكم! ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم ، ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣٧) .

(٢) ينظر: كتاب السيرة النبوية (٤/ ٣١٨) ، وكتاب الروض الأنف (٧/ ٥٩١) .

بكر ، فقال: هذا صاحبكم فبايعوه ، ثم انطلقوا ، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًّا؟!

فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به ، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه(١) أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب(٢) يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه ، ثم لم ير الزبير بن العوام ، فسأل عنه حتى جاؤوا به ، فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال مثل قوله لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه)(٣) .

وعلى القول الثاني ، وأنه تأخر ستة أشهر ،جاء الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: (فذكرت الحديث وفيه): (وكان لعلي من الناس وجهٌ(٤) حياة فاطمة ، فلما تُوفِّيت استنكر عليٌّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا ولا يأتنا أحد معك ، كراهية ليحضر عُمر ، فقال عُمرُ: لا والله لا تدخل عليهم وحدك ، فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتينَّهم .

فدخل عليهم أبو بكر فتشهد عليٌّ فقال: إنَّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم ننفس(٥) عليك خيراً ساقه الله إليك . ولكنك استبددت(١) علينا بالأمر وكنَّا نرى

---

(١) ختنه: أراد بختنه أبا زوجته ، والأختان من قبل المرأة ، والأحماء من قبل الرجل . والصهر يجمعهما . كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١) ، مادة: (ختن) .

(٢) لا تثريب: التثريب اللوم والأخذ على الذنب ، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢] وقال الأصمعي: ثرَّبتُ عليه وعرَّبتُ عليه بمعنى إذا قبَّحتُ عليه فِعلهُ . كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ١٦٦) ، مادة: (ثرب) ، وكتاب الصحاح (١/ ١٢٧) ، مادة: (ثرب) .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب: معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب: ذكر الاختلاف في أمر الخلافة ، ح/ ٤٥١٤ ، (ص ٨٩٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٣) ، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) . وصحح الحديث ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٦٢) .

(٤) وجه: أي جاهٌ وعِزٌّ ، فقدمها بعدها . كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٣٩) ، مادة (وجه) .

(٥) لم ننفس: أي لم نبخل . المصدر السابق (٥/ ٨٣) ، مادة: (نفس) .

لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيباً حتى فاضت عَيْنا أبي بكر!

فلما تكلَّم أبا بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي.

وأما الذي شَجَرَ[٢] بيني وبينكم من هذه الأموال[٣] فلم آلُ فيها عن الخير ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته.

فقال عليٌّ لأبي بكر: موعدُك العشية[٤] للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر رقى المنبر فتشهد وذكر شأن عليٍّ وتخلُّفه عن البيعة وعذرهُ بالذي اعتذر إليه.

ثم استغفر وتشهد عليٌّ فعظَّم حقَّ أبي بكر وحدَّث أنه لم يحملهُ على الذي صنع نفاسةً على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضّله الله به ولكنَّا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً. فاستبدَّ علينا فوجدنا في أنفسنا، فسُرَّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبت. وكان المسلمون إلى عليٍّ قريباً حين راجعَ الأمر بالمعروف[٥])[٦].

وفي رواية أخرى: (قال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخّرنا عن المشاورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي)[٧].

وقال النووي رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: (أما تأخر علي رضي الله عنه

---

(١) استبددت: أي انفردت به علينا، ينظر: كتاب الصحاح (١/ ٣٨٣)، مادة: (بدد).

(٢) شَجَرَ بيني وبينكم: أي ما وقع بيني وبينكم من الاختلاف. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٩٩)، مادة: (شجر).

(٣) المقصد ما طلبته فاطمة رضي الله عنها من إرثها بعد وفاة الرسول ﷺ من أرض خيبر.

(٤) العشية: العشيُّ ما بعد الزوال إلى المغرب. وقيل: العشيُّ من زوال الشمس إلى الصباح. المصدر السابق (٣/ ٣١٩)، مادة: (عشا).

(٥) (حين راجع الأمر بالمعروف): أي من الدخول فيما دخل فيه الناس. المصدر السابق (٧/ ٥٦٨).

(٦) أخرجه البخاري، ح/ ٤٢٤٠، ٤٢٤١، (ص ٨٧٣)، ومسلم ح/ ٥٢، (ص ٧٧٩).

(٧) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب ح/ ٤٤٧٩ (ص ٨٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٢). وقال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

عن البيعة فقد ذكره في الحديث، واعتذر أبو بكر رضي الله عنه، ومع هذا فتأخره ليس بقادح في البيعة ولا فيه، أما البيعة فقد اتفق العلماء على أنه لا يشترط لصحتها مبايعة كل الناس، ولا كل أهل الحل والعقد، وإنما يشترط مبايعة من تيسر إجماعهم من العلماء والرؤساء ووجوه الناس.

وأما عدم القدح فيه فلأنه لا يجب على كل واحد أن يأتي إلى الإمام فيضع يده في يده ويبايعه.

وما نقل عنه قدح في البيعة ولا مخالفة، ولكن بقي في نفسه عتب فتأخر حضوره إلى أن زال العتب، وكان سبب العتب أن وجاهته وفضيلته في نفسه في كل شيء، وقربه من النبي ﷺ، وغير ذلك رأى أنه لا يستبد بأمر إلا بمشورته وحضوره، وكان عذر أبي بكر وعمر واضحاً؛ لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة، ولهذا أخروا دفن النبي ﷺ حتى عقدوا البيعة لكونها كانت أهم الأمور)[١].

وجمع بعض العلماء بين القولين، وأن علياً رضي الله عنه بايع مرتين، الأولى: يوم البيعة العامة، والثانية: بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، تجديداً للبيعة الأولى.

وقال ابن كثير رحمه الله في تعليقه على الحديث الذي تقدم قريباً: (وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أما في أول يوم، أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه.

ولكن لما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رضي الله عنه... وهي امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة... ولم تُكلِّم الصديق حتى ماتت، واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها

---

(١) كتاب شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ١١٢).

ﷺ رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه)[1] .

وهذا القول هو اللائق بعلي رضي الله عنه ، فكيف يسمع بالبيعة ، والصحابة رضي الله عنهم يسعون إليها ثم يتخلَّف عنها ، والله أعلم .

وقد أفاض المستشرقون في الحديث عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ، وما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار .

كما كان لهم رأيهم في أطراف الخلاف ، وما تم في سقيفة بني ساعدة من الاتفاق بين الصحابة رضي الله عنهم على تولية أبي بكر رضي الله عنه .

فيقول المستشرق بليابيف (**Bellaev**): (وعندما قُبض النبي اجتمعت عشيرة من أنصار المدينة في سقيفة بني ساعدة وأعلنوا استعدادهم لمبايعة واحداً منهم ، ومن الراجح أنهم رغبوا في التعبير عن سخطهم على سياسة التآلف التي كان يتبعها النبي نحو القرشيين الذين تأخر إسلامهم .

في هذا الاجتماع طالب الأنصار بالمساواة في الحقوق والسلطة مع القرشيين ، ونادوا «منكم أمير ومنا أمير» .

ولكن المهاجرين الذين كانوا يطمعون في إبقاء الأنصار في منزلة أدنى من منزلتهم رفضوا أن يتنازلوا للأنصار عن شيء سوى انتخابهم وزيراً يساعد الزعيم الذي تنتخبه الجماعة .

ولكن المهاجرين عندما دبَّ الشقاق بين عشائر الأنصار ، ألغوا حتى هذا العرض الذي كان قد تقدموا به سابقاً)[2] .

فالمستشرق هنا يُعبر عن ما جرى في سقيفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار ، إلا أنه أقحم نفسه في هذا الخلاف الذي حصل بين المهاجرين والأنصار ، وهو خلاف في وجهات النظر ، انتهى في وقت يسير ، وحُسِمَ أمره بالحجة والبرهان .

---

(١) كتاب البداية والنهاية (٣/ ٢٦٢) .

(٢) كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٧٣) .

وأما قوله عن الأنصار: (**ومن المرجح أنهم رغبوا في التعبير عن سخطهم على سياسة التآلف التي كان يتبعها النبي نحو القرشيين الذين تأخر إسلامهم**).

هذا القول استنتاج من المؤلف، أخذه عن طريق الاسترداد لبعض ما حصل من اعتراض بعض الأنصار على قسمة الغنائم يوم حنين، وإعطاء رجال من قريش وغيرهم من العرب يتألف قلوبهم حتى يسلموا.

فبين لهم الرسول ﷺ سبب ذلك حتى اقتنعوا ورضوا بأن يكون الرسول ﷺ حظهم ونصيبهم، وعلى ذلك انتهى الأمر، ولم يثيروه بعد ذلك، إلا أن المستشرق (بلياييف) يحاول إثارة هذه القضية مرة أخرى لهوى في نفسه.

وقوله: (**طالب الأنصار بالمساواة في الحقوق والسلطة مع القرشيين، ونادوا "منكم أمير ومنا أمير"**)، ورجال الأنصار رضي الله عنهم اجتهدوا في هذا الأمر فأخطئوا، وللمجتهد نصيب من اجتهاده، فمن اجتهد وأصاب فله أجران، أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، ومن أخطأ فله أجر الاجتهاد، والله يغفر له.

كما أنهم قالوا ذلك (على ما عرفوه من عادة العرب: أن لا يتأمر على القبيلة إلا من كان منها، فلما سمعوا حديث: (**الأئمة من قريش**) رجعوا عن ذلك وأذعنوا)[1].

وقوله: (**ولكن المهاجرين الذين كانوا يطمعون في إبقاء الأنصار في منزلة أدنى من منزلتهم رفضوا أن يتنازلوا للأنصار عن شيء سوى انتخابهم وزيراً يساعد الزعيم الذي تنتخبه، ولكن المهاجرين عندما دبَّ الشقاق بين عشائر الأنصار، ألغوا حتى هذا العرض الذي كان قد تقوموا به سابقاً**).

هذا الكلام من التقول على المهاجرين، وعلى رأسهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا دليل على القول السابق، بل هو من البهتان وقول الزور. وأبو بكر رضي الله عنه لما حاورهم بيَّن منزلتهم ومكانتهم في الإسلام، ثم حاجهم بالدليل على أحقية قريش بأن تكون الإمامة والخلافة فيهم.

---

(١) كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/ ٣٥).

والاتفاق الذي حصل بين المهاجرين والأنصار: هو أن يكون الأمراء من المهاجرين، وليس كل المهاجرين، بل خصص بقريش، وجاءت الأحاديث بذلك - كما تقدم - والوزراء هم الأنصار.

وقد فهم هذا المستشرق من ذلك أن يكون هناك وزراء في مجلس الحكم كما هو معلوم في حكومات هذه الأزمنة، وهذا فهم باطل.

بل معنى المقولة السابقة أن الإمامة والخلافة، لا تكون إلا في قريش، وبقية الصحابة من الأنصار هم في منزلة الوزراء من ناحية بذل النصح، والمشاركة في الجهاد، وغيرها من المهام والوظائف إلا منصب الإمامة الكبرى، فليس لهم فيه نصيب.

ويقول المستشرق بروكلمان (**Brockelmann**):(كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرر من سلطة الأغلبية المتمثلة في المهاجرين، ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين، كرّة أخرى. ثم إن علياً، ابن عم النبي وزوج ابنته، ادّعى لنفسه الحق في خلافته كرئيس للدولة، بوصفه أقرب الناس رحماً إليه. ولكنه كان كسعد بن عبادة سيد الأنصار الذي طمع في الخلافة أيضاً، لا يملك من القوة أو من النفوذ ما يساعده على تحقيق طلبته. ومن هنا لم يلبث أصحاب محمد السابقون أن وُفقوا إلى إقناع الناس بالاعتراف بأبي بكر - والد عائشة زوج النبي، وكان يتمتع مع عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح بنفوذ كبير عند محمد - خليفةً له، فلم يعد في وسع الأنصار إلا أن يبايعوا الأمير الجديد)(١).

فالمستشرق بروكلمان جعل الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم، بعد وفاة الرسول ﷺ بين ثلاث فئات من المهاجرين، والأنصار، وآل البيت ويمثلهم في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إلا أن المستشرق بروكلمان لم يلتزم الأمانة العلمية والحياد عند ذكره ما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم في مسألة من يخلف الرسول ﷺ في أُمته بعد وفاته.

---

(١) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية، لبروكلمان (ص ٨٣ - ٨٤).

فقوله: (**كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرر من سلطة الأغلبية المتمثلة في المهاجرين، ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين كرَّة أخرى**) .

فهذا القول لا دليل ولا مستند له ، أراد به تشويه صلة الأنصار رضي الله عنهم بالمهاجرين ، كما أن الإسلام والمسلمين ، لم ينتزعوا من قبائل الأنصار سيادتهم ورئاستهم لأقوامهم ، والخليفة إنما يقوم مقام الرسول ﷺ في الإمامة بالصلاة ، وجباية الزكاة والجهاد ، أو بعبارة أخرى مقام الخليفة: هو حمل الكافة على شرع الله ، وهذا المنصب لم يكن معروفاً من قبل ، والعرب في جاهليتهم كانوا متوزعين في أصقاع الأرض ، تحكمهم عادات القبيلة وموروثها .

وقوله: (**ثم إن علياً، ابن عم النبي وزوج ابنته، ادعى لنفسه الحق في خلافته كرئيس للدولة، بوصفه أقرب الناس رحماً إليه**) .

وهذا القول من الكذب والبهتان ، فإن علياً رضي الله عنه لم يدع لنفسه الحق بالخلافة ، ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، فإن الرسول ﷺ لم يوصِ بالخلافة لأحد من بعده ؛ كتابة ولا أمراً ، لكن هناك إشارة إلى من يلي الأمر بعده .

ولو كان هناك لأبرزه علي رضي الله عنه ، أو أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، وقد تقدمت الأحاديث على مبايعة علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه ، فالصحابة رضي الله عنهم وقّافون على أمر الله ، وأمر رسوله ﷺ .

وأما قوله عن علي بن أبي طالب ، وسعد بن عبادة رضي الله عنهما: (**ولكنه كان كسعد بن عُبادة، سيد الأنصار، الذي طمع في الخلافة أيضاً لا يملك من القوة، أو من النفوذ ما يساعده على تحقيق طلبته**)، فهي محاولة للتدليل على قوله بأن علياً رضي الله عنه ادعى لنفسه الحق في الخلافة .

لهذا فهو يقيس علي رضي الله عنه على سعد بن عبادة رضي الله عنه في المطالبة بالحق في خلافة الرسول ﷺ .

ولكن مع ذلك ، ليس عنده مستند غير هذا القول . والحق أن يقال بأن علياً

رضي الله عنه لم يدعِ الحق في الخلافة .

وأيضاً علي رضي الله عنه لم يكن له من القوة مثلما كان لسعد بن عبادة رضي الله عنه ، ويقال أيضاً: أن سعد بن عبادة رضي الله عنه لم يكن سيد الأنصار ، ولكنه سيد الخزرج ، وكان له قوة ونفوذ في الخزرج ومع ذلك لم تصمد هذه القوة والنفوذ في ميدان الحوار مع المهاجرين رضي الله عنهم ، وعلى رأسهم أبو بكر رضي الله عنه ، حيث قضى عليها بحديث الرسول ﷺ: (**الأئمة من قريش**) وغيرها مما تقدَّم ذكره ، فرضي بذلك وسلَّم .

وقوله: (**ومن هنا لم يلبث أصحاب محمد السابقون أن وفقوا إلى إقناع الناس بالاعتراف بأبي بكر**) .

الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم إنما كان في أي الطائفتين يتولى أمر الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ ، المهاجرون أم الأنصار ، حتى حسم الأمر ، بأن الذي يتولى الأمر المهاجرون ، ومن المهاجرين قريش . ولم يكن أحد من الصحابة رضي الله عنهم يتمنى أو يرضى أن يتقدم أبا بكر رضي الله عنه كما تقدم ذكر الحديث قريباً .

ويقول المستشرق روم لاندو (**R.Landau**): (تركت وفاة الرسول الإسلام الوليد من غير قائد ، فتنافست في مكة على خلافته ثلاث جماعات[١] . فأما الجماعة الأولى فأيدت عليًّا ، صهر محمد [وابن عمه] وذهبت إلى أنه هو وحده الخليفة الشرعي . ومما زاد اتباع علي هؤلاء ، أو العلويين ، تشبثاً بدعواهم إيمانهم بأن منطق الأشياء يحتم أن يكون الله قد قضى بأن يخلف محمداً خلفاء من أقربائه الأدنين .

أما الجماعة الثالثة من الطامحين إلى الخلافة فأكدت على العرب السائد آنذاك بين العرب والقاضي بأن يختار «أرشدهم وأرجحهم عقلاً» زعيماً وقائداً .

وقد كتبت الغلبة لهذا الاتجاه ، فانتخب أبو بكر عم الرسول [أي والد زوجة

---

(١) لم يذكر المستشرق روم لاندو غير جماعتين ، ولعل الجماعة الثانية الأنصار .

عائشة]، خليفة له، وبذلك كان أول الخلفاء الراشدين الأربعة)[١].

فالمستشرق في هذا النص، يكتب عن وضع الصحابة رضي الله عنهم، بعد وفاة الرسول ﷺ، وأن الصحابة انقسموا في أمر خلافته إلى ثلاث جماعات.

وهذا القول من المستشرق فيه تدخل وصناعة للأحداث، إضافة إلى مغالطات للحق، والواقع التاريخي، وفيه أيضاً تلفيق وتزوير، وهو أحد مناهج المستشرقين في الكتابة عند تاريخ الإسلام والمسلمين، وبخاصة عن الصحابة رضي الله عنهم.

وانظر إلى قوله: (**فتنافست في مكة**). فالمكان الذي حصل فيه الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم سقيفة بني ساعدة في المدينة النبوية، وأما مكة فلم يحصل فيها شيء من ذلك، وباعتبار آخر أن المدينة هي مكان الهجرة، وهي المدينة التي توفي فيها الرسول ﷺ، وكانت له القيادة العليا في الدولة الإسلامية.

وقوله: (**ثلاث جماعات**). هذا القول كذب وباطل من الأساس، فلم ينقسم المسلمون إلى ثلاث جماعات. فالله تعالى حفظ الصحابة رضي الله عنهم من الاختلاف الذي يقود إلى التفرق والمعاداة.

وإنما كان الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم اختلاف في الرأي، أو في وجهات النظر، فكل من الطائفتين أو الفئتين كان له رأي، وشيء من المكانة، والمكتسبات في تأييد رأيه، فقام الصديق رضي الله عنه فحرر محل النزاع، وأعطى كل ذي حق حقه.

ثم ذكر دليلاً عن الرسول ﷺ، في إثبات حق قريش في الإمامة، فما كان منهم رضي الله عنهم إلا الخضوع للحق، والرضى والتسليم، ومن ثم بادروا بالبيعة رضي الله عنهم حبًّا وتكرماً.

وأما عن قول المستشرقين عن الجماعتين الأولى والثالثة، فكله من البهتان والتزوير والتخليط الذي لا دليل عليه، إلا بغض صاحبه للإسلام والمسلمين.

---

(١) كتاب الإسلام والعرب، تأليف: روم لاندو (ص ٥٨ – ٥٩).

ويقول المستشرق دومنيك سورديل (D. Sourdel): (خلال الاجتماع الصاخب الذي عقد عشية الثامن من حزيران (يونيو) لعام ١١/ ٦٣٢، في دار إحدى أهم عشائر المدينة، استطاع أبو بكر رفيق الهجرة ووالد إحدى نساء النبي من الفوز على منافسيه بعد مناقشات مطولة ومكايد ومناورات أداتها التقليد الديني اللاحق، ومن ذلك الحين أصبح «خليفة رسول الله» أي أول هؤلاء الخلفاء)[(١)].

فمن خلال هذا النص السابق، عبَّر المستشرق عن رأيه فيما حدث في سقيفة بني ساعدة من مبايعة أبي بكر رضي الله عنه وأنها تمت (**بعد مناقشات مطولة ومكايد ومناورات، أدانها التقليد الديني اللاحق**).

والمستشرق هنا يحاول تهويل وتضخيم ما جرى وما تم الاتفاق عليه بين الصحابة رضي الله عنهم من مبايعة الصديق رضي الله عنه، ومن ثم يحاول إسقاط بعض ما عندهم في حكوماتهم، وانتخاب رئيسهم، من الصخب، والضوضاء، والتفرق، والتحزب.

وأما اتفاق الصحابة رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة فما كان إلا في وقت يسير، حفظ الله فيه الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف الذي يقضي إلى التفرق والمحاربة.

وفي آخر كلامه قال عن هذه المناقشات: (**أدانها التقليد اللاحق**) فهذا القول فيه غموض، فإن قصده أن الصحابة رضي الله عنهم أدانوا ما حصل في سقيفة بني ساعدة من الاتفاق على أبي بكر رضي الله عنه، فهذا لا دليل عليه، وإن كان بعد ذلك في أي زمن أو أي دولة، فلا دليل عليه، والبينة على المدعي.

ويحاول المستشرقون التركيز على موقف الأنصار من الخلافة، فيقول المستشرق ركندورف (Reckedore): (بعد أن قُبض النبي كاد جمهور المسلمين ينتخبون الخليفة في أول الأمر، ولكن لم ينل أحد من الأنصار شرف الخلافة، فلما أصبحت الخلافة وراثية في أسرة مكية قرشية أقصي الأنصار عن ولايتها إلى الأبد، وأصبحوا مضرب المثل في

---

(١) كتاب الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، لدومنيك سورديل (ص ٣١).

التقوى وظلوا مخلصين لذكرى النبي مُبرّزين في علم الحديث)[١] .

فالمستشرق ركندوف يرى بأنه لما انتقلت الخلافة من الشورى بين الصحابة رضي الله عنهم إلى إرث يأخذه الأبناء عن الآباء، أقصيت مطالب الأنصار بالخلافة بعد المهاجرين .

وهذا القول من هذا المستشرق يدل على عدم فهمه للقرار الرئيس الذي تمخض عن اجتماع الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول ﷺ .

وأن خلافة الرسول ﷺ لا تكون إلا في قريش، وقد اقتنع الأنصار بذلك؛ لقوة البراهين والأدلة، وعلى هذا سلَّموا الأمر لأهله ببيعة الصديق رضي الله عنه، وقد تقدم شيء من البيان عن ذلك .

وقوله: (**فلما أصبحت الخلافة وراثية في أسرة مكية قرشية**) يقصد بهم معاوية، وابنه، رضي الله عنه، والأنصار رضي الله عنهم علموا في سقيفة بني ساعدة، بعدم استحقاقهم للخلافة، ومع ذلك كانوا عوناً لإخوانهم من المهاجرين .

وقوله: (**وأصبحوا مضرب المثل في التقوى...**) لا وجه له، فإن الأنصار مضرب المثل من بدء إسلامهم، ونصرتهم للرسول ﷺ، والآيات والأحاديث الدالة على فضلهم كثيرة وليس هنا محل عرضها .

ويقول المستشرق كرنكوف[٢] (**Kaenkow**):(أن الأنصار ظلوا بقية حياة النبي دعامة قوية، ومن ثم لم يكن من المستغرب أن يشعر الخزرج عقب وفاة النبي دون أن يستخلف بأنهم وارثو الدولة التي أنشأها لكثرة قبيلتهم، ولم يحل دون اختيار سعد بن

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ٥٤)، مادة: (الأنصار) .

(٢) كرنكوف فرتس (**Fritz Kaenkow**)، مستشرق ألماني الأصل، تجنس بالجنسية الإنجليزية، واتصل بدائرة المعارف العثمانية في الهند، حقق بعض الكتب في العربية وغيرها مثل: الجمهرة في اللغة لابن دريد، وديوان عمرو بن كلثوم، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، وكتب بعض مواد دائرة المعارف الإسلامية، وهلك عام ١٩٥٣م، ينظر: كتاب موسوعة المستشرقين (ص ٤٧٣)، وطبقات المستشرقين (ص ١٧٨) .

عبادة رئيساً لهذه الدولة إلا تدخل عمر تدخلاً جاء في حينه .

ونستدل على شعور سعد بن عبادة بحرمانه من هذا المنصب دون حق من ذلك الموقف العدائي بعد إقصائه من المدينة إلى حوران حيث توفي عام ١٥هـ (٦٣٧م)(١) .

فالمستشرق يحاول عرض رأي الخزرج من الخلافة ، سيداً وجماعة ، إلا أن فيه خلط بين الحق والباطل .

فمن الحق قوله: (**أن الأنصار ظلوا بقية حياة النبي دعامة قوية...**) فهذا حق يشهد له لقبهم (الأنصار) سواء كانوا من (الخزرج ، أو الأوس) .

وقوله: (**لم يكن من المستغرب أن يشعر الخزرج... بأنهم وارثوا الدولة**) إلخ .

هذا القول فيه حق وباطل ، فأما الحق فهو أن الأنصار رضي الله عنهم ، ومن بينهم الخزرج ، فهموا من حالهم أنهم أحق بالخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ على طائفة وجماعة الأنصار فقط ، فقالوا: (منا أمير ومنكم أمير) باعتبار ما كانوا عليه قبل هجرة الرسول ﷺ .

ولم يكن لهم قول بالخلافة العامة على بقية المسلمين ، ومن ضمنهم المهاجرين ، وتأمل ذلك .

ثم إن المستشرق أخذ يركِّز على موقف سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حال بينه وبين منصب الخلافة ، ثم يعبر عن شعور سعد بن عبادة رضي الله عنه عن نتيجة الاتفاق على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه فيقول: (ونستدل على شعور سعد بن عبادة بحرمانه من هذا المنصب دون حق من ذلك الموقف العدائي بعد إقصائه من المدينة إلى حوران) .

وهذا القول باطل ، وكذب على هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وهو أحد المبايعين لأبي بكر رضي الله عنه ، لما تبين له الحق ، ولم يتردد في ذلك ولم ينزع عن بيعته

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ٣١٢ - ٣١٣) ، مادة: (الخزرج) ، وينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٥/ ٤٦٤٦) ، مادة: (الخزرج) ، مع اختلاف يسير .

حتى لقي الله تعالى. كما أنه لم يكن له موقف عدائي من أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما، ولا أقصي عن المدينة فكل هذا من الكذب والبهتان.

والذي أراد هذا المستشرق أن يستغله لتفريق صف الصحابة رضي الله عنهم للطعن في الإسلام ومقام صاحب الرسالة ﷺ.

وقد رأى بعض المستشرقين في خلافة الصديق رضي الله عنه، ومن بعده عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، بأنه اغتصاب لحق غيرهما، أو مؤامرة دبرت بين بعض الصحابة رضي الله عنهم، حيث يقول المستشرق فلهوزن: (وكان أبو بكر وعمر يعلمان أنهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي، بل من طريق الاغتصاب، وهما لم يستطيعا أن يسبغا على رياستهما التي كانت غير شرعية في أول الأمر ثوباً شرعياً إلا فيما بعد)(١).

فالمستشرق في هذا النص يرى عدم شرعية خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهما يعلمان ذلك؟!

لكن ما دليله على قوله، واتهامه لهما بعدم شرعية خلافتهما؟

ومتى أسبغا على خلافتهما ثوباً شرعيًّا؟

ولا شك أن هذا المستشرق كتب هذا القول متأثراً بالرافضة، فأحد كتبه كانت عن الشيعة! إضافة إلى عدم تجرده العلمي في كتابته هذه.

كما أن الرسول ﷺ توفي ولم ينص على من يلي الخلافة بعده، كتابة ولا أمراً، وإنما تمت البيعة باتفاق الصحابة رضي الله عنهم، وبالعهد من الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه بالخلافة من بعده، وإقرار الصحابة رضي الله عنهم له، فأين الحق الشرعي المُدعى؟!

ويقول المستشرق إميل درمنغم (**E.Dermenghem**): (وهل كان أبو بكر وعمر يتطلعان إلى خلافة صهرهما النبي؟ لقد قيل إنهما كانا متفقين مع أبي عبيدة على نيل

---

(١) كتاب: تاريخ الدولة العربية، فلهوزن (ص ٣٤).

خلافته بالتناوب بعد وفاته فوُفِّقوا لذلك، وكان لأبي بكر وعمر بابنتيهما عائشة وحفصة المعين على موازنة نفوذ فاطمة وعلي)[١].

حيث اتهم الصحابة الثلاثة بأنهم متفقون فيما بينهم على التناوب في الخلافة، وهذا قول باطل وكذب، وتهمة ساقطة، وإن كان يجعلها على سبيل التضعيف، ثم إنه يجر ذلك إلى بيت النبي ﷺ، وأنه كان له تأثير في اختيار الخليفة، وكل هذا باطل لا يدل عليه دليل.

كما أن عائشة وحفصة، بل وفاطمة رضي الله عنهن جميعاً لم يكن لهن دور في اختيار من يخلف الرسول ﷺ بعد وفاته.

فمن الثابت تاريخيًّا أن الرسول ﷺ توفي ولم ينص على أحد يخلفه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ردد المستشرقون هذا القول؛ مع شيء من التصرف، وعدم الأمانة العلمية كعادتهم في الكتابة عن تاريخ الصحابة رضي الله عنهم.

ومن هؤلاء المستشرقين سيديو[٢]، والفرد بل[٣]، وفلهوزن، وجوستاف لوبون، وبودلي[٤]، وفيليب حتي[٥]، وكونستاس جيورجيو[٦]، وكارين ارمسترونج[٧]، وغيرهم[٨].

وأقتصر هنا على ذكر نصين عن اثنين من المستشرقين.

---

(١) كتاب: حياة محمد (ص ٢٨٣)، وينظر: كتاب تاريخ العرب المطول، لفيليب حتى (ص ١٤٠).
(٢) ينظر: كتاب تاريخ العرب العام، سيديو، (ص ١٢٥).
(٣) ينظر: كتاب الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، تأليف: الفرد بل (ص ١٤٠).
(٤) ينظر: كتاب الرسول حياة محمد، لبودلي (ص ٣٢٧).
(٥) ينظر: كتاب الإسلام منهج حياة، لفيليب حتي (ص ١٥٥).
(٦) ينظر: كتاب نظرة جديدة في سيرة رسول الله، كونستاس جيورجيو مستشرق روماني، ووزير للخارجية سابقاً، (ص ٣٨٧).
(٧) ينظر: كتاب معارك في سبيل الإله، لكارين ارمسترونج لم أقف لها على ترجمة (ص ٨٦).
(٨) ينظر: الحضارة العربية، جاك ريسلر، (ص ٤٥)، وكتاب: الحضارة الإسلامية لجوزيف بورلو، (ص ٣٢)، ميلاد العصور، سانت موس، (ص ٥٩).

فالمستشرق فلهوزن (Wellhausen) يرى بأن الرسول ﷺ لم ينص على أحد بعده، وأنه لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة من الذي يستحق أن يلي الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، حيث يقول:(وتوفي هو دون أن يكون قد تلافى ترك رعيته من غير راعٍ، نعم، لقد ترك القرآن والسنة، ولكن لم يرد في القرآن والسنة من الذي يُعيَّن خليفةً بعده. على أن ذلك لم يكن معناه إمكان الاستغناء عن خليفة بالكلية، بل كان لابد من إمام بعينه يؤم الناس في الصلاة ويرأس الحكومة، ولم تكن توجد طريقة للانتخاب المنظم ولا كان هناك حق وراثة النبوة)(١).

وهذا القول صحيح فإنه لم ترد أدلة صريحة بتسمية من يلي أمر الخلافة بعد الرسول ﷺ، ولكن وردت أدلة فيها إشارة بخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أذكرها قريباً.

بينما يقول المستشرق جوستاف لوبون (G. Lebon):(استطاع العرب أن يدينوا الرسول من الله، ولكن لم يدلَّ شيء على وجوب نصب خليفة بعده، وهناك قبائل كثيرة ضحَّت بحريتها ونزعت ما فيها من حقد على أي سلطان إجابة لدعوة رسول الله، لم تر أن تخضع لحكم خلفاء لم يحدِّث عنهم حتى يمارسوا مثل سلطانه)(٢).

هذا القول مثل قول المستشرق فلهوزن، إلا أنه يحاول تهويل الأمر، وينطق بأمر لم يتكلموا به.

وهذا حال المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، بل وفي تاريخ المسلمين، فهم يدسون أنوفهم فيما لا يعنيهم، ويتكلمون بما لا يعرفونه ولا يفهمونه.

ويرى بعض المستشرقين أن الرسول ﷺ، وإن لم ينب أحد بعده، إلا أن في أمره لأبي بكر رضي الله عنه بالصلاة بالناس نيابة عنه في حالة مرضه، إشارة إلى أنه الخليفة بعده، حيث يقول المستشرق بودلي (Bodley): (كان من الواضح أن هذا ما يرمي إليه، فإنه في حالة وجوده ما كان أحد يقوم بذلك، وإنه اليوم ليستطيع أن يأمر عمر أو عثمان

---

(١) كتاب: تاريخ الدولة العربية، فلهوزن (ص ٣٢).

(٢) كتاب حضارة العرب (ص ١٧٢)، وينظر: كتاب العرب تاريخ موجز، لفيليب حتي (ص ٦٦).

أو عليًّا لينوب عنه، إن محمداً أشار بوضوح إلى أنه كان يعني أن يكون الرجل الذي شاركه في السراء والضراء منذ بدء الإسلام خليفة للمسلمين من بعده بأن اختار الصاحب الصديق ليؤم الناس وحده، وباختيار عائشة لتمرضه، ودارها لتكون دار مرضه)[1].

فرأى هذا المستشرق أن في نيابة الصديق رضي الله عنه للرسول ﷺ إشارة إلى تولية الخلافة بعده.

وهذا قول صحيح ودليل على صحة بيعة الصحابة رضي الله عنهم لأبي بكر رضي الله عنه.

وأنه كما اختاره ورضيه الرسول ﷺ لينوب عنه في الإمامة بالمسلمين في حالة مرضه، فليرضى المسلمون به خليفة بعد موته ﷺ وهذا موافق لما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، وما قالوا به وذهبوا إليه في تولية أبي بكر رضي الله عنه.

وأما قول المستشرق في الإشارة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه: **(بأن اختار الصاحب الصديق، ليؤم الناس وحده، وباختيار عائشة لتمرضه، ودارها لتكون دار مرضه)**.

الشاهد: وباختيار عائشة لتمرضه، أرى بأن اختيار الرسول ﷺ لعائشة أن تمرضه دليل فضلها، وليس هناك إشارة أو دليل على خلافة الصديق رضي الله عنه، كما أن هذا القول لم يقل به أحد من العلماء، والله أعلم.

وكذلك ذهب المستشرق (كارلتون كون) بمثل قول المستشرق بودلي حيث يقول: (وقبل أن يلبي الرسول نداء ربه كان قد أناب أبا بكر عنه في إمامة الناس بالمسجد الكبير، وقد قام بهذه الإمامة لمدة أيام قليلة هي أيام مرض الرسول.

ولم يكن لمحمد أبناء أحياء، وكان حفيداه الحسن والحسين، ولدا علي وفاطمة في السابعة والسادسة من العمر، وبالتالي فقد كانا طفلين لا يصح اعتبارهما بين المرشحين لخلافته.

---

(١) كتاب: الرسول حياة محمد (ص ٣٢٧).

وكان واضحاً أن الإمام الجديد، أو تزعم الإسلام لا بد أن يكون من قبيلة قريش، وقد كان أبو بكر أهلاً لتولي الإمامة، فقد كان إماماً بالفعل حين وفاة الرسول، بأمر من الرسول نفسه، وعلى ذلك فإن المؤمنين انتخبوا أبا بكر رئيساً للدولة الدينية التي أنشأها الرسول)[١] .

وهذا القول صحيح، إلا أن في قوله: (**ولم يكن لمحمد أبناء أحياء، وكان حفيداه الحسن والحسن... فقد كانا طفلين لا يصح اعتبارهما بين المرشحين لخلافته**).

قد أخطأ فيه، فالخلافة لم تكن بالوراثة، ولم يوجد نص عليها، وإنما ورد النص على أن الإمامة في قريش كما تقدم.

وأختم الكلام هنا بمسألة: هل نصّ الرسول ﷺ على من يلي الخلافة.

فقد اختلف أهل السنة والجماعة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص، أو بالاختيار، على قولين اثنين[٢]:

القول الأول: أن خلافة الصديق رضي الله عنه ثبتت بالنص، واختلف في هذا النص على قولين:

القول الأول: أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، وإلى هذا ذهب الحسن البصري، وجماعة من أهل الحديث، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، واستدلوا بتقديم الرسول ﷺ لأبي بكر ليؤم الناس عند مرضه، وأمره ﷺ سد الأبواب إلا باب أبي بكر رضي الله عنه.

أقتصر على ذكر دليلين وهما:

١ - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: مرض النبي ﷺ فاشتدَّ مرضه فقال: (**مُروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس**)، قالت عائشة: إنه رجل رقيق[٣]، إذا قام مقامك لم

---

(١) كتاب: القافلة قصة الشرق الأوسط، كارلتون كون (ص ١٤٥).

(٢) كتاب منهاج السنة لابن تيمية (١/ ٤٨٦ - ٥١٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٩٨ - ٧١٠).

(٣) رجل رقيق: أي ضعيف هيِّن ليِّن. كتاب النهاية في غريب الحديث، (٢/ ٣٢٩)، مادة: (رقق). وقد ورد في رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: رجل أسيف: أي سريع الحزن والبكاء، وقيل: هو الرقيق. الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١/ ٣٩)، مادة: (أسف)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٥١).

يستطع أن يُصلّي بالناس، قال: (**مُروا أبا بكر فليصل بالناس**) فعادتْ فقال: (**مُري أبا بكر فليصل بالناس فإنكنَّ صواحب يوسف**)(١).

فأتاه الرسولُ فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ)(٢).

٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ وقال: (الحديث ومنه): (**إن أمنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنْ أخوّة الإسلام ومودَّته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر**)(٣).

فقالوا في هذين الحديثين إشارة إلى أن أبا بكر سيلي الأمر بعد الرسول ﷺ، فالإمامة بالناس في الصلاة، والباب إلى المسجد، دليل على تولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

القول الثاني: أنها ثبتت بالنص الجلي الواضح، وهذا قول ابن حزم رحمه الله(٤)، وجماعة من أهل الحديث، واستدلوا بالحديث الذي فيه همّ الرسول ﷺ بالكتابة بالخلافة من بعده لأبي بكر رضي الله عنه، وأمره المرأة بمراجعة أبي بكر رضي الله إذا لم

---

(١) صواحب يوسف: صواحب جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عائشة فقط، كما أن "صواحب" صيغة جمع والمراد زليخا فقط، ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن إلى حُسن يوسف ويعذرنها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به، وقد صرَّحت هي فيما بعد ذلك فقالت: "لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يُحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً..." انتهى، قاله ابن حجر في فتح الباري، ح/ ٦٦٤، (٢/ ١٧٩)، من رواية عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري، ح/ ٦٧٨، (ص ١٣٦)، ومسلم... ح/ ١٠١، (ص ١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري، ح/ ٣٦٥٤، (ص ٧٤٨)، ومسلم، ح/ ٢، (ص ١٠٤٩)، بلفظ: "لا تبقين خوخةٌ إلا خوخة أبي بكر". والخوخة: بابٌ صغيرٌ كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين يُنصب عليها بابٌ. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨١)، مادة: (خوخ).

(٤) ينظر: كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٣/ ٢٦).

تجده، أقتصر على دليلين بروايتهما:

١ - عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أن الرسول ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه: (**لقد هممت - أو أردت -**[١] **أن أُرسل إلى أبي بكر وأبيه فأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنَّى المتمنُّون، ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون**)[٢].

٢ - وفي رواية أخرى عند مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: (**ادْعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتُب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى مُتمنّ ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**)[٣].

٣ - عن ابن عباس قال: لما حُضِرَ رسول الله ﷺ وفي البيت رجالٌ، فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: (**هلمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا بعده**) فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غَلَب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبُنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قَرّبوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: (**قوموا**)[٤] الحديث.

٤ - وعن محمد[٥] بن جبير، عن أبيه قال: أتت امرأةٌ النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال ﷺ: (**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**)[٦].

---

(١) شك من الراوي، كتاب فتح الباري (١٠/ ١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري... ح/ ٥٦٦٦، (ص ١٢١٩).

(٣) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح/ ١١، (ص ١٠٥١).

(٤) أخرجه البخاري، ح/ ٥٦٦٩، (ص ١٢١٩)، ومسلم ح/ ٢٢، (ص ٧١٨).

(٥) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو سعيد المدني، التابعي الثقة، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز، انظر الثقات (٣/ ٨) رقم (٣٥٨٨)، تهذيب التهذيب (٥/ ٥١٤)، رقم (٦٨٢٢)، تقريب التهذيب (ص ٤٠٧)، رقم (٥٧٨٠).

(٦) أخرجه البخاري، ح/ ٣٦٥٩، (ص ٧٤٩)، ومسلم، ح/ ١٠، (ص ١٠٥١).

قالوا: فإرادة الرسول ﷺ الكتابة لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده، وتركه ذلك، وأن الله يأبى والمؤمنون إلا أبا بكر رضي الله عنه، ومراجعة المرأة لأبي بكر رضي الله عنه في حالة غيبة الرسول ﷺ دليل واضح على أن الخلافة من بعد الرسول ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه.

القول الثاني: أن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثبتت باختيار الصحابة رضي الله عنهم له في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة الرسول ﷺ، وهذا قول جماعة من أهل الحديث، والأشعرية، والمعتزلة، واحتجوا بحديثين وهما:

١ – عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: (قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منِّي: أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني: رسول الله ﷺ)(١).

٢ – عن ابن أبي مليكة(٢) قال: (سمعت عائشة، وسُئلت: من كان رسول الله ﷺ مُستخلفاً لو استَخْلَفَهُ؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَنْ بعد أبي بكر؟قالت: عمر. ثم قيل لها: مَن بعدَ عمر؟ قالت: أبو عُبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا)(٣).

والظاهر – والله أعلم – أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: (**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**) (٤).

والقول الراجح في هذه المسألة، أن الرسول ﷺ لم يأمر الصحابة رضي الله عنهم بتولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولكنه دلهم عليه، وأخبرهم بمن سيكون من بعده من الأمور المغيبة.

---

(١) أخرجه البخاري، ح/٧٢١٨، (ص ١٥١٤)، ومسلم، ح/١١، (ص ٨١٧).

(٢) هو عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة بن عبدالله بن جدعان القرشي التيمي، أبو بكر، أو أبو محمد، التابعي الثقة، وهو من رأى ثمانين من أصحاب النبي ﷺ على قول ابن حبان، توفي سنة ١١٧هـ ينظر: كتاب الثقات (٢/ ٢٥١)، رقم (١٩٦٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٥٥٩)، رقم (٤٠٠٩)، وتقريب التهذيب (ص ٢٥٤)، رقم (٣٤٥٤).

(٣) أخرجه مسلم، ح/٤٩، (ص ١٠٥١).

(٤) كتاب شرح العقيدة، لابن أبي العز الحنفي، (٢/ ٧٠٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والتحقيق أن النبي ﷺ دلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض، أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاءً بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه النبي ﷺ بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلتهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك، حصل المقصود)[١].

٥ - موقف المستشرقين من حرب أبي بكر رضي الله عنه للمرتدين: فحادثة الردة التي حصلت في خلافة الصديق رضي الله عنه، هي من الحوادث الجسيمة، والتي كادت تقضي على الإسلام في عقر داره، لولا ما قيضه الله تعالى من الرجال الراسخين في العلم والإيمان، أمثال أبي بكر رضي الله عنه، والذي وهب حياته وماله في سبيل الله تعالى.

ونظراً لأهمية هذا الحدث فقد اعتنى العلماء بذكره ودراسته سواء كان محدثين أو مؤرخين.

ثم جاءت طائفة أخرى من المستشرقين اعتنت بتاريخ المسلمين ورجاله، فكتبت عن هذا الحدث، وهذه أمثلة لبعض ما عند هؤلاء القوم:

يقول المستشرق أرنولد توينبي[٢] (**Toynbee**) تحت عنوان: توسع الدولة الإسلامية:(وتغلبت قوات المدينة ومكة المشتركة على المرتدين، فهي أي القوات بالإضافة إلى ما كان يحدوها من إيمان كانت قوات يثرب تقاتل من أجل أن تظل مدينتهم - وقد أصبحت مدينة الرسول أو المدينة - عاصمة للدولة الجديدة؛ أما المكيون فقد قاتلوا ليحتفظوا لمكة بالمنزلة الخاصة التي أصبحت للكعبة بسبب الحج إليها.

---

(١) كتاب منهاج السنة (١/ ٥١٦ - ٥١٧).

(٢) أرنولد توينبي (Armold Toynbee) مستشرق ومؤرخ بريطاني معاصر، كانت معظم دراساته في تاريخ الحضارات، وأبرزها كتابه: دراسة للتاريخ. ينظر: كتاب: قالوا عن الإسلام (ص ١٠٠).

وهذان أمران كان لهما مكاسب اقتصادية خاصة .

وقد غُلب المرتدون على أمرهم – غلبتهم قريش بقدراتها ، وقد أثبتت قريش سنة ٦٣٣ أنها تستطيع أن تتفوق في ميادين جديدة – الحكم والقيادة والدبلوماسية – على نحو ما تفوقت في أعمال السلف التجارية . . . ولعل مما أعان قوات يثرب ومكة على التغلب على أهل الردة هو السبيل الجديد الذي فتحه خليفة رسول الله ؛ أبو بكر أمام هؤلاء المرتدين ، ذلك أن الخليفة بالاتفاق مع أولئك الذين كان يشاورهم في الأمر ، وجّه همه نحو الدولتين المتاخمتين للجزيرة العربية شمالاً . وكانت الدولتان قد اضنتهما الحرب الرومانية – الفارسية (٦٠٤ – ٦٢٨) ، فكان من المحتمل أن تسقطا تحت هجوم مركّز . . .)(١) .

فالمستشرق (أرنولد) في هذا النص يحاول أن يظهر أن محاربة المسلمين للمرتدين من أجل أمور سياسية وذلك بأن تحتفظ المدينتين مكة ، والمدينة المنورة ، بمنزلة عظيمة بين مدن العرب في الجزيرة العربية ، وأمر آخر وهو عنايتهم بالمكاسب الاقتصادية .

ويرى المستشرق أرنولد بأن هناك سبباً آخر جعل المسلمين يتغلبون على المرتدين ، ألا وهو توجيه اهتمامهم بنقل الحرب إلى جهات أخرى وهي الدول المجاورة فارس والروم .

وتفسير هذا المستشرق في حرب المسلمين للمرتدين كان الباعث له أمور سياسية ، واقتصادية ، هو قول بعيد عن الصواب ، أوصله إليه أخذه بالمنهج المادي في تفسير تاريخ الصحابة رضي الله عنهم .

ويمكن القول بأن كل ما ذكره هذا المستشرق مجانب للصواب ، فتفسيره حرب المسلمين للمرتدين بأن الباعث له أمور سياسية واقتصادية ، وخاصة المدينتين (مكة ، والمدينة) قول زائف ، فمكة والمدينة كانتا تحت سيطرة ومسؤولية خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وكان لكليهما منزلته في الإسلام ، فمكة مهبط الوحي وقبلة المسلمين ، والمدينة

(١) كتاب: تاريخ البشرية ، تاليف: أرنولد توينبي (ص ٨٧) .

دار الهجرة، وعاصمة دولة الإسلام.

ولم يكن بين المهاجرين والأنصار خلاف إلا ما حدث في سقيفة بني ساعدة الذي تقدم.

كما أن الذي غلب المرتدين هم المسلمون سواء كانوا مهاجرين أو أنصاراً قد اشتركوا جميعاً في حرب المرتدين، ومع ذلك نجد أن المستشرق يحاول أن يفرق بين المسلمين، فهذه المدينة والأخرى مكة، وهذه قريش، ويحاول أن يقحم أمور السياسة والاقتصاد في ذلك وهذه هي مناهج القوم في دراستهم لتاريخ المسلمين وسير رجاله.

ولننظر سوياً إلى ما كُتب في مصنفات التاريخ وما دونته، فهذا يسهل علينا فهم الحدث، خاصة إذا أدركنا أن الإسلام لم ينتشر ويصبح له سمعة في أرجاء الجزيرة العربية إلا بعد فتح مكة والطائف، حيث وفدت بعد ذلك وفود قبائل العرب في العام التاسع من الهجرة معلنة إسلامها.

إلا أنه بعد عامين تقريباً، توفي النبي ﷺ حدثت الردة من بعض هذه القبائل، وتنبأ من بعض رجال القبائل الأخرى، مثل مسيلمة الكذاب، وسجاح، والأسود العنسي، وطليحة بن خويلد الأسدي.

فلما توفي الرسول ﷺ حصلت لذلك ردَّة فعل من هذه القبائل فبعضها منع الزكاة فقط، لأنه كان يدفعها للرسول ﷺ، والرسول قد توفي، والبعض الآخر لحق بمن تنبأ من رجال قبيلته[1].

ومن أسباب الردة:

١ - لم يتغلغل الإيمان في نفوس كل العرب.

٢ - تَرفُّع كل قبيلة من أن تنقاد لقبيلة أخرى، وعندما انقادت القبائل العربية للرسول ﷺ فقد فعلوا ذلك لأنه مؤيد من الله، أما بعد موته فقد خشيت القبائل أن تستأثر قريش بالسلطة.

---

(١) الردة، للواقدي (ص ٤٨)، فتوح البلدان، للبلاذري (ص ١٣١)، تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٤).

٣ – أن ما فرضه الإسلام من الزكاة على المسلمين اعتبرته بعض القبائل العربية التي لم يداخل الإيمان قلوبها: أتاوة (ضريبة)، وعلى الرغم من أن الإسلام يعتبر الزكاة صدقة إلا أن هذه القبائل أحست بالإذلال والتصاغر لأنها لم تتعود ذلك في حياتها القبلية.

٤ – حاولت القبائل العربية عن طريق الردة أن تخرج من سلطان قريش، الذي استمر في الجاهلية زمناً طويلاً، وجاء نبي الإسلام منها، وبعد موت الرسول ﷺ وجدت الفرصة سانحة[١].

ولقد وقف الخليفة أبو بكر رضي الله عنه من هذا الحدث الجلل موقفاً حازماً وقويًا.

ويمكن تقسيم هؤلاء المتمردين إلى طائفتين[٢]:

١ – المرتدون عن الإسلام كُلياً.

٢ – مانعو الزكاة.

١ – المرتدون عن الإسلام: وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على حربهم والتنكيل بهم، وعقد لذلك الألوية لمحاربة المرتدين، والتي أدت إلى انتصار المسلمين والقضاء على المتنبئين من رجال القبائل، ومن ثم مواصلة الفتح الإسلامي والقضاء على دولتي الفرس والروم.

٢ – مانعو الزكاة: فقد تصدى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمحاربتهم، وإن كان خالفه بعض الصحابة من أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ثم رجع عن ذلك.

فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب فقال عمر: فكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: (**أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**).

---

(١) كتاب تاريخ الخلفاء الراشدين، تأليف الدكتور: الشيخ الأمين محمد عوض الله، (ص ٣٧ – ٣٩).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص ٥٠ – ٦١)، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٤٧ – ٣٠٦).

فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقاً[١] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها.

قال عمر: فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه[٢]، فعرفت أنه الحق)[٣].

ووفق المسلمون في حرب الطائفتين، وانتصروا عليهم، وعادت للإسلام والمسلمين منعتهم وعزهم[٤].

وأما قول المستشرق بأن توجيه المسلمين الحرب لجهة أخرى وهي دولة فارس والروم، أدى إلى تغلب المسلمين على المرتدين، فقول عار عن الصحة[٥]، ولا نجد له ذكر في كتب التاريخ وخاصة كتاب الردة للواقدي، وفتوح البلدان، للبلاذري، وتاريخ الطبري وغيره.

فهذا كذب قبيح ممن يدعي الأمانة العلمية.وقد سار على طريقة المستشرق جوستاف لوبون فقال: (وكان أبو بكر مضطراً إلى مقاومة الطامعين في الخلافة، وإلى محاربة القبائل

---

(١) عناقاً: في رواية (عقالاً) كما في صحيح البخاري ح/٧٢٤٨، ٧٢٨٥، (ص ١٥٢٦). والعقال: الحبل الذي يُعقل به البعير الذي كان يؤخذ باسم الصدقة؛ لأن على صاحبها التسليم به، ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥٣)، مادة: (عقل)، والعناق هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم سنة، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٨١)، مادة: (عنق).

(٢) في رواية: (شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه للقتال) ينظر: صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، ح/ ٦٩٢٥ (ص ١٤٥٣).

(٣) الزكاة، باب: وجوب الزكاة، ح/ ١٣٩٩، ١٤٠٠ (ص ٢٢٧٧)، ومسلم ح/ ٣٢ (ص ٣٢).

(٤) ينظر إلى الصحاح والسنن والمسائل، إضافة إلى كتاب الردة، للواقدي (ص ٤٨)، وكتاب تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٤ وما بعدها)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تأليف: ابن الجوزي (٤/ ٧٣)، من الكتب المعاصرة: كتاب التاريخ الإسلامي (الخلفاء الراشدون) تأليف: محمود شاكر (ص ٦٧)، كتاب الخلفاء الراشدون، تأليف: عبدالوهاب النجار (ص ٣٧)، الخلفاء الراشدون، تأليف: محمد عبدالفتاح عليان (ص٤٤)، دراسات في تاريخ الخلفاء الراشدين، تأليف: عفاف سيد صبرة، ود: مصطفى محمد الحناوي (ص ٦٦) وغيرها الكثير.

(٥) للاستزادة: كتاب دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، تأليف د: جميل المصري (ص ٣٧).

التي امتنعت عن أداء الزكاة، ثم رأى أن أحسن وسيلة لمعالجة انقسام العرب هو أن يوجه العرب إلى البلاد الأخرى . . .)[1] .

فأين مصدرهم لهذا القول وهذه الدعوى ﴿ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤] .

كما يرى المستشرق بروكلمان (**Brockelman**) أن حركة الردة التي سادت بعد وفاة الرسول ﷺ والتي تصدى لها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان الدافع لها سياسياً بحيث يتم التخلص من سيطرة المسلمين فيقول: (إن الدوافع الدينية لم تكن مسؤولة عن هذه الموجة إلا نادراً، كل ما في الأمر أن بعض العرب رغبوا في أن يتخلصوا من سلطة المسلمين المتعبة في المدينة .

ومما تجدر ملاحظته أن الأنبياء الذين تزعموا حركات الثورة عملوا، كما عمل محمد، باسم الله، لا باسم أي من الآلهة القديمة، ولقد أعلن بعض المرتدين أنهم لا يزالون راغبين في أن يعبدوا الله، ولكنهم يرفضون أن يدفعوا الزكاة، وإنما استاؤوا بخاصة من الرسل الدينيين الذين كان محمد يبعث بهم في السنوات السالفة إلى كثير من القبائل ليعلموها الدين الجديد ويجمعوا من أفرادها الزكاة .

فقد كان هؤلاء الرسل العاملون في خدمة الحكومة المدنية مصدر إزعاج وإعنات في نظر القبائل البدوية التي كانت تتمتع من قبل بكامل حريتها واستقلالها في مراعيها الخاصة)[2] .

فالمستشرق بروكلمان يرى في حركة الردة بأنها من أجل التخلص من سيطرة المسلمين، وأن جباة الزكاة كانوا مصدر إزعاج ومشقة للقبائل التي أعلنت إسلامها وإقرارها بتسليم الزكاة، وأن هذه القبائل كانت تتمتع بحريتها في أمرها من قبل .

قد يكون صحيحاً أن يقال بأن المرتدين أرادوا التخلص من سيطرة المسلمين، ومن الزكاة، وأرادوا أن يكون لهم حريتهم السابقة، إلا أن المسلمين رأوا في ذلك ردة

---

(١) كتاب حضارة العرب (ص ١٧٤) .

(٢) كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية، لبروكلمان (ص ٨٤) .

يقاتلون عليها، وقد قاتلهم الصديق رضي الله عنه ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم .

وأما قول المستشرق في ملاحظته على مدعي النبوة: (أن الأنبياء الذين تزعموا حركات الثورة عملوا، كما عمل محمد باسم الله لا باسم أي من الآلهة القديمة) .

هذا القول صحيح، فكل واحد من مدعي النبوة يدعي أنه يوحى إليه من قبل الله عز وجل، وهم كذبة في هذا، وقد استقر أنه لا نبي بعد الرسول ﷺ، لكن هذا من باب التقليد والتشبه، فالضعيف مغرم بالتشبه وتقليد القوي .

كما أن هناك من فعل ذلك تعصباً لقومه كيف يوحى لرجل من قريش ويترك بنو حنيفة، أو غيرهم .

وسياق هذا القول من هذا المستشرق فيه نظر وتوقف فقد يريد المساواة بين دين الإسلام، وما يدعيه هؤلاء الكذبة من المتنبئين، من الخزعبلات والسجع المتكلف الذي أصبح أضحوكة العالمين .

وتقول المستشرقة بوجينا ستيشجفسكا (**Stryzewska**) عن الحروب التي تصدت للمرتدين في عهد الصديق رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ: (وفي مبدأ خلافته ارتد كثير من قبائل العرب، ومنع كثير منهم الزكاة، وادعى بعضهم النبوة حتى اشتد الأمر جداً على المسلمين وخافوا على أنفسهم من هذه الأمور الجسيمة .

فتدارك هذه الأمور كلها بعزمه وهمته وثباته، فجهز الجيوش لقتال المرتدين حتى رجعوا إلى الإسلام، وحارب المتنبئين حتى قتل بعضهم وهرب بعضهم الآخر، وقاتل مانعي الزكاة حتى أدوها، وبعد ذلك استقر الأمر للمسلمين واطمأنوا)(١) .

فترى المستشرقة (بوجينا) أنه في بداية خلافة الصديق رضي الله عنه وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت قبائل من العرب، ومنع البعض الآخر منهم الزكاة، وادعى بعضهم النبوة، وأن الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه تصدى لهم بعزمه، وهمته، وثباته،

---

(١) كتاب: تاريخ التشريع الإسلامي، بوجينا ستيشجفسكا (ص ٣٧ – ٣٨) .

حيث قام بتجهيز الجيوش لمهاجمة المرتدين والتي انتهت بعد ذلك باستقرار الأمر للمسلمين .

وهذا القول السابق فيه إنصاف من هذه المستشرقة ، حيث لم تفسر أحداث حروب المرتدين بتفسيرات معادية وعزوها إلى سياسية أو اقتصادية بعيدة عن الواقع ، وإنما استقت معلوماتها من الكتب التاريخية وغيرها ، مع بُعدها عن التدخل في تلك الأحداث .

وبهذا يتبين شيء من موقف المستشرقين من حادثة الردة ، حيث حاول بعضهم الخلط بين الحق والباطل ، واتهام المسلمين بتهم باطلة ليس له مستند تاريخي ووثائقي ، وإن كان البعض قد حاول الإنصاف في كلامه وحكمه فشتان بين مشرِّق ومغرِّب .

٦ – رأي المستشرقين في جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه للقرآن الكريم:

أدت حركة الردة التي حصلت بعد تولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ إلى استنفار الخليفة للصحابة رضي الله عنهم لحرب المرتدين ، فقتل عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم وخاصة منهم من كان يُعرف بالقُراء (وهم حفظة القرآن الكريم) في معارك طاحنة ، وعلى رأس هؤلاء القُراء: سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه ، لهذا كله أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم خوفاً من ضياعه .

وقد كتب المستشرقون عن أول جمع للقرآن الكريم(١) ، وفيه تصورهم ونظرهم لهذا الحدث ، وهذه لمحة يسيرة عنها ، ولمعرفة موقفهم مفصلاً يرجع إلى ذلك في مظانه .

فقد قال المستشرق بيروسون (**Pearson**)(٢) في (دائرة المعارف الإسلامية) عن جمع القرآن الكريم:(ثمة ما يشبه الإجماع على أن أول جمع كامل للقرآن الكريم تم في عهد

---

(١) للاستزادة: ينظر (آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره) ، عمر ابن إبراهيم رضوان [رسالة جامعية] ، كتاب الغارة على القرآن الكريم ، عبدالراضي محمد عبدالمحسن ، والمستشرقون والقرآن ، د: إبراهيم عوض ، وكتاب الاستشراق والدراسات الإسلامية ، د: عبدالقهار العاني ، وغيرها .

(٢) لم أقف على ترجمة .

الخليفة الأول أبي بكر الصديق، وهو أول تجميع كامل.

وتردد كتابات المسلمين هذه الرواية التاريخية باعتبارها حقائق، كما تردد هذه النقاط (النتائج) باعتبارها مسلمات، ومع هذا فثمة قضايا مهمة أثيرت حول هذه النقاط.

فالبخاري يشير إلى أن عمر بن الخطاب هو أول من جمع القرآن، وقد ردد ذلك الباحث (فينسك) Wensick وبيروتون Burton[(١)] وهناك روايات أخرى تُفيد أن أبا بكر هو الذي بدأ جمع القرآن لكنه لم يتمه فأتمه عمر في خلافته، وهناك من يوفق بين هذه الروايات على أساس أن أبا بكر هو أول من جمع القرآن في صحف، بينما عمر هو أول من ضمه في مجلد واحد (مصحف)، وهناك رواية تقول إن عمر هو الذي أمر بالجمع لكنه مات قبل أن يتم هذا العمل، وهذا رأي رواه ابن سعد، وفي الحقيقة فإن هناك روايات مختلفة تنسب الجمع للمرة الأولى لكل خليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة (راجع كتاب المصاحف لعبدالله بن أبي داود السجستاني، وراجع أيضاً الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي)[(٢)].

فالمستشرق (بيرسون) كتب عن جمع القرآن، وتكلم على أول من جمع القرآن الكريم، وإن كان هناك شبه إجماع على أن أول من جمع القرآن أبو بكر رضي الله عنه، إلا أنه يذكر أن هناك روايات عن كل واحد من الخلفاء الراشدين.

وقول المستشرق: (**ثمة ما يشبه الإجماع على أول جمع كامل للقرآن الكريم تم في عهد الخليفة الأول أبو بكر**) وهذا صحيح، فأول جمع للقرآن الكريم كان في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه وبأمر منه، وبمشورة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فقد أخرج البخاري رحمه الله بسنده عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه

---

(١) لم أقف على ترجمة.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٦/ ٨١٧٠، ٨١٧١، ٨١٧٢)، مادة: (القرآن الكريم)، وينظر: تاريخ العرب العام، تأليف: سيديو (ص١٣١)، وكتاب العرب تاريخ موجز، تأليف: فيليب حتي (ص ٤٨).

قال: (أرسل إليَّ أبو بكر مقتلَ[١] أهل اليمامة وعنده عُمر فقال أبو بكر: إن عُمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ[٢] يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقرَّاء في المواطن[٣] فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه. وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قُلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر.

قال زيد بن ثابت: وعُمر عندهُ جالسٌ لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌّ عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفني نقْلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قُلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي ﷺ؟

فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ.

فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر. فقمتُ فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف[٤]، والعُسُب[٥] وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري[٦] لم أجدهما مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

---

(١) مَقْتَلَ: المقتَل: مفعَل، من القتْل، وهو ظرف زمان هاهنا، أي عند قتلهم في الوقعة التي كانت باليمامة مع أهل الردة في زمن أبي بكر. كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٤)، مادة: (قتل).

(٢) استحرَّ: أي اشتدّ وكثر وهو استفعل من الحرِّ: الشدَّة. المصدر السابق (١/ ٣٥١)، مادة: (حرر).

(٣) المواطن: يُسمى به المشهد من مشاهد الحرب، ومفرده: موطن. ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥]. ينظر: المصدر السابق (٥/ ١٧٨)، مادة: (وطن).

(٤) الأكتاف: جمع كتف وهو: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من النَّاس والدواب، كانوا يكتبون فيه لقلَّة القراطيس عندهم. ينظر المصدر السابق (٤/ ١٣٠)، مادة: (كتف).

(٥) العُسُب: جمع عسيب أي جريدة من النخل وهي السَّعفة مما لا ينبت عليه الخوص. ينظر: المصدر السابق (٣/ ٢١٢) مادة: (عسب).

(٦) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي، يُكنى أبا عمارة، وهو ذو الشهادتين، جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد كلها، وقُتل في صفين، وكان إلى جانب جيش علي بن أبي طالب. ينظر: الاستيعاب (ص ٢٠٣)، رقم (٦٣٩)، وأسد الغابة (٢/ ١٢٠)، رقم (١٤٤٧).

عَلَيْكُم ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر)(١).

وقول المستشرق (بيرسون):(فثمة قضايا مهمة أثيرت حول هذه النقاط، فالبخاري يشير إلى أن عمر بن الخطاب هو أول من جمع القرآن، وقد ردد ذلك الباحث فنسنك Wensick، وبيروتون Burton) إلخ.

وهذا القول مثل قول المستشرق (مونتجمري وات) حيث يقول عن نسبة جمع القرآن الكريم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:(أما التأكيد بأنه هو الذي بدأ في جمع القرآن فلقد أصبح الآن مجانباً للصواب إذ أن الرأي الغالب يرد ذلك إلى عمر)(٢).

وهذا القول من هؤلاء المستشرقين مجانب للصواب جملة وتفصيلاً، وأين الموضع الذي ذكر في صحيح البخاري أن أول من جمع القرآن هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لقد ذكرت رواية البخاري آنفاً وليس فيها مستند لهم في قولهم.

ولم يفرقوا بين الآمر بالجمع والمشير بالجمع، فالآمر هو أبو بكر رضي الله عنه، وهو الخليفة، وصاحب الأمر في ذلك.

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو مشير بالجمع، وناصح للمسلمين، لهذا كله فقد تكرر منه المشورة بجمع القرآن حتى شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك.

أما تشكيك المستشرقين في أن أول من جمع القرآن الكريم هو أبو بكر رضي الله عنه، فلم يذكروا لذلك دليلاً، وقد يكون ذلك وهمٌ من أحد المستشرقين تناقلوه بينهم.

أو أن ذلك بسبب العجمة، وعدم معرفتهم للسان العربي وهذا ليس بعيداً عنهم.

ومع ذلك فلم أجد بعد البحث أحداً يقول بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن الكريم، وحديث زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه يدل على

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣٠٣)، مادة: (أبو بكر).

نقيضه .

وقول المستشرق: (**هناك رواية تقول إن عمر هو الذي أمر بالجمع لكنه مات قبل أن يتم هذا العمل، وهذا رأي رواه ابن سعد، وفي الحقيقة فإن هناك روايات مختلفة تنسب الجمع للمرة الأولى لكل خليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة..**) .

هذا القول ونسبته إلى المراجع التي أحال إليها من الكذب والتزوير في تاريخ المسلمين وبخاصة تاريخ صحابة رسول الله ﷺ .

وإلا فالثابت أن أول من أمر بالجمع للقرآن الكريم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، والذي أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقوله: (**هناك روايات مختلفة تنسب الجمع للمرة الأولى لكل خليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة، (راجع كتاب المصاحف لعبدالله بن أبي داود السجستاني، وراجع أيضاً الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي**).

هذا القول غير صحيح ، وهو دال على عدم معرفتهم لدراسة الأسانيد ، وما يتبع ذلك من الحكم عليها بالصحة والضعف .

والذي في كتاب المصاحف ، والإتقان للسيوطي وغيرهما[١] ، أن أول من جمع القرآن الكريم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، واستدل ببعض الأحاديث . ومنها الحديث الذي تقدم .

وأما نسبة جمع القرآن لبعض الخلفاء مثل عمر وعلي رضي الله عنهما ففيها أحاديث ضعيفة الإسناد ، إما من رواية ضعيف ، أو من جهة انقطاع في الإسناد .

وأما جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكان بكتابة مصحف يكون للناس إماماً لا يختلف في شيء من حروفه ، يُعصمون به من الضلالة .

وبهذا يتبين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أول من جمع القرآن الكريم .

---

(١) كتاب المصاحف ، لابن أبي داود ، (ص ٤٨ – ٦٩) ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٢٦ – ١٣٢) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٣٣ – ٢٤٠) ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني (١/ ٢٤٩ – ٢٦٣) ، المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، عبدالله الجديع (ص ٩٦ – ١٠١) .

المطلب الثالث

موقف المستشرقين من عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اهتم المستشرقون بتاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما نقلته كتب التاريخ والسير، وأفاضوا في الحديث عن جوانب عِدة من حياته وإسلامه، وصلته بالرسول ﷺ، وبإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، إضافة إلى دراسة الإنجازات الحضارية، والفتوحات والمعارك، التي تمت في عهده رضي الله عنه.

حيث أذهلهم انتصار الجيوش الإسلامية في عهده رضي الله عنه، على أعظم دولتين في العالم في ذلك الزمن (فارس والروم).

وقد تقدم الكثير من آراء المستشرقين في ذلك فيما سبق فأكتفي به.

وهذه أهم آراء المستشرقين ومواقفهم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي لم تذكر.

١ - التعريف بعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عرَّف المستشرق ليفي دلافيدا (**Levi Della Vida**) عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية بقوله:(هو الخليفة الراشد الثاني، الذي قام بدور كبير في تأسيس الدولة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق، وقد وضع الوضاعون في سيرته أموراً غير حقيقية)[١].

فالمستشرق عرَّف بعمر بن الخطاب رضي الله عنه مبيناً مكانته التاريخية في دولة الخلافة الإسلامية، وقد لفت هذا المستشرق إلى أن في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما هو كذب، وهذا صحيح، فقد أضيف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أقوال وأفعال غير صحيحة، السند والنسبة.

وهذه كتب الفضائل والسير، والتاريخ، مثل كتاب: فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، على جلالة قدره وعلمه، إلا أن فيه أحاديث ضعيفة، وموضوعة، فهو

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/ ٧٤٩٨)، مادة: (عمر بن الخطاب).

على منهج من سبقه من العلماء، بأنه إذا أسند الحديث فقد برئت ذمته، وهذا لعلمهم بالأسانيد، جرحاً وتعديلاً، بخلاف الأزمنة المتأخرة، وكتاب معرفة الصحابة، وفضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، وهما: لأبي نعيم الأصفهاني، وكتاب تاريخ عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، وبقية الكتب المعروفة المشهورة، مثل تاريخ الطبري، وتاريخ ابن الأثير (الكامل)، وتاريخ ابن الجوزي (المنتظم)، وتاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) وغيرها.

٢ - رأي المستشرق ليفي دلافيدا في عهد أبي بكر لعمر رضي الله عنهما بالخلافة:

يقول المستشرق ليفي دلافيدا (**Levi Della Vida**) عن عهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: (فقد كان لابن الخطاب دور مهم في أثناء حياة الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر. وهنا يثور سؤال: هل عَهَدَ أبو بكر لعمر بن الخطاب بالخلافة من بعده؟

هذه مسألة ثار حولها نقاش بين علماء المسلمين، وعلى أية حال فقد تلقى عمر البيعة من كبار الصحابة، وعامة المسلمين، بعد أن كان أمر توليه الخلافة قد استقر بالفعل)[1].

المستشرق (فيدا) عنده نوع من الشك في تولي عمر رضي الله عنه الخلافة بعهد أبي بكر رضي الله عنه، ويقول بأن هذه المسألة محل نقاش بين علماء المسلمين.

والحقيقة أني لم أجد أحداً ذكر هذا الشك في عهد أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة لعمر رضي الله عنه فيما بين يدي من كتب الفضائل، والسير، والتاريخ.

ولعل الصحيح أن قول المستشرق هذا هو من كيسه، اختلقه لتشويه وتشكيك المسلمين، في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم، الذين هم القدوة والسلف الصالح للإسلام والمسلمين.

كما أن هناك من الآثار والأخبار الكثيرة والمستفيضة، عن سلف الأمة وخلفها التي تثبت عهد أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه،

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/ ٧٥٠)، مادة: (عمر بن الخطاب).

وموافقة الصحابة على ذلك، ومنها: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منِّي: أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني: رسول الله ﷺ[١]. وما رواه الحسن[٢] بن أبي الحسن قال: لما ثقُل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميتٌ لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي وحلَّ عنكم عقدتي ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي؛ فقاموا في ذلك وخلوا عليه فلم تستقم لهم، فرجعوا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله رأيك؟

قال: فلعلكم تختلفون؟ قالوا: لا؛ قال: فعليكم عهد الله على الرضى؟ قالوا: نعم، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل إلى عثمان بن عفان فقال: أشِر عليَّ برجل ووالله إنك عندي لها لأهل ومَوْضِع؟ فقال: عمر. فقال: اكتب عمر؛ فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق!

فقال: كتب عمر)[٣].

وهناك آثار غيرها، فيها نظر، إلا أن شهرة واستفاضة عهد أبي بكر لعمر رضي الله عنهما لا يمكن إنكارها.

والخلاصة: أن خلافة عمر رضي الله عنه تمت بالنص والعهد ومبايعة الصحابة له، ولم تذكر كتب التاريخ[٤] خلاف ذلك.

٣ - آراء المستشرقين في عمر رضي الله عنه: للمستشرقين آراءهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صفاته، وحياته، وسياسته في حكم الرعية، والفتوحات التي تمت في عهده.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو: الحسن البصري، وهو من ثقات التابعين، وحديثه هذا مرسل.

(٣) كتاب: تاريخ عمر بن الخطاب، لابن الجوزي (ص ٥٢).

(٤) كتاب الطبقات الكبرى (٣/١٠٦ - ١١٣)، وتاريخ الطبري (٢/ ٣٥٢)، وتاريخ ابن الجوزي (٤/ ١٢٥)، وكتاب تاريخ عمر بن الخطاب، لابن الجوزي (ص ٥٢ - ٥٧)، وتاريخ ابن الأثير (ص ٣٠٧).

فيقول المستشرق واشنجتون إيرفنج (Washington Erving)(١) في كتابه: (محمد وخلفاؤه): (إن حياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلاً ذا مواهب عقلية عظيمة، وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة، وهو الذي وضع أساس الإمبراطورية الإسلامية، ونفَّذ رغبات النبي وثبتها، وآزر أبا بكر بنصائحه أثناء خلافته القصيرة. ووضع قواعد متينة للإدارة الحازمة في جميع البلاد التي فتحها المسلمون.

وإن اليد القوية التي وضعها على أعظم قواده المحبوبين لدى الجيش في البلاد النائية وقت انتصاراتهم لأظهر دليل على كفاءته الخارقة للحكم.

وكان ببساطة أخلاقه واحتقاره للأبهة والترف مقتدياً بالنبي وأبي بكر وقد سار على أثرهما في كتبه للقواد)(٢).

فالمستشرق يعدد بعض فضائل وصفات وسياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته.

وقد أنصف المستشرق في ذلك كله، حيث لم يخرج عما ذكر في كتب الفضائل والسير والتاريخ، من صفاته وسياسته للرعية بالعدل والإنصاف.

وبمثله يقول المستشرق موير (Muir) في كتابه (الخلافة) عن رأيه في عمر رضي الله عنه:(كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادئ عمر، وأظهر ما اتصفت به إرادته عدم التحيز والتعبد، وكان يُقدر المسؤولية حق قدرها، وكان شعوره بالعدل قويّاً، ولم يُحابِ أحداً في اختيار عُماله، ومع أنه كان يحمل عصاه، ويعاقب المذنب في الحال! حتى قيل إن درة عمر أشد من سيف غيره، إلا أنه كان رقيق القلب، وكانت له

---

(١) واشنجتون إيرفنج (Washington Evring):
مؤرخ أمريكي عاش في القرن الماضي، ولد سنة ١٧٨٣، وبدأ التأليف والبحث سنة ١٨٠٦، ثم أصبح وزيراً مفوضاً في أسبانيا ما بين ١٨٤٢، ١٨٤٦، وهناك اطلع على تراث الحضارة الإسلامية فمال إليها، وراح يكتب عن التاريخ الإسلامي، فكتب ترجمة لحياة الرسول ﷺ، كما ترجم للخلفاء الراشدين، وتوفي إيرفنج في أمريكا سنة ١٨٥٩. كتاب المستشرقون والإسلام، ومحمد قطب (ص ٢٥٦)، وينظر: كتاب المستشرقون، تأليف: نجيب العقيقي (٣/ ١٣١).

(٢) الفاروق عمر محمد رضا، (ص ٤٤)، ضمن موسوعة الخلفاء الراشدون، لمؤلفه.

أعمال سُجّلت له شفقته، ومن ذلك: شفقته على الأرامل والأيتام)[١].

ويقول المستشرق فلهوزن (**Wellhausen**) عن الفتوحات التي تمت في عهد عمر رضي الله عنه: (وقد تمت معظم الفتوحات في عهد عمر، وهو يعتبر المنظِّم لها، على أنه يتضح مما تقدم أنه لم يكن مُبدعاً لنظام جديد، لكن يرجع له الفضل في أنه نحَّى قانون الغنائم العربي جانباً)[٢].

والمستشرق يقصد بذلك أن عمر رضي الله عنه تم في عهده أكثر الفتوحات[٣]، مما جعله يستحدث أنظمة لم يكن معمولاً بها، وهذا صحيح، فقد وضع دواوين الجند، ودواوين العطاء، وأرَّخ للمسلمين بتاريخ هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة[٤].

بينما ينقل المستشرق بليايف (**Bellaev**) عن المؤرخين المسلمين بعض ما تميز به عمر رضي الله عنه وخلافته فيقول: (يعزو المؤرخون والفقهاء العرب الأولون قيام الخلافة – أي إقامة حكم مركزي في البلاد – إلى الخليفة عمر بن الخطاب. كان عمر في نظرهم السياسي المحنك الفطن، كان رجلاً ذا إرادة حديدية وعزم لا يكل ولا يُهن، وأصبح في التقليد الإسلامي مثال الاحتشام والتواضع والحكمة والتقشف والزهد، وهو لا شك جدير بكل ذلك. كما أنه مثال الرجل الذي يكرس حياته وذاته لرفع شأن الإسلام والمسلمين)[٥].

ينسب المستشرق بليايف إلى المؤرخين المسلمين قيام الخلافة بعمر رضي الله

(١) كتاب: الفاروق عمر بن الخطاب، تأليف: محمد رضا، (ص ٤٣).

(٢) كتاب: تاريخ الدولة العربية، تأليف: فلهوزن (ص ٣٢).

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/ ١٤٩)، وتاريخ الطبري (٢/ ٣٥٦)، وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢/ ٣١٧)، وتاريخ ابن الجوزي (٤/ ١٤٢)، وتاريخ ابن الأثير (ص ٣٠٧)، وتاريخ أبي الفداء، المسمى (المختصر في أخبار البشر) (١/ ٢٢٣).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٥٨)، فضائل الصحابة، للإمام أحمد ابن حنبل (١/ ٤٠١)، رقم (٤١٤)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٥٢، ٥٧٠)، تاريخ ابن الجوزي (٤/ ١٩٤)، وتاريخ أبي الفداء (١/ ٢٢٥)، وغيرها.

(٥) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٨٦).

عنه ، ويذكر نظرتهم لعمر رضي الله عنه وما تميز به ، ثم يؤيدهم المستشرق بكل ذلك .

وأما قوله: أن المؤرخين وغيرهم يعزون قيام الخلافة إلى عمر ، فهذا قول غير صحيح ، فإن أول خليفة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد تقدم الكلام على ذلك في موقف المستشرقين من أبي بكر رضي الله عنه ، وأن الصحابة رضي الله عنهم قد أجمعوا على اختياره ، إضافة إلى الأدلة الأخرى من السنة على خلافته رضي الله عنه .

وأما بقية الصفات فمعانيها صحيحة ، دلت الآثار على عدد كبير منها ، كما في كتب الفضائل ، والسير ، والتاريخ[١] وغيرها .

ويقول المستشرق مايكل هارت (**Michael Hart**) عن عمر رضي الله عنه بعد أن جعله في المرتبة الحادية والخمسين من (المائة الأوائل) ، وهو عنوان كتابه قال: (كان عمر بن الخطاب ثاني وربما أعظم خليفة من خلفاء المسلمين ، وكان معاصراً للنبي ﷺ وأصغر منه سنًا)[٢] .

فالمستشرق هنا جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه هذا في مرتبة وضيعة ، ومتدنية ؛ سبقه إلى المراتب الأعلى في سلم أوائله كثير من أهل الكتاب ، والوثنيين ، حاشا رسول الله ﷺ ، وموسى وعيسى [عليهما السلام] ، ومع ذلك نجده يجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعظم خليفة ، فإذاً أين أبو بكر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم؟!

أليسوا من الأوائل؟

وفي قوله عن عمر إنه (**أعظم خليفة من خلفاء المسلمين**) فيه جفاء وعدم تقدير ،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٧٩) ، والطبقات لابن سعد (٣/ ١٤٥ وما بعدها) ، وكتاب فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٤٠٩) ، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٢٠٣ وما بعدها) ، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم ، لأبي نعيم الأصفهاني (ص ٣٥ وغيرها) ، ومن الكتب المعاصرة: كتاب سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره ، علي محمد الصلابي (ص ١٥ ، ٦٢) وغيرها .

(٢) كتاب المائة الأوائل (ص ١٦١) .

وفهم لسير الصحابة وتاريخهم .

لا ننكر أن عمر رضي الله عنه ، من أعظم الخلفاء الراشدين ؛ لكن ليس هو أعظمهم على الإطلاق ، فهناك من هو أعظم منه وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ولو كان عمر رضي الله عنه حيًّا ما رضي أن يكون أرفع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فمراتبهم في العظمة كمراتب الخلفاء الراشدين في تولي الخلافة ، ومراتبهم بالفضل[1] ، وعلى ذلك ذهب أهل السنة والجماعة .

هذا إذا كان قصد المستشرق بالعظمة ذات الخليفة ، وأما إذا قصد الدولة وما لها من إنجازات وفتوحات ؛ فكذلك عظمتها على حسب ترتيب الخلفاء ، فالدولة الإسلامية في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، أعظم من الدولة والخلافة في زمن عمر رضي الله عنه ، وما تحقق في زمن عمر رضي الله عنه من القضاء على دولتي فارس والروم كان أساسه أمر الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالفتوحات في العراق والشام .

كما أنه لولا الله ثم الصديق رضي الله عنه لقضي على الإسلام في مهده بعد وفاة الرسول ﷺ .

ويقول المستشرق مايكل هارت (**Michael Hart**) في ذكر سيرة عمر رضي الله عنه فيقول: (إن مآثر عمر رضي الله عنه مؤثرة حقاً ، فقد كان الشخصية الرئيسية في انتشار الإسلام بعد محمد .

وبدون فتوحاته السريعة من المشكوك به أن ينتشر الإسلام بهذا الشكل الذي هو عليه الآن .

زد على ذلك ، أن معظم الأراضي التي تم فتحها في زمنه بقيت عربية منذ ذلك العهد حتى الآن .

ومن الواضح أن محمداً ﷺ له الفضل الأكبر في هذا المضمار ، ولكن من الخطأ

---

(١) أصول السنة ، للإمام أحمد بن حنبل ، برواية ، (ص ٦٠) ، العقيدة للإمام أحمد ، برواية أبي بكر الخلال ، (ص ٨٠) ، شرح السنة ، للمزني ، (ص ٨٥) ، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٢٧) ، وغيرها .

الفادح أن نتجاهل دور عمر رضي الله عنه، فالفتوحات التي حدثت في زمنه رغم أنها كانت ستحدث ولكن لم تكن ستحدث بذلك الاتساع الهائل الذي تمت به قيادة عمر الواعية اللامعة)[١].

فالمستشرق من هذا النص يرى في عمر شخصية مؤثرة في نشر الإسلام، والتي أدت إلى الفتوحات العظيمة.

ومقال المستشرق مايكل هارت فيه شيء من الغلو، والغلو قبيح.

فقوله: (**كان الشخصية الرئيسية في انتشار الإسلام بعد محمد**).

الأصح أن يقول بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وليس هذا هضماً لمكانة عمر رضي الله عنه، أو الغض من منزلته.

كما أن عمر رضي الله عنه لا يمكن أن يكون مساوياً للرسول ﷺ في نشر الإسلام، لما له من مقام النبوة والرسالة.

ثم ننظر إلى جهود أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتقدم شيء منها، أعددها على سبيل التذكير فقط[٢]:

١ – إنفاذه جيش أسامة بن زيد بعد وفاة الرسول ﷺ، مع تدهور الحالة الأمنية وخوف المسلمين القبائل المجاورة للمدينة.

٢ – حرب المرتدين ومانعي الزكاة، بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة.

٣ – أمره بجمع القرآن الكريم خوفاً من ضياعه، وخاصة بعد قتل عدد كبير من القرَّاء.

٤ – بعثه الجيوش للقتال في العراق والشام.

ألا يستحق أبو بكر رضي الله عنه بعد ذلك أن يكون شخصية مؤثرة في نشر الإسلام. وعمر رضي الله عنه عمل على نشر الإسلام بإرسال الجيوش والسرايا لبلاد العراق والشام، وهو في هذا متمم لما قد بدأ في عهد أبي بكر رضي الله عنه، واستحداثه

---

(١) كتاب المائة الأوائل (ص ١٦٣).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٧ – ٣٤٨)، وتاريخ ابن الجوزي (٤/ ٧٣ – ١٢٥).

بعض الأنظمة والدواوين، للجند، والعطاء أملته الضرورة، وكثرة الفتوح.

وقوله: **(وبدون فتوحاته السريعة من المشكوك به أن ينتشر الإسلام بهذا الشكل الذي هو عليه الآن)**.

هذا من التشكيك الذي لم يستدل، وهو أحد مناهج المستشرقين في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن تاريخ الإسلام عامة.

وقوله: **(أن معظم الأراضي التي تم فتحها في زمنه بقيت عربية منذ ذلك العهد حتى الآن)**.

هذا القول غير صائب مائة في المائة، وهناك أراضي فتحت من أرض فارس وليست عربية وبقيت إلى يومنا (إيران) والتي هي ضمن مملكة فارس، أو دولة الساسانيين.

وبقية قوله هي من قبيل الغلو أو الشك الذي أعماه للبرهنة على ما ذهب إليه من أن عمر رضي الله عنه أعظم شخصية مؤثرة.

وقد نوه المستشرقان دومينيك، وجانين سورديل[١] **(Sourdel)** بسيرة عمر رضي الله عنه وبمكانته بعد ذكرهما لانتصارات المسلمين فقالا: (ولا بد من ذكر شخصيات ذات براعة في الحرب، حفظت كتب السيرة أسماءهم، وما انفك عملهم يبرز لمدة طويلة في محاذاة الحدود التي طال أمد استقرارها. من بين هذه الشخصيات لا يمكن تناسي صورة الخليفة عمر الذي اشتهرت سطوته وعبقريته حتى بلغتا حد الأساطير، وبحيث طبعتا التنظيم العسكري والإداري بطابعهما، مما مكنه من التحكم والسيطرة تماماً)[٢].

---

(١) جانين طومين سورديل (Sowrdel. Thomime. J) مستشرقة فرنسية، مولودة عام ١٩٥٣، تخرجت على الأستاذ سوفاجه، وعاونت على مجلة (أرابيكا)، من كتبها: نشرت كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، لعلي بن أبي بكر الهروي، وكتابات عربية في كرك نوح، ومفاتيح وأقفال الكعبة، وغيرها.
ينظر: كتاب المستشرقون (١/ ٣٨٥).

(٢) كتاب الإسلام في القرون الوسطى، دومنيك وجانين (ص ٣٩).

فالمستشرقان ينظران إلى شخصية عمر رضي الله عنه بأنها من الشخصيات المشهورة ، ولها أثرها في النظم العسكرية والإدارية ، وهذا القول الصحيح ، وأما قوله عن سيرته بلغت حد الأساطير ، قد يكون ذلك لغرابتها ؛ إلا أنه في كتب السنة والسيرة آثار صحيحة عن سيرته ، وما تميز به رضي الله عنه ، وهناك آثار أخرى ضعيفة ، ومع ذلك فإن كتب التاريخ والأدب لا تخلو من بعض الأساطير ، أو الأحاديث الضعيفة عن سيرته ، وسيرة بقية إخوانه من الصحابة رضي الله عنهم .

ويقول المستشرق جوزيف بورلو: (عمر بن الخطاب (٦٣٤ – ٦٤٤) ثاني الخلفاء الراشدين ، وهو الذي ترك نموذجاً لا ينسى للخليفة العادل ، وقد كان هو أيضاً حسناً ، ومن أشد المخلصين للنبي ﷺ ، وقد استطاع قيادة وتنظيم غزوات المسلمين المكلَّلة بالفتوحات والنصر ضد البيزنطيين والفرس ، كما شهد عهده ولادة نظام الإدارة)[١] .

فقد بين المستشرق من بعض الفضائل والصفات ، والإنجازات التي تمت في عهد عمر رضي الله عنه .

وتنويه المستشرق بذلك فيها إنصاف لسيرة هذا الصحابي الجليل والخليفة الراشد رضي الله عنه .

٤ – رأي المستشرق (ليفي دلا فيدا) في صلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم:

أ – صلة عمر بأبي بكر رضي الله عنهما: اهتم المستشرق ليفي دلا فيدا (**Levi Della Vida**) ببحث صلة عمر رضي الله عنه بأخوانه من الصحابة رضي الله عنهم ، قال عن صلة عمر بأبي بكر رضي الله عنه: (**وما يلفت النظر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارتبط برباط من الصداقة العميقة مع أبي بكر الصديق في المدينة المنورة، صداقة لم يتخللها أي نوع من الغيرة، رغم أن الرسول ﷺ كان متزوجاً من ابنة عمر رضي الله عنه (حفصة)،**

(١) كتاب الحضارة الإسلامية (ص ٣٣) ، كتاب الفتوحات العربية الكبرى ، جون جلوب (ص ٣٨٤) ، الأسرة الحاكمة في الإسلام ، بوزورث (ص ١٩) .

ومن ابنة أبي بكر رضي الله عنه (عائشة).

بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له دور مهم في تأييد أبي بكر الصديق في تولي الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ(١) .

فالمستشرق في هذا النص يعجب من الصلة التي كانت بين عمر وأبي بكر رضي الله عنهما ، والتي لم يكن فيها شيء من الغيرة لمكانة ابنتيهما من رسول الله ﷺ .

فهما جارتان (ضرتان) وفي العادة يحدث بينهما بعض الاختلاف ؛ إلا أن هذا الاختلاف والتنازع لم يكن ليغير ما بين عمر وأبي بكر رضي الله عنهما من الحب والتقدير والاحترام لبعضهما .

ولا غرابة في ذلك ، فقد عرف عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه فضله وسابقته إلى الإسلام .

كيف لا وهو يسمع الرسول ﷺ يقول: **(إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودَّته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا باب أبي بكر).**

وكيف لا يتعظ مما حدث بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه ، ويعرف منزلة أبي بكر رضي الله عنه من رسول الله ﷺ ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كُنت جالساً عند النبي ﷺ ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن رُكبتيه ، فقال ﷺ: **(أمَّا صاحبكم فقد غامر**(٢)) فسلَّم ، وقال يا رسول الله: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ ، فأسرعت إليه ثم ندمتُ فسألتهُ أن يغفر لي فأبى عليَّ فأقبلتُ إليك . فقال: **(يغفِرُ الله لك يا أبا بكر)** ثلاثاً . ثم إنَّ عمر نَدِم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا . فأتى إلى النبي ﷺ فسلَّم عليه فجعل وجْهُ النبي ﷺ يتمعَّر(٣) حتى أشفَقَ(٤) أبو بكر

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/ ٧٤٩٩) ، مادة: (عمر بن الخطاب) .
(٢) غامر: أي خاصم غيره . ومعناه دخل في غمرة الخصومة ، وهي معظمها . النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤٥) ، مادة: (غمر) .
(٣) يتمعَّر: أي تغيَّر . وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون . النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٩١) ، مادة: (معر) .
(٤) أشفقَ: أي خاف . ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٣٦) ، مادة (شفق) .

فجثا(١) على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنتُ أظلَمَ، مرتين. فقال النبي ﷺ: (**إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقَ، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**) مرّتين فما أوذي بعدها» (٢).

وإن كان عمر رضي الله عنه لم يستطع منافسة أبا بكر رضي الله عنه في منزلته عند الرسول ﷺ إلا أنه حاول منافسته ومسابقته في أعمال البر الأخرى ومنها الصدقة، ففي الحديث عن زيد(٣) بن أسلم(٤) عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً فقلت: اليوم أسبِقُ أبا بكرٍ إن سبقته يوماً!

قال: فجئتُ بنصْفِ مالي فقال رسول الله ﷺ: (**ما أبقيت لأهلك؟**) قلتُ: مثله.

وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: (**يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟**) فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلتُ: والله لا أسبقهُ إلى شيءٍ أبداً)(٥).

بل إن عمر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول ﷺ، أول من بايع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث أخذ بيده، ولو كان هناك أدنى اختلاف لتأخر ولم يبادر إلى مبايعة الصديق رضي الله عنه، حتى يقضي على الاختلاف.

بل وقبل ذلك في هذا الاجتماع قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للمجتمعين

---

(١) فجثا: أي جلس على ركبتيه. المعجم الوسيط (١/ ١٠٧)، والمصباح المنير (ص ٥٢).

(٢) أخرجه البخاري، ح/ ٣٦٦١، (ص ٧٤٩).

(٣) هو: زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر بن الخطاب، أبو أسامة المدني الفقيه، والتابعي الثقة، توفي سنة ١٣٦هـ. كتاب الثقات (٢/ ١٤٦)، رقم (١١٤١)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٥٣٥)، رقم (٢٤٨٧).

(٤) هو أسلم العدوي، مولاهم أبو خالد، ويقال: أبو زيد. قيل: إنه حبشي، وقيل: من سبي عين التمر، من كبار التابعين الثقات، مختلف في سنة وفاته، فقيل: مات سنة ثمانين، وقيل: سنة ستين، الثقات (٢/ ٢٢٧)، رقم (١٧٠)، تهذيب التهذيب، (١/ ٢٥٣)، رقم (٥٠٢)، تقريب التهذيب (ص ٤٤)، رقم (٤٠٧).

(٥) الترمذي ح/ ٣٦٧٥، وأبو داود ح/ ١٦٧٧، والدارمي ح/ ١٦١٥، (١/ ٤٢٠). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح/ ٣٦٧٥ (٣/ ٥٠٦).

من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين: (قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي [يعني يد عمر]، ويد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا [يقول:] فلم أكره مما قال غيرها)(١) .

وانظر إلى محاورة عمر رضي الله عنه للأنصار رضي الله عنهم، وعمله على إقناعهم بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه فيقول لهم: (يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤمَّ الناس؟ فأيكم تطيبُ نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر)(٢) .

وقد حفظ عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه مكانته ومنزلته، وسابقته، حتى بعد وفاته؛ في الحديث:

عن ابن أبي ليلى(٣)، قال: (تداروا(٤) في أمر أبي بكر وعمر، فقال رجل من عطارد: عمر أفضل من أبي بكر، فقال الجارود(٥): بل أبو بكر؛ أبو بكر أفضل منه، قال: فبلغ ذلك عمر، قال: فجعل ضرباً بالدرة حتى شغر(٦) برجلَيْه، ثم أقبل إلى الجارود فقال: إليك عني، ثم قال عمر: أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا، قال: ثم قال عمر: من قال غير هذا أقمنا عليه ما نُقيم على المفتري)(٧) .

وروى الإمام الطبري في تاريخه فقال: (بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) هو: عبدالرحمن بن أبي ليلى يسار الأنصاري الأوسي أبو عيسى الكوفي التابعي الثقة، الثقات (٢/ ٣١٩)، رقم (٢٤٥٢)، وكتاب تهذيب التهذيب (٤/ ١٢١)، رقم (٤٦٦٨) .

(٤) تداروا: اختلفوا . ينظر كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٠٣)، مادة: (درأ) .

(٥) هو الجارود بن المعلى، ويقال: ابن عمرو بن المعلى العبدي، قدم الجارود سنة عشر في وفد عبدالقيس الأخير، وسر النبي ﷺ بإسلامه،، وقتل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر، وقيل: قتل بالنهاوند، وقيل: بقي إلى خلافة عثمان . الإصابة (ص ١٦٩)، رقم (١٠٧٧)، والكاشف (١/ ٢٨٨)، رقم (٧٤٣) .

(٦) شغر: رفع، ينظر: كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٥٠٨)، مادة: (شغر)، وكتاب الصحاح (١/ ٥٧١)، مادة: (شغر)، وكتاب المصباح المنير (ص ١٦٥)، مادة: (ش غ ر) .

(٧) أخرجه الإمام أحمد في كتابه فضائل الصحابة (١/ ٣٦٧)، رقم (٣٩٦)، وعبدالله ابن أحمد في كتاب السنة (٢/ ٥٧٩)، رقم (١٣٦٥)، وقال محققه: إسناده صحيح إلا أنه منقطع .

يقود ناقة تظلع[١]، حتى وقف عليه، فقال:

إنَّك مُسترعىً وإنَّا رَعيَّةٌ

وإنك مدعــوٌّ بسيماك يا عُمَرْ

إذا يومُ شرّ شرُّه لشراره

فقد حمَّلتك اليوْم أحْسابَها مُضَرْ

فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وشكا الرجل ظلع ناقته، فقبض عمر الناقة، وحمله على جمل أحمر، وزوَّده وانصرف.

ثم خرج عمر في عقب ذلك حاجًّا، فبينا هو يسير إذ لحق راكباً يقول:

ما ساسنا مثلك يابنَ الخطَّاب

أبرُّ بالأقصى ولا بالأصحاب

بعدَ النبي صاحب الكتاب

فنخسه عمر بمخصرة[٢] معه، وقال: فأين أبو بكر؟!) [٣].

والشاهد من هذه القصة: أن عمر رضي الله عنه لم يرض أن يُقدَّم على أبي بكر رضي الله عنه، حتى ولو كان في زمن خلافته رضي الله عنهم أجمعين.

ب - صلة عمر رضي الله عنه بإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم: حاول المستشرق ليفي دلا فيدا (**Levi Della Vida**) أن يشوه صلة عمر رضي الله عنه ببعض أخوانه من الصحابة رضي الله عنهم وخاصة في زمن خلافته، فقال: (وفي عهده لم يستطع بنو أمية أن يسيطروا على دفة الأمور، فقد كان ابن الخطاب محنكاً حازماً، ولم يكن يسمح لأيٍّ مهما كان بتشكيل مركز من مراكز القوى، أو يؤسس دائرة نفوذ لنفسه، فقد عزل خالد بن الوليد بعد أن حقق أروع انتصار في تاريخ الإسلام، مما يدل

---

(١) تظلع: العرج اليسير، كتاب المصباح المنير (ص ٢٠٠)، مادة: (ظ ل ع). كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٦١٧)، مادة: (ظلع)، الصحاح (٢/ ٩٧٠)، مادة: (ظلع).

(٢) مخصرة: كالسوط، والقضيب، أو العصا، يشير به الخطيب إذا خاطب الناس. ينظر: معجم مقاييس اللغة (ص ٣٠٠)، مادة: (خصر)، الصحاح (١/ ٥٣١)، مادة (خصر).

(٣) (٢/ ٥٧٦).

على عبقرية عمر السياسية ومدى قوة شخصيته .

وقد عامل عمرو بن العاص بحذر وكياسة فسمح له بفتح مصر ، لكنه جعل إلى جواره الصحابي الكبير الزبير ليكون رقيباً عليه ، وكان حريصاً على عدم تعيين كبار الصحابة (ولم يكن الزبير استثناء من القاعدة) خوفاً من ازدياد نفوذهم مما يهدد بانقسام الدولة الإسلامية)[١] .

فالمستشرق (فيدا) من خلال هذا النص يصوّر صلة عمر رضي الله عنه بإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وهذا الكلام من هذا المستشرق لا يخرج عن منهج المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم ، أو عن التاريخ الإسلامي .

ولا نغفل عن تأثير الأخلاق اليهودية على المستشرق فهو أحدهم ، وعلى ذلك لا نستغرب الكذب والتزوير الذي رصه في أسطره التي مرَّت .

وفي نص المستشرق الذي تقدَّم محاولة منه لتسليط الضوء على صلات عمر رضي الله عنه بثلاثة فئات من مجتمع دولة الخلافة الإسلامية:

الفئة الأولى: البيت الأموي .

الفئة الثانية: قواده على الجيوش .

الفئة الثالثة: كبار الصحابة رضي الله عنهم .

فالفئة الأولى وهم بنو أمية يقول بأنهم لم يستطيعوا السيطرة على دفة الأمور .

ويُسأل هذا المستشرق هل عمل بنو أمية أو حاولوا السيطرة حتى تقول لم يستطع بنوا أمية أن يسيطروا على دفة الأمور؟؟

طبعاً ليس هناك دليل على ما تقول وإلا لذكرته .

والبيت الأموي من أقوى بيوت قريش في الجاهلية والإسلام .

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/ ٧٥٠٠) ، مادة: (عمر بن الخطاب) .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته، جعل عثمان رضي الله عنه أحد الستة نفر الذين يختار من بينهم الخليفة بعد وفاته رضي الله عنه، إضافة إلى كونه محل الشورى والمشاورة(١) لعمر رضي الله عنه.

وكان من قواد عمر رضي الله عنه في فتوح الشام: يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

وعمرو بن العاص على مصر وغيرها، هذا كله في خلافة عمر رضي الله عنه(٢).

أما بعده فقد كان لهم نصيب في الحكم واتساع رقعة الدولة الإسلامية، ونشر الإسلام.

وأما قول المستشرق عن عمر رضي الله عنه: (**لم يكن يسمح لأيٍّ مهما كان بتشكيل مركز من مراكز القوى، أو يؤسس دائرة نفوذ لنفسه، فقد عزل خالد... وقد عامل عمرو بن العاص بحذر وكياسة**).

فالمستشرق يرى هنا وكأن عمر رضي الله عنه يخاف من قواده؛ وكأنهم يحاولون تكوين نفوذ ورئاسة لهم.

وهذا كله من خيال هذا المستشرق، حتى يفتعل أزمة في صلة عمر رضي الله عنه بإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم، لا ننكر أن لعمر رضي الله عنه سياسته الحازمة مع قواده على الجيوش، وعمّاله (ولاته) على البلاد المفتوحة في الشام والعراق.

وعمر رضي الله عنه يسعى لمصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك كله.

وعزله خالداً لم يكن بدعاً من عزله لعدد من القادة في عهده، رأى أن المصلحة في عزلهم، أو نقلهم إلى مناطق أو بلاد أخرى. وهذه كُتب التاريخ والسير شاهدة بذلك.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٥٦٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٥٢، ٥٧٦، ٥٨٧).

وأما تخصيص المستشرق عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه بالذكر؛ فهذا راجع إلى ما احتوته كتب التاريخ من الكلام على صلة عمر رضي الله عنه بخالد رضي الله عنه، وأنه كانت بينهما عداوة وبغضاء من خلافة الصديق رضي الله عنه[١].

ورواية أخرى تذكر قصة حدثت في القديم؛ وأن خالداً كسر ساق عمر، وهما في زمن الصبا[٢].

حتى تصل الرواية إلى نتيجة مفادها: أن عمر رضي الله عنه يبغض خالداً رضي الله عنه، لذا عزله.

وهذا (أبعد شيء عن هذه الحقيقة أن يكون عزل خالد لضغينة في نفس عمر، أو لتلك المنافسة التي تستحكم بين الأشباه والنظائر، أو لغير سبب من تلك الأسباب التي كان عمر يحاسب بها جميع القادة والولاة.

وأسخف من هذه الظنون أن يسبق إلى الوهم كما سبق إلى وهم بعض المؤرخين أن عمر قد عزل خالداً لبغضاء قديمة مرجعها إلى الصراع بينهما في أيام الصبا، وأجهل الناس بخلائق عمر من يجمح[٣] به الوهم إلى ظن من هذه الظنون)[٤].

وإنما عزله رضي الله عنه لمصلحة رآها راجحة، ولكن أهل الأهواء جعلوا ذلك مطية لتشويه سير الصحابة رضي الله عنهم.

وقول المستشرق: **(وقد عامل عمرو بن العاص بحذر وكياسة[٥] فسمح له بفتح مصر، لكنه جعل إلى جواره الصحابي الكبير الزبير ليكون رقيباً عليه).**

---

(١) المصدر السابق (٢/٣٥٦)، وتاريخ ابن الجوزي (٤/ ٢٣٠)، وتاريخ ابن الأثير (ص ٣٣٩).

(٢) ينظر: تاريخ ابن كثير (٤/ ١٢٤).

(٣) يجمح: أي يسرع. ينظر: كتاب معجم المقاييس (ص ٢٠٦)، مادة: (جمح)، وكتاب الصحاح (١/ ٣٢٤)، مادة: (جمح)، وكتاب المصباح المنير (ص ٦٠)، مادة: (ج م ح).

(٤) عبقرية خالد، عباس العقاد، (ص ١٣٦)، ضمن (مجموعة العبقريات الإسلامية كاملة).

(٥) كياسة: عقل، كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٨٨١)، مادة: (كيس)، الصحاح (١/ ٧٦٨)، مادة: (كيس)، والمصباح المنير (ص ٢٨١)، مادة: (ك ي س)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٠٨)، مادة: (كاس).

وقوله بأن عمر بن الخطاب قد عامل عمرو بن العاص رضي الله عنهما بالحذر، وأنه قد جعل الزبير رضي الله عنه رقيباً عليه، لم يستدل لهذا القول، وهو من الكذب البيِّن، وقول الزور، فعمرو بن العاص رضي الله عنه أحد صحابة رسول الله ﷺ، ومن الذين قادوا السرايا والجيوش في زمن الرسول ﷺ(١)، وفي عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وعمرو بن العاص رضي الله عنه في فتحه لمصر احتاج مدداً لمساعدته؛ فأرسل عمر رضي الله عنه هذا المدد بقيادة الزبير بن العوام رضي الله عنه، فبقي معه لمساعدته وتحت إمرته رضي الله عنهم أجمعين.

هذا ما ذكرته كتب التاريخ(٢).

وأما قول المستشرق بأن عمر رضي الله عنه أرسل الزبير رضي الله عنه رقيباً على عمرو بن العاص رضي الله عنه فهذا غير صحيح، بل ومن التهم الباطلة والتي أراد بها المستشرق أن يوهن صلات عمر رضي الله عنه بإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم.

وبهذا يتبين بأنه لا أمانة علمية عند هذا المستشرق، ولا تجرد علمي.

وقوله عن عمر رضي الله عنه: **(وكان حريصاً على عدم تعيين كبار الصحابة (ولم يكن الزبير استثناءً من القاعدة) خوفاً من ازدياد نفوذهم مما يهدد بانقسام الدولة الإسلامية، ولقد كان ذلك من أمارات عبقريته السياسية).**

فالمستشرق في هذا النص يرى بأن عمر رضي الله عنه لم يولِ كبار الصحابة رضي الله عنهم خوفاً من تزايد سيطرتهم في الدولة والذي يهدد دولته.

وهذا القول فيه خلط، ولبس للحق بالباطل.

وقد يقال أن عمر رضي الله عنه لم يولِ كبار الصحابة رضي الله عنهم على

---

(١) السيرة النبوية (٤/ ٢٨٠)، وكتاب المغازي، للواقدي (٢/ ٢١٧).

(٢) فتوح البلدان، للبلاذري (ص ٢٩٨)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥١٣)، وتاريخ ابن الجوزي (٤/ ٢٩٢).

البلاد المفتوحة في العراق والشام لمصلحة رآها راجحة .

قال ابن سعد رحمه الله في طبقاته: (وكان يستعمل رجلاً من أصحاب رسول الله عليه السلام ، مثل عمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، ويدعُ مَن هو أفضل منهم مثل: عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ونظرائهم لقوة أولئك على العمل والبصر به[١] ، ولإشراف عمر عليهم وهيبتهم له .

وقيل له: مالك لا تُولّي الأكابر من أصحاب رسول الله عليه السلام؟

فقال: أكره أن أدنسهم بالعمل)[٢] .

ومع ذلك فقد كان كبار الصحابة رضي الله عنهم محل الشورى ، والمشاورة في خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان له مجلس في المسجد يجلس فيه مع شيوخ المهاجرين ، يستشيرهم في تعيين الأمراء والقواد في الجيوش الإسلامية[٣] .

وقوله: (**ولم يكن الزبير استثناءً من القاعدة**) .

أراد أن عمر رضي الله عنه أرسله إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر بمثابة المراقب أو الجاسوس ، حذراً من عمرو بن العاص رضي الله عنه كما تقدم ، وأن عمر رضي الله عنه أيضاً أرسل الزبير خشية من زيادة نفوذه في المدينة؟!

وهذا القول مخالف للوثائق التاريخية القائلة بأن عمرو بن العاص رضي الله عنه طلب المدد من عمر رضي الله عنه ، فأرسل الزبير على رأس ذلك المدد .

لكن المستشرق مازال مصرًّا على كذبه وتزويره للأحداث التاريخية .

---

(١) ولا يعني هذا أنهم أفضل من كبار الصحابة رضي الله عنهم الذي ترك توليتهم فقد كانوا رضي الله عنهم أفضل ديناً ، وأكثر ورعاً ، وأكرم أخلاقاً ، (وفي كل خير) ، ولكن خبرتهم في تصريف الأمور أقل من غيرهم ، فليس بالضروري أن يجتمع الأمران كلاهما معاً . فالبصر بالعمل أحد القواعد التي وضعها عمر رضي الله عنه في تعيين الولاة في خلافته . ينظر: كتاب سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، للصلابي (ص ٣١٢) .

(٢) كتاب الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٠) .

(٣) ينظر: كتاب فتوح البلدان ، للبلاذري (ص ٢٦٦) .

ودولة الخلافة الإسلامية في زمن عمر رضي الله عنه كانت مجتمعة على السمع والطاعة له ، فلم يكن هناك ما يهدد هذه الوحدة ، حتى ينسب له هذا المستشرق هذه الإجراءات الوقائية .

ولم يكن المستشرق (ليفي دلا فيدا) صادقاً في كتابته عن صلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالصحابة كخليفة للمسلمين . لقد سعى من خلال نصه أن يشوه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم ، وأن يجعلهم في حالة حرب وتوتر في صلات بعضهم ببعض ، وحتى يُنفِّر أجيال المسلمين من اتخاذهم قدوة وسلف .

* * *

المطلب الرابع

موقف المستشرقين من عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد كانت خلافة عثمان رضي الله عنه والتي تعتبر أطول مدة زمنية بين بقية الخلفاء الراشدين الثلاثة .

وكانت مليئة بالفتوحات ، والإنجازات الحضارية ، وكذلك الأحداث السياسية المهمة في تاريخ المسلمين .

إلا أن سيطرة الأحداث السياسية على كتب وروايات المؤرخين كان لها طابعها الخاص والمؤثر ، في إدارة الأزمة والحدث ، ولو لم يعبر عن حقيقة الواقع .

فكان الحديث عن خلافة عثمان رضي الله عنه ، وخاصة فتنة مقتله مزلة قدم ، فتنت البعض عن إبصار الحق .

وغابت عنه شمس الحقيقة فجرى خلف الباطل وصدَّق كل ناعق ؛ وصدق الله عز وجل حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات: ٦] .

ولما انصرف المستشرقون إلى دراسة تاريخ المسلمين ، والعمل على تحقيق علومه ؛ وجدوا بغيتهم فيما ذكرته كتب التاريخ وغيرها ، من روايات كاذبة ومغرضة ترمي سلف الأمة ورجالها الصادقين ، بكل عظيمة من الظلم في القول والفعل ، ومنها ما جاء عن خلافة عثمان رضي الله عنه ، وأهم قضيتين كانتا محل عناية المستشرقين:

١ – موقف المستشرقين من بيعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة .

٢ – موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه .

١ – موقف المستشرقين من بيعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة: كانت بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه بإجماع من الصحابة رضي الله عنهم ، ولم يخالف في ذلك أحد ، ومع ذلك وجدت روايات وأخبار في كتب التاريخ وغيرها ، فيها بُعد عن الحقيقة وتشويه لسير الصحابة رضي الله عنهم ، وقد تلقفها المستشرقون وزادوها تحريفاً وتزويراً .

وهذه بعض أقوالهم في بيعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة، فيقول المستشرق دوزي (Dozy) عن أحداث تلك البيعة:(بينما كان الخليفة عمر يعالج سكرات الموت إثر طعنه سمَّى ستة من أقدم صحابة الرسول، - فيهم علي وعثمان والزبير وطلحة - ليكون أحدهم رئيساً للدولة من بعده، فلما أسلم عمر أنفاسه اجتمع هؤلاء الشيوخ مدة يومين دون أن ينتهوا إلى قرار ما لانصراف كل واحد منهم إلى التضخيم من خطر مواهبه وتصغير شأن منافسيه، فلما كان اليوم الثالث استقر الرأي على وجوب استخلاف من تكلم عن مزاياه فقط، وما كان أشد حسرة علي والزبير وطلحة حين استخلف القوم عثمان الأموي)[١].

فالمستشرق في هذا النص يذكر خبر تسمية عمر رضي الله عنه لستة من كبار الصحابة رضي الله عنهم، ليتم اختيار الخليفة من بينهم، إلا أن هذا المستشرق حرَّف قصة ما حدث لاختيار الخليفة، وأن كل واحد منهم سعى إلى تضخيم مواهبه، وتصغير شأن منافسه، وهذا ما لم يحدث.

كما أن المستشرق نزع إلى إسقاط ما هم عليه في دول الغرب وحكوماته؛ في انتخاباتهم حيث يسعى الناخب إلى العمل على إشهار وإظهار مواهبه وقدراته، ومكتسباته، وما يعد به جمهور الناخبين من العمل على إنجاح إنجازات طموحة، وكل ذلك حبر على ورق، أو صيحات وخطب رنانة بعيدة عن الحقيقة والواقع، وقوله: (فلما كان اليوم الثالث استقر الرأي على وجوب استخلاف من تكلم عن مزاياه فقط، وما كان أشد حسرة علي والزبير وطلحة؛ حين استخلف القوم عثمان الأموي).

فالمستشرق هنا يحاول كتابة قصةمختلقة بعيدة عن الحقيقة، وهذا تبعاً للمنهج الذي اعتمده في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم، من إسقاط ما عليه المجتمع الغربي في حكوماته وانتخاباته، إضافة إلى منهج في التزوير والتلفيق بين الأحداث، حتى يتمكن من القدح في الصحابة رضي الله عنهم.

وأصح ما ورد في بيعة عثمان رضي الله عنه ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما

(١) كتاب تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٣٨).

وهي كالتالي[١]:

١ - أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن معدان[٢] بن أبي طلحة رحمه الله (أن عُمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبا بكر، قال: إني رأيتُ كأن ديكاً نقرني ثلاث نقراتٍ، وإني لا أراهُ إلا حضور أجلي، وإن أقواماً يأمرونني أن أستخلف، وإن الله لم يكُنْ ليضيِّع دينه، ولا خلافته، ولا الذي بعث به نبيه ﷺ، فإن عَجِلَ بي أمرٌ فالخلافة شُورى بين هؤلاء السِّتَّة الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وإني قد علمتُ أنَّ أقواماً يطعنون في هذا الأمر، أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام، فإن فعلوا ذلكَ فأولئك أعداءُ الله، الكفرةُ الضلاَّل)[٣] الحديث.

٢ - أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن عمرو[٤] بن ميمون رحمه الله (في الحديث الطويل عن مقتل عمر رضي الله عنه والبيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عن) وفيه: (فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين، استَخْلِفْ.

قال: ما أجدُ أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النَّفر أو الرهطِ الذين تُوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمَّى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبدالرحمن، وقال يشهدكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيءٌ كهيئة التعزية له[٥].

فإن أصابت الإمرةُ سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكُم ما أُمِّر فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة...) إلى أن قال: (فلما فُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهْطُ، فقال عبدالرحمن: اجعلوا إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى عليٍّ، فقال طلحةُ:

(١) على حسب الترتيب الزمني.

(٢) هو معدان بن أبي طلحة الكناني اليعمري الشامي، التابعي الثقة. كتاب الثقات (٣/ ٧٧)، رقم (٤١٠٧)، وكتاب تهذيب التهذيب (٦/ ٣٤٩)، رقم (٨٠١٣).

(٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً، ح/ ٧٨، (ص ٢٢٨).

(٤) هو عمرو بن ميمون الأودي، أدرك الجاهلية ولم يلق النبي ﷺ، وهذا يقال له المخضرم، وهو ثقة. كتاب الثقات (٢/ ٣٦٤)، رقم (٢٨٠٥)، وكتاب الكاشف، (٢/ ٨٩) رقم (٤٢٣٧).

(٥) كهيئة التعزية له: أي لابن عمر، لنه لما أخرجه من أهل الشورى في الخلافة أراد جبر خاطره بأن جعله من أهل المشاورة في ذلك. كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاريح/ ٣٧٠٠ (٧/ ٧٩).

قد جعلتُ أمري إلى عُثمان .

وقال سعدٌ: قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن بن عوفٍ .

فقال عبدالرحمن: أيُّكما تبرَّأ من هذا الأمر فنجعلهُ إليه والله عليه وكذا الإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه .

فأُسكِتَ الشيخان ، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟

قالا: نعم .

فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقدَمُ في الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمَّرتُك لتعدِلنَّ ولئن أمَّرتُ عثمانَ لتسمعنَّ ولتُطيعنَّ؟ ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال: أرفَعْ يَدَك عثمانُ ، فبايعهُ وبايعَ له عليٌّ ، وولج أهل الدار فبايعوهُ)[1] .

والشاهد من هذين الدليلين: أن عمر رضي الله عنه ، لم يستخلف أحداً من الصحابة رضي الله عنه ، وإنما جعل الأمر شورى بين ستة من الصحابة رضي الله عنهم ليختاروا واحداً من بينهم ، إضافة إلى أن هذا الأمر صدر من عمر في وقتين:

الأول: في خطبته ليوم الجمعة قبل طعنه بأيام قلائل .

والثاني: بعد طعنه وقبل موته رضي الله عنه .

٣ - وأخرج الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن حميد بن عبدالرحمن أن المِسوَرَ بن مخرمة أخبرهُ أن الرهْطَ الذين ولاَّهم عمر اجتمعوا فتشاوروا .

فقال لهم عبدالرحمن: لستُ بالذي أنافسكم عن هذا الأمر ، ولكنكم إن شئتم اخترتُ لكم منكم .

فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمن ، فلما ولَّوا عبدالرحمن أمرهم ، حتى ما أرى أحداً

---

(١) كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ح/ ٣٧٠٠ (ص٧٥٩) .

من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبهُ، ومال الناسُ على عبدالرحمن يشاورونه تلك الليالي حتَّى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان.

قال المِسوَرُ: طرَقني عبدالرحمن بعدَ هجعٍ[١] من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلْتُ هذه الثلاث بكثير نومٍ، انطلِقْ فادْعُ الزبير وسعداً، فدعوتُهما لهُ فشاورهما ثم دعاني فقال: ادْعُ لي علياً فدعوته فناجاهُ حتى ابْهارَّ[٢] الليلُ.

ثم قام علي من عنده وهو على طمع.

وقد كان عبدالرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادْعُ لي عُثمانَ فدعوتهُ فناجاهُ حتى فَرَّق بينهما المؤذِّنُ بالصُّبح، فلما صلى للناسِ الصُّبحَ واجتمع أولئك الرهطُ عند المنبر، فأرسل إلى مَنْ كان حاضِراً من المهاجرين والأنصار، وأرسلَ إلى أمراء الأجنادِ وكانوا وافوا تلك الحجَّةَ مع عمر.

فلما اجتمعوا تشهَّدَ عبدالرحمن ثم قال: أمَّا بَعْدُ، يا عليُّ إنِّي قد نظرتُ في أمر الناس فلم أرهُم يعدِلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً.

فقال: أبايعكَ على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبدالرحمن، وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار، وأُمراء الأجناد، والمسلمون)[٣].

وهذا دليل على أن بيعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة كانت بإجماع من الصحابة رضي الله عنهم من أصحاب الشورى، والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من شكك في بيعة علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم لعثمان بن عفان رضي الله عنه: (عثمان لم يصر إماماً

---

(١) هجع: الهجعُ والهَجْعة والهجيع: طائفةٌ من الليل. والهجوعُ: النوم ليلاً. كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢١٤)، مادة: (هجع).

(٢) ابهارَّ: أي انتصف. وبُهرة كل شيء وسطه. كتاب الفائق في غريب الحديث (١/ ١٢١)، مادة: (بهر)، وكتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ١٦٢)، مادة: (بهر).

(٣) كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، ح/ ٧٢٠٧، (ص ١٥١١).

باختيار بعضهم، بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلَّف عن بيعته أحد.

. . . فلما بايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إماماً، وإلا فلو قُدِّر أن عبدالرحمن بايعه، ولم يبايعه عليّ ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصر إماماً) (١).

وبهذا يعلم أن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت بإجماع من الصحابة رضي الله عنهم.

وقضية إسناد عمر رضي الله عنه أمر الخلافة لستة من أهل الشورى، من أصحاب رسول الله ﷺ من الأحداث التي اهتم بها رواة الشيعة وخاصة في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم، وألف فيها جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألَّف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك غيره من الرافضة(٢).

وكتب التاريخ الإسلامي الموجودة من أمثال: تاريخ الطبري(٣)، ومروج الذهب للمسعودي(٤)، والكامل لابن الأثير(٥) وغيرها(٦). مليئة بالكذب على الصحابة رضي الله عنهم، وتصورهم وهم في تنافس على الخلافة، وبعضهم يطعن في بعض؟! والعمل على إظهار علي رضي الله عنه وآل البيت في صورة المظلوم، وقد اغتصب حقه في الخلافة(٧).

يقول ابن كثير رحمه الله عن هذه الروايات:

(وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون، أن عليًّا

---

(١) كتاب منهاج السنة (١/ ٥٣٢ – ٥٣٣).

(٢) أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، عبدالعزيز محمد نورولي (ص ٣٢٠).

(٣) (٢/٥٥٩، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٦).

(٤) (٢/٣٣٨).

(٥) (ص ٣٦١، ٣٦٦).

(٦) تاريخ ابن خلدون (١/ ٩١٣).

(٧) وقد أنصف ابن الجوزي في تاريخ (٤/ ٣٣١)، فلم يذكر رواية الرافضة والضعفاء وغيرهم، وإنما اقتصر على ما أخرجه البخاري فلفق بين الحديثين المتقدمين.

قال لعبدالرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك، وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ حتى قال له عبدالرحمن: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح، فهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم.

والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص، الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، ومبادها وقويمها، والله الموفق للصواب)(١).

وفي موضع آخر يرى المستشرق دوزي (**Dozy**) بأنه لم يكن في اختيار عثمان رضي الله عنه، ليكون الخليفة بعد عمر رضي الله عنه ما يبرره، فيقول:(لم يكن في شخصية عثمان ما يبرر اختياره، ولا جدال في أنه كان غنيًّا سمحاً قد بسط كفه بالمال غير مقصر في مساعدة محمد (صلعم) وجماعته، ونكاد نكون قد أحصينا جل فضائله إذا أضفنا إلى هذا عكوفه على الصلاة والصوم وأنه كان مثال الطيبة والوداعة، أما ذكاؤه الذي لم يكن قط قويًّا، فقد أوهنته الشيخوخة، إذ كان أشرف على السبعين . . .)(٢).

فالمستشرق دوزي قد أبدى رأيه في اختيار عثمان رأي الله عنه ليكون خليفة للمسلمين، بأنه لم يكن فيه ما يبرره.

وهذا تدخل سافر وتخطئة كل من اختاره للخلافة بدءاً من عمر رضي الله عنه إلى آخر من بايعه من المسلمين بالخلافة، إضافة إلى أن علي رضي الله عنه هو أحد من رضيه واختاره للخلافة وبايعه عليها رغم أنوف الرافضة وأعداء الإسلام من المنافقين والمستشرقين وغيرهم.

وفضائل عثمان رضي الله عنه لم ترض هذا المستشرق ولا غيره من خصوم عثمان رضي الله عنه، بل وخصوم الإسلام والمسلمين، ففضائل عثمان رضي الله عنه وأياديه في الفضل والإحسان ونصرة الإسلام والمسلمين، معروفة مشتهرة، لا ينكرها إلا

(١) تاريخ ابن كثير، البداية والنهاية (٤/١٥٨).

(٢) كتاب تاريخ مسلمي أسبانيا (١/٣٨).

مغموس في العداوة والبغضاء .

وأما المستشرق سيديو (Sedillot) فلا يرض باختيار عثمان رضي الله عنه من قبل أصحاب الشورى ، وأن ذلك تم بخدعة علي رضي الله عنه ، فيقول:(ولم يسر عمر على طريقة أبي بكر ، فعهد إلى خمسة من سُراة الإسلام في انتخاب من يخلفه ، فأقصي 'عليٌ من الخلافة بخُدعةٍ فلم يختر الأجدر بها لها في سنة ٦٤٤ ، فما كان من عثمان بن عفان وهو الشريف الصالح قوَّاماً بها لما لم يكن عنده من الحزم وقوة المبادرة ما يستطيع به أن يدير شؤون دولة زادتها الفتوح أهمية .

وكان اختيار عثمان من عمل بني أمية الذين كانوا سادة قريش . . .)[١].

فالمستشرق في هذا النص يُشعر القارئ وكأنه يتكلم من حرقة على اختيار عثمان رضي الله عنه للخلافة ، وإقصاء علي رضي الله عنه ، عنها ، وأن ذلك تم بخدعة ، وأنه لم يختر الأجدر وهو علي ، وأن بني أمية كان لهم يد في هذا الاختيار .

وقوله هذا من أبطل البطلان . قاده إلى ذلك عدم التجرد والأمانة العلمية في دراسة الروايات التاريخية ، إضافة إلى منهجه في الكتابة عن هذه القضية ، وإلا فعلي رضي الله عنه لم يُعمل على إقصائه من الخلافة ، ولم يخدع ، وقد وقع الاختيار على عثمان رضي الله عنه من الصحابة رضي الله عنهم من الستة أهل الشورى ، وكان من بينهم علي رضي الله عنه ، اختار عثمان للخلافة ، فهل خدع أيضاً في هذا الاختيار .

وما يذكر في بعض الروايات التاريخية ، وأن عليًّا رضي الله عنه خدع[٢] لا صحة لها . وأما قوله: (**وكان اختيار عثمان من عمل بني أمية الذين كانوا سادة قريش..**) .

بنو أمية لم يكن لهم يد على أهل الشورى ، فكيف يقال بعد ذلك بأن اختيار عثمان رضي الله عنه كان من عمل بني أمية .

هذا قول زور وبهتان عظيم ، ومحاولة لتشويه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم ،

---

(١) كتاب تاريخ العرب العام (ص ١٢٦) .

(٢) تاريخ الطبري (٢/٥٨٦) ، وينظر في الرد على هذه الروايات قول ابن كثير الذي تقدم .

والعمل على طمس معالمه .

ويحاول المستشرق دلافيدا (Levi Della Vide) البحث عن سبب اختيار عثمان رضي الله عنه للخلافة فيقول: (اختاره مجلس الشورى الذي أمر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليكون أحد المرشحين للخلافة .

وربما كان ذلك لعرقه الأموي ولصلته القوية بمحمد ﷺ، وكان بنو أمية قد استطاعوا حتى في حياة الرسول ﷺ أن يستردوا بعضاً مما كان لهم من نفوذ في الجاهلية)[١] .

فالمستشرق في هذا النص يحاول أن يجد سبباً لاختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه للخلافة بعد عمر رضي الله عنه .

لكن المستشرق هنا يحاول أن يقول بأن بني أمية قد سيطروا على مقاليد الأمور ، وأن من مظاهر سيطرتهم خلافة عثمان رضي الله عنه ، ثم يحاول أن يجد لذلك مبرر تاريخي من الماضي ، وأنهم قد استردوا بعضاً مما كان لهم من نفوذ في الجاهلية .

وقوله هذا غير مقنع ألبتة لأمور منها:

- أن علياً رضي الله عنه أقرب إلى الرسول ﷺ من عثمان رضي الله عنه ، فاجتمع له عراقة النسب والقرابة ، فهو ابن عم الرسول ﷺ هذا إذا كان الأمر أمر نسب وقرابة .

- أنه لم يكن هناك من يمكن أن يقال بأنه أثّر على اختيار أهل الشورى ، لا من بني هاشم ، ولا بني أمية ، ومن قال غير ذلك فعليه الدليل .

ويطعن المستشرق فلهوزن (Wellhausen) في أمانة أصحاب الشورى وأنهم لم يعترفوا لعلي رضي الله عنه بحقه في الخلافة: (ولم يكن عمر قد أوصى لعلي ، وكان لعلي بحكم أنه ابن عم النبي وزوج ابنته مطامع في الخلافة ، بل هو كان يشعر من قبل أنه قد تُخُطي .

أما الذي فعله عمر فهو أنه أوصى بأن يكون تعيين الخليفة الذي يخلفه من طريق

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٣/ ٧١٩٩) ، مادة: (عثمان بن عفان) .

الاختيار . . . وتخطى أصحاب الشورى الستة هم أيضاً عليًّا ؛ لأنهم لم يشاءوا أن يعترفوا له بأنه صاحب الحق الأول ، فانتخبوا الصحابي المسنّ عثمان بن عفان من بيت أمية ، وكان أقل الستة تميزاً وشأناً ، وهو كأنما كان قد رشح نفسه لديهم عندما قال لهم: لأن تعينوا حجراً خيرٌ من أن تعينوا مرة أخرى رجلاً مثل عمر .

ولكن النتيجة جاءت مُخيبة لظنهم ؛ لأن ما كان عليه عثمان من ضعف لم يجيء مفيداً لهم بل مفيداً لبيته ، لأنه خضع راضياً أو مجبوراً لتأثير بيته)(١) .

فالمستشرق في هذا النص يقول بأن عمر رضي الله عنه لم يوص لعلي رضي الله عنه ، وكذلك أصحاب الشورى ، إلا أنهم اختاروا عثمان رضي الله عنه خليفة بعد عمر رضي الله عنه ، ثم حاول المستشرق التقليل من شأن عثمان رضي الله عنه ، وأنه أقل الستة الذين اختارهم عمر رضي الله عنه ليختاروا واحداً من بينهم للخلافة ، ثم يحاول إدخال بني أمية في الحكم وأنهم سيطروا على عثمان رضي الله عنه .

وهذا القول وما ينسج عليه من نتائج وأحكام باطل ألبتة ، كما أن هذا المستشرق له ميول رافضية بحكم أنه له كتاب عن الخوارج والشيعة ، فهو متأثر بهم؟!

وقد حاول كثيراً الكذب والتزوير في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم ؛ وذلك للوصول إلى القدح في الرسول ﷺ ، والقدح في هذا الدين الحنيف .

وأما قوله: (**ولم يكن عمر قد أوصى لعلي، وكان لعلي بحكم أنه ابن عم النبي وزوج ابنته، مطامع في الخلافة، بل هو كان يشعر من قبل أنه قد تُخطي**) .

ما حاجة المستشرق إلى ذكر هذا الكلام كله؟ وما دليله على قوله بأن لعلي مطامع في الخلافة؟ وهل كان علي رضي الله عنه يشعر بأنه تُخطي عن الخلافة من قبل؟

قد تقدم الكلام حول خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وأن علياً رضي الله عنه كان من المبايعين ، وأنه رضي الله عنه لم يكن يرى نفسه أحق بالخلافة من أبي بكر رضي الله عنه . كما أنه رضي الله عنه لم يشعر بذلك في استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله

(١) كتاب تاريخ الدولة العربية (ص ٣٨ – ٣٩) .

عنهم أجمعين، وكذلك كان من المبايعين لعثمان بن عفان رضي الله عنه كما تقدَّم قريباً.

وأما قوله: (**أما الذي فعله عمر فهو أنه أوصى بأن يكون تعيين الخليفة الذي يخلفه من طريق الاختيار... وتخطى الشورى الستة هم أيضاً، علياً لأنهم لم يشاءوا أن يعترفوا له بأنه صاحب الحق الأول**).

إنك لتجد نَفَس الرافضة في هذا المستشرق، لو كان علي رضي الله عنه صاحب حق بالخلافة، لكان أول من يبايعه بالخلافة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولو كان لدى علي رضي الله عنه نص لأبرزه، فهل يمكن أن يسكت عن حقه كل هذه المدة؟ وما الذي يحمل علي رضي الله عنه على مبايعة أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما؟ وما الذي يحمل علي رضي الله عنه على اختيار عثمان رضي الله عنه ومبايعته له مع أصحاب الشورى، فأين هذا الحق المدعى؟!

وهل يمكن أن يسكت الصحابة رضي الله عنهم وخاصة آل البيت عن حقهم أو حق علي رضي الله عنه؟

وقوله عن عثمان: (**كان أقل الستة تميزاً وشأنا، وهو كأنما كان قد رشح نفسه لديهم عندما قال لهم: لأن تُعيِّنوا حجراً خيرٌ من أن تعينوا مرة أخرى رجلاً مثل عُمر**).

فقوله: بأن عثمان رضي الله عنه كان أقل الستة تميزاً وشأناً من أقبح البهتان، وطمس لمعالم فضله، وعلو شأنه.

ولو صح هذا القول لكان قدحاً في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، بدءاً بالخليفة عمر رضي الله عنه، حيث جعله ضمن أهل الشورى! وأين كبار الصحابة رضي الله عنهم من ذلك؟ وأين المهاجرون والأنصار؟ وأين آل البيت؟

هل سكتوا وتكلم هذا المستشرق وغيره من أعداء الدين في عثمان رضي الله عنه وخلافته؟ وهل هم أعرف بعثمان رضي الله عنه من الصحابة رضي الله عنهم الذين سكنوا معه في المدينة، والذين رضوا به خليفة؟

كل هذه الأسئلة وغيرها توجَّه لهذا المستشرق ومن كان على سبيله من أعداء

الصحابة وأعداء الدين؟

وأما بقية قوله: (**كأنما كان قد رشح نفسه لديهم عندما قال لهم: لأن تعينوا حجراً...**) .

عثمان رضي الله عنه لم يرشح نفسه، وإنما رُشح من قبل أصحاب الشورى، وكل الخلفاء الراشدين الأربعة لم يرشحوا أنفسهم، إنما رشحوا من قبل إخوانهم من الصحابة رضي الله عنهم، كما في سقيفة بني ساعدة، حيث رشح عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر للخلافة .

وعهد أبو بكر رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه لعمر رضي الله عنه بالخلافة، وكذلك علي رضي الله عنه لم يرشح نفسه، وإنما كان هذا من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم .

وقوله على لسان عثمان: (**لأن تعينوا حجراً...**) إلخ . فلم أجده في رواية صحيحة ولا ضعيفة، وقد يكون في كتب الأدب والأسمار التي لا تهتم بصحة ما ترويه، ولا عن من تنقل؟ .

وأما المستشرق ماسيه (**Masse**) فيطعن في أصحاب الشورى الستة جميعاً حيث يقول: (وقد أتاحت له جراحه أن يُسمي ستة أشخاص ألزمهم بتعيين خلف له، وقد استبعد علي صهر محمد، بسبب تشدده: فقد كان يريد إعادة عادات الإسلام إلى ما كانت عليه في عهد محمد، دون أن يحسب حساباً للتطور الذي تم، وقد وقع الاختيار على صهر محمد الآخر، الأموي عثمان، وهو رجل مسن دون همة، وأقل صلاحاً لإتمام عمل عمر)[١] .

ويقول المستشرق في هذا النص بأن أصحاب الشورى استبعدوا عليًّا لتشدده، واختاروا عثمان مع أنه أقل منه همة وصلاحاً .

وهذا القول من المستشرق قدح في علي رضي الله عنه، وأنه كان متشدداً ويريد إعادة عادات الإسلام إلى ما كانت عليه في زمن الرسول ﷺ، ومعنى ذلك أن الصحابة

---

(١) كتاب الإسلام (ص ٦٢) .

رضي الله عنهم ومن بينهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا على ما كان عليه الرسول ﷺ، وهذا قدح في الصحابة رضي الله عنهم وأنهم غيروا وبدَّلوا، وهذا قول باطل لا دليل عليه.

كما أن في هذا القول قدحاً في عثمان رضي الله عنه، وأنه دون الهمة وأقل صلاحاً بخلاف من كان قبله، ولم يستدل لهذا القول.

والكتب التاريخية على ما فيها من الروايات الضعيفة بل والمكذوبة خير من قول هذا المستشرق وأعدل من ناحية أنها ذكرت مجموعة من الإنجازات والفتوحات الإسلامية التي تمت في عهده.

وبما سبق من أقوال المستشرقين تجد أنهم قد عارضوا بيعة عثمان رضي الله عنه وحاولوا إثارة الشبه حولها ظلماً وعدواناً.

٢ - موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه: لقد كانت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه من الأحداث المؤلمة في تاريخ الخلفاء الراشدين، وسير الصحابة رضي الله عنهم، وقد كُتب عنها كثيراً في كتب التاريخ وغيرها مع وعورة رواياتها وضعف أسانيدها غالباً.

(والسبب في ذلك أن بعض الرواة كانوا متأثرين بهواهم وميولهم الخاصة للأخبار التي رووها عن هذا الخليفة المفترى عليه)[١].

وقد اهتبل المستشرقون هذه الفرصة لتشويه سير الصحابة رضي الله عنهم، وبقيت شعاراتهم التي ينادون بها (الأمانة العلمية، والتجرد والموضوعية) شعارات جوفاء لا تمت للحقيقة بصلة.

ومن أهم آراء ومواقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ما ذهب إليه المستشرق دوزي (Dozy) من اتهامه لعثمان رضي الله عنه بميله الشديد لأسرته، والذي أدى إلى نتائج خطيرة حيث يقول:

---

(١) كتاب تاريخ الخلفاء الراشدين، تأليف الدكتور: محمد عبدالفتاح عليان (ص ٢٧٥).

(ومن نكد طالع[١] هذا الشيخ الطيب ما كان عليه من الميل الشديد لأسرته . . . فكان الحُكم في الواقع في يد عمه الحَكم لاسيما ابنه (مروان) فلم يتركا لعثمان من الخلافة سوى لقبها وتحمّل تبعات الإجراءات الخطيرة التي ظل يجهلها طيلة الوقت)[٢] .

فالمستشرق في هذا النص يتهم عثمان رضي الله عنه بالميل لقرابته ، والتي انتهت بسيطرتهم على مقاليد الحكم .

واتهام عثمان رضي الله عنه بالميل الشديد لأسرته يجاب عنها بأمور منها:

- أن في هذا الاتهام تضخيماً وتهويلاً يغير من صورته الحقيقية كما في كتب التاريخ وغيرها .

- أنه لو وجد ميل فهو أمر فطري في نفس الإنسان نحو أسرته ، وأهل بيته ، والقريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ، ويودُّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك بخلاف غيره[٣] ، لذلك يراه أهلاً ليوليه بعض شأنه ، والذي يذم أن يولي أهل بيته وهم غير مؤهلين للولاية كما أن الباطل أن يُظن بأن عثمان رضي الله عنه ولَّى من ليس أهلاً للولاية ، وإن كان ولَّى من ليس أهلاً ولا يصلح للولاية فهذا عن اجتهاد ، والمجتهد مأجور على اجتهاده ، وإن أخطأ . . . ، وهذا الأمر لا يقدح فيه رضي الله عنه[٤] .

- كما أن بني أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم في حياته ، واستعملهم بعده من لا يُتهم بقرابة فيهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وعمر رضي الله عنه .

---

(١) من نكد الطالع: هذه الكلمة يقولها من لا يعرف الشريعة والعقيدة الإسلامية ، والمستشرق ليس من المسلمين ، وقد يقول به بعض الكتاب ، والصحفيين الجهَّال .
(وهذا نوع من التنجيم الذي هو نوعٌ من الشرك ، وذلك لأن الطالع والغارب ليس له تأثير في الحوادث الأرضية ، بل الأمر بيد الله سواءٌ ولد الإنسان في هذا الطالع أو في الغارب ، أو في أي وقت) . ينظر: كتاب المناهي اللفظية ، للشيخ محمد العثيمين رحمه الله (ص ١٣٧) ، رقم (١٤٥) .

(٢) تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٣٨) ، كتاب العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٩٧) .

(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٩٧) ، ومقدمة ابن خلدون (ص ١٢٢) .

(٤) ينظر: منهاج السنة (٦/ ٢٣٩) .

ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبدشمس؛ لأنهم عدد كبير، وكان فيهم شرف وسؤدد، فاستعمل النبي ﷺ في عزة الإسلام على أفضل الأرض: مكة؛ عتاب[١] بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية، واستعمل أيضاً خالد[٢] بن سعيد بن العاص على صدقات مذحج وعلى صنعاء اليمن، فلم يزل عليها حتى مات رسول الله ﷺ. واستعمل عثمان[٣] بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عُرَيْنة، واستعمل أبان[٤] بن سعيد بن العاص على بعض السرايا، ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء[٥] بن الحضرمي حتى توفي ﷺ، واستعمل الوليد[٦] بن عقبة بن أبي

(١) هو عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي. أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على مكة عام الفتح، فلم يزل أميراً على مكة حتى قبض الرسول ﷺ، وأقره أبو بكر عليها، فلم يزل إلى أن مات، وكانت وفاته يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه في يوم واحد، وكان رجلاً خيراً صالحاً فاضلاً. كتاب الاستيعاب (ص ٥٨٣)، رقم (٢٠٠٢)، وكتاب أسد الغابة (٣/ ١٩٤)، رقم (٣٥٣٨).

(٢) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أسلم قديماً، هاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته الخزاعية مرتين، ثم قدم على النبي ﷺ بخيبر، وشهد مع رسول الله ﷺ عمرة القضاء وفتح مكة، وحنيناً، والطائف، وتبوك، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات اليمن فتوفي رسول الله ﷺ وهو بها، كتاب أسد الغابة (٢/ ٨٧)، رقم (١٣٦٥).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) هو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف القرشي الأموي، وهو الذي أجار عثمان بن عفان حين بعثه رسول الله ﷺ إلى قريش عام الحديبية، واختلف في وقت وفاته فقيل يوم اليرموك، وقيل يوم أجنادين، كتاب الاستيعاب (ص ٥٥)، رقم (٥٠)، وكتاب أسد الغابة (١/ ٤١)، رقم (٢).

(٥) العلاء بن الحضرمي، عبدالله بن عمار، أو ابن عماد، من بني إياد بن الصَّدِف، من حضرموت، حليف بني أمية، ولاه رسول الله ﷺ البحرين وتوفي ﷺ وهو عليها، فأقره أبو بكر رضي الله عنه ثم أقره عمر، وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة. توفي في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ١٤، وقيل ١١. ينظر:الاستيعاب (ص ٥٨٠)، رقم (١٩٨٦)، أسد الغابة (٣/ ٢٧٢)، رقم (٣٧٤٥)، افصابة (ص٩٢٨)، رقم (٦٣٦٧).

(٦) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أسلم يوم فتح مكة، وتولى الكوفة فيخلافة عثمان، وكان من رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة، وكان من الشعراء المطبوعين، لما قتل عثمان رضي الله عنه اعتزل الفتنة. ينظر: الاستيعاب (ص ٧٥١)، رقم (٢٧٠٥)، وأسد الغابة (٤/ ٣١٥)، رقم (٥٤٧٦).

معيط . . . فيقول عثمان: أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبي ﷺ منهم ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده ، فقد ولّى أبو بكر يزيد[(١)] بن أبي سفيان بن حرب في فتوح الشام ، وأقرَّه عمر ، ثم ولّى عمر بعده أخاه معاوية . وهذا النقل عن النبي ﷺ في استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه ، بل متواتر عند أهل العلم ، ومنه متواتر عند علماء الحديث ، ومنه ما يعرفه العلماء منهم ، ولا ينكره أحد منهم)[(٢)] .

- وأهل الأهواء والبدع وخاصة الرافضة ومن سار على دربهم في بغض الصحابة رضي الله عنهم (ينكرون على عثمان ما يدعون أن علياً كان أبلغ فيه من عثمان ، فيقولون: إن عثمان ولّى أقاربه من بني أمية ، ومعلوم أن علياً ولّى أقاربه من قبل أبيه وأمه ، كعبدالله وعبيد الله ابني العباس .

فولى عبيدالله بن عباس على اليمن ، وولّى على مكة والطائف قُثَم[(٣)] بن العباس ، وأما المدينة فقيل إنه ولّى عليها سهل بن حُنيف[(٤)] ، وقيل: ثمامة[(٥)] بن

---

(١) هو يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، كان يقال له: يزيد الخير ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد حنيناً ، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية ، استعمله أبو بكر الصديق ، وأوصاه وخرج يشيعه راجلاً ، ولما استخلف عمر ولى يزيد على فلسطين وناحيتها ، ومات يزيد في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة . ينظر: الاستيعاب (ص ٧٥٩) ، رقم (٢٧٣٥) ، وكتاب الإصابة (ص ١٣٩٩) ، رقم (٩٦٠٢) .

(٢) كتاب منهاج السنة (٦/ ١٩٢) .

(٣) هو قُثَم بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم الرسول ﷺ . قال عبدالله بن جعفر: كنت أنا وعبيد الله وقُثم ابنا العباس نلعب ، فمر بنا رسول الله ﷺ فقال: ارفعوا إلي هذا يعني: قُثم ، فرفع إليه ، فأردفه خلفه ، وجعلني بين يديه ودعا لنا . مات قُثم بن العباس بسمرقند ، واستشهد بها ، ينظر: الاستيعاب (ص ٦٢٣) ، رقم (٢١٦٦) ، وكتاب أسد الغابة (٣/ ٤٧٦) رقم (٤٢٨٠) .

(٤) هو سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي في الكوفة سنة ٣٨ . ينظر: الاستيعاب (ص ٣٠٧) ، رقم (١٠٤١) ، وأسد الغابة (١/ ٣٨٨) ، رقم (٢٢٩٠) .

(٥) والصواب في اسمه هو: تمام بن العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ، ابن عم الرسول ﷺ ، وأمه أم ولد رومية . وهو أصغر ولد العباس رضي الله عنه ، وقد اختلف العلماء في صحبته . ينظر: الاستيعاب (ص ٩٨) ، رقم (٢٤٣) ، وكتاب أسد الغابة ، (١/ ٢٤٤) ، رقم (٥١٠) .

العباس . وأما البصرة فولى عليها عبدالله بن عباس ، وولّى على مصر ربيبه محمد بن[١] أبي بكر الذي رباه في حجره)[٢] .

وعلى هذا فلا حجة لأحد على عثمان رضي الله عنه في توليته بعض أقاربه من بني أمية في وظائف الدولة ، بل هو على سيرة من سبقه رضي الله عنه .

وقوله: (**فكان الحُكم في الواقع في يد عمه الحكم...**).

هذا من التحامل على عثمان رضي الله عنه ، وقد جاء من قبل الروايات التاريخية والتي يُطعن في عدالة رواتها[٣] .

وكيف يُظن بعثمان رضي الله عنه أن يترك الخلافة لعمه وابنه وهو الذي يقوم بالإمامة بالصحابة رضي الله عنهم في مسجد الرسول ﷺ ، ويجتمع بالصحابة رضي الله عنهم ويشاور كبار الصحابة من أمثال: علي ، والزبير ، وطلحة رضي الله عنهم ، ويولي ويعزل الولاة عن الأقاليم والأمصار ، ويحج بالناس ، ثم يقال: إن الحُكم في يد الحكم وابنه؟!

ولو تنزلنا مع القائل: وقلنا أعطى عثمان الحكم وابنه بعض الصلاحيات فليس معنى ذلك الخلافة تكون بأيديهما ، بل هذا بمعنى التوكيل والتفويض .

وليس هذا بقادح في خلافة عثمان رضي الله عنه وعدالته ، ولو وقعت بعض الأخطاء والتجاوزات فلا يظن أنه قاصد لها ، بل هو مجتهد ، فإن أصاب فله أجران ، أجر اجتهاده ، وأجر إصابته ، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده ، وخطأه مغفور له فيه .

وعلى ذلك فالقول: إن الحُكم كان بيد الحَكم على إطلاقه باطل .

وفي موضع آخر يجعل المستشرق دوزي (**Dozy**) من كبار الصحابة رضي الله

(١) هو محمد بن أبي بكر الصديق: أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، ولد عام حجة الوداع ، نشأ في حجر علي رضي الله عنه إذ تزوج أمه ، شهد الجمل وصفين مع علي ، وولي على مصر ، فقتل بها صبراً ، وذلك في سنة ٣٨ . ينظر: الاستيعاب (ص ٦٤٧) ، رقم (٢٢٦١) ، وكتاب الإصابة (ص ١١٨٤) ، رقم (٨٠٧٢) .

(٢) كتاب منهاج السنة (٦/ ١٨٤) .

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٦٢٠) .

عنهم منافسين لعثمان رضي الله عنه: (أما منافسو عثمان القدامى وهم: علي ، والزبير ، وطلحة ، فقد أجمعوا أمرهم على ألا يتهاونوا في ترك الأمور تجاوز الحد الذي وصلت إليه .

ولما كان بعضهم قد احتجن أموال الفقراء حتى بلغت ثروته منزلة ترقى إلى الملايين فقد أخذ ينثر الذهب ذات اليمين وذات الشمال بغية إثارة الجميع ، إلا أن توفيق هذا الفريق كان مجزوءاً ؛ إذ ظل أغلب الجمهور مقيماً على الولاء للخليفة ، رغم شبوب بعض ثورات محلية هنا وهناك)[١] .

فالمستشرق يرى بأن لعثمان رضي الله عنه منافسين على الخلافة ، وأنهم لما رأوا سيطرة بني أمية على عثمان رضي الله عنه لميله إليهم أجمعوا على عدم التهاون في ذلك ، وقام بعضهم من ذوي الثراء باستمالة الناس بإعطاءهم المال الذي لم يكن له من النجاح إلا نجاحاً جزئياً ، وأن جمهور الناس أقاموا على الولاء للخليفة عثمان رضي الله عنه .

وقول هذا المستشرق بعيد عن الصواب ، بل هو تحريف وتزوير لتاريخ الصحابة رضي الله عنهم .

فلم يكن بين الصحابة شيء من التنافس الكبير الذي يصل إلى أن ينصبوا أنفسهم مراقبين على عثمان رضي الله عنه كما يصوره المستشرق (دوزي) ، فعمر رضي الله عنه جعل أمر الشورى بين ستة من الصحابة رضي الله عنهم، وهم من كبار الصحابة وفضلائهم ، وسابقيهم إلى الإسلام ، وقد توفي الرسول ﷺ وهو راضٍ عنهم .

وقد تقدم الكلام حول بيعة الصحابة رضي الله عنهم لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتنازل البعض منهم عنها لصاحبه ، حتى تمت البيعة لعثمان رضي الله عنه باختيار من أهل الشورى ومن بقية الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار .

وقوله: (**ولما كان بعضهم قد احتجن أموال الفقراء حتى بلغت ثروته منزلة ترقى إلى الملايين فقد أخذ ينثر الذهب ذات اليمين وذات الشمال بغية إثارة الجميع**) .

---

(١) كتاب تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٤٢) .

وقوله هذا دعوى باطلة، وطعن في الصحابة رضي الله عنه وخاصة ذوي الغنى، وللمسلم أن يتملك من الأموال ما يشاء، وحق الفقير فيها ما فرضه الله عز وجل من الزكاة (بقدر معلوم في وقت معلوم في أصناف معينة)، وهل يظن بالصحابة رضي الله عنهم أنهم يمنعون زكاة أموالهم؟!

ويُرد عليه بفعل أبي بكر رضي الله عنه وأمره بقتال مانعي الزكاة؛ إضافة إلى وقوف الصحابة رضي الله عنهم عند أوامر الله ونواهيه.

ولا أدري من يقصد بهذا القول من الصحابة رضي الله عنهم، فهناك عدد من الصحابة رضي الله عنهم هم من أهل الغنى؟

كما أن كثيراً من المستشرقين له اهتمام بالأمور المادية وخاصة الثروات، حيث سلطوا عليها الأضواء، وذلك محاولة منهم لاتهام الصحابة رضي الله عنهم في أماناتهم وما وكل إليهم، أو لأغراض أخرى.

وهذا لا يعني أنهم أول من اهتم بالأمور المالية والمادية، بل هناك بعض المؤرخين من أمثال المسعودي قد اهتم بقضية ثروات بعض الصحابة رضي الله عنهم(١).

وقوله: **(ظل أغلب الجمهور مقيماً على الولاء للخليفة رغم شبوب بعض ثورات محلية هنا وهناك)**.

وقوله بأن أغلب جمهور الناس كانوا على الولاء لعثمان رضي الله عنه هذا حق، فلم يخالفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وإنما الذين خرجوا عليه شُذاذ من القبائل وبعض الموتورين، وأهل الحقد والبغضاء على عثمان رضي الله عنه(٢).

ويقول المستشرق دوزي (**Dozy**) عن دور الأنصار رضي الله عنهم في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه: **(أما أهل المدينة أو الأنصار الذين ورثوا هذا اللقب عن أسلافهم صحابة محمد، فقد وقفوا بمعزل عن الأمور، وكان البيت الذي انسل منه القتلة إلى دار**

---

(١) ينظر: كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي (٢/ ٣٣٨) وما بعدها.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٥).

الخليفة ملكاً لبني حزم – وهي أسرة أنصارية عرفت فيما بعد بعدائها للأمويين)[١] .

فالمستشرق يقول عن الأنصار رضي الله عنهم قد وقفوا بمعزل عن الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه، وهذا القول يحتاج إلى شيء من الإيضاح .

فهل يقصد أن الأنصار رضي الله عنهم لم يكونوا ضمن الخارجين والناقمين على عثمان رضي الله عنهم؟ إن كان هذا مقصده فهو قول صحيح، فالأنصار رضي الله عنهم التزموا بيعة عثمان رضي الله عنه، ولم يخرجوا عليه .

وإن كان مقصده أن الأنصار رضي الله عنهم تركوا الخليفة ولم يشاركوا في الدفاع عنه، والإنكار على هؤلاء الناقمين؟ فهو قول باطل، وهناك آثار وروايات تاريخية تدل على مشاركتهم في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه .

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته بسنده عن محمد بن سيرين قال: (جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون إن شئتَ كنَّا أنصاراً لله مرتين، قال: فقال عثمان: أمَّا القتال فلا)[٢] .

وهذا دليل على أن الأنصار رضي الله عنهم كانوا على بيعة عثمان رضي الله عنه، وأنهم أرادوا المشاركة في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه عند حصاره في داره، وهذا الذي دلت عليه الأحداث التاريخية[٣] .

وأما دار الأنصاري فقد تسلل إليها بعض المجرمين، حتى يتمكنوا من الدخول إلى عثمان رضي الله عنه بعد حصاره لقتله[٤] .

ولم يذكر أن هذا الأنصاري قدم المساعدة لهم، حتى يكون ذلك دليلاً للمستشرق في اتهامه للأنصار بأنهم ساعدوا على قتل عثمان رضي الله عنه .

(١) كتاب تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٤٢) .
(٢) (٣/ ٣٩)، وخليفة بن خياط في تاريخه (ص ١٠٢)، وقال صاحب كتاب فتنة مقتل عثمان الدكتور: محمد الغبان: إسناده حسن لغيره (١/ ٤٠٧) .
(٣) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٧٧)، وابن كثير (٤/ ٢٠١) .
(٤) تاريخ ابن كثير (٤/ ٢٠٠) .

وهذا من تزوير وتلفيق هذا المستشرق لإحداث فتنة في مقتل عثمان رضي الله عنه .

ويعدد المستشرق دوزي (**Dozy**) بعض الأسباب التي أدت إلى فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه فيقول: (لم يكن اختيار الحكام اللوم الوحيد الذي وجهته جماعة الأتقياء إلى الخليفة الشيخ ، بل أخذوا عليه أيضاً سوء معاملته لكثير من صحابة النبي ، وإحياءه عادة جاهلية استأصلها الرسول: هي تطلعه لاتخاذ مكة محل إقامته ، كما أنهم أخذوا عليه أمره بتدوين القرآن من جديد لا على أشد الرجال علماً ممن اعتاد محمد تسميتهم بالقراء ، بل عهد بذلك إلى أكثر القوم إخلاصاً له ، وتمسكه بأن هذه أصح النسخ ثم أمر بحرق ما عداها)(١) .

فالمستشرق في هذا النص يذكر بعض الأسباب التي ذكرت في كتب التاريخ وغيرها ، وهذه تحتاج إلى وقفة للرد عليها .

فقوله: (**لم يكن اختيار الحكام اللوم الوحيد الذي وجهته جماعة الأتقياء إلى الخليفة الشيخ**) ، ويقصد بالحكام: الولاة من بني أمية ، وتهمة تولية عثمان رضي الله عنه لأهل بيته تقدم الكلام عليها قريباً ، أما وصفه لهؤلاء الذين خرجوا بالأتقياء فمن الباطل والمنكر ، وإنما التقي عثمان رضي الله عنه ، أما هم فليسوا أتقياء ولا أنقياء ، وإنما كانوا حثالة من المنافقين والمرتزقة وغيرهم .

يقول الأستاذ الكبير: محب الدين الخطيب رحمه الله عن أصناف هؤلاء الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه وحاصروه في داره ومن ثم شاركوا في قتله رضي الله عنه:(والذين شاركوا في الجناية على الإسلام يوم الدار طوائف على مراتب:

فيهم الذين غلب عليهم الغلو في الدين ، فأكبروا الهنات ، وارتكبوا في إنكارها الموبقات ، **وفيهم** الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ، ولم تكن لهم في الإسلام سابقة . فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم ، فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد ، **وفيهم**

---

(١) كتاب تاريخ أسبانيا (١/ ٤١) .

الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم، فأضغنوا في قلوبهم الإحنة والغل لأجلها، **وفيهم** الحمقى الذين استغل السبئيون ضعف قلوبهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة، **وفيهم** من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته في أحضانه، **وفيهم** من أصابهم من عثمان شيء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الإسلام، فأغضبهم التعزير الشرعي من عثمان، ولو أنهم قد نالهم من عمر أشدُّ منه لرضوا به طائعين، **وفيهم** المتعجلون بالرئاسة قبل أن يتأهلوا لها اغتراراً بما لهم من ذكاء خلاب، أو فصاحة لا تغذيها الحكمة، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانه)[1].

وقوله: (**أخذوا عليه أيضاً سوء معاملته لكثير من صحابة النبي**)، هذا القول أخذه من بعض كتب التاريخ وأنه: أمر بضرب ابن مسعود وعمار، ونفى أبا ذر رضي الله عنهم أجمعين، وهي لا تصح، بل ومن أبطل الباطل، وتحريف وتزوير للتاريخ، وتشويه لسير الصحابة رضي الله عنهم[2].

ويرد على ذلك بأن اتهام عثمان رضي الله عنه بضرب عمار وابن مسعود رضي الله عنهما باطل وزور، **حيث يقول ابن العربي رحمه الله**: (وأما ضربه لعمار، وابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشتغل بها، لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا يذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له)[3].

وأما المحب الطبري رحمه الله فيقول: (ما رووه مما جرى على عبدالله بن مسعود من عثمان وأمره غلامه بضربه إلى آخر ما قرروه فكله بهتان واختلاق لا يصح منه شيء، وهؤلاء الجهلة لا يتحامون الكذب فيما يرونه موافقاً لأغراضهم، إذ لا ديانة

---

(١) في هامش تعليقه على كتاب العواصم من القاصم لابن العربي المالكي (ص ٥٨).

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي (ص ١١٨ وما بعدها)، وتاريخ الطبري (٢/ ٦١٥)، وتاريخ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) (٢/ ٣٤٣).

(٣) كتاب العواصم من القواسم، لابن العربي (ص ٢٨١).

تردهم عن ذلك)[١].

ويوافقه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول (فهذا كذب باتفاق، فإنه لما ولي أقرّ ابن مسعود على ما كان عليه من الكوفة، إلى أن جرى من ابن مسعود ما جرى... وفي الجملة فإذا قيل إن عثمان ضرب ابن مسعود أو عمّاراً، فهذا لا يقدح في أحد منهم، فإنا نشهد أن الثلاثة في الجنة، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين)[٢].

واتهم عثمان رضي الله عنه بأنه نفى أبا ذر رضي الله عنه إلى الرَّبَذة[٣]، وقد رد على هذا القول بعض العلماء، وأن أبا ذر رضي الله عنه إنما خرج إلى الربذة برغبة منه.

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته عن محمد بن سيرين رحمه الله: (كتب معاوية إلى عثمان: إنَّ أبا ذر قد أفسد الناس بالشام، فبعث إليه عثمان فقدم عليه... فلما قدم المدينة قال له عثمان: كُنْ عندي تغدوا عليك وتروح اللِّقاح[٤]، قال: لا حاجة لي في دنياكم، ثم قال: ائذن لي حتى أخرج إلى الرَّبذة، فأذن له فخرج إلى الربذة، وقد أقيمت الصلاة وعليها عبدٌ لعثمان حبشي فتأخر، فقال أبو ذر: تقدَّم فصلِّ فقد أمرت أن أسمع وأطيع ولو لعبد حبشي، فأنت عبد حبشي)[٥].

فهذه الرواية صريحة صحيحة في الرد على من زعم نفي عثمان لأبي ذر رضي الله عنه. فيقول ابن العربي رحمه الله:

(وأما نفيه أبا ذر فلم يفعل، كان أبو ذر زاهداً، وكان يقرع عُمال عثمان ويتلو عليهم: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين

(١) كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة، للمحب الطبري (٣/ ٩٥).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٥٥).

(٣) الرَّبذة: بفتح أوله وثانيه وذال معجمة مفتوحة أيضاً، من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، قربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين مُشوية. ينظر: معجم البلدان، (٢/ ٣٨٨).

(٤) اللقاح: النوق ذوات الألبان. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢٥)، مادة: (لقح).

(٥) (٤/ ٤٣٣)، قال صاحب كتاب فتنة مقتل عثمان بن عفان: صحيح إلى ابن سيرين. (١/ ١١١).

وجدوا فينكر ذلك عليهم، ووقع بين أبي ذر ومعاوية كلام، وكان أبو ذر يطلق من الكلام بما لم يكن يقوله في زمان عمر، فأعلم معاوية بذلك عثمان، وخشي من العامة أن تثور منهم فتنة، فكتب إليه عثمان أن يقدم المدينة.

فلما قدم اجتمع إليه الناس فقال لعثمان: أريد الربذة، فقال له: أفعل، فاعتزل، ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته.

ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام، وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلاً قاضياً لهم فلما اشتد في الحق، وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها عزلوه، فخرج إلى المدينة، وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال. وأبو الدرداء وأبو ذر براءة من عاب، وعثمان بريء وأعظم براءة، وأكثر نزاهة، فمن روى أنه نفي وروى[1] سبباً فهو كله باطل)[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن أبا ذر سكن الربذة ومات بها لسبب ما كان يقع بينه وبين الناس، فإن أبا ذر رضي الله عنه كان رجلاً صالحاً زاهداً، وكان من مذهبه أن الزهد واجب، وأن ما أمسكه الإنسان فاضلاً عن حاجته فهو كنز يكوى به في النار... وكان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم، ويذمهم على ما لم يذمهم الله عليه، مع أنه مجتهد في ذلك مثاب على طاعته رضي الله عنه، كسائر المجتهدين من أمثاله، وتوسَّع أبو ذر في الإنكار حتى نهاهم عن المباحات، وهذا من أسباب الفتن بين الطائفتين. فكان اعتزال أبي ذر لهذا السبب، ولم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض من الأغراض)[3].

هذه أهم ما نسب إلى عثمان رضي الله عنه، وأنه أساء إلى بعض الصحابة رضي الله عنهم، أجاب عنها هؤلاء رحمهم الله تعالى بما يبددها ويزيلها.

ومن الأسباب التي ذكرها المستشرق دوزي: (**إحياءه عادة جاهلية استأصلها**

---

(١) هكذا في المطبوع.

(٢) العواصم من القواصم (ص ٢٨٤ – ٢٨٦)، الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/ ٩٤).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٢٧٢ – ٢٧٥).

الرسول: **هي تطلّعه لاتخاذ مكة محل إقامته**)، هل جعل مكة المكرمة عاصمة لدولة الخلافة يعتبر من إحياء عادة الجاهلية؟ هذا من الكذب والبهتان، وتبع لمنهجهم في التطور والترقي الاجتماعي.

وتفسيرهم للتاريخ الإسلامي بذلك، بل والدين الإسلامي، فالدين الإسلامي والقرآن والرسول ﷺ أخذ عن السابقين ومن ثم طور ما أخذه، وقد تقدم الكلام حول ذلك في الفصل الأول عن مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم.

وأما قوله أن عثمان رضي الله عنه تطلع لاتخاذ مكة محل إقامته، فهذا منكر من القول وزوراً.

والرسول ﷺ ترك الإقامة بمكة المكرمة، على ما لها من مكانة عنده، إنما ذلك لهجرته ﷺ، وحتى يتم له أجر هجرته، وما كان لعثمان رضي الله عنه أن يخالف هدي الرسول ﷺ ويقيم في مكة.

وترك الإقامة بمكة بعد الهجرة معلوم للصحابة رضي الله عنهم، وعثمان رضي الله عنه من علماء الصحابة رضي الله عنه، فكيف يجهله أو يخفى عليه؟!

قال البخاري رحمه الله في صحيحه: (بابُ قول النبي ﷺ: «**اللهم امض لأصحابي هجرتهم**» ومرثيته لمن مات بمكة، وأخرج الحديث بإسناده عن عامر(١) بن سعد بن مالك، عن أبيه قال: عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أشفيتُ منه على الموت، الحديث، وفيه قال الرسول ﷺ: «**اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم**» لكن البائس سعد(٢) بن خولة يرثي له رسول الله ﷺ أن توفي بمكة)(٣).

---

(١) هو عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي المدني، التابعي الثقة، توفي سنة ١٠٣ وقيل: ١٠٤هـ. الثقات (٢/ ٣٧٧)، رقم (٢٨٩٥)، الكاشف، (١/ ٥٢٢) رقم (٢٥٢٩).

(٢) هو سعد بن خولة القرشي العامري، وكان من مهاجرة الحبشة الثانية، وقيل أنه شهد بدراً، مات بمكة في حجة الوداع رضي الله عنه. ينظر: الاستيعاب (ص ٢٨٤)، رقم (٩٠٩)، أسد الغابة (٢/ ٢٨٩)، رقم (١٩٨٤)، الإصابة (ص ٤٨٣)، رقم (٣٢٩٩).

(٣) كتاب: مناقب الأنصار ح/ ٣٩٣٦ (ص ٨٠٩).

وقد يكون هذا المستشرق لم يفهم ما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف فيما حدث من عثمان رضي الله عنه حيث أتم الصلاة الرباعية، ولم يقصر، كما كان يفعل الرسول، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهم، وصدراً من خلافته، فالصحابة رضي الله عنهم أنكروا عليه ذلك، ومع ذلك تابعوه وكرهوا الخلاف لأنه شر، ومخالفة عثمان رضي الله عنه إنما كان بترك السنة في قصر الصلاة للمسافر سواء الحاج أو غيره.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (صليت مع النبي ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر رضي الله عنه ركعتين، ومع عمر رضي الله عنه ركعتين، ثم تفرَّقت بكم الطُّرق، فيا ليت حظِّي من أربع ركعتان مُتقبلتان)[١]، وفي رواية أبي داود أنه قيل لابن مسعود رضي الله عنه: (عبت على عثمان ثم صليت أربعاً؟ قال: الخلاف شر)[٢].

وقوله: (**أنهم أخذوا عليه أمره بتدوين القرآن من جديد لا على أشد الرجال علماً ممن اعتاد تسميتهم له بالقراء، بل عهد بذلك إلى أكثر القوم إخلاصاً له، وتمسكه بأن هذه أصح النسخ ثم أمر بحرق ما عداها**)، وهذه التهمة ملفقة بين قول الناقمين الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه وحاصروه في داره[٣]، وبين ما جرى من ابن مسعود رضي الله عنه حيث لم يرض بحرق المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بحرقها؛ حتى يجتمع المسلمون على مصحف منعاً من الاختلاف والتفرق في قراءة القرآن الكريم.

ويرد على هذه التهمة بما ورد عن سبب جمع عثمان رضي الله عنه المسلمين على مصحف واحد، وأن الأمة كادت تفترق بالاختلاف بين أوجه القراءة في آيات القرآن الكريم.

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

---

(١) كتاب: الحج، ح/١٦٥٧، (ص ٣٢٩)، ومسلم، ح/١٩، (ص ٢٨٢).
(٢) سنن أبي داود، كتاب: المناسك، باب: الصلاة بمنى (ح/١٩٦٠ (ص ٣٠٣).
(٣) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٥٠)، وتاريخ ابن كثير (٤/ ١٨٣).

(أن حذيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح إرمينية[١] وأذربيجان[٢] مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حُذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخها في المصاحف ثم نردُّها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص[٣]، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام[٤] فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرَّهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق[٥] بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[٦].

وقابل الصحابة رضي الله عنهم جمع عثمان رضي الله عنه بالرضا والاستحسان، ما عدا ابن مسعود رضي الله عنه، وقد أخرج ابن أبي داود[٧]

---

(١) إرمينية: بكسر أوله ويفتح وسكون وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة، اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال من بلاد الروم. ينظر: معجم البلدان، (١/ ١٣٢).

(٢) أذربيجان: بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم. وهو صقع جليل، غالب عليه الجبال، وفيه قلاع كثيرة وخيرات واسعة، فتحت في زمن عمر رضي الله عنه في جهة الشمال وقريبة من إرمينية. وهي الآن دولة مستقلة. ينظر: المصدر السابق (١/ ١٠٨).

(٣) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي، ولد عام الهجرة، وقيل بل ولد سنة إحدى. وكان سعيد بن العاص أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة، وهو من الذين جمعوا المصحف لعثمان، توفي سنة تسع وخمسين في خلافة عثمان. ينظر: الاستيعاب (ص ٢٧٢) رقم (٨٧٥)، كتاب أسد الغابة (٢/ ٣٢٨)، رقم (٢٠٨٤)، وكتاب الإصابة (ص ٥٠٦)، رقم (٣٤٦٥).

(٤) سبق ترجمته.

(٥) أفق: ناحية، ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ٥٨)، مادة: (أفق).

(٦) كتاب: فضائل الصحابة، باب: جمع القرآن، ج/ ٤٩٨٧، (ص ١٠٨٦).

(٧) هو أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، أحد الأئمة الكبار، وتوفي سنة ٣١٦هـ. ينظر: كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٢١)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٣٣).

السجستاني في كتابة المصاحف بسنده عن سويد[١] بن غفلة قال: قال عليٌّ في المصاحف: (لو لم يصنعه عثمان لصنعته)[٢].

وعن مصعب[٣] بن سعد قال: (أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم)[٤].

أما ابن مسعود رضي الله عنه فقد قال: (من استطاع منكم أن يغل مصحفاً فليغلل فإنه من غلَّ شيئاً جاء بما غل يوم القيامة. لقد قرأت القرآن من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي، أفأترك ما أخذت من رسول الله ﷺ)[٥].

وهذه منه رضي الله عنه عن اجتهاد، ولا يظن منه إرادة الخلاف والشقاق، كيف وقد قال رضي الله عنه: الخلاف شر، وذلك عندما تابع عثمان رضي الله عنه في تتمة الصلاة الرباعية، وترك القصر في منى أيام الحج كما تقدم ذلك قريباً.

قال ابن كثير رحمه الله في تاريخه: (وقد روي عن ابن مسعود أن تعتّب لما أُخذ منه مصحفه فحرق، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١]. فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب

---

(١) هو سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي المذحجي، وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام، ولم ير النبي ﷺ، من أهل الكوفة، وشهد مع علي صفين، توفي سنة ٨١هـ أو ٨٢هـ. ينظر: كتاب الثقات (٢/ ١٩٧)، رقم (١٥٣٤)، والكاشف (١/ ٤٧٣) رقم (٢١٩٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١٠٧)، رقم (٣١٦٠).

(٢) (ص ٦٧)، وقال محقق كتاب المصاحف: إسناده ضعيف، منقطع لإبهام اسم الرجل (فهو عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة الحديث) بتصرف.

(٣) هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري، أبو زرارة المدني، التابعي الثقة، توفي سنة ١٠٣هـ. ينظر: كتاب الثقات (٣/ ٤٥)، رقم (٣٨٥٩).

(٤) كتاب المصاحف (ص ٦٨). وقال محقق كتاب المصاحف: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي داود في كتابه المصاحف (ص ٧٥)، وقال محققه: صحيح.

وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين)[١] .

وهذه بعض أقوال العلماء الذين كان لهم عناية بالدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم وخاصة في مسألة جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن الكريم:

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله: (وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة، ولكنه أظهرها، ورد الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه)[٢] .

وقال المحب الطبري رحمه الله عن إحراق مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (إحراق مصحف ابن مسعود فليس ذلك إلا دواء لفتنة كبيرة في الدين لكثرة ما فيه من الشذوذ المنكر عند أهل العلم بالقرآن)[٣] .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فيقول عن سبب مخالفة ابن مسعود رضي الله عنه لأمر الجمع وإحراق مصحفه:(فإن ابن مسعود بقي في نفسه من أمر المصحف، لما فوّض كتابته إلى زيد دونه، وأمر الصحابة أن يغلوا مصاحفهم، وجمهور الصحابة كانوا على ابن مسعود مع عثمان، وكان زيد بن ثابت قد انتدبه قبل ذلك أبو بكر وعمر لجمع المصحف في الصحف، فندب عثمان من ندبه أبو بكر وعمر، وكان زيد بن ثابت قد حفظ العرضة الأخيرة، فكان اختيار تلك أحب إلى الصحابة، فإن جبريل عارض النبي ﷺ بالقرآن في العام الذي قبض فيه مرتين)[٤] .

ويقول ابن كثير رحمه الله: (ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته)[٥] .

---

(١) (٤/ ٢٣٣).

(٢) كتاب العواصم من القواصم (ص ٢٨١).

(٣) كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/ ٩٩).

(٤) كتاب منهاج السنة (٦/ ٢٥٢).

(٥) تاريخ ابن كثير (٤/ ٢٣٢).

والخلاصة: أن جمع القرآن الكريم الذي أمر به عثمان رضي الله عنه هو من حسناته على هذه الأمة في زمنه حتى ما شاء الله أن يبقى القرآن في الأرض . وما كان من ابن مسعود رضي الله عنه فهو من قبيل الرأي ، والذي رجع عنه ، وشارك بقية الصحابة رضي الله عنهم في قبول مصحف عثمان رضي الله عنه .

وأما أهل الأهواء والبدع والمستشرقين فهم على خط واحد في إثارة التهم والمطاعن في الصحابة رضي الله عنهم .

ويرى المستشرق سنوك هور خرونيه (**Hur Gronje**) أن في مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه بداية لزعامة الأمويين على الدولة الإسلامية فيقول: (لقد شكل اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بداية حقبة جديدة في تاريخ المدينتين المقدستين – مكة المكرمة والمدينة المنورة – فقد برز زعماء مكة الأرستقراطيون في الجاهلية ، ألا وهم الأمويون ، الذين كانوا أقل شأنا من غيرهم في أوائل الدولة الإسلامية .

لقد وجد هؤلاء من خلال ذكائهم وشجاعتهم الفرصة سانحة لكسب الزعامة ، التي عجزوا عن الوصول إليها عن طريق سابقتهم في الإسلام ، ولاسيما قد توسعت من خلال الفتوحات رقعة الدولة الإسلامية من منطقة صغيرة محدودة إلى إمبراطورية عظمى ممتدة الأطراف)[١] .

فالمستشرق هورخرونيه يجعل من فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه بداية زعامة الأمويين ، وأنهم استغلوا ذلك للعودة إلى زعامتهم التي كانت لهم قبل الإسلام . وهذا قول باطل ، ومحاولة لتشويه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم ، وبخاصة من كان من بني أمية .

فقوله: (لقد شكل اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بداية حقبة جديدة في تاريخ المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فقد برز زعماء

---

(١) كتاب: صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، تأليف: سنوك هورخرونيه ، (ص ١٠٥) .

مكة الأرستقراطيون في الجاهلية ألا وهم الأمويون ، الذين كانوا أقل شأناً من غيرهم في أوائل الدولة الإسلامية) .

فقوله هذا فيه مغالطات تاريخية وتحامل على بني أمية ، فلماذا لم تبدأ الحقبة الجديدة بخلافة عثمان رضي الله عنه ، فهو من بني أمية ، وإنما بدأت بعد مقتله رضي الله عنه؟ إلا إذا كان يُفرِّق بين بني أمية؟

ولعله يقصد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وخلافته للمسلمين بعد تنازل الحسن رضي الله عنه عنها .

كما أنه بمقتل عثمان رضي الله عنه انتقلت العاصمة السياسية من المدينة النبوية إلى الكوفة في عهد خلافة علي رضي الله عنه ، وإلى دمشق في عهد خلافة معاوية رضي الله عنه . . . وإلى يومنا هذا لم ترجع العاصمة السياسية للمدينة النبوية . . . فهل هذا يعتبر بداية حقبة جديدة؟!

وقول المستشرق هوخرونيه عن بني أمية وأنهم أقل شأناً في أوائل الدولة الإسلامية غير صحيح ، فقد كان لهم شأن في الدولة الإسلامية ، وكان لهم منزلتهم عند الرسول ﷺ وعند المسلمين ، فعثمان بن عفان رضي الله عنه من بني أمية ، وأم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها وهي بنت أبي سفيان ، وأخوها معاوية رضي الله عنهم أجمعين ، وعمرو بن العاص رضي الله عنه من قادة المسلمين في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الثلاثة ، وكذلك يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه كان أحد القادة في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ، وأبو سفيان بن حرب رضي الله عنه كان أميراً للرسول ﷺ في حياته على نجران ، وابنه معاوية كان أحد كتَّاب الوحي للرسول ﷺ وقائداً وأميراً لعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين على بلاد الشام .

فهل يقال بعد ذلك بأنهم كانوا أقل شأنا من غيرهم؟ فهذا القول بعيد عن الحقيقة والتجرد الموضوعي في الكتابة عن بني أمية ، وتنفيس عن الكراهية لبني أمية ومتابعة للغير في ذلك ، دون قصد للبحث عن الحق وإذاعته .

بينما يرى المستشرق ليفي دلا فيدا (**Livi Della Vida**) أن الاضطراب الذي

حصل في عهد عثمان رضي الله عنه وأدى إلى خروج الناقمين كان سببه نقص مبالغ بيت المال ، حيث يقول: (وثمة مسألة أخرى أثرت في اضطراب الأمور في عهد عثمان رضي الله عنه ، فقد كان بيت المال الذي أُرسي في عهد عمر بن الخطاب يتطلب دائماً فيضاً من الغنائم الناتجة من حركة الفتوح ، ولم تكن مبالغ الجزية المحصلة من أهل الذمة كافية لسد احتياجات العسكر الجدد ، ولم تكن الفتوح في عهد عثمان رضي الله عنه رغم اتساعها بذات مردود مالي يسد حاجة بيت المال)[١] .

يرى المستشرق أن الناحية المالية في خلافة عثمان رضي الله عنه لها تأثير على اضطراب الأمور وخروج الناقمين على عثمان رضي الله عنه ، وأنه اتهم بأنه احتفظ ببعض الغنائم لعماله وأقاربه .

أما قوله عن الناحية المالية وأن هناك عجزاً في بيت المال حيث أصبح غير قادر على سد احتياجات الجيوش الإسلامية فغير صحيح .

فقد كانت الدولة الإسلامية في رغد من العيش ، وتوسع في الفتوحات[٢] .

ويتهم المستشرق فلهوزن (**Wellhausen**) الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بأنه كان لهم دور في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ، حيث يقول: (وخلّى أهل المدينة بين المصريين وبين ما أرادوا أن يفعلوا ، ولم يتدخلوا لمنعهم ، ولو أنهم أرادوا ذلك لما شق عليهم أن يقضوا على مئات قليلة من الثوار .

فأهل المدينة بدأوا بإثارة العاصفة على الخليفة ، وإنما تركوا إتمام الثورة إلى ثوار من غير أهل المدينة ، بل هم ، خصوصاً بعض الأنصار ، ساعدوا الثوار بالفعل .

أما كبار الصحابة الذين كانوا يحملوا أكبر الوزر في اندلاع نار الثورة ، وهم علي وطلحة والزبير ، فإنهم لم يبذلوا أي جهد لإخمادها ، وربما كان موقفهم من الخليفة هو أنهم أظهروا أسفهم أنهم لا يستطيعون مساعدته لأن أيديهم مقيدة ، ولكنهم إنما كانوا

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٣/ ٧٢٠١) ، مادة: (عثمان بن عفان) .

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٧٠ وما بعدها) ، وتاريخ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (٢/ ٣٤٠) .

يظهرون غير ما يبطنون، أما الحقيقة فهي أنهم لم يعملوا أبداً على إيقاف سير الحوادث آملين أن تنتهي بالفائدة لهم)[١].

فالمستشرق في هذا النص يتهم الأنصار وكبار الصحابة رضي الله عنهم من أمثال: علي وطلحة والزبير، بأنهم تخلوا عن عثمان رضي الله عنه، ولم يعملوا على إيقاف الناقمين عن محاصرته.

وهذا قول من غير دليل ومجازفة قبيحة، فهناك آثار دالة على أن الصحابة رضي الله عنهم عرضوا على عثمان قتال المحاصرين والدفاع عنه، ومنها:

ما أخرجه ابن سعد في طبقاته بسنده عن ابن سيرين قال: (كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة، لو يَدَعهم لضربوهم إن شاءالله حتى يخرجوهم من أقطارها، منهم ابن عمر، والحسن بن علي، وعبدالله بن الزبير)[٢].

وأخرج خليفة بن خياط في تاريخه بسنده عن محمد بن سيرين قال: (انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير كلهم شاكي السلاح حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم، فخرج ابن عمر والحسن والحسين، فقال ابن الزبير ومروان: ونحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح)[٣].

وعن ابن الزبير قال: (قلت لعثمان: يا أمير المؤمنين إن معك في الدار عصابة مستنصرةً بنصر الله بأقل منهم لعثمان فأذن لي فلأقاتل؟ فقال: أنشدك الله رَجُلاً، أو قال: أذكِّرُ بالله رجلاً أهراق في دمه أو قال: أهراق فيَّ دماً)[٤].

عن محمد بن سيرين قال: (جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار

---

(١) كتاب تاريخ الدولة العربية (ص ٤٨ – ٤٩).

(٢) (٣/ ٣٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤٠٠)، وقال الدكتور الغبان في كتابه (٢/ ١٦٥): إسناده صحيح إلى محمد بن سيرين ولم يدرك.

(٣) (ص ١٠٢)، وقال الدكتور الغبان: إسناده صحيح إلى ابن سيرين (١/ ١٦٤).

(٤) أخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٣٩)، وخليفة بن خياط في تاريخ (ص ١٠١).

بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار الله مرتين ، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا)[١] .

والشاهد من هذه الآثار أن الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار عرضوا على عثمان رضي الله عنه القتال دونه فرفض ذلك .

قال ابن العربي رحمه الله في ذلك: (وبأصل المسألة وسلوك الحق ، أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ، ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر ولكنه ألقى بنفسه إلى المصيبة ، فالذي تنخّل من ذلك أن عثمان مظلوم محجوج بغير حجة ، وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه)[٢] .

وقال ابن كثير رحمه الله: (أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ، ولكن لما وقع التضييق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا ، فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أن يقتل بالكلية)[٣] .

وبهذا يتبين بطلان هذا الاتهام للصحابة رضي الله عنهم ، وأنهم شاركوا في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه مع منعه لهم ، ولكن هذا المستشرق يصطنع الأكاذيب ليصنع منها تهم ومطاعن لتشويه سير وتاريخ الصحابة رضي الله عنهم .

في الأخير أنبه على أن من أسباب منع عثمان رضي الله عنه قتال المحاصرين له:

١ – تصديق عثمان رضي الله عنه بما أخبر به الرسول ﷺ وبشّره به من دخوله الجنة على بلوى تصيبه .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ الحائط ، فجاء رجل يستأذن فقال: «**ائذن له وبشّره بالجنة**» ، فإذا أبو بكر ، ثم جاء آخر يستأذن فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» ، فإذا عمر ، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم

(١) سبق تخريجه .

(٢) العواصم من القواصم (ص ٢٩٨) .

(٣) تاريخ ابن كثير (٤/ ٢١١) .

قال: «**ائذن له وبشِّره بالجنة على بلوى ستصيبه**» ، فإذا عثمان بن عفان)[١] .

٢ – العمل بوصية الرسول ﷺ التي سارّه بها ومجاهدة نفسه والصبر عليها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا لي بعض أصحابي**» قلتُ: أبو بكر؟ قال: «**لا**» ، قلتُ: عمر؟ قال: «**لا**» ، قلت: ابن عمك علي؟ قال: «**لا**» ، قالت: قلت: عثمان؟ قال: «**نعم**» ، فلما جاء قال: «**تنحي**» ، فجعل يُسارّه ، ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا ، إن رسول الله ﷺ عهِد إلي عهداً وإني صابر نفسي عليه)[٢] .

٣ – رؤية منامية مُصبرة له وأن موعد استشهاده قد قرب: عن مسلم[٣] أبي سعيد مولى عثمان بن عفان: (أن عثمان بن عفان أعتق عشرين مملوكاً ، ودعا بسراويل ، فشدها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في النوم ، ورأيت أبا بكر وعمر ، وإنهم قالوا لي: اصبر ، فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه)[٤] .

٤ – تنزهه رضي الله عنه عن الدماء ومظالم الخلق ، فكان كخير ابني آدم ، وقد مرت بعض الآثار التي تدل على نهيه عن قتال المحاصرين له ، وأمره للصحابة رضي الله عنهم بالكف عن إراقة الدماء .

ويقول المستشرق كلود كاهن (**Claude Cahenn**) عن فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه: (تعرَّض عثمان لتهمة محاباة أقربائه كما تعرض لمناهضة متزايدة من قبل أولئك الخصوم ، وهي زوجة الرسول التي مازالت آنئذ في ريعان شبابها .

---

(١) أخرجه البخاري ح/ ٣٦٩٥ ، (ص ٧٥٧) ، ومسلم ، ح/ ٢٩ ، (ص ١٠٥٧) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، ح/ ٢٤٧٥٧ ، (ص ١٨١٦) ، وفي كتابه فضائل الصحابة (١/ ٦٠٤) ، وقال محققه: إسناده صحيح .

(٣) مسلم أبو سعيد مولى عثمان رضي الله عنه ، ذكره ابن حبان في الثقات . ينظر: كتاب الثقات (٣/ ٤٣) ، رقم (٣٧٧٦) ، وكتاب ذيل الكاشف ، للحافظ العراقي (ص ٢٦٩) ، رقم (١٤٨٠) .

(٤) أخرجه أحمدفي مسنده ، ح/ ٥٢٦ ، (ص٨٤) ، وفي كتابه (فضائل الصحابة) (١/ ٦٠٧) رقم (٨٠٩) ، وقال محققه: إسناده حسن .

وكان علي أيضاً وهو ابن عم النبي وصهره خصماً لعثمان، وكذلك عمرو بن العاص وغيره في مصر.

وكان لا مفر من قيام التحالف بين مبعوثي هؤلاء وأولئك من الخصوم، وأدى هذا التحالف إلى اغتيال الخليفة العجوز أثناء صلاته وفي ظروف لا تخلو من الغموض)[١].

فالمستشرق في هذا النص يحاول جمع الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه، مع محاولته للتزوير والدس في تاريخ وسير الصحابة رضي الله عنهم.

ويمكن القول بأن اتهام عثمان رضي الله عنه بمحاباة أقربائه مبالغ فيها بقصد تشويه سيرة عثمان رضي الله عنه ومناقبه وفضله على الأمة من نصرته للرسول ﷺ في حياته، وبعد مماته في رعاية أمته، ودينه، والعمل على جمع المسلمين على مصحف واحد، يقضي على الاختلاف الذي يهدد بالفرقة بينهم، كما أن عهد خلافته رضي الله عنه تعتبر أطول مدة لخليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة.

أيضاً لو فرضنا أن عثمان رضي الله عنه عمل على تولية بني أمية أهل بيته فإن ذلك عن اتباع للرسول ﷺ، والخليفتين من قبله، فقد عملوا على تولية رجال من بني أمية فاقتفى عثمان رضي الله عنه أثرهم، إضافة إلى أن ذلك قد يكون عن اجتهاد، ولو أخطأ المجتهد فإنه مغفور له خطأه، مأجور على اجتهاده.

وقول المستشرق: (**تعرض لمناهضة متزايدة من قبل أولئك الخصوم وهي زوجة الرسول...**) إلخ

كل هذا من الكذب والبهتان ولا دليل عليه، وهي محاولة جادة منه لتشويه سير الصحابة رضي الله عنهم، حتى يقضي على القدوات والعظماء الذين يعتز المسلم بهم وبتاريخهم، وبجهادهم في سبيل الله والدعوة إلى دينه.

وقوله: (**في ظروف لا تخلو من الغموض**).

---

(١) كتاب: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، لكلود كاهن (ص ٣٢).

هناك غموض وخاصة مع كثرة الروايات التاريخية، ووجود عدد كبير من الرواة من الكذبة والمتروكين، وكما قيل: وهل آفة الأخبار إلا رواتها. ومع هذا الغموض كان يجدر بالمستشرق الأمانة العلمية، والتجرد والموضوعية قبل أن يكيل التهم جزافاً للصحابة رضي الله عنهم دون دليل.

وهذه وثيقة على عداء بعض المستشرقين للإسلام والمسلمين ومحاولتهم لتشويه سير الصحابة رضي الله عنهم وصلة بعضهم ببعض، ويمثل ذلك المستشرق بودلي (Bodely) عائشة رضي الله عنها على إثارة فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه حيث يقول:

(فلم تدع عائشة شاردة من سياسته المذبذبة إلا أحصتها، وعرضتها على كبار الصحابة، ولم تدع سانحة تثير الاستياء المتزايد إلا اهتبلتها.

إن قصة تقلبات عثمان وبغيه ودسائس عائشة طويلة جداً، فلن نقص نبأها، وسارت الأمور حتى وجد المسلمون أنفسهم يحقدون على مسلك عثمان، فطلبوا خلعه، فرفض عثمان ذلك، فثارت ثائرة الناس، وفي زمن قصير وجد الخليفة نفسه محاصراً في داره، فانقلب الجو من جو التماس إلى جو وعيد؟! انزعج عثمان، فبعث رسالة إلى عائشة يطلب منها التدخل في الصلح، فردت عائشة عليه بأنها آسفة لما حدث ولكنها مشغولة، فإنها تتأهب للحج، وقبل أن يتمكن عثمان من أن يكتب لها ثانية، خرجت فعلاً للحج، وقبل أن تبتعد كثيراً بلغها أن الأمور أصبحت في أيدي أهل المدينة، وأنهم قد قتلوا خليفتهم)[١].

وقراءة هذا النص تكفي عن نقده لما اشتمل عليه من أباطيل وتزوير للحقائق الثابتة في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم، وصلة بعضهم ببعض.

وبهذا يتبين أن أكثر المستشرقين لم يلزم الحياد عند كلامه عن فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وإنما ترك العنان لخياله وهواه، وترك ما كان يدّعيه كثير من المستشرقين في دراساتهم لتراث المسلمين، وتاريخهم من الأمانة، والتجرد والموضوعية.

---

(١) الرسول حياة محمد (ص ٣٤٥ – ٣٤٦).

لهذا كله مرت كثير من أقوالهم وآرائهم عن هذه الفتنة ، متردية وساقطة وبعيدة عن الواقع ، بل وبعيدة عن ما كتب عن تاريخ هذه الفتنة ، فهل يعي كل مسلم ذلك ، فيجتنب النقل والأخذ بأقوالهم في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم خاصة ، وفي تاريخ المسلمين عامة .

*   *   *

المطلب الخامس

موقف المستشرقين من علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لقد كانت خلافة علي رضي الله عنه في وقت عصيب لم تمر بالأمة الإسلامية منذ وفاة الرسول ﷺ بمثله ، فالفتنة التي أودت بحياة عثمان رضي الله عنه فتحت الباب أمام فتن أخرى ، واضطرابات أمنية وفكرية ، وجرت بين الصحابة رضي الله عنهم اختلافات في وجهات النظر والرأي أدت بهم للتنازع والتقاتل فيما بينهم كما في وقعة الجمل وصفين .

وقد سجلت الروايات التاريخية كل ذلك إلا أنه كان من بين الرواة أهل أهواء وبدع من الرافضة وغيرهم ، فحاولوا تشويه سير وتاريخ الصحابة رضي الله عنهم والطعن في عدالتهم ، وقد تلقف المستشرقون ذلك كله .

وهذه أهم مواقف المستشرقين وآراءهم من علي رضي الله عنه وما حدث في زمن خلافته .

١ – موقف المستشرقين من بيعة الصحابة لعلي رضي الله عنه بالخلافة: إن الأوضاع التي تمت فيها البيعة لعلي رضي الله عنه بالخلافة كانت أوضاعاً مأساوية ومحزنة ؛ حيث عاش الصحابة رضي الله عنهم في وقت عصيب ، ومر بهم أمر جلل ، وفتنة حيرت عقولهم لم تمر بهم في سابق عهدهم في زمن الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

إن حادثة مقتل عثمان رضي الله عنه في داره وملكه ، بل وفي مدينة رسول الله ﷺ ، وعلى أيدي أناس يَدَّعون الإسلام ، جعلت العقول تطيش ، والصف الإسلامي يتفرق؟!

فما كان من الصحابة رضي الله عنهم إلا السعي الحثيث لتفادي ما يمكن أن يؤدي إليه مقتل الخليفة ، من الضياع والتشرذم وفقدان مكتسبات دولة الخلافة الإسلامية .

فوجد الصحابة رضي الله عنهم أن خير من يتولى الخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته ، وأحد أصحاب الشورى في عهد عمر

وعثمان رضي الله عنهما ، وبعد إلحاح من الصحابة وافق ، وبايعه كثير من الصحابة ، وتوقف البعض الآخر رضي الله عنهم أجمعين .

واتخذ كثير من أهل الأهواء والبدع بيعة علي رضي الله عنه مجالاً خصباً لتشويه سير الصحابة رضي الله عنهم وصلة بعضهم ببعض ، والتي سجلت في كتب التاريخ ، حيث أذاعها المؤرخون ، ومن ثم تلقفها المستشرقون وطاروا بها فرحاً ، وأضافوا إليها آراءهم وتصوراتهم لهذا الأمر دون تحفظ عند أكثرهم ، وإنما لتسليم واتفاق ، وأقتصر هنا على أهمها وهي:

يقول المستشرق فلهوزن (**Wellhausen**) عن بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة: (كان في نظر كافة أهل المدينة ، خصوصاً الأنصار ، هو الخليفة الطبيعي لعثمان ، وكان هوى المصريين معه أيضاً ، ومن أجله كانوا يعملون لا من أجل غيره ، وكانت كلمتهم في تلك الساعة المضطربة هي الكلمة الفاصلة .

وقد تلقى البيعة العامة في المسجد ، في نفس اليوم الذي قتل فيه عثمان ، ولكن كان من الطبيعي أن تعقب الهياج والاضطراب حركة نكوص .

فلحق النفوس شيء من الانقباض ، ولم يهلل أهل المدينة للخليفة الجديد الذي تلقى البيعة وسلطان الخلافة من أيد غير بريئة من الإثم .

وهم لم يؤيدوا تأييداً قوياً ، وكأنما كان من حسن حظه أن طلحة والزبير هما اثنان من الثلاثة الكبار بين الصحابة انقلبا عليه انقلاباً مخزياً ، لأنه بتلقيه البيعة نال دونهما نجاحاً قانونياً ، وهما في حياة عثمان لم يألوا جهداً في الكيد لعثمان .

وكان يبدو أن ذلك لأجل علي ، فقد قدَّماه على أنفسهما ، لكنهما الآن خرجا عليه خروج المنافسين واتهماه بأنه هو الذي دبَّر مقتل عثمان وأنه هو الذي استفاد منه)[1] .

فالمستشرق في هذا النص يلفق بين الروايات الضعيفة والباطلة ، إضافة إلى رأيه

---

(١) تاريخ الدولة العربية ، فلهوزن (ص ٥١ – ٥٢) .

في مسألة بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة دون تحري للحق حيث استفاد أكثر تصوره لحال الصحابة مع بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة من جمع كبير من الروايات التاريخية(١)، التي حشدها الطبري في تاريخه، وأكثر أسانيدها مظلمة، مقدوح، ومطعون في رواتها بالكذب والضعف والترك والتشيع.. فهي من رواية أبي مخنف شيعي كذاب، وسيف بن عمر التميمي ضعيف، والواقدي متروك، وليس بين رواياته وروايات أبي مخنف فرق.

وفي هذه الحالة: الكلام والخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم خوض بالباطل والله عز وجل يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦].

فتبينا أن رواة هذه الأخبار ليسوا أهلاً للأخذ عنهم، فوجب علينا ترك الأخذ بروايات هؤلاء الرواة، المطعون في عدالتهم، ووجب علينا أن نحفظ للصحابة رضي الله عنهم حقهم في الاحترام والتوقير، والترضي عنهم، وأنهم صحابة رسول الله ﷺ وخير القرون.

ولما كانت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وما أدت إليه من قتل عثمان رضي الله عنه فجأة، أصبح محل الخلافة شاغراً وأمر المسلمين مضيعاً فرجعوا إلى علي رضي الله عنه وألحوا عليه في أن يتولى خلافة المسلمين.

ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن محمد بن الحنفية(٢) قال: (كنت مع علي وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٧ وما بعدها)، وتاريخ اليعقوبي (ص ١٢٣)، (بلا أسانيد للأخبار) وتاريخ ابن الجوزي (٥/ ٦٤)، أكثره نقله عن ابن جرير الطبري، وتاريخ ابن الأثير (ص ٤٠٢) نقل عن ابن جرير الطبري وحذف الأسانيد.

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب، يقال له: ابن الحنفية، والحنفية أمه وهي: خولة بنت جعفر بن= =قيس من بني حنيفة، ويقال من مواليهم، سبيت في الردة من اليمامة. كنيته: أبو القاسم، ويقال: أبو عبدالله، تابعي ثقة، وهو من أفاضل أهل بيته، مات برضوى سنة ٧٣هـ، وقيل: ٨٠هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: كتاب الثقات (٣/ ٣)، رقم (٣٥٦٦)، وكتاب تهذيب التهذيب (٥/ ٧٥٣)، رقم (٧٢٩١).

جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام علي، قال محمد: فأخذت بوسطة تخوفاً عليه فقال: خل لا أم لك! قال: فأتى علي الدار، وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها، وأغلق عليه بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه، فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحقّ بها منك؟

فقال لهم علي: لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير، فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحقَّ بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرًّا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني، قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس)[(١)].

وعن المسور بن مخرمة قال: (قتل عثمان، وعلي في المسجد، قال: فمال الناس إلى طلحة، قال: فانصرف علي يريد منزله، فلقيه رجل من قريش عند موضع الجنائز، فقال: انظروا إلى رجل قتل ابن عمه وسلب ملكه، قال: فولّى راجعاً فرقى في المنبر فقيل: ذاك علي على المنبر فمال الناس عليه فبايعوه وتركوا طلحة)[(٢)].

وأما ابن سعد في طبقاته فيفصّل ويعدّد من بايع لعلي رضي الله عنه بالخلافة فيقول: (قالوا: لما قُتل عثمان رحمه الله يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة، الغد من يوم قتل عثمان، بالخلافة بايعه طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حُنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخُزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم)[(٣)].

وذكر المحب الطبري رحمه الله أن ابن إسحاق قال بأن طلحة والزبير قد بايعا علياً رضي الله عنه دون أن يذكر إسناده في ذلك فيقول: (إن ابن إسحاق قال: إن عثمان لما

---

(١) كتاب فضائل الصحابة (٢/ ٨٠٧) رقم (٩٦٩)، والخلال في كتاب السنة (٢/ ٤١٥)، رقم (٦٢٠)، وقال محققه الدكتور: عطية الزهراني: إسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٩)، رقم (٩٧٠) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) (٣/ ١٩)، وابن سعد لم يسند هذا القول، والأصح منه ما تقدم فيما أخرجه أحمد في مسنده.

قُتل بويع علي بن أبي طالب بيعة العامة في مسجد رسول الله ﷺ، وبايع له أهل البصرة، وبايع له بالمدينة طلحة والزبير)[١].

وعن ابن جرير الطبري في تاريخه وهو رواية الواقدي، وهو متروك لضعفه: أن سبعة نفر اعتزلوا فلم يبايعوا منهم: سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة[٢]، وسلمة[٣] بن وقش، وأسامة بن زيد[٤].

وأيضاً أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله في تاريخه بسنده عن عبدالله بن الحسن[٥]، قال: لما قُتِل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار علياً إلا نُفيراً يسيراً منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلَّد[٦]، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج[٧]، وفضالة

---

(١) كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/ ٢٣٠).

(٢) هو محمد بن مسلمة الأنصاري الحارثي، شهد بدراً والمشاهد كلها، وهو من فضلاء الصحابة، ومات بالمدينة ولم يستوطن غيرها، توفي سنة ٤٣هـ، وقيل: ٤٦هـ، وقيل: ٤٧هـ. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص٦٤٣)، رقم (٢٢٤١)، وكتاب أسد الغابة (٤/ ٨٣)، رقم (٤٧٦٩)، وكتاب الإصابة (ص ١٢٠٣).

(٣) هو سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الأولى والآخرة، وبدراً والمشاهد كلها، واستعمله عمر على اليمامة، توفي سنة ٤٥هـ بالمدينة. ينظر: الاستيعاب (ص ٣٠٤)، وأسد الغابة (٢/ ٣٥٧).

(٤) (٢/ ٦٩٧).

(٥) لعله عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني، وكان من العباد الثقات، توفي سنة ١٤٥هـ. ينظر: كتاب الكاشف (١/ ٥٤٥)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٤٨).

(٦) هو مسلمة بن مخلَّد بن الصامت بن نيار الأنصاري الساعدي، وقيل الزرقي، ولد مقدم النبي ﷺ المدينة، ومات رسول الله ﷺ، وكانت سنه إذ توفي النبي ﷺ أربع عشرة سنة. شهد فتح مصر وسكنها، ثم تحول إلى المدينة، ثم ولاه معاوية مصر، مات سنة اثنتين وستين. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٦٩٧) رقم (٢٤٨٧)، وكتاب أسد الغابة، (٤/ ١٢٩)، رقم (٤٩٢٥)، وكتاب الإصابة (ص ١٢٤٢)، رقم (٨٤٥٤).

(٧) هو رافع بن خَديج بن رافع الأنصاري الحارثي الخزرجي، ردَّه رسول الله ﷺ يوم بدر لأنه استصغره، وأجزه يوم أحد، فشهد أحداً والخندق، قيل توفي في أول سنة ٦٤هـ وهو بالمدينة. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٢٢٧)، رقم (٧٢٤)، وكتاب أسد الغابة (٢/ ١٦٠)، رقم (١٥٨٠).

ابن عُبيد[١] ، وكعب بن عجرة[٢] ، كانوا عثمانية ، فقال رجل لعبدالله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعة علي! وكانوا عثمانية؟

قال: أمَّا حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع! وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال ، فلما حُصر عثمان قال: يا معشر الأنصار ، كونوا أنصار الله مرتين ، فقال أبو أيوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العِضْدان . فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له [٣] .

وهناك أيضاً آثار غيرها إلا أنها ضعيفة .

ويمكن القول أنه (عند مناقشة أسانيد هذه الروايات التي تذكر امتناع بعض الصحابة في المدينة عن بيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، يتضح أنها لا تثبت أمام النقد ، وأنها ضعيفة لا يُعوّل عليها ، فالرواية التي تذكر أن ابن عمر وسعداً رضي الله عنهما لم يبايعا علياً رواية ضعيفة ، لأن فيها راوياً مجهولاً لم يذكر اسمه ، ولأنها أسندت إلى عبدالله بن الحسن وهو رجل لم يشهد تلك الأحداث .

أما متنها فهو مردود لمناقضتها عدالة الصحابة رضي الله عنهم ، التي شهد بها الكتاب والسنة ، ولأنها تتهم الصحابة بما لا يليق بهم ولا يُعرف عنهم ، فضلاً عن مناقضتها للروايات الصحيحة التي تذكر بيعة جميع الصحابة في المدينة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه)[٤] .

---

(١) هو فضالة بن عبيد بن ناقد الأنصارى العمري الأوسي ، أول مشاهده أحد ، ثم شهد المشاهد كلها ، ثم انتقل إلى الشام ، وسكن دمشق ، وكان فيها قاضياً لمعاوية ، وكانت وفاته ﷺ سنة ٥٣ ، ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٥٩٩) ، رقم (٢٠٦٣) ، وكتاب أسد الغابة (٣/ ٤٥٩) ، رقم (٤٢٣٣) .

(٢) هو كعب بن عُجرة بن أمية البلوي ، ثم السَّوادي ، حليف الأنصار ، مات بالمدينة سنة ثلاثٍ أو إحدى وخمسين . الاستيعاب (ص ٦٢٦) ، رقم (٢١٧٣) ، أسد الغابة (٣/ ٥٣٢) ، رقم (٤٤٧٢) .

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٨) ، وقالت مؤلفة كتاب بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة: (الإسناد فيه رجل لم يسم ، وهو الشيخ الهاشمي ، وهذا مجهول ، ثم هو مرسل أيضاً . فعبدالله بن الحسن لم يدرك القصة ، فالإسناد ضعيف من وجهين: الجهالة والانقطاع) (ص ١٣٣ – ١٣٤) .

(٤) الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف ، حامد محمد الخليفة (ص ٣٠٥) .

ومع ضعف هذه الروايات التي تقدمت وغيرها مما في تاريخ الطبري ، إلا أنه (والغريب أن كثيراً من المؤرخين المعاصرين ، وقليلاً من المتقدمين ينقلون عن الطبري تلك الروايات التي فيها أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم لم يبايعوا ، ولم ينقلوا روايات المحدثين المثبتة لبيعة كل الصحابة ، بل لم ينقلوا الروايات الأخرى الموجودة في تاريخ الطبري أيضاً ، والتي تثبت بيعة الناس كافة ، وبيعة المهاجرين والأنصار لعلي رضي الله عنه[١] ، وهي أصح وأحسن حالاً من تلك التي تذكر الخلاف ولا يوجد دليل صحيح ولا حسن على أن بعض الصحابة لم يبايع علياً كما يشاع عن بعضهم)[٢] .

وقبل أن أختم الحديث عن بيعة الصحابة رضي الله عنهم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بما قاله ابن العربي في عواصمه حيث قال: (ولم يكن بعد الثلاث[٣] كالرابع قدْراً ، وعلماً وتقى ، وديناً ، فانعقدت له البيعة ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي ، لجرى على من بها من الأوباش[٤] ، ما لا يُرقع خرقهُ ، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، ورأى ذلك فرضاً عليه ، فانقاد إليه ، وعقد له البيعة طلحة فقال الناس[٥]: بايع علياً يد شلاء ، والله لا يتم هذا الأمر . فإن قيل بايعا مكرهين[٦] قُلنا: حاشا لله أن يكرها لهما ولمن بايعهما ، ولو كانا مُكرهين ما اثَّر ذلك ، لأن واحداً أو اثنين تنعقد بهما البيعة[٧] وتتم ، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له ، وهو مكره على ذلك شرعاً ، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ، ولا في بيعة الإمام .

وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم ، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من

---

(١) تقصد ما أخرجه الإمام أحمد عن محمد بن الحنفية ، والمسور بن مخرمة الذي تقدم قريباً .

(٢) بيعة علي بن أبي طالب ، تأليف: أم مالك الخالدي (ص ١٢٧ – ١٢٨) .

(٣) يعني الخلفاء الراشدين الثلاثة .

(٤) الأوباش: أي أخلاط الناس . ينظر: معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٤٢) ، مادة: (وبش) ، وكتاب الصحاح (١/ ٨٠٥) ، مادة: (وبش) .

(٥) قائل هذه الكلمة حبيب بن ذؤيب ، ينظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦٩٧) .

(٦) يعني طلحة والزبير .

(٧) العدد الذي تنعقد البيعة مختلف فيه ، كتاب الفصل في الملل والأضواء والنحل ، (٣/ ٩٥) .

بايع، ولم يكن كذلك، فإن قيل: فقد قال طلحة: بايعت واللُّج(١) على قَفَيّ(٢).

قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في القفا لُغة: قفي كما يجعل في الهوى هوى وتلك لغة هذيل لا قريش، فكانت كذبة لم تدبر.

وأما قولهم: يد شلاء(٣) لو صح فلا متعلق لهم فيه. فإن يداً شلاء في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه، وجهل المبتدع ذلك، فاخترع ما هو حجة عليه(٤).

فالخلاصة: أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم بايعوا علياً رضي الله عنه غير مكرهين.

لكن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان لهم بعض المواقف والاجتهادات في الحكم على قتلة عثمان رضي الله عنه، فَهِمَ منها بعض الرواة والإخباريين وغيرهم: أنهم لم يبايعوا علي رضي الله عنه بالخلافة.

فسعد بن أبي وقاص وابن عمر رضي الله عنهما وغيرهم اعتزلوا القتال في الفتنة، وحسان بن ثابت رضي الله عنه ذم قتلة عثمان رضي الله عنه(٥).

وهذا الفهم من الرواة والإخباريين فهم خاطئ بعيد عن الصواب فليس كل من

---

(١) اللُّجّ: هو بالضم: السيف بلغة طيئ. وقيل هو اسم سُمي به السيف، كما قالوا: الصمصامة. كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٠١)، مادة (لجج)، وينظر: كتاب الصحاح (١/ ٣٠٨)، مادة: (لجج).

(٢) من رواية سيف بن عمر التميمي. ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ١٤).

(٣) شلت يد طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه، وهو يدافع عن الرسول ﷺ يوم أحد، وهذه فضيلة لطلحة رضي الله عنه. أخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت، ح/ ٣٧٢٤، (ص ٧٦٥)، وأخرج الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة، أن رسول الله ﷺ، قال له يومئذ: أبشر يا طلحة بالجنة اليوم (٢/ ٩٢٩)، رقم (١٢٨٩)، وقال محققه: مرسل، رجاله ثقات.

(٤) كتاب العواصم من القواصم (ص ٢٩٩ - ٣٠٠).

(٥) ينظر: تاريخ ابن الأثير (ص ٤٠١ وما بعدها)، وتاريخ ابن كثير (٤/ ٢٠٦، ٢٤٢)، وكتاب الاستيعاب (ص ٢٧٥)، ترجمة سعد بن أبي وقاص، رقم (٨٩١)، (ص ٤١٩)، ترجمة عبدالله بن عمر، رقم (١٤٣٥)، و(ص ١٦٣)، ترجمة حسان بن ثابت، رقم (٥١٨).

اعتزل القتال في الفتنة، أو ذم قتلة عثمان رضي الله عنه، ممتنع عن بيعة علي رضي الله عنه[١]، وهذا كقول من قال: من لم يكن معنا فهو ضدنا.

ولعل فيما سبق كفاية عن الإطالة، ومن أراده يجد في مظانه[٢].

وقول المستشرق عن علي رضي الله عنه: (**وكان هوى المصريين معه أيضاً، ومن أجله كانوا يعملون، لا من أجل غيره، وكانت كلمتهم في تلك الساعة المضطربة، هي الكلمة الفاصلة**)، وهذا القول باطل ومنكر، وفيه اتهام لعلي رضي الله عنه بأنه هو الذي دعا المصريين لقتل عثمان رضي الله عنه ليتولى الخلافة، وهذا المستشرق أخذ ذلك من بعض روايات تاريخ الطبري وهي من رواية سيف بن عمر التميمي[٣]، وهو ضعيف ومتروك الرواية عنه، فلا يعتد بهذا القول وهو أن هوى المصريين مع علي... فتبطل بهذا الفرية والاتهام ولله الحمد.

وقول المستشرق: (**ولم يهلل أهل المدينة للخليفة الجديد الذي تلقى البيعة وسلطان الخلافة من أيد غير بريئة من الإثم**).

أرى أن في العبارات تعارضاً مع ما سبق من قوله: (**كان في نظر أهل المدينة خصوصاً الأنصار هو الخليفة الطبيعي لعثمان**).

فإذا كان هو الخليفة الطبيعي لعثمان فلماذا لم يهلل أهل المدينة ببيعة علي رضي الله عنه بالخلافة؟!

وهل علي رضي الله عنه تلقى البيعة بالخلافة من الصحابة رضي الله عنهم، أو من الثوار الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه؟ أو منهم جميعاً؟

الذي في تاريخ الطبري أن علياً رضي الله عنه تلقى البيعة من الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار، ومن بعض الثوار، ورواة هذه الأخبار من المطعون

---

(١) ينظر: كتاب الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الاتصاف (ص ٢٩٩ وما بعدها).

(٢) ينظر: كتاب بيعة علي بن أبي طالب (ص ٩٣ – ١٨٩)، وكتاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة د: محمد أمحزون (٢/ ٥٩ وما بعدها).

(٣) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٩ – ٧٠٠).

في عدالتهم من أمثال: أبي مخنف، وسيف بن عمر التميمي، والواقدي كما تقدم، إلا أن المقطوع بصحته أن الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار قد بايعوا علياً رضي الله عنه، وخاصة من كان بالمدينة.

وقوله عن أهل المدينة: (وهم لم يؤيدوا تأييداً قوياً، وكأنما كان من حسن حظه أن طلحة والزبير، وهما اثنان من الثلاثة الكبار بين الصحابة، انقلبا عليه انقلاباً مخزياً، لأنه بتلقيه البيعة نال دونهما نجاحاً قانونياً، وهما في حياة عثمان لم يألوا جهداً في الكيد لعثمان، وكان يبدو أن ذلك لأجل علي، فقد قدَّما على أنفسهما، لكنهما الآن خرجا عليه خروج المنافسين واتهماه بأنه هو الذي دبَّر مقتل عثمان وأنه هو الذي استفاد منه).

إن من يقرأ هذه العبارات، أو يقرأ الكثير من روايات الطبري في تاريخه عن فتنة مقتل عثمان، والبيعة لعلي وما حدث في زمن خلافته من اختلاف بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين معه، وما أدى إليه ذلك الاختلاف من التقاتل في موقعة الجمل وصفين.

ليشعر وكأنه في بيئة مليئة بالحقد والحسد، والمؤامرات والمكايد التي تعم بين الصحابة رضي الله عنهم، وهذا الذي أراده أهل الأهواء والبدع من الرواة وغيرهم.

لذلك خدمت هذه الروايات الباطلة المستشرقين أيما خدمة، فهم مدينون لروايات تاريخ الطبري بالفضل العظيم، الذي استطاعوا من خلاله توجيه الاتهام للصحابة رضي الله عنهم والطعن في عدالتهم. ويمكن أن يعتذر للإمام الطبري، أنه روى هذه الروايات بأسانيدها، ومن أسند فقد برئ من عهدتها، وقد روى أهل الإسلام عن الرسول ﷺ روايات ضعيفة وموضوعة أسندوها إلى أصحابها لتعرف، ولتحذر، وليس ذلك قادحاً فيهم.

وقوله عن أهل المدينة: (**لم يؤيدوا تأييداً قوياً**)، لم يستدل لذلك، والمعروف أن هناك كثير من الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار قد بايعوا علياً بالخلافة.

وقول المستشرق عن علي: (**من حسن حظه أن طلحة والزبير انقلبا عليه**). فحُسن هذه على غير بابها، كما أن الزبير وطلحة رضي الله عنهما قد بايعا علياً رضي الله عنه

بالخلافة، وهناك روايات أخرى وكلها عند الطبري أنهما بايعا مكرهين(١).

وهي من روايات من يُطعن في عدالتهم من أمثال أبي مخنف، وسيف بن عمر والواقدي.

والصحابة أعدل وأصدق في الوفاء بما التزموا به من البيعة والسمع والطاعة لعلي رضي الله عنهم، وخروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم إنما كان عن اجتهاد رحب لمصلحة المسلمين، لكن كما يقال: تجري الرياح بما لا تشتهه السفن.

وبقية قول المستشرق عن طلحة والزبير: (**وهما في حياة عثمان لم يألوا جهداً في الكيد لعثمان**...)(٢) إلخ. اعتمد في ذلك على روايات الطبري في تاريخه، وهي باطلة ومنكرة.

فالزبير رضي الله عنه أرسل ابنه عبدالله، وطلحة أرسل ابنه محمد، وعلي رضي الله عنه أرسل الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، ليدافعوا عن عثمان ضد الثوار المحاصرين له، ولو كانت مكيدة منهم ومن علي رضي الله عنهم فكيف يرسلون أبناءهم للقتال، ويعرضوهم للخطر، والأبناء كما قد علم هم فلذات الأكباد، وهم بمنزلة السمع والبصر.

أما المستشرق دوزي (**Dozy**) فيقول عن بيعة علي بالخلافة، وموقفها من بني أمية: (لم يكد علي يتسلَّم من الأنصار مقاليد الخلافة حتى عزل جميع عمال عثمان، وأبدلهم بمسلمين من رجال العهد القديم لاسيما الأنصار، وبذلك انتصر المتدينون، وآلت إليهم من جديد مقاليد الأمر، فشرعوا يسحقون أشراف القبائل والأمويين الذين أسلموا بالأمس القريب وتطلعوا الآن لأن يكونوا أصحاب الحل والعقد)(٣).

فالمستشرق في هذا النص يخلط الأحداث التي روتها كتب التاريخ عن مبايعة

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٧)، وكتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، دراسة نقدية، تأليف الدكتور: خالد بن محمد الغيث (ص ١٤١).

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٥٢).

(٣) كتاب: تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٤٣).

الصحابة رضي الله عنهم لعلي رضي الله عنه، فيخرجها مشوهة وممسوخة، لا تمت للواقع والحقيقة بصلة.

وأما قول المستشرق دوزي: **(لم يكد علي يتسلم من الأنصار مقاليد الخلافة حتى عزل جميع عمَّال عثمان، وأبدلهم بمسلمين من رجال العهد القديم لاسيما الأنصار، وبذلك انتصر المتدينون وآلت إليهم من جديد مقاليد الأمر، فشرعوا يسحقون أشراف القبائل والأمويين الذين أسلموا بالأمس القريب، وتطلعوا الآن لأن يكونوا أصحاب الحل والعقد)**.

في هذا القول مغالطات وتزوير وتصوير واقع الصحابة على غير ما هو عليه، فعلي رضي الله عنه لم يتسلَّم من الأنصار مقاليد الخلافة.

فالأنصار رضي الله عنهم لم يتدخلوا في أمر الخلافة بعد اتفاقهم مع المهاجرين في سقيقة بني ساعدة، وفيه أن الخلافة لا تكون إلا في المهاجرين، وخاصة من قريش، وعلى ذلك بايعوا أبا بكر، وعمر، بل ولم يكن أحد منهم من أصحاب الشورى، والذين بايعوا عثمان رضي الله عنه بالخلافة ليس أصحاب الشورى فقط، بل جميع من كان في المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وقد يكون غاية فعل الأنصار أنهم وإخوانهم من المهاجرين بايعوا علي رضي الله عنه بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه[1].

وعلي رضي الله عنه من أصحاب الشورى الذين عينهم عمر رضي الله عنه، ليتولى الخلافة واحد منهم، كما قد تقدم.

وانتهى باختيار أهل الشورى على أن يُعين واحداً من اثنين: عثمان، أو علي، وتم اختيار عثمان رضي الله عنه، فلما قُتل رضي الله عنه صابراً محتسباً، رأى كثير من الصحابة رضي الله عنهم في ظل هذه الفتنة الكبرى والمصيبة العظمى التي حلت بالإسلام والمسلمين، أن يبايعوا الرجل الثاني من أصحاب الشورى، الذي تم اختياره من قبلهم ورشح لتولي الخلافة بعد وفاة عمر رضي الله عنه.

وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم قد اختاروا عثمان للخلافة رضي الله عنه.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٧).

وأما عزل علي رضي الله عنه للولاة الذين عينهم عثمان رضي الله عنه في خلافته على أمصار دولة الخلافة الإسلامية فيجاب عنه:

بأنه من رواية سيف بن عمر التميمي، ومحمد بن عمر الواقدي، وهما ضعيفان ومتروكان، وعلى فرض صحته فهو اجتهاد من علي رضي الله عنه، ومحاولة لإطفاء الفتنة، وليس معنى ذلك معارضة وتخطئة عثمان رضي الله عنه، وقد تقدم أن عثمان رضي الله عنه وإن ولّى بعض أقاربه إلا أن له سلف في ذلك.

ولا يظن في علي رضي الله عنه أنه يخالف هدي من سبقه من الخلفاء الراشدين في تعيين الولاة، إلا لأمر رأى أن فيه مصلحة للإسلام والمسلمين، وإن كان بعض الصحابة مثل ابن عباس رضي الله عنهما خالفه في ذلك العزل، ورأى بأنه من العجلة التي تؤدي إلى عدم استقرار الأوضاع(١).

كما أن علياً رضي الله عنه كان له من الحنكة السياسية والمعرفة بأحوال الرعية، ما قد يجهل بعض الصحابة رضي الله عنهم، وذلك لكونه محل الشورى والاستشارة في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما، فإذاً عزله رضي الله عنه لولاة عثمان رضي الله عنه إنما كان عن سياسة، ومحاولة للخروج بالمسلمين من هذه الفتنة التي ذهب ضحيتها خليفة المسلمين عثمان رضي الله عنه.

وعلى ذلك فهذا منه اجتهاد قد يوافقه بعض الصحابة ويخالفه البعض الآخر.

وقوله: (**أبدلهم بمسلمين من رجال العهد القديم**) ألخ، هذا محاولة للتفريق بين الصحابة رضي الله عنهم، وخاصة بين الأنصار وبني أمية.

وقد استخدم هنا مسمى رجال العهد القديم، وهذا من المسميات أو العبارات المعروفة عند النصارى، ولا مكان لها عند المسلمين.

والخلفاء الراشدون أمناء على أمر المسلمين، وهم يولون من يرون من الصحابة رضي الله عنهم يصلح لولاية الأمصار لا يُحابون في ذلك أحداً، وقد يمنع منها بعض الصحابة رضي الله عنه غيرةً عليه أن يدنس بهذه الولايات التي يحاسب عليها في الدنيا

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٧٠٣، ٣/ ٣).

والآخرة، وهذا منهم رضي الله عنهم صادر عن اجتهاد وتحري لمصلحة الإسلام والمسلمين.

ولا يعد تولية علي رضي الله عنه لبعض الأنصار رضي الله عنهم على ولايات بعض البلدان، أنه أكرمهم بخلاف من سبقه، وهذا بعيد عن الصواب، فقد كان الأنصار إخواناً للمهاجرين ومشاركين لهم في ذلك من زمن هجرة الرسول ﷺ، وقد استعمل الخلفاء الثلاثة الأنصار في ولاية بعض الأمصار، بل وأنابوهم على المدينة عند حجهم لمكة(١)، وكذلك جهادهم في سبيل الله، وفي سبيل نصرة الإسلام والمسلمين.

وقوله: (**وبذلك انتصر المتدينون وآلت إليهم من جديد مقاليد الأمر، فشرعوا يسحقون أشراف القبائل والأمويين الذين أسلموا بالأمس القريب، وتطلعوا الآن لأن يكونوا أصحاب الحل والعقد**).

هذا القول من المستشرق محاولة لتشويه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم، وتضخيماً للأحداث التي وقعت في زمنهم، وفيه أيضاً محاولة لإسقاط واقع المجتمعات الغرب النصراني على حياة المجتمع الإسلامي الأول، والذي هو خير القرون، فتنافس الأحزاب السياسية في دول الغرب باختلاف توجهاتها الدينية والسياسية على الرئاسة، والمقاعد في مجالس الشيوخ (البرلمان) هذا الطابع المعاش في دول الغرب أراد المستشرق دوزي أن يُشبِّه أو يخيل للقارئ بأن واقع مجتمع الخلافة الإسلامية مثل ذلك.

وهذا قول باطل، ومنكر، وقد مر بنا تولية عثمان رضي الله عنه للخلافة وأن ذلك تم عن طريق أصحاب الشورى من الصحابة رضي الله عنهم، فلم يكن هناك دعايات انتخابية، ولا صناديق اختيار للمرشحين لتولية الخلافة، ولا كان هناك عمليات تزوير في التصويت؟!

وقوله: (**انتصر المتدينون**)، هذه محاولة منه للتفريق بين الصحابة رضي الله

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (ص ٦٩، ٨٨ - ٨٩، ١٠٦، ١٢١٠ - ١٢١ - ١٢٢)، وتاريخ الطبري (٢/ ٣٥١، ٥٨٠، ٦٩٣، ٣/ ١٦٣). وينظر: كتاب الولايات على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، تأليف د: عبدالعزيز بن إبراهيم العمري (ص ٤٩، ٨٧، ٢٢٣).

عنهم، فالخلفاء الراشدون الأربعة متدينون، والخلافة، والخليفة منصب ديني، وكلهم يحكم بشرع الله عز وجل وما جاء في الكتاب والسنة.

والخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، سيروا الجيوش للجهاد وقتال الكفار، وعثمان رضي الله عنه وهو مقصد المستشرق كان من أهل الاستقامة، ومخافة الله عز وجل وكثرة قراءة القرآن الكريم، وقد قتل رضي الله عنه وهو يتلو القرآن، وهو صائم!

وقوله: (**فشرعوا يسحقون أشراف القبائل والأمويين الذين أسلموا بالأمس القريب، وتطلعوا الآن لأن يكونوا أصحاب الحل والعقد**).

هذا القول باطل ومحاولة لتزوير وتشويه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم، وعلي رضي الله عنه لما تولّى الخلافة لو كان له من القوة والمنعة لسلطها على قتال الثوار الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه، وقتلوه صبراً، ولكنه تولى الخلافة وفي جيشه من الثوار الجم الغفير، فأراد تأخير الاقتصاص منهم إلى وقت قوة، فاستعجل بعض الصحابة رضي الله عنهم فخالفوه، فكانت الجمل، وصفين(١).

كما يقال كيف يسحق علي رضي الله عنه أشراف القبائل والأمويين بأي ذنب؟

فبنو أمية من أقرب الناس إلى بني هاشم وهم من بني عبدمناف، وقد استعمل الرسول ﷺ بعضهم حتى بعد أيام يسيرة من إسلامه، حيث استعمل ﷺ عتاب بن أسيد رضي الله عنه على مكة بعد خروجه إلى حنين في السنة الثامنة، واستعمل أبا سفيان على نجران، وتولي عثمان رضي الله عنه للخلافة بعد وفاة عمر رضي الله عنه إنما كان بإجماع من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكن لبني أمية نفوذ أو قوة تُلزم أصحاب الشورى والصحابة رضي الله عنهم باختيار عثمان رضي الله عنه، إضافة إلى أن عثمان رضي الله عنه كان من السابقين إلى الإسلام، وكان له من الفضائل والمناقب ما لم يشركه فيها أحد.

وعن ابن جرير الطبري أن بني أمية لما قتل عثمان رضي الله عنه، منهم من خرج إلى مكة ومنهم من خرج إلى الشام، بل منهم من اعتزل فلم يبايع كما فعل بعض

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٤، ٣٥، ٣٩).

الصحابة رضي الله عنهم(١) .

فكيف يقول المستشرق بعد ذلك أن بني أمية تطلعوا لأن يكونوا أصحاب الحل والعقد؟!

ويقول المستشرق سيديو (Sedilot) عن موقف بعض الصحابة رضي الله عنهم من خلافة علي رضي الله عنه: (جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب، ووجب على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم الخالص، وما كان هذا ليحدث؟!

فلما رفض علي أن يولّي صاحبي معاوية طلحة والزبير الكوفة والبصرة، انقلبت صداقة هذين الصاحبين إلى حقد شديد. وبدت أرملة محمد عاشة بنت أبي بكر روح كل مكيدة، ويهرع إلى السلاح)(٢) .

فالمستشرق في هذا النص بعد تعظيمه لشخصية علي رضي الله عنه ينقل شيئاً من أسباب الخلاف بين بعض الصحابة رضي الله عنهم، وبين علي رضي الله عنه، والذي انتهى باستخدام السلاح والتقاتل فيما بينهم.

وأما قوله: (**جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب**)، فقبل ذلك يمكن القول بأن لعلي رضي الله عنه فضائل ومناقب ولم يأت هذا المستشرق إلا بفضيلة واحدة، وهو أن علي رضي الله عنه هو زوج فاطمة رضي الله عنها ابنة الرسول ﷺ، وسيدة نساء أهل الجنة.

وفضائل ومناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم الرسول ﷺ مدونة ومشهورة في دواوين السنة، ومنها ما هو صحيح، وضعيف، وموضوع.

وقوله: (**جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة، وحقوق الانتخاب**)، فهذا القول باطل ومنكر، فلم يكن لعلي رضي الله عنه حق في وراثة الرسول ﷺ لا في ماله،

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٦)، وفيها روايات لسيف بن عمر التميمي.

(٢) كتاب: تاريخ العرب العام (ص ١٢٧).

ولا في خلافته على المسلمين ، وفاطمة رضي الله عنها لما طالبت بحقها من وراثة أرض فدك بعد وفاة الرسول ﷺ ردها أبو بكر رضي الله عنه وقال: (إن رسول الله ﷺ قال: **«لا نورث ما تركنا صدقة»**)(١) .

وأما في الخلافة فليس لعلي رضي الله عنه حق فيها ، فهو كأحد الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن الرسول ﷺ مات ولم ينص على خلافة علي رضي الله عنه ، وإن كانت هناك أقوال وإشارات من الرسول ﷺ تدل على أن الخليفة بعده سيكون أبو بكر رضي الله عنه ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

وقوله: (**ووجب على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم الخالص، وما كان هذا ليحدث**) ، أرى بأن هذا أسلوب استفزازي وغير مهذب ، وطعن في الصحابة رضي الله عنهم ، وأنهم مع علمهم بفضل علي رضي الله عنه ومكانته من الرسول ﷺ ؛ إلا أنهم خالفوه بل وخرجوا عليه؟

ويرد عليه بأن ما حصل من الصحابة رضي الله عنهم إنما كان عن اجتهاد وحسن نية ، وحصل في زمن فتنة ، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، والغالب أنه في حال الفتنة تكون الحيرة والاضطراب ، وتقع الكثير من الأخطاء ، ولا يظن بأن الصحابة رضي الله عنهم قد تعمدوا الاختلاف مع بعضهم البعض ، وإنما كان اختلافهم عن اجتهاد ، رأوا فيه مصلحة للإسلام والمسلمين .

وقوله: (**فلما رفض عليٌّ أن يولّي صاحبي معاوية طلحة والزبير الكوفة والبصرة، انقلبت صداقة هذين الصاحبين إلى حقد شديد**) ، وهذا أيضاً قول باطل ومنكر ، فطلحة والزبير رضي الله عنهما من السابقين إلى الإسلام ، وصحبتهما لعلي رضي الله عنه أقرب وأطول ، إضافة إلى أنهما كانا من أصحاب الشورى الذين عدهم عمر رضي الله عنه قبل موته ، ليتولى واحدٌ منهم الخلافة ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما تأخر إسلامه ، وكان والياً لعمر وعثمان في بلاد الشام ، فصحبة طلحة والزبير لمعاوية رضي الله عنهم قليلة وقصيرة .

---

(١) أخرجه البخاري ، ح/ ٣٠٩٢ ، (ص٦٢٨) ، ومسلم ح/ ٤٩ ، (ص ٧٧٨) .

وطلحة والزبير رضي الله عنهما لما خرجا بصحبة عائشة رضي الله عنها إلى الكوفة للإصلاح بين الناس(١) ، وحتى يتمكن من قتلة عثمان رضي الله عنه ، لم يمروا بالشام ، ولم يكن بينهم وبين معاوية رضي الله عنه اتصال حتى يقول هذا المستشرق: إنهما صاحبا معاوية ، وذلك لأمر يريده ، بحيث يقسم الناس إلى قسمين: قسم يتبع علي رضي الله عنه ، وقسم يتبع بني أمية وعلى رأسهم معاوية .

وهذا قول بلا علم أملاه عليه الحقد والبغض للصحابة رضي الله عنهم .

وأما قول المستشرق: **(بأن علياً رضي الله عنه رفض أن يولّي طلحة والزبير رضي الله عنهما)** ، فقد ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تاريخه من رواية الزهري قال: (بايع الناس علي بن أبي طالب ، فأرسل إلى الزبير وطلحة فدعاهما إلى البيعة ، فتلكأ طلحة ، فقام مالك بن الأشتر(٢) وسل سيفه وقال: والله لتبايعن أو لأضربن به ما بين عينيك ، فقال طلحة: وأين المهرب عنه! فبايعه ، وبايعه الزبير والناس .

وسأل طلحة والزبير أن يؤمرهما على الكوفة والبصرة ، فقال: تكونان عندي فأتجمّل بكما ، فإني وحشٌ لفراقكما)(٣) .

على فرض صحة الحديث فإن علي رضي الله عنه لم يوافق على تعيين طلحة والزبير رضي الله عنهما على الكوفة والبصرة ، لمصلحة راجحة رآها ، وعلي رضي الله عنه الخليفة ، وأنه لا يستغني عنهما ، إضافة إلى أنهما من أهل الشورى في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ، وبعدهما عن خلافة علي رضي الله عنه تفويت لمصالح المسلمين ، وعلى هذا فليس في هذا الأثر دليل لما ذهب إليه المستشرق ، وأن رفض علي

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ١٤) .

(٢) هو: مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر ، أدرك الجاهلية ، وكان ممن يسعى في الفتنة وألب على عثمان وشهد حصره ، شهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين ، وولاه مصر ، فلما كان بالقلزم شرب شربة عسل فمات سنة سبع وثلاثين . ينظر: كتاب الثقات لابن حبان (٣/ ٣٠) ، رقم (٣٧٤٥) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٤٥) ، رقم (٧٦٠١) .

(٣) (٢/ ٦٩٧) ، وإسناده صحيح إلى الزهري ، إلا أنه لم يشهد البيعة فهو منقطع ، وقد أخذ عن ابن عمر ، فيكون هذا الحديث من قبل المرسل ، والأصح أن طلحة والزبير بايعا طائعين .

أدى إلى انقلاب صداقة طلحة والزبير رضي الله عنهما .

وقوله: (**وبدت أرملة محمد عائشة بنت أبي بكر روح كل مكيدة، ويهرع إلى السلاح**)، وهذا قول باطل ، فعائشة رضي الله عنها لم تخرج على علي رضي الله عنه في خلافته ، ولم تدبِّر له المكائد ولم تعمل على حربه .

وقول هذا المستشرق إنما هو سلسلة من بغض وحقد المستشرقين على عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق ، وزوج رسول الله ﷺ ، ومن أحب نسائه إليه ، لذلك سعى هؤلاء الأعداء للنيل من الرسول ﷺ بتشويه سيرة زوجه عائشة رضي الله عنها ، ومحاولة منهم لإدخالها في جميع عهود الخلفاء الراشدين الأربعة ، حيث يظهرونها بصورة الماكرة والحقود التي تُدير المؤامرات والخطط للقضاء على خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهم ، وهي بريئة من ذلك كله .

وخروجها مع طلحة والزبير إلى البصرة ، إنما كان لإصلاح ذات البين ، وحتى يُتمكن من قتلة عثمان رضي الله عنه[1] ، لكن بعض المفسدين من الثوار وغيرهم ، عملوا على إثارة العداوة بين الجيشين ، جيش علي وجيش طلحة والزبير ، فأدى إلى التقاتل بينهم وخروج الأمر من أيدي الصحابة رضي الله عنهم ، فكانت الفتنة الثانية بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وكانت موقعة الجمل ، والتي ذهب ضحيتها طلحة والزبير رضي الله عنهما .

وسيكون لهذا وقفة قريباً في (موقف المستشرقين فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم في موقعة الجمل) .

أما المستشرقة فاجليري (**Vaglieri**) فتقول عن موقف بعض الصحابة رضي الله عنهم من خلافة علي رضي الله عنه: (وعندما قُتل عثمان ، هرب الأمويون من المدينة وظلت المعارضة سيدة الموقف ، ولأن علياً هو الشخص الذي يحظى باحترامهم فقد دعي إلى تولي الخلافة في ١٨ ذو الحجة ٣٥هـ/ ١٧ يونيه ٦٥٦م ، وكان أنصاره على استعداد

---

(١) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص ١٠٩) ، وتاريخ الطبري (٣/ ١٤) .

لاستخدام العنف في مواجهة هؤلاء الذين رفضوا بيعته، ومن بينهم طلحة والزبير، وكان هناك البعض الذين لم يرضخوا، ومن ثم تركوا المدينة مثل عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص)[١].

فالمستشرقة في هذا النص جعلت من الثوار معارضة، وأنهم الذين قاموا بتولية علي رضي الله عنه بالخلافة، وهذا قول باطل ومنكر، حيث اعتمدت على ما جاء في تاريخ الطبري وخاصة في البيعة لعلي رضي الله عنه بالخلافة، وأخذت بروايات أسانيدها مظلمة عن أبي مخنف، وسيف بن عمر والواقدي.

وإلا فهناك قول آخر وهو الصحيح في هذه المسألة، وهو أن الصحابة رضي الله عنهم ومنهم الزبير وطلحة رضي الله عنهم قد ألحوا على علي بتولي الخلافة حتى رضي ثم بايعوه في المسجد علانية.

وإن كان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد توقف إلا أن ذلك لا يقدح فيهم، ولا في خلافة علي رضي الله عنه.

وتحاول المستشرقة بوجينا ستيشجيفسكا (**Stryzewska**) أن تعقد مقارنة بين الخلفاء الراشدين الأربعة فتقول: (لم يكن انتخاب علي بن أبي طالب على الصورة التي تم بها انتخاب الخلفاء من قبله. فقد انتخب أبو بكر عن رضا من الصحابة الذين اجتمعوا بالمدينة. وبعد وفاة أبي بكر لم يكن بين الصحابة اختلاف؛ لأن أبا بكر أوصى بالخلافة لعمر، فرأى المسلمون وجوب طاعته.

ولما مات عمر انتخب عثمان بمقتضى قانون الشورى الذي وضعه عمر، فلما قتل عثمان بيد الثائرين عليه مال إلى تولية علي.

وكان أكثر الصحابة متفرقين في البلاد ولم يكن بالمدينة إلا عدد قليل منهم وعلى رأسهم طلحة والزبير، وقد تردد بعضهم في بيعة علي وتخلف بعضهم، وانتقل إلى

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/٧٤١٨)، مادة: (علي بن أبي طالب).

الشام، ومع ذلك تمت مبايعته بأغلبية الحاضرين)[١].

وهذا القول فيه خلاصة لأمر اختيار الخلفاء الراشدين، والذي كان آخرهم علي رضي الله عنه.

لكن قولها بأن قانون الشورى الذي وضعه عمر رضي الله عنه هو الذي قام بتولية علي رضي الله عنه فيه نظر؛ لأن أصحاب الشورى الستة أناط بهم عمر رضي الله عنه أمر الخلافة، وأن يولى واحد منهم الخلافة بعد وفاته. ولم يكن هناك إجماع من الصحابة رضي الله عنهم أن يكون لهم صلاحيات في تعيين الخلفاء في المستقبل بعد وفاة الخليفة الذي هم في زمنه.

بمعنى آخر أن أصحاب الشورى لم يكن لهم مجالس مخصصة لهم من قبل الدولة يتدارسون قضايا الأمة التي تحال عليهم من قبل خلافة الدولة الإسلامية، كما هو معمول به في هذه الأزمنة.

إضافة إلى أن عدد أصحاب الشورى كان ستة أعضاء فقط، فلما قتل عثمان رضي الله عنه تقلص العدد إلى أربعة أعضاء.

وتقول المستشرقة بوجينا ستشيجفسكا (**Stryzewska**): (لما قتل عثمان لم تكن بالمدينة إلا أخلاص الناس من أمصار مختلفة، وكانت الكلمة العليا بالمدينة في هذا الوقت بطبيعة الحال لهؤلاء الثوار الذين قتلوا عثمان. وهؤلاء لم يكن في نظرهم يليق للخلافة إلا علي، فكلموه في البيعة له فامتنع أولاً، ثم أجاب، وأراد أن يأخذ البيعة من طلحة والزبير وهما زميلاه في الشورى، فامتنعا، فقام مالك بن الأشتر وسلَّ سيفه وقال لطلحة: إن لم تبايع أضرب بالسيف بين عينيك؟! فبايع وبايع الزبير، وامتنع عن البيعة جمع من الصحابة وبايعه بقية أهل المدينة إلا من هرب ولحق بالشام فلم يبايع)[٢].

فنص هذه المستشرقة هو حكاية لما جاء في تاريخ الطبري، وهذه الرواية غير صحيحة فهي من رواية سيف بن عمر التميمي، وقد حكم العلماء بضعف روايته، فلا

(١) كتاب: تاريخ التشريع الإسلامي (ص ٥٨).
(٢) كتاب: تاريخ التشريع الإسلامي (ص ٨٩).

يعتد بها .

وقولها عن الثوار: (**لم يكن في نظرهم يليق للخلافة إلا علي**) . هذا تبع لما سبق حيث اغترت برواية سيف بن عمر ، وهي غير صحيحة(١) .

وهذه الروايات التي في تاريخ الطبري ، وفي سندها سيف بن عمر ، أو أبي مخنف ، أو الواقدي ، أخذها الكثير من الكُتّاب والمؤرخين المسلمين ، وغيرهم ، مع علم البعض بأنهم ضعفاء لا يؤخذ برواياتهم ، إلا أنهم أخذوها اغتراراً بالطبري رحمه الله ، والطبري إنما جمع الروايات وجعل العهدة على الإسناد ، إلا أن بعض المؤرخين حذف الإسناد ولم يبين الحكم على هذه الروايات مثل: ابن الجوزي ، وابن كثير وغيرهما ، فانخدع من جاء بعدهم ممن قل علمه برجال الإسناد ، كما هو الواقع في الزمن المتأخر .

أما المستشرق بودلي غير المنصف فله رأيه في بيعة الصحابة لعلي رضي الله عنه بالخلافة فيقول:(هناك أربعة طلاب للخلافة هم: علي بن محمد المتبني ، وابن عمه ، وزوج ابنته ، ثم الزبير وطلحة قريبا عائشة ، وكانت سندهما ، وأخيراً معاوية .

كان معاوية بن أبي سفيان من هند ، وكان شيخ الأمويين وحاكم سورية في هذه الآونة ، أنجز على عمله سريعاً ، فقبل أن يفكر أحد في الخلافة عرض نفسه ، فكانت هناك معارضة طفيفة ، فمعاوية في دمشق لا يدري ما يجري في المدينة ، وفر الزبير وطلحة مؤقتاً إلى عائشة التي كانت ترقب الحوادث من مكة ، وكان البارزون الآخرون مشغولين بمقتل عثمان ، فما كان عندهم الوقت ليفكروا ، فتمكن علي من أن يفرض ترشيحه ، ففي ١٨ يوليه سنة ٦٥٦ وفي السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة نصب الخليفة الرابع للإسلام)(٢) .

فالمستشرق بودلي في هذا النص يحاول خلط الأحداث التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وأن منصب الخلافة أصبح محل تنافس بين الصحابة رضي الله عنهم ، حتى يصلوا سدة الخلافة .

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٩ وما بعدها) .

(٢) كتاب: الرسول حياة محمد ، لبودلي (ص ٣٤٦) .

وقول المستشرق بودلي من تزوير تاريخ وسير الصحابة رضي الله عنهم قد يكون أخذ من الروايات الباطلة والمنكرة التي رواها أبو مخنف، وسيف بن عمر التميمي، والواقدي وغيرهم.

إلا أن زاد في ذلك زيادات تفرد بها، مثل قوله: (**هناك أربعة طلاب للخلافة**) وقوله: (**أنجز علي عمله سريعاً، فقبل أن يفكر أحد في الخلافة عرض نفسه**)، وقوله: (**وكان البارزون مشغولين بمقتل عثمان، فما كان عندهم الوقت ليفكروا، فتمكن علي أن يفرض ترشيحه**).

فلم يكن أحد الأربعة الذين عينهم قد طالب بأن يولى الخلافة، حتى علي رضي الله عنه قد أبى الخلافة حتى ألح عليه الصحابة رضي الله عنهم، ولم يعلم عن واحد من البقية أنه قال بايعوني بالخلافة. قد يكون هناك خلاف بينهم في التعجيل أو تأجيل الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، إلا أنهم لم يختلفوا في وجوب الاقتصاص من قتلته رضي الله عنه.

وبيعة علي رضي الله عنه بالخلافة كانت بمشهد من الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار، وكبار الصحابة، ومنهم طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وابن عباس وغيرهم رضي الله عن الجميع.

وبما سبق من أقوال المستشرقين عن بيعة الصحابة رضي الله عنهم لعلي رضي الله عنه بالخلافة، فقد نقلوا ذلك عن كتب التاريخ وأبرزها تاريخ الطبري، فهو عمدتهم ومصدرهم في الحكم على كثير من الصحابة رضي الله عنهم، مع ما أضافوه من بنات أفكارهم، ونزعات أهوائهم التي لم يستطع أكثر المستشرقين (وخاصة غير المنصفين) سترها والتظاهر بالأمانة والتجرد والموضوعية.

٢ - موقف المستشرقين من وقعة الجمل: الفتنة التي حصلت والمسماة بوقعة الجمل، هي الفتنة الثانية وقد جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بخلاف الفتنة الأولى وهي مقتل عثمان رضي الله عنه، فلم تكن بين الصحابة رضي الله عنهم، وإنما كانت من جهة الثوار والناقمين على عثمان رضي الله عنه، ولم يرد رضي الله عنه أن يعمل

على إثارتها، وإهراق الدماء، وإنما منع من ذلك كله، وقتل شهيداً رضي الله عنه مغلّباً مصلحة المسلمين على مصلحته، وفُتح بتلك الفتنة فتن أُخر.

ومنها ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم في وقعة الجمل، ولا يُظن بالصحابة رضي الله عنهم أنهم أرادوا التنازع والتقاتل وإنما جرى ذلك بسبب الناقمين على عثمان رضي الله عنه والإفساد في الأرض، ولم ينقل ذلك الحدث نقلاً أميناً سالماً من الهوى.

وقد فسر خروج الصحابة رضي الله عنهم إلى البصرة بتفسيرات لو صحت لكانت طعناً وقدحاً في عدالة الصحابة رضي الله عنهم، لهذا اجتمع المستشرقون على الأخذ بهذه الروايات التاريخية، لهوى عند البعض، وجهلاً وتقليداً عند البعض الآخر.

وهذه أهم أقوال المستشرقين فيما جرى بين الصحابة في وقعة الجمل:

يقول المستشرق فلهوزن (**Wellhausen**) عن وقعة الجمل أسبابها ونتائجها: (ونادت[١] إلى الأخذ بالثأر له من الخليفة الجديد، وقد التف حولها عدد من الهرَّاب الذين تساقطوا إلى مكة، وانضم إليها طلحة والزبير واستترا وراءها، وكانوا ثلاثتهم رؤساء وقواد الثورة على علي في جزيرة العرب.

ولكنهم لم يستطيعوا أن يبدأوا محاربته من مكة، لأنه كان في المدينة، وكانت المدينة أكثر عدداً من مكة بكثير، فقرروا أن يخرجوا من جزيرة العرب، وأن يقصدوا البصرة، وكان لهم بها صنائع ولأهلها هوى في طلحة فاستطاعوا أن يستولوا على البصرة وأن يستقروا فيها.

وإزاء ذلك رأى عليٌّ أيضاً أنه لا يستطيع البقاء في المدينة، فاتبعهم وقصد الكوفة أولاً، وخرج علي في أهل الكوفة، وهاجم أهل البصرة، فانتصر عليهم على مقربة من مدينتهم في موقعة الجمل)[٢].

(١) يقصد عائشة رضي الله عنها.

(٢) كتاب: تاريخ الدولة العربية (ص ٥٢ – ٥٣).

فالمستشرق في هذا النص يلخص ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم في موقعة الجمل ، كما جاء ذلك في تاريخ الطبري[١] مع تصرفه ، فتأريخ وأحداث موقعة الجمل من أولها إلى آخرها دخلها الزيادة والنقصان ، وتصوير للأمر على غير حقيقته ، وإدارة لهذا الحدث ليخدم مصالح جماعات من أهل الأهواء والبدع ، والذين كان لهم يد في مقتل عثمان ، ومحاولة لعرقلة القصاص من أهل الفتنة .

وما جاء في تاريخ الطبري وغيره عن موقعة الجمل عن رواة ترك العلماء الأخذ عنهم من أمثال أبي مخنف ، وسيف بن عمر[٢] التميمي وغيرهما ، وذلك لما نسب إليهما من الكذب والتشيع الرافضي ، أو الضعف ، فتركوا الأخذ عنهما .

وقد بلغت نسبة روايات أبي مخنف أكثر من عشر روايات ، بينما بلغت نسبة روايات سيف بن عمر أكثر من خمسين رواية .

وقد صوروا خروج الصحابة طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أنه للمطالبة بثأر عثمان رضي الله عنه ، وأن بيعة طلحة والزبير كانوا مكرهين عليها كل ذلك باطل ، وقد تقدم .

وعائشة رضي الله عنها ومن معها ما خرجوا إلا للإصلاح بين الناس ، وخاصة بعد فتنة مقتل عثمان ، ويدل على ذلك: ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن قيس[٣] بن أبي حازم قال: (لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلابُ ، قال: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب ، قالت: ما أظنني إلا أني راجعةٌ ، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمين فيُصلح الله عز وجل ذات بينهم . قالت: إن رسول

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٤ – ٥٩) .

(٢) ينظر: كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، د: خالد الغيث ، (ص ١٤٥ – ٢٢١) .

(٣) هو قيس بن أبي حازم حصين بن عوف البجلي الأحمسي الكوفي . أدرك الجاهلية ، ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه فقبض وهو في الطريق ، وأبوه له صحبة ، تابعي ثقة ، توفي سنة ٨٤هـ ، وقيل: ٩٧هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر: الثقات (٢/ ٤٤١) ، رقم (٣٣٨٥) ، وكتاب تهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٨) ، رقم (٦٥٥٦) .

الله ﷺ قال لها ذات يوم: كيف بإحداكم تنبح عليها كلابُ الحوأب)[١].

هذا الحديث أصح ما جاء في سبب خروج عائشة وطلحة والزبير، وأنه كان للإصلاح بين الناس[٢] والتأليف بينهم بعد أحداث فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، فهو بمثابة الأعمال الدبلوماسية لتهدئة الاضطرابات والفتن وهذا اجتهاد منهم.

يقول ابن العربي رحمه الله عن سبب خروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم إلى البصرة: (أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه، ولكن لأي شيء خرجوا؟ لم يصح فيه نقل ولا يوثق فيه بأحد؛ لأن الثقة لم ينقله، وكلام المتعصب غير مقبول، وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الإسلام، واستنقاص الصحابة فيحتمل أنهم خرجوا خلعاً لعلي، لأمر ظهر لهم، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة، وقاموا يطلبون الحق.

ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان، ويمكن أنهم خرجوا لينظروا في جمع طوائف المسلمين وضم تشردهم وردهم إلى قانون واحد، حتى لا يضطربوا فيقتتلوا، وهذا هو الصحيح لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار.

فأما الأقسام الأولى فكلها باطلة، وضعيفة، أما بيعتهم كرهاً فباطل، وقد بيناها، وأما خلعهم فباطل، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان. وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف؛ لأن الأصل قبله تأليف الكلمة.

ويمكن أن يجتمع الأمران، ويروى أن في تغيبهم قطعاً للشغب بين الناس. فخروج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم، فيرعوا حرمة نبيهم، واحتجوا عليها بقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن

---

(١) م/ النساء، حديث عائشة، ح/٢٤٧٥٨ (ص ١٨١٧)، والحاكم في مستدركه،، ح/ ٤٦٧١ (ص ٩٢٤)، وابن حبان في صحيحه، ح/٤٦٦٩٧، (ص ٩٢٤)، وقال ابن كثير في تاريخه (٣/٥٩٦): هذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه.

(٢) ينظر: كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل (ص ١٦٦).

نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤]. وقد خرج النبي ﷺ في الصلح، وأرسل فيه، فرجت المثوبة، واغتنمت الفرصة، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها)(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن وقعة الجمل وما جرى فيها من التقاتل بين الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم: (حرب الجمل جرى بغير اختياره ولا اختيارهم، فإنهم كانوا قد اتفقوا على المصالحة وإقامة الحدود على قتلة عثمان، فتواطأت القتلة على إقامة الفتنة آخراً كما أقاموها أولاً، فحملوا على طلحة والزبير وأصحابهما، فحملوا دفعاً عنهم، وأشعروا علياً أنهما حملا عليه، فحمل عليٌّ دفعاً عن نفسه، وكان كل منهما قصده دفع الصيال لا ابتداء القتال.

هكذا ذكر غير واحد من أهل العلم بالسير، فإن كان الأمر قد جرى على وجه لا ملام فيه فلا كلام، وإن كان قد وقع خطأ أو ذنب من أحدهما أو كليهما فقد عُرف أن هذا لا يمنع ما دل عليه الكتاب والسنة من أنهم من خيار أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين، وأنهم من أهل الجنة)(٢).

وقول المستشرق: (**ونادت إلى الأخذ بالثأر له من الخليفة الجديد، وقد التف حولها عدد من الهراب الذين تساقطوا إلى مكة... وانضم إليهم طلحة والزبير واستترا وراءها، وكانوا ثلاثتهم رؤساء وقواد الثورة على علي في جزيرة العرب**).

فهذا المستشرق وغيره من أهل الأهواء البدع من الرواة وغيرهم يحاولون إفساد ذات بين الصحابة رضي الله عنهم، وإلا فكيف تنادي عائشة رضي الله عنها بأخذ الثأر من علي رضي الله عنه، وهو لم يشارك مع أهل الفتنة، بل أرسل الحسن والحسين للدفاع عن عثمان رضي الله عنه وهو محاصر في داره.

وإن كان علي رضي الله عنه قد اتهم في قتل عثمان، وأنه ألَّب عليها فكذلك

(١) كتاب: العواصم من القواصم (ص ٣٠٢).

(٢) كتاب منهاج السنة (٦/٣٦٣).

عائشة رضي الله عنها بل جميع الصحابة رضي الله عنهم اتهموا بذلك[١] .

وفي قول المستشرق: (**وانضم إليها طلحة والزبير واستتر وراءها**) تشويه لسيرة بطلين من أبطال الإسلام ، عُرف عنهما التضحية والفداء ونصرة الإسلام والمسلمين ، ومشاركة الرسول ﷺ في قتال الكفار ، وقد سجلت دوواين السنة فضائلهم ومناقبهم بما لا مزيد عليه .

أما المستشرق هنا فيظهرهما بصورة جبناء يخرجون تحت قيادة عائشة رضي الله عنها؟!

وطلحة والزبير قد بايعا علياً رضي الله عنه طائعين غير مكرهين كما تقدم .

ولو قلنا أنهما بايعا مكرهين لكان ذلك طعن في خلافة على ، وأنها غير شرعية ، بايعه الثوار وغيرهم ليكون مطية لهم واستحلالاً لهم؟! فمن يقول بذلك غير أهل الأهواء والبدع والمستشرقين ، حاشا أهل السنة والجماعة أن يقولوا به أو يعتقدوه .

فعلي انعقدت بيعته عن طريق أهل الحل والعقد ، وخاصة الصحابة وعامة الناس .

وقوله: (وكانوا ثلاثتهم رؤساء وقواد الثورة على علي في جزيرة العرب) ، ويرد عليهم بما سبق ، وأنهم إنما خرجوا مسالمين داعين للإصلاح بين الناس .

وقول المستشرق: (ولكنهم لم يستطيعوا أن يبدأوا محاربته من مكة ؛ لأنه كان في المدينة ، وكانت المدينة أكثر عدداً من مكة بكثير ، فقرروا أن يخرجوا من جزيرة العرب وأن يقصدوا البصرة ، وكان لهم بها صنائع ولأهلها هوى في طلحة) .

كل ما سبق تعليلات سقيمة ، وبعيدة عن الحقيقة ، فالأمصار مثل الكوفة والبصرة وغيرها كانت بؤرة فتنة وفساد ، مع ما عرف عن بعض القبائل الساكنة فيها من الشغب ، والبداوة ، وقد فرَّخت فيها فتنة ابن سبأ وباضت ، وقد شاركت بمجموعة كبيرة من الناقمين الثوار والخارجين على خلافة عثمان رضي الله عنه ، وبقي بعضهم في المدينة

---

(١) ينظر: تاريخ اليعقوبي (ص ١٢١) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٦٧٠ وما بعدها) ، وتاريخ ابن كثير (٤/ ١٨٦) .

بعد حادثة مقتل عثمان ، وكان لهم نوع مشاركة في جيش علي رضي الله عنه .

فخرج الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم للإصلاح بين الناس ، وعلاج ما كان في نفوس قبائل الثوار التي خرجت لخلع عثمان رضي الله عنه ، وقتله حين رفض أمرهم ، وذلك حتى تستقر الأمور في دولة الخلافة الإسلامية .

ومع ذلك نجد أن الروايات التي في تاريخ اليعقوبي والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ، وتاريخ الطبري وغيرها تذكر أن خروج الصحابة رضي الله عنهم ، كان للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه(١) .

وهل هذا يستقيم عقلاً وواقعاً؟؟ أمصار عرفت بالتقلب والشغب وكثرة الخلافات من زمن خلافة عمر رضي الله عنه ، وعثمان رضي الله عنه ، وشارك مجموعة من أبنائها في قتل عثمان رضي الله عنه ، ثم تأتي جماعة من الصحابة تطالب بدم عثمان في عقر دارهم ، هل يتصور إلا خروجهم لمقاتلتهم؟

وأمر آخر: من فوَّض الصحابة رضي الله عنهم في المطالبة بدم عثمان ، أولياء الدم أو الخليفة ، إن كان أولياء الدم فليس لهم ذلك بل لا بد من التقدم للخليفة أو الإمام لطلب القصاص من القتلة ، وإن كان الإمام هو الذي فوضهم بذلك فلماذا يقاتلهم؟ وإن كانوا من أنفسهم فقد خرجوا على سلطة الخليفة ، وللإمام أو الخليفة مقاتلتهم حتى لا تكون الفوضى واضطراب الأمن .

والأخير هو الذي دلت عليه الروايات التاريخية الضعيفة ، والصحيح أن خروج الصحابة للبصرة كان اجتهاداً منهم للإصلاح بين الناس ، وكم من مريد للخير لا يناله ولا يصيبه .

كما أن تعليل المستشرق خروج الصحابة رضي الله عنهم إلى البصرة لقتال علي رضي الله عنه وترك البدء من مكة لقربها من المدينة ، هذا تعليل سقيم أيضاً .

---

(١) ينظر: تاريخ اليعقوبي (ص ١٢٥ وما بعدها) ، والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص ٢٠٦) ، وتاريخ الطبري (٣/ ٤ وما بعدها) ، وتاريخ ابن الجوزي (٥/ ٧٧ وما بعدها) ، وتاريخ ابن كثير (٤/ ٢٤٦) .

فهناك مسافة كبيرة بين مكة والمدينة تقدر بحوالي ٤٥٠كم ، أو سبع ليال وهذه ليست بقصيرة بل هي بعيدة ، فلو خرج الصحابة عليه ، رضي الله عنه وخلافته فقد يتأخر نبأ ذلك عن علي وهو في المدينة ، وقبائل قريش كانت متوزعة بين المدينة ومكة ، فلماذا يطالبون بدم عثمان من الجناة أنفسهم؟ لماذا لم يطالبوا بدم عثمان رضي الله عنه من مكة ويخرجوا بالمسلمين بعد الحج مثلاً لمحاصرة قتلة عثمان في المدينة؟

ولماذا لم يخرج الصحابة لوالي الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ويعقدوا معه اتفاقية للمطالبة بدم عثمان ، والخروج إلى الكوفة والبصرة في جيش قوي؟!

وإذا كانوا يريدون قتال علي رضي الله عنه ولم يرضوا بيعته بالخلافة ، لماذا لم يكن هناك اتفاق بين الصحابة وبني أمية وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه لخلع علي رضي الله عنه وتعيين طلحة أو الزبير؟!

كل ذلك دليل على تخبط أهل الأهواء والبدع والمستشرقين ومحاولتهم لتشويه سير وتاريخ الصحابة ، بروايات ضعيفة ، وتعليلات سقيمة لا تمت للواقع ولا للحقيقة بصلة .

أما المستشرق بليائيف (**Beliaev**) فيقول عن وقعة الجمل وما جرى فيها:(وبويع علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج ابنته فاطمة بالخلافة ، ولكن فئة من الصحابة التي كانت قد أثرت واحتلت مكانة اجتماعية بارزة راحت تعارض مبايعة علي بالخلافة ، ومن البديهي أن تضم جماعة المعارضين أقرباء الخليفة القتيل وعلى رأسهم طلحة والزبير تؤيدهما عائشة أرملة الرسول .

لم يكن بالأمر العسير على علي أن يقضي على هذه المعارضة ، ذلك لأن زعماء الفتنة تلك لم يلقوا تجاوباً كبيراً لدى عامة الشعب ، أضف إلى هذا أن جيشهم لم يكن ليستطيع الوقوف في وجه القوات التي حشدها علي ، والتي تعرف بالخريبة قرب البصرة

وفيها قتل طلحة والزبير هزمت وقوات طلحة والزبير في معركة الجمل)[١] .

فالمستشرق في هذا النص يلخص أيضاً عن أحداث وقعة الجمل ، ويرد عليها بما سبق في الرد على المستشرق فلهوزن ، ومع ذلك يلاحظ على نص المستشرق بليائف أنه يحاول فرض تفسيرات مادية لكل ما حصل في وقعة الجمل ، وذلك لأخذه بالمنهج المادي في كتاباته عن الصحابة مثل قوله: (بويع علي بن أبي طالب بالخلافة ولكن فئة من الصحابة التي كانت قد أثرت واحتلت مكانة اجتماعية بارزة راحت تعارض مبايعة علي بالخلافة) .

وقوله: (أضف إلى هذا أن جيشهم لم يكن ليستطيع الوقوف في وجه القوات التي حشدها علي) . ومن تحريفاته:

- أنه جعل سبب خروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم كان لمعارضتهم لبيعة علي رضي الله عنه بالخلافة . وهذا القول تفرد به لم ينقله حتى الرواة الكذابون والضعفاء ، وإنما الذي ذكره وهو غير صحيح أن خروج الصحابة للبصرة للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ، والصحيح كما تقدم أنه للإصلاح بين الناس .

- تسميته للصحابة الذين خرجوا إلى البصرة بـ زعماء الفتنة وهذا ظاهر البطلان ، فالصحابة ما خرجوا إلا احتساباً للأجر في الإصلاح بين الناس .

وهذا يدل على بُعد المستشرق عن الدقة والإنصاف في نقل ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم في موقعة الجمل .

وأما المستشرقة بوجينا ستشيجفسكا (**Stryzewska**) فتقول عن وقعة الجمل: (إن طلحة والزبير لما بايعا مكرهين تمكنا من الهرب إلى مكة وكانت بها عائشة قادمة للحج فأخبراها بقتل عثمان ، فاتفق الثلاثة أن يسيروا إلى البصرة ويدعوا أهلها لنصرتهم على المطالبة بدم عثمان ، فلما اجتمعوا بأهل البصرة وعلم بهم علي وكان يريد المسير إلى الشام لقتال معاوية ، رأى أن يبدأ بهم أولاً ، وحصل بين الفريقين مراسلات وسفارات

---

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٩٨) .

وكادت تؤدي إلى الصلح لولا أن قام أصحاب وأتباع ابن سبأ بالغدر والخيانة، فهجموا ليلاً على جنود طلحة والزبير وفوجئ الفريقان، وحصلت موقعة الجمل التي قتل فيها ١٠٠ رجل وانتصر علي وأرسل عائشة إلى المدينة مكرمة وشيعها بنفسه مسافة، وأرسل معها بنيه)[١].

والمستشرقة في هذا النص تنقل عن بعض الروايات التاريخية كما هي عند ابن جرير الطبري، وسبق أن بينا ضعف هذه الروايات، وعدم صحتها ولما فيها من القدح في الصحابة رضي الله عنهم والطعن في عدالتهم.

والمستشرقة عندها إنصاف، إلا أنها في بعض الأمور تنقل دون تحري لحقيقة الأحداث، وصدق الروايات التاريخية أو تحريفها.

وهناك نصوص أخرى لكثير من المستشرقين عن موقعة الجمل، إلا أنها تشترك في النقل عن تاريخ الطبري، أو نقل بعضهم عن البعض الآخر، لهذا أكتفي بما سبق منعاً عن الإطالة[٢].

٣ - موقف المستشرقين من وقعة صفين: لقد كانت وقعة صفين هي المعركة الثانية التي يتقابل فيها بعض الصحابة رضي الله عنهم ضد بعض، والتي كانت بين جيش علي رضي الله عنه ومن معه من أهل العراق وغيرهم، وجيش معاوية رضي الله عنه ومعه أهل الشام، والتي أسفرت عن قتلى وجرحى في كلا الطرفين، ثم توقفت بهدنة للصلح وتحكيم بعض الصحابة رضي الله عنهم.

كل هذه الأحداث استغلها أهل الأهواء والبدع وغيرهم لتشويه سير وتاريخ الصحابة رضي الله عنهم حيث خلعوا على بعض الصحابة ألقاب المكر والدهاء، والبعض الآخر الغباء والغفلة.

وقد نقل المستشرقون ذلك في مؤلفاتهم عن الإسلام وتاريخه، ولم ينظر أكثر في

---

(١) كتاب: تاريخ التشريع الإسلامي (ص ٩٠).

(٢) ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/ ٧٤١٨)، مادة: (علي بن أبي طالب)، و(١٠/ ٣٢٠٢)، مادة: (الجمل)، و(٢٢/ ٧٠٤٠)، مدة: (عائشة)، و(٢٢/ ٦٨٩٩)، مادة: (طلحة).

صحته من جهة أسانيد رواة التاريخ، وهذه بعض أقوال المستشرقين عن وقعة صفين:

يقول المستشرق دوزي (Dozy) عن (وقعة صفين) وهو تلخيص لما ذكره المسعودي في تاريخه (مروج الذهب ومعادن الجوهر)(١): (وكان من الواضح أن الفصل في الصراع بينهما لا بد وأن يكون للسيف في الساحة، «صفين» على الشاطئ الغربي لنهر الفرات حيث التقى الجمعان، وغبرت عدة أسابيع في مفاوضات فاشلة تخللتها مناوشات دامية وإن لم تؤد إلى نتيجة ما، إذ تجنب الفريقان الاشتباك في معركة عامة فاصلة، فلما فشلت كل محاولة للتوفيق احتدم القتال الذي أتاح لصحابة محمد فرصة حاربوا فيها بنفس الحمية التي اصطنعوها وقت إرغامهم البدو على اختيار واحد من اثنين: الموت أو الإسلام، فلما رأى عرب العراق أنفسهم على وشك الهزيمة كروا على العدو كرة صدق غير متوقعة، واشتد فرسان علي في الهجوم على أهل الشام حتى أرغموهم على التقهقر، فلما خال معاوية أن الهزيمة لاحقة به أعد دابته تأهباً للفرار، ثم جاءه عمرو بن العاص فقال له: «هلم مخباتك يا ابن العاص فقد هلكنا، وتذكر ولاية مصر». فأجابه عمرو – وكان قد بثَّ عيونه في جيش علي –: «مر رجالك من كان معه مصحف فليرفعه» . . . أنفذ معاوية مشورة عمرو برفع القرآن على أسنة الرماح)(٢).

فالمستشرق نقل عن المسعودي في تاريخ عن أحداث وقعة صفين والتي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وأخبارها مبسوطة ومسطرة في كتب التاريخ.

إلا أن كتب التاريخ جمعت الروايات التاريخية دون عناية بنقد هذه الروايات سنداً ومتناً، وقد كان من بين الرواة أهل بدع وأهواء من الرافضة وغيرهم، والذين حاولوا تشويه سير وتاريخ الصحابة رضي الله عنهم وافتعال المواقف والأحداث، واستنطاق شخصيات شاركت في القتال وغيره، وذلك لمصلحة من يقدمونه(٣).

فالرافضة والمتشيعة يقدمون علياً رضي الله عنه لذلك جاءت الروايات عن

---

(١) (٢/ ٣٧٤ – ٣٨٨).

(٢) كتاب: تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٤٧ – ٤٨).

(٣) ينظر: كتاب العواصم من القواصم (ص ٣٠٥).

الرافضة أو من كان على منهجهم مثل أبي مخنف وسيف بن عمر التيمي، والواقدي.

ويقول المستشرق بلياييف (Beliaev) عن وقعة صفين: (في عام ٦٥٧م التقى الجيشان، جيش معاوية الذي كان يتألف من السوريين، بجيش علي الذي كان يتألف من قبائل العراق في صفين الواقعة في الجزيرة العربية على الضفة اليمنى لنهر الفرات، إلا أن المعركة لم تكن حاسمة بدليل أن أحدهما لم يحرز انتصاراً عسكرياً على الآخر.

ويقول المؤرخون العرب أن عمرو بن العاص بدهائه وغدره حرم جيش علي من النصر، وذلك عندما رأى أن الجيش السوري قد يتعرض إلى هزيمة عسكرية أشار على معاوية برفع المصاحف على رؤوس الرماح علامة على النزول عند حكم الله لا عند حكم السيوف. لم يقبل علي بادئ الأمر بالتوقف عن القتال بل نزولاً عند إرادة فريق قوي من أتباعه، ولكن هناك من الأدلة ما يجعلنا نشك في صحة سياق الأحداث على هذا النحو)[(١)].

فالمستشرق أشار إلى جانب من وقعة صفين، والتي كانت بين جيش علي ومعاوية رضي الله عنهما.

لكن يبدو من سياق المستشرق وكلامه على وقعة صفين أن عنده شك في روايات وقعة صفين، وهذا الشك قوي، فأكثر من روى أحداث وقعة صفين هو أبو مخنف[(٢)]، وهو شيعي أخباري تالف. وهو بعيد عن الصدق، ومن يطالع رواياته في تاريخ الطبري يجد العجب، ومن الجراءة على الكذب والخيالات في مغامرات البطولة والفروسية، والتي ينسبها إلى جيش علي رضي الله عنه بخلاف جيش معاوية.

وقضية رفع المصاحف وما نسب إلى عمرو بن العاص من المكر والدهاء

---

(١) كتاب: العرب والإسلام والخلافة العربية (ص ١٩٩).

(٢) تاريخ الطبري (٣/٦٨ – ١١٣)، كتاب أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، تأليف الدكتور: محمد أمحزون، (٢/٢٠٧ – ٢٣٥)، وكتاب الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، د حامد محمد الخليفة (ص ٥٠٢ – ٥١٧).

والخديعة كل ذلك من صنع أبي مخنف ، فمن يقرأ أحداث وقعة صفين يجد فيها الاضطراب والتناقض ، والنظر بعين واحدة ، ومحاولة استنطاق الشخصيات وذلك لخدمة ما يتبناه راوي حدث وقعة صفين .

والمستشرق وغيره من المستشرقين في الأكثر أنهم ليس لديهم علم بدراسة أسانيد رواة أحداث صفين وغيرها . فشكهم في الأكثر بنظرهم إلى متون الروايات فقط ، ونظرهم إلى ما فيها من الاختلاف مع روايات أخرى ، أو التناقض فيما يثبتونه وينفونه .

ويشكك المستشرق بول (**Buhl**) فيما ذكر عن قصة التحكيم والتي كانت بعد صفين فيقول: (ورغم ما تبدو عليه هذه القصة من طرافة بما تحويه من نقاط وجيهة وما تتضمنه من تصوير بارز للشخصيات التي ظهرت فيها ، فلا يمكن أن نقطع بصحتها من الناحية التاريخية دون أن نزيدها بحثاً واستقصاء ذلك أن جميع الروايات التي بين أيدينا تكشف عن ميل إلى علي وبغض لمعاوية وبخاصة عمرو بن العاص الذي يُنسب إليه في غير تردد كل عمل ماكر ، ولذا فإننا نشعر إلى حد كبير جداً بالحاجة إلى وصف لهذه المعركة على لسان الفريق الآخر يمكن أن نتخذه وسيلة للتحقيق)[(١)] .

وما قاله المستشرق صحيح ، ووصف لما جاء في رواية أبي مخنف والتي ذكرها ابن جرير الطبري في تاريخه ، وقد تقدم الإشارة إلى ذلك .

وقد نقد ابن العربي ما جاء في الروايات التاريخية ، من أن عمرو بن العاص خدع أبا موسى الأشعري عندما كانا يحكمان بين علي ومعاوية ، وأنه ثبت معاوية وخلع أبو موسى علي بن أبي طالب من الخلافة فيقول: (هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه قط حرف ، وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع ، وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر في عصبة كريمة من الناس ، منهم عبدالله بن عمر ، ونحوه ، عزل عمرو معاوية)[(٢)] .

ويقول محب الدين الخطيب رحمه الله في تعليقه على قول ابن العربي الذي تقدم:

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢١/ ٦٥٤٣) ، مادة: (صفين) .

(٢) العواصم من القواصم (ص ٣١٠) .

(من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة ، فينشأ عن ذلك الاختلاف في الحكم عليه .

ومن ذلك: حادثة التحكيم وقول المغالطين أن أبا موسى وعمراً اتفقا على خلع الرجلين ، فخلعهما أبو موسى ، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية .

وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن خليفة ، ولا هو ادَّعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه ، بل إن أبا موسى وعمراً اتفقا على أن يعهد بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ، ولم يقاتل على الخلافة ، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان .

فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة . وكان يكون محل للمكر أو الغفلة لو أن عمراً أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولَّى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين ، وهذا ما لم يعلنه عمرو ، ولا ادعاه معاوية ، ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرناً الماضية .

وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي ، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سُمي معاوية أمير المؤمنين ، وأي ذنب لعمرو في أي شيء مما وقع؟ إن البلاهة لم تكن من أبي موسى ، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه)(١) .

وخلاصة الكلام في موقف المستشرقين من وقعة صفين أن المستشرقين على اتجاهين:

الأول: وهو فعل الكثير من المستشرقين بالنقل عن (وقعة صفين) من كتب التاريخ دون نقده ويمثل على ذلك بما ذكره المستشرق (دوزي) فيما نقله من تاريخ

---

(١) كتاب: العواصم من القواصم ، (ص ١٧٤ – ١٧٥) ، تحقيق: محب الدين الخطيب .

المسعودي عن وقعة صفين (واكتفيت به منعاً عن الإطالة).

وسار على هذا الاتجاه كل من: سنوك هورخرونيه في كتابه: (صفحات من تاريخ مكة)، (ص ١٠٥)، وفيليب حتي في كتابه: (تاريخ سورية ولبنان)، (ص٣١)، وجون باجوت جلوب في كتابه: (الفتوحات العربية الكبرى)، (ص ٥٩٧)، ودومنيك سورديل في كتابه: (الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي)، (ص ٣١)، وجوزيف بورلو في كتابه (الحضارة الإسلامية)، (ص ٣٤) وغيرهم.

وسير هؤلاء المستشرقون على ذلك يدل على أنهم وجدوا ما يوافق هواهم في الطعن في سير الصحابة رضي الله عنهم وعدالتهم.

وإلا فأين أقلامهم الناقدة التي تعارض كل ثابت وفضيلة في الإسلام؟!

الثاني: فعل قلة من المستشرقين، والذين حاولوا التشكيك أو نقد بعض ما جاء عن وقعة صفين، وذكرت له المثالين السابقين.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من آل بيت النبي ﷺ

التمهيد: المراد بآل البيت:

المراد بآل البيت، «آل» كما جاءت عند علماء اللغة[١]، يقول الجوهري رحمه الله: (وآلُ الرجل: أهلهُ وعياله، وآله أيضاً: أتباعه.

قال الأعشى[٢]:

فكذَّبُوها بما قالت فصبَّحهُمْ

ذو آلِ حَسَّان يُزْجي السَمَّ والسَلَعا

يعني جيش تُبَّعٍ) [٣].

ويقول ابن منظور رحمه الله: (وآل الرجل: أهْلُهُ. وآل الله وآل رسوله: أولياؤه، أصلها أهل ثم أُبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير: أأْل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً كما قالوا آدم وآخر)[٤].

وكما يقال آل البيت يقال: أهل البيت، قال ابن فارس رحمه الله في معنى «أهل»: (أهل: الهمزة والهاء واللام أصلان متباعدان، أحدهما الأهل.

---

(١) أوردت دائرة المعارف الإسلامية معنى آل البيت، وأهل البيت، بمعنى مختصر الأسرة، والأقارب، لذا أكتفي هنا بما ورد عند علماء اللغة العربية لكونه أجمع وأوثق. ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣٠)، مادة: (آل البيت)، و(٥/ ١٣٩٥)، مادة: (أهل البيت).

(٢) هو أعشى قيس، ميمون بن قيس بن ثعلبة، قدم يريد الرسول للإسلام، فحال كفار قريش بينه وبين مقصده، وقالوا: بأن الإسلام يحرم الخمر فرجع فسقط عن راحلته فمات، ينظر: كتاب السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٤٢٤)، وكتاب الروض الأنف (٣/ ٢٣٠).

(٣) كتاب الصحاح (٣/ ١٢٢٦)، مادة: (آل).

(٤) لسان العرب (١١/ ٣٠)، مادة: (أهل).

قال الخليل[١]: أخص النَّاس به، وأهل البيت سُكَّانه، وأهل الإسلام من يدين به، وجميع الأهل أهْلُون، والأهالي جماعة الجماعة)[٢].

والبيت: عيال الرجل[٣].

وقال الفيومي رحمه الله: ((أهَلَ) الرَّجُلُ (يأهَل) و(يأهِل) (أُهُولاً) إذا تزوج و(تأهَّل) كذلك، ويُطلقُ (الأهل) على الزوجة و(الأهلُ) أهل البيت والأصل فيه القرابةُ وقد أطلق على الأتباع)[٤].

وقال ابن منظور رحمه الله: (أهل: الأهل: أهل الرجل وأهْلُ الدار، وكذلك الأهْلة... وأهل المذهب: من يدين به. وأهل الإسلام: من يدين به. وأهل الأمر: ولاته. وأهل البيت سُكَّانه. وأهل الرجل: أخص الناس به. وأهل بيت النبي ﷺ: أزواجُه وبناته وصِهرهُ؛ أعني عليًّا عليه السلام، وقيل: نساء النبي ﷺ، والرجال الذين هم آله، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣])[٥].

فالحاصل من كلام علماء اللغة: أن الآل، وأهل البيت يطلق على الزوجة، والأولاد، والأقارب، والأتباع المختصين، والله أعلم.

وقد يسأل البعض فيقول: وهل هناك فرق بين القول: آل البيت وأهل البيت؟

---

(١) هو الخليل بن أحمد بن عبدالرحمن، أبو عبدالرحمن الفراهيدي الأزدي. نحوي لغوي عروضي، استنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم. له مصنفات مشهورة منها: كتاب العين، ولم يكمله، قيل كمله: النضر بن شُميل، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل. توفي سنة ١٧٥هـ. ينظر: كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة، (١/ ٣٧٦)، رقم (٢٣٥)، وكتاب البلغة في تاريخ أئمة اللغة، للفيروزآبادي، (ص ٧٦)، رقم (١٢٥)،.

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص ٧٨)، مادة (أهل)، ينظر: الصحاح (٢/ ١٢٢٧)، مادة: (أهل).

(٣) كتاب الصحاح للجوهري (١/ ٢٣٨)، مادة: (بيت).

(٤) المصباح المنير (ص ٢٠)، مادة: (أهـ ل).

(٥) لسان العرب لابن منظور (١١/ ٢٨)، مادة: (أهل).

والجواب: يقول أبو هلال[١] العسكري رحمه الله: (الفرق بين الأهل والآلِ، أن الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص، فمن جهة النسب قولك: «أهل الرجل» لقرابته الأدنين، ومن جهة الاختصاص قولك: «أهل البصرة» و«أهل العلم».

والآلُ خاصَّةُ الرَّجُل من جهة القرابة أو الصحبة، تقول: «آل الرَّجُل» لأهله وأصحابه، ولا تقول: «آل البصرة» و«آل العلم»، وقالوا: «آل فرعون» أتباعه، وكذلك «آل لُوْطٍ».

وقال بعضهم: الآل: عيدان الخيمة وأعمدتها، وآل الرجل مُشبَّهون بذلك لأنهم مُعتَمدُهُ، والذي يُرْفَعُ في الصحارى آلٌ لأنه يرتفع كما ترتفع عيدانُ الخيمة، والشخص «آل» لأنه كذلك)[٢].

المراد بآل البيت في الشرع: اختلف العلماء في المراد بآل بيت النبي ﷺ على أربعة أقوال[٣] وهي: القول الأول: هم الذين حرمت عليهم الصدقة، والقول الثاني: أنَّ آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، والقول الثالث: أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة، والقول الرابع: أنَّ آله ﷺ هم الأتقياء من أمته.

القول الأول: أن آله ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء[٤]:

---

(١) هو الحسن بن عبدالله بن سهل أبو هلال العسكري، الأديب اللغوي، له مصنفات جليلة منها: كتاب الأوائل، وكتاب الصناعتين، وكتاب التلخيص في اللغة، توفي حدود الأربعمائة. كتاب البلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص ٦٦) رقم (١٠١)، كتاب أنباه الرواة على أنباه النحاة، (٤/ ١٨٩) رقم (٩٦٥).

(٢) كتاب الفروق في اللغة، لأبي هلا ل العسكري (ص ٥٠٨).

(٣) استفدته من كتاب ابن القيم (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام)، (ص ٣٢٤ – ٣٣٧). وكتاب ابن القيم في ذلك أجمع لهذه المسألة حسب بحثي فاقتصرت عليه، مع تصرف وزيادة.

(٤) ينظر: كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني الحنفي (٢/ ٤٤)، وكتاب رد المحتار على الدر المختار حاشية محمد أمين بن عامر عابدين، ويليه حاشية قرة عيون الأخيار لنجل المؤلف، وتقريرات الرافعي (٣/ ٣٩٩)، وكتاب المعيار المعرب، لأحمد بن يحيى الونشريسي المالكي (١/ ٣٩٥).

أحدها: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب[١]، وهذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله في رواية عنه، **والثاني:** أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله والرواية عن أحمد رحمه الله.

والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب، فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلى بني غالب وهو اختيار أشهب[٢] من أصحاب مالك.

وعلى ما فيهم من الاختلاف، فحجتهم من وجوه:**أحدها:** ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالنَّخْل عن صرامه، فيجيء هذا بتمرةٍ، وهذا بتمرة حتى يصير عنده كون من تمر، فجعل الحسن والحسين يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرةً، فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه، فقال: (**أما علمت أنَّ آل محمد لا يأكلون الصدقة؟**)»[٣]. ورواه مسلم، وقال: (**أنَّا لا تحل لنا الصدقة**)[٤]، **الثاني:** ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «قام رسول الله » يوماً خطيباً فينا بماء يُدعى: «خُمّاً»[٥] بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وذكر، ووعظ، ثم قال: (**أما بعد، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك**

---

(١) والمراد ببني هاشم آل علي وآل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبدالمطلب. وبنو المطلب هم أولاد المطلب بن عبدمناف وجبير بن مطعم من أولاد نوفل بن عبدمناف، وبني أمية من أولاد عبد شمس بن عبدمناف. ينظر: المصادر السابقة. ويدل على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة، فقال رسول الله ﷺ: (إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيءٌ واحد)، ح/ ٣١٤٠، (ص ٦٣٩)].

(٢) هو أشهب بن عبدالعزيز بن داود بن إبراهيم القيسي، أبو عمرو الفقيه المصري، قيل: اسمه مسكين، وأشهب لقب، أخذ فقهاء مصر، وصاحب مالك. توفي سنة ٢٠٤هـ. ينظر: كتاب الكاشف (١/ ٢٥٤)، رقم (٤٤٩)، وكتاب تهذيب التهذيب، (١/ ٣٣٧)، رقم (٦٥٥).

(٣) كتاب الزكاة ح/ ١٤٨٥، (ص ٢٩٦).

(٤) كتاب الزكاة ح/ ١٦١، (ص ٤٣٥).

(٥) خُمٌّ: اسم موضع غدير بن مكة والمدينة، وهو على ثلاثة أميال من الجحفة، ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٤٨).

أن يأتيني رسول ربي عز وجل، وإني تارك فيكم ثقلين؛ أولهما: كتاب الله عز وجل، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به)، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، وقال: (**وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**).

فقال حصين بن سبرة[١]: ومَن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه من أهل بيته، ولكنَّ أهل بيته مَنْ حُرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[٢].

الدليل الثالث: ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: (أنَّ فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر؛ تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء الله على رسوله ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: (**لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال**)[٣]، يعني: مال الله الفيء وغيره، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل.

الدليل الرابع: ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن الحارث بن نوفل الهاشمي: أن عبدالمطلب بن ربيعة[٤] أخبره، أن أباه ربيعة[٥] بن الحارث قال لعبدالمطلب ابن ربيعة، وللفضل بن العباس[٦] رضي الله عنهم: ائتيا رسول الله ﷺ، فقولا له:

---

(١) هو حصين بن سبرة الكوفي، تابعي ثقة، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات (٢/ ٩٠)، رقم (٦٧١)، وقال: يروي عن عمر، روى عنه إبراهيم التيمي، وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل (٣/ ١٩٢) رقم (٨٣١)، وينظر: كتاب الإصابة (ص ٢٨١)، رقم (١٩٤٩).

(٢) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ح/ ٣٥، (ص ١٠٦١).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) هو عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي، سكن المدينة ثم الشام في خلافة عمر، ومات في إمرة يزيد، الاستيعاب (ص ٤٢٧)، وأسد الغابة (٣/ ١٦٢).

(٥) هو ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، وكان أسن من عمه العباس، ومات في خلافة عمر. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٢٣١)، رقم (٧٥٦)، وكتاب أسد الغابة (٢/ ١٧٨) رقم (١٦٣٥).

(٦) هو الفضل بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، يُكنى: أبا عبدالله، أمه أم الفضل لبابة الصُغرى بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، غزا مع رسول الله ﷺ حنيناً، وشهد معه حجة الوداع. وكان أجمل الناس وجهاً، لم يترك ولداً إلا أم كلثوم تزوجها الحسن بن علي رضي الله عنهما. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٦٠٣)، رقم (٢٠٨٣)، وكتاب أسد الغابة (٣/ ٤٦٠)، رقم (٤٢٣٨).

استعملنا يا رسول الله على الصدقات، فذكر الحديث، وفيه: فقال لنا: (**إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ النّاس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد**)(١).

الدليل الخامس: ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد(٢) – فذكر الحديث – وقال فيه: فأخذ النبي ﷺ الكبش، فأضجعه، ثم ذبحه، ثم قال: (**بسم الله، اللهم تقبل من محمد، ومن آل محمد، ومن أمة محمد ثم ضحى به**)»(٣).

وحقيقة العطف المغايرة، وأمته ﷺ أعم من آله.

القول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبدالبر في التمهيد(٤)، واستدل أصحاب هذا القول بالأدلة التالية:

الدليل الأول: ما جاء في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي(٥) رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله! كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: (**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**)(٦).

قالوا: والآل والأهل سواء، وآل الرجل وأهله سواء، وهم الأزواج، والذرية، بدليل هذا الحديث.

الدليل الثاني: احتجوا بما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) كتاب الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي على الصدقة ح/ ١٦٧، (ص ٤٣٦).

(٢) قوله: يطأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد، معناه: قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود، والله أعلم.
شرح صحيح مسلم، للنووي، ح/ ١٩، (١٣/ ١٧٨).

(٣) كتاب الأضاحي، ح/ ١٩، (ص ٨٧٧).

(٤) كتاب التمهيد، لابن عبدالبر (١٧/ ٣٠٢).

(٥) هو عبدالرحمن بن سعد بن المنذر الساعدي الأنصاري، أبوحميد الساعدي، غلبت عليه كنيته. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٤٤٩)، رقم (١٥٤٥)، وكتاب أسد الغابة، (٣/ ١٢١)، رقم (٣٣٢١).

(٦) أخرجه البخاري باب/ ١٠، ح/ ٣٣٦٩، (ص ٦٩٠)، ومسلم، ح/ ٦٩، (ص ١٧٣).

قال رسول الله ﷺ: (**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**)(١) .

ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة لم تنل كل بني هاشم ، ولا بني المطلب ؛ لأنه كان فيهم الأغنياء ، وأصحاب الجدة ، وأمَّا أزواجه ، وذريته ﷺ فكان رزقهم قُوتاً ، وما كان يحصل لأزواجه من بعده من الموال كن يتصدقن به ويجعلن رزقهنَّ قوتاً .

وقد جاء عائشة رضي الله عنها مال عظيم فقسمته كله في قعدة واحدة ، فقالت لها جارية: «لو خبأت لنا منه درهماً ؛ نشتري به لحماً؟ فقالت لها: لو ذكَّرتيني ، فَعَلْتُ»(٢) .

الدليل الثالث: احتجوا بما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما شبع آل محمد ﷺ من خبزٍ مأدومٍ بر ثلاثة أيام حتى لحق الله عز وجل) (٣) .

قالوا: ومعلوم أنَّ العباس ، وأولاده ، وبني المطلب لم يدخلوا في لفظ عائشة رضي الله عنها ولا مرادها . وإنما دخل الأزواج في الآل ، وخصوصاً أزواج النبي ﷺ تشبيهاً لذلك بالنسب ؛ لأن اتصالهن بالنبي ﷺ غير مرتفع وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة ، فالسبب الذي لهن بالنبي ﷺ قائم مقام النسب ، وقد نص النبي ﷺ على الصلاة عليهن ، وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع ، وآله من كل أوساخ بني آدم ، ويالله العجب! كيف يدخل أزواجه في قوله ﷺ: (**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**) . وقوله في الأضحية: (**اللهم هذا عن محمد وآل محمد**) . وفي قول عائشة رضي الله عنها: (ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز بُرٍّ) . وفي قول المصلي: اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، ولا يدخلن في قوله ﷺ: (**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**) . مع كونها من أوساخ الناس ، فأزواج رسول الله ﷺ أولى بالصيانة عنها ، والبعد منها .

(١) أخرجه البخاري في ح/ ٦٤٦٠ (ص ١٣٦٥) ، بلفظ: اللهم ارزق آل محمد قوتاً ، ومسلم في صحيحه ، ح/ ١٢٦ ، (ص ٤٢٤) . واللفظ له .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ٢٧٦) ، والحاكم في المستدرك ، ، ح/ ٦٨٠٥ ، (ص ١٢٩١) ، والدارقطني في كتابه المستجاد من فعلات الأجواد ، (ص ٦٠) ، رقم (٣٦) ، وقالت محققة الكتاب: الحديث حسن .

(٣) أخرجه البخاري ، ح/ ٦٦٨٧ ، (ص ١٤٠٥) ، ومسلم ، ح/ ٢١ ، (ص ١٢٨٧) نحوه .

فإن قيل: لو كانت الصدقة حراماً عليهن، لحرمت على مواليهن، كما أنها لما حرمت على بني هاشم؛ حرمت على مواليهم(١).

وقد ثبت في الصحيح(٢) أن بريرة(٣) تُصُدِّق عليها بلحم، (فأكلته)، ولم يحرِّمه النبي ﷺ، وهي مولاة لعائشة رضي الله عنها، قيل: هذا هو شبهة من أباحها لأزواج النبي ﷺ.

وجواب هذه الشبهة: أن تحريم الصدقة على أزواجه ﷺ ليس بطريق الأصالة، وإنما هو تبع لتحريمها عليه ﷺ، وإلا فالصدقة لهنَّ قبل اتصالهنَّ به، فهنَّ فرع في هذا التحريم، والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده، فلما كان التحريم على بني هاشم أصلاً استتبع ذلك مواليهم، ولما كان التحريم على أزواج النبي ﷺ تبعاً لم يقوَ ذلك على استتباع مواليهنَّ؛ لأنه فرع عن «فرع».

الدليل الرابع: احتجوا بقول الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ

---

(١) دليله ما روي عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً علي من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع: اصحبني كيما تصيب منها قال: لا، حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله، فانطلق إلى النبي فسأله فقال: الصدقة لا تحل لنا وإن مولى القوم من أنفسهم. أخرجه أحمد في مسنده، ح/ ٢٤٧٤، (ص ١٧٨٨)، وأبو داود، ح/ ١٦٥٠، (ص ٢٥٩)، والترمذي، ح/ ٦٥٧، (ص ١٦٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح/ ٦٥٧، (١/ ٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري ح/ ١٤٩٣، (ص ٢٩٨).

(٣) بريرة، مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، كانت مولاة لبعض بني هلال، فكاتبوها، ثم باعوها من عائشة، وجاء الحديث في شأنها بأن الولاء لمن أعتق، وقد جمع بعض الأئمة فوائد هذا الحديث فزادت على ثلاثمائة، ولخصها ابن حجر في فتح الباري. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٨٧٦)، رقم (٣٢٢٤)، وكتاب أسد الغابة (٥/ ٣٢٩)، رقم (٦٧٧٨)، وكتاب الإصابة (ص ١٦٤٩)، رقم (١١٦٠٥).

﴿فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[١] [الأحزاب: ٣٠ - ٣٤]. فدخلن في أهل البيت؛ لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن، فلا يجوز إخراجهن من شيء منه، والله أعلم.

القول الثالث: أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبدالبر عن بعض أهل العلم[٢]. واستدلوا على هذا القول بالأدلة التالية:

الدليل الأول: احتجوا لهذا القول بأن آل المتبوع، أتباعه على دينه وأمره، قريبهم وبعيدهم. واشتقاق هذه اللفظة تدل عليه، فإنه من آل يؤول إذا رجع، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم؛ لأنه إمامهم وموئلهم، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر: ٣٤]. المراد به: أتباعه وشيعته المؤمنون به من أقاربه وغيرهم[٣]. وقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] المراد به: أتباعه وشيعته[٤].

الدليل الثاني: احتجوا بأن واثلة[٥] بن الأسقع رضي الله عنه روى: =أن النبي ﷺ دعا حسناً وحسيناً، فأجلس كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة رضي الله عنها من حجره وزوجها، ثم لفَّ عليهم ثوبه، ثم قال: (**اللهم هؤلاء أهلي**)، قال واثلة: فقلت يا رسول الله! وأنا من أهلك؟ فقال: (**وأنت من أهلي**)' رواه البيهقي[٦] بإسناد جيد.

ومعلوم أن واثلة بن الأسقع من بني ليث بن بكر بن عبد مناة، وإنما هو من أتباع النبي ﷺ.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٩٠)، وتفسير البغوي (ص ١٠٤٠)، وتفسير ابن الجوزي (ص ١١٢٢).

(٢) ينظر: كتاب التمهيد (١٦/ ١٩٦، ١٧/ ٣٠٣)، وسنن البيهقي الكبرى (٢/ ١٥٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٨)، وتفسير البغوي (ص ١٢٥٤)، وتفسير ابن الجوزي (ص ٣٧٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٦)، وتفسير القرطبي (٨/ ٢٠٧).

(٥) هو واثلة بن الأسقع بن عبدالعزى الليثي، أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، ويقال: إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وكان من أهل الصفة، شهد المغازي بدمشق وحمص، ثم تحول إلى بيت المقدس، ومات بها، وهو ابن مائة سنة، . الاستيعاب (ص ٧٥٧)، أسد الغابة (٤/ ٣٠٠)، رقم (٥٤٣٠).

(٦) في السنن الكبرى، ح/ ٢٦٩٠، (٢/ ١٥٢)، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة، ح/ ١٠٧٧، (٢/ ٧٨٤)، وابن حبان في صحيحه، ح/ ٦٩٣٧، (ص ١٢٨٠).

القول الرابع: أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين[(١)]، والراغب[(٢)]، وجماعة. واستدلوا بالأدلة التالية:

الدليل الأول: احتجوا بما رواه الطبراني في معجمه[(٣)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سُئل رسول الله ﷺ من آل محمد؟ فقال: (تقيٌّ)، وتلا النبي ﷺ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]».

الدليل الثاني: أن الله عز وجل قال لنوح عليه الصلاة والسلام عن ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]. فأخرجه بشركِهِ أن يكون من أهله، فعُلم أنَّ آل الرسول ﷺ هم أتبعه.

وأجيب عنه: أنه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم، ووعدناك نجاتهم؛ لأن الله سبحانه قال له قبل ذلك: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]. فليس ابنه من أهله الذين ضمن له نجاتهم[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله: «وما يدل على صحة هذا، أن سياق الآية يدل على أن المؤمنين به قسم غير أهله الذين هم أهله لأنه قال سبحانه: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٤٠]. فمن آمن معطوف على المفعول بالحمل، وهم الأهل والاثنان من كل زوجين[(٥)].

الدليل الثالث: احتجوا بحديث واثلة بن الأسقع المتقدم قالوا: وتخصيص واثلة بذلك أقرب من تعميم الأمة به، وكأنه جعل واثلة في حكم الأهل تشبيهاً بمن يستحق

(١) هو القاضي حسين بن محمد بن أحمد المروذي، العلامة، شيخ الشافعية بخراسان، كان من أوعية العلم، ويلقب بحبر الأمة، توفي سنة ٤٦٢هـ. ينظر: تهذيب الأسماء (ص ١٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٦٠).

(٢) هو الراغب الأصفهاني.

(٣) المعجم الأوسط، ح/ ٣٢٣٢، (٣/ ٣٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد، (١٠/ ٢٦٩)، وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه نوح بن أبي مريم وهو ضعيف.

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٨)، وتفسير الكشاف للزمخشري (ص ٤٨٥)، وتفسير البغوي (ص ٦٢١)، وتفسير ابن الجوزي (ص ٦٥٥)، وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١).

(٥) كتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام (ص ٣٣٦).

هذا الاسم .

- **الصحيح من هذه الأقوال:** هو القول الأول ، ويليه القول الثاني ، وأما الثالث والرابع فضعيفان ؛ لأن النبي ﷺ قد رفع الشبهة بقوله: (**إن الصدقة لا تحل لآل محمد**) ، وقوله: (**إنما يأكل آل محمد من هذا المال**) ، وقوله: (**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**) ، وهذا لا يجوز أن يراد به عموم الأمة قطعاً ، فأولى ما حُمل عليه الآل في الصلاة ، الآل المذكورون في سائر ألفاظه ، ولا يجوز العدول عن ذلك .

المطلب الأول

موقفهم من بنات النبي ﷺ رضي الله عنهن

كتب المستشرقون عن بنات الرسول ﷺ الأربع، في (دائرة المعارف الإسلامية) وفي غيرها من كتبهم مثل كتاب: (فاطمة وبنات محمد)، للمستشرق والأب اليسوعي: هنري لامنس، - لم أظفر بهذا الكتاب إلا أنه أحد مصادر المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم في (دائرة المعارف الإسلامية)، وكذلك في كتاباتهم عن بنات الرسول ﷺ وخاصة فاطمة رضي الله عنه، ويكفيك من الشر سماعه، وهو مملوء من الأكاذيب والتهم للإسلام والمسلمين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وأصحابه -

وكتاب: (حياة محمد) للمستشرق مُدَّعي الإنصاف: إميل درمنغم.

هذه من أهم الكتب التي تُبين موقف المستشرقين من بنات النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

هذا وقد كتبت المستشرقة فكا (VACCA) عن زينب رضي الله عنها في (دائرة المعارف الإسلامية) في مادة بعنوان: (زينب بنت محمد) ثم قالت: (**إحدى بنات النبي ×، ويقال إنها أكبرهن...**)(١) إلخ.

وهي تنقل عن سير ابن إسحاق(٢)، ولم تذكر ما يمكن أن تُنقد، أو يفهم لها رأي في ذلك.

وكتب المستشرق بول (**BUHL**) عن رقية بنت الرسول ﷺ فقال:(ابنة النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] أجمعت المصادر على القول بأن النبي [صلى الله عليه وسلم] كان له من خديجة أربع بنات، ولكنها لم تتفق على ترتيب ولادتهن، ويشك أيضاً في تلك القصة التي تروي بنصها تقريباً عن اثنتين من بناته هما: رقية وأم كلثوم. إذ يقال: إن كل واحدة منهما قد تزوجت من أبناء أبي لهب عم النبي [صلى الله عليه وسلم]، وأن أبا

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٧/ ٥٤٢٠)، مادة: (زينب بنت محمد).

(٢) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٧، ٢/ ٢٦١).

لهب أجبر ولديه على تطليقهما عندما قام محمد [صلى الله عليه وسلم] بدعوته . وأكثر من ذلك إثارة للشك ما قد قيل من أن كل ولد من الولدين لم يكن قد دخل بزوجه عندما وقع الطلاق . ولو أن من المؤكد أنه قد مضى بعض الوقت قبل أن تحدث الفرقة بين أبي لهب وابن أخيه .

وإذا أردنا أن نتمشى مع الحديث وجب علينا أن نذهب إلى أن هاتين الأختين قد خُطبت لولدي أبي لهب ، ثم وقع الطلاق قبل الدخول كما حدث لعائشة في تاريخ متأخر عن ذلك .

ولعل الأرجح أن تكون هذه القصة قد وضعت لتنأى بأسرة النبي [صلى الله عليه وسلم] الطاهرة أن يدنسها ولد أشد الناس عداوة للنبي [صلى الله عليه وسلم] على أن الصعاب التي كانت تكتنف ذلك لم تكن قد اتضحت بعد ، وقد تزوجت رقية الحسناء بعد طلاقها عثمان بن عفان . . .)(١) .

فالمستشرق في كتابته عن رقية رضي الله عنها يشكك في طلاقها وأختها من ولدي أبي لهب ، ويرجح أن قصة الطلاق وضعت بقصد أن تنزه أسرة النبي ﷺ من مصاهرة أعداء دعوته .

ويمكن أن يرد عليه: أن قوله (كان له من خديجة أربع بنات، ولكنها لم تتفق على ترتيب ولادتهن).

وهذا القول صحيح ، فقد قال ابن عبدالبر رحمه الله: (والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار في ترتيب بنات رسول الله ﷺ أن زينب الأولى ، ثم الثانية رقية ، ثم الثالثة أم كلثوم ، ثم الرابعة فاطمة الزهراء رضي الله عنهن ، والله أعلم)(٢) .

وقال ابن القيم رحمه الله عن أولاد الرسول ﷺ: (أولهم القاسم . . . ثم زينب ، وقيل هي أسن من القاسم ، ثم رقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، وقد قيل في كل واحدة

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٧/ ٥١٨٩) مادة: (رقية) .

(٢) الاستيعاب (ص ٩٢٥) ، ترجمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ رقم (٣٤١١) ، وينظر للاستزادة: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٧) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٦٥) .

منهن: إنها أسنُّ من أختها . .)[١] .

وعلى هذا الترتيب أخذت في الكتابة عنهن في هذا المطلب .

وأما تشكيك المستشرق في قصة طلاق ابني أبي لهب من بنات رسول الله ﷺ فيجاب عليه: أن قصة هذا الطلاق، ذكرها ابن إسحاق صاحب السيرة، حيث قال: (وكان رسول الله ﷺ قد زوج عُتبة[٢] بن أبي لهب رُقيَّة، أو أم كلثوم، فلما بادى قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرَّغتم محمداً من همّه، فردُّا عليه بناته، فأشغلوه بهنَّ، فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارِق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شِئت؛ قال: لا والله، إني لا أفارق صاحبتي، وما أحب أنَّ لي بامرأتي امرأة من قريش . . . ثم مشوا إلى عُتبة بن أبي لهب فقالوا له: طلِّق بنت محمد ونحن نُنكحك أي امرأة من قريش شِئت؟ فقال: إن زوَّجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتُها . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن دَخل بها؛ فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهواناً له، وخَلَف عليها عثمان بن عفَّان بعده)[٣] .

وعن قتادة بن دعامة رحمه الله قال: (كانت رقية عند عتبة بن أبي لهب، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١] سأل النبي ﷺ عتبة طلاقها، وسألته رُقية ذلك فطلقها، فتزوجها عثمان بن عفان وتوفيت عنده)[٤] .

وقول المستشرق: (**ويشك أيضاً في تلك القصة...**) إلخ وقوله: (**وأكثر من ذلك**

(١) زاد المعاد لابن القيم (١/ ١٠٣) .

(٢) هو عتبة بن أبي لهب، واسم أبي لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أسلم هو وأخوه معتِّب يوم الفتح وكانا قد هربا، فبعث العباس فيهما، فأتى بهما، فأسلما، فسُرَّ النبي ﷺ بإسلامهما، ودعا لهما، وشهدا معه حنيناً والطائف ولم يخرجا عن مكة، ولم يأتيا المدينة. كتاب الاستيعاب (ص ٥٦٦)، رقم (١٩١٩) .

(٣) السيرة النبوية (٢/ ٢٦٣)، وينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير، ح/ ١١٠٥٠ (٢/ ٤٢٧)، قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده منقطع، مجمع الزوائد (٩/ ٢١٣) .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح/ ١٠٥٦ (٢/ ٤٣٤)، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه زهير بن العلاء ضعفه أبو حاتم، ووثقه ابن حبان، فالإسناد حسن، مجمع الزوائد (٩/ ٢١٧) .

إثارة للشك ما قد قيل من أن كل ولد من الولدين لم يكن قد دخل بزوجه عندما وقع الطلاق) .

كل شكوك هذا المستشرق لم يذكر لها أدلة ، وإنما هي من باب إثارة الشكوك الذي هو من مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم .

وأما قصة فراق ابني أبي لهب من بنتي رسول الله ﷺ فقد وردت في كتب السيرة وغيرها ، وفيها ضعف .

وأما قول المستشرق الأخير: (**وأكثر من ذلك إثارة للشك...**) إلخ .

وقوله: (وإذا أردنا أن نتمشى مع الحديث وجب علينا أن نذهب إلى أن هاتين الأختين قد خطبت لولدي أبي لهب ، ثم وقع الطلاق قبل الدخول كما حدث لعائشة في تاريخ متأخر عن ذلك) .

وليس هناك ما يدعو إلى الشك ، فأكثر الروايات على أن ابني أبي لهب لم يدخلا بابنتي رسول الله ﷺ وأنهما قد طلقتا قبل الدخول بهما(١) .

وقوله: (ولعل الأرجح أن تكون هذه القصة قد وضعت لتنأى بأسرة النبي [صلى الله عليه وسلم] الطاهرة أن يدنسها ولد أشد الناس عداوة للنبي [صلى الله عليه وسلم] على أن الصعاب التي تكتنف ذلك لم تكن قد اتضحت بعد) .

والمستشرق بول (BUHL) هنا يُرجح أن قصة طلاق ابنتي رسول الله ﷺ من ابني أبي لهب موضوعة من أجل بيت النبي ﷺ وشرفه ، وهذا ترجيح بلا مرجح إلا الظن والهوى . وهذا دليل عجز المستشرقين على معرفة دراسة الأسانيد والحكم عليها .

كما أن المستشرق مع ترجيحه إلا أنه يشير إلى عجزه بقوله: (على أن الصعاب التي تكتنف ذلك لم تكن قد اتضحت بعد) . كما يمكن أن يقال أن مُسوغ ترجيحه وهو قوله: (هذه القصة قد وضعت لتنأى بأسرة النبي [صلى الله عليه وسلم] الطاهرة أن

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٣) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٢٦١ ، ٢٦٢) ، وكتاب الذرية الطاهرة ، للدولابي (ص ٥٣) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٢) .

يدنسها ولد أشد الناس عداوة للنبي [صلى الله عليه وسلم]) .

لعله فهم من سبب منع النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه الزواج من ابنة أبي جهل فأراد أن يكرر علة المنع في كل حادثة تخص بنات الرسول ﷺ كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه – الحديث وفيه – «أن الرسول ﷺ قام فتشهَّد وقال: (أما بَعدُ: فإني أنكحتُ أبا العاص بن الربيع فحدَّثني وصَدقني ، وإن فاطمة بضعةٌ مِنِّي وإنِّي أكرَهُ أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنتُ رسول الله وبنتُ عدوٍّ الله عند رجل واحد) فترك عليٌّ الخطبة» .

وهذا الحديث متأخر ، وقصة طلاق بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما متقدمة ، فكيف تُقدَّم على متأخر؟!

وكتب المستشرق بول (BHUL) عن أم كلثوم رضي الله عنها فيقول: (إحدى بنات النبي [صلى الله عليه وسلم] وتذكر عنها الروايات أقل مما ذكرت عن أختها رقية . ويقال إن أم كلثوم تزوجت ابناً لأبي لهب ، ولكنه طلقها قبل أن يدخل بها نزولاً على إرادة أبيه ، وقد عرضنا لهذه المسألة في مادة: «رقية» وفيها يتضح أن أم كلثوم تزوجت حقاً أحد أبناء أبي لهب ، مما يؤيد هذا التفسير الشائع لكنيتها .

ومن الطبيعي أن يستبعد المتأخرون ما قيل عن وجود حفيد للنبي [صلى الله عليه وسلم] من أم كلثوم ، هذا ولا نجد ذكراً لزواجها إلا من عثمان ، فقد تزوجها بعد وفاة زوجته رقية)(١) .

فقول المستشرق هنا تتمة لما سبق أن ذكره في كتابته عن رقية بنت رسول الله ﷺ ، ففيما سبق شكك في قصة طلاق رقية وأم كلثوم من ابني أبي لهب . إلا أنه هنا يثبت الزواج ، وأن أم كلثوم لها ولد من هذا الزواج! وإلا فلِمَ سميت بأم كلثوم؟؟

والمستشرق هنا أُتي من قبل العجمة ، وعدم معرفته اللغة العربية ، بل ولا التاريخ ، والسيرة .

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١١٨٦/٤) مادة: (أم كلثوم) .

وأين من يهتم بالرطانة ويبهر بمؤلفات المستشرقين، ويُعلي قدرهم دونكم موسوعتهم (دائرة المعارف) فتأملوها؟! فقد مُلئت بالجهالات والتحريفات والمسخ لكل المعارف الإسلامية؟!

وأم كلثوم رضي الله عنها وإن كان اسمها على وجه الكنية، إلا أنه لم يعرف لها اسم غيره(١)، وهذا موجود في أسماء بعض الأشخاص، ومن أراد المزيد فعليه بكتب التراجم والأسماء والكُنى، كما أن أم كلثوم رضي الله عنها لم يعرف ولم يذكر بأنها قد أنجبت في زواجها من عثمان رضي الله عنه. فبطل بذلك ترجيح وقول هذا المستشرق.

وكتبت المستشرقة فيشيا فاجليري (VECCIA) عن فاطمة رضي الله عنها في دائرة المعارف الإسلامية بقوله: (فاطمة . . . ابنة محمد [صلى الله عليه وسلم] من زوجته خديجة بنت خويلد، وزوج علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) (٢)، وأم الحسن والحسين (رضي الله عنهما) وقد حققت شهرة عظيمة تفوق شهرة سواها من بنات محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد حظيت بتقدير وتوقير عظيمين من المسلمين كافة، لأنها عاشت لصيقة بأبيها كما أنها عاشت فترة أطول من إخوتها، ورزق محمد [صلى الله عليه وسلم] بأحفاد كُثر منها كان من سلالة انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي)(٣).

في هذه الكتابة عن فاطمة رضي الله عنها إنصاف، إلا أن المستشرقة لم تضف إلى ذلك أن لفاطمة رضي الله عنها فضائل ومناقب عظيمة دونت في دواوين السنة، وفي كتب السيرة والتراجم. وقد أشرت إلى ذلك فيما تقدّم وهذا يغني عن إعادته.

يقول لامنس (LAMMENS) فيما نقلته عنه المستشرقة فاجليري عن فاطمة رضي

---

(١) إلا أن الحاكم نقل عن الزبيري أن اسم أم كلثوم: أمية. ينظر: كتاب المستدرك ح/ ٦٩٤٢، (ص ٣١٥)، قلت: ولم أجد ذلك في كتاب الزبيري (نسب قريش).

(٢) لا ينبغي تمييز علي عن بقية الصحابة بذلك، وقد اتخذته الرافضة أعداء علي رضي الله عنه، ولهم في ذلك تعليلات لا تصح. ينظر: معجم المناهي اللفظية، الشيخ: بكر أبو زيد (ص ٤٥٤).

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/ ٧٧٠٦).

الله عنها: (امرأة غير جذابة، ذات ذكاء متوسط، مهملة لا يقدرها أبوها النبي [صلى الله عليه وسلم] إلا قليلاً، ويعاملها زوجها (الإمام علي) معاملة سيئة، مصابة بفقر الدم، تعاني المرض في غالب أيامها، نزاعة للبكاء، وربما تكون قد ماتت بداء السل(١))(٢).

هذا تصوير المستشرق لامنس لفاطمة رضي الله عنها، حيث حاول أن يرسم لفاطمة رضي الله عنها في مخيلة كل قارئ صورة مشوَّهة، لامرأة بائسة تحمل أنواعاً من الابتلاءات والمرض، ثم هي لا تحمل في حياتها ولا بدنها معنىً من المعاني الجميلة، أو الحياة السعيدة.

ويشاركه المستشرق إميل درمنغم (DERMEGHEM) فيصف فاطمة رضي الله عنها فيقول: (وكانت فاطمة نحيفة طويلة القامة مع شحوب.. وكانت فاطمة العابسة دون رقية جمالاً ودون زينب ذكاءً)(٣).

ووصف المستشرقين لفاطمة رضي الله عنها بهذا ظلم عظيم، ومحاولة لتشويه صورتها وسيرتها رضي الله عنها، ومن باب أولى المحاولة للدس وتشويه سيرة الرسول ﷺ، وتكذيبه في قوله عن فاطمة رضي الله عنها: **(سيدة نساء أهل الجنة)**. كما أن وصفهم لفاطمة رضي الله عنها لم يستندوا فيه على دليل.

وتشاركهم المستشرقة فاجليري وهي كاتبة مادة: (فاطمة) رضي الله عنها في دائرة المعارف الإسلامية، والتي أوردت قول المستشرق (لامنس) الذي تقدم، حيث تقول:(ومن المؤكد أن فاطمة لم تكن جميلة لأن المصادر سكتت عن منظرها بينما تحدثت عن جمال أختها رقية، واكتفت – أي المصادر – بأن ذكرت أن مشيتها كانت تشبه مشية أبيها)(٤).

---

(١) السُّل: أحد الأمراض الصدرية، داء رئوي يؤدي إلى هزال الجسم وذوبانه، ومنه السل الرئوي، والسل التدرني. ينظر: المعجم الهادي (٢/ ٣٧٨)، مادة: (سل). والمصباح المنير (ص ١٤٩)، مادة: (س ل ل).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/ ٧٧٠٧)، مادة: (فاطمة).

(٣) حياة محمد (ص ١٩٧).

(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/ ٧٧٢١)، مادة: (فاطمة).

وهل سكوت المصادر التي كتبت عن فاطمة رضي الله عنها يُعطي المستشرقين وغيرهم المبرر للقول بأن فاطمة رضي الله عنها غير جميلة؟

وهل هذا دليل قوي في ذلك؟ أم أنه مصادم للعقل؟

وأن الأصل السلامة في الأوصاف حتى يأتي دليل ينقله ويثبت غيره؟

الصحيح أن نتوقف في ذلك ولا نصف إلا بدليل صحيح ، وإلا فلو أخذنا بذلك ، لوصفنا كل ما لم نراه ، أو يذكر صفته في المصادر بالقبح ؛ وهذا لا يقول به عاقل .

وفي قول المستشرق لامنس عن فاطمة: (**ذات ذكاء متوسط...**) وقول المستشرق إميل درمنغم عنها: (**دون زينب ذكاءً**) هذا الوصف لم يستدلوا عليه بدليل ، ويكفي في الدليل على عقلها أنها رضي الله عنها لم تفشِ سر الرسول ﷺ عندما سارَّها بخبر قرب وفاته ، وأنها أسرع أهله لحوقاً به ، الحديث قد تقدَّم .

وأما قول المستشرق لامنس عن فاطمة رضي الله عنها: (**مصابة بفقر الدم، تعاني المرض في غالب أيامها... وربما تكون قد ماتت بداء السل**) .

وقول المستشرق درمنغم: (**وكانت نحيفة طويلة القامة مع شحوب...**) ، فهذا القول ووصف فاطمة رضي الله عنها بالمرض لم يحيلوا فيها على دليل ولا مصدر ، بل هو من أكاذيبهم للطعن في سيرة فاطمة رضي الله عنها ، خبثاً وفساد طوية .

تقول المستشرقة فاجليري عن ذلك: (ولا ندري في الحقيقة كيف استنتج (لامنس) أنها ماتت بالسل وأنها كانت مريضة دائماً ، فما ورد في هذا الصدد ليس هناك مصدراً يقيني عليه . . .)[1] .

وفي موضع آخر تقول: (ولا يمكن وصفها بأنها امرأة واهنة مريضة كما ذهب لامنس اعتماداً على حديثين (شريفين) لا بد أنهما قيلا في ظروف خاصة ، فهناك حقائق أخرى تفيد عكس ما ذكره (لامنس) فقد كانت ولوداً أنجبت خمساً ، كما كانت تقوم بأعمال بيتها بنفسها وقامت برحلتين إلى مكة ، كل ذلك يشير إلى أنها كانت صحيحة البدن ، وتشير كل الوقائع إلى

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/٧٧٠٨) ، مادة: (فاطمة) .

أنها كانت امرأة صبورة دؤوبة تعمل بجد وأنها كانت تجد متعة في مساعدة الآخرين)[(١)] .

ولعل بعد نقل قول هذه المستشرقة في الرد على المستشرق لامنس يتبين مقدار التجني والتحريف وتزوير سيرة فاطمة رضي الله عنها ، وأما ما أشارت إليه بقولها: (**ذهب لامنس اعتماداً على حديثين**) . فلعلها تقصد الحديث الذي فيه: عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي ﷺ إذ أقبلت فاطمة فنظرت إليها وقد ذهبَ الدم من وجهها وعَلَتْها الصفرة من شدة الجوع»[(٢)] الحديث ، وليس في هذا الحديث متمسك له في حكمه على فاطمة رضي الله عنها بالمرض ، حيث ذكر الحديث أعراض الجوع التي علت فاطمة رضي الله عنها ؛ ولم يذكر أنها مريضة .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ عاد فاطمة وهي مريضة فقال لها: (**كيف تجدين يا بنية؟**) قالت: إني لوجعةٌ ، وإنه ليزيدني أني ما لي طعام آكله[(٣)] ، الحديث .

وهذان الحديثان ضعيفان ، وعلى فرض صحتهما فهما لا يدلان أن فاطمة رضي الله عنها أنها كانت ملازمة للفراش ، أو أنها مصابة بفقر الدم ، أو بالسل على حد قول المستشرق لامنس ، بل كانت تعاني من الجوع .

وهذا كله يرد على كل من قال بأن فاطمة رضي الله عنها مصابة بالمرض .

وتصف المستشرقة فاجليري (**VAGLIERI**) حياة فاطمة رضي الله عنها الزوجية مع علي رضي الله عنه وتحت عنوان: (الخلافات الزوجية) فتقول: (لم يكن علي وفاطمة يعيشان في وفاق دائم ، وكان علي (كرم الله وجهه) يعامل فاطمة بالغلظة فكانت تشكوه

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/ ٧٧٢٢) ، مادة: (فاطمة) .

(٢) أخرجه الطبراني الأوسط ، ح/ ٣٩٩٩ ، (٤/ ٢١٠) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٤٦٢) ، وقال الهيثمي: فيه عتبة بن حميد أبو معاذ وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه جماعة وبقية رجاله وثقوا ، مجمع الزوائد (٩/ ٢٠٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٤٢) ، وابن عبدالبر في الاستيعاب (ص ٩٩٦) ، رقم (٣٤١١) ، ترجمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وابن حجر في الإصابة (ص ١٦٧١) ، رقم (١١٧٥٩) ، ترجمة خديجة بنت خويلد . والمناوي في إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب (ص ٧٦) ، وسنده واهٍ جداً .

لأبيها، وكان البشر يعلو وجه الرسول [صلى الله عليه وسلم] عندما يوفق بينهما) [(١)] .

وقد تقدم قول المستشرق لامنس: في وصفه لفاطمة رضي الله عنها (ويعاملها زوجها (الإمام علي) معاملة سيئة) .

ويقول المستشرق درمنغم (DERMNGHEM): (وكانت فاطمة تعدُّ عليًّا دميماً [(٢)] محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان عليٌّ أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه مع ذلك . . . وكان علي يحرد [(٣)] بعد كل منافرة [(٤)] ويذهب لينام في المسجد، وكان حموه النبي يُربّته [(٥)] على كتفه ويعظه ويوفّق بينه وبين فاطمة إلى حين . ومما حدث أن رأى النبي ابنته في بيته ذات مرة وهي تبكي من لَكْمِ [(٦)] علي لها) [(٧)] .

فوصف هؤلاء المستشرقين لحياة فاطمة رضي الله عنها مع زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تزوير لسيرتهما، وتشويه لها، وقوله: (**رأى النبي ابنته**) إلخ هذا أمر لم يقم على دليل صحيح ولا ضعيف .

وأما مسألة الخلاف الذي يحدث بينهما، فهو كأي خلاف يحدث بين الزوجين، بل هذه المنغصات مما تتعرض له الحياة الزوجية .

وبنظرة أخرى إلى بيت النبي ﷺ نجد أنه لم يخلو من بعض المشكلات التي يعمل الرسول ﷺ على حلها، بحكمة وروية .

وخلاصة الأمر: أن المستشرقين حاولوا بكل جهدهم على تشويه سيرة فاطمة رضي الله عنها؛ لأنه ساءهم أن تكون سيدة أهل الجنة، فبدت البغضاء من أفواههم،

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٥/ ٧٧١٤)، مادة: (فاطمة) .

(٢) دميماً: الدميم: القبيح . مختار الصحاح (ص ١٢٤)، مادة: (د م م)، المصباح المنير (ص ١٠٥) .

(٣) يحرد: الحرد: الغضب . مختار الصحاح (ص ٨٢)، مادة: (ح ر د)، والمصباح المنير (ص ٧٠) .

(٤) منافرة: مُخاصمة . معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٠٢)، مادة: (نفر)، والصحاح (١/ ٦٧٠)، مادة: (نفر) .

(٥) يُربّتهُ: يضرب بيده على جنبه قليلاً قليلاً . المعجم الوسيط (١/ ٣٢١)، مادة: (ربت)، والمنجد في اللغة والأعلام (ص ٢٤٤)، مادة: (ربت) .

(٦) لكم: اللَّكم: الضرب باليد مجموعة . معجم مقاييس اللغة (ص ٩٢٥)، مادة: (لكم) .

(٧) كتاب: حياة محمد (ص ١٩٩) .

وتكلموا بالباطل ظلماً وعدواناً ، وأما بقية بنات الرسول ﷺ فلم تكن لهن من المناقب والفضائل مثلما هو لفاطمة رضي الله عنهن أجمعين ؛ لوفاتهن في زمن متقدم في حياة النبي ﷺ ، وقد يكون لهن من الفضائل التي لم تنقل لنا ، والله أعلم .

* * *

المطلب الثاني

موقفهم من حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه

كتب المستشرقون عن حمزة رضي الله عنه نقلاً عن كتب السيرة وغيرها، فهم نقلة لذلك إلا أنهم ضمَّنوا تلك النقول رأيهم في حمزة رضي الله عنه وقرابته من رسول الله ﷺ وجهاده ونصرته للإسلام، ومع ذلك انفردوا برأي غريب وعجيب في مكانة ومنزلة حمزة رضي الله عنه في قومه قبل إسلامه، وعند الرسول ﷺ وعند الصحابة رضي الله عنهم بعد إسلامه.

حيث حاول المستشرقون التقليل من شأنه في قومه قبل إسلامه، وأن الأخبار وُضعت لتعظيمه، وأنه بطل الإسلام.

حيث يقلل المستشرق مونتجمري وات (MOTGOMERY. WATT) من منزلة ومكانة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه في قومه قبل إسلامه فيقول: (وكان حمزة وهو عم محمد ومن سنه، محترماً كمحارب ولكن ربما لم يكن له وزن كبير في مجالس القبيلة. وتظهر مكانة حمزة وجعفر المتواضعة في قبيلتهما في أنهما تزوجها من قبيلة قحطان البدوية بينما تزوج أبو لهب، الذي ربما أصبح سيد القبيلة عند وفاة أبي طالب، وكان من أشد مناوئي محمد، فتاة حرب بن أمية سيد قبيلة عبدشمس لفترة من الزمن، وهو من أقوى الشخصيات في مكة)(١).

فيرى هذا المستشرق أن حمزة رضي الله عنه وإن كان له مكانة في بني قومه في الحرب، إلا أنه لم يكن له منزلة في مجالس قريش من حيث أخذ الرأي والمشورة، والسمع والطاعة، ويعزو ذلك إلى زواجه من قبيلة بعيدة عن قريش.

وهذا القول من هذا المستشرق يريد به التقليل من شأن إسلام حمزة رضي الله عنه، وأنه لم يكن له زعامة في قريش، ثم يعلل ذلك بأمر بعيد وأن حمزة وجعفر رضي الله عنهما قد تزوجا من خارج قبيلة قريش، ولم يستدل لذلك، إلا أنه أصبح يعقد

---

(١) كتاب محمد في مكة (ص ١٤٨).

مقارنة بينه وبين أبي لهب في السيادة والزوجة ، وأن أبا لهب كانت له سيادة في قريش هذا فضلاً عن زواجه ببنت سيد قبيلة بني أمية .

وحمزة رضي الله عنه وإن لم يكن مع صناديد الكفر من قريش في دار الندوة إلا أنه كان له مقام بينهم في النسب والشجاعة والكرم ، ولذا لما أساء أبو جهل إلى الرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب ، ضربه حمزة وشجه شجةً منكرة(١) ، ولم يستطع أبو جهل الانتقام منه لقوته ومكانته في قريش ، ولو كان من أقلهم مكانة ومنزلة في قريش ، ولم يكن قوم ينصرونه ما سكت أبو جهل وهو الظالم قولاً وفعلاً ، وكما أني لم أجد أن في زواج حمزة وجعفر رضي الله عنهما من خارج القبيلة أثر في مكانتهما في قبيلة قريش .

ولم يكن الزواج من خارج القبيلة في يوم من الأيام مُضعف أو مُقلِّل من قيمة الشخص ومكانته في قبيلته ، بل هناك غيرهما قد تزوج من خارج قبيلة قريش ، وعلى رأسهم خير البشرية جمعاء الرسول ﷺ قد تزوج من خارج القبيلة ، مما قوى جانب من تزوج منهم ، وكذلك غيره من رجال قريش ، وهكذا الرؤساء والملوك على مر التاريخ والزمن مازالوا يتزوجون من خارج أسرهم وقبائلهم وأوطانهم ولم يؤثر على مكانتهم .

يقول المستشرق لامنس (LAMMENS) عن مكانة ومنزلة حمزة رضي الله عنه بعد إسلامه: (حمزة بن عبدالمطلب ، عم النبي [صلى الله عليه وسلم] وتزيد الروايات أنه أخوه في الرضاعة سعياً منها إلى تمجيد هذا البطل من أبطال الإسلام في عهده الأول ، ولا نعرف عن حمزة فيما عدا ذلك إلا القليل)(٢) .

فيرى أن بعض الروايات سعت إلى تمجيد حمزة رضي الله عنه وقالت بأنه أخ للرسول ﷺ من الرضاعة حتى يُعد بطل من أبطال الإسلام .

بينما يتهم المستشرق بول (BUHL) الأخبار ورواتها بميلهم إلى تمجيد وتعظيم

---

(١) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق (١/ ٢١١) ، وكتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٢٨) ، وهذا الخبر صحيح ، كما جاء ذلك في كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٢٤٤) . .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ١٠١) ، مادة: (حمزة بن عبدالمطلب) ، موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٤/ ٤٢٥٣) ، مادة: (حمزة بن عبدالمطلب) .

مكانة حمزة رضي الله عنه فيقول: (**فالأخبار كلها متفقة في ميلها إلى تمجيد حمزة**)[1].

وهذان القولان فيهما شيء من التشكيك في منزلة ومكانة حمزة رضي الله عنه، واتهام الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وأنهم وراء محاولة وضع روايات وأخبار ترفع من شأنه، وأنه بطل من أبطال الإسلام الأوائل.

وكل هذا من أبطل الباطل، واتهام المستشرقين للصحابة رضي الله عنهم بوضع الأحاديث عن الرسول ﷺ تتكرر في كثير من كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم.

ويصدق فيهم قول القائل: «رَمَتْنِي بِدَائها وانْسَلَّت»[2].

وقول المستشرق لامنس: (**تزيد الروايات أنه أخوه في الرضاعة سعياً منها إلى تمجيد هذا البطل من أبطال الإسلام**) قول مُتحامل بعيد عن الفهم والإنصاف.

يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: (هذا المستشرق «لامنس» عجيب في آرائه واستنباطاته! والعصبية تطغى على بصره والحقد على الإسلام يطمس بصيرته، يريد تكذيب الأحاديث والروايات الإسلامية بكل وجه وحيلة، فيندفع حتى يأتي بما لا يخطر على بال بشر!

حمزة بن عبدالمطلب: سيد الشهداء، وعم رسول الله ﷺ، وفضله يعرفه كل مسلم، أما أن يجهله «لأب لامنس» فلا يُقدِّم ولا يؤخر، بل إنه يعرفه وينكره، وقد وصف الله في القرآن أقواماً مثله، كانوا من قبله، وكانوا في عصر رسول الله ﷺ، يرونه ويجالسونه، فيقول الله فيهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. فماذا يزيد في فضل حمزة أن يكون أخاً لرسول الله في الرضاع، وماذا ينقص من فضله أن لا يكون أخاه من الرضاع.

وأفضل الصحابة – على الإطلاق – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ومع ذلك لم يكذب المسلمون – في زعم الأب لامنس – فيدَّعوا أن واحداً من هؤلاء كان أخاً لرسول

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٤٥٣)، مادة: (أحد) ولا يوجد في طبعة دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) هذا المثل يضرب لمن يُعَيِّر صاحبه بعيب هو فيه. كتاب مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني (ص ٢٨٦).

الله في الرضاع! ثم هذا الخبر في أن حمزة أخو رسول الله ﷺ من الرضاع، هل جاء في أثناء ذكر مناقب حمزة في سياق الرواية؟ كلا. كلا إنه إنما جاء عرضاً، حين عرض علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ أن يتزوج بنت حمزة، فأجابه: (**إنها ابنة أخي من الرضاعة، وأنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب**)[١].

فقد جاء هذا في سياق تقرير حكم شرعي يتعلق بالحِل والحرمة، يعلمهم رسول الله ﷺ جعل الرضاع بمنزلة النسب، وحرم فيه من النكاح ما حرم من النسب، لم يذكر قط في سياق مدح حمزة أو ذكر مناقبه.

ويتضح من ذلك: أن الأب لامنس لم يستطع فهم معنى الحديث، في أخوة حمزة من الرضاع على معناه الدقيق الواضح الذي يعرفه كل مسلم من عالم وجاهل. فظن أن هذا الخبر إنما يُراد به إثبات صفة جديدة بقصد التمجيد، فكتب ما كتب)[٢].

وقول المستشرق لامنس: (**لا نعرف عن حمزة فيما عدا ذلك إلا القليل**).

ويرد عليه: بأن الرواة وكتب الأخبار والتراجم لم تسطر كل صغيرة وكبيرة في حياة كل صحابي من إسلامه حتى وفاته، وإنما ذكروا ما كان له شأن كبير، وأثر عظيم في تاريخ الإسلام، هذا في الغالب.

كما أن حمزة رضي الله عنه استشهد في وقت مبكر، في غزوة أحد، وكل ما تقدم وفاته أو استشهاده فالأكثر أن أخباره وسيرته تكون موجزة ومختصرة بخلاف غيره من الصحابة رضي الله عنهم الذين تأخرت وفاتهم.

وحمزة رضي الله عنه كانت له بلا شك فضائل ومناقب وجهاده ونصرته للإسلام والمسلمين قد دونت في كتب السير والتراجم والتاريخ، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو ضعيف[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٤/ ٤٢٥٣)، مادة: (حمزة بن عبدالمطلب).

(٣) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٢٨، ٣/ ٧٧)، وكتاب المغازي، للواقدي (١/ ٢٤٤ وما بعدها)، وكتاب الاستيعاب (ص ١٣٥)، رقم (٣٨٧).

المطلب الثالث

موقفهم من العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه

لقد حاول بعض المستشرقين التقليل من شأن العباس رضي الله عنه، والطعن في سيرته وإسلامه ونصرته للرسول ﷺ، وما جاء به من الدعوة إلى دين الإسلام، وأن ما جاء في كتب السير والتاريخ وغيرها هو من وضع المؤرخين في زمن الدولة العباسية.

وهذه أهم آراء المستشرقين في العباس رضي الله عنه والتي أودعوها في مؤلفاتهم: فيرى المستشرق جولد تسيهر (GOLDZIHER) أن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عم الرسول ﷺ أحيطت شخصيته بشيء من التعظيم والتكريم مع أنه قد قاوم دعوة الإسلام فيقول: (**وفي هذه الروايات أُحيط العباس بهالة من القداسة بالرغم من أنه قاوم دعوة النبي زمناً طويلاً**)(١).

بينما يرى المستشرق بودلي (BODLEY) خلاف رأي جولد تسيهر وأن العباس رضي الله عنه قد احتفظ بصداقة المسلمين وأعدائهم من كفار قريش فيقول: (**لم يقم النَّهاز للفرص ذو العقلين بشيء جليل في حياته إلا إذا حسبنا مهارته في صداقة كلا طرفي الخصومة لمدة طويلة، ولكن اسمه قد خُلِّد إلى الأبد في تاريخ الإسلام**)(٢).

وأما قول المستشرق جولدتسيهر: (... **أحيط العباس بهالة من القداسة**) فلم يستند إلى دليل، وهو كذب بواح، فما ذُكر في حقه من الفضائل والمناقب والأخبار أقل من غيره من أهل البيت من أمثال علي وبنيه رضي الله عنهم، فقد ذكر فيهم من الأخبار والفضائل والمناقب الضعيفة والموضوعة ما لو جمع لكان في أسفار عظيمة، وهذا لا يعني أنه لا يصح لهم فضائل ومناقب ذكرت عن المصطفى ﷺ (حاشا لله) في تنقصهم، فهم خير الصحابة رضي الله عنهم.

(١) دراسات محمدية، لجولدتسيهر، نصوص مترجمة في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في ليبيا، الفصل الثالث، العدد ٨، (ص ٥٤).

(٢) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٢٩١).

تقول المستشرقة بوجينا ستشيجفسكا (STRYZEWSKA) عن العباس رضي الله عنه، وفي هذا القول عدل وإنصاف ورد على ما تقدم من أقوال المستشرقين: (. . . العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، وهو عم الرسول، وكان العباس من سادات بني هاشم وعقلائهم، وكان صديقاً وفياً لأبي سفيان بن صخر بن حرب. ولما جاء الإسلام كان من المخلصين للرسول، وإن لم يظهر متابعته، وقد حضر معه ليلة العقبة لإحكام بيعة الأنصار له وأخذ العهد عليهم أن يدافع عن الرسول إذا ما جرى عليهم، ولما كانت واقعة بدر خرج مع قريش مكرهاً وأسر [مع] من أسر وفدى نفسه وبني أخويه، عقيل بن أبي طالب، ورجع إلى مكة وكان يخبر الرسول بأخبار قريش، كما كان يتقوى به المستضعفون من المؤمنين. . . وكان الرسول يحبه ويكرمه وأكرمه الخلفاء من بعده. . .)(١).

كما أن المستشرق جولدتسيهر في قوله السابق قد أخطأ مرتين في قوله: (الأولى: عندما أحال القارئ إلى صحيح البخاري (كتاب الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله) (٢) موهماً إياه بأن ثمة دليلاً على قوله في الموضع المشار إليه من صحيح البخاري، بينما الكلام في صحيح البخاري عن أبي طالب عم النبي ﷺ، وقد حضرته الوفاة، وكان النبي ﷺ يرجو إسلامه ولكنه مات على دين عبدالمطلب وليس في الخبر ما يتعلق بالعباس.

الثانية: عندما اتهم العباس بن عبدالمطلب بمقاومة الدعوة، وهو ما تكذبه كتب السيرة، وفساد ذلك من وجوه:

١ - حضوره مع ابن أخيه ﷺ إلى الشِّعْب، وهو يومئذ على دين قومه ليأخذ له المواثيق من الأوس والخزرج في بيعة العقبة، وتكلم فيهم كلاماً حسناً ذكره ابن هشام في سيرته(٣).

---

(١) كتاب تاريخ التشريع الإسلامي (ص ١٩٤).

(٢) ح/ ١٣٦٠ (ص ٢٦٧).

(٣) (٢/ ٥٥).

٢ – قصته مع رؤيا عاتكة[١] بنت عبدالمطلب، وتبشيره الناس بها على أن يكتموا أمرها لما فيها من بشارة بنصرة الدعوة، وكان ذلك قبل أن يسلم[٢].

٣ – لم يخرج العباس إلا مرة واحدة في جيش قريش بوقعة بدر وكان الرسول ﷺ قد طلب من أصحابه ألا يقتلوا العباس إذا لقوه لخروجه مُكرهاً[٣].

٤ – ثبوته يوم حنين مع نفر من المهاجرين والأنصار وأهل البيت كما ذكر أصحاب السير[٤].

فمن كانت هذه حاله، فليس من الإنصاف أن يقال في حقه بأنه =قاوم الدعوة زمناً طويلاً" وقد شهدت الأخبار على أنه كان خير ناصر لابن أخيه، وخير مؤيد لدعوته، وإن لم يشهر إسلامه، وحسبه أنه أسلم، وغزا مع النبي ﷺ، ومات على الإسلام رضي الله عنه وأرضاه[٥].

وأما في قول المستشرق بودلي (BODLEY) ففيه شيء من التعارض فيقول: (**لم يقم بشيء جليل، ولكن اسمه قد خُلّد إلى الأبد في تاريخ الإسلام**).

إذا كان لم يقم بشيء فكيف يُكرَّم، وكيف يُخلَّد من لم يقم بشيء من الإنجازات والانتصارات؟، إلا إذا قصد بتخليد اسمه من ناحية أنه جد خلفاء بني العباس فهذا شيء آخر.

ومع ذلك خُلّد رضي الله عنه إلا أنه قد قام بنصرة الإسلام والمسلمين، وكيف يسكت المؤرخون والرواة وغيرهم أكثر من ألف عام عن ذلك ولا يسجلوه، مع اختلاف الأزمنة، والدول.

---

(١) هي عاتكة بنت عبدالمطلب بن هاشم، عمة الرسول ﷺ، اختلف في إسلامها، ما بين مثبت ونافي والله أعلم بالصواب. ينظر: الاستيعاب (ص ٩٢٤)، رقم (٣٤٠٦)، وأسد الغابة (٥/ ٣٣٨)، رقم (٧٠٨٩).

(٢) كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢١٩).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٤٠).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٩٣)، والسيرة النبوية لابن حبان (ص ٢٥٥)، [هي الجزء الأول من كتاب ابن حبان الثقات (١/ ١٣٣)]، وزاد المعاد، لابن القيم، (٣/ ٤٦٩).

(٥) تعليقات على الفصل الثالث من كتاب (دراسات محمدية) لاجنتس جولد تسيهر) تعليق وترجمة/ الصديق بشير نصر، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد ٨، (ص ٥٨٨) بتصرف.

ويقول المستشرق مونتجمري (MONTGOMERY) : **(مال المؤرخون الذين عاشوا في ظل الدولة العباسية للتفخيم من دوره، ونسبت إليه أفعال كثيرة، وأصبح من الصعب التمييز بين ما هو حقيقي منها وما هو مكذوب)** (١) .

وهذا القول زائف لم يستدل له ، فمَنْ من المؤرخين قد قام بتعظيم دور العباس رضي الله عنه؟ هل هم أصحاب السير من أمثال ابن إسحاق ، وابن هشام ، والواقدي ، وابن سعد ، أم أهل التاريخ من أمثال ابن جرير الطبري وغيرهم لم يحدد من يقصده؟

وما هي هذه الأمور والأدوار التي قام بها ونُسبت إليه من أجل تمجيده وتعظيمه؟!

مع أن هناك من الصحابة رضي الله عنهم من آل البيت من نسبت إليهم أفعال كثيرة ، وفضائل جمة أكثرها موضوع وباطل من أمثال علي وابنه الحسين رضي الله عنهما . بل من المؤرخين من ذكر وعرض تلك الأخبار والفضائل المكذوبة عن أمثال: أبي مخنف ، والواقدي ، وابن الكلبي ، واليعقوبي ، والمسعودي وغيرهم من الضعفاء والمتهمين في دينهم . فلماذا تقلب التهمة على العباس رضي الله عنه؟

وأما قوله: **(ونسبت إليه أفعال كثيرة)** ، وقوله: **(وأصبح من الصعب التمييز بين ما هو حقيقي منها وما هو مكذوب)** .

هذا يقوله من ليس عنده علم بمعرفة الأخبار والآثار صحيحها وسقيمها ، والمستشرقون ليس لهم بذلك علم ، فيضعفون الصحيح ، ويصححون الضعيف بل الموضوع؟! عن طريق الهوى ، أو ما أملته عليهم عقولهم ، ومناهجهم القاصرة في دراسة الأخبار والآثار ، ولو عملوا بالمنهج الصحيح ، وهو منهج المحدثين ، من حيث دراسة الأسانيد ، ومتون الأخبار والآثار ، لتبين لهم صحيح الأخبار من سقيمها .

وبهذا يتبين عدم صحة افتراءات المستشرقين وقدحهم في العباس رضي الله عنه ، وأنها من بنات أفكارهم ونتاج حقدهم على الصحابة رضي الله عنهم وأهل البيت رضي الله عنهم .

* * *

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٣/٧٠٦٦) ، كتاب محمد في المدينة (ص ٨٩) .

المطلب الرابع

موقفهم من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

كتب المستشرقون عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، كما كتبوا عن عدد من الصحابة وآل بيت النبي ﷺ، ورضي الله عن صحابته وآل بيته.

وجاء ذكر جعفر رضي الله عنه في معظم كتب المستشرقين نقلاً من كتب السير والتاريخ، وكأحد الصحابة الذين أسلموا وشاركوا في الهجرة إلى الحبشة، ورجع يوم خيبر وقُتل في مؤتة، ولم تكن هناك كتابة خاصة به إلا ما كُتب عنه في ائرة المعارف الإسلامية بقلم المستشرقَيْن: تسترشتين (**ZETTERSTEEN**) وفاجليري (**VAGLIERI**).

ومع ذلك فكتابتهما عن جعفر رضي الله عنه لم تكن الكتابة المرجوة التي يمكن من خلالها معرفة موقف المستشرقين من الصحابة ومن آل البيت على وجه الخصوص، سلباً أو إيجاباً؛ لأنهما كتبا عن جعفر رضي الله عنه نقلاً عن كتب السير والتاريخ والتراجم.

وهذه بعض كتابتهما عنه رضي الله عنه:

يقول المستشرق تسترشتين (**ZETTERSTEEN**) في ترجمته لجعفر رضي الله عنه: (جعفر بن أبي طالب، ولقبه الطيَّار[١] (أي الذي يطير إلى الجنة)[٢] وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. وكان جعفر من السابقين إلى الإسلام[٣]، هاجر مع المسلمين في هجرتهم الثانية إلى الحبشة[٤].

وتذهب الرواية الشائعة إلى أنه كان في الواقع زعيم المهاجرين والمتحدث بلسانهم

(١) كتاب أسد الغابة (١/ ٣٢٧)، رقم (٧٥٩)،ترجمة جعفر بن أبي طالب.

(٢) هذا فيه حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة**. أخرجه الترمذي، ح/٣٧٦٣، (ص ٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح/٣٧٦٣، (٣/ ٥٣٦).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٢٩٣).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٦٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٩٨).

في حضرة النجاشي[١] . . .)[٢] .

وتقول المستشرقة فاجليري (VAGLIERI) : (جعفر بن أبي طالب[٣]: ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وشقيق علي ، وكان أسن منه بعشر سنين .

وعندما ضاقت يد والده ، أخذه عمه العباس إلى بيته ، ليخفف العبء عن أبي طالب ، وكفل محمد صلى الله عليه وسلم علياً[٤] .

وجعفر من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام . . . وكان من ضمن المسلمين الذين هاجروا إلى بلاد الحبشة ، والتقى جعفر لدى عودته من بلاد الحبشة بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الاستيلاء على خيبر سنة ٧هـ[٥] (٦٢٨م) ، وعندما قرر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينفذ عام ٨هـ (٦٢٩) حملة إلى ما وراء حدود الروم (البيزنطيين) أقام زيد بن حارثة أميراً للجيش ، فإن قتل فجعفر ، فإن قتل فعبدالله بن رواحة ، واستشهد الثلاثة في وقعة مؤتة (جمادى الأولى عام ٨هـ - من ٦٢٩م[٦])[٧] .

* * *

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٣٧٢ ، ٣٧٤) .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٦/ ٤٧٢) ، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (١٠/ ٣٠١٤) .

(٣) كتاب الاستيعاب (ص ١٠٩) ، رقم (٢٨٧) ، ترجمة جعفر بن أبي طالب .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٣) .

(٥) المصدر السابق (٤/ ٥) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٣٣٦) ، والمغازي للواقدي (٢/ ١٥٦) .

(٦) السيرة النبوية (٤/ ٢٠) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١٤) ، والمغازي للواقدي (٢/ ٢١٠) .

(٧) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٠/ ٣٠١٥ - ٣٠١٧) ، ولم يذكر هذا النص في طبعة دائرة المعارف القديمة .

المطلب الخامس

موقفهم من الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

الحسن بن علي رضي الله عنه سبط الرسول ﷺ، أشهر من أن يُعرَّف، فهو كما يُقال: «علم في رأسه نار»[١]، له من الفضائل والمناقب ما قد عُرف بها وقد تقدم ذكرها فأغنى هنا عن إعادتها.

وقد وقف كثير من المستشرقين من أعظم فضيلة له تقدمت في إصلاحه بين المسلمين وحقن دمائهم بالذم والتوبيخ، والطعن في سيرته رضي الله عنه، وما كان ذنبه إلا أنه أحسن الرأي والاختيار حين تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، وقَدَّم مصلحة الإسلام والمسلمين في حقن دماءهم على مصلحته في الرئاسة والخلافة والحكم.

وقد ترجم الأب الكنسي والمستشرق لامنس (LAMMENS) للحسن بن علي رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية فقال بعد التعريف باسمه: (يلوح أن الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي الميل إلى الشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء.

وقد أنفق سني شبابه في الزواج والطلاق فأحصي له حوالي المائة زيجة عدًّا.

وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق، وأوقعت علياً في خصومات عنيفة، وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف، فقد اختص كلاً من زوجاته بمسكن

---

(١) هذا المثل عجز بيت من شعر قالته الخنساء رضي الله عنها في أخيها صخر كان قد هلك قبل الإسلام وهو:

أشمُّ أبلجُ يأتمُّ الهداةُ به
كأنه علمٌ في رأسه نارُ
وإن صخراً لمولانا وسيدُنا
وإن صخراً إذا نشتُوا لنحّارُ

أبلج: مشرق الوجه، والعلم: الجبل.

ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٨٩٧)، رقم (٣٢٩٨)، وكتاب أسد الغابة (٥/ ٢٦٧)، رقم (٦٨٨٤).

ذي خدم وحشم)[١] .

فالمستشرق هنا رمى الحسن رضي الله عنه بصفات سيئة من الميل إلى الشهوات ، وعدم الذكاء ، والإسراف ، والتبذير ، وكثرة الزواج والطلاق .

وقد اعتمد في ذلك على بعض الروايات التي لا تثبت ، وزاد ذلك بتزويره بأمور لا تثبت تهويلاً وطعناً في سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه .

فقوله عن صفات الحسن: (**الميل إلى الشهوات.. وقد أنفق سني شبابه في الزواج... وأوقعت علياً في خصومات**) إلخ .

فوصف الحسين رضي الله عنه بالميل للشهوات تبعاً لما يذكر بعض الرواة في كتب الأخبار من كثرة زواج الحسن رضي الله عنه وطلاقه ، ويمكن القول أن ما رواه رواة الأثر في كونه تزوج سبعين ، وفي بعض الروايات تسعين ، والبعض الآخر مائتين وخمسين ، والبعض الآخر ثلاثمائة[٢] ، وروي غير هذا إلا أنه من الشذوذ بمكان ، وهذه الكثرة المزعومة موضوعة ، كما أن الروايات التاريخية التي تشير إلى الأعداد الخيالية في زواج الحسن بن علي رضي الله عنه لا تثبت من حيث الإسناد وبالتالي لا تصلح للاعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التي حامت حولها ، وليس هناك دليل يثبت كثرة أزواج الحسن بن علي رضي الله عنه سوى تلكم الروايات المطعون فيها[٣] .

أن قول لامنس: أن الحسن رضي الله عنه أوقع أباه علياً في خصومات عنيفة ؛ بسبب كثرة زواجه وطلاقه ولم يشر أحد لذلك ممن ترجم لعلي أو للحسن رضي الله عنهما إلى تلك الخصومات العنيفة التي زعمها المستشرق لامنس .

ذكر أن الحسن رضي الله عنه خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم ، مع أن جميع المؤرخين حسب اطلاعي لم ينقلوا ذلك ، وهذا من الكذب السافر والافتراء

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٠٠) ، (هذا النص لا يوجد في موجز دائرة المعارف) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٧) ، وتاريخ ابن كثير (٤/ ٤٢٧) .

(٣) كتاب سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب ، د.علي محمد الصلابي (ص ٢٨ – ٣٢) بتصرف .

المحض . وبهذا يتبين مقدار الحقد والعداوة الذي يكنه قلب هذا المستشرق وتقوُّل لسانه للطعن في الصحابة رضي الله عنهم ، وفيما ذكر قريباً خاصة لآل البيت ومنهم الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وهو في منزلة عظيمة من رسول الله ﷺ فرضي الله عنه ورضي الله عن آل البيت أجمعين .

هذا وكانت للمستشرقين مواقف وآراء حول تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه على رأيين وهما:

الرأي الأول: وعليه أكثر المستشرقين عدم موافقة الحسن رضي الله عنه على ذلك وذمه والتوبيخ له .

الرأي الثاني: الموافقة على هذا الرأي والنقل على استحسانه .

وعلى القول الأول يقول المستشرق دوزي (DOZY) : (ورث الحسن المطالبة بالخلافة بعد أبيه ، لكنه لم يكن كفؤاً تماماً لتزعم حزب من الأحزاب ، فقد كان متراخياً كلفاً بالملذات يؤثر حياة الدعة والبلهنية[1] والهدوء على حياة الجد والقوة وعلى متاعب الملك ومشاقه) [2] .

فهو هنا يرميه بعدم الكفاءة ، والتراخي ، وإثارة الدعة وغيرها .

أما المستشرق لامنس (LAMMENS) فيرمي الحسن رضي الله عنه بقعود الهمة لذلك فلم يفكر إلا في التنازل عن الخلافة .(وبويع الحسن بالخلافة في العراق بعد مقتل «علي»فحاول أنصاره أن يقنعوه بالعودة إلى قتال أهل الشام ، وقلب هذا الإلحاح من جانبهم خطط الحسن القعيد الهمة فلم يعد يفكر إلا في التفاهم مع معاوية كما أدى إلى وقوع الفرقة بينه وبين أهل العراق)[3] .

وأما المستشرق بروكلمان (BROCKELMANN) فيرى أن الحسن رضي الله عنه لم يكن رجل الساعة والقادر على الخلافة ، فيقول عنه: (خلف علياً أول الأمر ابنه

---

(١) البلهنية: الرخاء وسعة العيش . المعجم الوسيط (١/ ٧٠) ، مادة: (بله) .

(٢) كتاب تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٥٠) .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٠١) ، مادة: (الحسن بن علي) .

الحسن ، ولم يكن الحسن هذا رجل الساعة فلم يرتضي أن يقود جنوده في هجوم على خصمه ، والواقع أنه آثر مفاوضة معاوية وتنازل عن حقه في الخلافة)[١] .

ويقول المستشرق فيليب حتي :(HITTI) (إن الحسن بن علي لم يكن يهتم كثيراً بأمور السياسة والإدارة والحكم بل انقطع إلى أمور حياته الشخصية وما لبث أن نزل عن الخلافة لمعاوية واعتزل في المدينة)[٢] .

ويقول المستشرق روم لاندو[٣] (LANDAU): (سعى معاوية إلى غاياته في سرعة بالغة ، ففاوض الحسن ، وكان ضعيفاً فتنازل عن حقه في الخلافة)[٤] .

وعلى هذا الرأي أيضاً عدد من المستشرقين منهم: سيديو ، في كتابه: (تاريخ العرب العام) [٥] ، وكارلتون كون ، في كتابه: (القافلة قصة الشرق الأوسط)[٦] ، وفاجليري في: (موجز دائرة المعارف الإسلامية)[٧] ، وقد تركت نقل أقوالهم اكتفاءً بما سبق .

وأما على الرأي الثاني وأن الحسن رضي الله عنه قد أحسن في تصرفه وتنازله فلم أجد إلا المستشرقة بوجينا ستيشجفسكا (STRYZEWSKA) حيث تقول عن ذلك: (بعد مقتل علي بايع شيعته ابنه الحسن وأقام في الخلافة ٦ أشهر ولم يخضع معاوية له فكادت تكون بينهما حروب كما كان في أيام أبيه ، ولكن الحسن فكر في الأمر ونظر إلى الظروف نظرة

---

(١) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ١٢١) .

(٢) كتاب تاريخ العرب (ص ٢٥٠) .

(٣) روم لاندو (R. Landau) نحّات وناقد فني إنجليزي ، حاضر في عدد من جامعات الولايات المتحدة ، وأستاذ الدراسات الإسلامية وشمالي أفريقيا في المجمع الأمريكي للدراسات الآسيوية في (سان فرنسيسكو) ، من كتبه: الله ومغامرتي ، بحث عن الغد ، وسلم الرسل ، دعوة إلى الغرب ، وغيرها . ينظر: كتاب: قالوا عن الإسلام (ص ٨٥) .

(٤) كتاب الإسلام والعرب (ص ٦٤) .

(٥) (ص ١٦٥) .

(٦) (ص ١٤٧) .

(٧) (١٢/ ٣٨٠٧) ، مادة: (الحسن بن علي) ، (ولم يذكر هذا القول في طبعة دائرة المعارف الإسلامية) .

صائبة ، وكان يكره الفتن ويحب للمسلمين الألفة . فرأى من خير المسلمين أن يتنازل عن الخلافة إلى معاوية وصالحه على شروط رضيها الطرفان ، وكتب إلى معاوية بالبيعة وسلَّم إليه الكوفة في أواخر ربيع الأول سنة ٤١هـ ، وبذلك تم ما قاله الرسول في الحسن: (إن بني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المؤمنين) ، وهدأت الأحوال ، وسمَّى المسلمون ذلك العام «عام الجماعة» وهو عامهم الحادي والأربعين)[١] .

هذه الاتهامات من المستشرقين للحسن بن علي رضي الله عنهما في الرأي الأول مصدرها ومستندها الكتب التاريخية وبخاصة تاريخ الطبري[٢] حيث حوت الكثير من الروايات المضطربة والمتناقضة والتي فيها اتهام للحسن رضي الله عنه بحب الدنيا ومتاعها الفاني[٣] .

وأما غيرها من كتب التاريخ فمقل ومستكثر من ذلك[٤] .

وحدث تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ، وموافقته على الصلح ووقف القتال بينهما من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة الإسلامية حيث دونت رواياته في كتب السنة ، والتاريخ ، والسير والتراجم .

ويمكن إيجاز الحديث عن الصلح الذي تم بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما ، بأنه لم يكن فجأة ، أو وليد اللحظة كما يقال ، بل كان هناك أمور مهدَّت له ومنها:

- كراهة الحسن بن علي رضي الله عنهما للخلاف والفرقة التي حصلت بمقتل عثمان رضي الله عنه ، والتي أدت إلى إراقة الدماء بين المسلمين ، ولهذا شواهد في تاريخ الطبري بدءاً من بيعة علي رضي الله عنه حتى نهاية وقعة صفين ، وعلى أن في أسانيدها

---

(١) كتاب: تاريخ التشريع الإسلامي (ص ٩٦) .

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ١٦٤ وما بعدها) .

(٣) من أحسن الكتب في بحث روايات الطبري كتاب خلافة معاوية في تاريخ الطبري ، د: خالد الغيث .

(٤) ينظر: كتاب تاريخ خليفة بن خياط (ص ١٢٣) ، وتاريخ اليعقوبي (ص ١٤٩) ، والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ص ٣١٨) ، ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (٣/ ٧) .

ضعف من جهة أن أكثرها من رواية سيف بن عمر التميمي[١]، إلا أنه يمكن أخذها كشواهد دون الاعتماد عليها، وقد نعتبر ذلك كتمهيد لأخذه بالصلح في حال خلافته رضي الله عنه.

- خبر الرسول ﷺ عن الحسن رضي الله عنه، وأن الله عز وجل يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين، حيث صح الحديث بذلك وفيه:

- أن الحسن بن علي رضي الله عنه شرط في قبول مبايعة أهل العراق له أن يكون في المسالمة والمحاربة.

عن خالد[٢] بن مُضرِّب قال: =سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت[٣].

- محاولة اغتيال الحسن بن علي رضي الله عنه بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته بسنده عن أبي جميلة[٤]: =أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي، فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر... وقعت في وركه، فمرض منها أشهر ثم برئ فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فمازال يقول ذلك حتى ما رؤي أحدٌ من أهل المسجد إلا وهو يخن[٥]

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٧٧، ٣/ ٤، ١٠، ١٦٧).

(٢) هو خالد بن مضرِّب العبدي الكوفي، تابعي وثقه ابن حبان. ينظر: كتاب الثقات (٢/ ١١٦)، رقم (٨٩١).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٨٦)، والحاكم في مستدركه، ح/ ٤٨٥٨، (ص ٩٦٠)، وقال محقق الطبقات الكبرى د/ محمد السلمي: إسناده صحيح.

(٤) هو ميسرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوي الكوفي، صاحب راية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وثقه ابن حبان. ينظر: كتاب الثقات (٣/ ٥٦)، رقم (٣٩٤١)، وكتاب الكاشف (٢/ ٣١٠)، رقم (٥٧٥٤).

(٥) يخن: الخنين: ضربٌ من البكاء دون الانتحاب. وأصلُ الخنين خروج الصوت من الأنف، كالحنين من الفم، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٠) مادة: (خنن).

بكاء[١] .

- مبادرات السلام التي تمت بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما ، والتي نقلها الرسل ، ومن ثم الصلح والتنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ، أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن الحسن البصري رحمه الله وفيه قال: «استقبل والله الحسنُ بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائبَ[٢] لا تولّي[٣] حتى تقتلُ أقرانها . فقال له معاوية وكان والله خير الرَّجلين[٤]: أي عمرو ، إن قتل هؤلاء وهؤلاء: من لي بأمور الناس؟ مَنْ لي بنسائهم[٥]؟ منْ لي بضيعتهم[٦]؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبدالرحمن بن سمرة ، وعبدالله[٧] بن عامر بن كريز فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه ، فأتياه فدخلا عليه فتكلّما وقالا له واطلبا إليه .

فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال[٨] ، وإن هذه الأمة قد عاثت[٩] في دمائها قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب ويسألُك . قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به ، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به فصالحه ، فقال

(١) (١/ ٣٢٣) تحقيق السلمي ، وقال: إسناده حسن حيث توبع الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٩٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٢): رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) كتائب: جمع كتيبة: القطعة العظيمة من الجيش ، النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٢٩) ، مادة: (كتب) .

(٣) لا تولّي: بالتشديد أي لا تدبر . فتح الباري (١٣/ ٧٤) .

(٤) من قول الحسن البصري: وخير الرجلين يعني معاوية رضي الله عنه . ينظر: فتح الباري (١٣/ ٧٥) .

(٥) يشير إلى أن رجال العسكرين معظم من في الإقليمين فإذا قتلوا ضاع أمر الناس وفسد حال أهلهم بعدهم وذراريهم . المصدر السابق (١٣/ ٧٥) .

(٦) ضيعتهم: أي الأطفال والضعفاء سموا باسم ما يئول إليه أمرهم لأنهم إذا تركوا ضاعوا لعدم استقلالهم بأمر المعاش . المصدر السابق (١٣/ ٧٥) .

(٧) هو عبدالله بن عامر بن كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس القرشي العبشمي ، وكان عبدالله هذا سخياً ، كريماً حليماً ، توفي تقريباً ٧٣هـ قبل عبدالله بن الزبير بوقت يسير .ينظر: كتاب الاستيعاب رقم (١٤٥١) ، وكتاب أسد الغابة (٣/ ٦) ، رقم (٣٠٣٣) .

(٨) إنا بنو عبدالمطلب ، أصبنا من هذا المال: أي إنا جبلنا على الكرم والتوسعة على أتباعنا من الأهل والموالي وكنا نتمكن من ذلك بالخلافة حتى صار ذلك لنا عادة . فتح الباري (١٣/ ٧٥ - ٧٦) .

(٩) عاثت: أي قتل بعضها بعضاً فلا يكفون عن ذلك إلا بالصفح عما مضى منهم والتألف بالمال ، وأراد الحسن بذلك كله تسكين الفتنة وتفرقة المال على من لا يرضيه إلا المال . المصدر السابق (١٣/ ٧٦) .

الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يُقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: (**إن ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**) [١].

وأخرج ابن سعد رحمه الله في طبقاته بسنده عن عمرو[٢] بن دينار: =أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سراً، وأعطاه معاوية إن حدث به حدث والحسن حي ليُسمِّينَّه، وليجعلن هذا الأمر إليه. فلما توثق منه الحسن قال ابن جعفر[٣]: والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبي وقال: اقعد يا هناهُ[٤]، اجلس، فجلستُ، قال: إني قد رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه. قال: قلت ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج - يعني الثغور - فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد فأنا معك على هذا الحديث.

فقال الحسن: ادع لي الحسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخي إني رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه. قال: ما هو؟ قال: فقص عليه الذي قال لابن جعفر. قال الحسين: أعيذك بالله أن تُكذب علياً في قبره وتصدق معاوية.

قال الحسن: والله ما أردتُ أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن

---

(١) كتاب الصلح ح/ ٢٧٠٤ (ص ٥٤٢).

(٢) هو عمرو بن دينار المكي، أبو محمد الأثرم الجمحي، مولاهم، أحد الأعلام والتابعين الثقات روى عن عدد من الصحابة منهم ابن عمر، وابن الزبير، توفي سنة ١٢٥ أو ١٢٦هـ. ينظر: كتاب الثقات (٢/ ٣٦٤)، رقم (٢٨٠٧)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٥)، رقم (٥٩٠٥).

(٣) هو: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، يكنى أبا جعفر، ولدته أمه أسماء بنت عميس بأرض الحبشة، وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، وكان كريماً جواداً، توفي بالمدينة سنة ٨٠هـ. كتاب الاستيعاب (ص ٣٨٧) رقم (١٣٢٤)، وينظر: كتاب أسد الغابة (٢/ ٥٦٨)، رقم (٢٨٦٤).

(٤) يا هناه: أي يا هذا. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٤١)، مادة: (هنا).

أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري؟!

قال: فلما رأى الحسين غضبه! قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك)[1].

وبهذا يتبين أن الحسن رضي الله عنه لم يتنازل عن الخلافة فجأة، بل كانت هناك مقدمات مهدت له كما تقدم جعلته يتنازل ويرضى بالصلح.

كما أن هذا التنازل عن الخلافة والصلح لم يكن ناتجاً عن جبن، أو إيثار للسلامة، أو محبة للدنيا ومتاعها الفاني، بل كان إيثاراً لحقن دماء المسلمين وسعياً للصلح بينهم، وتهدئة لأوضاعها المتأزمة والتي بدأت من فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وانتهت بالصلح وتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه.

وهذا الذي قام به الحسن رضي الله عنه هو السيادة الحقة، كما جاء في الحديث: (**إن ابني هذا سيد**). وليست السيادة كما يتصورها البعض أن تبقى في سُدة الرئاسة تخلع عليك أسمى الألقاب؛ ولكن السيادة أن تنفع المسلمين ويكون لك أثراً فاعلاً وعملاً صالحاً نافعاً.

يقول الإمام الآجري رحمه الله عن هذا الصلح: (انظروا رحمكم الله وميزوا فعل الحسن الكريم ابن الكريم، أخِ الكريم، ابن فاطمة الزهراء، مهجة رسول الله ﷺ الذي حوى جميع الشرف، فانظر إلى أنه لا يتم ملك من ملك الدنيا إلا بشق الأنفس، وذهاب الدين وفتن متواترة، وأمور يتخوف عواقبها على المسلمين، صان دينه وعرضه، وصان أمة محمد ﷺ عن ذلك، تنزيهاً منه لدينه، ولصلاح أمة محمد ﷺ وشرفه)[2].

ويقول ابن العربي رحمه الله: (البيعة للحسن منعقدة، وهو أحق من معاوية، ومن كثير من غيره، وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه، ومن دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد إلى الحق، والدخول في الطاعة، فآلة الوساطة إلى أن تخلّى عن الأمر صيانة لحقن

(١) (١/ ٣٣٠)، والذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٤)، وابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب (٢/ ٥٣)، رقم (١٤٩٢). وقال محقق الطبقات الكبرى السلمي: إسناده صحيح.

(٢) كتاب الشريعة، للإمام الآجري (ص ٦٠٢).

دماء الأمة ، وتصديقاً لوعد نبي الملحمة ، حيث قال على المنبر: (**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**) فنفذ الميعاد ، وصحت البيعة لمعاوية)[١] .

وأخيراً قد يسأل سائل فيقول: (من المبادر إلى الصلح ، أهو الحسن رضي الله عنه الذي ورد حديث الرسول ﷺ في الصلح بحقه ، والذي كاد أن يقتل بسبب شرط البيعة الذي اشترطه على أهل العراق والذي يفهم منه عزمه على صلح معاوية أم معاوية رضي الله عنه؟

وجواب ذلك: أن الرغبة في الصلح كانت موجودة لدى الطرفين ، فقد سعى الحسن رضي الله عنه إلى الصلح ، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته ، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن رضي الله عنه ، فكان عمل كل واحد منهما مكملاً للآخر رضوان الله عليهم أجمعين)[٢] .

* * *

(١) كتاب العواصم من القواصم (ص ٣٢٤) .

(٢) كتاب مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري ، تأليف الدكتور: خالد بن محمد الغيث ، (ص ١٣٩) بتصرف .

المطلب السادس

موقفهم من الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إن المتبادر للذهن عند الحديث عن الحسين بن علي رضي الله عنهما سبط الرسول ﷺ الثاني، أن يعلق بالذهن بعض مشاهد مقتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً. كما جاءت بذلك كتب التاريخ والسير والتراجم، وبخاصة تاريخ اليعقوبي، وتاريخ الطبري، ومقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، ومروج الذهب ومعادن الجوهري للمسعودي.

وأكثر ما جاء عن مقتل الحسين هو من رواية أبي مخنف، وهشام الكلبي، والواقدي وهم متهمون بالكذب والضعف في الرواية، وبعض ذلك جاء من غير إسناد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والذي نقلوا مصرع الحسين زادوا أشياء من الكذب، كما زادوا في قتل عثمان، وكما زدوا فيما يُراد تعظيمه من الحوادث، وكما زادوا في المغازي والفتوحات وغير ذلك... وأما ما يرويه المصنِّفون في المصرع بلا إسناد فالكذب فيه كثير)[1].

وأكثر المستشرقين الذين كتبوا عن الحسين رضي الله عنه، إنما نقلوا عن كتب التاريخ آنفة الذكر، لذلك جاءت الكتابة منصبة على ذكر مصرع الحسين رضي الله عنه دون أن يكون لهم موقف من الحسين رضي الله عنه في الأكثر، وهذا لا يتبين به موقف المستشرقين، إلا أني قد ظفرت بنصين اثنين يتبين بهما موقف بعض المستشرقين من الحسين رضي الله عنه.

أما المستشرقون الذين نقلوا مصرع الحسين رضي الله عنه فيما وجدت فهم كل من:

المستشرق لامنس (**LAMMENS**) في دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٢٧)، مادة: (الحسين بن علي)، والمستشرقة فاجليري (**VAGLIERI**) في موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٢/ ٣٨٤٩)، مادة: (الحسين بن علي)، ودوزي (**DOZY**) في كتابه: (تاريخ

---

(١) كتاب منهاج السنة (٤/ ٥٥٦).

مسلمي أسبانيا) (١/ ٥٤)، وسيديو (SEDILLOT) في كتابه: (تاريخ العرب العام) (ص١٦٥)، وفلهوزن (WELLHAUSEN) في كتابيه: (الخوارج والشيعة)، (ص ١٢٠ وما بعدها)، و(تاريخ الدولة العربية) (ص ١٣٣ وما بعدها)، وبروكلمان (BROCKLMANN) في كتابه: (تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ١٢٧ وما بعدها). ودومنيك سورديل (SOURDEL) في كتابه: (الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي) (ص ٤٤)، وفيليب حتي (HITTI) في كتابيه: (تاريخ سورية ولبنان وفلسطين) (٢/ ٥٥)، و(تاريخ العرب) (ص ٢٥٠ وما بعدها)، وروم لاندو (LANDAU) في كتابه: (الإسلام والعرب)، (ص ٦٥)، وبوجينا ستيشجفسكا (STRYZWSKA) في كتابها: (تاريخ التشريع الإسلامي)، (ص ١٠٧).

وأهم النصوص التي نقلتها عن المستشرقين والتي يمكن أن يستشف منها موقفهم من الحسين رضي الله عنه:

١ - يقول المستشرق سيديو (SEDILLOT) : (الحسين بن علي كان قوّاماً بما دُعي إليه، ما وَرِث عن أبيه البأس والشجاعة، والحسين بن علي كان أكثر حرصاً من أخيه الذي خذل أهله وذويه بتنازله عن الخلافة لمعاوية فعرف كيف يحفظ كرامته حتى في زمن الضعة، والأمر الوحيد الذي كان عاطلاً منه هو ما اتصف به بنو أمية من روح الكيد والدسيسة)(١).

فالمستشرق وصف الحسين رضي الله عنه بعد إجراءه مقارنة بين الحسين ووالده وأخيه وبني أمية.

وهذا القول من المستشرق اشتمل على منهج ومطاعن للحسين رضي الله عنه وأسرته.

أما المنهج فهو منهج المقارنة بين الأشخاص حتى لا يصف الشخص بوصف مطلق مثل الشجاعة وغيرها.

---

(١) كتاب تاريخ العرب العام (ص ١٦٦).

وهـذا المـنهج في الكتابـة عـادة للمسـتشرقين في كتابـاتهم عـن الـصحابة ، بـل استعملوه في المقارنة بين أبي بكـر والرسـول ﷺ ، وبـين أبـي بكـر وعمـر ، وبـين بنـات الرسول ﷺ ، وهنا بين الحسين ووالـده وأخيـه وبـني أميـة ، وذلـك للغـض مـن منزلـة المفضول .

والمستشرق سيديو في نصه السابق طعن في الحسين وأنه لم يكن شجاعاً مثل أبيه ، وأنه كان أحرص من أخيه الحسن رضي الله عنه على الخلافة ، وأنه خرج على بـني أميـة حفظاً لكرامته بخلاف الحسن الذي نزل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه .

وهذا كله لا دليل عليه لمن تأمـل سـيرة الحسين ، وشـجاعته ، وزهـده ، وأنـه لم يخرج إلا اجتهاداً في نفع المسلمين ، ولما تبين له خلاف ما ذكر في مراسلات أهـل العـراق واجتماعهم عليه ، غيَّر رأيه إلا أن هناك مـن أهـل الـشر والبغـضاء لآل البيـت لم يـرض برجوعه أو مساعدته فقدر الله تعالى أن يقتل مظلوماً ولا حول ولا قوة إلا بالله[(١)] .

وأما أقوال المستشرق التي تقدمت فليس عليها دليل لا ضعيف ولا صحيح .

وأما نسبته لبني أمية من الكيد والدسائس فهو محل نظر ، وللمستـشرقين موقـف من بني أمية تقدم بعضه عند الحديث عن موقف المستشرقين من عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وسيكون له مزيد عند موقف المستشرقين من معاوية رضي الله عنه .

٢ – ويقول المستشرق لامنس (LAMMENS) عنـد ترجمتـه للحـسين رضـي الله عنه: **(ظل الحسين خامل الذكر خلال خلافة علي المضطربة، وكان أقل من أخيـه الحـسن إقبالاً على الحياة، فلم ينهج نهجه في الإسراف والانهماك في اللذات إلى حد الشطط)**[(٢)] .

فالمستشرق هنا يرى بأن الحسين رضي الله عنه لم يكن على سيرة أخيه الحـسن في الحياة والتمتع بها .

---

(١) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص ١٤٣) ، تـاريخ اليعقـوبي (ص ١٦٩) ، والأخبـار الطـوال (ص ٣٣٧) ، وتاريخ الطبري (٣/ ٢٦٩) ، مقاتل الطالبين (٨٣) ، مروج الذهب ومعادن الجـوهر (٣/ ٦٠) ، تـاريخ ابـن الأثير (ص ٥٠٠) ، وتاريخ ابن الجوزي (٥/ ٣٢٢) ، منهاج السنة (٤/ ٥١٧) .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٤٢٧) ، مادة: (الحسين بن علي) .

أما قوله: (**ظل الحسين خامل الذكر**) إلخ ، فلا يلزم أن تكتب كتب التاريخ كل جوانب حياة الأشخاص الذين كتبت عنهم ، كما أن المستشرق من خلال مقارنته بين الحسن والحسين في قوله: (**كان أقل من أخيه الحسن إقبالاً على الحياة**) إلخ .

أراد الطعن في الحسن رضي الله عنه ، وأنه كان منهمكاً في اللذات والتمتع بالحياة مع الإسراف في ذلك ، وهذا القول يرد عليه بما سبق من موقف المستشرقين من الحسن رضي الله عنه ، كما أن في هذا القول عن الحسين وأخيه عقد مقارنة ، وهذا منهج للمستشرقين في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم كما تقدم .

وبهذا يتبين موقف المستشرقين من الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وأنه طعن فيه وفي أسرته ، وأما نقلهم عن حادث مصرعه رضي الله عنه فهذا لا يدل على مدح ؛ لأنه نقل محض ، لا يتبين به موقف المستشرقين سلباً أو إيجاباً ، مدحاً أو ذمًّا ، والله أعلم .

* * *

المطلب السابع

موقفهم من عبدالله بن عباس رضي الله عنهما

تُعرِّف المستشرقة فاجليري (VAGLIERI) عبدالله بن عباس رضي الله عنه في (دائرة المعارف الإسلامية) فتقول: (**عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي**[١]، **ويُعرف عادة بابن عباس، وينعت «بالحبر» و«بالبحر»**[٢] **لسعة علمه، وهو يعد من أكبر الفقهاء من رجال الصدر الأول من الإسلام إن لم يكن أكبرهم، كما أنه يعتبر إمام المفسرين للقرآن الكريم**)[٣] .

وتقول المستشرقة بوجينا ستشجفسكا (STRYZEWSKA) : (**هو ثاني ولد العباس ولد قبل الهجرة بسنتين، وكان الرسول يحبه ودعا له فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)**[٤].

فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه في الدين على ما أوتيه من لسان طلق غوّاص على مواضع الحجة)[٥] .

وهذان القولان نقلا عن بعض كتب التراجم والسير ولم يتبين من سياق ذكرهما من قبل المستشرقتين أنهما توافقان أو تعارضان ما جاء فيه .

وأما المستشرق جولد تسيهر (GOLDZIER) فقد طعن في ابن عباس رضي الله عنه وشكك في علمه بالتفسير ، وذلك في كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي) ، وهذه ثلاثة اتهامات وطعون .

---

(١) ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٤٢٣) ، رقم (١٤٤٧) ، وكتاب أسد الغابة (٣/ ٨) ، رقم (٣٠٣٧) ، وكتاب الإصابة (ص ٧٩٥) ، رقم (٥٤٢٣) .

(٢) ينظر كتاب أسد الغابة (٣/ ٨) .

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٣/ ٧١٧٦) ، مادة: (عبدالله بن عباس) .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٤٣٤) ، والإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٢١٢) ، رقم (١٨٥٦) قال محققه: إسناده حسن .

(٥) كتاب تاريخ التشريع الإسلامي (ص ١٩٤) .

الاتهام الأول: الطعن والتشكيك في أن ابن عباس رضي الله عنه تلقى التفسير عن الرسول ﷺ فيقول: (**وترى الرواية الإسلامية أنه تلقّى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها، وقد أغفلت هذه الرواية بسهولة، كما في أحوال أخرى مشابهة، أن ابن عباس عند وفاة الرسول [صلى الله عليه وسلم] كان أقصى ما بلغ من السن ١٠ – ١٣ سنة**)(١).

فالمستشرق يرى أن ابن عباس رضي الله عنه كان صغيراً لما توفي الرسول ﷺ فكيف تلقى التفسير عن الرسول ﷺ، وهذا القول ينبني عن جهل المستشرق بابن عباس رضي الله عنه ومكانته وهمته في طلب العلم والتفقه في الدين.

فابن عباس رضي الله عنهما له مكانة بارزة في علم الوحيين (الكتاب والسنة) وإن كان الرسول ﷺ قد توفي وابن عباس قد قارب الاحتلام إلا أنه لتفرغه وعدم اشتغاله بأمور المسلمين، وعكوفه على طلب العلم أدرك ما لم يدرك غيره من أبناء الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ببركة دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما، كما أنه لم يأخذ جميع العلم عن الرسول ﷺ، بل أخذه عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم. أخرج البخاري رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً،(٢) قال من وضع هذا؟ فأُخبر، فقال: (**اللهمَّ فقِّهْهُ في الدين**)»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: (**اللهم علّمه الحكمة**) (٤)، وفي رواية: (**اللهمَّ علّمه الكتاب**)»(٥)، وفي رواية أخرى: (**اللهم علّمه الحكمة وتأويل الكتاب**)(٦).

وكان لابن عباس رضي الله عنهما همة عالية في طلب العلم على كبار الصحابة

---

(١) كتاب مذاهب التفسير الإسلامي، لجولد تسيهر (ص ٨٤).

(٢) وضوءاً: بالفتح: الماء الذي يُتوضأ به. النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٦٩)، مادة: (وضأ).

(٣) ح/١٤٣، (ص ٣٧)، ومسلم، ح/١٣٨، (ص ١٠٩٠).

(٤) الحكمة: الإصابة في غير النبوة. قاله البخاري في صحيحه (ص ٧٧٠).

(٥) أخرج البخاري، ح/٣٧٥٦ (ص ٧٧٠).

(٦) أخرجه ابن ماجه، ح/١٦٦، (ص ٢٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٤٣٤).

رضي الله عنهم وهي التي بلغت به منزلة عالية لا يُساميها أحد.

يقول ابن عباس عن نفسه: «لما قُبض رسول الله ﷺ، قلتُ لرجل من الأنصار، هلمّ[(١)] فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثرٌ، قال: فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك؛ وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟

قال: فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتي بابه وهو قائل[(٢)] فأتوسَّد ردائي على بابه تسفي[(٣)] الريح عليّ التراب فيخرج فيراني فيقول لي: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقّ أن آتيك! فأسأله عن الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني[(٤)].

وكانت له بعد ذلك مكانة ومنزلة عند كبار أصحاب رسول الله ﷺ. أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمرُ يُدخلني مع أشياخ بدرٍ فقال بعضهم[(٥)]: لِمَ تُدخلُ هذا الفتى معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال: وما أُريتهُ دعاني يومئذ إلا ليريهم مِنِّي، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١ - ٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري،

---

(١) هلمَّ: تعال. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٣٥)، مادة: (هلم).

(٢) قائل: من القيلولة: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. يُقال: قال يَقيل قيلولة، فهو قائل. المصدر السابق (٤/ ١١٦)، مادة: (قيل).

(٣) تَسفي: تذري، وتنثر. ينظر: مختار الصحاح (ص ١٧٤)، مادة: (س ف ى).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، ح/ ٥٧٦، (١/ ١٤٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٤٣٥).

(٥) القائل هو عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، في رواية أخرى أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ح/ ٣٦٢٧ (ص ٧٤٣).

ولم يقل بعضهم شيئاً .

فقال لي: يا ابن عباسٍ ، أكذاك تقول؟ قلت: لا ، قال: فما تقول؟ قلتُ: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[١] ، (كيف تلوموني على ما ترون!)[٢] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (نِعْمَ تُرجُمان القرآنِ ابنُ عبَّاسٍ)[٣] .

وهناك غيرها من أقوال الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين ، ومن تلامذة ابن عباس رضي الله عنهما تجدها في مظانها ، وبهذا يتبين أن ابن عباس رضي الله عنه قد حاز أموراً عظيمة ومنها دعاء الرسول ﷺ بالفقه في الدين ، وهمته العالية ، وتركه الاشتغال بغير العلم ، والمنزلة العظمى بين كبار الصحابة رضي الله عنهم .

ويقول المستشرق جولدتسيهر أيضاً: (وأجدر من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامره فيها الشك إلى من يرجو عنده علمها .

وكثيراً ما ذُكر أنه كان يرجع (كتابة) في تفسير معاني الألفاظ إلى من يُدعى أبا الجلْد ، والظاهر أنه غيلان بن فروة الأزدي ، الذي كان يُثني عليه بأنه «قرأ الكتب» .

وقد ذكرت بنته على وجه الخصوص أن أباها كان يقرأ القرآن كل سبعة أيام ويختم التوراة كل ثمانية أيام بالروية والفهم . . . وكان يدعو جماعة كبيرة من الناس احتفالاً بكل مرة يختم فيها التوراة ، ويرى أن هذا العمل الصالح يستوجب رحمة الله ورضاه)[٤] .

---

(١) كتاب: المغازي ، باب: منزل النبي ﷺ يوم الفتح ، ح/ ٤٢٩٤ ، (ص ٨٨٢) .

(٢) أخرجه ، ح/٣١٢٧ ، (ص٢٧٨) .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٤٣٢) ، والإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٢١٣) رقم (١٨٦٠) قال محققه: إسناده صحيح .

(٤) كتاب مذاهب التفسير الإسلامي (ص ٨٥) .

فيرى أن ابن عباس قد أخذ عن أبي الجلد وهو رجل معروف بقراءة كتاب التوراة وغيرها. وهذا القول أيضاً طعن في علم ابن عباس رضي الله عنه، وطعن في تفسيره، وأن بعضه متلقى عن بعض الرجال الذين لهم علاقة بالتوراة، وهذا القول مجانب للصواب.

فقوله: **(وكثيراً ما ذُكر أنه كان يرجع (كتابه) في تفسير معاني الألفاظ إلى من يُدعى أبا الجلد... الذي كان يثني عليه بأنه قرأ الكتب)**، هذا القول فيه تضخيم حيث قال كثيراً، والصحيح قليلاً، فإن الذي ذكر عنه أنه أخذ عنه هو في ثلاثة مواضع: حين سأله عن السماء[1]، والبرق، والرعد[2]، إضافة إلى أن أبا الجلد وهو جيلان[3] بن فروة الأسدي البصري، وهو ثقة ومن العباد، ذُكر عنه أنه قرأ في كتب الأوائل.

وأما الرواية عن ابنته والتي فيها أنه كان يختم القرآن في سبعة أيام، والتوراة في ستة أيام، فلم أقف لابنته هذه على ترجمة، ولم تذكر هذه الرواية إلا عند ابن سعد في الطبقات الكبرى[4]، وهي رواية غير صحيحة، وإلا كيف بإنسان يعيش في زمن الصحابة رضي الله عنهم، ويعلم عن نهي الرسول ﷺ عن القراءة في كتب أهل الكتاب، ثم هو بعد ذلك يجعل لها نصيباً في يومه بمثابة الورد، هذا بعيد جداً.

ويطعن جولد تسيهر (**GOLDZIHER**) في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وأنه اعتمد على ذكر بعض الأحاديث الإسرائيلية التي نقلها عن طريق من أسلم من اليهود، فيقول: (وكثيراً ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس، اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام: كعب الأحبار[5]، وعبدالله بن سلام[1]. كما نجد أهل الكتاب

---

(١) ينظر: كتاب العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢٠١).

(٢) ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (٢/ ٥١٤).

(٣) ينظر: التاريخ الكبير، للإمام البخاري (٢/ ٢٥١)، والكنى والأسماء، للإمام مسلم بن الحجاج (١/ ١٩٦)، والثقات لابن حبان (٢/ ٦٧)، رقم (٤٩٢)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٧).

(٤) (٧/ ١١٦).

(٥) هو كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، تابعي ثقة، كان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. ينظر:

على وجه العموم، أي رجالاً من طوائف ورد التحذير من أخبارها - عدا ذلك - في أقوال تنسب إلى ابن عباس نفسه.

ومن الحق أن اعتناقهم للإسلام قد سما بهم على مظنة الكذب، ورفعهم إلى مرتبة مصادر العلم التي لا تثير ارتياباً... ولم يعد ابن عباس أولئك الكتابيين الذين دخلوا في الإسلام حججاً فقط في الإسرائيليات وأخبار الكتب السابقة، التي ذكر كثيراً عنها من الفوائد، بل كان يسأل أيضاً كعب الأحبار)(٢).

ويرد عليه: بأن الصحابة رضي الله عنهم ترخصوا في ذكر الأحاديث الإسرائيلية تبعاً لما جاء في الحديث أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ قال: **(بلّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعدهُ من النار)**(٣).

والشاهد: أنه لا حرج في التحديث عن بني إسرائيل، إلا أنهم رضي الله عنهم لم يحدثوا بكل ما جاء عن بني إسرائيل مصادماً لما جاء في الكتاب والسنة، وإنما حدثوا بما وافق، أو سُكت عنه، وهذا كله للاستشهاد فقط دون الاعتماد عليه.

وعلى ذلك فالأحاديث الإسرائيلية على ثلاثة أقسام وهي:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا

كتاب الثقات (٢/ ٤٥٦)، رقم (٣٥٠٢)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٤٩)، رقم (٦٦٦٠).

(١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، وهو من ولد يوسف بن يعقوب ﷺ، كان اسمه في الجاهلية الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ: عبدالله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، وهو أحد الأحبار. الاستيعاب (ص ٤٣٧)، وكتاب أسد الغابة (٢/ ٦١٣)، رقم (٢٩٨٦).

(٢) كتاب مذاهب التفسير الإسلامي (ص ٨٦).

(٣) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ح/ ٣٤٦١ (ص ٧١٢).

نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

ولهذا يختلف علماء الكتاب في هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلّم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم)[١].

والعلماء رحمهم الله تعالى من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم كما تقدم يستشهدون بتلك الأحاديث الإسرائيلية على وجه الاستشهاد وذكر كل ما قيل حول تفسير هذه القصة أو تلك القضية، كما يسلك المحدثون ذلك في ذكر روايات الأحاديث ولو كانت ضعيفة وواهية.

وقد عُرف من الصحابة من كان يأخذ بروايات تلك الأحاديث الإسرائيلية مثل: ابن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة رضي الله عنهم[٢] أجمعين.

وهذا تبعاً لما جاءت الرخصة به من التحديث عن بني إسرائيل، وأنه لا حرج في ذلك كما سبق.

وقد استشكل هذا على البعض وأنه كيف يُحدِّث ابن عباس رضي الله عنهما بأحاديث بني إسرائيل مع أنه قد جاء عنه المنع عن ذلك، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب؟ وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤنه لم يُشبْ[٣]. وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب فقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥).

(٣) لم يُشب: بضم أوله وفتح المعجمة بعدها موحدة أي لم يخلط. فتح الباري (٥/ ٣٣٠).

[البقرة: ٧٩] . أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلتهم؟ ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم)[١] .

فيقال: لا تعارض ولا تناقض بين ذلك .

فابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم لم يرو عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، وإنما روى عن مسلمة أهل الكتاب مثل: عبدالله بن سلام ، وكعب الأحبار الذين عرفوا بصحة الإسلام ، والأمانة فيما ينقلونه .

وأما أهل الكتاب المقيمون على باطلهم ، فلم يسألهم ، ولم يرد عنهم ، وكيف يروي عنهم والرسول ﷺ يقول: (**لا تسألوا أهل الكتاب**)[٢] .

كما أن أخذ ابن عباس رضي الله عنه وغيره بالأحاديث الإسرائيلية إنما كان (في نطاق ضيق في مجال القصص القرآني ، لما توسعت به كتبهم دون القرآن الكريم ، وذلك لأخذ العبرة والاعتبار ، آخذين بقوله ﷺ: (**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**). ولم يكن يسألهم في أمور العقيدة ، أو فروع الشريعة لكمال شرعنا وتمامه في تنزيه الله سبحانه وعصمة أنبيائه) [٣] .

وخلاصة الأمر: أن (ترخص الصحابة في الحديث عن بني إسرائيل كان في حدود ضيقة ، وبالاستقراء ثبت أن القدر الذي ترخَّصوا فيه من ذلك يتسم بأمور ثلاثة:

أولها: القلة فإذا استبعدت ما لا تثبت أسانيده إليهم ، فإنه يخلص منه قدرٌ قليل جداً .

ثانيها: أنه أخذ عن مسلمة أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام ، وكعب الأحبار ، وليس هذا كمن يتلقى عن الأحبار والرهبان وهم على دينهم .

ثالثها: لم يكن الصحابة يتلقون ما يسمعونه من ذلك بالتسليم دون نقد

---

(١) كتاب: الشهادات ، باب: لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ، ح/ ٢٦٨٥ ، (ص ٥٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري ، ح/ ٧٣٦١ ، (ص ١٥٤٢) .

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، دراسة ونقد ، تأليف: عمر بن إبراهيم رضوان (٢/ ٥١٣) .

وتثبت)[١] .

وبهذا يتبين ضلال موقف المستشرق جولد تسيهر من ابن عباس رضي الله عنه ، ومحاولته النيل من مكانته ومنزلته رضي الله عنه ، وأن شبهاته ومطاعنه ساقطة جملة وتفصيلاً .

(١) كتاب المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، تأليف: عبدالله بن يوسف الجديع (ص ٣٤٦ – ٣٤٧) .

المطلب الثامن

موقف المستشرقين من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

تقدَّم في التمهيد أن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهن أزواج النبي ﷺ، يدخلن في آل بيت النبي، ويشملهن أحكامه، من الاحترام والتقدير، وحرمة الصدقة عليهن رضي الله عنهن أجمعين، إضافة إلى حرمة الزواج بهن كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

هذا وقد اهتم المستشرقون بالكتابة عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وكتبوا عنهن في موسوعتهم: (دائرة المعارف الإسلامية) وغيرها(١).

كما أفاضوا في الحديث عما يجري في بيت النبي ﷺ من صغيرة وكبيرة، إضافة إلى الحديث عن تعدد الزوجات، وزواجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها بعد زيد بن

---

(١) ينظر: في (سودة بنت زمعة) دائرة المعارف الإسلامية (١٣/ ٣٥٢)، مادة: (سودة بنت زمعة)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (١٩/ ٥٩٨٢)، مادة: (سودة بنت زمعة)، وكتاب الرسول حياة محمد، لبودلي (ص ١٠٢، ١٧٠)، وفي حفصة بنت عمر، موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٣/ ٤٠٧٩)، مادة: (حفصة بنت عمر)، وكتاب حياة محمد، لدرمنغم (ص ٢٦٢)، وكتاب نظرة جديدة في سيرة رسول الله، كونستاس جيورجيو (ص ٢٧٣)، وفي (زينب بنت جحش)، دائرة المعارف الإسلامية (١١/ ٢٨)، مادة: (زينب بنت جحش)، وكتاب محمد في المدينة، لمونتجمري وات، (ص ٤٣٩، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥)، وكتاب حياة محمد (ص ٢٦٣)، وكتاب الرسول حياة محمد (ص ١٩٥، ١٩٦)، وكتاب معالم تاريخ الإنسانية، لولز (ص ٧٨٩). وفي (أم سلمة)، كتاب حياة محمد (ص ٢٦٣)، وكتاب الرسول حياة محمد (ص ١٩٣)، وفي (صفية)، دائرة المعارف الإسلامية (١٤/ ٢٤٩)، مادة: (صفية بنت حيي)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢١/ ٦٥٨٤)، مادة: (صفية بنت حيي)، وكتاب الرسول حياة محمد (ص ٢٦٨)، وكتاب معالم تاريخ الإنسانية (ص ٧٩٠). وفي (أم حبيبة)، كتاب حياة محمد (ص ٢٧٨)، وكتاب الرسول حياة محمد (ص٢٧٠)، وفي (جويرية بنت الحارث) كتاب رسول الله ونبيه، (ص ٢٣٢)، وكتاب محمد في المدينة (ص٤٣٩)، وكتاب الرسول حياة محمد (ص ١٩٢ – ١٩٣)، وفي (ميمونة بنت الحارث)، موجز دائرة المعارف الإسلامية (٣١/ ٩٨٣٤)، مادة: (ميمونة)، وكتاب حياة محمد (ص ٢٧٩)، وكتاب الرسول حياة محمد (ص ٢٧٥) وغيرها.

حارثة رضي الله عنه، ابنه بالتبني قبل النهي عنه، وفرض الحجاب وغيرها. وهذا داخل في موقفهم من الرسول ﷺ أو من الإسلام وأحكامه.

وأما ما جاء عن أمهات المؤمنين من أقوالهن وأفعالهن هم فيها مجرد نقلة عن كتب السير والتاريخ والتراجم. ولا يتبين به موقفهم منهن رضي الله عنهن أجمعين، لكنه بالنظر والاستقراء لأقوال المستشرقين وجدت أن لهم مواقف من اثنتين من أمهات المؤمنين وهما: خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر. وقد يكون مرد ذلك: إلى مكانتهما عند الرسول ﷺ، وفضلهما، وأثرهما في الإسلام، ومكانتهما عند المسلمين.

١ - موقف المستشرقين من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: اهتم المستشرقون بالكتابة عن أم المؤمنين خديجة، من حيث أنها أول من آمن بالرسول ﷺ، وأول زوجة له إضافة إلى ما كان لها من مكانة عند الرسول ﷺ، وكل هذا نقلوه عن كتب السير والتراجم والتاريخ، وإنما الذي يتبين به موقفهم من خديجة رضي الله عنها هو في الأمور التالية[1]:

١ - زواج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ.

٢ - أثر زواج خديجة رضي الله عنها وشهرتها على مكانة الرسول ﷺ في قومه.

٣ - أثر زواج خديجة رضي الله عنها في إيجاد دين ونبي الإسلام ﷺ.

أولاً: زواج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ:

كتب المستشرقون عن زواج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ، وأن ذلك تم بعد أن تعرفت خديجة على الرسول ﷺ، واتفقت معه على أن يتولى أمر تجارتها، وبعد ذلك رغبت في الزواج منه لما أخبرت عنه من حسن أخلاقه وأمانته، وسعت ذلك.

يقول المستشرق إميل درمنغم (DERMENGHEM): (ولم يتم لخديجة ما عزمت

---

(١) ينظر: كتاب محمد في مكة، لمونتجمري وات (ص ٧٣)، وكتاب الإسلام، لهنري ماسيه، (ص ٤١)، وكتاب الفتوحات العربية، لجون جلوب، (ص ٥٦).

عليه بغير مقاومة ، فلم يرق أسرتها أن تراها ، وهي غنية حليفة لبني مخزوم ، تتزوج يتيماً فقيراً غامض الأمر من عشيرة دون بني مخزوم[(١)] قدراً؟ وليس بعسير على المرء أن يتصور ما يكون آل خديجة قد قالوه حول كفاءة موظف لديها في الزواج منها فضلاً عن تفاوتهما في العمر ، ومما يُروى أن أباها (أو عمها) كان ثملاً حينما وافق على زواجها منه ، فقد كان ذلك بعد أن أطعمته وسقته خمراً وأصبح لا يعي ما يقول!

وكانت حفلة الزواج ذات بهجة ، فقد أُريق نبيذ البلح والعنب ورقصت جواري خديجة وضربن بالدفوف على ضوء المشاعل ونور النجوم السابحة في سماء بلاد العرب الزاهرة)[(٢)] .

أما المستشرق بودلي (BODLEY) فيسوق قصة أو خبر زواج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ بشكل قصة أدبية غرامية خيالية ، يخلع عليها بعض تصوراته وأفكاره ، أذكرها على ما فيها من الطول للوقوف على طريقة المستشرقين في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم ومحاولاتهم لتزوير تاريخهم فيقول: (وثار عمها عمر[(٣)] بن أسد لما علم ما عزمت عليه خديجة ، وراح يُعلن اعتراضه وقال: إن كل شيء يقف حجر عثرة في سبيل إتمام هذا الزواج ، فحداثة سن محمد وعمله عند خديجة ، وفقره ، كل أولئك أسباب لاعتراضه ، وقد كان عمر يعتقد أن في زواج محمد من خديجة خروج مال الأسرة منها ، وهذا أساس كل نزاع بين الأقارب .

. . . ومع أن هذا الرفض قد أغضب خديجة لم يفل من عزيمتها ، فأمام عناد عمها استعملت دهاء المرأة ، فتركت هذا الأمر حتى تمر العاصفة ، ونسي الجميع رغبة خديجة في التزوج من محمد ، وصفا الجو ، وأولمت خديجة وليمة دعت إليها أقرب الناس لها ، دعت عمها ، ودعت عمي محمد أبا طالب وحمزة ، ودعت أشراف قريش . . . وبدأ

---

(١) قبيلة زوجها: عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو المخزومي .ينظر: كتاب أزواج النبي ﷺ ، لمحمد بن يوسف بن العبدالهادي (ص ٥٣) ، [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد] .

(٢) كتاب حياة محمد (ص ٤٣) .

(٣) في جميع كتب السير وغيرها اسمه: عمرو بن أسد .

الحفل ، وتخيرت خديجة أنسب الأوقات للحديث ، فقالت: إن محمداً من عملها هو الرأس والعقل المدبر ، وما هذا الثراء إلا بسببه ، ونعتته بالأمانة ، وذكرت شرف أسرته ، وكريم منبته ، واختتمت حديثها بأنه مما يُشرف أية امرأة أن ترتبط برجل مثله .

فصفق الحضور ، وصبت الخمور في الكؤوس مرات ومرات ، وهبَّ ورقة ابن عمها ، ووافق على ما قالته خديجة ، وأيده ، فازداد تصفيق القوم ، وأيد كل من عمي محمد أبو طالب وحمزة ما قالته خديجة وورقة ، وقبل أن يدري عمر بن أسد ما يبغي القوم ، اندفع هو الآخر في خطبته ، فآزر الخطة ، فنهض محمد ولف الشيخ في بُرده ، وكان هذا ما يفعله الابن بوالده ليلة الزفاف ، وقامت خديجة في نفس الوقت تمسح رأس عمها بالزعفران والعنبر ، ودوت في جوانب دار خديجة أصوات التهليل ، وصار زواج محمد من خديجة أمراً واقعاً .

وما كانت خديجة بالمندفعة في هذه الفرصة السانحة ، فقد كانت تعلم فعل الخمر في النفوس ، وحين كان كل يربت على كتف صاحبه ، ويتقارعون الكؤوس ويتفاخرون ، جاء من يكتب العقد . وفي هذا الجو الذي يغلب عليه الصفاء اتفق على الصداق ، وتم توقيع عقد القران ، وانتهى الأمر ، وصار محمد بعلاً لخديجة بحسب شريعة مكة .

وانفض عقد القوم ، وبقي محمد في دار خديجة حيث قضى ليلته ، وقيل إنه لما أصبح نهض عمر ورأسه يدور ، وثار لزواج خديجة من ذلك الفقير ، وقد كانت تستطيع أن تتزوج من أشرف القوم في مكة .

ولكن أبا طالب أسكته بقوله: إن ابن عبدالمطلب لأهل للزواج بأية امرأة في مكة أو غيرها . . . ولما انتهى العقد ذبح جملاً ، ووزعه على الفقراء ، وفتح دار خديجة للأصدقاء ، فدقت الدفوف ، ورقص الراقصون ، واستمر الحبور من الفجر حتى الغسق ، ومن الغسق حتى الفجر ، ولم يُسرَّ من هذه المباهج أحد كما سُرت ربة الدار الممتلئة الجسم . . . وكان بداية زواج موفق سعيد)[(١)] .

---

(١) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٤٩ – ٥١) .

فكل من المستشرق إميل درمنغم، والمستشرق بودلي يحاول أن ينقل لقرائه بعض تصوراتهما وبعض ما في مخيلتهما عن هذا الزواج، بشكل يجذب القارئ الغربي وغيره لمواصلة القراءة، وقد وجدا ضالتهما في روايات زواج الرسول ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

كما أن قصة أو رواية أن خديجة رضي الله عنها قد أسكرت أباها أو عمها من أجل حمله على الموافقة على زواجها من الرسول ﷺ، قد وافقت هوى في نفوس المستشرقين، ولم يحاول أحدهم بحث الأمر بجدية، وبشيء من الأمانة والموضوعية يقول المستشرق بول (BUHL): (**لم يكن أبوها على قيد الحياة في حين تقول روايات أخرى إنه كان حيًّا، وقد عارض في ذلك الزواج ولم تستطع حمله على قبوله إلا بعد أن أسكرته، وهذا من الدوافع المقبولة في الروايات الخيالية**)(١).

وهذا غير صحيح، فالمقبول في الروايات ما كان صحيحاً وصوباً في إسناده ومتنه، فعلماء الحديث اعتنوا بذلك، وهذه كتبهم شاهدة بذلك، فأما ما كان خيالياً بعيداً عن الواقع والصحة فمحله كتب الموضوعات والوضاعين.

وأما روايات زواج الرسول ﷺ من خديجة فهذه أهمها:

١ - **ذكر ابن إسحاق رحمه الله في سيرته دون إسناد** أن الذي زوج النبي ﷺ أبوها أو أخوها فقال: (أن الرسول ﷺ ذكر [رغبته في الزواج من خديجة] (٢) لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبدالمطلب حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه، فتزوجها)(٣).

وفي موضع آخر يقول: (زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال: أخوها عمرو ابن خويلد)(٤).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ٢٢٤)، مادة: (خديجة)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (١٥/ ٤٥٧٠).

(٢) بين الحاصرتين [ ] زيادة من الباحث ليتضح الكلام.

(٣) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٦)، وتابع ابن حبان ابن إسحاق فذكر قوله في كتاب السيرة النبوية (ص ٤٨)، وهي جزء من كتاب الثقات، وكذلك ابن كثير في تاريخه (١/ ٦٩٩).

(٤) كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٠٠).

٢ - **أخرج ابن سعد في طبقاته** أن خديجة قالت لأختها: انطلقي إلى محمد فاذكريني له، أو كما قالت، وأن أختها جاءت فأجابها بما شاءالله، وأنهم تواطؤوا على أن يتزوجها رسول الله ﷺ، وأن أبا خديجة سُقي من الخمر حتى أخذت فيه ثم دعا محمداً فزوجه، قال: وسُفّت[١] على الشيخ حلة[٢]، فلما صحا قال: ما هذه الحلة؟ قالوا: كساكها خَتَنُك[٣] محمد، فغضب وأخذ السلاح وأخذ بنو هاشم السلاح وقالوا: ما كانت لنا فيكم رغبة، ثم إنهم اصطلحوا بعد ذلك)[٤].

٣ - **وفي رواية أخرى:** (أن خديجة سقت أباها الخمر حتى ثَمِل[٥]، ونحرت بقرة، وخلّقته بخلوق[٦]، وألبسته حُلّة حَبرة، فلما صحا قال: ما هذا العقير[٧]؟ وما هذا العبير؟ وما هذا الحبير[٨]؟ قالت: زوجتني محمداً، قال: ما فعلت! أنا أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش فلم أفعل؟)[٩].

ونقل ابن سعد عن الواقدي أنه قال: (فهذا كله عندنا غلط ووهل، والثبت عندما المحفوظ عن أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار، وأن عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ)[١٠].

وقال السهيلي رحمه الله: (وذكر غيرُ ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد

---

(١) لعل الكلمة مصحفة عن ألبست.

(٢) الحلة: واحدة الحلل، وهي برود اليمن، ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد، مثل الإزار والرواء. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٤١٥).

(٣) ختنك: الختن: زوج البنت، المصدر السابق (٢/ ١١)، مادة: (ختن).

(٤) (١/ ٦٣).

(٥) ثمل: الثمل: الذي أخذ منه الشراب والسكر مأخذه. ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (١/ ٢١٦).

(٦) بخلوق: الخلوق: طيب معروف مُركب يُتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة. المصدر السابق، (٢/ ٦٨)، مادة: (خلق).

(٧) العقير: أي الجزور المنحور. المصدر السابق (٣/ ٢٤٦)، مادة: (عقر).

(٨) الحبير من البرود: ما كان موشّياً مخططاً. يقال: بردُ حبير، وهو برد يماني. المصدر السابق (١/ ٣١٦).

(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٦٣).

(١٠) المصدر السابق (١/ ٦٣)، وتاريخ الطبري (١/ ٥٢٢).

هلك، وأن الذي أنكح خديجة رضي الله عنها هو عمها عمرو بن أسد، قاله المبرد وطائفة معه، وقال أيضاً: إن أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله ﷺ)[١].

٤ – **عن ابن عباس رضي الله عنه** أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة بنت خويلد، وكان أبوها يرغب أن يزوِّجه[٢] فصنعت طعاماً وشراباً فدعت أباها وزُمراً[٣] من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا. فقالت خديجة لأبيها: إن محمد بن عبدالله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه، فخلَّقتهُ وألبسته حُلةً، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء، فلما سُرِّي عنه سُكره! نظر فإذا هو مخلَّق وعليه حُلَّة فقال: ما شأني؟ قال: فقلت: زوجتني من محمد، فقال: أنا زوجتك يتيم أبي طالب؟! لا. لعمري! فقالت خديجة: أما تستحي تريد أن تسفه نفسك تخبر قريشاً والناس أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضي)[٤].

٥ – **عن عمار بن ياسر رضي الله عنه**: أنه كان إذا سمع ما يتحدث به الناس من تزويج رسول الله ﷺ خديجة يقول: أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله ﷺ إياها، كنت من إخوانه فكنت له خدناً[٥] وإلفاً[٦] في الجاهلية، وإني خرجت مع رسول الله ﷺ ذات يوم حتى مررنا على أخت خديجة وهي جالسة على أدم[٧] لها، فنادتني فانصرفت

---

(١) الروض الأنف (٢/ ١٥٤).

(٢) يرغب أن يزوجه: أي عن أن يزوجه، لا أن يزوجه كما جاء في رواية البيهقي.

(٣) زُمراً: جماعة. كتاب معجم مقاييس اللغة (ص ٤٣٩)، مادة: (زمر)، ومختار الصحاح (ص ١٥٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح/٢٨٤٣) (ص ٢٥٨)، والطبراني في معجمه الكبير (٢/ ٤٤٤)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٢٩). قال محقق مسند الإمام أحمد طبعة الرسالة: إسناده ضعيف، فقد شك حماد بن سلمة في وصله إذ قال الرواة عنه: فيما يحسب حماد ولم يجزم، ثم إن حماد بن سلمة قد دلسه، فقد أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٧٣) من طريق مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس: أن أبا خديجة زوَّج النبي ﷺ وهو – أظنه – قال: سكران، فعاد الحديث إلى علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح/ ٢٨٤٩ (٥/ ٤٦).

(٥) خدناً: الخدن: الصديق. كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٦)، مادة: (خدن).

(٦) إلفاً: من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع. كتاب المصباح المنير (ص ١٥)، مادة: (أ ل ف).

(٧) أدم: جلود مدبوغة، المصدر السابق (ص ١١)، مادة: (أدم).

إليها ، ووقف رسول الله ﷺ . فقالت: أما لصاحبك في تزويج خديجة حاجة . فأخبرته فقال: بل لعمري ، فرجعت إليها فأخبرتها بما قال رسول الله ﷺ فقالت: اغد علينا إذا أصبحت غداً ، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا أبا خديجة حلة وضربوا عليه قبة ، فكلمت أخاها فكلم أباها ، وأخبرته برسول الله ﷺ ، وبمكانه ، وأنه سأل أن يزوجه خديجة فزوجه ، فصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ، ونام أبوها ثم استيقظ فقال ما هذه الحلة وهذه القبة وهذا الطعام؟ قالت له ابنته التي كلمت عماراً: هذه الحلة كساكها محمد بن عبدالله ختنك ، وهذه بقرة أهداها لك فذبحناها حين زوجته خديجة ، فأنكر أن يكون زوجه ، وخرج حتى جاء الحِجر ، وجاءت بنو هاشم حين جاءوا فقال: أين صاحبكم الذي تزعمون أني زوجته؟ فلما رآني رسول الله ﷺ ، ونظر إليه قال: إن كنت زوجته ، وإلا فقد زوجته)(١) .

وبهذا يتبين أن هناك اختلاف بين الروايات فيمن زوج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ بحسب ما ذكر من الروايات ، وهذا الاختلاف واقع بين الباحثين فيما اطلعت عليه من مصنفاتهم ، فمنهم من رجح أن يكون خويلد بن أسد والد خديجة رضي الله عنها هو الذي زوجها من الرسول ﷺ(٢) ، ومنهم من رجح عمها عمرو بن أسد(٣) .

والذي أرجحه أن روايات زواج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ ضعيفة الأسانيد ، ولا تسلم متونها من المناقشة ، لوجود الاضطراب والتناقض من الوجوه التالية:

- الاختلاف في حياة والد خديجة رضي الله عنها وموته في وقت عقد تزويج

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (٤/ ٢٤٩) واللفظ له ، والطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ١٨٦) ، وابن كثير في تاريخه (١/ ٧٠٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٢١): رواه الطبراني والبزار وفيه عمر بن أبي بكر المؤملي وهو متروك .

(٢) صاحب كتاب صحيح السيرة النبوية ، للدكتور: محمد بن رزق طرهوني (١/ ٢١٥) ، وكتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، للدكتور: مهدي رزق الله أحمد (١/ ١٥١) .

(٣) صاحب كتاب السيرة النبوية ، الدكتور: محمد بن محمد أبو شهبة (١/ ٢٢٠) .

خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ .

- الاختلاف فيمن قام بعقد تزويج خديجة رضي الله عنها هل هو والدها أو عمها أو أخوها .

- الاختلاف في الموافقة على تزويج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ هل تم بالرضا ، أو بعد إكراه ، وهل كان في حالة سكر أم لا؟

- الاختلاف فيمن سكر في وقت عقد التزويج هل هو والد خديجة رضي الله عنها فقط ، أم أن الحضور قد سكروا أيضاً؟

وهل علم الحضور بوالد خديجة رضي الله عنها أنه كان سكراناً وقت العقد أم لا؟ هذه فقط بعض الأوجه التي تجعل الباحث في هذه القضية يعيد النظر قبل الحكم عليها قبولاً أو رفضاً .

وأخيراً: لعله يمكن بعد إخراج الاختلافات في هذه الروايات أن أرجح قول من قال: أن الذي عقد تزويج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ هو عمها ، وأنه كان عن رضا ، في حالة صحة عقل ، فالأصل البراءة عن كل ما يناقض ذلك حتى يقوم هناك دليل صحيح ينقضه عن أصله ، كما أن أمر تزويج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ له أصل إلا أنه مغمور في روايات ضعيفة ومضطربة ، والله أعلم .

ثانياً: أثر زواج خديجة رضي الله عنها وشهرتها على مكانة الرسول ﷺ في قومه:

يرى بعض المستشرقين أن الرسول ﷺ قد اكتسب شهرة ومكانة بزواجه من خديجة رضي الله عنها ، وذلك بفضل مكانتها كتاجرة وغنية وصاحبة رأس مال في تجارة قريش إلى الشام ، وكونها من قريش ، ولها صلة ببني مخزوم قبيلة زوجها ، وأما الرسول ﷺ في نظر المستشرقين فلم يكن سوى رجل قاسى اليتم والحرمان في صغره ، والفقر في كبره ، فبزواجه من خديجة رضي الله عنها تبسم له السعد ، وأصبح له مكانة في مجالس قريش .

فيرى المستشرق لامنس (LAMMENS) أن الرسول ﷺ أصبح معروفاً في قومه

بعد زواجه خديجة رضي الله عنها حيث يقول: (**إن محمداً بعد أن تزوج خديجة أصبح معروفاً في قومه، وكان الناس يجلون أوصافه ويحمدون سيرته، ويلقبونه بالأمين أي الصادق الذي يعتمد عليه**)(١) .

المستشرق كما عهدناه شديد العداوة للإسلام وأهله، بعيد عن الإنصاف والصواب في مقولاته كلها . فيحاول في مقولته السابقة أن يغض من منزلة الرسول ﷺ ومكانته، وأنه لم يُعرف في قومه إلا بفضل زواجه من خديجة رضي الله عنها .

لكنه نقض ذلك فقال: وكان الناس يجلون أوصافه ويحمدون سيرته، ويلقبونه بالأمين أي الصادق . . . فإذا كان الناس يعاملون الرسول ﷺ ويجلونه ويطلقون عليه الأوصاف الحسنة فهذا دليل قوي على أن الرسول ﷺ كان معروفاً لديهم قبل أن يعمل في تجارة خديجة رضي الله عنها، وقبل زواجه بها، وبهذا سقط رأيه وانتقضت حجته والحمد لله رب العالمين .

وأما المستشرق مونتجمري وات (**MONTGOMERY WATT**) فيجعل هذا الزاج خطوة أولى للرسول ﷺ لارتقاء سلم النجاح والغنى حيث يقول: (**خطا محمد بذلك في نظر المجتمع المكي أول خطواته لارتقاء سلم النجاح، وربما لم تكن خديجة بهذا الثراء الذي نسمع عنه غير أن محمداً أصبح يملك رأس مالٍ كافٍ ليشارك نوعاً ما بالأعمال التجارية**)(٢) .

ويرى المستشرق جون جلوب (**GLUBB**) أن هذا الزواج حرر الرسول ﷺ من الفقر، وجعل له مكانة اجتماعية في مكة، فيقول: (**وحرر ثراء خديجة زوجها محمد من العوز، وأتاح له المجال لاحتلال مركز اجتماعي مرموق في مجتمع مكة الذي كان يقدر الثراء**)(٣) .

---

(١) كتاب الرسول ﷺ في الدراسات الاستشراقية المنصفة، تأليف: محمد شريف الشيباني (ص ٨٦)، نقلاً عن كتاب عهد الإسلام، للامنس، (ص ٥٥) .

(٢) كتاب محمد في مكة (ص ٧٤) .

(٣) كتاب الفتوحات العربية الكبرى (ص ٥٧) .

ويقول المستشرق فيلب حتي (HITTI): (بدأ السعد يبسم للنبي عندما تزوج، وهو في سن الخامسة والعشرين من خديجة، وكانت أرملة على جانب من الثراء، وتنتمي نسباً إلى عشيرته، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة، وكانت لها تجارة وقوافل، وكان محمد يعمل عندها. في هذه الفترة يبرز محمد إلى وضح التاريخ المثبت، ولم يتزوج محمد من امرأة ثانية طوال حياة زوجته التي كانت على جانب كبير من الذكاء، وحسن الخلق، وقوة الشخصية)[١].

فجميع المستشرقين الذين تقدمت أقوالهم يرون أن لزواج الرسول ﷺ من خديجة رضي الله عنها أثر في مكانته ﷺ في قومه وأنه أصبحت له مكانة مرموقة.

والمستشرقون في هذا لهم نظرة مادية بحتة لا تنظر إلا من زاوية ضيقة من أجل تحقيق بعض مآربهم في النيل من سيرة الرسول ﷺ، وإلا فمن المعلوم لكل دارس لسيرته ﷺ أن خديجة رضي الله عنها لم تتعرف على الرسول ﷺ إلا بعد أن أصبح معروفاً بعمله في التجارة مع اتصافه بالصدق والأمانة، لذلك رغبت أن توكل للرسول ﷺ شأن تجارتها نحو الشام.

يقول ابن إسحاق رحمه الله في سيرته: (وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم[٢] إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تُجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار)[٣].

ولما أخبرها غلامها ميسرة[٤] بشأن الرسول ﷺ وما حصل لها في الطريق إلى الشام

(١) كتاب صانعوا التاريخ العربي، تأليف: فيليب حتي (ص ١٧).
(٢) تضاربهم: المضاربة هنا في التجارة: أن تعطي مالاً لغيرك يتجر فيه فيكون له سهم معلوم من الربح، وهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة. كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ٧٢).
(٣) كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٤)، ولم يذكر له سنداً.
(٤) ميسرة غلام خديجة: قال ابن حجر رحمه الله: (ذُكر في السيرة، وكان رفيق النبي ﷺ في تجارة خديجة قبل أن يتزوجها، وحكى بعض أدلة نبوته، وترجم له ابن عساكر، ولم أقف له على رواية صريحة بأنه بقي إلى البعثة فكتبته على الاحتمال). كتاب الإصابة (ص ١٣٠٤)، رقم (٨٩٠١).

من الكرامات .

يقول ابن إسحاق: (خرج معه [يعني مع الرسول ﷺ] غلامها ميسرة حتى قَدِم الشام ، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطَّلع الراهب[١] إلى ميسرة ، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

. . . . ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً[٢] إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة[٣] واشتد الحر ، يرى ملكين يُظلانه من الشمس - وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه)[٤] .

فذكرت خديجة رضي الله عنها لابن عمها ورقة بن نوفل ما قاله لها ميسرة وهو قول الراهب: (ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي) ، وما كان يراه ميسرة من إظلال الملكين للرسول ﷺ في طريقهما إلى الشام فقال ورقة: (لئن كان هذا حقّاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت إنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه)[٥] .

فما كان من خديجة رضي الله عنها بعد أن سمعت مقالة ميسرة ، وورقة بن نوفل

---

(١) يقال أن اسم هذا الراهب: نسطورا ، كتاب الروض الأنف (٢/ ١٥٢) ، وينظر: كتاب الإصابة (ص ١٣٢١) رقم (٩٠٠١) .

(٢) قافلاً: عاد من سفره . كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٨١) ، مادة: (قفل) .

(٣) الهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار . المصدر السابق (٥/ ٢١٤) ، مادة: (هجر) .

(٤) كتاب السيرة النبوية (١/ ٢٢٥) ، دون أن يذكر له ابن إسحاق إسناد . وابن حبان في السيرة النبوية (ص٤٧) ، ومحب الدين الطبري في كتابه السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين (ص ٢٥) . ورواه ابن سعد في طبقاته (١/ ٦٢) بسنده عن الواقدي ، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوية (١/ ١٧٢) بسنده .

(٥) رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٦/ ٢٨٨) ، وذكره ابن حبان في السيرة النبوية (ص ٤٩) ، وهو الجزء الأول من كتابه: الثقات (١/ ٢٢) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٦): إسناده حسن .

إلا أن رغبت في الزواج منه .

يقول ابن إسحاق رحمه الله في سيرته: أن خديجة رضي الله عنها عرضت نفسها على الرسول ﷺ فقالت: (يا ابن عم! إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك(١) في قومك وآمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك)(٢) .

ويقال أنها أرسلت أختها في هذا الأمر ، وقد تقدم ذلك قريباً فيغني عن إعادته هنا .

وبهذا يتبين بطلان قول المستشرقين بأن لزواج خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺ أثراً في مكانته وجعلته يتبوأ منزلة عظيمة في مكة وبين ساداتها ، فالرسول ﷺ عرف بأخلاقه وبمهارته في التجارة ، ثم زاد على ذلك أمور تدل على نبوته مما حدا بخديجة رضي الله عنها إلى الرغبة في الزواج منه ﷺ .

ثالثاً: أثر زواج خديجة رضي الله عنها على دين ونبي الإسلام ﷺ: يحاول بعض المستشرقين أن يجعل هناك علاقة بين دين الإسلام والنصرانية ، وأن الرابط لذلك زواج خديجة رضي الله عنها بالرسول ﷺ ، فابن عمها أحد رجال دين النصارى والذي نبذ عبادة الأوثان في وقت مبكر واعتنق النصرانية ، ولخديجة رضي الله عنها نوع اتصال به ، لذلك حصل التأثير بهذا الاتصال ، انتقل إلى زوجها وهو الرسول ﷺ ، فأخرج للناس ديانة هي الإسلام محاولاً تقليد النصرانية مع شيء من الاختلاف .

وقد استعمل المستشرقون في ذلك المنهج التطوري في الكتابة والتعبير عن آرائهم وفرضياتهم السابقة الذكر .

يقول المستشرق مونتجمري (MONTGOMERY WATT): (لن ننتظر من تاجرة مكية في القرن السادس أن لا تهتم بالمسائل المادية ، غير أن كل شيء يحملنا على الافتراض أن خديجة قدرت في محمد كفاءاته الروحية ، وهي تجعلنا نشعر بأنها قامت

(١) وسطتك: حسبك وشرفك . ينظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٦٠) ، مادة: (وسط) ، وقد بحثها السهيلي في الروض الأنف (٢/ ١٥٣) .

(٢) كتاب السيرة النبوية (١/ ٢٢٦) دون أن يذكر ابن إسحاق له إسناد .

بدور مهم في الأوقات الصعبة من حياته، وذلك بتشجيعه على المواظبة في طريقه كنبي، كما أن خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل ابن أسد وهو رجل متدين اعتنق أخيراً المسيحية، ولا شك أن خديجة قد وقعت تحت تأثيره ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئاً من حماسته وآرائه)[(١)].

فالمستشرق يحاول أن يقول أن خديجة رضي الله عنها كان لها أثر فاعل ورئيس في إيجاد نبي هو محمد ﷺ، ودين هو الإسلام، وأنها كانت همزة وصل بين محمد ﷺ وابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان له علم بالنصرانية، وبذلك تم للرسول ﷺ ما أراد فأخرج ديناً أخذ بعضه عن النصرانية.

أما المستشرق بودلي (BODLLY): فيقول: (ولما زال دافع العمل للقوت اليومي وجد محمد فسحة من الوقت ليتأمل فيما اجتمع في رأسه ورأته عيناه، وكانت زوجه تلحظ شرود ذهنه أحياناً وهو يعقد عقد أو يخرج مع قافلة حتى أول الطريق، لقد كان غارقاً في حلم يقظة، وما كان هذا بالكسل... ولكن كان شرود عقل راجح وجد نفسه مجبراً على التأمل والتفكير لما تهيأت له الحرية، وقد أحست خديجة المرأة الناضجة العقل ما تميل إليه نفس زوجها، فترفقت به ولم ترهقه بما عرف عن النساء من ثرثرة، وتركته لتأملاته ونفسه، وبذلك ساعدت خديجة مرة أخرى على وضع أساس الإسلام، وكان ابن عمها ورقة الذي آزرها يوم زواجها يرشدها إلى سلوكها الطيب نحو زوجها)[(٢)].

فيرى المستشرق هنا: أن خديجة رضي الله عنها ساعدت على وضع أسس دين الإسلام لأنها بعد زواجها من الرسول ﷺ توفر له العيش الرغيد بعد أن كان يعمل لإيجاد لقمة العيش كل يوم، وأنها حاولت أن لا تقطع على الرسول ﷺ تأملاته وأفكاره، وأن الذي ساعدها على ذلك ورقة بن نوفل حيث أرشدها لما سبق.

دعواهم هذه باطلة لعدم وجود الدليل، فخديجة ولو كانت على اتصال بورقة بن نوفل في بعض الأمور، إلا أنها لم تتنصَّر قبل إسلامها، والرسول ﷺ قبل بعثته لم

---

(١) كتاب محمد في مكة (ص ٧٤ – ٧٥).

(٢) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٥٢).

يكن على دين النصرانية ، ولم يدرس على ورقة بن نوفل شيئاً من تعاليم النصرانية ، والإسلام الذي جاء به ناقض وناسخ للديانات الأخرى وعلى رأسها اليهودية والنصرانية . قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥] . والمستشرقون في هذه الأقوال قد استخدموا المنهج التطوري القائم على أن كل لاحق لابد أن يقوم على سابق يعتمد عليه .

وحقيقة هذا القول: أن الإسلام مُخترع من فكر الرسول ﷺ أخذه وصاغه من بعض تعاليم الديانة النصرانية ، تلقاها عن طريق ورقة بن نوفل ، وهذه دعوى من غير دليل ، وقد أثاروها في مسائل كثيرة ومنها القرآن الكريم كما تقدم في موقفهم من المصادر الصحيحة في الفصل الأول .

٢ – موقف المستشرقين من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من أبرز من كتب عنه المستشرقون من أمهات المؤمنين ، بل ومن الصحابيات: أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها . فقد كتبوا عنها كثيراً في كتبهم ما بين مقل ومستكثر في جوانب من حياتها رضي الله عنها نقلاً عن كتب السير والتراجم والتاريخ ، إلا أن موقف المستشرقين منها تميز وتبين في قضيتين مهمتين ومرتبطتين:

الأولى: أن لعائشة رضي الله عنها مشاركة سياسية في أمر الخلافة وتعيين الخليفة ، ومعارضته ، وهذا الأمر أثير في كتابات المستشرقين عند موقفهم من الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق بما أغنى عن إعادته هنا .

الثانية: حادثة الإفك ، والتي برأ الله عز وجل عائشة رضي الله عنها مما تكلم عليها فيه ، وأنزل الله في ذلك قرآناً يتلى إلى قيام الساعة ، ولم يعارض ذلك ويقول به بعد نزوله إلا منافق أو رافضي مقيت ، وقد نقل المستشرقون هذه الحادثة بأسلوبهم وفرَّعوا عنه أن عائشة رضي الله عنها كانت تبغض علياً رضي الله عنه من أجل موقفه منها في هذه الحادثة ، وسيكون مدار الحديث عن هذه القضية .

يقول المستشرق بروكلمان (BROCKELMMAN) عن حادثة الإفك: (قام النبي

خلال سنة ٦٢٧ أيضاً بحملات عدة على بعض القبائل البدوية ، ولقد أبعد في إحداها حتى قارب مكة ، وكانت هذه الغزوات آمنة إلى حد ساعده على أن يصطحب فيها اثنتين من أزواجه ، فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر – وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها – قلادتها فخرجت تبحث عنها مساء ، ففاتتها قوافل الغزاة ، ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي ، وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي ، فردها إلى بيت أبويها ، ولكن الله لم يلبث أن برّأها ، بعد شهر واحد في إحدى الآيات الموحاة إلى النبي)(١) .

فالمستشرق ذكر قصة حادثة الإفك باختصار شديد ، إلا أنه جانب الصواب في قوله: (**ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي**) ، فعائشة رضي الله عنها لم تغب يوماً كاملاً ، إنما غابت جزء من اليوم .

وقول المستشرق: (**وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل**)، هذا القول فيه إيحاء بأنه كان بين عائشة رضي الله عنها وبين صفوان(٢) بن المعطل رضي الله عنه معرفة أو تعارف ، وحاشاها إنما كانت تلك المعرفة معرفة أشخاص الصحابة وأسماءهم ، دون أن يكون بينهما تعامل وتعارف وتقارب .

وقوله: (**وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي فردها إلى بيت أبويها**) ، وهذا القول غير صحيح فإن النبي ﷺ لم يشك في عائشة ولم يردها إلى بيت أبويها . وإنما الذي حصل من النبي ﷺ أنه حزن وغضب لما يثار عن عائشة رضي الله عنها على بعض الألسن من بعض الصحابة ومن بين المنافقين حيث تأذى لذلك .

(فإن قيل: فما بال رسول الله ﷺ توقّف في أمرها ، وسأل عنها ، وبحث ،

---

(١) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ٥٤) .

(٢) هو صفوان بن المعطّل بن ربيضة السلمي ، ثم الذكواني ، يكنى أبا عمر . وشهد مع رسول الله ﷺ الخندق ، والمشاهد كلها بعدها . وقتل شهيداً في غزوة أرمينية سنة تسع عشرة في خلافة عمر ، وذلك سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن بضع وستين ، وقيل أنه مات سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية . كتاب الاستيعاب (ص ٣٤٤) ، رقم (١٢٠٢) ، وكتاب أسد الغابة (٢/ ٤٥٦) ، رقم (٢٥٢٤) .

واستشار . . . وهلا قال: سُبحانك هذا بهتان عظيم، كما قاله فضلاء الصحابة؟

فالجواب: أن هذا من تمام الحِكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وامتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ، ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع بها آخرين.

وأيضاً، فإن الله سبحانه أحب أن يُظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده، وكرامتهم عليه، وأن يُخرج رسوله عن هذه القضية، ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه، وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا يُنسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل بيته، وأيضاً فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى، والتي رُميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءاً قط، وحاشاه، وحاشاها، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك، قال: **(من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي)** (١) . فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصِّدِّيقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته، ورفقه، وحسن ظنه بالله حقَّه، حتى جاءه الوحي بما أقرَّ عينه، وسرَّ قلبه، وعظَّم قدره، وظهر لأمته احتفال ربه به، واعتناؤه بشأنه)(٢) .

وأما قول المستشرق عن عائشة رضي الله عنها: **(فردها إلى بيت أبويها)** . وهذا القول غير صحيح، فإن الرسول ﷺ لم يرد عائشة إلى بيت أبويها، وإنما مرضت بعد رجوعها، فاستأذنت الرسول ﷺ أن تُمرَّض في بيت أبويها فسمح لها ﷺ بذلك(٣) .

أما المستشرق مونتجمري وات (MONTGOMERY WATT) فيقول عن حادثة الإفك: (قد قامت أزمة حادة نجمت عن الحادث الذي وقع أثناء عودة النبي من غزوته لبني المصطلق في الشهر الخامس من سنة ٦٢٧م والتي صحبته فيها عائشة، ذلك أن عائشة

---

(١) أخرجه البخاري، ح/ ٤١٤١ (ص ٨٥٢)، ومسلم، ح/ ٥٦، (ص ١٢٠٥).

(٢) كتاب زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٢٦١ – ٢٦٣) مختصراً.

(٣) ينظر: صحيح البخاري، ح/ ٤١٤١، (ص ٨٥٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٢٧).

خرجت عندما حطت القافلة رحالها في وقفتها الأخيرة قبل المدينة ، لقضاء حاجة فأبعدت قليلاً عن المعسكر ، وسقط منها عقد فتلبثت بعض الوقت تفتش عنه ، وكانت عائشة خفيفة الوزن حتى أن الرجال الذين كانوا يحملون هودجها إلى الجمل لم يحسوا بغيبتها ، ومضت القافلة جميعاً في طريقها قبل أن تعود إلى المعسكر .

وجلست عائشة تنتظر حتى عثر عليها آخر الأمر شاب جميل هو صفوان بن المعطل السلمي ، فعاد بها في حراسته إلى المدينة ، وكان ذلك منها زلة كبيرة في الظروف التي كانت سائدة آنذاك ، وخاصة أن الحجاب كان قد فرض على زوجات النبي .

وكثر القيل والقال وجسّم الأمر ، ولم يكن ذلك بفعل الأعداء الشخصيين لعائشة وأسرتها فحسب ، بل بفعل عبدالله بن أبي زعيم المنافقين أيضاً .

واتضح آخر الأمر أنه ما من شاهد قوي ينهض ضد عائشة ، ونزل الوحي على النبي (سورة النور ، الآية ١١ وما بعدها) متضمناً براءة عائشة ولوم أولئك الذين تقولوا عليها ، وباء عبدالله بن أبي بالخزي أمام الناس)[١] .

فالمستشرق عرض لحادثة الإفك ، وذكر الأطراف التي شاركت فيه ، إلا أنه قال من ضمن كلامه: **(وكان ذلك منها زلة كبيرة في الظروف التي كانت سائدة)** إلخ .

ويمكن القول أن اللفظ فيه إساءة تعبير ، فعائشة رضي الله عنها لم تقصد ذلك ، وإنما وقع قدراً ، وامتحاناً للمسلمين من لدن الصحابة رضي الله عنهم وحتى قيام الساعة ، ليهلك فيه من هلك من أهل النفاق وغيرهم .

وأما المستشرق بودلي (BODLEY) فيروي قصة حادثة الإفك برواية الغربيين ، يتصرف فيها فيقول: (كان محمد يأخذ دائماً معه زوجة أو زوجتين إذا ما قام برحلة ، أو خرج في غارة ، وكن يرحلن في هودج ، فوقه مظلة مشدودة على إطار من الأغصان ، وكان الهودج يشد إلى سنام البعير ، فكان النازل فيه يختفي عن الأنظار جملة ، فكان من المحال معرفة ما إذا كان في الهودج أحد أو كان فارغاً ، ما لم ترفع المظلة .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١٥/ ٤٣٢) ، مادة: (عائشة بنت أبي بكر) . وموجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٢/ ٧٠٣٨) ، مادة: (عائشة بنت أبي بكر) .

كان محمد قد أتم غزوته القصاصية الناجحة لقبيلة بني المصطلق، حيث تزوج من جويرية زوجه الثامنة، وكان في طريق عودته إلى المدينة بجنده وبعيره وغنائمه، وكانت المرحلة الأخيرة لبلوغ المدينة طويلة، فكان على المسلمين أن يحملوا خيامهم في الفجر، فلما استيقظت عائشة خرجت إلى الخلاء لبعض حاجتها، فلما عادت كانت خيمتها قد رفعت، وكان جملها منتظراً، فلما همّت بدخول هودجها، كشفت أن قلادتها قد انسلت من عنقها، فعادت أدراجها، دون أن تخطر أحداً للبحث عنها، وكان من الصعب رؤية قلادة منسلة في عماية الصبح، بين الحصى والأعشاب، ولاح نور الصباح قبل أن تعثر عليها، ثم ثبتتها حول عنقها، وعادت لتلحق بالقافلة، ولكن لم تجد هناك قافلة، وكانت نيران العسكر هي الدليل على أن أناساً كانوا هناك.

لقد حسب المكلفون بنقل عائشة أن السيدة في هودجها، فشدوه إلى بعيره، فقد كانت عائشة صغيرة خفيفة جداً، حتى إنه ما كان أحد ليميز وجودها في الهودج من غيابها، فلما تحرك الركب، انطلق الرجال وهم يقودون بعيراً غير محمل.

وقفت عائشة لحظة تحدق في فضاء الصحراء العريض، وقد انسحب الفجر ليفسح لحرارة الصباح، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية إلى الفضاء الصخري، فلم تجد أثراً لقومها أو قافلتها، فهزت منكبيها وجلست، فما كان يجدي الذعر، وما كان هناك من فائدة في محاولتها اللحاق بقافلتها، وإنه لمن الأفضل أن تبقى في المكان الذي رؤيت فيه آخر مرة.

وإنها لتأمل أن يعود القوم إليها إذا ما افتقدوها، فلم يجدوها في الهودج.

فلما ارتفعت حرارة النهار استولى عليها خمول، فالتفت في جلبابها، واستظلت تحت شجرة ثم نامت، فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء ولم تكن وحيدة. كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب، ثم أناخ بعيره، وقال إنه صفوان بن المعطل، ولم تُقدِّم عائشة نفسها له، تبعاً لما قالته عائشة لما روت القصة. وكان صفوان يعرفها بالنظر، فقد خاطبها بعائشة بنت أبي بكر.

سألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب؟ فشرحت له عائشة الأمر . فضحك صفوان!! ثم عرض عليها بعيره ليقودها إلى المدينة ، فقبلت عائشة ، فساعدها صفوان على الركوب ، ثم انطلقا .

وفي نفس الوقت استمرت قافلة المسلمين في طريقها دون أن يفطن أحد إلى أن عائشة ليست فيها ، ولم يكشف اختفاؤها قبل أن يناخ الجمل بالهودج الفارغ أمام مساكن النبي ، ثم ابتدأ الدهش؟!

إن قُوَّاد الجمل الذين كانوا مقتنعين بأنهم رحلوا من المعسكر بعائشة ، قد عزوا اختفاءها إلى الجن ، وكان هذا هو الشرح الوحيد المقبول ، مادام أنهم لم يقفوا في الطريق أبداً .

وما كان محمد ليوافق على خرافات كهذه ، فراح ينظم جماعة للخروج للبحث عنها ، لما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة ، يقوده شاب وسيم جميل ، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر ، وأنيخ البعير أمام مدخل دارها ، فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار ، دون أن تحسن أنها عرضة للانتقاد ، كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب .

وكان محمداً مسروراً برؤية زوجه الأثيرة عنده سالمة ، فرحَّب بها ، ولما كان الأمر يعنيه خاصة انتهت الحادثة ، وكان من الواجب أن تنتهي ما لم يتدخل في الأمر عبدالله بن أبي)[1] .

وفي رواية المستشرق بودلي هذه تحريفات متعمدة للقصة عن وجهها الصحيح ، ومنها قوله: (فابتسم الشاب . . . وقال إنه صفوان بن المعطل) ، (وسألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب فشرحت له عائشة الأمر . فضحك صفوان)؟ (أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقوده شاب وسيم جميل ، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر . . . فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى

---

(١) كتاب الرسول محمد (ص ٢١٤ – ٢١٦) .

الدار . . . كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شُبان أغراب)؟

وكل هذه العبارات من مستشرق غير منصف ، لم يستند فيها على دليل واحد ، أراد بها تشويه سيرة عائشة رضي الله عنها وإظهارها بمظهر المتهتكات عن الستر والحياء ، وهذا ألصق بحياة نساء الغرب البعيدة عن أخلاق الحياء والستر والعفاف ، والسعي نحو الحياة الشهوانية والتهافت عليها .

لذلك فالمستشرق في روايته أراد إسقاط حياة الغربيين ومُثُلِهم وقصصهم العاطفية على حياة شريفة وأم من أمهات المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، والطيبة المطهرة زوجة رسول رب العالمين ﷺ .

وأما حقيقة القصة وصحيحها فهو فيما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها(١) فخرج فيها سهمي فخرجتُ مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزل الحجاب . فكنت أُحمل في هودجي وأُنزَلُ فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفلَ(٢) دنونا من المدينة قافلين آذَنَ(٣) ليلةً بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري ، فإذا عقد لي من جزع(٤) ظفار(٥) قد انقطع! فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل

---

(١) هي غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة . ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٢٥) .

(٢) قفل: عاد من سفره . كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٨١٩ ، مادة: (قفل) .

(٣) آذن: أعلم . المصدر السابق (١/ ٣٧) ، مادة: (أذن) .

(٤) جزع: الجزع بالفتح: الخرز اليماني . المصدر السابق (١/ ٢٦٠) ، مادة: (جزع) .

(٥) ظفار: جنس من الطيب لا واحد له من لفظه . وقيل واحدهُ: ظُفر . وقيل هو شيء من العطر الأسود . والقطعة شبيهة بالظفر . كأنه يؤخذ ويثقب ويجعل في العقد والقلادة . قال ابن الأثير: والصحيح في الروايات أنه من جزع ظفار بوزن قطام ، وهي اسم مدينة لحمير باليمن . قلت: ولعلها ظفار مدينة تابعة الآن لسلطنة عمان . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٤٣) ، مادة: (ظفر) .

الرهط[١] الذين كانوا يُرحِّلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه؟! وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يهبَّلن[٢] ولم يغشهنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلقةَ[٣] من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا[٤] الجَمل فساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم[٥] وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيممت[٦] منزلي الذي كنت به وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ.

فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه[٧] حين عرفني فخمَّرتُ[٨] وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها. فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين[٩] في نحر الظهيرة وهم نزول، فهلك من هلك. وكان الذي تولَّى كبر[١٠] الإفك[١١] عبدالله بن أبيّ بن سلول)[١٢].

---

(١) الرهط: الرهط من الرجال ما دون العشرة. وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة. المصدر السابق (٢/ ٢٥٧)، مادة: (رهط٩.

(٢) يهبّلن: أي لم يكثر عليهن. المصدر السابق (٥/ ٢٠٨)، مادة: (هبل).

(٣) العُلقة: أي يكتفين بالبُلغة من الطعام. المصدر السابق (٣/ ٢٦٢)، مادة: (علق).

(٤) فبعثوا: أثاروه ليقوم. ينظر: المصدر السابق (١/ ١٣٧)، مادة: (بعث).

(٥) منازلهم: أماكن نزولهم.

(٦) فتيممت: أي قصدتُ. المصدر السابق (٥/ ٢٥٩)، مادة: (يمم).

(٧) استرجاعه: قول: إنا لله وإنا إليه راجعون. المصدر السابق (٢/ ١٨٩)، مادة: (رجع).

(٨) فخمَّرت: أي غطيت. المصدر السابق (٢/ ٧٤)، مادة: (خمر).

(٩) موغرين: دخل في وقت الهاجرة، وقت توسُّط الشمس السماء. ينظر: المصدر السابق (٥/ ١٨١).

(١٠) كِبرَ: أي معظَمه. المصدر السابق (٤/ ١٢٤)، مادة: (كبر).

(١١) الإفك: الإفك في الأصل الكذب، والمراد به هاهنا ما كُذب عليها مما رُميت به. المصدر السابق (١/ ٥٨).

(١٢) سبق تخريجه.

والله تعالى أنزل آيات في حادثة الإفك تبرئ عائشة رضي الله عنها، ومنها قوله:
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١ - ٢٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٣ - ٢٦].

وبهذا يتبين أن ما جاء في رواية المستشرق بودلي فهو اختلاق وكذب، وتحريف القصة عن وجهها، وكأنها رواية عاطفية لا تمت للصحة والواقع بصلة، مخالفاً الأدلة الصحيحة المتقدمة، مسفراً عن عدائه وبغضه للإسلام والمسلمين، ومن باب أولى أهل بيت النبي ﷺ وأم المؤمنين منهم.

وهناك مسألة أخرى نشأت عن موقف علي رضي الله عنه من عائشة رضي الله عنها، في حادثة الإفك حيث استشاره الرسول ﷺ عن عائشة فقال: (يا رسول الله، لم

يُضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسلِ الجارية تصدقك)[١].

فقال المستشرق بعد ذلك أن عائشة رضي الله عنها مازال في نفسها شيء على علي رضي الله عنه وهذه أقوالهم، ولكنها كانت في أحداث وقعة الجمل، يقول المستشرق فلهوزن إن (**عائشة تبغض عليًّا**)[٢].

ويقول المستشرق هنري ماسيه: (**الحقيقة أن الحقد هو الذي أثار عائشة ضد علي الذي كان أشار على النبي في السابق بطلاقها**)[٣].

ويقول المستشرق بودلي: (**لم تنس أبداً، ولم تصفح عن موقف علي من حديث الإفك، وكانت دائماً غيوراً من نظرة محمد إليه كرجل**)[٤].

وتقول المستشرقة فاجليري (**VAGLIERI**): (**كانت تُكن له منذ مدة طويلة عداوة**)[٥].

وقول المستشرقين بأن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تعادي وتكره علياً رضي الله عنه قول باطل، لم يستندوا فيه على دليل صحيح، وقد يكونوا قد أخذوه عن الرافضة[٦]، **ويرد عليهم في ذلك:**

- أن علياً رضي الله عنه لم يتهم عائشة رضي الله عنهما كما فعل بعض الصحابة مثل: حسان بن ثابت، أو من المنافقين مثل: عبدالله بن أبي بن سلول، وإنما الذي حدث أن الرسول ﷺ استشاره في فراق أهله فأشار عليه بقوله: (يا رسول الله، لم يُضيِّق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك). (فعلي لما رأى أن ما قيل مشكوك

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) كتاب تاريخ الدولة العربية (ص ٢).
(٣) كتاب الإسلام (ص ٦٤).
(٤) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٣٤٦).
(٥) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٠/ ٣٠٢٠٣)، مادة: (الجمل).
(٦) ينظر كتاب دفع الكذب المبين المفترى من الرافضة على أمهات المؤمنين، تأليف د: عبدالقادر بن محمد عطا صوفي (ص ١٧٢) نقلاً عن كتاب الجمل، النصرة في حرب البصرة، للمفيد (ص ٢٢٩)، وكتاب علم اليقين، للكاشاني (٢/ ٧١٩).

فيه ، أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس فأشار بحسم الداء) [١] .

- وأن عائشة رضي الله عنها صفحت عن حسان بن ثابت رضي الله عنه لما تاب عن قوله ومنعت من سبه .

فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهبتُ أسبُّ حسَّان عند عائشة فقالت: لا تسبَّهُ فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ[٢] .

فكيف بعلي رضي الله عنه ، وهو لم يتكلم بكلمة سيئة في عائشة رضي الله عنها ، وإنما كان الذي منه أن أشار على النبي ﷺ بطلاقها .

فكيف لا تصفح عنه ، وإذا كان حسان رضي الله عنه ينافح ويدافع عن رسول الله ﷺ بلسانه وشعره ، فعلي رضي الله عنه دافع عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام بنفسه وما يملكه .

فعلي رضي الله عنه أولى أن تكون عائشة صفحت عنه لمشورته تلك .

وانظر إلى قولها في علي رضي الله عنه بعد معركة الجمل:

(والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندي على معتبتي لمن الأخيار) .

فقال علي: (صَدَقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[٣] .

كل هذا دليل على من زعم غير ذلك .

والخلاصة: أن هذه النصوص وغيرها[٤] من المستشرقين لا أجد فيها اتهام لعائشة

---

(١) كتاب زاد المعاد (٣/ ٢٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي ، باب: حديث الإفك ، ح/ ٤١٤٥ ، (ص ٨٥٦) .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٠) ، وهذه الرواية فيها سيف بن عمر التميمي فتكون ضعيفة .

(٤) ينظر: كتاب حياة محمد ، لإميل درمنغم (ص ٢٦٨ – ٢٧٧) ، وكتاب الفتوحات العربية الكبرى ، لجون جلوب ، (ص ١٢٧ – ١٢٨) ، وكتاب معالم تاريخ الإنسانية ، لولز ، (ص ٧٨٨) .

رضي الله عنها صراحة ، كما فعل بعض المنافقين وغيرهم ، لكن فيها إساءة تعبير ، وتحريف لبعض ما جاء في الصحيح من السنة والسيرة وغيرها .

وقد يقع ذلك عن عمد وعن غير عمد ، إلا أن ما وقع من المستشرق بودلي إنما حصل بالعمد والعدوان والتشويه لسيرة عائشة رضي الله عنها ، كيف لا وهو القائل عنها ، وما حصل لها في وقعة الجمل: (كانت ذات طبيعة نارية عنيدة أنانية لا تحمل مسئولية ، ولو لم تكن مسلمة لكانت زينوبيا[١] أو ثيودورا[٢] أخرى . ولقد نجت من الموت موتة عنيفة ، ويرجع ذلك إلى حظها وإلى ولاء صحابة زوجها ، فعلى الرغم من اقتناعهم بأنها لا تستحق إلا حربة تنفذ إلى صدرها ، ذبّوا عنها إكراماً للصداقة القديمة ، إني لا أحس أية شفقة نحو ابنة العشر السنين) [٣]؟! .

فتبًّا له ما أغلظه ، وأبعده عن الحق والإنصاف .

---

(١) زينوبيا: الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع (٠٠٠ – ٣٥٨ق هـ: ٠٠٠ – ٢٨٥م) الملكة المشهورة في العصر الجاهلي ، صاحبة تدمر ، وملكة الشام والجزيرة ، يسميها الإفرنج (ZENOBIE) . معجم الأعلام (ص ٢٧٧) .

(٢) لم أقف على ترجمتها .

(٣) كتاب الرسول حياة محمد (ص ١٤٢) .

المبحث الثالث

موقف المستشرقين من المهاجرين رضي الله عنهم تفصيلاً

لقد كتب المستشرقون عن الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين ؛ إلا أن كتابتهم عن المهاجرين أكثر ، وهذا تبع منهم لكتب التاريخ والسير وغيرها .

وقد مر بنا عدد كبير من الصحابة من المهاجرين رضي الله عنهم عند دراسة موقف المستشرقين من الخلفاء الراشدين ، وآل بيت النبي ﷺ ، إضافة إلى عدد آخر منهم تحت عناوين البحث الكثيرة ، مما يغني عن إعادته هنا .

ولهذا أقتصر هنا على دراسة موقف المستشرقين من المهاجرين رضي الله عنهم الذين لم أعرض لموقف المستشرقين منهم:

١ - موقف المستشرقة فكا من زيد بن حارثة رضي الله عنه

كتبت المستشرقة فكا (Vacca) عن زيد بن حارثة رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية فقال: (. . . زيد ينحدر من قبيلة كانت تضرب قرب دومة الجندل . وكان عدد المعتنقين للنصرانية هناك كثيراً ، كما كان أثر اليهودية واضحاً ، وربما كان أثر زيد في تطور تفكير النبي كبيراً)(١).

فالمستشرقة في هذا النص ترى بأن مجتمع ومكان سكن (زيد) وأهله كان بالقرب من النصارى واليهود ، فقد يكون زيد بن حارثة تأثر بهم ومن ثم نقل بعض عقائدهم إلى النبي ﷺ .

وهذا القول من المستشرقة محاولة للتشكيك في نبوة ورسالة الرسول ﷺ ، كما أنها أخذت بمنهج التطور في الكتابة عن هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وقد تقدَّم فعل عدد من المستشرقين بالأخذ بهذا المنهج ؛ للتشكيك في رسالة الرسول ﷺ ؛ وأنه إنما

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١١/ ١٠) ، مادة: (زيد بن حارثة) ، وفي موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٧/ ٥٣٩٢) ، مادة: (زيد بن حارثة) إلا أنه قد حُذف أكثره؟!

جاء بدين قد أخذه عن بعض تعاليم النصرانية ، واليهودية ، والوثنية . وهذه دعوى لم تستدل عليها بشيء سوى التخرص ، وبهذا تسقط دعواها .

وفي موضع آخر تقول المستشرقة فكا (Vacca) عن مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه فتقول: (ولزيد مكانة في الحديث ، ويرجع ذلك إلى سببين ، أولهما محبة النبي له ، مما دعا الأحاديث الصحاح إلى القول بأنه حبيب رسول الله ، وأنه آثره على علي بن أبي طالب ، والثاني أنه قد ذكر في القرآن) (١).

فالمستشرقة ترى بأن لزيد بن حارثة رضي الله عنه مكانة في الحديث ؛ لمحبة الرسول ﷺ له ، ولأن القرآن ذكره .

وفي هذا القول اتهام للمحدثين بوضع أحاديث في فضل زيد رضي الله عنه ، وهذا غير صحيح جملة وتفصيلاً .

فأهل الحديث في وقت مبكر اهتموا بأمر حفظ الروايات ، ومعرفة الأسانيد والحكم على رجالها جرحاً وتعديلاً .

وهم أعرف الناس بأحاديث الرسول ﷺ من المستشرقين ، بل ومن أصحاب الفرق الأخرى .

كما أن هذه الدعوى باطلة لا أساس لها ولا مستند على ما تقول . وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق .

٢ – موقف المستشرقين من خالد بن الوليد رضي الله عنه

اهتم المستشرقون بالاطلاع على سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه لكونه أحد أبطال الإسلام وفرسانه الذين لا يشق لهم غبار ؛ إلا أنهم وقعوا في زلل عظيم عندما اعتمدوا على كتب التاريخ الإسلامي وما سطرته رواياته دون نظر وتمحيص ومعرفة صحة ما ينقلونه قبل الحكم واتخاذ موقف منه فيه شطط ورمي بالبهتان .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١١/ ١٠) ، مادة: (زيد بن حارثة) ، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (١٧/ ٥٣٩٣) ، مادة: (زيد بن حارثة) .

وأبرز موقف للمستشرقين منه كانت في قضيتين وهما:

- قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة[١] وزواجه بامرأته .

- عزل عمر رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه .

موقف المستشرقَيْن سيديو وبروكلمان من قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة وزواجه بامرأته:

فقضية قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه لمالك بن نويرة في حرب الردة استحوذت على اهتمام الإخباريين من أهل التاريخ وغيرهم ، كذلك كان لها صدى في كتابات بعض المستشرقين عن خالد رضي الله عنه .

يقول المستشرق سيديو (**Sedillot**) عن ذلك: (سار خالد إلى بني حنظلة ، من بطون تميم الذين انحازوا بحماسة إلى النبية سجاح فتفرقوا أيدي سَبا[٢] أو أظهروا الطاعة ، فأمر خالد بقتل زعيمهم مالك بن نويرة ، فتزوج بأرملته ، فأثارت هذه القسوة المؤمنين عليه ، فجاء أخو مالك الشاعر متمم بن نويرة إلى الخليفة مطالباً بالانتصاف من خالد ، فأيّده عمر بن الخطاب في ذلك ، فقبل أبو بكر اعتذار خالد فأدى عنه دية الدم المسفوك)[٣] .

وأما المستشرق بروكلمان (Brockelman) فيقول عن هذه الحادثة:(الواقع أنه عندما ظهر خالد بن الوليد في أراضي تميم تقدم إليه القوم بالطاعة في كل مكان تقريباً ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا مالك بن نويرة سيد بني يربوع ، من حنظلة ، الذي ارتد عن الإسلام عقب وفاة النبي مباشرة ، ولكن خالداً ما لبث أن طوّقه وجنوده فاضطر إلى الاستسلام أيضاً .

---

(١) هو مالك بن نويرة بن جمرة التميمي اليربوعي ، فارس وشاعر من بني تميم ، أسلم على عهد الرسول ﷺ وكان على صدقات قومه ، فلما توفي الرسول ﷺ رد صدقاتهم إليهم وامتنع من تسليمها ، وقتله خالد بن الوليد في حربه للمرتدين . أسد الغابة (٤/ ٣٩) رقم (٤٦٥٥) ، والإصابة (ص ١١٦٨) رقم (٧٩٦٧) .

(٢) هكذا: أيدي سَبا ، ولم يتضح لي معناها .

(٣) كتاب تاريخ العرب العام (ص ١٣١) .

ومع ذلك فقد أمر خالد بقتله، وبقتل جميع أتباعه طمعاً منه في زوجة مالك الجميلة، على ما تقول الرواية)[١].

وما ذكره المستشرقان عن خالد بن الوليد رضي الله عنه من أنه قتل مالك بن نويرة وتزوج امرأته فسطَّر في كتب التاريخ والسير، وسأعرض لأهم روايات هذا الخبر[٢]، وهي:

الرواية الأولى: أوردها الواقدي[٣] في كتابه (الردة)، فقال: (فلما فرغ خالد بن الوليد من حرب بني أسد وغطفان وفزارة، وأمكنه الله منهم، أقبل على من كان معه من المسلمين فقال لهم: إنكم تعلمون أن خليفة رسول الله ﷺ قد كان أمرني بالبطاح[٤] من أرض بني تميم إلى مالك بن نويرة وأصحابه.

وتوسط خالد أرض البطاح، وبالبطاح يومئذ رجل من أشراف بني تميم يقال له (الجَفُول) لأنه جفل[٥] إبل الصدقة، ومنع الزكاة، وجعل يقول لقومه: (يا بني تميم، إنكم قد علمتم بأن محمد بن عبدالله قد كان جعلني على صدقاتكم قبل موته، وقد هلك محمد ومضى لسبيله ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به، فلا تُطمِعوا أحداً في أموالكم، فأنتم أحق بها من غيركم)، قال: فلامه بعض قومه على ذلك، وحمد بعضهم وسدد له رأيه...

ثم ضرب خالد عسكره بأرض بني تميم، وبثَّ السرايا في البلاد يمنة ويسرة،

---

(١) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ٨١).

(٢) هذه الروايات كثيرة وطويلة ولكن لأهمية الرد أعرضها؛ دفعاً لما يتوهمه البعض من القراء بالتسليم لبعضها بالصحة.

(٣) قدمت هذه الرواية على غيرها لطولها، ولكون الواقدي صاحب الكتاب والرواية بخلاف الروايات الأخرى.

(٤) البطاح: ماء في ديار بني أسد بن خزيمة وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأميرهم خالد بن الوليد وأهل الردة. معجم البلدان (١/ ٣٥٢)، مادة: (البطاح).

(٥) جفل: أي جمع. ينظر: كتاب معجم مقاييس اللغة ٢٨)، مادة: (جفل).

قال: فوقفت سرية من تلك السرايا على مالك بن نويرة، وإذا هو في حائط[1] له، ومعه امرأته وجماعة من بني عمه.. فلم يعلم مالك إلا والخيل قد أحدقت به، فأخذوه أسيراً، وأخذوا امرأته معه، وكانت بها مُسَيحَة من جمال.

وأخذوا كل ما كان من بني عمه، فأتوا بهم إلى خالد بن الوليد حتى أوقفوه بين يديه... فأمر خالد بضرب أعناق بني عمه بدياً[2]، فقال القوم: (إنا مسلمون فعلام تضرب أعناقنا)؟.

قال خالد: (والله لأقلتنكم)، فقال له شيخ منهم: (أليس قد نهاكم أبو بكر أن تقتلوا من صلى إلى القبلة)؟ فقال خالد: (بلى قد أمرنا بذلك، ولكنكم لم تصلوا ساعة قط). فوثب أبو قتادة[3] إلى خالد بن الوليد وقال: إني أشهد أنه لا سبيل لك عليهم.

قال خالد: (وكيف ذلك؟) قال: (لأني كنت في السرية التي قد وافتهم، فلما نظروا إلينا قالوا من أنتم؟ قلنا: نحن المسلمون، فقالوا ونحن المسلمون، ثم أذنا وصلينا وصلوا معنا).

فقال خالد: (صدقت يا أبا قتادة، إن كانوا قد صلوا معكم فقد منعوا الزكاة التي تجب عليهم، ولا بد من قتلهم)، فقدَّمهم وضرب أعناقهم عن آخرهم، وكان أبو قتادة قد عاهد الله أن لا يشهد مع خالد مشهداً أبداً بعد ذلك اليوم.

ثم قدَّم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه، فقال مالك: (أتقتلني وأنا مسلم أصلي للقبلة؟) فقال له خالد: (لو كنت مسلماً لما منعت الزكاة، ولا أمرت قومك

---

(١) حائط: بستان. ينظر: مختار الصحاح (ص ٩٨)، مادة: (ح وط)، المصباح المنير (ص ٨٤)، مادة: (ح و ط).

(٢) بدياً: أي بدءاً، أولاً، ينظر: كتاب مختار الصحاح (ص ٣٤)، مادة: (ب د أ)، وكتاب المصباح المنير (ص ٢٦)، مادة: (ب د أ).

(٣) أبو قتادة: الحارث بن ربعي بن بُلدمة، الأنصاري السلمي الخزرجي، يقال لأبي قتادة فارس رسول الله ﷺ، فعن النبي ﷺ أنه قال: "خير فرساننا أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع"، أخرجه مسلم، توفي أبو قتادة بالمدينة سنة ٥٤هـ، وقيل: توفي في الكوفةينظر: الاستيعاب (ص ١٤٦) رقم (٤٢٧)، كتاب أسد الغابة (٥/ ٦٨)، رقم (٦١٧٤).

بمنعها ، والله لما قلت بما منامك[١] حتى أقتلك) . فالتفت مالك بن نويرة إلى امرأته فنظر إليها ثم قال: (يا خالد ، بهذا تقتلني) . فقال خالد: (بل لله أقتلك برجوعك عن دين الإسلام ، وجفلك لإبل الصدقة ، وأمرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة أموالهم) ، ثم قدَّمه خالد فضرب عنقه صَبْراً ، فيقال إن خالد تزوج بامرأة مالك ودخل بها ، وعلى ذلك أجمع أهل العلم) [٢] .

الرواية الثانية: أوردها الطبري في تاريخه وفيها عن سيف بن عمر التميمي ، أن خالداً جاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع . . . فاختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة ، فكان فيمن شهد أنهم قد أذَّنوا وأقاموا وصلوا . فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى: (ادفئوا أسراكم) وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فادفئوا ، دِفئُه ، وفي لغة غيرهم: أدفِه فاقتله ، فظنَّ القوم – وهي في لغتهم القتل – أنه أراد القتل ، فقتلوهم ، فقتل ضرار[٣] بن الأزور مالكاً ، وسمع خالد الواعية[٤] ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه .

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة: هذا عملُك ، فزبره خالد فغضب ومضى ، حتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر ؛ حتى كلَّمه عمر فيه ، فلم يرض إلا أن يرجع إليه فرجع إليه حتى قدم معه المدينة ، وتزوج خالداً أم تميم ابنة المنهال ، وتركها لينقضي طهرها ، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره ، وقال عمر لأبي بكر:

---

(١) هكذا في المطبوع ، ولعل الصواب (وما قمت في مقامك حتى أقتلك) .

(٢) كتاب الردة ، للواقدي ، (ص ١٠٣ – ١٠٧) ، ينظر: تاريخ اليعقوبي (٢/ ٨٩) مختصراً ، واليعقوبي شيعي الهوى غير مرتضى الرواية ، وينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٣) مختصراً من رواية سيف بن عمر التميمي .

(٣) هو ضرار بن الأزور بن مرداس الأسدي ، يُكنى أبا الأزور الأسدي ، ويقال: أبو بلال ، والأول أكثر . كان فارساً شجاعاً مطبوعاص ، استشهد يوم اليمامة . ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٣٥٤) ، رقم (١٢٤٥) ، وكتاب أسد الغابة (٢/ ٤٧٠) ، رقم (٢٥٦٢) .

(٤) الواعية: هو الصراخ على الميت ونعيه . كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٨١) ، مادة: (وعا) .

إن في سيف خالد رهقاً[(١)] ، فإن لم يكن هذا حقاً ، حقّ عليه أن تُقيده وأكثر عليه في ذلك . وكان أبو بكر لا يقيد من عُماله ولا وزعته[(٢)] ، فقال: هيه[(٣)] يا عمر! تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . وودى مالكاً وكتب إلى خالد ، يقدُم عليه ، ففعل ، فأخبره خبره ، فعذره وقبل منه ، وعنّفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك) [(٤)] .

الرواية الثالثة: أوردها الطبري في تاريخه ، عن ابن إسحاق ، ومنها قوله: (. . . كان ممَّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة ، وقد كان عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ، وكان يحدّث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح .

قال: فقلنا: إنا مسلمون ، فقالوا: ونحن المسلمون ، قُلنا: فما السلاح معكم! قالوا لنا: فما بال السلاح معكم!

قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال: فوضعوها ؛ ثم صلينا وصلّوا .

وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجعه: ما إخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا . قال: أوما تعدَّه لك صاحباً! ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب ، تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ، ثم نزا[(٥)] على امرأته!

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قَباءٌ[(٦)] له عليه صدأ

---

(١) رهقاً: عجلة . المصدر السابق (٢/ ٢٥٨) ، مادة: (رهق) .

(٢) الوزعة: جمع وازع ، وهو الذي يَكفُّ الناس ويحبس أوّلهم على آخرهم . المصدر السابق (٥/ ١٥٧) .

(٣) هيه: بمعنى إيهٍ ، بغير تنوين ، إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما ، فإن نونت: استزدته من حديث غير معهود لأن التنوين للتنكير ، فإذا سكّنته وكففته قلت: إيها ، بالنصب أي كف عن ذلك . ينظر: المصدر السابق (٥/ ٢٥٠) ، مادة: (هيه) .

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٢) ، من رواية سيف بن عمر التميمي وهو ضعيف ومتروك .

(٥) نزا: وثب ، كتاب مختار الصحاح (ص ٣٥٢) ، مادة: (ن ز أ) ، وكتاب المصباح المنير (ص ٣١٠) .

(٦) قباءٌ: درع ، ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣) مادة: (قبب) .

الحديد، معتجر[1] بعمامة له، وقد غرز في عمامته أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام عليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال: أرئاء! قتلت امرأً مسلماً، ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك - ولا يكلمه خالد بن الوليد، ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه - حتى دخل على أبي بكر، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر، واعتذر إليه فعذره أبو بكر، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك)[2].

الرواية الرابعة: أوردها أبو الفداء في تاريخه فقال: (منعت بنو يربوع الزكاة، وكان كبيرهم مالك بن نويرة، وكان ملكاً فارساً مطاعاً شاعراً، قدم على النبي ﷺ وأسلم، فلاوه صدقة قومه، فلما منع الزكاة أرسل أبو بكر إلى مالك المذكور خالد بن الوليد في معنى الزكاة، فقال: أنا آتي بالصلاة دون الزكاة، فقال خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً، لا تقبل واحدة دون الأخرى؟ فقال مالك: قد كان صاحبكم يقول ذلك.

قال خالد: أوماتراه لك صاحباً؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجاولا في الكلام فقال له خالد: إني قاتلك. فقال له: أوبذلك أمرك صاحبك؟ قال: وهذه بعد تلك، وكان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكلما خالداً في أمره، فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد، ابعثني إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك، وتقدم ضرار بن الأزور بضرب عنقه، وقبض خالد امرأته، وقيل: إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها، وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها، وقال لابن عمر ولأبي قتادة: احضرا النكاح، فأبيا، وقال له ابن عمر: نكتب إلى أبي بكر ونعلمه بأمرها وتتزوج بها، فأبى وتزوجها)[3].

ويمكن نقد هذه الروايات في الأمور التالية:

- من جهة الحكم على أسانيد هذه الروايات؛ فكلها روايات ضعيفة.

---

(١) معتجر: الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها على رأسه ويردّ طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه. المصدر السابق (٣/ ١٦٧)، مادة: (عجر).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٣) من رواية محمد بن إسحاق، وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث، وينظر: تاريخ ابن الجوزي (٤/ ٧٨)، وتاريخ ابن كثير (٣/ ٧١٤).

(٣) تاريخ أبي الفداء المسمى (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء إسماعيل الأيوبي (١/ ٢٢١)، وقريباً منه تاريخ ابن كثير (٣/ ٧١٤).

فالرواية الأولى: فيها الواقدي ، وهو ضعيف متروك ، والرواية الثانية فيها سيف بن عمر التميمي ، وهو ضعيف أيضاً ، وقد رُمي بالتشيع والزندقة ، والرواية الثالثة فيها ابن إسحاق صاحب السيرة والمغازي ، وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث ، فروايته ضعيفة ، والرواية الرابعة من غير إسناد يحكم عليه فتكون الرواية ضعيفة .

- ومن جهة متون هذه الروايات فهي مضطربة ومتناقضة ؛ لا تسلم من النقد .

- يغلب على هذا الخبر الصناعة والتلفيق ، وإخفاء الحقيقة ، وتشويه سير الصحابة رضي الله عنهم ، ومن بينهم أبي بكر وعمر وخالد رضي الله عنهم ، وبهذا لا يمكن القبول بهذا الخبر ، وأن الحقيقة على خلافه ، والصواب على غير مساره ، والله أعلم .

وهذا ملخص لأبرز أوجه النقد لهذه الروايات للأستاذ: صادق إبراهيم عرجون: حيث ذكر الأمور التالية التي تنقد بها هذه الروايات وهي:

- تختلف الروايات اختلافاً تتباعد أطرافه فلا تتقارب ، وتفترق فلا تجتمع .

- في هذه الروايات المتضاربة إقحام أسماء جماعة من سادة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، ويتأكد ذلك إذا انضم إلى اسم عمر أسماء رجال آخرين ممن يعرف لهم المسلمون امتيازاً في الديانة وفضلاً في الإسلام من أضراب: أبي قتادة الأنصاري ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، ومن ثمة يجب على الباحث أن لا تأخذه هيبة هذه الأسماء فتقف به دون الوصول إلى تزييف ما يؤدي البحث إلى زيفه ، فقد يكون إقحام هذه الأسماء إمعاناً في ستر الحقيقة التاريخية لسبب خارج عن إرادة الرواية وخاضع للعوامل التي دوِّن في ظلها ذلك التاريخ .

ويرى الباحث أن هذه الرواية ملفقة للأسباب التالية:

١ - وهذه الرواية[١] في أصلها وفرعها لا نطمئن إلى قبولها ، بل نكاد نجزم أنها رواية ملفقة مصنوعة ، وأن صانعها عريض الوسادة ، لا يؤبن بالفطنة ولا يزن بالدهاء . كيف يتفق مع العقل وأوليات الدين أن قوماً أذنوا ودعوا بدعاية الإسلام ، وصلوا مع

---

(١) ينظر الرواية الثالثة التي سبقت .

المسلمين – كما تزعم الرواية – ثم تختلف السرية في إسلامهم؟

أليس في هذا نسبة الكذب الصريح والغش المتعمد إلى خيرة الصحابة من المهاجرين والأنصار . وكيف صح من قائد المسلمين أن يخاطبهم بلغة يعلم أنها ليست لغتهم(١) فيما يقصد إليه من معنى وغرض؟ وإن كان لا يعلم ذلك فلماذا لم يعتذر بهذا العذر الوجيه عند الخليفة يوم أن عاتبه .

٢ – وهذه الرواية(٢) من أعظم روايات القصة استغلالاً في توجيهها توجيهاً يضع من قدر أعظم قواد الإسلام خالد بن الوليد ، فتصوره في تلك الصورة التي تتجافى عنها المروءة وينكرها الدين ، وتشمئز منها الرجولة، **وهذه الرواية تحمل بين طياتها عوامل الريبة فيها:**

أولاً: إنها تصور خلافاً حاداً بعيد المدى بين رأيي الشيخين الصديق والفاروق في قصة خالد بن الوليد ، ومالك بن نويرة ، فعمر بن الخطاب – كما تزعم الرواية – كان يرى أن خالداً قد قتل رجلاً مسلماً معصوم الدم متعمداً لأخبث وأسوأ غرض ، وأنه نزا على امرأة قتيله المسلم ، وأقسم ليرجمن خالداً بأحجاره .

وأبو بكر الصديق كان يرى أن أقصى ما يُعاب على خالد في هذه القضية أنه تأول فأخطأ .

وهذا اختلاف غريب في حادث خطير ، لم يعرف أنهما انتهيا فيه إلى اتفاق ، وإذا لم يكن الاتفاق لازماً بين المجتهدين فليس هذا من مواضع اختلاف المجتهدين ، لأن هذا اختلاف في تكييف الحادث ، لا في فهم نص وتطبيقه ، وهذا التكييف إنما كان مصدره عند الشيخين شهادة النقل ممن كان شاهداً ، فكيف إذاً انتهى بهما إلى هذا التصوير المتضاد؟

والذي شهده أبو قتادة ولم يرضه لخالد ؛ ولم يقره عليه قد شهده عشرات من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ ولكنهم لم يصنعوا ما صنع أبو قتادة ولا شيئاً منه؟

---

(١) ينظر الرواية الثانية التي سبقت .

(٢) ينظر الرواية الثالثة التي سبقت .

إن للقضية في التاريخ وجهاً غير وجهها الذي رسمته هذه الرواية الزائفة؟

ثانياً: هذه الرواية[١] تقول: إن أبا بكر دفع إلى متمم بن نويرة[٢] أخي مالك دية أخيه من بيت مال المسلمين، وهي نفسها تقول: إن لمالك أصحاباً كانوا على مثل ما كان عليه، وصاروا إلى مثل ما صاروا إليه، فمن المعقول أن يكون حكمهم حكمه، فلماذا خص مالك بغضبه عمر، ولم يذكر معه أحداً من أصحابه، وكانت الجناية أشنع في قتل جماعة مسلمة؟ معصومة الدم عمداً، هل كان هذا التخصيص لمسألة زواج خالد من امرأة مالك؟ كيف وهي متفرعة على أصل قتل مالك، فإن كان قتله حلالاً فلا شيء مطلقاً على خالد في هذا الزواج، وإن كان قتله حراماً، فجرم القتل أعظم من جرم هذا الزواج مهما قيل في تصويره، وجرم قتل الجماعة أخطر من جرم قتل الواحد، فكيف أهدرت تلك الدماء ولم تجد من المسلمين من يطالب بها؟

ولماذا خص أبو بكر مالكاً بالدية ولم يدِ غيره من أصحابه الذين قتلوا معه إن كانوا كما تزعم الرواية قد قتلوا مسلمين؟!

ثالثاً: تقول هذه الرواية[٣] الزائفة: إن أبا بكر استقدم خالداً، فلما قدم المدينة دخل المسجد في هيئة القائد الظافر، فقام إليه عمر ونزع أسهمه وحطمها وقال له تلك الكلمة المجبهة المتوعدة بقاصمة الظهر: قتلت رجلاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك وبطل الإسلام خالد لا يكلمه، يظن أن رأي أبي بكر مثله، فمن أين لعمر بن الخطاب هذا السلطان الذي جعله يصنع بقائد جيوش المسلمين هذا الصنيع المهين قبل أن يصل إلى الخليفة الذي استقدمه ليعرف منه وجه الحق فيما حدث، والخليفة وحده هو صاحب السلطان الشرعي في تأديب قواده وإقامة الحدود عليهم وعلى من دونهم من الأمة؟

(١) ينظر الرواية الثانية التي سبقت.

(٢) هو متمم بن نويرة التميمي، قال عنه ابن عبدالبر: (وأما متمم، فلم يختلف في إسلامه، وكان شاعراً محسناً ليس لأحد في المراثي كأشعاره التي يرثي بها أخاه مالكاً). كتاب الاستيعاب (ص ٧١١)، رقم (٢٥٤٠)، وكتاب أسد الغابة (٤/ ٤٣)، رقم (٤٦٦٧).

(٣) يقصد الرواية الثالثة.

ثم إن عمر بن الخطاب كان يعرف رأي أبي بكر في هذه القضية قبل أن يقدم خالد عليها، وقرظ[1] خالداً، وزكاه بما زكاه به رسول الله ﷺ فقال: إن خالداً سيف الله سله الله على الكافرين فلا أشيمه فكيف ساغ لعمر بن الخطاب بعد هذا أن يصنع بخالد هذا الصنيع مخالفاً رأي الخليفة؟

رابعاً: أن هذه الرواية لم تذكر لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ سوى أبي بكر وعمر رأيا في هذه القضية الخطيرة حتى الذين كانوا من جند خالد وغاضبوه، وأبوا عليه أن يحضروا عقد نكاحه، مثل أبي قتادة وعبدالله بن عمر فأين رأيهما في تحقيق القضية وقد أخذت هذا الوضع الحاد بين الخليفة ووزيره؟ وأين رأي أكابر الصحابة من أمثال عثمان، وطلحة والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ووجوه الأنصار؟ أين رأي هؤلاء الأجلة في أخطر قضية مرت على المسلمين؟

هل هذا يتفق مع ما عرف في سيرة هؤلاء السادة من أشد الغيرة على الشريعة وحدودها؟

خامساً: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى الخلافة بعد أبي بكر وأصبح سلطان الدولة الإسلامية في يده، وكان رجلاً قواماً على حدود الله جريئاً في الحق، لا يهاب أحداً ولا شيئاً، وكان خالد بن الوليد يومئذ يقف أميراً على عامة جيوش المسلمين في نحر الروم، فلم يرجمه عمر بأحجاره كما توعده – في زعم هذه الرواية – ولم يقتله قصاصاً بمالك وأصحابه، وليس عمر بالذي يظن فيه رجوع عما اقتنع أنه الحق، ولا بالذي يظن فيه هوادة في الدين ومجاملة في حدود الله.

وأما زواج خالد بن الوليد من امرأة مالك بن نويرة فيرى صادق إبراهيم عرجون أن فيها تضليل عن الحق وفرية فيقول:

وأما زواج خالد بن الوليد من امرأة قتيله مالك بن نويرة فعجيب كشأن القصة في أصلها، فيها تضليل وسوء فرية على أجلاء أبطال الإسلام وأصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) قرظ: من التقريظ: مدح الحي ووصفه، ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٨)، مادة: (قرظ).

ولا تحصيل في نقاشه لأنه أشبه بروايات أهل الفراغ والبطالة من سخفاء العقول وسفهاء الأحلام الذين لا يبالون أن يخدشوا تاريخ عظماء الإسلام بمثل هذه التفاهات التي ينفر منها رعاع الناس وأرذالهم ، بله عقلاؤهم وذوو المروءات فيهم فكيف بالصحابة في تربيتهم ودينهم وعلو أنفسهم وكمال مروءتهم وتاريخهم شاهد صدق على جلال أخلاقهم وترفعهم عن دنيّات الأمور(١) .

وبهذا يتبين براءة خالد بن الوليد رضي الله عنه مما نسب إليه ، من قتله مالك بن نويرة مسلماً حرام الدين وزواجه بامرأته ، وذلك لضعف هذه الروايات وتضاربها وتناقضها ، وأن الحقيقة على خلاف ما جاءت به ، وأن هناك أطراف خفية تدس التحريفات وتشوّه تاريخ وسير الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

ومن جهة أخرى ، على فرض صحة الروايات يمكن أن يقال: أن أبا بكر رضي الله عنه كان يرى كفر من فرّق بين الصلاة والزكاة ، وعلى هذا قاتل المسلمون من ارتدَّ عن الإسلام جملة ، أو من رفض أداء الزكاة ، فعلى هذا يكون مالك بن نويرة مرتداً ، ولا إشكال في ذلك ، كما أنه في بعض الروايات قال: يقول صاحبك . يعني الرسول ﷺ ، فهذا تأكيد لردته وثبوتها لدى خالد رضي الله عنه ، وهو المباشرة لهذا الأمر ، أما عمر رضي الله عنه فلم يكن حاضراً للواقعة ، وقد يكون نُقل إليه خلاف ما كان اطّلع عليه ، ورآه خالد رضي الله عنه .

مع أن الخطأ في مثل هذه الأمور وارد ، خاصة مع وقوع حادثة كبرى وهي ارتداد الناس ، فاحتاج الأمر إلى حزم وشدة تُرجع الناس إلى صوابهم ، وأما زواجه من زوجة فإذا اعتبره مرتداً فيكون زواجه منفسخاً ، ولا بد من أن تكون مستبرأة الرحم بحيضة ، والله أعلم .

٢ – موقف المستشرقين من عزل عمر لخالد بن الوليد رضي الله عنهما: خاض المستشرقون في سبب عزل عمر رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه ، كما فعلت

---

(١) ينظر: كتاب خالد بن الوليد ، صادق إبراهيم عرجون ، (ص ١٥٤ – ١٥٨) ، بتصرف ، وينظر للمزيد: كتاب حركة الردة ، د . علي العتوم ، (ص ٢٢٢) .

ذلك كتب التاريخ ، وأخذ البعض منهم يصور صلة بعضهم ببعض أنها قائمة على الكره وإضمار العداوة .

يقول المستشرق سيديو (Sedillot) عن عزل عمر رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه: **(وما كان عمر بن الخطاب ليعفو لخالد قسوته التي كانت تلازم انتصاراته في الغالب، وما كان عُمر ليخفي كرهه لهذا القائد مع عذل أصحابه..)**[١] .

فالمستشرق هنا جعل قتال خالد لأعداء الإسلام وقسوته عليهم في القتال سبباً في كره عمر له ، وهذا من أبطل الباطل .

فأبو بكر رضي الله عنه لم يرسل خالداً لقتال المرتدين إلا من أجل قتالهم ودفع باطلهم بقوة السيف والسنان ، وقد دفع بذلك الشر والكفر الذي كاد يقضي على دولة الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ، وعمر رضي الله عنه لم يكن يعارض هذا القتال إلا وقتاً يسيراً ثم شرح الله صدره لذلك ، وأيَّدَ جميع العمليات العسكرية التي تضرب أهل الردة بجميع أصنافهم .

وأما إن كان المستشرق يقصد أن عُمر غضب من قتل خالد لمالك بن نويرة فقد تقدم الكلام عن ذلك ، وحتى لو صححنا معارضة عمر رضي الله عنه وعدم رضاه عن قتل خالد لمالك بن نويرة ، فلا يدل ذلك على كرهه لخالد رضي الله عنه .

وأما المستشرق جون جلوب (Glubb) فيقول: (فلقد كان هناك شيء من النفور الشخصي يقوم منذ أمد بعيد بين الخليفة الجديد وبين خالد بن الوليد ، ولا ريب في أن القارئ يذكر أن عمر كان قد نصح أبا بكر بعزل خالد من القيادة إثر قتله مالك بن نويرة في حروب الردة .

ولكن أبا بكر رفض مشورة عمر ، وقبل من خالد تبريره لذلك العمل ، وقد أدى هذا الحادث وبعض الحوادث المماثلة إلى زيادة النفور بين الرجلين مما حمل الخليفة الجديد على أن يكون عزل خالد ، وهو أكثر القادة نجاحاً من قيادته من الأعمال التي قام

---

(١) كتاب تاريخ العرب العام (ص ١٣٨) .

بها)[١] .

فالمستشرق يرى أن قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة كان سبباً في نفور عمر من خالد وعزله لما صارت الخلافة إليه، وقد تقدم الكلام حول قتل خالد لمالك بن نويرة، والروايات التي خاضت فيها فأغنى عن أعادتها.

ولكن هل يمكن أن يكون ذلك الحادث سبباً في عزل خالد عن القيادة؟ هذا القول أحد الأسباب التي ذكرتها بعض الروايات التاريخية التي سأذكرها بعد قليل.

ويقول المستشرق فيليب (**Hitti**): (ولقد تلا عمر أبا بكر في الخلافة، وكان على ما يبدو يُضمر لخالد السوء، لكنه لم يعهد إلى صديقه أبي عبيدة بالقيادة العليا إلا بعد معركة اليرموك (٦٤٢) ليعيش في الأخبار حياة مجترحي المعجزات)[٢] .

فالمستشرق يتهم عمر رضي الله عنه أنه كان يضمر لخالد السوء لذا عزله عن القيادة. وهذا قريب من قول المستشرق سيديو الذي تقدم أولاً، والرد عليه وممن تقدمه، بالنظر إلى كتب التاريخ الإسلامي، والتي تجاذبت خبر عزل عمر رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه عن قيادة الجيش الإسلامي، ووضعت لها أسباباً ودوافع أعرض أهم هذه الروايات وهي:

الرواية الأولى: ذكر الطبري في تاريخه أن ابن إسحاق (قال في أمر خالد وعزله إياه: إنما نزع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلّم به – فيما يزعمون – ولم يزل عمر عليه ساخطاً ولأمره كارهاً في زمان أبي بكر كله، لوقعته بابن نويرة، وما كان يعمل به في حربه؛ فلما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزله، فقال لا يلي عملاً أبداً . . .)[٣] .

الرواية الثانية:ذكرها الطبري عن ابن إسحاق أنه قال: (كان عمر كلما مر بخالد قال: يا خالد أخرج مال الله من تحت استك، فيقول: والله ما عندي من مال؛ فلما أكثر عليه عمر قال له خالد: يا أمير المؤمنين ما قيمة ما أصبت في سلطانكم! أربعين ألف

(١) كتاب الفتوحات العربية الكبرى (ص ٢٦٤).

(٢) كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (٢/ ١٥).

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٦).

درهم؟ فقال عمر: قد أخذتُ ذلك منك بأربعين ألف درهم، قال: هو لك، قال: قد أخذته. ولم يكن لخالد مال إلا عُدّة ورقيق، فحسب ذلك، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم فناصفه عمر ذلك، فأعطاه أربعين ألف درهم، وأخذ المال. فقيل له: يا أمير المؤمنين، لو رددت على خالد ماله؟ فقال: إنما أنا تاجر للمسلمين، والله لا أرده عليه أبداً، فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك)(١).

الرواية الثالثة: ذكرها الطبري وفيها سيف بن عمر التميمي (لما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابت تلك الصائفة انتجعه(٢) رجال، فانتجع خالداً رجال من أهل الآفاق، فكان الأشعث بن قيس(٣) ممن انتجع خالداً بقنسرين، فأجازه بعشرة آلاف. وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله، كتب إليه من العراق بخروج من خرج، ومن الشام بجائزة من أجيز فيها، فدعا البريد، وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث، أمن ماله أم من إصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف. وأعزله على كل حال، وأضم إليك عمله، فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام البريد فقال: يا خالد أمن مالك أم من إصابة؟ قال: لا بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده...)(٤).

الرواية الرابعة: ذكرها الطبري وفيها سيف بن عمر التميمي، قال: (كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٧).

(٢) انتجعه: طلبوا معروفه، ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٩)، مادة: (نجع).

(٣) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، قدم على رسول الله ﷺ سنة عشر في وفد كندة وكان رئيسهم، إلا أنه كان ممن ارتد عن الإسلام بعد النبي ﷺ، ثم راجع الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق، وشهد القادسية، والمدائن وغيرها، مات سنة ٤٢هـ، وقيل: ٤٠هـ في الكوفة، كتاب: الاستيعاب (ص٧١)، رقم (١٣٥)، وكتاب: الإصابة (ص ٥٨)، رقم (٣١٩).

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٤٩١).

فتنة)[١] .

الرواية الخامسة: ذكرها ابن عساكر (أنهما تصارعا وهما غلامان فكسر خالد ساق عمر ، فما زال بينهما البغض حتى تولى عمر فعزله)[٢] .

الرواية السادسة: أوردها ابن حجر وقال: (قال عمر لأبي بكر: اكتب إلى خالد لا يعطي شيئاً إلا بأمرك ، فكتب إليه بذلك فأجابه خالد: إما أن تدعني وعملي وإلا فشأنك بعملك ، فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر: فمن يجزي عني جزاء خالد؟ . . .فلما قبل عمر كتب إلى خالد ألا تعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمري ، فكتب إليه خالد بمثل ما كتب إلى أبي بكر ، فقال عمر: ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه فعزله)[٣] .

ويمكن نقد هذه الروايات بالأمور التالية:

١ – أن أسانيد هذه الروايات ضعيفة ، فابن إسحاق مدلس وسيف بن عمر التميمي ضعيف متروك لما رمي به من الزندقة والتشيع . وأما رواية ابن عساكر فهي من رواية مجالد بن سعيد وهو ضعيف لا تقبل روايته . وأما رواية ابن حجر فهي مرسلة ومنقطعة ، أما مالك بن أنس فهو من تابع التابعين ، فالحديث فيه انقطاع فهو ضعيف بهذا .

٢ – أن عمر رضي الله عنه عزل قادة وعمالاً كثراً من الصحابة من أمثال: سعد بن أبي وقاص وغيره ، وعزل خالد رضي الله عنه ليس بدعاً من ذلك ، ولكن هناك من يحاول تضخيم ذلك العزل ، قد يكون من الرواة ، أو من غيرهم ، للدس وتشويه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم ، وبخاصة تاريخ وسيرة عمر وخالد رضي الله عنهما اللذين

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٩٢) .

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، لابن منظور (٧/ ٢٢) ، وتاريخ ابن كثير (٤/ ١٢٤) ، وهي عن مجالد عن الشعبي ، ومجالد بن سعيد الهمداني ضعيف جداً . ينظر: كتاب الكاشف (٢/ ٢٣٩) ، رقم (٥٢٨٦) ، وكتاب تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٢) ، رقم (٧٦٥٨) .

(٣) كتاب الإصابة (ص ٣٣١) رقم (٢٢٩٦) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٩) وهي عن مالك بن أنس .

هما من أبطال الإسلام وقادته الكبار .

٣ – أن كتب التاريخ والمؤرخين لها سجلوا ما عندهم حول ذلك بعيداً عن النقد ، وقد يكون حجة بعضهم أنه رواه بالإسناد . وأما الكتاب المعاصرون فقد حاول البعض[١] منهم النقد ، والبعض الآخر النقل المجرد[٢] .

والنقل في ذلك عنهم يطول المسألة ، لذلك كله آثرت الاختصار كما تقدم في النقد ، ومن أراد المزيد والتقصي ينظره في مظانه .

وعليه، فالخلاصة:

أن عمر رضي الله عنه إنما عزل خالد بن الوليد لمصلحة راجحة رآها ، كما عزل غيره ، وما قيل عن دواعي هذا العزل فضعيف ومشكوك فيه لا يعول عليه ، لما فيها من الحط من شأن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والنيل من بطل الإسلام وسيف الله المسلول على الكفار ، وتشويه سيرة الصحابة رضي الله عنهم ، لذلك كله حاول بعض المستشرقين الصيد في الماء العكر وتشويه سيرة الصحابة رضي الله عنهم ، وصلة بعضهم ببعض ، كما جاء النقل عنهم فيما سبق .

٣ – موقف المستشرق ليفي دلافيدا من تميم الداري رضي الله عنه

كتب المستشرق ليفي دلافيدا (**Levi Della Vida**) عن تميم الداري[٣] رضي الله عنه في (دائرة المعارف الإسلامية) فقال:(**أسلم تميم وسكن المدينة، وكان تميم نصرانياً كغالب عرب الشام، فاستطاع أن يخبر النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى ومنها استعمال السراج في المسجد**)[٤] .

---

(١) ينظر: كتاب خالد بن الوليد ، صادق عرجون (ص ٢٦٢) ، وكتاب حركة الردة ، د/ علي العتوم ، (ص ٢٣٧) ، وكتاب عمر بن الخطاب: عبدالكريم الخطيب (ص ٤٢٤) .

(٢) كتاب سيف الله خالد بن الوليد ، تأليف: الجنرال: أ . أكرم (ص ٥١٩) ، وكتاب الفاروق القائد ، تأليف: بسام العسلي (ص ٨٩) .

(٣) هو تميم بن أوس بن خارجة بن الدار ، ينسب إلى الدار بطن من لخم ، يكنى أبا رقية ، كان نصرانياً فأسلم في السنة تسع من الهجرة ، كان يسكن المدينة ، ثم انتقل عنها إلى الشام بعد قتل عثمان رضي الله عنه . ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٦٥ ، ٧/ ١٩٥) ، كتاب الاستيعاب (ص ٩٧) ، رقم (٢٣٨) .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (٥/ ٤٨٠) مادة: (تميم الداري) ، ولم تذكر في موجز الدائرة .

فالمستشرق في هذا النص يرى بأن تميماً الداري رضي الله عنه نقل شيئاً من النصرانية إلى الإسلام .

ومقصد المستشرق من كلامه هذا أن في الإسلام شيئاً من النصرانية وعباداتها؟ لكن الغريب والعجيب في كلامه أنه مثّل على ذلك باستعمال السراج في المسجد؟!

وهل استعمال السراج في المساجد من عبادات النصرانية وطقوسها؟ ما دليله على ذلك؟

وكلام المستشرق يُفهم منه أن النبي ﷺ أخذ عن تميم الداري إسراج السرج في المسجد ، وهذا غير صحيح ، فالرسول ﷺ لم يسرج المسجد وإنما الذي ورد هو أن تميماً أول من أدخل السراج في المسجد(١) .

واستعمال السرج في المساجد وغيرها هو من أجل الإضاءة ، فهو داخل تحت حكم الإباحة ، ومن زعم غير ذلك فعليه الدليل .

والمستشرق (دلافيد) أخذ بمنهج التطور في الكتابة عن تميم رضي الله عنه ، وذلك ليمرر دعواه ؛ أن الإسلام دين فكري وضعي ، أخذه نبيه من الديانات السابقة عليه .

هذه دعوى لا دليل عليها سواء التعصب المقيت ، والبُعد عن النظر الصحيح ، والتفكير السليم ، الذي يقود إلى الإيمان بدين الإسلام .

ويقول المستشرق دلافيد (Della Viad) عن مكانة تميم الداري رضي الله عنه عند المسلمين فيقول:(ويقال إن تميماً كان أول من روى القصص الديني . . . وقصص قيام الساعة ، وظهور الدجال . . والجساسة من هذا الفن من فنون الآداب ، وقد أخبر

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، ك: المساجد والجماعات ، باب: تطهير المساجد وتطييبها ، حديث: ٧(ص ١٠٨) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٤٩) عن أبي هريرة ، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (٣/ ١٩٣) ، عن أبي هريرة أيضاً . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٩٢): رواه الطبراني وفيه خالد بن إياس . وقال الذهبي عن رواية أبي سعيد الخدري في سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٨): وأخرج ابن ماجه بإسناد ضعيف عن أبي سعيد .
قلت: وخالد بن إياس ضعفه أئمة الحديث . ينظر: تهذيب التهذيب ، لابن حجر (٢/ ٢٥٩) ، رقم (١٩١١) .

بها تميم النبي فأخذ بروايته وأذاعها في الناس .

ويقال إن تميماً شاهد بعينيه هذين المخلوقين وتحدث إليهما في جزيرة في آخر العالم ألقت به إليها عاصفة هبت عليه في رحلة له ببحار الشام . وقد حُبس في هذه الجزيرة الدجال والجساسة انتظاراً لليوم الذي سوف يؤذن لهما فيه بالخروج إلى الأرض . وليس من شك أن أسطورة تميم هذه نشأت في عهد سحيق لأننا نجدها بجميع تفصيلاتها في أقدم كتب السنة: في مسلم ، وأبي داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وأحمد بن حنبل .

ثم إن مسرح هذه القصة قد تعين بعد ذلك عقب وفاة النبي ، وتغيرت حوادثها فلم يعد السبب في ذلك معرفة تميم خفايا العالم الآخر نتيجة لغرق مركبه . وإنما حمله جني من بيته بليل ، وطاف به بلاداً مجهولة يسكنها عجائب المخلوقات على اختلاف أنواعها ، ولقي في هذه الرحلة الغرائب والأهوال ، وكان لقاؤه للدجال والجساسة مرحلة من مراحلها ، ثم عاد به إلى بيته ملك سحابة ، ووقعت زوجه في حيرة شديدة ، فقد ظنت أنه مات فتزوجت رجلاً غيره ، ورفع الأمر إلى الخليفة عمر ، فناط به علياً فأفتى بأن النبي قد تنبأ بكل ما وقع لتميم ، وترك للزوجة الخيار بين الرجلين فآثرت تميماً .

وراجت هذه القصة بصورتها التي تجمع بين ذينك السببين الشائقين ألا وهما: الرحلة إلى بلاد العجائب ، وعودة من ظُن أنه مات ، فهي معروفة في التركية والملاوية ، والأسبانية)[١] .

فالمستشرق في هذا النص على طوله يرى أموراً منها: أن تميماً الداري هو أول من نقل القصص الديني وخاصة قصص قيام الساعة ، وأن النبي ﷺ قد استفاد من ذلك فأذاعها في الناس ، وأنه بعد وفاة النبي ﷺ تبين للناس من الصحابة وغيرهم أن تميماً إنما حمله الجن إلى بلاد مجهولة فجاء بأخبار عجيبة فصدقها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، وما جاء به تميم هو موافق لما في أساطير وقصص الشعوب الأخرى من الترك والملاوي ، والأسبان .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٥/ ٤٨١ – ٤٨٢) مادة: (تميم الداري) .

فقول المستشرق: (**ويقال إن تميماً كان أول من روى القصص**[1] **الديني... وقصص قيام الساعة، وظهور الدجال، والجساسة**).

هذا القول ذكره على سبيل التضعيف، وهذا صحيح، فإن ما نُسب إلى تميم الداري من أنه أول من قص هذا قول ضعيف. فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن السائب[2] بن يزيد: (أنه لم يكن يُقصُّ على عهد رسول الله ﷺ، ولا أبي بكر، وكان أول من قصَّ تميماً الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص على الناس قائماً، فأذن له عمر)[3].

وقوله: (**وظهور الدجال... والجساسة من هذا الفن من فنون الآداب**).

هذا القول هو تعبير عما يُكنه المستشرق ويعتقده في قلبه، وقرارة نفسه، أن الإسلام وعقائده وعباداته، قد أخذت من بعض الروايات الأدبية، والأساطير الشعبية.

---

(١) القصص: المراد بها الخطب التي يكون فيها وعظ الناس بما مضى من الأخبار، أو بما يستقبل. ينظر: كتاب الفائق في غريب الحديث (٣/ ١٠٥)، مادة: (قصص)، كتاب النهاية في غريب الحديث (٤/ ٦٢).

(٢) هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود بن أخت النمر، اختلف في نسبته، فقيل: كناني، وقيل: كندي، وقيل: ليثي، وقيل: سلمي، وقيل: هذلي، وقيل: أزدي. كتاب الاستيعاب (ص ٣١٣) رقم (١٠٧٤)، وينظر: كتاب أسد الغابة (٢/ ٢٧٣) رقم (١٩٢٧).

(٣) م/ المكيين ١٥٨٠٦ (ص ١١٠٣)، والطبراني في معجمه الكبير (٧/ ١٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨١). قال محقق مسند الإمام أحمد [طبعة الرسالة] (٢٤/ ٤٩٠): (إسناده ضعيف من أجل بقية بن الوليد الحمصي، فهو مدلس تدليس التسوية، وهو شر أنواع التدليس، ويشترط في مثله أن يصرح بالسماع في كل طبقات الرواة، وهو هنا لم يصرح بالتحديث إلا عن شيخه الزبيدي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين سوى يزيد بن عبدربه فمن رجال مسلم، وهو ثقة). أ.هـ.
وهناك رواية ثانية: عن عمرو بن دينار أن تميماً الداري استأذن عمر في القصص، فأبى أن يأذن له، ثم استأذنه فأبى أن يأذن له، ثم استأذنه فقال: إن شئت وأشار بيده الذبح). والمراد بالذبح هنا مجاز عن الهلاك فإنه من أسرع أسبابه. النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٤١)، مادة (ذبح). رواه الطبراني في معجمه الكبير (٢/ ٤٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٩): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عمرو بن دينار لم يسمع من عمر.
وهناك رواية ثالثة عن الزهري قال: أول من قص تميم الداري على عهد عمر، الحديث أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٢١٩). قلت: والزهري لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذا قول باطل فالإسلام مصادره: ربانية ؛ عقائده ، وعباداته ومعاملاته مستوحاة من نصوص الكتاب والسنة .

وقول المستشرق: (**وليس من شك أن أسطورة تميم هذه نشأت في عهد سحيق؛ لأننا نجدها بجميع تفصيلاتها في أقدم كتب السنة: في مسلم، وأبي داود، والترمذي، وأحمد بن حنبل**).

فالمستشرق ينفي الشك ، فيقول بصورة الجازم أن ما أخبر به تميم النبي ﷺ من الدجال والجساسة ، هو أسطورة ، وخبر لا حقيقة له .

وإن كان يجد روايته في كتب السنة .

وقوله هذا مكابرة وبعد عن الحق والصواب والإنصاف ، وما الحيلة فيمن يضع كلتا يديه على عينيه في رابعة النهار والشمس ليس دونها غيم ثم يقول: من قال بأن الشمس أشرقت فقد كذب؟!

فقل للعيون العمي للشمس أعين

سواك تراها في مغيب ومطلعِ[١]

وإلا فخبر الجساسة الذي ذكره تميم الداري رضي الله عنه للرسول ﷺ أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن فاطمة بنت قيس[٢] رضي الله عنها ، الحديث ، وفيه:

(سمعت نداء المنادي ، مُنادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعةً ، فخرجتُ إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله ﷺ ، فكنت في صفِّ النساء الذي يلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال: «ليلزم كل إنسان مُصلاَّهُ» ثم قال: «أتدرون لِمَ جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: «إني

---

(١) ينظر البيت في كتاب شفاء العليل لابن القيم (ص ٥١٧) ، ولم يتبين لي قائله .

(٢) هي فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية ، أخت الضحاك بن قيس ، كانت من المهاجرات الأول . وكانت عند أبي عمرو بن حفص بن المغيرة ، فطلقها فخطبها معاوية وأبو جهم بن حذيفة ، فاستشارت النبي ﷺ فيهما ، فأشار عليها بأسامة بن زيد فتزوجته .ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٩٢٩) رقم (٣٤١٥) ، وكتاب أسد الغابة ، (٥/ ٣٧١) رقم (٧١٩٤) .

والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنتُ أحدثكم عن مسيح الدجال[1]، حدثني أنه ركب في سفينةٍ بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لخم، وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر حين مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابةٌ أهلبُ[2] كثير الشعر، لا يدرون ما قُبُلُهُ مِنْ دُبُره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنتِ؟ قالت: أنا الجسَّاسة[3]» الحديث[4].

وقول المستشرق: (... **ثم إنَّ مسرح هذه القصة قد تعين بعد ذلك عقب وفاة النبي، وتغيرت حوادثها فلم يعد السبب في ذلك معرفة تميم خفايا العالم الآخر نتيجة لغرق مركبه. وإنما حمله جني بليل...**) إلخ.

وهذا القول من المستشرق تكذيب لما أخبر به تميم عن الدجال والجساسة، وقد صَدَّق ذلك الرسول ﷺ، وأخبر به الناس، ولو كان كذباً لنزل الوحي في تكذيب هذا الخبر وبيان الحقيقة، وقد أخرج هذا الحديث كما تقدم مسلم في صحيحه؛ الذي يعد الكتاب الثاني في الصحة والقبول عند أهل السنة والجماعة بعد صحيح البخاري.

وما ذكره المستشرق من قصة حمل الجن لتميم الداري رضي الله عنه، وأخذهم

---

(١) مسيح الدجال: سمي المسيح لأن عينه الواحدة ممسوحة، وقيل: لأنه يمسح الأرض أي يقطعها. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧٨)، مادة: (مسح).

(٢) أهلب: الهُلب: الشعر. المصدر السابق (٥/ ٢٣٢) مادة: (مسح).

(٣) الجساسة: سميت بذلك لأنها تجسُّ الأخبار للدجال. المصدر السابق (١/ ٢٦٣)، مادة: (جسس).

(٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة، حديث: ١١٩، (١٢٧٥).

وأنبه: على أنه كما طعن المستشرقون في حديث تميم الداري رضي الله عنه، وخبره عن الدجال والجساسة، فقد طعن فيه أيضاً أحد المتعالمين من أبناء المسلمين وهو محمود أبو رية في كتابه: (أضواء على السنة المحمدية) حيث زعم أن تميماً الداري رضي الله عنه أول من نقل المسيحيات إلى الإسلام بما بثه من قصة الجساسة والدجال. ينظر (ص ٤٩).

وقد رد عليه بعض العلماء مبين جهله وفساد طويته، فكان من هؤلاء العلماء: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله في كتابه: (الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة)، (ص ١٣٥ – ١٣٦)، والدكتور: محمد محمد أبو شهبة رحمه الله في كتابه (دفاع عن السنة) (ص ٨٢ – ٨٤).

له معهم، وطوافه في ديارهم واطلاعه على عجائبهم، وأن ذلك هو ما أخبر به الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم عن الدجال والجساسة.

وهذا القول غير صحيح، ولم أجد أن أحداً ذكر ذلك غيره، والله أعلم.

فالمستشرق (دلافيد) في هذا النص والذي قبله، أخذ بمنهج التطور، في الكتابة عن هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، من أجل الهجوم على الإسلام.

ففي النص الأول: قال: بأن تميماً كان نصرانياً، ونقل شيئاً من عباداتهم، وفي هذا النص الأخير: أن تميماً جاء بأسطورة صدقها الرسول ﷺ وأذاعها في الناس، وسطرت في كتب السنة، ثم تبين بعد ذلك أنها من فعل الجن بتميم ونقله إلى بلاد مجهولة. وأن هذه القصة متوارثة عند أجيال أخرى عند الترك والملاوي والأسبان.

كما إن قوله إن صفة الدجال أسطورة يعود بالتكذيب على كتبهم وخاصة فيما يسمونه (رؤيا يوحنا) حيث ذكروا فيه مجيء المسيح وهو إذا حقق القول فيه فإنه (المسيح الدجال) إلا أنه عندهم ذكر من خلال رؤيا، وفيها من الخرافات والرموز المستغلقة ما لا يمكن حله إلا بتأويل باطني، وأين ذلك مما ذكره الرسول ﷺ في خبر المسيح الدجال وغيره من أشراط الساعة.

وخلاصة الأمر: في نظر هذا المستشرق أن الإسلام مجموعة عبادات النصارى، وأساطير الشعوب التي نقلت إليهم. وهذا كله غير صحيح ولا دليل عليه، وإنما قاد المستشرق إلى هذا القول: البغض الشديد للإسلام والمسلمين، فهو يهودي صدق فيه قول الله عز وجل: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[المائدة: ٨٢].

٤ – موقف المستشرقين من الزبير وطلحة رضي الله عنهما

الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهما من السابقين إلى الإسلام، ومن أهل النصرة للرسول ﷺ، مع ما عرف عنهما من الفضل وهما من أصحاب الشورى في عهد عمر رضي الله عنهما، الذين أوكل لهم عمر اختيار الخليفة

من بينهم بعد وفاته ، لذا حاول المستشرقون أن يذكروهما معاً في كثير من كلامهم .

وقد تقدمت الإشارة إليهما في عدد من المواضع في موقف المستشرقين من عثمان ، وعلي رضي الله عنهما ، لذا أختصر الكلام هنا .

يقول المستشرق دوزي (Dozy) عن وضع الزبير وطلحة رضي الله عنهما بعد اختيار عثمان رضي الله عنه ليكون الخليفة: (**سمّي ستة من أقدم صحابة الرسول – فيهم علي وعثمان والزبير وطلحة – ليكون أحدهم رئيساً للدولة من بعده... وما كان أشد حسرة علي والزبير وطلحة حين استخلف القوم عثمان الأموي**) (١).

فالمستشرق هنا يصور حال الصحابة رضي الله عنهم بعد اختيار عثمان ليكون خليفة بعد عمر رضي الله عنه ، ويخصص ذلك بأكابر الصحابة وهم علي ، والزبير وطلحة ، وأن ذلك كان حسرة أصابتهم ، لعدم تحقق أمنياتهم بالخلافة .

وهذا القول غير صحيح ، ولا مستند له إلا الهوى ، ومحاولة تشويه سير الصحابة رضي الله عنهم . فإن الصحابة الثلاثة قد رضوا بعثمان رضي الله عنه خليفة ، وبايعوه بالخلافة في وقت اختياره ، ولم يتخلف أحد منهم ، وهذه توطئة منهم لكثير من مطاعنهم في الزبير وطلحة رضي الله عنهما ، وقد تقدم الكلام عليه في موقف المستشرقين من عثمان رضي الله عنه .

ويصف بعض المستشرقين بعض تدخلات الزبير وطلحة في أمور السياسة في عهد عثمان رضي الله عنه ، ومنها ما أثير حول تقريبه لبعض بني أمية ومحاباته لهم بالأموال ، فيقول دوزي (Dozy): (**أما منافسو عثمان القدامى وهم: علي والزبير وطلحة، فقد أجمعوا أمرهم على ألا يتهاونوا في ترك الأمور تجاوز الحد الذي وصلت إليه..**)(٢) .

بل إن الأربعة وهم طلحة والزبير ، وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم قد تنازلوا لعثمان وعلي رضي الله عنهما ، فبقيت بين الاثنين فكيف يمكن أن يتازلوا ثم ينافسوه عليها ، أعني طلحة والزبير رضي الله عنهما؟!

(١) كتاب تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٣٨) .

(٢) تاريخ مسلمي أسبانيا (١/ ٤٢) .

بل ما كانوا ليخرجوا على عثمان رضي الله عنه، أو يسبوه أو يظهروا مخالفته، وينظر إلى حال ابن مسعود رضي الله عنه مثلاً في متابعته لعثمان في إتمامه الصلاة الرباعية في منى، مع أن السنة القصر، وقال بأن: (الخلاف شر) وكذلك في رجوعه وأخذ بمصحف عثمان(١)، وكذلك يقال في الزبير وطلحة رضي الله عنهما أنهما لم يكونا ليخرجا عليه، أو يدبرا له أمراً يعقداه في الدهاليز، والأقبية، إنما كانا من الناصحين والمشيرين إليه بالخير في أمره كله.

واتهم المستشرق فلهوزن (**Well Hausen**) الزبير وطلحة رضي الله عنهما، وأنهما وبعض الصحابة رضي الله عنهم دبروا أمر مجيء الثوار الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه ومن ثم قتله فيقول:(كبار الصحابة الذين كانوا يحملون أكبر الوزر في اندلاع نار الثورة وهم علي وطلحة والزبير، فإنهم لم يبذلوا أي جهد لإخمادها، وربما كان موقفهم من الخليفة هو أنهم: أظهروا أسفهم أنهم لا يستطيعون مساعدته؛ لأن أيديهم مقيدة، ولكنهم إنما كانوا يظهرون غير ما يبطنون؛ أما الحقيقة فهي أنهم لم يعملوا أبداً على إيقاف سير الحوادث آملين أن تنتهي بالفائدة لهم)(٢).

فالمستشرق هنا يتهم علي والزبير وطلحة رضي الله عنهم أجمعين، أنه كان لهم يد في مجيء الثوار إلى المدينة. وهذا القول لا مستند له من دليل صحيح، والمعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم ومن بينهم الزبير وطلحة رضي الله عنهم قد دافعوا عن الخليفة بما يستطيعون، وفاوضوا الثوار، والزبير رضي الله عنه أرسل ابنه عبدالله للدفاع عن عثمان لما حصر في داره وقد تقدم الكلام حول ذلك فيما سبق.

وكيف يتهم بعد ذلك من دافع عن عثمان رضي الله عنه، وهذا يدل على أن لأعداء الصحابة من السبئية والرافضة وغيرهم يد في تلك الأحداث، ويد في تلك الأخبار التي سطرت في كتب التاريخ.

واتهم المستشرق بروكلمان (**Brockemann**) طلحة وغيره من الصحابة رضي

---

(١) (ص ٤٩٣ وما بعدها).

(٢) كتاب تاريخ الدولة العربية (ص ٤٨).

الله عنهم ، وأنهم حاولوا أن يفيدوا من استياء الناس من حكم عثمان رضي الله عنه فدبروا له مكيدة ينفذها الثوار من أهل الأمصار .

(واستطاع خصوم الخليفة في المدينة، وعلى رأسهم علي وطلحة، أن يفيدوا من الاستياء العام، ومع أنهم كانوا يعتبرون من واجبهم الدفاع عن التيوقراطية[١] الصحيحة ضد إدارة عثمان الدنيوية فلم يجرؤوا على النضال ضده جهاراً، بل تركوا هذه المهمة البغيضة لأهل الأمصار)[٢] .

فالمستشرق هنا يصرح باتهام طلحة وعلي رضي الله عنهما في أمر مجيء الثوار إلى المدينة .

وهذا القول ليس عليه دليل صحيح ، فكتب التاريخ مليئة بالأخبار المكذوبة على الصحابة رضي الله عنهم ، التي وضعها الرافضة وغيرهم .

ومنها: أن بعض الصحابة قد راسلوا الثوار للمجيء إلى المدينة ، بل يقال بأنها وضعت كتب على ألسنتهم .

والصحيح في ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لم يراسلوا أحداً من الثوار ، وما كُتب إلى الثوار فهو موضوع ومكتوب على ألسنتهم من أهل الأهواء والناقمين على عثمان رضي الله عنه .

ويحاول المستشرقون أن يشوهوا سير الزبير وطلحة رضي الله عنهما ، وموقفهما من البيعة لعلي بالخلافة ، فيقول المستشرق دوزي (**Dozy**):(لم يكد علي يتسلم من الأنصار مقاليد الخلافة حتى عزل جميع عمّال عثمان . . . لم تطل نشوة القوم إذ سرعان ما دبّ الشقاق بين القادة أنفسهم ، فقد جمع في الخلافة كل واحد من أولئك الثلاثة الذين أعانوا قتلة عثمان ، وفجع طلحة والزبير في آمالهما فأجبرا – والسيف على رقبتيهما –

---

(١) التيوقراطية: (Theocracy) لفظ يوناني مركب من لفظين: أحدهما: (تيوس) ومعناه: الله ، والآخر: (كراتوس) ومعناه القوة أو السلطان . ويطلق نظام الحكم ترجع السلطة فيه إلى رجال الدين . ينظر: كتاب المعجم الفلسفي ، نشر مجمع اللغة العربية بمصر (ص ٥٧) ، والمعجم الفلسفي ، جميل صليبا (١/ ٣٦٩) .

(٢) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ١١٢) .

على مبايعة منافسهما المجدود)[١] .

فالمستشرق هنا يتهم الصحابة ومن بينهم الزبير وطلحة ، وأنه كان لهما آمال بالخلافة بعد مقتل عثمان ، لكنهما أجبرا على مبايعة علي .

الزبير وطلحة رضي الله عنهما كانا من أصحاب الشورى ، وكان بعض الصحابة من الأنصار والمهاجرين قد أرادوا مبايعة طلحة ، ثم بدا لهم أن يكون علي رضي الله عنه فرضي طلحة بذلك ، وبايع هو والزبير طائعين في المسجد ، ولا صحة للروايات التي تقول بأنهما بايعا مكرهين .

ولا شك بأن الروايات الضعيفة والموضوعة تروق كثيراً للمستشرقين ، فهم كالذباب يحط على الجرح ومحل القاذورات .

ويقول فلهوزن:(وقد تلقى البيعة العامة في المسجد ، في نفس اليوم الذي قتل فيه عثمان . . . وكأنما كان من حسن حظه أن طلحة والزبير ، وهما اثنان من الثلاثة الكبار بين الصحابة ، انقلبا عليه انقلاباً مخزياً ؛ لأنه بتلقيه البيعة نال دونهما نجاحاً قانونياً ، وهم في حياة عثمان لم يألوا جهداً في الكيد لعثمان .

وكان يبدو أن ذلك لأجل علي ، فقد قدّماه على أنفسهما ، لكنهما الآن خرجا عليه خروج المنافسين واتهماه بأنه هو الذي دبّر مقتل عثمان وأنه هو الذي استفاد منه)[٢] .

فالمستشرق يتهم الزبير وطلحة ، بل وعلي رضي الله عنهم أجمعين بتدبير المكايد للإطاحة بحكم عثمان رضي الله عنه ، إلا أن علياً قد نال الخلافة دونهما ، فما كان منهما إلا أن اتهما علياً بأنه هو الذي دبر مقتل عثمان رضي الله عنه .

وهذا القول غير صحيح ، فإن الزبير وطلحة رضي الله عنهما لم يدبرا مكيدة لعثمان ، ولم يتهما علياً بقتل عثمان ، وقد تقدم الإشارة إلى ذلك فيما سبق .

---

(١) كتاب تاريخ مسلمي إسبانيا (١/ ٤٣) .

(٢) كتاب تاريخ الدولة العربية (ص ٥١) .

وهذا مثل قول المستشرق بروكلمان (**Brockelmann**):(وفي نفس اليوم الذي صُرع فيه عثمان، بايع الناس علياً بالخلافة في مسجد المدينة. ولكن طلحة والزبير اللذين كانا حتى تلك اللحظة يعملان في ما يظهر لمصلحة علي، تخلفا عن مبايعته، وحمّلاه تبعة مقتل عثمان، ثم إنهما لحقا عائشة إلى مكة...)[(١)].

وكتب التاريخ مليئة بالأخبار الموضوعة، والمتهمة للصحابة رضي الله عنهم بعظائم الأمور، فليتنبه لهذا.

ومن أسباب الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم وخاصة علي والزبير وطلحة في عهد علي رضي الله عنه، أن طلحة والزبير قد عرضا على الأخير أن يوليهما الكوفة والبصرة، فرفض.

فيقول المستشرق سيديو (**Sedillot**):(فلما رفض علي أن يولي صاحبي معاوية طلحة والزبير الكوفة والبصرة، انقلبت صداقة هذين الصاحبين إلى حقد شديد، وبدت أرملة محمد عائشة بنت أبي بكر روح كل مكيدة ويهرع إلى السلاح)[(٢)].

فالمستشرق في هذا النص يرى أن رفض علي أن يولي الزبير وطلحة الكوفة والبصرة، حوّلت الصداقة إلى حقد وقتال.

وهذا قول غير صحيح، فالزبير وطلحة رضي الله عنهما كانا من أصحاب الشورى، وهما في منزلة عالية وقريبة من الخليفة، بل قد تكون أرفع من أن يليا الكوفة والبصرة.

فرفض علي لطلبهما لحاجته إليهما في الشورى، وما يعن له من بعض الأمور.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه امتنع من تولية كبار الصحابة خوفاً عليهم من الفتنة في الأمة إذا توزع إليهم كبار أصحاب النبي ﷺ، وإلا فقد ولي سعد بن أبي وقاص الكوفة، ولو قلنا أن علياً قال بذلك فلا يبعد.

---

(١) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية (ص ١١٧).

(٢) كتاب تاريخ العرب العام (ص ١٢٧).

والزبير وطلحة قد طلبا ذلك لمصلحة الخليفة والمسلمين ، فإن أعظم الشر جاء من قبل الكوفة والبصرة ، فقد كانت بؤرة إثارة الفتن والخلاف بين المسلمين ، بل وكثرة الشعب على الولاة الذين يعينون عليهما من زمن عمر وحتى مقتل عثمان رضي الله عنهم أجمعين . فأرادا الإصلاح ، وإمساك الأمور ، وإيقاف الفتن والتي كان من أعظمها مد يدهم لقتل خليفة المسلمين في داره .

فالزبير وطلحة رضي الله عنهما أرادا الإصلاح والخير للمسلمين وللخليفة .

هذا ما يمكن أن يقال عنهما ، وأما أن يتهما بذلك فهذا بهتان عظيم .

كما كتب المستشرق دلافيدا (**Vida**) عن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه في (دائرة المعارف الإسلامية) حيث قال:(لما توفي النبي بدا أن علاقته بالخليفتين الراشدين الأولين كانت أميل إلى الفتور ، ويقال إنه تردد مدة طويلة قبل أن يبايع أبا بكر وعمر من بعده . وقد حرص بدوره على أن لا يولى منصباً رفيعاً ذلك الصحابي القوي ، فقد كان لدى هذين الخليفتين فيما يرجح أسباب تدعوهما إلى الخشية من أطماعه . ولم يمنعه ذلك من أن يجمع ثروة طائلة من الفتوح الإسلامية ، إذ كانت له ضياع في جزيرة العرب وفي العراق وأملاك عينية ، وتذكر الروايات أن كرمه كان يعادل ثروته ، وقد بوأته هيبته ومركزه المالي أرفع مكانة في عهد عمر . . .

وطلحة كان من المرشحين للخلافة ، وقد أحس بمرارة الخيبة عندما وقعت من نصيب عثمان .

واندمج طلحة في صفوف المعارضة فاستغل السخط الذي سرعان ما دب في نفوس الناس على حكم عثمان ، وسعى إلى تولي الخلافة مرة أخرى . . . وظن طلحة أن حلمه أوشك أن يتحقق ، بل لقد بدا أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسين أو أدنى ، وإذا بعلي يبايع بالخلافة دونه . . . فأقصي عن الخلافة .

ومهما يكن من شيء فقد وجد طلحة ألا مناص له من الاعتراف بالخليفة

الجديد. . .)[١].

فالمستشرق (دلافيد) في كلامه يحاول أن يُصوِّر طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه – أحد الصحابة الكبار، ومن العشرة المبشرين – بالحريص على تولي الخلافة من بعد وفاة الرسول ﷺ، حتى قتل في وقعة الجمل في خلافة علي رضي الله عنه.

وهذا القول غير صحيح، وفيه اتهام لطلحة رضي الله عنه، بل وفيه تصوير لحياة الصحابة رضي الله عنهم وأنهم كانوا في حالة خلاف، مع وجود شيء من الأنانية، وخلوهم من الأثرة، والسعي في مصلحة جماعة المسلمين، ونشر دين الإسلام.

والمستشرق هنا أخذ بمنهج التزييف، والانتقاء لبعض من مواقف طلحة رضي الله عنه في بعض الأزمنة، وخاصة ما كان منه بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وأن بعض الصحابة رضي الله عنهم قد عرض عليه البيعة بالخلافة، وحاول هذا المستشرق أن يستفيد من بعض الأخبار التي لا تصح، كما هي مدونة في كتب التاريخ، فنسج منها هذه الترجمة ورسم صورة قاتمة لأحد شجعان الصحابة رضي الله عنهم، حقق الكثير من المآثر والفضائل إلا أنه أخفق في تولي الخلافة، مع محاولاته في زمن يقدر بربع قرن.

وما ذكره المستشرق في هذا النص من طعن واتهام لطلحة رضي الله عنه، أو لغيره من الصحابة رضي الله عنهم تقدم الكلام عليه ورده فيما سبق، وخاصة في المبحث الأول (موقف المستشرقين من الخلفاء الراشدين) لذا سأختصر الكلام حول ما ذكره المستشرق دلافيدا.

قوله: (**فلما توفي النبي بدا أن علاقته بالخليفتين الراشدين الأولين كانت أميل إلى الفتور، ويقال إنه تردد مدة طويلة قبل أن يبايع أبا بكر وعمر من بعده**).

وهذا القول غير صحيح ألبتة، فطلحة رضي الله عنه كان من المبايعين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالخلافة، ولم يحدث منه تردد، فالصحابة رضي الله عنهم لم يكن بينهم تنافس في الخلافة، وخاصة بعد وفاة الرسول ﷺ، ووفاة أبي بكر رضي الله عنه،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١٥/ ٢٥٤)، مادة: (طلحة بن عبيدالله)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٢/ ٦٩٠٠)، مادة: (طلحة بن عبيدالله).

بل كان كل واحد منهم يود لو أن أخاه كفاه ذلك الأمر .

ولينظر القارئ الأريب ما حدث في سقيفة بني ساعدة من مبايعة الصديق رضي الله عنه بالخلافة ، وعهد أبي بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما بالخلافة في الروايات الصحيحة ، حيث تجد الأثرة وحب مصلحة الإسلام والمسلمين .

وقوله: (**أميل إلى الفتور**) . المستشرق هنا يريد أن تكتب كتب التاريخ والتراجم كل صغيرة وكبيرة في حياة كل من ترجمت له .

وهذا لا يمكن بأي حال ، إلا لأعداد قليلة مثل الرسول ﷺ ، فقد جاء بهذا الدين ، ومصادره ، وتبليغه لهذا الدين ، وما كان منه في حياته ، من علاقته بربه وبأصحابه .

وما كُتب عن الخلفاء الراشدين أقل بكثير مما كتب عن الرسول ﷺ ، وما كتب عن آحاد الصحابة هو بالطبع أقل من القليل .

ويضاف إلى ذلك من أن كتب التاريخ والتراجم وغيرها تأخر تدوينها ودخلها شيء من النوازع الذاتية والعصبية وغيرها .

لهذا كله فالحكم بأن علاقة طلحة بن عبيدالله بأبي بكر وعمر كان فيها شيء من الفتور قول لا دليل عليه ولا مستند .

وقوله عن عمر: (**وقد حرص بدوره على أن لا يولى منصباً رفيعاً ذلك الصحابي القوي، فقد كان لدى هذين الخليفتين فيما يرجح أسباب تدعوهما إلى الخشية من أطماعه**) .

فهذا القول غير صحيح ، فعمر رضي الله عنه لم يول هذا الصحابي وغيره من الصحابة الكبار مثل علي وعثمان ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير وذلك خشية عليهم من محاسبته لهم على أعمالهم إذا قصروا ، إضافة إلى أنهم كانوا في محل الشورى والمشاورة له ، لذا أوكل إليهم أن يتم اختيار الخليفة من بينهم ، وقد تقدم على ذلك فيما سبق .

وأما أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فخلافته كانت قصيرة ، ولم تكن دولة الخلافة الإسلامية قد نظمت ودونت الدواوين ، ومصرت الأمصار كما هو الحال في عهد

عمر رضي الله عنه .

إضافة إلى أن طلحة رضي الله عنه هو قريب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو من بني تيم ، فلماذا يخشاه ؛ المعروف في طبيعة الإنسان أنه يأنس بقريبه ويسعى إلى نفعه ، وتوليته كثيراً من أموره مع الاطمئنان إليه .

وبهذا يتبين كذب ما ادعاه هذا المستشرق في كلامه السابق .

وقوله: (**ولم يمنعه ذلك من أن يجمع ثروة طائلة من الفتوح الإسلامية... وقد بوأته هيبته مركزه المالي أرفع مكانة في عهد عمر**).

المستشرق هنا نظرته مادية بحتة ، بعيدة عن ما هو أهم من الأموال وهي الإيمان بالله ، والجهاد في سبيل الله ، وحسن الخلق ، وغيرها من أمور هي أهم من تلك الأموال .

ومع ذلك فالمستشرقون كافة يهتمون بذكر الأمور المادية: من أموال ، ومزارع وقصور وغيرها ، لذا اهتموا ببعض الكتب التاريخية التي تسعى إلى تدوين ذلك من أمثال: كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي .

وقوله: (**طلحة كان من المرشحين للخلافة، وقد أحسَّ بمرارة الخيبة عندما وقعت من نصيب عثمان...**) إلخ .

هذا القول غير صحيح ، وتصوير للأمر على غير وجهه ، وقد تقدم الكلام على ذلك في موقفه من بيعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة .

وطلحة رضي الله عنه كان من أصحاب الشورى في عهد عمر رضي الله عنه ، وكان قد عهد الأمر إليهم بأن يتولى الأمر واحد من بينهم ، وكان على رأسهم عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقال عبدالرحمن: اجعلوا إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي ، فقال طلحة: قد جعلتُ أمري إلى عثمان[1] .

وهذا الشاهد وهو قول طلحة: قد جعلتُ أمري إلى عثمان ، فكيف يتنازل عن أمر الخلافة لعثمان رضي الله عنه ، ثم يحس بمرارة الخيبة؟! هذا مصادم لهذه الرواية

(١) سبق تخريجه .

الصحيحة . وهذا دليل على كذب المستشرق (دلافيدا) وخبث طويته ، وأنه لم يترك يهوديته وتحريفه الكلم عن مواضعه لا في دين ولا بحث ، فليتنبه لذلك .

وأما بقية كلامه فهو باطل أيضاً ، فلا حاجة بنا للتطويل في الرد عليه ، وقد تقدم شيء من ذلك في موقف المستشرقين من علي رضي الله عنه .

٥ - موقف المستشرقَيْن درمنغم وبودلي من عمرو بن العاص رضي الله عنه

كتب المستشرقون عن عمرو بن العاص رضي الله عنه كثيراً ، إلا أن أهم ذلك هو ما كتبه المستشرقان: إميل درمنغم ، وبودلي حيث حاولا الطعن في إسلامه ونسبه .

يقول المستشرق إميل درمنغم (**Edrmenghem**) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وكان عمرو بن العاص الفتى الشاعر الوسيم يُكثر من هجو النبي ودينه بما هو أشد إيلاماً وخطراً من أي تعذيب ، وعمرو هذا هو ابن الغرام ، فقد كانت أمه تسكن بيتاً صغيراً في ضواحي مكة ، وكان على بابه عَلَمُ الدَّعارة ، فلما ولد عمرو جمعت من كان يغشونها ، ومنهم: أبو سفيان ، وأبو لهب ، وأمية بن خلف ، وذلك مع خبير بالفراسة لينسب عمراً إلى أحدهما ، فألصق هذا الخبير عمراً بالعاص ، الذي كان أكبرهم سناً ، فسُمي فاتح مصر القادم بعمرو بن العاص)[(١)] .

وأما المستشرق بودلي (**Bodley**) فيقول: (عمرو بن العاص ، ابن غانية مكية رائعة الحسن ، كان يأتيها أشراف مكة ، ولذلك يُشك في نسبه ، ومن المحتمل أن يكون أبوه أي واحد من الأشراف ، حتى أبا سفيان ، وقد ينسب والأمر كذلك إلى أبي لهب أو العباس ، أو إلى أي واحد من العشرة المبرزين في مكة .

ويقول رواة مكة: إن مسألة الأب ما كانت بذات بال ، فشباب ابن العاص وجماله ودهاؤه غطت جميعها على الثلم العائلي ، الذي ثلمته نشأته ، وكان أكبر عامل رفعه في أعين القرشيين قرض الشعر ، فرجل تلك صفاته يكون خير معوان لأعداء محمد .

(١) كتاب حياة محمد (ص ٧١) .

وما كان محمد بشاعر، وما كان ممن يرسل الجواب النابي، فضاق بأشعار عمرو وأغانيه)[١].

وقد اشتمل النص الأول على اتهام عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان شاعراً، وأنه هجا الرسول ﷺ قبل إسلامه، كما اشتمل النص الأول والثاني على الطعن في نسب عمرو رضي الله عنه، وأنه ابن بغي، ولد على فراش العهر؟

وبالنظر إلى هذين الاتهامين، يمكن القول أن فيه محاولة لتشويه سيرة عمرو رضي الله عنه وطهارة نسبه.

والتهمة الأولى: أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قد هجا الرسول ﷺ وأنه عفا عنه بعد إسلامه، وقبل ذلك هل كان عمرو بن العاص رضي الله عنه شاعراً؟

نسب ابن عبدالبر في كتابه: (الاستيعاب) [٢] إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه كان شاعراً، وهناك مقطوعات شعرية له في السيرة النبوية[٣]، والطبقات الكبرى[٤] لابن سعد نسبت إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وأنه قالها، إلا أني لم أجد له شعراً يهجو فيه الرسول ﷺ إلا ما أشار إليه ابن الجوزي في تاريخه[٥]، ولم يذكر القصيدة التي هجا فيها الرسول ﷺ.

على كل حال الإسلام يهدم ما قبله من أعمال الشرك وغيرها، وانظر إلى مبايعة عمرو بن العاص رضي الله عنه للرسول ﷺ الذي أخرجه مسلم في صحيحه من أنه قال: (**أتيت النبي ﷺ فقلتُ: ابسُط يمينك فلأبايعكَ، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلتُ: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي؟ قال: «أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدمُ ما كان قبلها؟**

(١) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٧٤).
(٢) (ص ٤٩٨) رقم (١٧٦٧) ترجمة عمرو بن العاص رضي الله عنه.
(٣) لابن هشام (٣/ ١٦٣).
(٤) (٤/ ٤٤٧).
(٥) (٥/ ٢٣٢).

وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»)[١] الحديث .

فهل لأحد بعد ذلك محاولة نقصه رضي الله عنه بما كان منه في جاهليته وقبل إسلامه ، اللهم لا ، إلا ما كان من أهل البغضاء للصحابة رضي الله عنهم ، وخاصة من بني أمية .

الاتهام الثاني: الطعن في نسب عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وأنه كان ابن بغي وعاهرة ، مختلط ومختلف فيه بين رجال من قريش .

وهذا القول والاتهام لم يأت في خبر صحيح السند . وقد أشار إليه الطبري في تاريخه[٢] عند ذكر خبر وقعة صفين من رواية أبي مخنف الشيعي الكذاب ، كما ورد مطولاً في كتاب (**العقد الفريد**) [٣] لابن عبدربه ، وكتاب (**الكامل في الأدب**) [٤] ، للمبرد ، وكتاب (**لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار**) [٥] ، لأبي القاسم التنوخي ، وكتاب (**بهجة المَجالس وأنس المُجالس**) [٦] ، لابن عبدالبر ، وكتاب (**المستطرف في كل فن مستظرف**)[٧] للأبشيهي .

وكتب الأدب هذه لا تعتني بأسانيد الأخبار وصحتها ، وإنما عنايتها بجمع الغرائب والنوادر من الأخبار والخطب والأشعار ، وإن كانت مصنوعة ومكذوبة .

ورواية الخبر أوردها ابن عبدربه في كتابه: (**العقد**):

أن أروى[٨] بنت الحارث بن عبدالمطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة -

(١) كتاب الإيمان ، باب: كون الإسلام يهدم ما كان قبله وكذا الحج ، حديث: ١٩٢ (ص ٦٤) .
(٢) (٣/ ١٠١ ، ١٠٣) .
(٣) (١/ ٣٢٦) .
(٤) (٢/ ٧١) .
(٥) (ص ٢٦٦) .
(٦) (١/ ٩٩) .
(٧) (١/ ٤٠١) .
(٨) هي أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب الهاشمية ، ذكرها ابن سعد في الصحابيات في باب بنات عمومة الرسول ﷺ ، وهي والدة المطلب بن أبي وداعة السهمي . ينظر: كتاب طبقات ابن سعد (٨/ ٢٦٧) ، وكتاب الإصابة (ص ١٦٢٩) ، رقم (١١٤٥٢) .

وفيها قالت لعمرو بن العاص – أنت يا ابن النابغة[١] تتكلم! وأمُّك كانت أشهر امرأة تُغنّي بمكة، وآخذهن لأجرة! اربع على ظلعك[٢]، واعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش في اللباب[٣] من حسبها ولا كريم منصبها، ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش، كلهم يزعم أنه أبوك؟ فسئلت أمك عنهم، فقالت: كلهم أتاني، فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحِقْتَ به . .)[٤].

وعند التنوخي[٥] أن الحسن رضي الله عنه قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه: (أما أنت يا عمرو فولدت على فراش شرك، وادعيت أمّاً مجهولة، فتخاصمت فيك رجال من قريش: منهم أبو جهل بن هشام، وصخر بن حرب، والحرب بن النضر، والعاص بن وائل، وبغض الجد عادة، فغلب ألأمهم نسباً، وأخبثهم منصباً)[٦].

وبهذا يتبين عدم صحة الطعن في نسب عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأنها إنما وضعت من بعض أعداء بني أمية – خاصة من الرافضة – لتشويه تاريخهم وحسن بلائهم في الإسلام ونصرته.

وقد وجدها المستشرقون فرصة في إذاعة هذا الطعن ونشره كما هي عادتهم في تشويه سير الصحابة رضي الله عنهم والغض من مكانتهم ومنزلتهم.

٦ – موقف المستشرق جلوب من المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

يُعد المستشرق جلوب (Glubb) من أهم مَنْ كَتَبَ عن المغيرة بن شعبة رضي الله

---

(١) وهي سلمى بنت حرملة، تلقب (النابغة) من بني عنزه، ثم أحد بني جَلاّن، أصابتها رماح العرب، فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل. هذا ما ذكر ابن عبدالبر، وهو ينقل عن الأخباريين. ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٤٩٦) رقم (١٧٦٧).

(٢) اربع على ظلعك: أي تمكّث وانتظر. كتاب معجم مقاييس اللغة، (ص ٤١٨)، مادة: (ربع).

(٣) اللباب: خالص كل شيء وخياره. ينظر: المصدر السابق (ص ٩٠٠)، مادة: (لبّ)، ومختار الصحاح (ص ٣١٨)، مادة: (ل ب ب)، ومصباح المنير (ص ٢٨٢)، مادة: (ل ب ب).

(٤) (١/ ٣٢٦).

(٥) هو علي بن الحسن التنوخي، أحد التنوخيين القضاة، شيخ الخطيب البغدادي، توفي سنة (٤٤٧هـ)، وهو رافضي متعصب. ينظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١١٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٦٢).

(٦) (ص ٢٦٦).

عنه من بين المستشرقين حيث عرَّفه بقوله:(المغيرة بن شعبة، أمير البصرة السابق المعزول، ولقد كان هذا الفارس المغوار بطلاً من أبطال الحروب في فارس، وفقد إحدى عينيه في معركة اليرموك، كما تميز بالقامة الفارعة، والرغبة في المغامرة والشعر الفاحم والعود الرياضي، وكان قد حكم الكوفة من قبل في عهد عمر ثم عزله عثمان ليفسح المجال لتعيين أحد الأمويين خلفاً له. وقد عُرف عنه أنه قليل الحياء، لا يخجل من شيء، متجلد العاطفة، وافر الشجاعة كثير الدهاء واسع الحيلة)[(١)].

وقد اشتمل تعريف المستشرق على وصف المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بصفات عديدة إلا أن ما ينكر عليه ولا يوافق قوله عن المغيرة رضي الله عنه بـ **(أنه قليل الحياء، لا يخجل من شيء)**.

فما الأمر الذي بدا من المغيرة بن شعبة رضي الله عنه من أخلاقه، حتى يحكم عليه بهذا الحكم الجائر، والوصف الشائن؟ إلا إن كان قصده ما اتهم به من الزنا كما جاءت بذلك الروايات التاريخية.

والذي قال عنه هذا المستشرق جلوب (Glubb): (وجهت تهمة الزنا إلى المغيرة بن شعبة، وكان موجهوها أربعة من مساعديه بينهم كاتم سره زياد. وقد نقلت التهمة إلى الخليفة في المدينة فاستدعى المتهم والشهود للمثول بين يديه... وأفضى ثلاثة من الشهود بشهاداتهم أمام عمر بن الخطاب، ولم يبق إلا رابعهم زياد الشاب، وعندما استدعي زياد إلى حضرة الخليفة هتف به قائلاً: إنه ليرى في وجه هذا الرجل الأمل بنجاة أحد صحابة رسول الله من الرجم حتى الموت، ونجاة سمعته من المساس.

وقد وجد زياد بعد هذه الإشارة الواضحة أن من الخير له أن يعدل عن شهادته، وأن يظهر عدم تحققه من التهمة وسكه فيها، وهكذا أعلن الخليفة براءة عامله من التهمة مما عرض الشهود الثلاثة الأول إلى عقوبة الجلد؛ لأنهم طعنوا في سمعة رجل بريء، لكن المغيرة فقد مركزه على أي حال)[(٢)].

---

(١) كتاب الفتوحات العربية الكبرى (ص ٦٢١).

(٢) كتاب الفتوحات العربية الكبرى (ص ٣٦٨).

وهذا القول من المستشرق يتطلب منا النظر في الروايات التاريخية وغيرها وقد حصرتها في الروايات التالية:

الرواية الأولى: أوردها الطبري في تاريخه، وفيها سيف بن عمر التميمي قال: (كان الذي حدث بين أبي بكرة والمغيرة بن شعبة أن المغيرة كان يناغيه[١]، وكان أبو بكر ينافره[٢] عند كل ما يكون منه، وكانا بالبصرة، وكانا متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين[٣] متقابلتين لهما في داريهما في كل واحدة منهما كُوة[٤] مقابلة للأخرى، فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبت ريح، ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليصفقه، فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته، وهو بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا، فقاموا فنظروا، ثم قال: اشهدوا، قالوا: من هذه؟ قال: أم جميل ابنة الأفقم – وكانت أم جميل إحدى بني عامر بن صعصعة وكانت غاشية للمغيرة، وتغشى الأمراء والأشراف – وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها – فقالوا: إنما رأينا أعجازاً، ولا ندري ما الوجه؟

ثم إنهم صمموا حين قامت، فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكرة بينه وبين الصلاة وقال: لا تصل بنا. فكتبوا إلى عمر بذلك، وتكاتبوا، فبعث عمر إلى أبي موسى، فقال: يا أبا موسى إني مستعملك، إني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرخ، فالزم ما تعرف، ولا تستبدل فيستبدل الله بك. فقال: يا أمير المؤمنين، أعني بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلا به، فاستعن بمن أحببت، فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً... ثم خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمربد[٥]، وبلغ المغيرة أن أبا موسى قد

---

(١) يناغيه: يحادثه، كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ٧٥)، مادة: (نغا).

(٢) ينافره: يغلبه. المصدر السابق (٥/ ٨٠)، مادة: (نفر).

(٣) مشربتين: مثنى مشربة: بالضم والفتح: الغرفة. المصدر السابق (٢/ ٤٠٨)، مادة: (شرب).

(٤) كوة: نافذة، ينظر: كتاب مختار الصحاح (ص ٣١٦)، مادة: (ك و ى).

(٥) المربَد: بالكسر ثم السكون وفتح الباء الموحدة ودال مهملة: اسم موضع، قال الأصمعي: المربد كل شيء حبست فيه الإبل، ولهذا قيل: مربد النعم بالمدينة وبه سُمي مربد البصرة، وهو من أشهر محال البصرة، وكان سوق الإبل فيه قديماً، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء، وبينه وبين البصرة نحو ثلاثة أميال. ينظر: معجم البلدان (٤/ ٢٤٢)، مادة: (المربد).

أناخ بالمربد فقال: والله ما جاء أبو موسى زائراً ، ولا تاجراً ، ولكنه جاء أميراً .

فإنهم لفي ذلك إذا جاء أبو موسى حتى دخل عليهم ، فدفع إليه أبو موسى كتاباً من عمر ، وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس ، أربعُ كلِم: عزل فيها ، وعاتب ، واستحث ، وأمّر: أما بعد:

فإنه بلغني نبأ عظيم ، فبعثت أبا موسى أميراً ، فسلّم إليه ما في يدك ، والعجل ، وأهدى له المغيرة: وليدةً[١] من مولدات الطائف تُدعى عقيلة ، وقال: إني قد رضيتها لك — وكانت فارهة — وارتحل المغيرة وأبو بكرة ، ونافع[٢] بن كلدة وزياد[٣] وشبل[٤] بن معبد البجلي حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، فقال المغيرة: سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني ، مستقبلهم أو مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة أو عرفوها؟ فإن كانوا مستقبلي فكيف لم أستتر ، أو مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر إلي في منزلي على امرأتي! والله ما أتيت إلا امرأتي — وكانت شبهها — فبدأ بأبي بكرة ، فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة ، قال: كيف رأيتها؟ قال مستدبرهما ، قال: فكيف استثبت رأسها؟ قال: تحاملت؟!

ثم دعا بشبْل بن معبد ، فشهد بمثل ذلك فقال: استدبرتهما أو استقبلتهما؟ قال: استقبلتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكرة ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ؛ قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة ، فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان[٥] ، وأستين[١] مكشوفتين ،

---

(١) وليدة: جارية ، والمولَّدة: التي وُلدت بين العرب ونشأت مع أولادهم ، وتأدبت بآدابهم . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٩٥) ، مادة: (ولد) .

(٢) هو نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، أخو أبي بكرة لأمه ، أمه سمية مولاة الحارث . ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٧١٩) ، رقم (٢٥٧٩) ، وكتاب الإصابة (ص ١٣١١) ، رقم (٨٩٣١) .

(٣) هو زياد بن أبيه ، ويقال ابن أبي سفيان ، وابن سُمية ، وكان يقال له قبل الاستلحاق: زياد بن عُبيد الثقفي ، وأمه سمية جارية الحارث بن كلدة ، ليست له صحبة ، ولا رواية ، وكان رجلاً عاقلاً ، داهية خطيباً ، توفي سنة ٥٣هـ . ينظر: كتاب الاستيعاب (ص ٢٥٤) رقم (٨٣٧) ، وكتاب الإصابة (ص ٤٣٨) ، رقم (٢٩٧٩) .

(٤) شبل بن معبد بن عبيد البجلي الأحمسي ، أمه سمية والدة أبي بكرة وزياد ، مختلف في صحبته وقال الدارقطني: تابعي . ينظر: الاستيعاب (ص ٣٣٤) ، والإصابة ، (ص ٥٦٨) .

(٥) تخفقان: تتحركان . ينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث (٢/ ٥٣) مادة (خفق) .

وسمعت حفزاناً(٢) شديداً .

قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا . قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا ، ولكن أشبّهها ، قال: فتنح ، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد ، وقرأ: ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] . فقال المغيرة: اشفني من الأعبد ، فقال: اسكت أسكت الله نامتك! أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك) (٣) .

الرواية الثانية: أوردها اليعقوبي في تاريخه ، ومنها قوله: (فشهد الثلاثة ، وأقبل زياد ، فلما رآه عمر قال: أرى وجه رجل لا يخزي الله به رجلاً من أصحاب محمد ، فلما دنا قال: ما عندك يا سَلْحَ العقاب؟ قال: رأيت أمراً قبيحاً ، وسمعتُ نفساً عالياً ، ورأيت أرجلاً مختلفة ، ولم أر الذي مثل الميل في المكحلة .

فجلد عُمر أبا بكرة ، ونافعاً ، وشبل بن معبد ، فقام أبو بكرة وقال: أشهد أن المغيرة زانٍ ، فأراد عمر أن يجلده ثانية ، فقال له علي: إذاً توفي صاحبك حجارة .

وكان عمر إذا رأى المغيرة قال: يا مغيرة! ما رأيتك قط إلا خشيت أن يرجمني الله بالحجارة)(٤) .

الرواية الثالثة: أوردها أبو الفرج الأصفهاني وفيها قال:(إن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار ، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: آتي حاجة ، فيقول له: حاجة ماذا؟ إن الأمير يزار ولا يزور .

قال: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة ، قال: فبينا أبو بكرة في غُرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ، ورجل آخر ، يقال له شبل بن معبد ، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة ، فضربت الريح باب المرأة ففتحته ، فنظر القوم فإذا هُم

---

(١) أستين: مثنى أُست ، وهو العجز ، وقد يراد بها حلقة الدبر . المصدر السابق (٢/ ٣٨٥) ، مادة: (سه) .

(٢) حفزاناً: دفعاً ، ينظر: كتاب معجم مقاييس اللغة ، (ص٢٥٦) ، مادة: (حفز) ، ومختار الصحاح (ص ٨٩) .

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٤٩٢) ، وينظر: تاريخ ابن الجوزي (٤/ ٢٣١) ، مختصراً ، وتاريخ ابن الأثير (ص٣٤٠) ، وتاريخ أبي الفداء (١/ ٢٢٧) ، وتاريخ ابن كثير (٤/ ٨٧) .

(٤) كتاب تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٠٠) .

بالمغيرة ينكحها؟! فقال أبو بكرة: هذه بلية ابتليتم بها فانظروا، فنظروا حتى أثبتوا، فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزلنا...)[١] إلخ.

ويمكن النقد لهذه الروايات بالأمور التالية:

- من جهة الإسناد الرواية الأولى: فيها سيف بن عمر التميمي، وهو ضعيف متروك[٢]، والرواية الثانية فيها اليعقوبي، وهو شيعي تالف، والرواية الثالثة فيها أبو الفرج الأصفهاني، شيعي أيضاً.

وعمدة من نقل هذه الرواية اعتمد على الرواية التي في تاريخ الطبري، ونقلها عنه ابن الجوزي، وابن الأثير، وأبو الفداء، وابن كثير. وأشار إلى ذلك أيضاً خليفة بن خياط في تاريخه[٣]، والذهبي[٤] من غير إسناد مختصراً. وعلى ذلك الخبر لا يصح لضعف رواته.

- ومن جهة المتن يلاحظ الأمور التالية:

- أن القارئ لهذا الخبر يشعر وكأنه أمام قصة أدبية، مصنوعة في مقدمتها، والعقدة أو حبكة القصة في وسطها، والنتيجة في نهايتها، كما أن هناك أمور مشكلة.

- أن القصة تشمل رجالاً لهم صلة بثقيف إما نسباً أو ولادة، فالمغيرة بن شعبة، وأبو بكرة، ونافع بن كلدة من ثقيف، وزياد بن أبيه نسب أولاً إلى ثقيف، وشبل بن معبد أمه سمية، كانت أمة لرجل من ثقيف، كما أن الأربعة غير المغيرة بن شعبة أمهم سمية مولاة الحارث من ثقيف؟ بل والمرأة المتهمة من ثقيف؟ فهل القصد من القصة شتم قبيلة ثقيف؟ وتلويث سمعتها بالزنا؟

- في الرواية الأولى: قالوا عن رؤيتهم لما حصل في بيت المغيرة: (إنما رأينا أعجازاً،

---

(١) كتاب الأغاني (١٦/ ٩٥).

(٢) ينظر: كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير اليماني (٣/ ٢٥٣).

(٣) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص ٧٤).

(٤) ينظر: كتاب الخلفاء الراشدون (تاريخ الإسلام) (ص ١٠٢).

ولا ندري ما الوجه؟) .

- قوله: (ثم إنهم صمموا حيث قامت) ، هذا يعني أنهم لم يروا وجه الفاعل والمفعول به؟ فلماذا شهدوا إذاً؟ هل أجمعوا على شهادة الزور؟

- في الرواية الأولى تقول عن المغيرة أنه: (أهدى لأبي موسى الأشعري عندما جاء بكتاب عزله عن البصرة وليدةً من مولدات الطائف . . . وقال: إني قد رضيتها لك . .) .

- فالقصة لم تذكر هل قَبِل أبو موسى الأشعري هذه الهبة أم لا؟ وهل تعتبر من الرشوة؟ وعند قدوم المغيرة بن شعبة على عمر لم يحاسبه على هذه الهبة ، مع شدة عمر رضي الله عنه المعروفة في محاسبته لعماله على الأمصار؟

- في نهاية هذه القصة لماذا شتم عمر المغيرة بن شعبة فهل كان يتهمه أيضاً؟

- وفي الرواية الثانية: تتهم عمر رضي الله عنه بأنه ألمح لزياد بأن لا يشهد بالحق؟ وهل ذلك يتفق مع ما عرف عن عمر من أنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم؟

- كما أن هذه الرواية تحاول إقحام ذكر اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتجعله القاضي مكان عمر رضي الله عنه؟

- وأخيراً: قول هذه الرواية: وكان عمر إذا رأى المغيرة قال: يا مغيرة ما رأيتك قط إلا خشيت أن يرجمني الله بالحجارة . وهذا اتهام لعمر رضي الله عنه بأنه حال بين تطبيق شرع الله ، وهذا من أبطل الباطل ، من تشويه سير صحابة رسول الله ﷺ ، وما عُرف من عدالتهم ، وصدقهم وقوة إيمانهم وبعدهم عن المحاباة أو المداهنة في شرع الله .

أما في الرواية الثالثة: فهي مخالفة للروايتين ، وفيها إصرار على اتهام المغيرة رضي الله عنه من بداية الرواية؟

والخلاصة: أن خبر اتهام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على ضوء هذه الروايات وما اشتملت عليه من معاني ؛ باطلة ، بعيدة عن حياة خير القرون ، ولا نحتاج في ذلك إلى اعتذار ، كما فعله بعض العلماء عند سياق قصة هذا الخبر .

حيث قال ابن عقيل رحمه الله عن قصة خبر اتهام المغيرة بن شعبة بالزنا: (للفقهاء

تأويلات، فقد كانت المتعة عقداً في الشرع، وكان نكاح السر عند قوم زنا، ولا يجوز أن ينسب إلى الصحابي ما لا يجوز لأنه جهل بمقدار الضرر في ذلك)[١].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: (من الجائز أن يكون قد تزوجها ولم يُعلم أحداً، وقد كانت تشبه زوجته)[٢].

فمادام أن سند القصة لا يصح فلم نبحث عن مخرج أو عذر، وعلى ذلك فالأصل براءة المغيرة رضي الله عنه، وعدالته رضي الله عنه وعن جميع الصحابة.

٧ - موقف المستشرقين من أبي هريرة رضي الله عنه، وقف المستشرقون من أبي هريرة رضي الله عنه موقفاً غير منصف، تشعر من خلاله المحاولات المستميتة في التشكيك في أبي هريرة رضي الله عنه، والوثوق بروايته للحديث، ومقصدهم الذي لا يفارق نظرهم القضاء على الإسلام.

فأبو هريرة رضي الله عنه من علماء الصحابة رضي الله عنه، ومن حفظة حديث النبي ﷺ التي فيها جملة كبيرة من أمور الدين، والتشكيك فيها ومن ثم اطراحها نقض جملة وافرة من شعائر وعقائد الدين الإسلامي، وهذه أهم مقالات المستشرقين التي تُعبر عن موقفهم منه:

يقول المستشرق جولد تسيهر (**Goldziher**) في ترجمته لأبي هريرة رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية: (قدم إلى المدينة في أيام غزوة خيبر عام ٧هـ (٦٢٩م) فاتصل بالنبي ولزمه منذُ ذاك. ويقال إنه كان يعيش أول أمره من عمل يده.

وقد شجعته ملازمته للنبي على أن يروي عنه بعد وفاته من الأحاديث التي تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث، ولا ريب أن عدداً كبيراً منها قد نُحل عليه... وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ... فقالوا: إن النبي لفه بيده في بردة بُسطت أثناء حديثهما وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع... كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة

(١) تاريخ ابن الجوزي (٤/ ٢٣٢).

(٢) المرجع السابق.

والشك).

وقد وصفه شبرنجر (Sprenger) بأنه: (المتطرف في الاختلاف ورعاً) ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثيراً من الأحاديث التي تنسبها الروايات إليه إنما قد نُحلت عليه في عصر متأخر)(١).

فالمستشرق جولدتسيهر في نصه السابق يزعم أن في أحاديث وروايات أبي هريرة رضي الله عنه ما لا يثبت روايته له، وأن الناس ويقصد بهم أهل الحديث اختلقوا قصة تبرر قوة حفظه... وأن كل ذلك يجعله يقف بشيء من الشك في كثير من الأحاديث التي نسبت إليه في عصر متأخر.

ويشاركه المستشرق روبسون (Robson) في رأيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فيقول: (وأسلم أبو هريرة قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من أربع سنوات، ومع ذلك فإنه أكثر من الحديث عن النبي ﷺ حتى لقد قُدرت الأحاديث التي رواها بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث... وثمة رواية تروى باختلافات يسيرة وتفسر كيف كان أبو هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، يقول أبو هريرة: إن الآخرين كان يشغلهم القيام على أموالهم، أما هو فقد لزم النبي ﷺ وسمع منه أكثر مما سمعوا، وأن النبي ﷺ قال له: أن يبسط رداءه فبسطه ثم قال له أن يضمه إلى صدره، فضمه، فما نسي حديثاً بعد.

وقد اضطر أبو هريرة إلى الدفاع عن نفسه حيال الشكوك التي ساورت الناس حول الأحاديث التي رواها.

ومن المستحيل أن نتثبت: هل وقع هذا الأمر فعلاً أم أنه اخترع للتغلب على الشكوك التي ساورت الناس من بعد في الأحاديث التي رواها.

والأحاديث المنسوبة إليه فيها مادة لا يمكن أن تكون صحيحة)(٢).

فقول المستشرق جولدتسيهر عن أبي هريرة رضي الله عنه: (قدم المدينة في أيام

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٤١٨)، مادة: (أبو هريرة)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٤٢٧).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٤٢٨ - ٤٣٠)، مادة (أبو هريرة) لا توجد إلا في الموجز فقط.

غزوة خيبر عام ٧هـ ، وقد شجعته ملازمته للنبي ﷺ على أن يروي عنه بعد وفاته من الأحاديث التي تضاف إليه بخمسائة وثلاثة آلاف حديث) .

وقول المستشرق روبسون: (أسلم أبو هريرة قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من أربع سنوات ، ومع ذلك فإنه أكثر من الحديث عن النبي ﷺ حتى لقد قدرت الأحاديث التي رواها بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث) .

فهذان القولان فيهما: أعانة لأصحاب الأهواء وقليلي الديانة في القدح ي حديث ورواية أبي هريرة عن النبي ﷺ خاصة ، وفي الحديث النبوي بشكل عام .

إنَّ هذا المنهج الشكي هو مقدمة توطئة يأخذ بها المستشرقون في كتاباتهم وطعونهم في كل ما يمت للإسلام بصلة .

وأما تشكيكهم بأن المدة قليلة ، والملازمة قصيرة ، فيرد عليهم بأن مدة ثلاث سنوات كافية لأن يحفظ أبو هريرة رضي الله عنه كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ ، إذا وجدت الهمة والعزيمة ، مع ما انضاف إليها من معجزة بسط الرداء وضمه حتى نهاية مقالة الرسول ﷺ .

وأما عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه فيقول المستشرقان بأنها ٣٥٥٠ حديث . والذي ورد عن ابن الجوزي رحمه الله بأن عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه ٥٣٧٤ حديث(١) .

ولا أدري ما الطريقة التي حسب بها المستشرقان أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه التي رواها عن الرسول ﷺ ، وهذا العدد الذي حاولا التشكيك والطعن في عدالة أبي هريرة رضي الله عنه به .

(ولو تدبرنا الأمر قليلاً لوجدنا أن مثل هذا العدد ، وهو حوالي (٥٣٧٤) حديثاً معقول حفظه في ثلاث سنوات بكل سهولة ؛ إذا أخذنا بنظر الاعتبار الملازمة الشديدة للرسول ﷺ فيها والتفرغ التام لذلك ، كما أن العدد أقل من عدد الآيات القرآنية ، وكثير

---

(١) ينظر: كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، لابن الجوزي (ص ٢٦٣) .

من الناس يحفظون القرآن في بضعة شهور ، فلا غرابة أن يحفظ أبو هريرة مثل هذا العدد في غضون ثلاث سنوات .

كما يجب أن يؤخذ هنا بنظر الاعتبار أن المحدثين يعتبرون كل سند حديثاً ، ولذلك ارتفع عدد الأحاديث المروية عن أبي هريرة وغيره من الصحابة إلى الأرقام المنسوبة إليهم حالياً .

إذاً فليس هناك من مانع من جهة العقل والواقع على حفظ أبي هريرة لمثل هذا العدد من الأحاديث وروايته) (١) . وفي هذه المدة القليلة ، وليست المعجزة في الحفظ ، ولكن المعجزة كانت في أن يحفظ ولا ينسى ، وهذا منطوق الحديث الذي سأورده بعد قليل .

وأما قول المستشرق جولدتسيهر:(ولا ريب أن عدداً كبيراً منها قد نحل . ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثير من الأحاديث التي تنسبها الروايات إليه إنما قد نحلت عليه في عصر متأخر) .

وقول روبسون: (الأحاديث التي رفعت إليه ليست كلها بالضرورة من روايته ، فقد لا يكون أبو هريرة أكثر من سند مواتٍ نُسبت إليه أحاديث وضعت في زمن متأخر) .

فمقصدهما أن هناك أحاديث مكذوبة على أبي هريرة رضي الله عنه ، وهي من مجموع الروايات والأرقام التي سبق ذكرها .

وعلى كلام هؤلاء المستشرقين يجب على كل إنسان أن يشك في أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ لأن في أحاديثه روايات مكذوبة عليه ، وهذا القول لا يقول به عاقل يحترم عقله .

الوضاعون لم يقتصروا على أبي هريرة ، بل أضافوا أحاديث مكذوبة في أسانيد فيها: علي ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وعائشة ، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) كتاب المستشرقون والحديث النبوي ، تأليف الدكتور: محمد بهاء الدين (ص ١٩٨ – ١٩٩) .

فهل معنى ذلك اطراح جميع أحاديثهم ومروياتهم؟ هذا يعني هدم أركان الإسلام وشعائره.

وأئمة السلف من أهل الحديث اعتنوا بفن علم الرجال، جرحاً وتعديلاً، ودراسة الأسانيد وتمحيصها، فهم يميزون زائف الحديث كما يميز الصراف زائف النقود، لذلك أُلفت الكتب في ذلك، ووضعت المعاجم بأسماء الرجال ورواياتهم.

وقول المستشرق جولد تسيهر: (وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ).

وقول المستشرق روبسون: (وثمة رواية تروى باختلافات يسيرة وتفسر كيف كان أبو هريرة يكثر الحديث، وقد اضطر أبو هريرة إلى الدفاع عن نفسه حيال الشكوك التي ساورت الناس حول الأحاديث التي رواها) إلخ.

فالقول الأول: فيه اتهام الناس، ومن الناس غير الصحابة والتابعين.

والقول الثاني: اتهام أبي هريرة وأنه أراد الدفاع عن نفسه... وكلا القولين باطل.

ففي القول الأول اتهام الصحابة ومن جاء بعدهم بالكذب، واختراع الأحاديث، وهذا اتهام الأمة بالاجتماع على الضلالة والخطأ، والأمة لا يمكن أن تجتمع على ضلالة، كما أن هذا القول لم يستند فيه المستشرقون إلى دليل سوى الهوى المحض.

فالمستشرق يعلم اهتمام المسلمين بأحاديث الرسول ﷺ، ودراسة أسانيده، وقد اطلع على ذلك في كثير من كتب الحديث في زياراته لبعض ديار المسلمين، إلا أنه يحاول إثارة أهل الأهواء وأتباع كل ناعق، للطعن في نقلة الشريعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وفي القول الثاني وهو قول المستشرق (روبسون) رميٌ لأبي هريرة رضي الله عنه بتهمة وضع الحديث والكذب فيه من أجل الدفاع عن نفسه.

وهذا أيضاً قول باطل، وتشكيك في عدالة هذا الصحابي، فالصحابة رضي الله

عنهم أصدق الناس، وأبعدهم عن قول الباطل والكذب على رسول الله ﷺ، واتهام الصحابي أو بعض الصحابة خرم للعدالة وأهل السنة والجماعة يقولون بعدالة الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن الله تعالى زكَّاهم وشهد لهم بالعدالة، والرسول ﷺ، فتصديق المستشرقين في اتهام أبي هريرة أو غيره بالكذب، تكذيب لمن شهد لهم بالعدالة والصدق، والمستشرقون يريدون جرح نقلة الشريعة والجرح فيهم أولى.

وأما الحديث الذي كان محل الاتهام من قبل المستشرقين فهذا نصه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله ﷺ، والله الموعِدُ، إني كنتُ امرأً مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على مِلء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فشهدت من رسول الله ﷺ ذات يوم وقال: «**مَن يبسُط رداءه حتى أقضي مقالتي ثمَّ يقبضهُ فلم ينس شيئاً سمعه مني**» فبسطتُ بُردةً كانت عليَّ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيتُ شيئاً سمعته منه)[(١)].

وهو حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وهذا الحديث يدل على حفظ العلم وعدم نسيانه، وهو أمر له مكانته في العلم، وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يشتكي من النسيان، كما في رواية أخرى. حيث أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قلتُ يا رسول الله، إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: «**ابسُطْ رداءك**»، فبسطته، قال: فغرفَ بيديه، ثم قال: =ضم فُضممته، فما نسيت شيئاً بعد)[(٢)]. فأصبح أبو هريرة رضي الله عنه من الحفاظ، والعلماء في الصحابة رضي الله عنهم.

وأقوال الصحابة ومن جاء بعدهم في حفظ أبي هريرة رضي الله عنه وإمامته، عدد كبير لا يمكن حصرها، أذكر هنا بعضها كأمثلة:

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) كتاب العلم، باب: حفظ العلم، حديث: ١١٩ (ص ٣١).

١ - **أخرج الإمام الترمذي في سننه عن مالك**[١] بن أبي عامر قال: (جاء رجل إلى طلحة بن عبيدالله فقال: يا أبا محمد، أرأيت هذا اليماني - يعني أبا هريرة - أهو أعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم نسمع منه ما لا نسمع منكم، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يَقُل؟

قال: أما أن يكون سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع عنه، وذلك أنه كان مسكيناً لا شيء له ضيفاً لرسول الله ﷺ، يده مع يد رسول الله ﷺ، وكنا نحن أهل بيوتات وغنىً، وكنَّا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار. لا أشكُّ إلا أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، ولا تجد أحداً فيه خيرٌ يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل)[٢].

٢ - **وأخرج الإمام الترمذي في سننه** بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه: (أنه قال لأبي هريرة: يا أبا هريرة! أنت كنتَ ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه)[٣].

٣ - **أخرج الحاكم في مستدركه** بسنده عن سعيد[٤] بن أبي الحسن قال: (لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً من أبي هريرة رضي الله عنه)[٥].

٤ - **أخرج الحاكم في مستدركه** بسنده عن أبي صالح[٦] السمان رحمه الله قال: (كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد ﷺ)[٧].

---

(١) هو مالك بن أبي عامر الصبحي، جد مالك بن أنس إمام دار الهجرة، أبو أنس، ويقال: أبو محمد، التابعي الثقة. ينظر: كتاب الثقات (٣/ ٢٦)، رقم (٣٧١٧)، وكتاب تهذيب التهذيب، (٦/ ١٥١) رقم (٧٦١٨).

(٢) حديث: ٣٨٣٧، (ص٨٦٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق. وضعفه الألباني في كتاب: ضعيف سنن الترمذي، حديث: ٣٨٣٧، (ص ٤٣٩).

(٣) حديث: ٣٨٣٦، (ص٨٦٨)، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٤) هو سعيد بن أبي الحسن يسار الأنصاري مولاهم البصري، أخو الحسن البصري، التابعي الثقة، توفي قبل الحسن بسنة، سنة مائة. ينظر: الثقات (٢/ ١٦٧)، رقم (١٢٩١)، والكاشف (١/ ٤٣٣) رقم (١٨٦٦).

(٥) كتاب: معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، حديث: ٦٢١٩، (ص ١١٩١).

(٦) هو ذكوان، أبو صالح السمان الزيات المدني، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني التابعي الثقة، توفي سنة ١٠١هـ. ينظر: كتاب الثقات (٢/ ١٣٠)، رقم (١٠١٨)، وكتاب الكاشف (١/ ٣٨٦)، رقم (١٤٨٩).

(٧) حديث: ٦٢١٧ (ص ١١٩١).

٥ – **وقال الشافعي رحمه الله تعالى:** (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره)[١].

٦ – **وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:** (ستة من أصحاب النبي ﷺ أكثروا الرواية عنه، وعُمروا: أبو هريرة، وابن عمر، وعائشة، وجابر بن عبدالله، وابن عباس، وأنس)[٢].

٧ – **وقال ابن الصلاح رحمه الله:** (أكثر الصحابة حديثاً عن الرسول ﷺ أبو هريرة)[٣].

٨ – **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:** (وأبو هريرة... هو حافظ الأمة على الإطلاق: يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درساً؛ فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه)[٤].

وبهذا يتبين مكانة ومنزلة أبي هريرة رضي الله عنه في الصحابة رضي الله عنهم بل في الإسلام.

وأن ما طعن به المستشرقون أبا هريرة رضي الله عنه هو طعن للإسلام، ومحاولة لنقض مبانيه ومعالمه، وأن ما جاءوا به من أقوال هي زبالات أفكارهم، ومع ذلك لاقت هذه الأقوال تجاوباً من بعض بني جلدتنا يتسمون بأسمائنا ويتكلمون بلساننا.

وقد نبتت نابتة سوء في بلاد المسلمين، تعتز وتهتز لذكر الغرب وعلومه، وتستبشر لمؤلفاته ومقالاته التي تغزوا بلاد الإسلام مشككة في أسمى ما تملكه: دينها، ومصدر عزها الكتاب والسنة. وجارحة حملته، ومن أتعب ليله ونهاره في تبليغ هذا الدين من الصحابة رضي الله عنهم وخاصة حفَّاظهم وعلى رأسهم أبو هريرة رضي الله عنه، الذي حملت أحاديثه عن النبي ﷺ جملة وافرة من الدين، فكان كلامهم عنه رجع صدى كتابات المستشرقين عن الصحابة رضي الله عنهم، وكان على رأس المشككين

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٣) رقم (١٦).

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٤٨)، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (ص ١٦٩).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٩٤).

محمود أبو رية ، وأحمد أمين ، وآخرين غيرهما ، فتصدى لهم علماء أفذاذ في القديم والحديث ، بصارم من الأقلام واستعانة بالواحد القهار ، فكشفوا عن عوارهم ، وأبانوا خزيهم وفساد طويتهم للإسلام والمسلمين[١] .

وصدق الإمام ابن خزيمة رحمه الله حين قال: (إنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار . .)[٢] .

* * *

(١) ينظر: كتاب الأنوار الكاشفة ، تأليف الشيخ: عبدالرحمن المعلمي ، وكتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، تأليف الدكتور: مصطفى السباعي ، وكتاب دفاع عن السنة ، تأليف الدكتور: محمد محمد أبو شهبة ، وكتاب مكانة السنة في التشريع الإسلامي ، تأليف الدكتور: محمد لقمان السلفي .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ، حديث: ٦٢٣٢ ، (ص ١١٩٣) .

المبحث الرابع

موقف المستشرقين من الأنصار رضي الله عنهم تفصيلاً

اهتم المستشرقون بالكتابة عن الصحابة من الأنصار رضي الله عنهم لمنزلتهم ومكانتهم في الإسلام، ولنصرتهم الرسول ﷺ، إلا أن هذه الكتابة من حيث الكمية والكيفية أقل مما كتبه المستشرقون عن الصحابة من الأنصار رضي الله عنهم.

وهذا ينطبق على كثير مما كتبه أهل التاريخ والأخبار غيرهم عن الصحابة من الأنصار رضي الله عنهم، لكون الخلافة لم تكن فيهم، وهناك غيرها من الأسباب.

ومع ذلك فقد حاول المستشرقون الكتابة عن الصحابة من الأنصار رضي الله عنهم وتسليط الضوء على صلاتهم بالرسول ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، وهذا من أكبر المجالات التي يتبين بها موقف المستشرقين من الأنصار رضي الله عنهم، وقد تقدم في المبحث الأول من الفصل الثاني(١)، مما يغني عن إعادته هنا، إضافة إلى أن بعض المستشرقين حاول التقليل من فضائل بعض الأنصار رضي الله عنهم، وقد تقدم أيضاً الحديث عنه(٢).

كما كتب المستشرقون عن عدد من الصحابة من الأنصار رضي الله عنهم في دائرة المعارف الإسلامية وهم: أنس بن مالك رضي الله عنه، (٥/ ١٣٧٨)، وحسان بن ثابت رضي الله عنه (١٢/ ٣٧٦١)، وخبيب بن عدي رضي الله عنه (١٥/ ٤٥٦٥)، وزيد بن ثابت رضي الله عنه (١٧/ ٣٥٩٠)، وسعد بن عبادة (١٨/ ٥٦٤٦)، وسعد بن معاذ (١٨/ ٥٦٥٠)، وسلمان الفارسي (١٨/ ٥٧٦١)، وعبدالله بن رواحة (٢٣/ ٧١٦٧)، وكعب بن مالك (٢٧/ ٨٦١٢)، إلا أن ما كتبه المستشرقون عنهم لا يمدنا بمعرفة موقف المستشرقين من الصحابة الأنصار رضي الله عنهم إلا في قليل جداً أذكره هنا.

يقول المستشرق تسترشتين (**Zettersteen**) عن سعد بن معاذ رضي الله عنه بعد

---

(١) ينظر (ص ١٧٢).

(٢) ينظر (ص ٢٩٣ وما بعدها).

ترجمته له، وما حكم به على بني قريظة: (**ويصوره الحديث بطلاً مجيداً من أبطال الدين**)[١] . ويفهم من قوله أنه لا يراه بطلاً ولا مصيباً في حكمه، وانظر إلى قوله عن اليهود من بني قريظة: (**ضحوا بحياتهم في سبيل عقيدتهم**)[٢] . مع أنهم نقضوا العهد والميثاق الذي أبرموه مع الرسول ﷺ في عدم تمكين الأحزاب من دخول المدينة من جهتهم، فقاتلهم الرسول ﷺ لذلك، ورضوا بأن يحكم فيهم رجل ممن ارتبطوا معه بصداقة قديمة قبل الإسلام فحكم فيهم بالقتل والسبي[٣] .

ومع ذلك فالمستشرق يحاول إبرازهم وكأنهم أبطال ضحوا بحياتهم من أجل عقيدتهم، والحق أن يقال: أنهم ضحوا بحياتهم بسبب عدوانهم ونقضهم للعهد والميثاق، وهذا خلق اليهود الذي نعاه الله عليهم فقال: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة: ١٠٠] .

وأما المستشرق ليفي دلافيدا (**Levi Deilavida**) الذي يعد من أهم من كتب عن سلمان رضي الله عنه، وخاصة في أهم مصنف لهم وهو (دائرة المعارف الإسلامية) حيث قال:(أن أقدم الروايات التي تحدثت عن يوم الخندق لم تذكر شيئاً عن تدخل سلمان في الأمر، ومن المرجح أن تكون تلك القصة قد اخترعت لكي تنسب إلى أحد الفرس هذه الوسيلة من وسائل الدفاع التي تسمى باسم من أصل فارسي.

ولا يوثق أيضاً بالروايات الأخرى الخاصة بأعمال سلمان (نصيبه في فتح العراق وفارس، وولايته للمدائن وغيرها) لأن جلها أو كلها يرجع إلى عهد المؤرخ سيف بن عمر وهو مؤرخ عُرف كتابه بالتحيز والهوى . . . والحق أن شخصية سلمان التاريخية من أغمض الشخصيات، ومن العسير أن نسلم بأن أمره يقوم على أنه عبد فارسي من أهل المدينة دخل في الإسلام)[٤] .

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٨/ ٥٦٥١)، مادة: (سعد بن معاذ).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: كتاب السيرة النبوية (٣/ ٢٦٣)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٧٥).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (١٢/ ١٠٨)، مادة: (سلمان الفارسي).

فالمستشرق في نصه السابق أراد التشكيك في وجوده، بل وفي قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه.

ويرد عليه بأننا لو سلمنا لهذا المستشرق جدلاً ضعف مقولة القائل: إن سلمان الفارسي رضي الله عنه أول من أشار بحفر الخندق(١)، أو حتى ضعف الراوي لأعماله وجهاده في بلاد العراق وفارس، فهذا لا يعني القدح في شخصية سلمان أو التشكيك في وجودها أصلاً(٢).

فسلمان الفارسي رضي الله عنه أحد الصحابة، مثله مثل: بلال، وصهيب الرومي، آمن بالرسول ﷺ وشارك معه غزواته، وله أحاديث رواه البخاري ومسلم، وأصحاب السنن والمسانيد، وقد ترجم له المصنفون في تاريخ الصحابة مثل ابن عبدالبر في كتابه: الاستيعاب(٣)، وابن الأثير في كتابه: أسد الغابة(٤)، وابن حجر في كتابه: الإصابة(٥).

وإن كان الغموض الذي صرح به المستشرق في قوله: (**أن شخصية سلمان التاريخية من أغمض الشخصيات، ومن العسير أن نسلم بأن أمره يقوم على أنه عبد فارسي من أهل المدينة دخل في الإسلام**). يقصد به تكذيب قصة إسلام سلمان الفارسي رضي

---

(١) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٤٢)، حيث قال ابن هشام رحمه الله: (يقال إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ، يعني حفر الخندق، وهذا القول على سبيل التضعيف، ونسبه الواقدي في كتابه: المغازي (١/ ٣٨٢) إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه وذكر قصة ذلك، وابن سعد في كتابه: الطبقات الكبرى (٢/ ٣٨٢)، وابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢٧١)، وابن سيد الناس في كتابه: عيون الأثر (٢/ ٨٦)، ويقول الدكتور: مهدي رزق الله أحمد في كتابه: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (١/ ٥٥٠)، عن نسبة حفر الخندق إلى مشورة سلمان الفارسي رضي الله بأنها: من رواية لأبي معشر السندي في مغازيه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٧٥)، معلقاً، والواقدي (٢/ ٤٤٥) بأسانيده إلى مشايخه وفيهم أبو معشر - نجيح - وهو ضعيف، وفيهم الثقات والضعفاء. وابن سعد (٢/ ٦٦) معلقاً.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٠ وما بعدها).

(٣) (ص ٢٩١)، رقم (٩٤٨)، ترجمة سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٤) (٢/ ٣٤٧) رقم (٢١٥١) ترجمة سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٥) (ص ٥٢١) رقم (٣٥٨٨) ترجمة سلمان الفارسي رضي الله عنه.

الله عنه .

فقصة إسلام سلمان رضي الله عنه أشار إليها البخاري في صحيحه مختصراً فقال: (باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه) ثم ساق الحديث (عن سلمان الفارسي: أنه تداوله بضعة عشر من ربٍّ إلى رب)[١] .

وروى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده[٢] قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه مطولة ، وهي عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة[٣] ، وإسناد ذلك حسن[٤] .

فبأي شيء حكم المستشرق ليفي دلافيدا على قصة أو شخصية سلمان رضي الله عنه بأنها: (**من أغمض الشخصيات، ومن العسير أن نسلم بأن أمره يقوم على أنه عبد فارسي من أهل المدينة دخل في الإسلام**).

إنه التطرف في الرأي ، وتحكيم الهوى ، دون أن يكون له أثارة من علم .

إضافة إلى أن المستشرق في نص ترجمته لسلمان الفارسي رضي الله عنه شكك في كثير من جوانب حياته ، وأعماله ، بل وحتى وجوده .

ويمكن القول إن المستشرق (دلافيدا) قد استخدم في كتابته على المنهج العقلي والشكي ، حتى يصل إلى نتيجة مفادها نفي وجود سلمان الفارسي .

إن استخدام المنهج العقلي والشكي للوصول إلى حقيقة صائبة ، هو هدف كل باحث منصف ينشد الحقيقة ؛ لكن المستشرق هنا لم يبحث عن الحق والصواب ، وإنما نقل عن بعض المستشرقين من أمثال: (جولدتسيهر) و(هورفنز) بعض شكوكهم ونقدهم ، مع سروره بذلك ، وكأن الحقيقة لا توجد إلا في دراسات المستشرقين ، التي يسود كثيراً منها التعسف ، والبعد عن الأمانة في النقل ، والموضوعية ، والتجرد من الهوى ، والنتائج المعدة مسبقاً .

---

(١) كتاب: مناقب الأنصار ، حديث: ٣٩٤٦ (ص ٨١١) .

(٢) م/ الأنصار ، حديث سلمان الفارسي ، حديث: ٢٤١٣٨ ، (ص ١٧٦٥) .

(٣) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٥١) .

(٤) قال محقق مسند الإمام أحمد (طبعة مؤسسة الرسالة) (٣٩/ ١٤٧): إسناده حسن ، محمد بن إسحاق ، صدوق حسن الحديث ، وقد صرح بالتحديث ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح .

المبحث الخامس

موقف المستشرقين من بقية الصحابة رضي الله عنهم

لم يكتب المستشرقون عن جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وخاصة فيما جمعته ، وإنما ركزوا على المشاهير فقط ، وقد بقي بعض الصحابة رضي الله عنهم فيما ذكروه ، ولم يكونوا من المهاجرين أو الأنصار ، وهم أهل بيت أبي سفيان رضي الله عنهم ، ولهذا جعلته تحت هذا العنوان: موقف المستشرقين من أبي سفيان وزوجته هند وابنه معاوية رضي الله عنهم ، وذلك لتأخر إسلامهم إلى يوم فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة .

ومدار الحديث هنا تحت العنوانين التاليين:

١ – موقف المستشرقين من أبي سفيان وزوجه هند بنت عتبة رضي الله عنها .

٢ – موقف المستشرقين من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

١ – موقف المستشرقين من أبي سفيان وزوجه هند بنت عتبة رضي الله عنهما

إن المتأمل فيما كتبه المستشرقون عن أبي سفيان وزوجه هند بنت عتبة رضي الله عنهما ، إنما كانوا في الأعم الأغلب هم نقلة لما جاء في كتب التاريخ والسير والأدب وغيرها ، حذو التهمة بالتهمة .

ومن المستشرقين الذين تناولوا سيرة أبي سفيان وزوجه: فلهوزن في كتابه: (تاريخ الدولة العربية) (ص ١٩ وما بعدها) ، وإميل درمنغم في كتابه: (حياة محمد) (ص ٢٥ ، ٦٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ وغيرها) ، وبليائيف في كتابه: (العرب والإسلام والخلافة العربية) ، (ص ٢١٠ وما بعدها) ، وجون جلوب في كتابه: (الفتوحات العربية الكبرى) ، (ص ١٥١ وغيرها) ، وبودلي في كتابه: (الرسول حياة محمد) ، (ص ٢٨٢ وغيرها) ، وفيليب حتي في كتابه: (الإسلام منهج حياة) ، (ص ١٦٦) ، وفي غيره من كتبه .

وقد حاولت في الأسطر التالية أن أقتصر على بعض ما ذكره القوم عن أبي سفيان وزوجه هند بنت عتبة رضي الله عنهما ، مما يبين موقفهم منهم بجلاء .

فقد عرَّف المستشرق بول (**Bull**) أبا سفيان رضي الله عنه في (دائرة المعارف

الإسلامية) فقال:(أبو سفيان، أو أبو حنظلة صخر بن حرب بن أمية، قرشي من بني عبد مناف، وزعيم الحزب الذي عادى النبي، من أشراف مكة، وقد وقف موقفاً عدائياً حيال ما جاء به النبي، وذلك لأن الدعوة التي قام بها النبي كانت تمسه شخصياً من جهة زواج ابنته أم حبيبة من أحد أتباع النبي وفرارها وإياه إلى بلاد الحبشة)(١).

وأما المستشرق بودلي (**Bodley**) فيقول عنه: (كان أبو سفيان سيد سلالة عبد شمس، وهو تاجر غني توارث أهله الثروة منذ أجيال، وكان صاحب لواء قريش إذا ما مشت إلى الحرب، وكان أبو سفيان مسموع الكلمة، ولطالما حسن نزاعاً بكلمة)(٢).

ويقول المستشرق دوزي (Dozy) عنه:

(كان أبو سفيان قائد الجيش الذي قاتل محمداً في أحد وحاصره في المدينة، ولما كان أبو سفيان زعيم المكيين فلم يخضع إلا في اللحظة التي رأى فيها خيوط خطته حين كان عشرة آلاف مسلم ذاهبين لسحقه هو واللاذين به)(٣).

هذا أهم ما قاله المستشرقون عن أبي سفيان رضي الله عنه، ولننظر إلى تعريف المستشرق بول (**BUHL**) لأبي سفيان رضي الله عنه ومنهجه في كتابته، لكونه قد كتب في موسوعة (دائرة المعارف الإسلامية) التي يعتمد عليه كثير من الباحثين، فالمستشرق بول في تعريفه لأبي سفيان أبرز عداوته للرسول ﷺ، ثم ذكر سبباً لذلك، وهو أن ابنته أم حبيبة رضي الله عنها، قد تزوجت من أصحاب الرسول ﷺ وفرت معه إلى الحبشة.

وهذا التعريف لأبي سفيان رضي الله عنه، فيه تشويه لسيرته، وإسلامه، وهذا شيء متعمد من هذا المستشرق؛ حيث أخذ بمنهج الانتقاء والتزييف في الكتابة في تعريفه لأبي سفيان رضي الله عنه، فقد ترك كل ما يمكن ذكره في بداية التعريف، مثل: أخلاقه، وصفاته، وإسلامه، وجهاده . . . إلخ.

وذكر عداءه للنبي ﷺ، وهذه عملية انتقاء متعمدة، فقراءة الأسطر الأولى في

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٣٥٥) مادة: (أبو سفيان).

(٢) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٦٧).

(٣) تاريخ مسلمي إسبانيا (١/ ٣٩).

التعريف تترك أثراً كبيراً إيجابياً أو سلبياً في نفس القارئ .

والملاحظ على كتب التراجم مثل: (الاستيعاب) (١) لابن عبدالبر ، و(الإصابة)(٢) لابن حجر لا تسلك هذا المنهج لاعتبارات كثيرة منها: معرفة حق الصحبة ، والإنصاف ، وغيرها ، إضافة إلى أن عداء أبي سفيان للإسلام والرسول ﷺ كان قبل إسلامه ، ثم كان بعد رسوخ الإسلام من المدافعين عنه ، فهل من العدل والإنصاف وصفه بما تاب عنه ، ونبذه من الشرك ومعاداة الإسلام؟

وأما قول المستشرق عنه: **(وقد وقف موقفاً عدائياً حيال ما جاء به النبي، وذلك لأن الدعوة التي قام بها النبي كانت تمسه شخصياً من جهة زواج ابنته أم حبيبة من أحد أتباع النبي وفرارها وإياه إلى بلاد الحبشة)**.

فهذا القول من المستشرق من تزوير التاريخ والحقيقة ، فعداء أبي سفيان للرسول ﷺ وللإسلام قبل إسلامه هو عداء للتوحيد الذي هو إفراد الله عز وجل بالعبادة ، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ .

إضافة إلى أني لم أجد أحداً ممن كتب في السيرة أو التاريخ وغيرهما ذكر أن عداء أبي سفيان للرسول ﷺ وما جاء به من أجل قصة زواج ابنته وفرارها إلى الحبشة مع زوجها . والذي ذكر في السيرة أن أم حبيبة رضي الله عنها أسلمت وزوجها عبيدالله بن جحش ، وهاجرا إلى الحبشة ، ثم فُتن عبيدالله بالنصرانية ، فتنصر ، وتوفي بعد وقت يسير في الحبشة(٣) .

فهذا دليل مصادم لما ذكر هذا المستشرق ، كما أنه يفيد بطريقة أولى أن زواجهما كان قبل إسلامهما ، فيبطل ما افتعله وزوَّره هذا المستشرق في كتابته عن أبي سفيان رضي الله عنه ، وأنه لم يكن أميناً ولا منصفاً .

---

(١) ينظر: (ص ٣٤٥) ، رقم (١٢١١) ، و(ص ٨١٣) ورقم (٢٩٦٧) ، مادة: (صخر بن حرب) ، و(أبو سفيان صخر بن حرب) .

(٢) ينظر: (ص ٦٠٣) ، رقم (٤٢٠٦) ، مادة: (صخر بن حرب) .

(٣) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٥٩ ، ٤/ ٩) ، وكتاب الاستيعاب (ص ٩٠١) رقم (٣٣٠٥) ، مادة: (رملة بنت أبي سفيان) ، و(ص ٩٤٧) ، رقم (٣٤٩٧) ، مادة: (أم حبيبة بنت أبي سفيان) .

ويصور المستشرق بودلي (Bodley) إسلام هند بنت عتبة رضي الله عنه فيقول: (وكان إسلام هند أعجب إسلام، فلم تتمكن من أن تفر من مكة، فتقدمت في شجاعة إلى محمد، فلما رآها تتطلع إليه بعينيها الجميلتين، لم يتمكن من أن يخفي امتعاضه، فتخلت عنها كبرياؤها، فركعت عند أقدام محمد تلتمس العفو، فأرضاه هذا التذلل العام من المرأة التي بذلت أكثر من أي شخص آخر ما في وسعها لتلطيخه، فصفح عن قاتلة حمزة، وقبل إسلامها، ولكن هنداً لم تؤمن أبداً، وكانت تمقت محمداً وتكرهه حتى ماتت)[١].

فالمستشرق في الأسطر يحاول اللعب بالألفاظ، والتخيل الذهني، لإسلام هند رضي الله عنها، وأنه لم يتم في الظاهر إلا بعملية إذلال (**تقدمت... فتخلت عنها كبرياؤها، فركعت عند أقدام محمد**) وأما في الباطن (**لكن هنداً لم تؤمن أبداً، وكانت تمقت محمداً وتكرهه حتى ماتت**) وكل هذا تخيلات باطلة لم يحصل منها شيء.

وانظر إلى هند بنت عتبة رضي الله عنها، وكيف كان شعورها وموقفها من الرسول ﷺ بعد إسلامها.

فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: (جاءت هند بنت عتبة فقالت: يا رسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء[٢] أحب إليَّ أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباءٍ أحب إلي أن يعزُّو من أهل خبائك، قال: «**أيضاً والذي نفسي بيده**»[٣] الحديث.

فهل يقال بعد ذلك إن هنداً كانت تمقت الرسول ﷺ وتكرهه؟! أو أنها لم تؤمن؟

---

(١) كتاب الرسول حياة محمد (ص ٢٩٢).

(٢) الخباء: أحد بيوت العرب من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر، ويكون على عمودين أو ثلاثة، والجمع أخبية. وخباء: قد يستعمل في المنازل والمساكن، وأصل الخباء الهمز؛ لأنه يختبأ فيه. ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٢/ ٩ – ١٠) مادة: (خبا).

(٣) كتاب مناقب الأنصار، حديث: ٣٨٢٥، (ص ٧٨٢)، ومسلم حديث: ٨، (ص ٧٦٠).

كل هذا من الكذب ، وإلا فأين الدليل على ذلك .

وكل ما سبق يدين هذا المستشرق ، وأنه بعيد عن الموضوعية والأمانة في كل أقواله ، وكتاباته عن الصحابة رضي الله عنهم ، أو عن الإسلام .

ويتهم المستشرق إميل درمنغم (**Dermenghem**) هند بنت عتبة رضي الله عنها بأنها كانت صاحبة حوادث غرامية حيث يقول: (وكان أبو سفيان زوجاً لهند بنت عتبة المشهورة بحوادثها الغرامية ، وهند هذه كانت زوجاً لابن المغيرة فطلقها لما عَلِم من هيام الشاعر مسافر بها ، فلما مثلت هند وزوجها مع أقربائهما بين يدي عرّاف اليمن وبرّأها تكهن كما رُوي بأنها ستلد ملكاً (الخليفة معاوية) فمات مسافر كَمداً لعجزه عن تزوجها بسبب فقره وزواجها من أبي سفيان)[١] .

فالمستشرق في النص وصفها بحوادث وقصص غرامية ، ثم ذكر قصة واحدة .

وهذا الوصف فيه تشويه لسيرتها ، وخاصة في الجانب الأخلاقي والسلوكي .

فهل كانت هند بنت عتبة رضي الله عنها تعرف في حداثة سنها وقبل إسلامها بمغامرات غرامية؟ كما يدعي المستشرق (درمنغم)؟

أو كما يقول المستشرق بودلي (**Bodley**) في وصفها: (**كانت هند امرأة مليحة شهوانية، ذكية في غير رحمة**)[٢] .

من يطالع كتب التاريخ وغيرها لا يجد هذا الوصف لأخلاق ولا سلوك هند رضي الله عنها قبل إسلامها أو بعده ، وأن الحقيقة الناصعة أن هنداً رضي الله عنها كانت شريفة في نسبها ، وطاهرة في عفتها ، وبُعدها عن مواضع الريب ومستنقع الشهوات ، فقد روى ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية) فقال:

(كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكان الفاكه من فتيان[٣]

(١) كتاب حياة محمد (ص ٦٩ – ٧٠) .

(٢) كتاب الرسول حياة محمد (ص ١٧٢) .

(٣) من أسخياء وكرماء قريش ، ينظر: كتاب مختار الصحاح ، (ص ٢٦٨) ، مادة: (ف ت ى) .

قريش، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن، فخلا ذلك البيت يوماً فاضطجع الفاكه وهند في وقت القائلة، ثم خرج الفاكه لبعض شأنه، وأقبل رجل ممن كان يغشاه فولج[1] البيت؛ فلما رأى المرأة فيه ولى هارباً! ورآه الفاكه وهو خارج من البيت؟! فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برجله وقال: من هذا الذي كان عندك؟ قالت: ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني أنت. فقال لها: الحقي بأبيك، وتكلم فيها الناس. وحاكمه أبوها إلى أحد كهان اليمن فبرأها، وقال: انهضي حصان رزان غير رسخاً[2] ولا زانية ولتلدن ملكاً يقال له معاوية)[3].

وانظر إلى مقولة هند بنت عتبة رضي الله عنها عندما بايعت الرسول ﷺ مع جمع من النسوة يوم الفتح فلما قال الرسول ﷺ: (**ولا يزنين**) قالت هند: (وهي تزني الحرة؟)[4].

فهل يقال بعد ذلك إنها كانت صاحبة مغامرات غرامية أو شهوانية.

إن العرب قبل الإسلام وإن تلطخوا بشيء من العادات الجاهلية والأخلاق الذميمة، إلا أن للعفة والشرف وحماية العِرض درجة كبيرة من الاهتمام والعناية قائمة في جذور أنسابهم.

وما تلفظ به المستشرقون على هند رضي الله عنها وشرفها ما هو إلا إسقاط لبعض أخلاقهم وعاداتهم المتأصلة فيهم، والتي أرادوا أن يلطخوا بها غيرهم[5]، وكما

---

(١) ولج: أي دخل. المصدر السابق (ص ٣٩٢)، مادة: (و ل ج).

(٢) هكذا في المطبوع، وعند الطبراني (وحشاء) وعند السيوطي (رسحاء).

(٣) (٤/ ٥١١ – ٥١٢)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٥/ ٦٩)، وتاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر) (١/ ٢٦٢)، وكتاب المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (٢/ ١٨٢). وقال الهيثمي: (رواه الطبراني وفيه زحر بن حصن وهو مجهول) مجمع الزوائد (٩/ ٢٦٥).

(٤) ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٣٦٨)، وابن عبدالبر في الاستيعاب (ص ٩٤٣) رقم (٣٤٧٧) مادة: (هند بنت عتبة)، وقال محققه: أخرجه ابن سعد عن ميمون بن مهران، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

(٥) ينظر من أراد المزيد عن نسبة المستشرقين بالزنا والشهوانية للمسلمين كتاب: العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، مقارنة بالمجتمعات الإسلامية، للدكتور: أحمد المجذوب [دراسة قيمة].

يقال في المثل العربي: (رَمَتني بدائها وانسلَّتْ) (١).

٢ – موقف المستشرقين من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

لقد كتب المستشرقون عن معاوية رضي الله عنه كثيراً، وإن لم يخصوه بمؤلف فيما أعلم، ومن كتبهم التي ضمَّنوها ذكر معاوية رضي الله عنه وخلافته: كتاب (تاريخ الدولة العربية) (ص ١٩، ٣١ وغيرها)، وكتاب: (الخوارج والشيعة)، (ص ١١٢) وهما: لفلهوزن، و(دائرة المعارف الإسلامية) (٢/ ٦٦٢)، مادة: (أمية بن عبدشمس) و(موجز دائرة المعارف الإسلامية) (٣٠/ ٩٣٧٦)، مادة: (معاوية بن أبي سفيان)، وكتاب: (العرب والإسلام والخلافة العربية)، لبليائيف (ص ١٦٢، ٢٠٩ وغيرها)، وكتاب: (تاريخ الشعوب الإسلامية)، لكارل بروكلمان، (ص ١١٧، ١٢١ وغيرها)، وكتاب: (حياة محمد) لإميل درمنغم، (ص ٢٩٢)، وكتاب: (الفتوحات العربية الكبرى)، لجون باجوت جلوب، (ص ١٥٠، ٣٧٤، ٥١٢، ٦٢٩)، وكتاب: (الرسول حياة محمد) لبودلي (ص ٦٧، ١٧٢ وغيرها)، وكتاب: (تاريخ التشريع الإسلامي)، لبوجينا ستيشجفسكا (ص ٩٦ وما بعدها)، وكتاب: (تاريخ العرب والشعوب الإسلامية)، لكلود كاهن، (ص ٣٧ وغيرها)، وكتاب: (تاريخ سورية ولبنان وفلسطين) (١/ ٢٣، ٣٥)، وكتاب: (صانعوا التاريخ العربي) (ص ٦٣)، وكتاب: (الإسلام منهج حياة)، (ص ١٦٦ وغيرها)، وكلها لفليب حتي، وكتاب: (الأسر الحاكمة)، لبوزورث (ص ٢١ وما بعدها).

وكتابات المستشرقين فيها عن معاوية رضي الله عنه، ما بين مطولة ومختصرة، معتمدين في ذلك النقل عن كتب التاريخ والسير والتراجم وغيرها.

إلا أنه يستشف موقفهم من معاوية رضي الله عنه من بعض تعليقاتهم التي أقحموها عند نقلهم عن المصادر التاريخية وغيرها، أقتصر على أهمها:

فقد عرَّف المستشرق هندس (٢) (Hends) معاوية رضي الله عنه بقوله: (معاوية

(١) يضرب لمن يُعيِّر صاحبه بعيب هو فيه. كتاب مجمع الأمثال، للميداني (١/ ٢٨٦).

(٢) لم أقف له على ترجمة.

بن أبي سفيان، مؤسس الدولة الأموية، حكم الشام كخليفة للمسلمين من سنة ٤١هـ/ ٦٦١م حتى سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م. وأبوه هو أبو سفيان (صخر) بن حرب بن أمية (الأكبر) بن عبد شمس، وأُمه هند بنت عتبة بن ربيعة، وقد يُعرَّف معاوية بها فيقال له: ابن هند، وابن آكلة الأكباد وهي التي بقرت بطن حمزة عم النبي [صلى الله عليه وسلم] في معركة أحد ولاكت كبده انتقاماً)[(١)].

فالمستشرق هنا عرَّف بنسب معاوية رضي الله عنه، إلا أنه لا يمكن موافقة المستشرق في قوله عن معاوية رضي الله عنه: (**وقد يُعرَّف معاوية بها فيقال: ابن هند، وابن آكلة الأكباد...**).

فمن الذي عرَّف معاوية رضي الله عنه بأمه، وبفعلها يوم أحد بجثة[(٢)] حمزة رضي الله عنه.

إنه وبالنظر واستقراء نصوص كتب التاريخ والتراجم لا نجد أن معاوية رضي الله عنه كان يُعرف بأنه ابن هند، أو ابن آكلة الأكباد. فهذه التسميات إنما توجد في بعض كتب الأدب والأسمار مثل كتاب: (العقد الفريد) لابن عبدربه. وكتاب: (لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار) لأبي القاسم التنوخي، ومن عجيب الغرائب أن نجد المؤرخ المقريزي[(٣)] في كتاب نُسب إليه بعنوان: (التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم)[(٤)] قد شن حرباً شعواء على بني أمية ووصفهم بكل وصف حقير، ومن وصفه لهند بنت عتبة رضي الله عنها أنها (آكلة الأكباد) ولعل هذه التسمية إنما انتقلت من الرافضة والمتشيعة إلى كتب الأدب وغيرها.

كما أن سياق هذا المستشرق لترجمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ٩٣٧٦)، مادة: (معاوية بن أبي سفيان).

(٢) ينظر: كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠١).

(٣) هو: تقي الدين أحمد بن البعلي المقريزي، أحد المؤرخين الكبار، وهو صاحب كتاب: تجريد التوحيد، والخطط، توفي سنة ٨٤٥هـ. ينظر: كتاب إنباء الغمر بأخبار أبناء العمر لابن حجر (٩/ ١٧١).

(٤) (ص ١٨).

بطريقة ذكر ما يُعير به من فعل أمه قبل إسلامها محاولة سيئة للغض من منزلته، وإنقاص قدره - فالأسطر الأولى من الترجمة لها تأثير قوي على القارئ سلباً أو إيجاباً - وقد حاول المستشرق هنا استغلاله، وهذا له اتصال بمنهجهم في الانتقاء في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، فما كتب عن الصحابة رضي الله عنهم كثير، وما كتب عن معاوية كذلك كثير، إلا أن المستشرق يحاول الانتقاء من بعض النصوص والمقولات التاريخية لحمل القارئ على اعتقادها والتسليم بها.

وأما عن رأي المستشرقين في مكانة معاوية رضي الله عنه وخلافته، فيقول المستشرق هندس (**Hends**): (صورة معاوية لاتزال صورة متوازنة، وهو لا يظهر من خلالها مجرد رجل حوَّل الخلافة إلى ملكية، ولكنه يظهر أيضاً كحاكم ماهر ناجح، نال إعجاب المؤرخين)(١).

فالمستشرق يرى أن معاوية كان حاكماً ماهراً ناجحاً، نال إعجاب المؤرخين. وهناك قول لأحد المستشرقين يناقض هذا القول، وهو أن معاوية رضي الله عنه لم يكن مفضلاً عند المؤرخين، حيث يقول المستشرق فيليب حتي (**Hitti**):(ورغم مناقب معاوية إلا أنه لم يكن مفضلاً عند كثير من المؤرخين الذين وصلت كتبهم إلينا، فقد اعتبروه أول ملك في الإسلام... واتهموه بأنه جعل الخلافة ملكاً (أي سيادة دنيوية)..)(٢).

فالمستشرق (حتي) يرى بأن معاوية رضي الله عنه لم يكن مفضلاً عند المؤرخين؛ حيث اعتبروه أول ملك في الإسلام، وهذا القول مخالف ومصادم لقول المستشرق السابق.

إضافة إلى أن كثيراً من المؤرخين أثنوا على معاوية رضي الله عنه، وعلى خلافته وسياسته وأعماله، ولما كان من نهج المؤرخين ذكر الأخبار بأسانيدها ومتونها - هذا في الأكثر - فقد لا يعرف لبعضهم رأي في بعض الأخبار، والأشخاص والقضايا إلا أنه بتتبع واستقراء هذه الأخبار وطريقة سياقها يتبين للقارئ رأي المؤرخ فيما طرحه.

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٣٠/ ٩٣٨٢)، مادة: (معاوية بن أبي سفيان).

(٢) كتاب تاريخ العرب المطول (ص ١٩٧).

وقد تتبعت المؤرخين فيما كتبوا عن معاوية رضي الله عنه وعن خلافته فوجدت أن المؤرخ في الأعم الأغلب لا ينفك عن اعتقاده عند كتابته التاريخية للأخبار، فالمؤرخون من أهل السنة أعدل من المؤرخين من الرافضة والشيعة عند ذكر الأخبار التاريخية، وهذه نظرة لكتب التاريخ والأخبار باختصار.

- تاريخ الطبري[(١)]، وهو أكبر التواريخ ومصدر لكثير من المؤرخين الذين جاءوا من بعده، حيث أفاض في ذكر أخبار وتاريخ معاوية وخلافته، وشيء من سيرته ومناقبه، وقد نقل عنه ابن الأثير[(٢)]، وابن الجوزي[(٣)]، وابن خلدون[(٤)] مع اختلافات يسيرة، ويلحق بذلك ابن كثير في تاريخه[(٥)]، وله إضافات من كتب السنة.

وأُلاحظ على هذه الكتب أنها ذكرت كل ما روى عن معاوية وخلافته من صحيح وباطل، معتمدة على الإسناد كما هو عند الطبري في تاريخه، وحذفه الآخرون تحقيقاً.

والطبري من الأئمة الكبار الذين لهم معرفة بالإسناد ورجاله، وهو من العلماء الذين يرون بأنهم إذا ذكروا الإسناد ورجاله فقد برئوا من عهدته. فعلى قارئ تاريخ الطبري النظر في إسناده ورجاله قبل الحكم بصحة الخبر أو بطلانه.

والمؤرخون من الذين ذكرت كتبهم يترضون ويثنون على معاوية رضي الله عنه، وإن كان منهجهم ذكر كل ما يحفظونه من الرواة والإخباريين عن شخص، والأحداث التي جرت في زمنه، إلا أنهم يذكرون أقوال الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين وغيرهم في الترضي عن معاوية رضي الله عنه، والثناء على خلافته، وأما الرافضة فيرى المؤرخون منهم ذكر المساوئ فقط، أو المساوئ الكثيرة والمحاسن القليلة. ومنهم اليعقوبي

---

(١) (٣/١٦٧).

(٢) (ص ٤٦٤).

(٣) (٥/١٨٥).

(٤) (ص ٩٦٨).

(٥) (٤/٤٠٤).

في تاريخه[١] ، وأبو حنيفة الدينوري في كتابه: الأخبار الطوال[٢] ، والمسعودي في كتابه: مروج الذهب[٣] .

فالمستشرق الأول (هندس) لاحظ ما كتبه كبار المؤرخين من أمثال ابن جرير الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير وغيرهم عن معاوية رضي الله عنه وخلافته ومناقبه وأخلاقه فقال بأن المؤرخين كانوا معجبين بمعاوية رضي الله عنه ، بخلاف المستشرق فيليب الذي نظر فيما كتبه المؤرخون من الشيعة من أمثال اليعقوبي ، والمسعودي وغيرهم ، أو نظر في بعض الروايات التي تنقص من قدر معاوية رضي الله عنه ، وتصفه بالظلم ، فقال بأن معاوية رضي الله عنه لم يكن مفضلاً عند المؤرخين ، والحق أن يقال – كما سبق – أن لكل مؤرخ معتقده فيما يكتبه ، فمن كان من أهل السنة فكتابته تختلف عن غيره من الرافضة وأهل الأهواء والبدع ، إضافة إلى أن منهج المؤرخين الأقدمين ذكر كل ما يحفظونه من الروايات والأخبار ، ولو كانت متعارضة كما عند الطبري وغيره إلا أن بعضهم قد يحقق القول كما عند ابن كثير في تاريخه: (البداية والنهاية) .

وأما عن وصول معاوية رضي الله عنه للخلافة فيرى فيها المستشرق دومنيك سورديل (**Sourdel**) رأياً آخر ينم عن محاولة المستشرقين الحثيثة في تفريق صف جماعة الصحابة رضي الله عنهم والمسلمين ، حيث يقول: (إن وصول معاوية إلى الخلافة علامة على انتصار عشيرة ، هي عشيرة الأمويين على الحزب الشيعي . ولكنه أيضاً علامة على انتصار سياسة معينة ، هي سياسة والي الشام البارع الذي اعتمد في هذا البلد موقفاً متفهماً من أبنائه ، ومواجهة واقعية للمشاكل التي طرحتها سيادة الإسلام على مناطق حضارات عريقة . هذه السياسة الجديدة التي اتسعت باتساع أبعاد الإمبراطورية التي سيترتب على الحاكم الأموي أن ينهض بأعباء إدارتها . . .)[٤] .

---

(١) (٢/ ١٥٠) .

(٢) (ص ٣٢٣) .

(٣) (٣/ ١٥) .

(٤) كتاب الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي (ص ٣٩) .

ويقول المستشرق جوزيف بورلو (Joseph): (يُعد تسلُّم معاوية لزمام الخلافة والسلطة نصراً حقيقياً لزعماء قريش على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فواقع الأمر أن معاوية هو ابن أبي سفيان أحد زعماء مكة الذين كانوا من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم..)[1].

وفي هذين القولين تفسير لتولي معاوية رضي الله عنه للخلافة بأنه انتصار لبني أمية على بقية الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم من آل البيت، وهذا الفهم من المستشرقين مرده ما جاء في بعض الروايات التاريخية وغيرها، وفيها خلط وتلبيس على القارئ وطالب الحق والإنصاف.

والحق أن يقال: إن معاوية رضي الله عنه لم يكن مطالباً بالخلافة في بداية الفتنة، وإنما كان ممتنعاً عن البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يقتص من قتلة عثمان رضي الله عنه، وحصل بينهما حرب انتهت إلى التحكيم، وبعد زمن يسير قُتل علي رضي الله عنه على يد رجل من الخوارج، فتولى الحسن الخلافة، ولما رأى من المصلحة جمع الكلمة على رجل واحد، نبذ للخلاف سعى للصلح مع معاوية، وبموجبه تنازل عن الخلافة له، وقد تقدم الكلام على ذلك فيما سبق.

وأما عن مكانة معاوية رضي الله عنه بين الخلفاء وفي تاريخ صدر الإسلام فيجعلها المستشرق فيليب حتي (Hitti) في المرتبة الثالثة من بين الخلفاء الذين كان لهم أثر في تاريخ العرب والمسلمين.

(إذا نحن أردنا نحكم على معاوية بأعماله فإنه يكون في المرتبة الثالثة في تاريخ العرب بعد محمد [ﷺ] وعمر بن الخطاب. لقد نظَّم الدولة تنظيماً حديثاً ثم مدّ الدولة فجعلها إمبراطورية)[2].

فالمستشرق (حتي) يرى أن معاوية هو الرجل الثالث في تاريخ الإسلام، أو العرب كما يقول، وأنه نَظَّم الدولة. وهذا القول غير صائب، ومجانب للحق والصواب.

---

(١) كتاب الحضارة الإسلامية (ص ٥٠).

(٢) كتاب الإسلام منهج حياة (ص ١٧٠).

فإذا قلنا في ترتيب أفضل الخلفاء قلنا: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم معاوية رضي الله عنهم أجمعين.

وإن كان بالأعمال والإنجازات، فأبو بكر رضي الله عنه وحربه للمرتدين وبداية الفتوحات الإسلامية، وجمع القرآن في مصحف بعد أن كان موزعاً بين الصحابة رضي الله عنهم، ثم عمر رضي الله عنه، ومتابعة الفتوحات الإسلامية، والقضاء على أعظم مملكتين (فارس والروم)، وتنظيم الدواوين وعطاء الجند وغيرها. ثم عثمان رضي الله عنه، ومتابعته الفتح الإسلامي، وجمع المسلمين على مصحف واحد.

وأما علي رضي الله عنه فكانت خلافته في فترة قلاقل ومحن بدأت بمقتل عثمان، وانتهت بمقتله رضي الله عنه، ثم معاوية رضي الله عنه الذي واصل عمليات الفتح الإسلامي، وتقوية ثغور المسلمين، وما وصلت إليه دولة الخلافة الإسلامية في زمن معاوية رضي الله عنه من قوة ومنعة إنما هو إحدى ثمار من كان قبله من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وما أضاف إليه معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته.

وفي الأخير أنبه على قضية مهمة وهي: أن بعض كتابات المستشرقين تحاول أن تقرب معاوية رضي الله عنه من نصارى الشام، وأنه عاش معهم في بلاد واحدة، وتزوج منهم، وأن طبيبه وشاعره كان من النصارى، إضافة إلى أنه جعل أحدهم مديراً للمالية.

فيقول المستشرق فيليب حتي (**Hitti**): (وقد اختار معاوية زوجة له، امرأة مسيحية يعقوبية[١] هي: ميسون[٢] ابنة بحدل، من بني كلب من عرب الجنوب، احتفظت بدينها وغدت أم يزيد.

وكان طبيب معاوية الخاص، وشاعر بلاطه مسيحيين أيضاً. واحتفظ معاوية

---

(١) اليعقوبية: أتباع يعقوب البرادعي، ويسمون السريان، لتحدثهم باللغة السريانية، ومنهم تفرع الموارنة في بلاد الشام. يقولون بالأقانيم الثلاثة: (الأب، والابن، وروح القدس) إلا أنهم يقولون: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده، بل هو: هو. ومنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى، وزعم أكثر اليعقوبية: أن المسيح جوهر واحد: أقنوم، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين. ينظر: كتاب الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٩٠).

(٢) هي ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي، زوج معاوية رضي الله عنه، ووالدة يزيد بن معاوية. قال عنها ابن كثير: (كانت حازمة عظيمة الشأن جمالاً ورياسة وعقلاً وديناً). ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤)، وتاريخ ابن كثير (٤/ ٥٤).

بمنصور بن سرجون[١] مديراً لمالية الدولة)[٢] .

فالمستشرق في هذا النص أراد أن يُحيط حياة معاوية رضي الله عنه بالنصارى، وأنه عاش بينهم، وهذا القول لم ينسبه إلى أحد من المؤرخين، وقد استقرأت كتب التاريخ التي بين يدي، فلم أجده عند أحد من المؤرخين.

وقول هذا المستشرق عن ميسون زوجة معاوية رضي الله عنه، أنها كانت نصرانية، لم أجده في كتب التاريخ التي ترجمت لها، فعلى هذا هو قول غير صحيح، وحتى لو كان بعض قبيلة بني كلب نصارى باعتبار قربهم من الروم في بلاد الشام، فليس هذا مسوغ ولا دليل على أن ميسون زوجة معاوية كانت نصرانية، وعلى المثبت الدليل.

ويقول أحد المستشرقين وهو: جويتين[٣] (Goitein):(بويع معاوية بالخلافة في القدس، ولقد أورد هذا التاريخ أحد المصادر السريانية الذي يعود فيقرر أيضاً أن معاوية صلى في هذه المناسبة في جبل الجلجته وعند قبر مريم)[٤] .

وهذه الأقوال من هؤلاء المستشرقين عن وجود تقارب بين معاوية رضي الله عنه والنصارى في الشام، لا أجد لها ذكر فيما بين يدي من كتب التاريخ والأخبار التي اطلعت عليها، ولعلها في بعض كتب التواريخ السريانية، كما جاء ذلك فيما كتبه المستشرق جويتين الذي سبق ذكره.

---

(١) هو سرجون بن منصور الرومي، مولى لمعاوية كما في تاريخ الطبري (٣/ ٥٣٤).

(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (١/ ٢٣)، وينظر: كتاب الحضارة الإسلامية، لجوزيف بوردو (ص ٥١).

(٣) جويتين (Shlomodov (Fritz) Goitein) مستشرق من أصل مجري، يهودي عُني بالمجتمع اليهودي في مصر والشام في العصور الوسطى. ولد في بورجكو نشتات (Burgkundstadt) بنواحي (Licktanpels) في بافاريا في سنة ١٩٠٠م. تعلم في المدارس والجامعات الألمانية، وهاجر إلى فلسطين في سنة ١٩٢٣م، وكان أحد المؤسسين للجامعة العبرية في (القدس) حيث افتتح هناك الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي، واستمر أستاذاً في هذا الجامعة حتى انتقل في سنة ١٩٥٧م إلى جامعة بنلسلفانيا، حقق كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، وله كتاب: (يمنيات) ويشتمل على مجموعة من الأمثال الجارية في وسط اليمن، وكتاب: (من بلاد سبأ)، واليهود والعرب، وكتب عدة مواد في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية. ينظر: كتاب موسوعة المستشرقين (ص ٢١١)، وكتاب طبقات المستشرقين (ص ١١٦).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (٢٦/ ٨١٠٠)، مادة: (القدس).

وإذ كنا لا نثق بكثير من الروايات التاريخية إلا بعد دراسة أسانيدها، ومتونها، فكيف بمصادر سريانية مجهولة لنا؟

وعلى القارئ أن يلاحظ أن للمستشرقين مناهجهم في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم، بل وفي كل ما يخص الإسلام، فما الذي يمنع المستشرقين من محاولة تزييف التاريخ الإسلامي، وإثبات أمور أو صلات غير صحيحة، أو محرفة عن أصلها، كما أن للمستشرقين منهج في الكتابة، هو منهج التطور، فهم يفسرون بأن ما حصلت عليه الدولة الأموية من قوة ومنعة وتنظيم إنما هو تطور لما كان موجوداً في بلاد الشام قبل الإسلام، وأنه لولا النصارى ما حصل تطور وقوة للدولة الأموية في بلاد الشام.

ولو تنزلنا معهم وقلنا أن الدولة الأموية قد أخذت ببعض أنظمتهم في وضع الدواوين، واستفادت منهم في الطب، إلا أننا لا نقر لهم بأن معاوية رضي الله عنه صلى عند قبر مريم، أو أنه رفع قدر ومراتب النصارى على المسلمين في الأمور المالية، أو أن زوجه كانت نصرانية وغيرها.

كيف والإسلام مازال في قوته وعنفوان شبابه، والصحابة متوافرون.

*　*　*

المبحث السادس

آثار موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم على الدراسات المعاصرة

لقد كان للاستشراق ومدارسه قوة في النفوذ والسيطرة تدعمه الدول الاستعمارية، مما كنته من غزو عقول وثقافات المسلمين، متخذين العلم ستاراً لتحقيق أهدافهم في القضاء على الإسلام وتعاليمه.

وفي سبيل ذلك قام المستشرقون بنشر الكثير من كتب التراث الإسلامي، وتناولوا كثيراً من تاريخه ورجاله العظماء، وكان من هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ، غير غافلين عن مناهجهم في الكتابة، ومصادرهم التي يجدون في بعضها ما يمكن إدانة الصحابة رضي الله عنهم، وتشويه صورهم في أعين ومخيلة أبناء المسلمين.

وقد تأثر بهم بعض أبناء المسلمين لتتلمذهم على يديهم، وإعجابهم بنتاجهم الفكري، وانبهارهم بحضارتهم، ففاق التلاميذ شيوخهم، وأصبحوا آلة طيعة للمستشرقين، وبوقاً لإذاعة سبابهم وشتائمهم، في خير القرون صحابة رسول الله ﷺ، حيث أخذوا يَسُومونهم خسفاً، ويرمونهم بوابل من التهم التي هم منها براء، مقتفين آثار أسيادهم من المستشرقين، مبتغين رضاءهم.

وسأقتصر على أهم الدراسات المعاصرة، ومؤلفيها الذين تأثروا بموقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، والسمة العامة لهؤلاء المؤلفين هي أنهم من العقلانيين، أو العصرانيين[(١)].

- كتاب: (**فجر الإسلام**)، وكتاب: (**يوم الإسلام**)، وهما لأحمد أمين، وفيهما شكك في عدالة الصحابة، وخاصة أبي هريرة[(٢)] رضي الله عنه، وخاض فيما جرى بين

---

(١) ينظر: كتاب الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل (ص ٩١ – ١١١)، والعصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، تأليف: محمد حامد الناصر، (ص ٤٢، ٥٩، ١١٣).

(٢) ينظر: كتاب فجر الإسلام (ص ١٤٤ وما بعدها)، وكتاب: يوم الإسلام (ص ٥٥ – ٦٣).

الصحابة رضي الله عنهم من الاختلاف، معتمداً على روايات ضعيفة، وكتب الأدب مثل: **(الأغاني)** وغيره.

وهو من كبار المتأثرين بالمستشرقين فيما يكتبه، حيث يقول في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه: (فجر الإسلام): (ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب نحو أول سنة ١٩٢٩م، وكان ما لقيته من أهل العربية والمستشرقين أكبر مشجع لي على عملي، فقد نقدوه وقرظوه، وانتفعت بما أبدوه من آراء قيمة في نقده وتحليله، وكنت أود أن أتوسع في بعض فصوله وأزيد فيه فصولاً لم تكن، وأحكي آراء الباحثين من المستشرقين فيما ذهبوا إليه أخيراً، ولكن اشتغالي في إخراج (ضحى الإسلام) منعني من تحقيق كل رغبتي، فحققت من ذلك ما استطعت)[١].

ويشهد طه حسين في تقريظه كتاب: (فجر الإسلام) لأحمد أمين بأنه ممن تثقف بالثقافة الغربية فأتقنها في كتابه هذا حيث يقول:(فأشهد بأن زميلي «أحمد أمين» قد استطاع أن يكشف لنا ببحثه هذا عن رجل لم نكن نقدر أن نراه، فقد كنا نعرف له كفايته ومقدرته كعالم أديب، جد حتى تثقف بالثقافة الأجنبية الأوربية، ولكنا لم نكن نقدر أن يكون قد أخذ من هذه الثقافة بأدق حظ وأقربه إلى الإتقان والكمال؛ أحسن العلم بمناهجها والاستعمال لهذه المناهج)[٢].

ولا شك بأن من تشرب ثقافة الغربيين عن طريق المستشرقين، وأخذ بمناهجهم، وأعجب بطرائقهم في التعليم، وانبهر بحضارتهم سيكون تابعاً لهم سائراً على منوالهم في التشكيك وإثارة الشبه حول الإسلام ورجاله العظماء (الصحابة رضي الله عنهم).

يقول الدكتور مصطفى السباعي – رحمه الله – عن أحمد أمين ومؤلفاته: (من أبرز الكتّاب المعاصرين الذين سلكوا هذا السبيل... أحمد أمين خريج القضاء الشرعي وعميد كلية الآداب سابقاً مؤلف كتاب (فجر الإسلام) و(ضحاه) و(ظهره) مزج السم

---

(١) كتاب فجر الإسلام (ص أ).

(٢) كتاب فجر الإسلام (ص خ).

بالدسم، وخلط الحق بالباطل)[١] .

ويقول الدكتور: محمد محمد أبو شهبة: (جاء المبشرون والمستشرقون في العصور الحديثة فأخذوا هذه الطعون والشبهات فنفخوا فيها وزادوا فيها ما شاء لهم هواهم أن يزيدوا، وحمَّلوها أكثر مما تحتمل، وطلعوا بها على الناس، ومما يؤسف له غاية الأسف أن بعض الذين يثقون بكل ما يرد عن الغربين من آراء ومذاهب قد تلقفوا هذه الشبهات والطعون ونسبها بعضهم إلى نفسه زوراً، فكان كلابس ثوبي زور، والبعض الآخر لم ينتحلها لنفسه ولكنه ارتضاها وجعل من نفسه بوقاً لترداده‍ا، ومن هؤلاء من ضمن كتبه هذه الشبهات بل وقوّى من أمرها وذلك كما فعل الأستاذ أحمد أمين - رحمه الله - في كتابيه: «فجر الإسلام»و«ضحى الإسلام» . .)[٢] .

- كتاب الشيخان، وكتاب الفتنة الكبرى في جزئين، الأول: عثمان، والثاني: علي وبنوه، وكلها من تأليف: طه حسين، وهو من كبار المتأثرين بالمستشرقين، يقول الأستاذ أنور الجندي عنه: (عَرف الدكتور طه طلائع المستشرقين في الجامعة المصرية القديمة، ثم ألقى بنفسه في أحضانهم عندما سافر إلى فرنسا للدراسة بها في الفترة ما بين ١٩١٤ - ١٩١٩م . حيث تتلمذ عليهم في جامعتين: (مونبليه) و(السوربون)، واختاروه لحمل شعارهم في (معهد الدراسات الشرقية)، وقد أُعجب طه بطريقة المستشرقين، وتأثر بها وخضع لها بل ودافع عنها بعد ذلك دفاعاً واسعاً)[٣] .

ويقول محمد عمر توفيق في نقده لكتاب طه حسين (الشيخان): (إن ما كتبه وأخرجه للناس في دنيا الأدب والنقد لا يخلو من التأثر بآراء المستشرقين كسواه ممن افتتنوا بهم وبآرائهم . . .)[٤] .

وطه حسين تأثر أيضاً بالمستشرقين في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم،

---

(١) ينظر: كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف الدكتور: مصطفى السباعي (ص٢٦٤) .

(٢) كتاب دفاع عن السنة، تأليف الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة (ص ٦ ـ ٧) .

(٣) كتاب: طه حسين، حياته وفكره في ميزان الإسلام، تأليف: أنور الجندي، (ص ١٧٢) .

(٤) كتاب: طه حسين والشيخان، تأليف: محمد عمر توفيق (ص ١٥)، وينظر: كتاب: أيام مع طه حسين، تأليف الدكتور: محمد الدسوقي (ص ٢٢، ٣٣، ٥٤، ٥٨، ٨٢ وغيرها) .

فهو في كتابه: (**الشيخان**) يشكك في أحاديث خلافة الصديق، وعدالة الصحابة رضي الله عنهم[١].

وأما في كتاب (الفتنة الكبرى) – عثمان- وعلي وبنوه، ففي الجزء الأول التكذيب بوجود عبدالله بن سبأ، وأنه كان سبب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، اتهام الصحابة بالخروج على خلافة عثمان، وتشويه سير الصحابة من بني أمية[٢].

وفي الجزء الثاني خوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان، وفي وقعة الجمل، وفي صفين، مع عدم تحري الحق والإنصاف، والبحث في صحة الروايات التاريخية، قبل نسبتها إلى الصحابة رضي الله عنهم[٣].

يقول الأستاذ: أنور الجندي عن ذلك: (لقد أدى طه حسين اهتمامه بانتقاص أقدار الرجال، وتدمير البطولات العربية الإسلامية جرياً وراء الأهواء، أو إرضاء أساتذته، أو بحثاً وراء الشهرة، أو موالاة أجهزة التغريب والغزو الثقافي المتصلة بدوائر السياسة في وزارات الاستعمار، أو دوائر الماسونية والتبشير والاستشراق وغيرها من هيئات تعادي العربية والإسلام . . . بل إنه في كتابه (**الفتنة الكبرى**) قد حرص على الإساءة والسخرية والامتهان لمجموعة من الصحابة الذين عايشوا الرسول ﷺ إذ حاول في كتابه ذاك أن يصورهم على أنهم ساسة متضاربون طامعون في الحكم، يقوم خلافهم على أساس الطمع في السلطة والتطلع إلى السلطان. وليس الأمر في ذلك صحيحاً، وإنما هي محاولة من الدكتور لإزالة ذلك التقدير الكريم الذي حرص عليه المؤرخون المسلمون لصحابة الرسول . .)[٤].

- كتاب: (أضواء على السنة المحمدية، أو دفاع عن الحديث)، لمحمود أبو رية:

وقد حاول فيه مؤلفه التشكيك في عدالة الصحابة رضي الله عنهم، وفي صحة

(١) ينظر: (ص ٢٧ وما بعدها).

(٢) ينظر: (ص ١٣٢، ١٣٦ وغيرها).

(٣) ينظر: (ص ٣١، ٧١ وغيرها).

(٤) ينظر: كتاب طه حسين، حياته وفكره في ميزان الإسلام (ص ١٧٢).

الأحاديث التي يروونها عن النبي ﷺ، مع الطعن في أبي هريرة، وأحاديثه، ومعاوية، وفضله، وعبدالله بن سلام، وتميم الداري، وأنه جاء بحديث الدجال والجساسة من العقائد المسيحية ونقلها إلى الإسلام.

وقد رد عليه جمع من العلماء في ذلك، منهم: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، في كتابه: (الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة)، والدكتور: محمد محمد أبو شهبة، في كتابه: (دفاع عن السنة)، وغيرهم(١).

يقول الدكتور: مصطفى السباعي - رحمه الله - في تقويمه لكتاب أبي رية: (أضواء على السنة المحمدية): (تدور مطاعن «أبي رية» في أبي هريرة رضي الله عنه حول احتقاره وازدراء شخصيته واتهامه بعدم الإخلاص في إسلامه وعدم الصدق في حديثه عن رسول الله ﷺ وحبه لبطنه وللمال، وتشيعه لبني أمية إلى غير ذلك... وأشهد أن «أبا رية» كان أفحش وأسوأ أدباً من كل من تكلم في حق أبي هريرة من المعتزلة والرافضة والمستشرقين قديماً وحديثاً، مما يدل على دَخَلٍ وسوء عقدية وخبث طوية)(٢).

وأمَّا الدكتور: محمد محمد أبو شهبة فيقول: (ولما صدر كتاب: «أضواء على السنة المحمدية» وجدت مؤلفه تلقف فيه كل ما قاله الأقدمون والمحدثون من طعون في الأحاديث ورجالها، وما قاله المستشرقون والمبشرون وأذنابهم، وحرص أشد الحرص على أن يظهر السنة بمظهر الاختلاف والتناقض والتحريف والتبديل، والسذاجة والتخريف، وفي سبيل هذا الغرض زيف الصحيح، وصحح المختلف المكذوب...)(٣).

- كتاب: (حياة محمد) وكتاب: (الصديق أبو بكر)، وكتاب: (الفاروق عمر)، وكلها لمحمد حسين هيكل.

وقد تأثر بالمستشرقين في طريقة كتابتهم، ومناهجهم فيها ومصادرهم التي

---

(١) ينظر: كتاب أضواء على السنة المحمدية، لأبي رية، (ص ٧٥، ١٢٧، ١٨١، ١٩٤ وغيرها).

(٢) كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٣٥٣).

(٣) كتاب الدفاع عن السنة (ص ٨).

يعتمدون عليها ، مع عدم إغفاله النقل والاعتماد على بعضهم ، وإن كان لا يوافق البعض الآخر ، إلا أنه متأثر بهم[١] ، وفي موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم تجده يمتدح ما كتبوه عن عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن تفسيرهم لعهد الصديق يتسم بالوضوح ، مع أخذه بترجيحات المستشرقين في بعض الأحداث والروايات التاريخية ، وكتابته مشابهة ومتأثرة بالمستشرقين ، في كتابته عن الخلافة الراشدة ، واختيار الخليفة ، ومبايعة الصحابة لأبي بكر رضي الله عنهم ، وتشبيه خالد بن الوليد وشجاعته بالإسكندر الأكبر ، وجنكيز خان . . .[٢] وغيرها من الأمور التي تدين محمد حسين هيكل ، وأنه من المتأثرين بالمستشرقين ، وإن كان له استقلالية في بعض ما يكتبه ، إضافة إلى كونه من العقلانيين ، ويسير على منوالهم في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم[٣] .

وبهذا يعلم عظم خطر الاستشراق والمستشرقين، ونتاجهم الفكري، ومؤلفاتهم، ودخولهم التعليم في الجامعات وخاصة في الدول العربية، ومجامع اللغة في تلك الدول، وتخرج أجيال من أبناء المسلمين على أيديهم تبنوا أفكارهم، ودعواتهم والعمل على تنفيد مخططاتهم التدميرية لكل مقدس ومعظم عند المسلمين، وعلى الخصوص دعاة الإسلام، ونقلة شريعته، الصحابة رضي الله عنهم.

* * *

(١) ينظر: كتاب حياة محمد (ص ١٨ ، ٢٩ ، ٢٤ ، ١١٢ ، ١٧٧ ، ٢٠٤ ، ٣٤١) .

(٢) ينظر: كتاب أبو بكر (ص ١٣ ، ٢٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ٣٠٦ وغيرها) ، وكتاب: الفاروق عمر ، (١/١٧ ، ٧٩ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ٢٣٩ ، ٢/٦ وغيرها) .

(٣) ينظر: كتاب الاتجاهات العقلانية الحديثة (ص ٩٦) .

الخاتمـة

الحمد لله الذي بتوفيقه تُقضى الحاجات، وبنعمته تتم الصالحات، فقد تيسر لي بتوفيق من الله إتمام هذا البحث وذلك بحول منه سبحانه وعونه.

وإني لا أدعي فيه الكمال والإحاطة، وحسبي أني بذلت قُصارى جُهدي، فإن أصبت فيما بحثته وعرضه فهو من فضل ربي وتوفيقه، وإن أخطأت في ذلك أو بعضه فهو مني، وأستغفر الله وأتوب إليه.

وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث على وجه الاختصار وهي:

١ – عِظم خطر الاستشراق والمنتمين إليه على دين الإسلام ثوابته ومسلّماته. ومن هذه الثوابت والمسلمات اعتقاد المسلمين في صحابة رسول الله ﷺ، في عدالتهم وخيريتهم وأنهم نقلة دين الإسلام عقيدة وشرعاً.

٢ – عظم خطر النتاج الفكري للمستشرقين الدارسين للإسلام وأهله من جهتين:

الأولى: أنه يقوم على دراسة مكامن قوة المسلمين وضعفهم، فيرسم من خلال ذلك الخطط لدوله الاستعمارية لضرب ديار المسلمين وتفريق صفهم والاستيلاء على أرضهم وامتصاص خيراتها. كما أنه يقوّم الدرسات اللازمة للتنصير في بعض البلدان، وتشويه سير المسلمين.

الثانية: يُقدم للمسلمين وخاصة من تتلمذ على أيديهم، واتصل بهم تاريخاً مشوهاً عن الإسلام والمسلمين وخاصة الصحابة رضي الله عنهم، مما يترتب عليه قلة احترامهم وعدم القول بعدالتهم. ويقوم بإثارة العصبيات والنعرات القومية وذلك كله من أجل منع انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة.

٣ – للمستشرقين مؤلفات كثيرة عن الإسلام والمسلمين؛ وقد تناولوا فيه خير قرن الصحابة رضي الله عنهم، وما جاء في سيرهم وتاريخهم، وأهم هذه المؤلفات موسوعة: (دائرة المعارف الإسلامية)، وقد عملوا في أكثرها بالدس والتشكيك، والتزوير عن حياة الصحابة رضي الله عنهم، وخاضوا فيما جرى بينهم من الخلاف.

وإن كانت هذه الدائرة قد ترجمت إلى العربية ونقدت في كثير من موادها، إلا أن لها ترجمات بلغات أخرى كالإنجليزية مثلاً، لم تنقد فيما أعلم.

إضافة إلى أن الترجمة لها إلى العربية فيها اختصار وحذف لمن تأمله بالمقارنة مع (موجز دائرة المعارف الإسلامية)، وقد خدع بعض الباحثين بهذه الدائرة فجعلها مصدراً أو مرجعاً له في كتاباته وبحوثه عن الصحابة رضي الله عنهم مع ما فيها من الأخطاء الشنيعة.

٤ - تنوع المناهج التي أخذ بها المستشرقون في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، ومنها: المنهج العقلي، والمادي، والاجتماعي التطوري وغيرها، وهذه المناهج غير صالحة في الكتابة عن الصحابة رضي الله عنهم.

٥ - أن المستشرقين في أخذهم بالمنهج الانتقائي قد تركوا الروايات الصحيحة، وأخذوا بالضعيفة، وتركوا كتب السنة الصحيحة، واعتمدوا كتب التاريخ والأدب، بتعمد من الكثير منهم وبجهل من البعض الآخر.

٦ - أن المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم قد خاضوا فيما جرى بين الصحابة من خلاف في أمر الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، ومحنة قتل عثمان رضي الله عنه، ووقعة الجمل وصفين.

٧ - محاولة المستشرقين الدس الخبيث في تاريخ وسير بعض الصحابة رضي الله عنهم، كعثمان، وعلي، وعائشة، وطلحة، والزبير وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

٨ - أخذ كثير من المستشرقين في كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم بالتركيز بالقادة العظماء، والأبطال الكبار؛ فحاولوا انتقاء بعض المصادر التاريخية والأدبية والتي تتهم هؤلاء الصحابة بعظائم من الأمور.

فخالد بن الوليد يقتل مالك بن نويرة ليتزوج امرأته، وعمرو بن العاص ابن عاهرة، والمغيرة بن شعبة يزني بجارته؟!

٩ - لا بد للباحثين أن تتوجه هممهم لنقد الروايات التاريخية والأدبية والتي

شوهت سير الصحابة رضي الله عنهم وتاريخهم بالأخذ عن الضعفاء والوضاعين من الرافضة وغيرهم .

١٠ - أن من أبناء المسلمين من تتلمذ على أيدي المستشرقين ، وخُدع ببعض كتاباتهم عن الصحابة رضي الله عنهم ، فانقاد لهم وسلم لهم زمام نفسه ، فخاض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف ، واتهم البعض بوضع الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ .

هذا والله ولي التوفيق .

فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **أبجد العلوم**، لصديق حسن القنوجي ، تحقيق: عبدالجبار زكار ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، عام ١٣٧٨هـ .

٣- **ابن قتيبة العالم الناقد الأديب**، بقلم الدكتور: عبدالحميد سند الجندي ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٤- **أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني**، تأليف: محمد عبدالجواد الأصمعي ، نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

٥- **أبو عثمان الجاحظ**، تأليف: محمد عبدالمنعم خفاجي ، نشر دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة .

٦- **الاتجاهات العقلانية الحديثة** ، تأليف الدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل ، نشر دار الفضيلة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .

٧- **إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب (سيدة نساء أهل الجنة)**، للعلامة محمد عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق: عبداللطيف عاشور ، نشر مكتبة الساعي .

٨- **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٩- **أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري**، تأليف الدكتور: عبدالعزيز محمد نور ولي ، نشر دار الخضيري ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٧هـ .

١٠- **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – الاستشراق – الاستعمار)** تأليف: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، الناشر: دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى .

١١- **الآحاد والمثاني**، تأليف: الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، قرأه وعلق عليه الدكتور: يحيى مراد ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

١٢- **أحكام أهل الذمة**، تأليف: ابن قيم الجوزية ، حققه وعلق حواشيه الدكتور: صبحي الصالح ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة عام ١٩٨٣م .

١٣- **الإحكام في أصول الأحكام**، تأليف: سيف الدين أبي الحسن علي الآمدي ، ضبطه وكتب حواشيه: الشيخ إبراهيم العجوز ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٤- **الإحكام في أصول الأحكام**، لابن حزم ، إشراف: أحمد شاكر ، نشر مطبعة الإمام ، مصر .

١٥- **الأخبار الطوال**، تأليف: أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، تحقيق الدكتور: عصام محمد الحاج علي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ .

١٦- **الأخبار الموفقيات** ، للزبير بن بكار ، تحقيق الدكتور: سامي مكي العاني ، نشر عالم الكتب ، الطبعة

الثانية ، عام ١٤١٦هـ .

١٧- **أخبار عمر، وأخبار عبدالله بن عمر** ، تأليف: علي الطنطاوي ، ناجي الطنطاوي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٩هـ .

١٨- **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لماذا، وكيف؟** تأليف الدكتور: جمال عبدالهادي محمد مسعود ، والدكتورة: وفاء محمد رفعت جمعة ، نشر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٤هـ .

١٩- **الأدب المفرد** ، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبدالله مد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ، بتخريجات أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، نشر دار الصديق ، الجبيل ، السعودية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٩هـ .

٢٠- آراء **المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – دراسة ونقد** – إعداد الطالب: عمر بن إبراهيم رضوان (رسالة دكتوراه) في قسم القرآن الكريم وعلومه ، في كلية أصول الدين عام ١٤٠٩هـ .

٢١- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** ، للإمام الشوكاني ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٢- **أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر**، تأليف الدكتور: محمد خليفة حسن ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، عام ١٤٢١هـ .

٢٣- **أزواج النبي صلى الله عليه وسلم** ، تصنيف: الإمام محمد بن يوسف الصالحي ، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح ، نشر دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، الطبعة الخامسة عام ١٤٢٤هـ ، (مستل من كتاب المؤلف: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) .

٢٤- **أسباب النزول**، تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تعليق وتخريج الدكتور: مصطفى ديب البغا ، نشر دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٧هـ .

٢٥- **الاستخراج لأحكام الخراج**، لابن رجب الحنبلي ، نشر دار المعرفة ، لبنان ، عام ١٣٩٩هـ (ضمن موسوعة الخراج) .

٢٦- **الاستشراق – الذرائع – النشأة – المحتوى**، تأليف الدكتور: السيد أحمد فرج ، نشر دار طويق ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٤هـ .

٢٧- **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**، تأليف الدكتور: إسماعيل علي محمد ، نشر الكلمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤٢١هـ .

٢٨- **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**، ترجمة وإعداد: هاشم صالح ، نشر دار الساقي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، عام ٢٠٠٠م .

٢٩- **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، تأليف الدكتور: عبدالقهار داود عبدالله العاني، نشر دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.
٣٠- **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، تأليف الدكتور: مصطفى السباعي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٥هـ.
٣١- **استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري – دراسة نقدية**، تأليف الدكتور: خالد بن محمد الغيث، نشر دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٠هـ.
٣٢- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، للإمام أبي عُمر يوسف بن عبدالبر، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، نشر دار الأعلام، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.
٣٣- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق الشيخ: خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٢هـ.
٣٤- **الأسر الحاكمة في الإسلام، دراسة في التاريخ والأنساب**، تأليف: كليفورد. أ. بوزورث، ترجمة: حسين علي اللبودي، نشر مؤسسة الشراع العربي.
٣٥- **الإسلام خواطر وسوانح**، تأليف: الكونت هنري دي كاستري، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، نشر دار الفرجاني، مصر.
٣٦- **الإسلام في القرون الوسطى**، تأليف: دومنيك سورديل، ترجمة: علي مقلد، نشر دار التنوير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٣م.
٣٧- **الإسلام في مجده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥هـ** (٨ – ١١م) تأليف: موريس لومبار، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، من منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب.
٣٨- **الإسلام في مرآة الفكر الغربي**، تأليف الدكتور: محمود حمدي زقزوق، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة، عام ١٤١٤هـ.
٣٩- **الإسلام منهج حياة**، تأليف: فيليب حتي، ترجمة الدكتور: عمر فروخ، نشر: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٢م.
٤٠- **الإسلام والعرب**، تأليف: روم لاندو، نقله إلى العربية: منير البعلبكي، نشر دار العلم للملايين، الطبعة الأولى عام ١٩٦٢م.
٤١- **الإسلام وحضارته**، تأليف: أندريه ميكيل، ترجمة: زينب عبدالعزيز، نشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٤٢- **الإسلام**، تأليف: هنري ماسيه، ترجمة: بهيج شعبان، من منشورات عويدات، بيروت – لبنان.

٤٣- **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (شخصيته وعصره)**، تأليف الدكتور: علي محمد الصلابي، نشر دار ابن كير، دمشق، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٤٤- **الإصابة في تمييز الصحابة**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: حسان عبدالمنان، نشر بيت الأفكار الدولية، عام ٢٠٠٤م.

٤٥- **أصول السنة**، تأليف: الإمام أبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي، دراسة وتحقيق: مشعل محمد الحدادي، نشر دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٤٦- **أصول السنة**، لإمام أهل السنة: أحمد بن حنبل رحمه الله، برواية: عبدوس بن مالك العطار، شرح وتحقيق: الوليد بن محمد بن سيف النصر، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

٤٧- **إضاءات على الاستشراق الروسي**، تأليف الدكتورة: فاطمة عبدالفتاح، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، عام ٢٠٠٠م.

٤٨- **أضواء على السنة المحمدية، أو دفاع عن الحديث**، تأليف: محمود أبو رية، نشر دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

٤٩- **اعتقاد الإمام أبي عبدالله بن محمد بن إدريس الشافعي**، جمع الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، تحقيق وتعليق الدكتور: عبدالله بن صالح البراك، نشر دار الوطن، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ (ضمن مجموع).

٥٠- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، تأليف: محمد بن عمر الرازي، ضبط وتقديم وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ.

٥١- **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**، تأليف الشيخ: حافظ بن أحمد الحكمي، دراسة وتحقيق: أحمد بن علي علوش مدخلي، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٥٢- **أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين**، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي، دراسة وتحقيق الدكتور: محمد أمحزون، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٨م.

٥٣- **الأعلام**، للزركلي، نشر دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، عام ١٩٨٩م.

٥٤- **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم غرباوي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٥٥- **الإقناع لطالب الانتفاع**، لشرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي، حقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر هجر للطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.
٥٦- **الإكمال**، لابن ماكولا، لعلي بن هبة الله بن ماكولا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.
٥٧- **الأم**، للإمام الشافعي، أشرف على طبعه: محمد زهري النجار، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٥٨- **إمام أهل المغازي محمد بن إسحاق**، تأليف الدكتور: مسفر بن سعيد الغامدي، نشر دار الطرفين، مكة المكرمة، عام ١٤٢٢هـ.
٥٩- **إنباء الغمر بأخبار أبناء العمر**، للحافظ ابن حجر، تحقيق: حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، عام ١٣٩٢هـ.
٦٠- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تأليف: أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.
٦١- **الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالكي**، تأليف الشيخ: عبدالمحسن بن حمد العباد البدر، نشر دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ودار ابن عفان، مصر، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٣هـ.
٦٢- **الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه**، لشمس الدين محمد ابن عثمان المارديني الشافعي، تحقيق الدكتور: عبدالكريم بن علي النملة، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤١٦هـ.
٦٣- **الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف**، تأليف الدكتور: حامد محمد الخليفة، نشر دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.
٦٤- **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة**، تأليف الشيخ: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥هـ.
٦٥- **أهل الذمة في الإسلام**، تأليف: أ.س. ترتون، ترجمة حسن حبشي، نشر دار الفكر العربي، مصر.
٦٦- **أيام مع طه حسين**، تأليف الدكتور: محمد الدسوقي، نشر دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.
٦٧- **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، للحافظ ابن كثير، تأليف: أحمد محمد شاكر، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ.
٦٨- **البحر المحيط في أصول الفقه**، للزركشي بدر الدين محمد بن بهادر الشافعي، قام بتحريره الدكتور:

عمر بن سليمان الأشقر (دون ذكر بقية المعلومات).

٦٩- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، لعلاء الدين الكاساني الحنفي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٦هـ.

٧٠- **البداية والنهاية**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى بهذه الطبعة ووثقها: عبدالرحمن اللاذقي، ومحمد غازي بيضون، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، عام ١٤٢٢هـ.

٧١- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الجيل، بيروت - لبنان.

٧٢- **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق الدكتور: بسام علي العموش، نشر مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية، عام ١٤١٧هـ.

٧٣- **البلغة في تاريخ أئمة اللغة**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اعتنى به وراجعه: بركات يوسف هبّود، نشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٧٤- **بهجة المَجالس وأنس المُجالس**، للإمام أبي عمر بن عبدالبر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧٥- **بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة**، تأليف: أم مالك الخالدي، وحسن المالكي، نشر مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٧٦- **تاج التراجم**، لزين الدين قطلوبغا، تحقيق: إبراهيم صبحي، نشر المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ.

٧٧- **تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) لأبي الحسن علي بن الأثير**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، نشر بيت الأفكار الدولية.

٧٨- **تاريخ ابن الجوزي (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي**، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـ.

٧٩- **تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، لعبدالرحمن بن محمد خلدون، نشر دار ابن حزم، بيروت، لبنان، عام ١٤٢٤هـ.

٨٠- **تاريخ أبي الفداء المسمى: (المختصر في أخبار البشر)** تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تحقيق: محمود ديوب، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.

٨١- **التاريخ الإسلامي (الخلفاء الراشدون)**، تأليف: محمود شاكر، نشر المكتب الإسلامي، بيروت،

الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٥هـ.
٨٢- **تاريخ البشرية**، تأليف: أرنولد توينبي، نقله إلى العربية: نقولا زيادة، نشر الأهلية للنشر والتوزيع.
٨٣- **تاريخ التشريع الإسلامي - تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها** - تأليف: بوجينا غيانه ستشيجفسكا، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٨٤- **تاريخ الحضارات العام**، بإشراف: موريس كروزيه.
٨٥- **تاريخ الحضارة الإسلامية**، تأليف: ف. بارثولد، ترجمة: حمزة طاهر، نشر دار المعراف، الطبعة الخامسة.
٨٦- **تاريخ الخلفاء الراشدين**، تأليف الدكتور: الشيخ الأمين محمد عوض الله، نشر مكتبة المتنبي، الدمام، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.
٨٧- **تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث**، تأليف الدكتور: محمد عبدالفتاح عليان، نشر مكتبة المتنبي، الدمام، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٣هـ.
٨٨- **تاريخ الخلفاء**، للحافظ جلال الدين السيوطي، نظر فيه وزاد في حواشيه الدكتور: محمد كمال الدين عزالدين علي، نشر عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.
٨٩- **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية**، تأليف: يوليوس فلهوزن، ترجمة الدكتور: محمد عبدالهادي أبو ريده، نشر لجنة التأليف والنشر، القاهرة، عام ١٩٥٨م.
٩٠- **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تأليف: كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
٩١- **تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.
٩٢- **تاريخ العرب العام**، تأليف: ل. أ. سيديو، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، نشر دار إحياء الكتب العربية، عام ١٣٦٧هـ.
٩٣- **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية**، تأليف: كلود كاهن، نقله إلى العربية الدكتور: بدر الدين القاسم، نشر دار الحقيقة، بيروت - لبنان.
٩٤- **تاريخ العرب**، تأليف: فيليب حتي، نشر دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع.
٩٥- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، تأليف: يوسف كرم، نشر دار المعارف بمصر.
٩٦- **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، تأليف: ت. ج. دي بور، نقله إلى العربية وعلق عليه الدكتور: محمد عبدالهادي أبو ريدة، نشر دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، عام ١٩١٨م.
٩٧- **التاريخ الكبير**، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، نشر دار الفكر.

٩٨- **تاريخ اليعقوبي،** لأحمد بن إسحاق اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٣هـ .

٩٩- **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام،** تأليف: إسرائيل ولفنسون ، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، عام ١٩٢٧م .

١٠٠- **تاريخ بغداد،** للخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

١٠١- **تاريخ حركة الاستشراق،** تأليف: يوهان فوك ، نقله إلى العربية: عمر لطفي العالم ، نشر دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، عام ٢٠٠١م .

١٠٢- **تاريخ خليفة بن خياط،** لأبي عمرو خليفة بن خياط العصفري ، تحقيق الدكتور: مصطفى نجيب فواز ، والدكتورة: حكمت كشلي فواز ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٥هـ .

١٠٣- **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،** تأليف: فيليب حتي ، ترجمة: جورج حداد ، وعبدالكريم رافت ، نشر دار الثقافة ، بيروت – لبنان .

١٠٤- **تاريخ علم الاجتماع،** تأليف: جاستوف بوتول ، ترجمة غنيم عبدون .

١٠٥- **تاريخ عمر بن الخطاب،** للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالبر عباس ، نشر دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .

١٠٦- **تاريخ مختصر الدول،** لغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ، نشر دار الآفاق العربية ، القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢١هـ .

١٠٧- **تاريخ مسلمي أسبانيا – الجزء الأول الحروب الأهلية –** تأليف: ر . دوزي ، ترجمة: حسن حبشي ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة .

١٠٨- **تالي تلخيص المتشابه** ، للخطيب البغدادي ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان ، وأحمد الشقيرات ، نشر دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٧هـ .

١٠٩- **تأويل مختلف الحديث،** للإمام ابن قتيبة الدينوري ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

١١٠- **التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي محمد ^ وبلاد الإسلام،** تأليف المستشار: محمد عزت الطهطاوي ، نشر الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١١هـ .

١١١- **التبصير في الدين،** وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تأليف: أبي المظفر الإسفراييني ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، نشر عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٣هـ .

١١٢- **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**، للعلامة علاء الدين أبي الحسن المرداوي الحنبلي، تحقيق الدكتور: عوض محمد القرني، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.

١١٣- **تحقيق منيف الرتبة عن ثبت له شريف الصحبة**، تأليف: خليل العلائي، تحقيق الدكتور: عبدالرحمن محمد القشقري، نشر دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ.

١١٤- **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين**، تأليف الدكتور: محمد أمحزون، نشر دار طيبة، ومكتبة الكوثر بالرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

١١٥- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، للسيوطي، تحقيق الدكتور: أحمد عمر هاشم، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ.

١١٦- **تذكرة الحفاظ**، للإمام الذهبي، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

١١٧- **تذكرة الحفاظ**، للإمام الذهبي، وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

١١٨- **تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة**، تأليف: ذياب بن سعد الغامدي، نشر مكتبة المورد، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

١١٩- **تطور الفكر الغربي رواية نقدية**، تأليف الدكتور: علي عبدالمعطي محمد وآخرون، نشر مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ.

١٢٠- **تفسير البغوي (معالم التنزيل)** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، نشر دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

١٢١- **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

١٢٢- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير، قدم له الدكتور: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٩هـ.

١٢٣- **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تأليف: أبي القاسم جارالله الزمخشري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

١٢٤- **تقريب التهذيب**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بعناية: عادل مرشد، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

١٢٥- **تلبيس إبليس، للحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي**، دراسة وتحقيق الدكتور: السيد الجميلي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، عام ١٤١٩هـ.

١٢٦- **تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان**، تأليف: علي بن محمد الفخري، تحقيق الدكتور: رشيد البندر، نشر دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

١٢٧- **تلخيص الحبير**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالله هاشم اليماني، المدينة النبوية، عام ١٣٨٤هـ.

١٢٨- **تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير**، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

١٢٩- **التمهيد في أصول الفقه**، تأليف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلوذاني، دراسة وتحقيق الدكتور: محمد بن علي بن إبراهيم، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

١٣٠- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، للإمام ابن عبدالبر، حققه جماعة من العلماء، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

١٣١- **التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، للمقريزي**، ضمن مجموع رسائل المقريزي، دراسة وتحقيق: رمضان البدري، وأحمد مصطفى قاسم، نشر دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

١٣٢- **تهذيب الأسماء واللغات**، للنووي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٣٣- **تهذيب التهذيب في رجال الحديث**، تأليف: الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٥هـ.

١٣٤- **تهذيب الكمال**، الحافظ المزي، تحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠هـ.

١٣٥- **الثقات**، تأليف: الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البُستي، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، وتركي فرحان المصطفى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

١٣٦- **الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء**، تأليف الدكتور: شارل بلاّت، ترجمة إبراهيم الكيلاني، نشر

المؤسسة الثقافية، دمشق، عام ١٩٦١م.
١٣٧- **جامع الترمذي**، نشر دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.
١٣٨- **جامع المسائل**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، المجموعة الخامسة، تحقيق: محمد عزيز شمس، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.
١٣٩- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، عام ١٤١٧هـ.
١٤٠- **الجامع لشعب الإيمان**، للبيهقي، تحقيق الدكتور: عبدالعلي عبدالحميد حامد، نشر الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ.
١٤١- **الجانب الاعتزالي عند الجاحظ**، تأليف الدكتور: بلقاسم الغالي، نشر دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.
١٤٢- **الجرح والتعديل**، للإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٣٧١هـ.
١٤٣- **جزء فيه من عاش مئة وعشرين سنة من الصحابة**، تصنيف: الحافظ أبو زكريا يحيى بن منده، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: مشهور حسن سلمان، نشر مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.
١٤٤- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام**، تصنيف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، نشر دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، عام ١٤١٩هـ.
١٤٥- **حاج في الجزيرة العربية**، تأليف: هاري سانت جون فيلبي، أو عبدالله فيلبي، نشر مكتبة العبيكان، الرياض.
١٤٦- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، نشر دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤١٩هـ.
١٤٧- **حركة الردة**، تأليف الدكتور: علي العتوم، نشر مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ.
١٤٨- **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تأليف: آدم متز، نقله إلىالعربية: محمد عبدالهادي أبو ريدة، نشر دار الفكر العربي، مدينة نصر – مصر، عام ١٩٩٩م.
١٤٩- **الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي**، تأليف: دومنيك، وحانين سورديل، ترجمة: حسني زينه، نشر دار الحقيقة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠م.

١٥٠- **الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية**، تأليف: فون كريمر، ترعيف الدكتور: مصطفى طه بدر، نشر دار الفكر العربي، مصر.

١٥١- **الحضارة الإسلامية**، تأليف: جوزيف بورلو، نقله إلى العربية: ريمة الفوال، نشر دار الكتاب العربي، دمشق، عام ١٤٢١هـ.

١٥٢- **حضارة العرب**، تأليف: غوستاف لوبون، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩هـ.

١٥٣- **الحضارة العربية**، تأليف: جاك ريسلر، تعريب الدكتور: خليل أحمد خليل، نشر عويدات – بيروت – باريس، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٣م.

١٥٤- **حلية الأولياء**، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥هـ.

١٥٥- **حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء**، لأبي بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي، تحقيق: سعيد عبدالفتاح، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة – الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٨هـ.

١٥٦- **حياة محمد**، تأليف: إميل درمنغم، نقله إلى العربية: محمد عادل زعيتر، نشر دار إحياء الكتب العربية.

١٥٧- **حياة محمد**، تأليف: محمد حسين هيكل، دون ذكر اسم الناشر والطبعة والعام.

١٥٨- **خالد بن الوليد المخزومي**، تأليف اللواء الركن: محمود شيت خطاب، نشر دار الفكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٣هـ.

١٥٩- **خالد بن الوليد**، تأليف محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر – القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٨هـ.

١٦٠- **الخراج**، للقاضي أبي يوسف، نشر دار المعرفة، لبنان، عام ١٣٩٩هـ، (ضمن موسوعة الخراج).

١٦١- **الخراج**، ليحيى بن آدم القرشي، نشر دار المعرفة، لبنان، عام ١٣٩٩هـ، (ضمن موسوعة الخراج).

١٦٢- **الخلاف اللفظي عند الأصوليين**، تأليف الدكتور: عبدالكريم بن علي النملة، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

١٦٣- **الخلفاء الراشدون**، للحافظ المؤرخ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: حسام الدين المقدسي، نشر دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ (مستل من كتاب الذهبي: تاريخ الإسلام).

١٦٤- **الخلفاء الراشدين**، تأليف: عبدالوهاب النجار، نشر المكتبة التوفيقية، مصر.

١٦٥- **الخوارج والشيعة - أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام**، تأليف: يوليوس فلهوزن، ترجمة الدكتور: عبدالرحمن بدوي، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة عام ١٩٧٨م.

١٦٦- **دائرة المعارف الإسلامية**، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي خورشيد.

١٦٧- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور: عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، نشر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

١٦٨- **الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية**، إعداد الطالب: زيد العبلان، رسالة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

١٦٩- **دراسات عن المؤرخين العرب**، تأليف: مرغو ليوث وترجمة الدكتور: حسين نصار، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

١٧٠- **دراسات في تاريخ الخلفاء الراشدين**، تأليف الدكتورة: عفاف سيد صبرة، والدكتور: مصطفى محمد الحناوي، نشر مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

١٧١- **دراسات في حضارة الإسلام**، تأليف: هاملتون جب، ترجمة الدكتور: إحسان عباس وآخرون، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٧٤م.

١٧٢- **دراسات محمدية**، تأليف: جولد تسيهر، فصول مترجمة عن مجلة كلية الدعوة الإسلامية في ليبيا، العدد (٨)، ترجمة الصديق بشير نصر.

١٧٣- **دراسة الأغاني**، تأليف: شفيق جبري، نشر دار البشائر، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية عام ١٤٢٢هـ.

١٧٤- **دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه**، تأليف: داود سلوم، نشر عالم الكتب، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٥هـ.

١٧٥- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر، حققه وقدم له ووضع فهارسه: محمد سيد جاد الحق، نشر مطبعة المدني، الطبعة الثانية، عام ١٣٨٥هـ.

١٧٦- **الدعوة إلى الإسلام**، تأليف: توماس و .أرنولد، ترجمة الدكتور: حسن إبراهيم حسن، والدكتور: عبدالمجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، نشر مكتبة النهضة المصرية.

١٧٧- **دفاع عن الإسلام**، تأليف: لورافيشيا فاغليري، نقله إلى العربية: منير البعلبكي، نشر دار العلم

للملايين، بيروت – لبنان.

١٧٨- **دفاع عن السنة النبوية الشريفة**، تأليف الدكتور: عِزيَّة علي طه، نشر دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ.

١٧٩- **دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين**، تأليف الأستاذ الدكتور: محمد محمد أبو شهبة، نشر دار اللواء، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤٠٧هـ.

١٨٠- **دفع الكذب المبين المفترى على أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن أجمعين**، تأليف الدكتور: عبدالقادر محمد عطا صوفي، نشر مكتبة الغرباء الأثرية في المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

١٨١- **دلائل النبوة**، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، حققه الدكتور: محمد رواس قلعه جي، وعبدالبر عباس، نشر دار النفائس، الأردن، الطبعة الرابعة، عام ١٤١٩هـ.

١٨٢- **دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين**، تأليف الدكتور: جميل عبدالله محمد المصري، نشر دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.

١٨٣- **الذخيرة**، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد أبو خبزة، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٤م.

١٨٤- **الذرية الطاهرة**، للحافظ محمد بن أحمد الدولابي، تحقيق: سعد المبارك الحسن، نشر الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ.

١٨٥- **ذيل الكاشف**، للحافظ أبي زرعة أحمد بن عبدالرحيم العراقي، تحقيق: بوران الصفناوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

١٨٦- **ذيل تذكرة الحفاظ**، للحافظ أبي المحاسن محمد بن علي الحسيني، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

١٨٧- **رؤوس المسائل الخلافية بين جمهور الفقهاء**، لأبي المواهب الحسين بن محمد العكبري الحنبلي، تحقيق الدكتور: خالد بن سعد الخشلان، نشر دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

١٨٨- **رؤية إسلامية للاستشراق**، تأليف: أحمد غراب، نشر المنتدى الإسلامي، بريطانيا، عام ١٤١١هـ.

١٨٩- **الرائد** – معجم لغوي عصري – جبران مسعود، نشر دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الخامسة، عام ١٩٨٦م.

١٩٠- **رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم**، تأليف الدكتور: محمد جمعة عبدالله، الطبعة

الأولى، عام ١٤٠٥هـ.
١٩١- **رد المحتار على الدر المختار حاشية ابن عابدين** (محمد أمين بن عامر ابن عابدين، ويليه حاشية قرة عيون الأخبار لنجل المؤلف وتقريرات الرافعي، تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ: علي محمد معوض، نشر دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة عام ١٤٢٣هـ.
١٩٢- **الردة**، لمحمد بن عمر الواقدي، تحقيق الدكتور: يحيى الجبوري، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ.
١٩٣- **رسائل في العقيدة**، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، نشر دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.
١٩٤- **رسالة في الجرح والتعديل**، للحافظ المنذري، تحقيق الدكتور: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، نشر مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.
١٩٥- **الرسول حياة**، تأليف: ر. ف. بودلي، ترجمة محمد محمد فرج، وعبدالحميد جوده السحار، نشر مكتبة مصر.
١٩٦- **الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة**، تأليف: محمد شريف الشيباني، نشر دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.
١٩٧- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، للإمام المحدث: عبدالرحمن السهيلي، علق عليها وقدم لها الشيخ: عُمر عبدالسلام السلامي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.
١٩٨- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، للنووي، إشراف: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥هـ.
١٩٩- **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، تأليف: أحمد بن عبدالله، الشهير بالمحب الطبري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.
٢٠٠- **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج ابن الجوزي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.
٢٠١- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة والعشرون، عام ١٤١٢هـ.
٢٠٢- **الزيدية – نشأتها ومعتقداتها**، تأليف: القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢١هـ.

٢٠٣- **سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها**، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٢هـ .

٢٠٤- **السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، تأليف: الإمام محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري ، تحقيق: محمد علي قطب ، نشر دار الحديث ، مصر .

٢٠٥- **السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها**، تأليف: عماد السيد الشربيني ، نشر دار اليقين ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٣هـ .

٢٠٦- **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، تأليف الدكتور: مصطفى السباعي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٩هـ .

٢٠٧- **السنة**، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، دراسة وتحقيق الدكتور: عطية بن عتيق الزهراني ، نشر دار الراية ، الرياض ، الطبعة الثانية ، عام ١٤١٥هـ .

٢٠٨- **السنة**، للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق ودراسة الدكتور: محمد بن سعيد القحطاني ، نشر رمادي للنشر ، الدمام ، الطبعة الرابعة ، عام ١٤١٦هـ .

٢٠٩- **سنن ابن ماجه**، نشر دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ .

٢١٠- **سنن أبي داود** ، نشر دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ .

٢١١- **سنن الدارمي** ، تحقيق الدكتور: مصطفى ديب البُغا ، نشر دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٧هـ .

٢١٢- **السنن الكبرى**، للإمام البيهقي ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ، نشر مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، عام ١٤١٤هـ .

٢١٣- **سنن النسائي (الصغرى)** نشر دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ .

٢١٤- **سير أعلام النبلاء**، للإمام الذهبي ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠١هـ .

٢١٥- **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة** ، تأليف الدكتور: محمد بن محمد أبو شهبة ، نشر دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٧هـ .

٢١٦- **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية** - دراسة توثيقية تحليلية - بقلم الأستاذ الدكتور: مهدي رزق الله أحمد ، نشر دار إمام الدعوة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

٢١٧- **السيرة النبوية** ، لابن إسحاق ، تحقيق: أحمد فريد المزيدي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

٢١٨- **السيرة النبوية**، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢١٩- **السيرة النبوية**، للإمام الحافظ محمد بن حبان البستي، تحقيق: عبدالسلام بن محمد علوش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ (وهو مستل من كتاب ابن حبان الثقات).

٢٢٠- **سيرة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه (شخصيته وعصره)**، تأليف الدكتور: علي محمد الصلابي، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٢٢١- **سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين: الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، (شخصيته وعصره)** تأليف الدكتور: علي بن محمد الصلابي، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٢٢٢- **سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره**، تأليف الدكتور: علي محمد الصلابي، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٢٢٣- **سيف الله خالد بن الوليد**، تأليف الجنرال: أ. أكرم، ترجمة العميد الركن: صبحي الجابي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

٢٢٤- **السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني**، تأليف: وليد الأعظمي، نشر دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٢هـ.

٢٢٥- **شجرة الحضارة**، تأليف: رالف لنتون، ترجمة الدكتور: أحمد فخري، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

٢٢٦- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، نشر دار السيرة، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٩هـ.

٢٢٧- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تأليف: الإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق الدكتور: أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ.

٢٢٨- **شرح السنة**، تأليف الإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، نشر دار السلف، الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤١٨هـ.

٢٢٩- **شرح السنة**، لإسماعيل بن يحيى المزني، دراسة وتحقيق: جمال عزون، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٢٣٠- **شرح العقيدة الطحاوية**، تأليف: القاضي علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق الدكتور:

عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٨هـ .

٢٣١- **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله**، تأليف الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة السابعة ، عام ١٤١٩هـ .

٢٣٢- **شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان**، تأليف: الملا علي بن سلطان القاري ، تحقيق: مروان محمد الشعار ، نشر دار النفائس ، الأردن ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٧هـ .

٢٣٣- **شرح الكوكب المنير المسمى: بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه**، تأليف: العلامة الشيخ محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي ، المعروف بابن النجار ، تحقيق الدكتور: محمد الزحيلي ، والدكتور نزيه حماد ، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، مكة المكرمة ، عام ١٤٠٠هـ .

٢٣٤- **شرح منتهى الإرادات**، تأليف: منصور بن يونس البهوتي ، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسنالتركي ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢١هـ .

٢٣٥- **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة**، تأليف: الإمام عبيدالله محمد بن بطة العكبري ، تحقيق وتعليق ودراسة الدكتور: رضا بن نعسان معطي ، نشر المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، عام ١٤٠٤هـ .

٢٣٦- **الشريعة**، تأليف: الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي ، نشر دار الحديث ، القاهرة – مصر ، عام ١٤٢٥هـ .

٢٣٧- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، للقاضي عياض ، اعتنى به وراجعه: هيثم الطعيمي ، ونجيب ماجدي ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٢هـ .

٢٣٨- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية**، تحقيق الدكتور: السيد محمد السيد ، وسعيد محمود ، نشر دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٤هـ .

٢٣٩- **شمس العرب تسطع على الغرب**، للمستشرقة الألمانية: زيغريد هونكة ، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال سوقي ، نشر دار صادر ، بيروت – لبنان ، الطبعة العاشرة ، عام ١٤٢٣هـ .

٢٤٠- **الشيخان**، تأليف: طه حسين ، نشر دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٦٦م .

٢٤١- **صاحب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني الراوية**، تأليف: محمد أحمد خلف الله ، نشر مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٦٢م .

٢٤٢- **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، نشر دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٤هـ .

٢٤٣- **صانعو التاريخ العربي**، تأليف: فيليب حتي ، ترجمة: أنيس فريحة ، نشر دار الثقافة ، بيروت – لبنان .

٢٤٤- **صحابة رسول الله ^ في الكتاب والسنة**، تأليف: عيادة أيوب الكبسي ، نشر دار القلم ، دمشق ، والمنارة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٧هـ .

٢٤٥- **الصحاح** – المسمى: **(تاج اللغة وصحاح العربية)** تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو ، نشر دار الفكر ، بيروت ، – لبنان ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ .

٢٤٦- **صحيح ابن حبان**، تصنيف: الإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي ، بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، المسمى: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، اعتنى به: جادالله بن حسن الخداش ، نشر بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، عام ٢٠٠٤م .

٢٤٧- **صحيح البخاري**، نشر دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٧هـ .

٢٤٨- **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)** تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤٠٨هـ .

٢٤٩- **صحيح السيرة النبوية**، المسماة: **السيرة الذهبية**، تأليف: الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني السلمي ، نشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٤هـ .

٢٥٠- **صحيح سنن الترمذي** ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ .

٢٥١- **صحيح مسلم بشرح النووي** ، نشر مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ .

٢٥٢- **صحيح مسلم**، نشر دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٩هـ .

٢٥٣- **الصديق أبو بكر** ، تأليف: محمد حسين هيكل ، مطبعة مصر ، عام ١٣٦١هـ .

٢٥٤- **صراع الغرب مع الإسلام**، تأليف: آصف حسين ، ترجمة الدكتور: مازن بن صلاح مطبقاني ، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، مكتب المدينة النبوية ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٢٠هـ .

٢٥٥- **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، تأليف: ك . سنوك هوخرونيه ، ترجمة الدكتور: علي عوده الشيوخ ، نشر دار الملك عبدالعزيز ، عام ١٤١٩هـ .

٢٥٦- **ضحى الإسلام**، تأليف: أحمد أمين ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .

٢٥٧- **الضعفاء والمتروكين**، لابن الجوزي ، تحقيق: عبدالله القاضي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٦هـ .

٢٥٨- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ .
٢٥٩- **ضعيف سنن الترمذي** ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ .
٢٦٠- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، للسخاوي ، نشر دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
٢٦١- **طبقات الحفاظ**، لجلال الدين السيوطي ، نشر دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٣هـ .
٢٦٢- **الطبقات الكبرى لابن سعد**، تحقيق الدكتور: محمد السلمي ، نشر دار الصديق ، الطائف ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٤هـ .
٢٦٣- **الطبقات الكبرى** ، تأليف: محمد بن سعد بن منيع الزهري ، أعد فهارسها: رياض عبدالله عبدالهادي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٦٤-**طبقات المستشرقين**، تأليف الدكتور: عبدالحميد صالح حمدان ، نشر مكتبة مدبولي .
٢٦٥- **طبقات المفسرين**، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٧هـ .
٢٦٦- **طبقات سلاطين الإسلام**، تأليف: استانلي لين بول ، نشر الدار العالمية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٦هـ .
٢٦٧- **طه حسين والشيخان**، تأليف: محمد عمر توفيق ، نشر تهامة ، جدة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠١هـ .
٢٦٨- **طه حسين، حياته وفكره في ميزان الإسلام**، تأليف: أنور الجندي ، نشر دار الاعتصام ، مصر .
٢٦٩- **ظُهر الإسلام** ، تأليف: أحمد أمين ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .
٢٧٠-**العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية مقارنة بالمجتمعات الإسلامية**، تأليف الدكتور: أحمد علي المجذوب ، نشر الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١١هـ .
٢٧١- **العُجاب في بيان الأسباب (أسباب نزول القرآن)**، تأليف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .
٢٧٢- **العجم الفلسفي**، تأليف: جميل صليبا ، نشر دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٧١م .

٢٧٣- **العدة في أصول الفقه**، تأليف: القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي، تحقيق الدكتور: أحمد بن علي سير المباركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠هـ.

٢٧٤- **العرب تاريخ موجز**، تأليف: فيليب حتي، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٧٥- **العرب والإسلام والخلافة العربية**، تأليف: ي. أ. بليايف، ترجمة: أنيس فريحة، نشر الدار المتحدة للنشر، بيروت - لبنان.

٢٧٦- **العرب والروم**، تأليف: فازيليف، ترجمة الدكتور: محمد عبدالهادي شعيرة، وراجعه الدكتور: فؤاد حسنين علي، نشر دار الفكر العربي.

٢٧٧- **عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين**، تأليف الدكتور: أكرم ضياء العمري، نشر مكتبة العبيكان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٢٤هـ.

٢٧٨- **العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، بقلم: محمد حامد الناصر، نشر مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٢٧٩- **العقد الفريد**، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، نشر المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، عام ١٤٢٣هـ.

٢٨٠- **عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث الأئمة**، تأليف: الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق الدكتور: ناصر بن عبدالرحمن الجديع، نشر دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤١٩هـ.

٢٨١- **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم**، تأليف الدكتور: ناصر بن علي الشيخ، نشر مكتبة الرشد، الرياض.

٢٨٢- **عقيدة أهل السنة والجماعة، مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها**، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، نشر دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤١٩هـ.

٢٨٣- **العقيدة**، للإمام أحمد بن حنبل، برواية أبي بكر الخلال، دراسة وشرح وتحقيق الشيخ: عبدالعزيز عزالدين السيروان، نشر دار ابن قتيبة، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٢٨٤- **العلل ومعرفة الرجال**، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٢٨٥- **علم التاريخ عند المسلمين**، تأليف: فرانز روزنثال، ترجمة الدكتور: صالح أحمد العلي، نشر مكتبة المثنى، بغداد ١/ ٨/ ١٩٦٣م.

٢٨٦- **العواصم من القواصم** – النص الكامل للكتاب – للقاضي أبي بكر بن العربي ، تحقيق الدكتور: عمار طالبي ، نشر دار الثقافة – الدوحة ، قطر ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ .

٢٨٧- **العواصم من القواصم – في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ^**، تأليف: القاضي أبي بكر بن العربي ، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب ، نشر المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، عام ١٤٠٦هـ .

٢٨٨- **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاصم**، تصنيف: الإمام العلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، عام ١٤١٥هـ .

٢٨٩- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير** ، تأليف: أبي الفتح محمد بن سيد الناس ، ضبطه وشرحه وعلق عليه الشيخ: إبراهيم محمد رمضان ، نشر دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٤هـ .

٢٩٠- **عيون الأخبار**، تأليف: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ضبطه ووثق نصوصه وعلق عليه: الداني بن منير آل زهوي ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

٢٩١- **الغارة على القرآن الكريم**، تأليف الدكتور: عبدالراضي محمد عبدالمحسن ، نشر دار قباء ، مصر ، عام ١٤٢١هـ .

٢٩٢- **الفائق في غريب الحديث** ، تأليف: جارالله محمود الزمخشري ، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٧هـ .

٢٩٣-**الفاروق القائد**، بسام العسلي ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ .

٢٩٤- **الفاروق عمر** ، تأليف: محمد حسين هيكل ، نشر دار المعارف ، مصر ، الطبعة السادسة .

٢٩٥- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، لابن حجر العسقلاني ، بعناية: محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر دار الحديث ، القاهرة ، سنة ١٤٢٤هـ .

٢٩٦- **فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم تفسير)**، تأليف: محمد بن علي الشوكاني ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

٢٩٧- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي**، تأليف: محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، تحقيق وتعليق الشيخ: علي حسين علي ، نشر مكتبة السنة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٥هـ .

٢٩٨- **الفتنة الكبرى**، تأليف: طه حسين ، نشر دار المعارف ، مصر ، الطبعة السادسة ، سنة ١٩٦٦م .

٢٩٩- **فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه** ، تأليف الدكتور: محمد بن عبدالله الغبان ، نشر

مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٣٠٠- **فتوح البلدان**، تصنيف: الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه وشرحه وعلق حواشيه وأعد فهارسه وقدم له: عبدالله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع. نشر مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٧هـ.

٣٠١- **الفتوحات العربية الكبرى**، تأليف: جون باجوت غلوب، تعريب وتعليق: خيري حماد، نشر مكتبة المثنى، بغداد، عام ١٩٦٣م.

٣٠٢- **فجر الإسلام**، تأليف: أحمد أمين، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة السادسة عشر.

٣٠٣- **الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تأليف الفرد بل، ترجمه عن الفرنسية: عبدالرحمن بدوي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٩٨٧م.

٣٠٤- **الفرق السياسية في الإسلام**، لرنيولد نيكلسون، مقال في مجلة الرسالة، القاهرة، العدد ٤٤٨.

٣٠٥- **الفَرق بين الفِرق**، تأليف: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

٣٠٦- **الفروق في اللغة**، تأليف: أبي هلال العسكري، تحقيق: جمال عبدالغني مدغمش، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٣٠٧- **فصول في أديان الهند**، تأليف الدكتور: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر دار البخاري، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٣٠٨- **فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم**، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق: صالح بن محمد العقيل، نشر دار البخاري، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٣٠٩- **فضائل الصحابة**، للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل، حققه وخرج أحاديثه: وصي الله بن محمد عباس، نشر دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٠هـ.

٣١٠- **الفكر العربي ومكانه في التاريخ**، تأليف: ديلاسي أوليري، ترجمة الدكتور: تمام حسان، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٣١١- **الفنون الإسلامية**، تأليف: م. س. ريماند، ترجمة: أحمد محمد عيسى، نشر دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، عام ١٩٥٤م.

٣١٢- **الفهرست**، لابن النديم، اعتنى به وعلق عليها الشيخ: إبراهيم رمضان، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٧هـ.

٣١٣- **الفوائد البهية في تراجم مجتهدي الحنفية**، تأليف: محمد عبدالحي الكنوي، نشر دار المعرفة، بيروت.

٣١٤- **القافلة قصة الشرط الأوسط**، تأليف: كارلتون كون، ترجمة: برهان دجاني، نشر دار الثقافة، بيروت.

٣١٥- **قالوا عن الإسلام**، إعداد الدكتور: عماد الدين خليل، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.

٣١٦- **القاموس المحيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، نشر المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

٣١٧- **قصة الحضارة**، تأليف: ول ديورانت، المشرف العام الدكتور سمير سرحان، نشر هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية، عام ٢٠٠١م.

٣١٨- **قصة الفلسفة**، تأليف: وِل ديورانت، نشر مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٩م.

٣١٩- **قصة الهجوم على السنة**، بقلم الدكتور: علي أحمد السالوس، نشر دار السلام، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٣٢٠- **قواطع الأدلة في أصول الفقه**، تأليف: الإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني، تحقيق الدكتور: عبدالله بن حافظ، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٣٢١- **الكاشف في عرفة من له رواية في الكتب السنة**، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، وعليه حاشية: إبراهيم بن محمد بن سبط العجمي، تحقيق: محمد عوامة، وأحمد محمد نمر الخطيب، نشر شركة دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ.

٣٢٢- **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٣٢٣- **الكافي**، لموفق الدين ابن قدامة، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٣٢٤- **الكامل في الأدب**، للمبرد، نشر مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

٣٢٥- **كتاب السنة**، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، عام ١٤١٩هـ.

٣٢٦- **كتب حذر منها العلماء**، تصنيف: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار الصميعي، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٣٢٧- **الكنى والأسماء**، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق الدكتور: عبدالرحيم محمد القشقري، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ.

٣٢٨- **لسان العرب**، لابن منظور، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٩هـ.

٣٢٩- **لسان الميزان**، لابن حجر، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٠هـ.

٣٣٠- **لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار**، للقاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي، تحقيق الدكتور: علي حسين البواب، نشر دار عالم الكتب، الرياض، عام ١٤١٣هـ.

٣٣١- **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، تصنيف: الإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة، بعناية: بدر بن عبدالله البدر، نشر: دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، عام ١٤١٦هـ (ضمن مجموع).

٣٣٢- **المائة الأوائل**، تأليف: مايكل هارت، ترجمة: خالد أسعد عيسى، والمحامي: أحمد غسان سبانو، نشر دار ابن قتيبة، الطبعة السادسة، عام ١٤٠٧هـ.

٣٣٣- **مبادئ الفلسفة**، تأليف: ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر.

٣٣٤- **مجلة البيان**، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد (٣١) محرم ١٤١١هـ.

٣٣٥- **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، نشر المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، عام ١٤٢٤هـ.

٣٣٦- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٧هـ.

٣٣٧- **مجمل اللغة**، لابن فارس، تحقيق الشيخ: هادي حسن حمودي، من منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

٣٣٨- **المجموع شرح المهذب**، للشيرازي، للإمام النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، نشر دار إحياء التراث العربي، عام ١٤١٥هـ.

٣٣٩- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه: محمد، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤١٦هـ.

٣٤٠- **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، جمع وترتيب: فهد بن ناصر

السليمان ، نشر دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثانية ، عام ١٤١٣هـ .
٣٤١- **مجموعة العبقريات الإسلامية كاملة** ، لعباس محمود العقاد ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، سنة ١٤٢٤هـ .
٣٤٢- **مجموعة العبقريات كاملة**، تأليف: عباس محمود العقاد ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، عام ١٤٢٤هـ .
٣٤٣- **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، تأليف: الإمام العلامة يوسف بن الحسن بن عبدالهادي ، دراسة وتحقيق الدكتور: عبدالعزيز بن محمد الفريح ، نشر أضواء السلف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٠هـ .
٣٤٤- **محمد رسول الله**، تأليف: اتيين دينيه ، ترجمة الدكتور: عبدالحليم محمود ، والدكتور: محمد عبدالحليم ، نشر دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٦م .
٣٤٥- **محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين** ، تأليف: جورج بوش ، ترجمة الدكتور: عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، نشر دار المريخ ، الرياض ، الطبعة الثانية ، سبتمبر ٢٠٠٤م .
٣٤٦- **محمد في المدينة**، تأليف: مونتجمري وات ، تعريب شعبان بركات ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت .
٣٤٧- **محمد في مكة**، تأليف: مونتجمري وات ، تعريب: شعبان بركات ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت .
٣٤٨- **مخالفة الصحابي للحديث النبوي الشريف – دراسة نظرية تطبيقية –** تأليف الدكتور: عبدالكريم بن علي النملة ، نشر مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٦هـ .
٣٤٩- **مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر الرازي ، نشر دار الحديث ، القاهرة – مصر ، عام ١٤٢٥هـ .
٣٥٠- **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، لابن منظور ، تحقيق: أحمد راتب حموش ، ومحمد ناجي العمر ، نشر دار الفكر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥هـ .
٣٥١- **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة**، تأليف الدكتور: إبراهيم بن محمد البريكان ، نشر دار السنة ، الخبر ، الطبعة الرابعة ، عام ١٤١٦هـ .
٣٥٢- **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، تأليف الدكتور: عثمان جمعة ضميرية ، نشر مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤٢٠هـ .
٣٥٣- **مذاهب التفسير الإسلامي**، تأليف: إجنتس جولدتسيهر ، ترجمة الدكتور: عبدالحليم النجار ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المتنبي ببغداد .

٣٥٤- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودي، تحقيق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، نشر دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.

٣٥٥- **مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري**، دراسة نقدية مقارنة، تأليف الدكتور: خالد بن محمد الغيث، نشر دار أطلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٣٥٦- **المستجاد من فعلات الأجواد**، تصنيف: أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: أم عبدالله بنت محروس العسلي، وإشراف: أبي عبدالله محمود الحداد، نشر دار سعد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ.

٣٥٧- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.

٣٥٨- **المستشرقون الألمان**، دراسات جمعها وشارك فيها: صلاح الدين المنجد، نشر دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٨م.

٣٥٩- **المستشرقون الناطقون بالإنجليزية - دراسة نقدية - تأليف الدكتور: عبداللطيف الطيباوي**، ترجمة وتقديم الدكتور: قاسم السامرائي، نشر عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، عام ١٤١١هـ.

٣٦٠- **المستشرقون والإسلام**، تأليف: محمد قطب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٣٦١- **المستشرقون والحديث النبوي**، تأليف الدكتور: محمد بهاء الدين، نشر دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٣٦٢- **المستشرقون ونشر التراث - دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر**، تأليف الدكتور: علي بن إبراهيم النملة، نشر مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٣٦٣- **المستشرقون**، تأليف: نجيب العقيقي، نشر دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الرابعة، عام ١٩٨٠م.

٣٦٤- **المستصفى من علم الأصول**، تصنيف: الإمام أبو حامد الغزالي، دراسة وتحقيق الدكتور: حمزة زهير حافظ، (دون ذكر دار النشر ورقم الطبعة وعامها).

٣٦٥- **المستطرف في كل فن مستظرف**، تأليف: شهاب الدين محمد الأبشيهي، تحقيق الدكتور: مفيد محمد قميحة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.

٣٦٦- **المسلمون في تاريخ الحضارة**، تأليف: ستانوود كب، ترجمة الدكتور: محمد فتحي عثمان، نشر الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥هـ.

٣٦٧- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.

٣٦٨- **مسند الإمام الحافظ أبي عبدالله أحمد بن حنبل**، نشر بيت الأفكار الدولية، الرياض، عام ١٤١٩هـ.

٣٦٩- **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد حسن محمد الشافعي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٦م.

٣٧٠- **المصاحف**، لأبي بكر بن أبي داود السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، نشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

٣٧١- **مصادر السيرة النبوية وتقويمها**، تأليف الدكتور: فاروق حمادة، نشر دار القلم، دمشق، عام ١٤٢٥هـ.

٣٧٢- **المصباح المنير**، للعلامة أحمد بن محمد الفيومي، اعتنى بها الأستاذ: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤١٨هـ.

٣٧٣- **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

٣٧٤- **المعارف**، لابن قتيبة الدينوري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٠هـ.

٣٧٥- **معارك في سبيل الإله**، تأليف: كارين أرمسترونج، ترجمة الدكتور: محمد عناني والدكتورة: فاطمة نصر، نشر سطور، مصر، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م.

٣٧٦- **معالم تاريخ الإنسانية**، تأليف: هـ. ج. ولز، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، الطبعة الثانية.

٣٧٧- **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، نشر دار صادر، ودار بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٥م.

٣٧٨- **معجم الأعلام**، تأليف: بسام عبدالوهاب الجابي، نشر الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ.

٣٧٩- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، قدم له: محمد عبدالرحمن مرعشلي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٣٨٠- **معجم الصحابة**، تأليف: القاضي أبي الحسين عبدالباقي بن قانع، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبدالرحمن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٣٨١- **المعجم الصغير**، للطبراني ، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥هـ .

٣٨٢- **المعجم الفلسفي**، تأليف: عبدالمنعم الحفني ، نشر الدار الشرقية ، مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٠هـ .

٣٨٣- **المعجم الفلسفي**، نشر مجمع اللغة العربية بمصر ، وطبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، عام ١٣٩٩هـ .

٣٨٤- **المعجم الكبير**، للإمام الحافظ الطبراني ، تحقيق: حمدي عبدالحميد السلفي ، نشر: مكتبة العلوم والحكم ، العراق ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٤هـ .

٣٨٥- **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة ، نشر مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

٣٨٦- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، تأليف: مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، نشر مكتبة لبنان ، عام ١٩٧٩م .

٣٨٧- **معجم المناهي اللفظية** ، تأليف د: بكر بن عبدالله أبو زيد ، نشر دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٧هـ .

٣٨٨- **المعجم الوسيط**، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون ، عن مجمع اللغة العربية ، ونشر المكتبة الإسلامية ، استانبول - تركيا ، الطبعة الثانية .

٣٨٩- **معجم بلدان العالم**، تأليف: محمد عتريس ، نشر الدار الثقافية للنشر ، القاهرة - مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .

٣٩٠- **معجم علم الاجتماع**، تأليف: عبدالهادي الجوهري ، نشر جامعة القاهرة ، الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ .

٣٩١- **معجم ما ألّف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضي الله عنهم**، أعده: محمد بن إبراهيم الشيباني ، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٤هـ .

٣٩٢- **معجم متن اللغة** ، تأليف: أحمد رضا ، نشر مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، عام ١٣٧٩هـ .

٣٩٣- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، اعتنى به الدكتور: محمد عوض مرعب ، والآنسة فاطمة محمد أصلان ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ .

٣٩٤- **معرفة الصحابة عند المحدثين - دراسة توثيقية مقارنة -** تأليف الدكتور: أحمد بن عبدالله الباتلي ،

نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٣٩٥- **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق ودراسة الدكتور: محمد راضي بن حاج عثمان، نشر مكتبة الدار بالمدينة النبوية ومكتبة الحرمين بالرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٣٩٦- **معرفة علوم الحديث**، للإمام الحاكم، إشراف مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، نشر دار الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ.

٣٩٧- **المعيار المعرب**، لأحمد بن يحيى الونشريسي، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور: محمد حجي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام ١٤٠١هـ.

٣٩٨- **المغازي**، **تأليف**: أبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ.

٣٩٩- **المغازي**، **تأليف**: محمد بن عمر الواقدي، تحقيق الدكتور: مارسدن جونس، نشر عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٤هـ.

٤٠٠- **المغني**، لابن قدامة، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، والدكتور: عبدالفتاح محمد الحلو، نشر عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٤٠١- **مفردات ألفاظ القرآن**، تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، نشر دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤١٨هـ.

٤٠٢- **مفهوم السنة والجماعة**، تأليف الدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل، نشر دار العاصمة، الرياض، الطبعة عام ١٤١٩هـ.

٤٠٣- **مقاتل الطالبين**، لأبي الفرج الصفهاني، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٤٠٤- **مقال عن المنهج**، تأليف: ديكارت، ترجمة: محمود الخضيري، نشر المكتبة السلفية، القاهرة.

٤٠٥- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، نشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عام ١٤١١هـ.

٤٠٦- **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**، تأليف: عبدالله بن يوسف الجديع، نشر مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا، توزيع مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٤٠٧- **مقدمات في علم الاجتماع**، تأليف: جورج لاباساد، ورينيه لورو، ترمة هادي ربيع، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ.

٤٠٨- **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهروزي، المعروف بابن الصلاح، تحقيق الدكتور: عبدالحميد هنداوي، نشر المكتبة العصرية، صيدا،

بيروت ، سنة ١٤٢٤هـ .

٤٠٩- **مقدمة ابن خلدون**، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق: درويش الجويدي ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت عام ١٤٢٢هـ .

٤١٠- **المقنع**، لموفق الدين ابن قدامة ، ومعه الشرح الكبير ، لعبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة ، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، لأبي الحسن علي بن سليمان المردوي ، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، نشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٦هـ .

٤١١- **مكانة السنة في التشريع الإسلامي**، تأليف الدكتور: محمد لقمان السلفي ، نشر دار الراعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٢٠هـ .

٤١٢- **الملل والنحل** ، تأليف: محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي ، نشر المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، عام ١٤٢٢هـ .

٤١٣- **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، تأليف الدكتور: عبدالمنعم فؤاد ، نشر مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .

٤١٤- **مناهج التأليف في السيرة النبوية خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة** ، تأليف الدكتور: محيي الدين ديب مستو ، نشر دار الكلم الطيب ، دمشق - بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٠هـ .

٤١٥- **مناهج العلوم الاجتماعية - الكتاب الأول - العلم والعلوم الاجتماعية** ، تأليف: مادلين غراويتز ، ترجمة الدكتور: سام عمار ، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة ، دمشق ، سنة ١٩٩٣م .

٤١٦- **مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية - دراسة تحليلية نقدية**، إعداد الطالب: محمد عامر عبدالحميد مظاهري ندوي ، (رسالة دكتوراه) في كلية الدعوة بالمدينة المنورة عام ١٤٢٢هـ .

٤١٧- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، للشيخ: محمد عبدالعظيم الزرقاني ، نشر دار الفكر ، بيروت ، عام ١٤٠٨هـ .

٤١٨- **المناهي اللفظية**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمعه وخرج أحاديثه وضبطه: أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن ، نشر دار ابن الجوزي ، القاهرة ، مصر .

٤١٩- **منتهى الإرادات**، تأليف تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي ، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٩هـ .

٤٢٠- **المنجد في اللغة والأعلام**، نشر دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأربعون عام ٢٠٠٣م .

٤٢١- **منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه**، تأليف: تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي ،

تحقيق الدكتور: سعيد بن علي الحميري ، نشر دار البشائر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٠هـ .

٤٢٢- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية**، تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الثانية ، عام ١٤١١هـ .

٤٢٣- **منهج المسعودي في كتابه التاريخ**، تأليف الدكتور: سليمان بن عبدالله السويكت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٧هـ .

٤٢٤- **منهج دراسة التاريخ الإسلامي**، تأليف الدكتور: محمد أمحزون ، نشر دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٦هـ .

٤٢٥- **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، لأبي إسحاق الشيرازي ، تحقيق: محمد الزحيلي ، نشر دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٢هـ .

٤٢٦- **موجز تاريخ العالم**، تأليف: هـ .ج . ويلز ، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة – مصر .

٤٢٧- **موجز دائرة المعارف الإسلامية** ، تحرير: هوتسما ، وأرنولد وغيرهم من المستشرقين ، نشر مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٨هـ .

٤٢٨- **موسوعة الخلفاء الراشدون**، تأليف: محمد رضا ، نشر المكتبة ، صيدا – بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .

٤٢٩- **موسوعة العالم**، أصدرها: وليام لانجر ، أشرف على الترجمة الدكتور: محمد مصطفى زيادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، عام ١٩٥٩م .

٤٣٠- **موسوعة الفلسفة**، تأليف: عبدالرحمن بدوي ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٤م .

٤٣١- **موسوعة المستشرقين**، تأليف الدكتور: عبدالرحمن بدوي ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، عام ١٩٩٣م .

٤٣٢- **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، تأليف الدكتور: عبدالرحمن بن صالح المحمود ، نشر مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٥هـ .

٤٣٣- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي ، تحقيق: علي محمد معوض وآخران ، نشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٦هـ .

٤٣٤- **ميلاد العصور الوسطى**، تأليف: هـ . سانت . ب . موس . ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد ، ونشر عالم الكتب ، مصر ، عام ١٩٦٧م .

٤٣٥- **الناسخ والمنسوخ**، لقتادة وللزهري، ولابن الجوزي، ولابن البارزي، تحقيق الدكتور: حاتم صالح الضامن، نشر عالم الكتب، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ (ضمن مجموعة أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ).

٤٣٦- **نبي الإسلام في مرآة الفكر الرويسي**، لتولستوي، مقال نشر في مجلة الأزهر، مصر، السنة الحادية والخمسون، ربيع الأول ١٣٩٩هـ/ فبراير ١٩٧٩م.

٤٣٧- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لابن تغري بردي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٤٣٨- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٤٣٩- **نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالكريم الفضيلي، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، عام ١٤٢٤هـ.

٤٤٠- **نسب قريش**، لأبي عبدالله بن المصعب الزبيري، تحقيق: ليفي بروفنسال، نشر دار المعارف للطباعة والنشر.

٤٤١- **نظام الحكم في الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى**، تأليف: عبدالمتعال الجبري، نشر مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ.

٤٤٢- **نظرة جديدة في سيرة رسول الله**، تأليف: كونستاس جيورجيو.

٤٤٣- **نظرة جديدة في سيرة رسول الله**، تأليف: كونستانس جيورجيو، تعريب الدكتور: محمد التونجي، نشر الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان.

٤٤٤- **نقعة الصديان**، تأليف: رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني، تحقيق الدكتور: أحمد خان، نشر مكتبة الإيمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ.

٤٤٥- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٤٤٦- **الهادي إلى لغة العرب**، تأليف: حسن سعيد الكرمي، نشر دار لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.

٤٤٧- **الواضح في أصول الفقه**، تأليف: أبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي، تحقق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٤٤٨- **الواقدي وكتابه المغازي، منهجه ومصادره**، تأليف الدكتور: عبدالعزيز بن سليمان السلومي، نشر عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٤٤٩- **وجهة العالم الإسلامي**، تأليف: مالك بن نبي، ترجمة: عبدالصبور شاهين، نشر دار الفكر، دمشق، عام ١٤٠٠هـ.

٤٥٠- **الوجيز في علم الاستشراق**، تأليف الدكتور: سعدون محمود الساموك، نشر دار المناهج، الأردن، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

٤٥١- **وسط الجزيرة العربية وشرقها**، تأليف: وليم جيفور بالجريف، ترجمة: صبري محمد حسن، نشر المجلس الأعلى للثقافة، مصر، عام ٢٠٠١م.

٤٥٢- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت – لبنان.

٤٥٣- **الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين**، تأليف الدكتور: عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري، نشر دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.

٤٥٤- **يوم الإسلام**، تأليف: أحمد أمين، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات